SÜL... E G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı: Esad ef.
Yeni:
Eski: 83
Tasnif: 297.1

٨٢

لسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

سورة الحجرات مدنيه

وهى ثمانى عشرة اية وثلثماية وثلاث واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الجبار المتكبر الذى اعز رسوله صلى الله عليه وسلم الرحمن الذى من عموم رحمته الاداب للتوصل الى حسن المآب الرحيم الذى خص اولى الالباب بالاقبال بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وصرح فى ابتدايها باسمه الشريف وسمى السورة به وملا سورة الفتح بتفضيله وخصها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه السورة باشتراط الادب معه فى القول والفعل فقال تعالى يايها الذين امنوا اى قروا بالايمان لا تقدموا من قدم بمعنى تقدم اى لا تتقدموا وحذف المفعول ليعم كل ما يصح تقديمه فيذهب اوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه اصلا بل يكون النهى موجها الى نفس التقدمة اى لا تتليسوا بهذا الفعل بين يدى الله اى الملك الاعظم الذى لا يطاق انتقامه ورسوله اى الذى عظمته ظاهرة جدا لا نهاية له لان عظمته من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه واختلف فى سبب نزول ذلك فقال الشعبى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة اى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح

وقال

وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شى وعن مسروق عن عايشة انه فى النهى عن صوم يوم الشك ان لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وعن ابن الزبير انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافى فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت هذه الاية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهم وعن ابن ابى مليكة نزل يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم وهذا انسب وقال الضحاك يعنى فى القتال وشرايع الدين لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله قال الرازى والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة تنبيه معنى بين يدى الله ورسوله اى بحضرتهما لان ما بحضرة الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان يجلس بينه وبين الجهتين والمتسامتين يمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشى باسم غيره اذا جاوره وادنا فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة هنا على ضرب من المجاز وهو الذى يسميه اهل البيان تمثيلا وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له واشعار بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله اجعلوا بينكم وبين غضب الملك العظيم وقاية فان التقوى مانعة من ان تضيعوا حقه وتخالفوا امره او تقدموا على شى لم تعلموا رضاه فيه ان الله اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال سميع لاقوالكم عليم باعمالكم وتزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم اى فى شى من الامر شيا عند النطق اذا نطقتم فوق صوت النبى اذا نطق تنبيه فى اعادة النداء فوايد منها ان فى ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله يا بنى انها ان تك يا بنى اقم الصلاة لان النداء تنبيه للمناداة ليقبل على استماع الكلام ويجعل بالعهد فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم ان المخاطب ثانيا غير

المخاطب اولا فان من الجايزان يقول القايل ما زيدا فعل كذا وكذا يا عمرو فاذا دعا
مرة اخرى وقال يا زيد قل يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب
ثانيا ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيدا للاول
كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق وانه لا يحسن ان يقول يا زيد لا تنطق
يا زيد لا تتكلم انما يحسن عند اختلاف المطلوبين **ولا تجهروا له بالقول** اى اذا
كلمتموه سواء كان ذلك مثل صوته او انقص من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهاب
به العظماء ويوقر الكبراء **كجهر بعضكم لبعض** اى ولا تبلغوا به الجهر الزايد بينكم بل
اجعلوا اصواتكم اخفض من ذلك فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبى
صلى الله عليه وسلم وبين غيره فان قيل ما الفايدة فى ولا تجهروا بعد ولا ترفعوا
اجيب بان المنع من رفع الصوت هو ان لا يجعل كلامه او صوته اعلا من
كلام النبى صلى الله عليه وسلم وصوته والنهى عن الجهر منه من المساواة اى
لا تجهروا له بالقول كما تجهرون في نظرايكم بل اجعلوا كلمته عليا ثم حذرهم بقوله تعالى
ان اى كراهة ان **تحبط** اى تفسد فتسقط **اعمالكم** التى هى الاعمال بالحقيقة وهى الحسنات
وانتم لا تشعرون اى بانها حبطت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استحق
به واذا استحق واظب عليه واذا واظب عليه اوشك ان يستخف بالمخاطب فيكفر
وهو لا يشعر روى انس بن مالك قال لما نزل قوله يا ايها الذين لا ترفعوا اصواتكم
الاية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبى
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد
انه لجارى وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الاية وقد علمتم انى من ارفعكم صوتا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم
فقال بل هو من اهل الجنة وروى لما نزلت هذه الاية قعد ثابت فى الطريق يبكى
فمر به عاصم بن عدى فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون
نزلت فى وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملى واكون من اهل النار فمضى
عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكاء فاتى امراته جميلة

بنت

بنت عبد الله بن ابى بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسى فسدى على
القصبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفانى الله او يرضى عنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى راه فيه فلم يجده فجاء الى
اهله فوجده فى بيت العزش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك
فقال اكسر القصبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت فاخاف ان تكون هذه الاية نزلت
فى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا
وتدخل الجنة فقال رضيت بشرى الله ورسوله لا ارفع صوتى ابدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل **ان الذين يغضون** اى يخفضون ويلينون
لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطيبى واصل الغض الكف
فى لين **اصواتهم** تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا **عند رسول الله** اى
الذى من شانه ان يعلو كلامه على كل كلام لانه يبلغ عن الملك الاعظم ويفيد بعند
الذى للظاهر اشارة الى ان حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا اكمل الادب **اولئك**
اى عالوا الرتبة **الذين امتحن الله** اى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر
قلوبهم للتقوى اى اختبرها واخلصها ليظهر منهم اما من امتحن اذا اذابه ومنه
برزه من خبثه فان الامتحان اختبار بليغ يودى الى خير فالمعنى انه طهر قلوبهم
ونقاها كما يمتحن الصايغ الذهب والفضة بالاذابة للتنقية والتخليص من
كل غش لاجل اظهار ما يطوى فيها من التقوى لبصير معلوما للخلق فى عالم الشهادة
كما كان له سبحانه فى عالم الغيب **لهم مغفرة** اى لهفواتهم وزلاتهم **واجر عظيم**
لفضلهم وسابر طاعاتهم والتنكير للتعظيم قال انس فكنا اى بعد نزول هذه
الاية فى حق ثابت تنظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان فى
يوم حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعد الانكسار فانهزمت طايفة
منهم فقال اف لهولاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد

ة

ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد مونة فى المنام قال له اعلم ان فلانا رجل
من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طوله
وقد وضع على درعى تل به فاتيت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل لها ان
عليا دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيتى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه
والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالدا ابا بكر بتلك الرويا فاجازا بو
بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه واختلف
فى سبب نزول قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فقال ابن عباس بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى النضير واسر عليهم عتبة بن حصن
الغزارى فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عتبة وقدم بهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاهم بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهر ووقفوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايلا فى اهله فلما راتهم الذرارى اجهشوا الى ابايهم
يبكون وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجعلوا ان يخرج اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه
فخرج اليهم فقالوا يا محمد فاد ناعيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يامرك
ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون
بينى وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال شبرة انا لا احكم بينهم وهم
وعمى شاهد وهو الاعور بن بسامة فهتوا به فقال الاعور ارى ان تفادى نصفهم
وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وعتق
نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات جمع حجرة وهى ما تحجره
من الارض يحايط وتحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه فى اى بيت
مناداة الاعراب بغلظة وجفا اكثرهم اى المنادى والراضى دون الساكت لعذر لا يعقلون
اى محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم فلم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم
كما يفعل بعضهم ببعض ولو انهم اى المنادى والراضى صبروا اى حبسوا انفسهم ومنعوها
عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها وهو حبس فيه شدة
وصبر حتى تخرج اليهم من تلقا نفسك عند فراغ ما انت فيه مما يهمك من وارد ان الحق ومصالح

الخلق

٦ حيه

الخلق لكان اى الصبر خيرا لهم اى من استعجالهم ايقاظك فى الهاجرة ومما لوقوعوا الباب
بالاظافير كما كان يفعل غيرهم من الصحابة قال ابو عثمان الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه
الى الدرجات العلى والخير فى الاولى والعقبى انتهى فانهم لو تاديوا لربهم لزادهم صلى
الله عليه وسلم فى الفضل فاعتق جميع سبيهم واطلقهم بلا فداء والله اى المحيط بجميع صفات
الكمال غفور اى ستور ذنب من تاب من جملته رحيم اى بما بهم معاملة الراحم فيبغ
عليهم نعمه وقال قتادة نزلت فى ناس من اعراب تميم جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم
فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال انما ذلكم الله الذى مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن
ناس من بنى تميم جينا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر
فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس
وكان خطيب النبى صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقام الاقرع بن
حابس فقال ان محمدا لمولى تكلم خطيبنا فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان
شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل
هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف فى ركابهم عمرو بن
الاهيم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى
به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم الايات
الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن
اسعد الناس به وان يكن ملكا يغشى فى جناحه فجاءوا فجعلوا ينادون من وراء
الحجرات يا محمد فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الاية وقيل المراد باكثرهم كلهم
لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا من الكذب واحتياطا فى الكلام لان الكل

ما لا يحيط به الانسان في بعض الاشيا فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى
مع احاطة علمه بالامور اتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله تعالى
يقول مع احاطة علمي بكل شي جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن
الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك
منكم تنبيه جعل الزمخشري انهم من ولو انهم فاعلا بفعل مقدر اي ولو ثبت صبرهم
وجعل اسم كان ضميرا عايدا على هذا الفاعل ولكن مذهب سيبويه انها في محل رفع بالابتدا
بالابتدا وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عايدا على خبرهم المفهوم وجرى على الاول البيضاوي
وعلى الثاني الجلال المحلي واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم
اي في وقت من الاوقات فاسق اي خارج من ربقة الديانة بنبا اي خبر يعظم خطبه
فيوثر شرا فتبينوا صدقه من كذبه فقال اكثر المفسرين نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي
معيط وهو اخو عثمان لامه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق
بعد الوقعة واليا ومصدقا اي ياخذ منهم الصدقة وكان بينه وبينهم عداوة في
الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه
الشيطان انهم يريدون قتله نهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونودي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له
في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتابا جاه منك لغضب غضبته علينا
وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكره وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان
رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل
في الكفار ففعل ذلك خالد ووفاهم فسمع منهم اذاني صلاتي المغرب والعشا فاخذ
منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبره الخبر فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا اي بادي قوما اي هم مع قوتهم النافعة لاهل الاسلام بداي

مما

مما نسب اليهم بجهالة اي مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك فتصبحوا اي فتصيروا
ولكنه عبر بذلك لان اشنع الندم ما استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه
واقباله على لذاته على ما فعلتم اي من اصابتهم نادمين اي غريقين في الاسف على ما
فات مما يوقع الله تعالى في نفوسكم من امور ترجف القلوب وقال الرازي هذا ضعيف
لان الله تعالى لم يقل اني انزلتها لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل عنه انه قال
وردت الاية لبيان ذلك حسب غاية ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل
تاريخ نزول الاية ومما يصدق ذلك ويويده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد
لانه توهم وظن فاخطا والمخطي لا يسمى فاسقا فكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من
خرج عن رتبة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى
ففسق عن امر ربه وقوله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها الى غير ذلك انتهى وقال ابن الخازن في تفسيره وقيل هو عام نزلت لبيان
التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا اولى من حكم الاية على رجل بعينه تنبيه
قوله تعالى ان تصيبوا مفعوله كقوله تعالى ان تحبط وقال الرازي معناه على مذهب
الكوفيين لئلا تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة ان تصيبوا وقرا حمزة والكسائي بعد
التا المثناة بثا مثلثة وبعد البا الموحدة بتا مثناة فوق من التثبت اي فتوقفوا
الى ان يتبين لكم الحال والباقون بعد التا المثناة ببا موحدة وبعدها يا تحتية وبعدها
نون من البيان واعلموا اي ايها الامة ان فيكم رسول الله اي الملك الاعظم المتصف
بالجلال والاكرام فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره بالحال لو يطيعكم وهو لا يحب
عنتكم ولا شيا يشق عليكم في كثير من الامر اي الذي تريدونه على فعله من انه يعمل في
الحوادث على مقتضى ما يعن لكم وتنصبونه ليكون فعله معكم فعل المطواع لغيره التابع
له فينقلب حينئذ الحال ويصير المتبوع تابعا والمطواع طايعا لعنتكم اي لاثمتم
دونه وهلكتم لان من اراد ان يكون امر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فقد
زين له الشيطان الكفران وقوله تعالى ولكن الله اي الملك الاعظم الذي يفعل ما
يريد حبب اليكم الايمان وزينه اي حسنه في قلوبكم فلزمتم طاعته وعشقتم
متابعته استدراك من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لبيان عذرهم وهو انه من فرط

حبهم للايمان وكراهتهم للكفر كما قال تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان حملهم
على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم اجماد الفعلهم وتعريفا
بذم من فعل قال الرازى هذه الامور الثلاثة فى مقابلة الايمان الكامل المركب من هو
التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله تعالى كره اليكم الكفر
وهو التكذيب وهو فى مقابلة التصديق بالجنان واما الفسوق فقيل هو الكذب
كما قاله ابن عباس من قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فسمى الكاذب فاسقا وقال البيضاوى
الكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن
الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان الامتناع عن
الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة اولئك
هم الراشدون اى الكاملون فى الرشد الثابتون على دينهم وفى تفسير الاصفهانى
الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه وقوله تعالى فضلا مصدر منصوب
بفعله المقدر اى فضل وقيل تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض فهو امتنان
عظيم ودرجة عالية من الله اى من الملك العظيم الذى بيده كل شى ونعمة اى وعيشا
حسنا ناعما وكرامة والله اى المحيط بصفات الكمال عليم اى محيط العلم يعلم احوال
المومنين وما بينهم من التفاضل حكيم اى بالغ الحكمة فهو يضع الاشيا فى اوفق
محالها واتقنها فكذلك وضع نعمته من الرسالة والايمان على حسب علمه وحكمته
ونزل فى قضية وان طايفتان من المومنين الاية وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم
ركب حمارا ومر على ابن ابى فبال الحمار فسد ابن ابى انفه فقال ابن رواحة لبول
حماره اطيب ريحا منك فكان بين قومهما ضرب بالايدى والنعال والسعف
وعن انس قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابى فانطلق
اليه النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهى ارض
سبخة فلما اتاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال اليك عنى فوالله لقد اذانى نتن
حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتاما فغضب لكل واحد
منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم

وبروى

وبروى انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم
عن بعض وعن قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مداراة فى حق فقال
احدهما للاخر لاخذن حتى منك عنوة لكثرة عشيرته وان كان الاخر دعاه ليحاكمه الى
النبى صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل احدهما حتى تدافعوا وتناول
بعضهم بعضا بالايدى والنعال وان لم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن
السدى قال كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين
زوجها شى فرقا بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاوا وحاقوه واقتتلوا
بالايدى والنعال فنزلت وجمع تعالى قوله سبحانه اقتتلوا نظرا للمعنى لان كل طايفة
جماعة وثنى الضمير فى قوله تعالى فاصلحوا اى اوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح بينهما
نظرا للفظ اى اصلحوا بينهما بالنصح والدعا الى حكم الله تعالى فان بغت اى اوقعت
الارادات السيية الكامنة من النفوس التى لا تنام بجور احداهما اى الطايفتين على
الاخرى فلم ترجع الى حكم الله الذى خرجت عنه ولم تقبل الحق فقاتلوا اى طلبوا
واوجدوا مقاتلة التى تبغى اى توقع الارادة السيية ونصر عليها واديموا القتال لها
حتى تفى اى ترجع عما صارت اليه من حر القطيعة الذى كانه حر الشمس حتى تسخن الظل
الى ما كانت فيه من البرد والخير الذى هو كالظل الذى تسخنه الشمس وهو معنى قوله
تعالى الى امر الله اى التزام ما امر به الملك الذى لا يهمل الظالم بل لابد من ان ينتقم منه
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كاليا والباقون بتحقيقها
فان فاءت اى رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذى هو العدل فاصلحوا
اى اوقعوا الصلاح بينهما بالعدل اى بالانصاف ولا يحملنكم القتال على الحقد
على المقاتلين فتحيفوا واقسطوا اى وازيلوا القسط بالفتح وهو الجور بان تقتلوا
القسط بالكسر وهو العدل الذى لا جور فيه فى ذلك وفى جميع امورهم ثم علله ترغيبا
فيه بقوله تعالى موكدا لتنبيهها على انه من اعظم ما يتمادح به ورد اعلى من لعله يقول
انه لا يلزم نفسه الوقوف عنده الا ضعيف ان الله اى الذى بيده النصر والخذ
يحب المقسطين اى يفعل مع اهل العدل من الاكرام فعل المحب انما المومنون
اى كلهم وان تباعدت انسابهم وبلادهم اخوة اى فى الدين لانتسابهم الى اصل

لان

واحد هو الايمان ولما كانت الاخوة داعية ولابد الى الاصلاح تسبب عنها قوله تعالى
فاصلحوا بين اخويكم كما تصلحوا بين اخويكم من النسب ووضع الظاهر موضع المضمر
مضافا الى المامور مبالغة فى التقدير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما
اقل من يقع فيهما الشقاق وعن ابى عثمان الجبرى ان اخوة الدين اثبت من
اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع
بمخالفة النسب واتقوا الله اى الملك الاعظم فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم
ترحمون اى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند انفسكم ان يكرمكم الذى لا قادر على
الاكرام فى الحقيقة غيره بانواع الكرامات كما رحمتم اخوانكم يا كرامكم عن افساوة انه
البين ومن الزهرى عن سالم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله فمن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج
عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله
يوم القيامة تنبيه فى هاتين الايتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان
لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين يدل عليه ما روى عن على بن
ابى طالب سئل وهو القدوة فى قتال اهل البغى عن اهل الجمل وصفين المشركين
فقال لا من الشرك فروا فقيل انهما منافقين هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون
الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج
على الامام العدل بتاويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة الشوكة وان لم يكن
لهم اماما والحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام امينا فطنا ناصحا ينصحهم ما يتقون
فان ذكروا مظلمة او شبهة ازالها وان اصروا نصحهم ثم اعلمهم بالقتال فان استمهلوا
امهلهم وفعل ما راه صوابا والحكم فى قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ويرد
سلاحهم وخيلهم اليهم اذا انقضت الحرب وامنت غايلتهم ولا يستعمل فى قتال
الا لضرورة ولا يقاتلون بعظيم كنار ومنجنيق الا لضرورة ولو قاموا واحدا واخذوا
زكاة وجزية وجراحا وفرقوا سهم المرتزقة على جندهم صح ما فعلوه وما اتلفه باغ
على عادل وعكسه ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد منهما والا فعلى المتلف
الضمان قال ابن سهل كانت فى تلك الفتنة وما يوفق فى بعضها القاتل والمقتول

واتلف

واتلف فيها اموال لم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما
راينه اقتص من احد ولا اغرم مالا اتلفه ولو اظهر قوم راى الخوارج كتركهم الجماعات
وتكفير ذى كبيرة ولم يقاتلوا فلا يتعرض لهم روى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية
المسجد لا حكم الا لله تعالى فقال على كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم
مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفى ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا
نبدوكم بقتال فان قاتلوا فحكمهم حكم قطاع الطريق وتفريعات احكام البغاة
مذكورة فى الفقه وفى هذا القدر كفاية واختلف فى سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اى اوقعوا الاقرار بالتصديق لا يسخر اى لا يهزوا والسخرية هى ان لا ينظر
الانسان الى الحية بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته قوم اى ناس
فيهم قوة المجادلة وهم الرجال وفى التعبير بذلك تنبيه على قيام الانسان على نفسه
وكفها عما تريده من التقايض متكبرا لما اعطاه الله من القوة من قوم اى من رجال فان
ذلك يوجب الشر لان ضعف الناس اذا استهزى به قوى لما يغور عنده من حظ
النفس فقال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس كان فى اذنه وقر اى ثقل فكان
اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس
الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف
النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه بمجالسهم فظن ان يجد كل رجل منهم
بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قايما فلما
فرغ ثابت فى صلاته اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس
ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس
ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة عمن ثابت الرجل فقال من هذا فقال له انا فلان
فقال له ثابت بن فلانة ذكر امه كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل راسه من
فاستحيا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الضحاك نزلت فى وفد تميم كانوا يستهزون
بفقراء اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وبلال وصهيب وسلمان
وسالم مولى ابى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم

ولا تستصغروهم ثم علل النهى بقوله تعالى عسى اى لانه جدير وخليق لهم ان يكونوا
اى المستهزأ بهم خيرا منهم فينقلب الامر عليهم ويكون لهم سوأ العاقبة قال ابن مسعود
اليلا موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وقال القشيرى ما استصغر
احد احدا الا سلط عليه ولا ينبغى ان يغتر بظاهر احوال الناس فان الزوايا خبايا
والحق سبحانه يستر اولياءه فى جباب الظنة وكذا فى الخبر كم من اشعث اغبر ذى طمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولا يسخر نساء من نساء ثم علل النهى بقوله تعالى عسى اى
ينبغى ان يحقق من ان يكن اى المسخور بهن خيرا منهن اى الساخرات روى انها نزلت
فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم عيرت ام سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس
انها نزلت فى صفية بنت حى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين
تنبيهان احدهما قال الرازى القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء
ولا على الاطفال لانه جمع قايم والقايم بالامور هم الرجال وعلى هذا ففى افراد الرجال
والنساء فايدة وهى ان عدم الالتفات والاستحقار ان يصدر فى اكثر الامر من الرجال
بالنسبة الى الرجال لان المراة فى نفسها ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على
وضم فالمراة لا يوجد منها استحقار لرجل لانها مضطرة اليه فى رفع حوايجها واما
الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهن ذلك الثانى فى
حكمة قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم فعاملهم اذا وجدوا منهم التكبر المقتضى الى
احباط الاعمال جعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث قال انا خير منه وقال انا
خير منه فصار هو خير امة ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى يكونوا اى يصيروا فان
من استحقر انسانا لفقره او ضعفه لا يامن ان يفتقر هو ويستغنى الفقير ويقوى
الضعيف ولا تلمزوا اى تعيبوا على وجه الخفية انفسكم بان يعيب بعضكم بعضا
باشارة او نحوها فكيف اذا كان على وجه الظهور فانكم فى التواصل والتراحم كنفس
واحدة او يعمل الانسان ما يعاب به فيكون الم الانسان قد لمز نفسه او يلمز غيره
فيكون لمزه له سببا لان يبحث عن عيوبه فيلمز فيكون هو الذى لمز نفسه ولا
تنابزوا بالالقاب اى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان المتبن يختص بلقب
السوء واختلف فى هذا اللقب فقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق

يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى
يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقال عطا هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن
ابن عباس التنابز بالالقاب هو ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهى
ان يعير بما سلف من عمله والحاصل انه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وان كان فيه
كالاعور والاعمش ويجوز كره بنية التعريف لمن لا يعرفه الا به واما القاب المدح فنعما
هى فقد لقب الصديق بعتيق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بن الوليد
بسيف الله وما زالت الالقاب الحسنة فى الجاهلية والاسلام قال الزمخشرى الا
ما احدثه الناس فى زماننا من التوسع حتى لقبوا السفلة بالالقاب العالية
وهى ان العذر مبسوط فما اقول لمن ليس من الدين فى قبيل ولا دبير يقلان الدين
لعمرو الله انها القصة التى لا تصاغ ومعنى اللقب اسم زايد على الاسم يشعر بضعة
المسمى او رفعته والمقصود به الشهرة فاكانت مكروهة نهى عنه وبئس ان يكفى اهل الفضل
الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد ولما التكنى بابى القاسم فهو حرام وقيل انما يحرم فى زمانه
صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافر ولا فاسق ولا
مبتدع لان الكنية للتكرمة وليسوا من اهلها بل امرنا بالاغلاظ عليهم الا لخوف فتنة
من ذكره باسمه او تعريف كما قيل به فى قوله تعالى تبت يدا ابى لهب واسمه عبد العزى
ولا باس بكنية الصغير وبئس ان يكنى من له اولاد باكبر اولاده وبئس لولد الشخص
وتلميذه وغلامه ان لا يسميه باسمه والادب انى لا يكنى الشخص نفسه فى كتاب وغيره
الان كان لا يعرف بغيرها او كانت اشهر من الاسم تنبيه ذكر فى الاية ثلاثة امور
مرتبة بعضها دون بعض كما علم من تقريرها بئس الاسم اى المذكور من السخرية
واللمز والتنابز وقوله تعالى الفسوق اى الخروج من ربقة الدين بعد الايمان بدل من
الاسم لافادة انه فسق لتكرره عادة وروى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين
فقال هلا قلت ان ابى هارون وعمى موسى وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يتب
اى يرجع عما نهى الله عنه فحتف على نفسه ما كان شدد عليها فاولئك اى البعداء
من الله تعالى هم الظالمون اى المرتكبون فى وضع الاشياء فى غير مواضعها واعظم

ابو عمرو والكسائي الباقي الفاء واختلف عن خلاد والباقون بالاظهار يا ايها
الذين امنوا اي اعترفوا بالايمان وان كانوا في اول مراتبه اجتنبوا اي كلفوا
انفسكم ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم كثيرا من الظن اي في الناس
وغيرهم واحتاطوا في كل ظن ولا تنقادوا معه حتى تحزموا بسببه تنبيه انهم
ذلك ان من الظن ما لا يجتنب كما في الاجتهاد حيث لا قاطع وكما في ظن الخير في
الله تعالى ففي الحديث انا عند ظن عبدي بي الا خيرا بل قد يجب كما في قوله
تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقيل نزلت في
رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او
سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيا
لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم
سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا
قال لاغلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا
منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان
عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند
اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع
قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة
ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا
هذا لحما قال ظلتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر قال
صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث والاثم الذنب الذي
يستحق المعتوبة عليه وجعل الزمخشري همزة بدلا من واو قال لانه يثم الاعمال اي يكسرها
قال ابن عادل وهذا غير مسلم بل تلك مادة اخرى قال سفيان الثوري الظن ظنان

احدهما

احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم وقوله تعالى
ولا تجسسوا حذف منه احدى التاءين اي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث
عنها قال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا
تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من امن بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات
المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن
عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم عند الله حرمة منك
وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن
التجسس وان يظهر لنا شيئا ناخذه به تنبيه قرا ولا تنابزوا ولا تجسسوا وليغتب
البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد ولما كانت الغيبة اعم من التجسس
قال ولا يغتب اي يتعمد ان ذكر بعضكم بعضا اي في غيبته بما يكره قال القشيري
وليس تحصل الغيبة للمخلوق الا من الغيبة عن الحق وقال ابو حيان قال ابن عباس الغيبة
ادام كلاب الناس وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما
الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي
ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وعن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
فقالوا لا ناكل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال ائتي صلى الله عليه وسلم اغتبتموه
فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت اخاك بما فيه وفي هذا اشارة الى وجوب
حفظ عرض المؤمن فان تمزيق عرض الانسان كتمزيق اديمه ولحمه كما قال تعالى ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه وقرا مينا نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون ولما كان
الجواب قطعا لا يحب احد ذلك اشار اليه بما سببه عن قوله تعالى فكرهتموه اي بسبب
ما ذكر طبعا فاولى ان تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لان داعي العقل يصير عالم وداعي
الطبع اعمى جاهل تنبيه في هذا التشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه
لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس
الظاهر لان عرض المرء اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس

لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك اشد الما وقوله تعالى لحم اخيه اكد في
المنع لان العدو يحمله الغضب يحل قطع لحم العدو في قوله تعالى ميتا اشارة الى دفع
وهم وهو ان يقال في الشتم في الوجه يولم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه
فلا يولم فيقال لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يولم ومع هذا هو في غاية القبح لما انه
لو اطلع عليه لتالم فان الميت لو احس باكل لحمه لاكمه وفيه معنى لطيف وهو ان
الاغتياب باكل لحم الادمي ميتا ولا يحل اكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا
وجد لحم الشاة الميتة ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك المغتاب ان وجد
لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قال مجاهد لما قيل لهم ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا
ذكره بالسوء غايبا قال الزجاج تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه
وهو ميت لا يحس بذلك قال الرازي ومن ضمر فكرهتموه وجوه اظهرها ان
يعود الى الاكل وثانيها ان يعود الى اللحم اي فكرهتم اللحم وثالثها ان يعود الى
الميت في قوله تعالى ميتا تقديره ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تغير كرهتموه
فكانه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان
اكلت في القذرة وتستطاب نادرا ولكن اذا انتن ذا روح وتغير لا يوكل اصلا
فكذلك ينبغي ان تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد
لا يشتهي الانسان ان يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكله ففيه
اذن كراهية شديدة وكذلك حال الغيبة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما
عرج بي مررت بقوم لهم اظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت
من هولا يا جبريل قال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم
وقال ميمون بن بستان بينما انا نايم اذا انا بجيفة زنجي وقايل يقول لي كل
قلت يا عبد الله ولم اكل هذا قال انك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت
فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سعيت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا
ولا يدع احدا يغتاب عنده وقوله تعالى واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين
الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي

اجتنبوا

اجتنبوا واتقوا الله ان الله اي الملك الاعظم تواب اي مكرر للتوبة وهي الرجوع
عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التايب وان كرر الذنب فلا ييأس احد
وان كثرت ذنوبه وعظمت رحيم يزيده على ذلك بان يكرمه غاية الاكرام تنبيه
ختم سبحانه وتعالى الايتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاوليك هم
الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتدا في الاية الاولى بالنهي
في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان
الابتدا بالامر في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر وقوله
تعالى يايها الناس اي كافة المومن وغيره انا اي على ما لنا من العظمة خلقناكم اي
اوجدناكم من العدم على ما انتم عليه من المقادير من ذكر وانثى الاية مبين ومقرر
لما تقدم من ان السخرية من القبر وغيبته ان كان ذلك بسبب الدين والايمان فلا
يجوز لان الناس بعمومهم كافرهم ومومنهم يستوون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر
والافتخار ان كان بسبب الغنا فالكافر قد يكون غنيا والمومن فقيرا وبالعكس وان
كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمومن مولى وعبدا اسود وبالعكس
فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون ومتقاربون ولا يوثر شي من ذلك
مع عدم التقوى كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى اي ادم وحوا فانتم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض
لكونهم ابنا رجل واحد وامراة واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله
للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه
القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا
لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت هذه الاية ونزل في الذي لم يفسح له يايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الاية وقال قتادة لما كان
فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فاذن
فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم
وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد اغير من هذا الغراب الاسود موذنا وقال
سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف

ان يخبره به رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوه
فدعاهم وسالهم عما قالوا فافتخروا فانزل الله تعالى هذه الاية وزجرهم عن التفاخر
بالانساب والتكاثر بالاموال والاولاد بالتقرا تنبيه الحكمة فى اختيار النسب مع
ان غيره من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر الامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت
كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به عليه
والسمن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مغدور التحصيل لمن ليس
له ذلك فاختاره الله تعالى للتذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه
بطلان غيره بطريق الاولى فان قيل اذا كان ورود الاية لبيان عدم جواز الافتخار
بغير التقوى فما فايدة قوله تعالى انا خلقناكم اجيب بان فايدته ان كل شى يترجح
على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يرجح
عليه بامر قبله فالذى بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من
ذلك الشى واما الذى قبله فاما راجع الى الفاعل الذى وجد فيه او الى الفاعل الذى
اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثانى كذلك هذا عمل فلان وهذا
عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان
عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى ولما كان تفضيلهم الى
فرق لكل منها يوفيه امرا باهر اعبر فيه بنون العظمة فقال تعالى وجعلناكم اى بعظمتنا
شعوبا جمع شعب بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانسان مثل ربيعة ومضر
والاوس والخزرج وقبايل اى تحت الشعوب وذلك ان طبقات النسل التى على
العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة
وكل واحد خرقيما قبله فالقبايل تحت الشعوب والعماير تحت القبايل والبطون
تحت العماير والافخاذ تحت البطون والفصايل تحت الافخاذ والعشاير تحت الفصايل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة
والعباس عشيرة قال البغوى وليس بعد العشيرة حى يوصف انتهى وسمى الشعب
شعبا لتشعب القبايل منه واجتماعهم به كتشعب اغصان الشجرة والشعب من
الاضداد يقال شعب اى جمع ومنه تشعب الفرح وشعب اى فرق والقبايل

واحدها

واحدها قبيلة سميت بذلك لتقابلها شيئت بقبايل الراس وهى قطع متقابلة وقيل
الشعوب فى العجم والقبايل فى العرب والاسباط فى بنى اسرايل وقيل الشعب النسب
الابعد والقبيلة الاقرب والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون
العرب والعماير واحدتها عمارة بفتح العين والبطون واحدتها بطن والفصايل واحدتها
فصيلة والعشاير واحدتها عشيرة وقال ابو روق الشعوب الذين لا يعترون الى احد بل
ينتسبون الى المدايين والقرى والقبايل العرب الذين ينتسبون الى اباييهم ثم ذكر تعالى
علة الشعب بقوله تعالى لتعارفوا اى ليعرف الانسان من يقاربه فى النسب ليصل
من رحمه ما يحق له لا لتفاخروا ان اكرمكم ايها المتفاخرون عند الله اى الملك الذى
لا امر لاحد معه ولا كرم الا من اخبركم بكرمه والاكمال لاحد سواه اتقاكم اى ارفعكم منزلة
عند الله اتقاكم قال قتادة فى هذه الاية اكرم الكرم التقوى والم اللوم الفجور وقال
عليه الصلاة والسلام الحسب المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا
الغنا وكرم الاخرة التقوى وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم
الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه وهو عصا محنية الراس فلما خرج لم يجد متنا
تنزل على ايدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذى اذهب
عنكم عيبة الجاهلية يعنى كبرها وفخرها تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله
ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولى هذا واستغفر الله لى
ولكم وعن ابى هريرة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس اكرم قال
اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسال قال فاكرم الناس يوسف نبى الله
ابن نبى الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالونى
قالوا نعم قال خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا بضم الفاء على
المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم قال الرازى فى المراد بالاية وجهان
الاول ان التقوى تفيد الاكرام الثانى الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون
على خطر والاول اشهر والثانى اظهر فان قيل التقوى من الاعمال والعلم اشرف
لقوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد

اجيب بان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فلا تقوى
الا للعالم فالتقى العالم اثمر علمه والعالم الذى لا يتقى كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة
اشرف من الثمرة التى لا تثمر بل هى حطب قال الحسن البصرى انما الفقيه العامل بعلمه
اى وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ومن
قوله عز من قايل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فان قيل خطاب
الناس بقوله تعالى اكرمكم يقتضى اشتراك الكل فى الاكرام ولا كرامة لكافر فانه اضل
من الانعام اجيب بان ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا بنى
ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد فى كرامته ومن رجع عنه
ازيل عنه اكثر الكرامة ان الله اى المحيط بكل شى علما وقدرة عليم اى بالغ العلم بظواهركم
يعلم انسابكم خبير اى محيط العلم ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم
ولما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول التقوى
واصله الايمان والاتقا من الشرك قالت الاعراب اى اهل البادية من بنى اسد
وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفا امنا اى بجميع ما جيت به فامتثلنا ما امرنا
به فى هذه السورة ولنا النسب الخالص فنحن اشرف من غيرنا من اهل المدر قل يا
اشرف الخلق تكذيبا لهم مع مراعاة الادب فى عدم التصريح بالتكذيب لم تومنوا
اى لم تصدق قلوبكم لانكم لو امنتم لم تمنوا لان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال
الذى منه انه لولا منه بالهداية لم يحصل الايمان فله ولرسوله الذى كان ذلك
على يديه المن والفضل ولكن قولوا اسلمنا اى اظهرنا الانقياد فى الظاهر للاحكام
الظاهرة وامنا من ان تكون حربا للمومنين وعونا للمشركين فاخبر الله تعالى ان
حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان
لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام هى الدخول فى السلم كما
يقال اشتا اذا دخل فى الشتا واصاف اذا دخل فى الصيف واربع اذا دخل فى الربيع
فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل
لابراهيم اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب
وذلك قوله تعالى ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان اى المعرفة التامة لم تدخل

الى

12

الى هذا الوقت فى قلوبكم فلا يعد اقرار اللسان ايمانا الا بمواطاة القلب قال ابن
برجان فعموم الناس واكثر اهل الغفلة يسلمون غير مومنين وعن سعد بن ابى وقاص
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فيهم فترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو اعجبهم الى فقمت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فساررته فقلت ما لك عن فلان والله انى لاراه مومنا فقال صلى الله عليه
وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل
وغيره احب الى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه وقال الرازى المومن
والمسلم واحد عند اهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل
الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم لكن
العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا اخر غيره مثاله الحيوان فى صورة
الانسان امر لا ينفك عن الانسان فلا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون
انسانا فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود وكذلك المومن والمسلم
وسياتى زيادة على ذلك فى الذاريات ان شا الله تعالى وقال الرازى فى الاية
اشارة الى بيان حال المولفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا فيقال لهم لم يومنوا
لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل فى قلوبهم وسيدخل باطلاعهم على محاسن
الاسلام انتهى بل الايمان دخل فى قلوبهم ولكن لم يتالفوا باهل الاسلام تنبيه
التعبير بلما يفهم انهم امنوا بعد ذلك ويجوز ان يكون المراد بهذا النفى نفى التمكن
فى القلب لا نفى مطلق الدخول بدليل انما المومنون دون انما الذين امنوا وان
تطيعوا الله اى الملك الذى من خالفه لم يامن عقوبته ورسوله اى الذى طاعته من
طاعته على ما انتم عليه من الامر الظاهر فتومن قلوبكم لا يالتكم اى لا ينقصكم من
اعمالكم بل يعطيكم ما يليق به من الجزا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة قدر ثمنها
فى السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك للبخل فهو يعطى ما تتوقعون
باعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه
من الاقوال والافعال وقرا الدورى عن ابن عمرو بعد اليا التحتية همزة ساكنة
وابدلها السوسى الفا والباقون بغير همز ولا الف ولما كان الانسان مبنيا على النقص

وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى ان الله اى الذى له صفات الكمال غفور اى
ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ولغيره ان شا فلا عتاب ولا عقاب
رحيم اى يزيد على الستر عظيم الاكرام ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله تعالى انما
المومنون اى الفريقون فى الايمان الذى هو حياة القلوب قال القشيرى والقلوب
لا تحيى الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها لا تعيش الذين امنوا اى
صدقوا معترفين بالله معتقدين جميع ما له من صفات الكمال ورسوله شاهدين
برسالته وهذا الاثبات هنا يدل على ان المنفى فيما قبل الكمال المطلق والا لقال
تعالى ان الذين امنوا ثم لم يرتابوا اى يشكوا فى دينهم وايقنوا بان الايمان ايقان
تنبيه ثم للتراخى فى الفعل الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيا اخر لم يرتابوا ويحتمل
ان تكون للتراخى فى الفعل اى امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما نقل النبى صلى الله
عليه وسلم من الحشر والنشر وجاهدوا اى اوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى ان يجهد النفس
فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الايمان باموالهم وذلك هو النية وقوله تعالى
وانفسهم اعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم الاموال لقلتها عند العرب
فى سبيل الله اى طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره من ساير العبادات المحتاجة
الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا قال
القشيرى جعل الله تعالى الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكره بلفظ انما وهى
للتحقيق يقتضى الطرد والعكس فمن افرد الايمان عن اشراطه التى جعلها له فمردود
عليه قوله اوليك اى عالموا الرتبة هم الصادقون اى فى قولهم وفعلهم انهم مومنون
ولما نزل هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون
بالله انهم مومنون صادقون وعلم الله تعالى منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل اى لهولا الاعراب مجهلا لهم مبكتا اتعلمون الله اى اتخبرون
اخبارا عظيما للملك الاعظم المحيط قدرة وعلما بدينكم اى بقولكم امنا والله اى والحال
ان الملك المحيط بكل شى يعلم ما فى السموات كلها على عظمتها وكثرة ما فيها وما فى
الارض كذلك والله اى الذى له الاحاطة الكاملة بكل شى اى مما ذكر ومما لم يذكر
عليم اى لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ يمنون عليك اى يذكرون

ذكر

13

ذكر من اصطنع صنيعة واسدى اليك نعمة ان اسلموا اى من غير قتال بخلاف
غيرهم ممن اسلم بعد قتال منهم ولما كان المن هو القطع من العطا الذى لا يراد به
عليه جزا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اى فى جواب قولهم هذا لا تمنوا
على اسلامكم لو فرض انكم كنتم متدينين بدين الاسلام الذى هو انقياد الظاهر
مع اذعان الباطن اى لا تذكروا الامتنان اصلا لان الاسلام لا يطلب جزاوه
الا من الله تعالى فلا ينبغى عده صنيعة على احد فان ذلك يفسده بل الله اى الملك
الاعظم الذى له المنة على كل موجود ولا منة عليه بوجه يمن عليكم اى يذكر انه اسدى
اليكم نعمه ان اى بان هداكم للايمان اى فهو المان عليكم لا انتم عليه وعلى فان
قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان ثم انه تبين انهم لم يومنوا اجيب باوجه
احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان هداكم للايمان
ثانيها انه تعالى من عليهم بما زعموا فكانه تعالى قال انتم قلتم امنا فذلك نعمة فى
حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم فى زعمكم ولهذا قال تعالى ان كنتم
صادقين اى فى قولكم امنا فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله تعالى وهو
الذى خلق لكم قدرة الطاعة فهو الفاعل فى الحقيقة فله المنة عليكم قال القشيرى
من لاحظ شيا من احواله فان راها من نفسه كان مشركا وان راها لنفسه كان مكرا
فكيف يمن العبد بما هو مشرك او مكر والذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه
على غيره منة هذا لعمرى فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنة
تطلب النعمة اذا كانت من قبل الله تعالى ان الله اى المحيط بكل شى قدرة وعلما
يعلم غيب السموات اى غايب فيها كلها والارض كذلك ولما اريد التعميم من غير
تقييد بالخافقين اظهر ولم يضمر قوله تعالى والله اى الذى له الاحاطة بذلك وبغيره
مما لا تعلمون بصير اى عالم اتم العلم بما يعملون اى من ظاهر اسلامكم فى الماضى
والحاضر والاتى سوا كان ظاهرا ام باطنا سوا كان قد حدث فصار بحيث تعلمونه انتم
او كان مغروزا فى جبلاتكم وهو خفى عنكم وقرا ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة
نظرا لقوله تعالى يمنون وما بعده والباقون بالفوقية على الخطاب نظرا الى قوله
تعالى لا تمنوا على اسلامكم الى اخره وفى هذه الاية اشارة الى انه يبصر اعمال

جوار حكم الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شئ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله
وعصاه موضوع سورة ق مكية الا ولقد خلقنا السموات الاية
مدنية وهى خمس واربعون اية وثلثمايه وسبع وخمسون كلمة واثنا واربعمائة
واربعة وتسعون حرفا بسم الله اى الذى احاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم
والبادى الرحمن اى الذى عم خلقه برحمته حين ارسل اليهم بشرايعه صدق العباد
الرحيم اى له الذى خص باللغوز فى دار القرار اهل الرشاد واختلف فى تفسير قوله عز من
قايل ق فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من اسما القران
وقال القرطبى هو مفتاح اسمه قدير قادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة
والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا السما والسما مقببة عليه وعليه
كنفاها اويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورايه بمسيرة سنة وقيل
متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسما كهيئة القبة وعليه كنفاها قال
الرازى وهذا القول ضعيف لوجوه احدها ان اكثر القرا يقف عليها ولو كان اسم جبل
لما جاز الوقف فى الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى اقسم به ثانيها انه لو كان
كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والقالم يكتب عين جارية ويكتب اليس الله
بكاف عبده وفى جميع المصاحف تكتب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر فيه
كالامر فى ص ونون وحم وهى حروف لا كلمات فكذلك فى ق فان قيل هو منقول
من ابن عباس فقول المنقول عنه ان القاف اسم جبل واما ان المراد هاهنا ذلك
فلا انتهى وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كاين كما قالوا فى حم وفى ص صدق
الله قال الرازى وقد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران ليكون السامع
بسببها يقبل على الاستماع فلا يعونه شئ من الكلام الرايق والمعنى الفايق وذكرنا
ايضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجدنى
الجارحية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمى والسعى
وغيرهما ووجد فى القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات
الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع

كالصراط الممدود الاحد من السيف الارق من الشعرة والميزان الذى توزن به
الاعمال فكذلك ينبغى ان تكون الاذكار التى هى العبادة اللسانية فيها ما يعقل
معناه بجميع القرات الاقليل منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجى ليكون
التلفظ به لمحض الانقياد للامر لما يكون فى الكلام من طيب الحكاية والقصد
الى الغرض كما كقولك ربنا اغفرلنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا وبوجه
هذا وجه اخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما اقسم بالتين
والزيتون كان تشريفا لهما فاذا اقسم بالحروف التى هى اصل الكلام الشريف
الذى هو دليل المعرفة والة التعريف كان اولى واذا عرفت هذا فنقول القسم
من الله تعالى وقع بامر واحد كما فى قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والبحر وبحر واحد
كما فى قوله تعالى ص ونون ووقع بامرين كما فى قوله تعالى والضحى والليل وفى قوله
تعالى والسما والطارق وبحرفين كما قال فى قوله طه وطسم وحم ووقع بثلاثة
امور كما فى قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله تعالى والسماذات
البروج فالزاجرات فالتاليات وقوله تعالى والسماذات البروج واليوم الموعود
وشاهد ومشهود بثلاثة احرف كما فى قوله تعالى الم وطسم الر ووقع باربعة امور
كما فى قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات وفى قوله تعالى
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وباربعة احرف كما فى قوله
تعالى المص والمر ووقع بخمسة امور كما فى قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت
المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفى قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات
والناشرات فالفارقات فالملقيات وفى النازعات وفى الفجر وبخمسة احرف كما فى
قوله تعالى كهيعص وحمعسق ولم يقسم باكثر من خمسة اشيا الا فى سورة واحدة
وهى والشمس وضحاها ولما اقسم بالاشيا المعهودة ذكر حرف القسم وهى الواو
فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحم
وق لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده فى موضع
كونه الة القسم تسوية بين الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف فى اثنا السورة
لانه يخل بالنظم وقوله تعالى والقران اى الكتاب الجامع الفارق المجيد اى الذى

له العلو والشرف والكرم والعظمة على كل كلام قسم وفي جوابه اوجه احدها قوله تعالى
قد علمنا ما تنقص الارض منهم ثانيها ما يبدل القول لدى ثالثها ما يلفظ من قول رابعها
ان في ذلك لذكرى خامسها بل عجبوا وهو قول كوفي قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها
انه محذوف قدره الزجاج والمبرد والاخفش لتبعثن وغيرهم لقد جاكم منذر وقدره
الجلال المحلي بقوله ما امن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم تنبيه جوابات القسم
سبعة ان المشددة كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك واللام
المفتوحة كقوله تعالى فوربك لنسالنهم وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كنا
لفي ضلال مبين ولا النافية كقوله تعالى والقران المجيد بل اي ان تكذيبهم ليس
لانكار شي من مجدك ولا انكار صدقك بل لانهم عجبوا اي الكفار واضمرهم قبل الذكر
اشارة الى انه اذا ذكر شي خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والعجب تغير
النفس لامر خارج عن العادة ان جاهم منذر منهم اي رسول من انفسهم يخوفهم
بالنار بعد البعث واقتصر على الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم او من عليه باسلام او غيره ولتخويف من انكر البعث والعجب
منهم هو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس انه اذا كان النذير منهم
لم يداخلهم في انذاره شك بوجه من الوجوه وهولا خالفوا عادة الناس في
تعجبهم من كون النذير وهو احدهم خص بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية
لكونه مثلهم فلذلك انكروا رسالته وفضل كتابه بالسنتهم تفاسدا وتحاسدا
لانهم كانوا معترفين بخصايصه التي رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة
فحطهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا ان
كان الرسول بشرا واوجبوا ان يكون الاله حجرا وعجبوا ان يعادوا من تراب لم يكن
له اصل في الحياة ولذلك سبب عنه قوله تعالى فقال اي بسبب انذاره بالبعث
الكافرون وصرح به في موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم شي من امره ولكنهم
ستروا تعديا براي عقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على النذارة
لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها هذا اي
كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به هو البعث بعد

الموت

15

الموت شي عجيب اي بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا في ذلك اما من
جهة النذير فان اكثر الرسل من الطوايف الذين ارسلوا اليهم وقليل منهم من كان
غريبا ممن ارسل اليه واما من جهة البعث فان اكثر ما في الكون مثل ذلك من
اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحيا الارض بعد موتها واخراج النبات
والاشجار والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان المتعجب منه مجملا اوضحه
بقوله تعالى حكاية عنهم مبالغين في الانكار بافتتاح انكارهم باستفهام انكاري
ايذا متنا فارقت ارواحنا ابداننا وكنا ترابا لا فرق بينه وبين تراب الارض
ولما كان العامل في الظرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله تعالى حالا بالاشارة
باداة البعد الى عظيم استبعادهم ذلك اي الامر الذي في غاية البعد وهو مضمون
الخبر برجوعنا رجع اي ردا الى ما كنا عليه بعيد جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من
بقية التراب وقرا قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرا الباقون بتحقيقها
وادخل هشام بينهما الفا بخلاف عنه والباقون بغير ادخال وكسر الميم من متنا نافع
وحفص وحمزة والكساي والباقون بالضم وقوله تعالى قد علمنا اي بما كنا من العظمة
ما تنقص الارض منهم اي تاكل من اجزايهم المتحللة من ابدانهم بعد الموت وقبله رد
لاستبعادهم لان من لطف علمه حتى ما تغلغل الى ما تنقص الارض من اجزا الموتى
وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احيا كما كانوا وعنه صلى الله
عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم
من يموت منهم ومن يبقى وهذه الاية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه
لان الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزا واحد بجزا الاخر
قادر على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق
العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون ايذا ضللنا
في الارض اي انه تعالى كما يعلم اجزاهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعيدهم بما كانوا
يقولون وبما كانوا يعملون وعندنا اي على ما لنا من الغنا عن كل شي كتاب اي
جامع لكل شي حفيظ اي بالغ في الحفظ لا ينشذ عنه شي من الاشيا جل او دق وقيل
محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس ويتغير وعلى الحالين الحفيظ هو اللوح المحفوظ

قال الرازي والاول هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في القران قال تعالى
وما انت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم
عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشيا وهو مستغن عن ان يحفظ وقوله تعالى
بل كذبوا بالحق اي الامر الثابت الذي لا اثبت منه اضراب ثان قال الزمخشري
اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاوا بما هو اقطع من تعجبهم من ارسال
رسولهم من حظوظ النفوس وهو التكذيب بالحق لما اي حين جاهم اي لما ثار عندهم
من اجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس حسدا منهم من غير تامل لما
قالوه ولا تدبر ولا نظر فيه ولا تذكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على
ايجاد شي من العدم وابدايه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له فهم اي لاجل مبادرتهم
الى هذا القول السفساف في امر مريج اي مضطرب جدا مختلط من المرج الذي هو
اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعر
وتارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شي واحد والاضطراب موجب للاختلاف
وذلك ادنى دليل على ابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل
دليل على الحقية قال ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس
عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى افلم
ينظروا اي بعين البصر والبصيرة الى السما اي المحيطة بهم فوقهم فان غيرها انما
هو فوق ناس منهم لا فوق الكل كيف بنيناها اي اوجدناها على ما لنا من المجد
والعز مبنية كالخيمة الا انها من غير عمد وزيناها اي بما فيها من الكواكب الكبار
والصغار السيارة والثابتة وما اي والحال ان ما لها واكد النفي بقوله تعالى من
فروج اي فتوق وطاقات ومشقوق بل هي ملسا مثلا صفة الاجزا والارض اي
المحيطة بهم التي هم عليها مددناها اي بسطناها بما لنا من العظمة والقينا اي
بعظمتنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت كانت منبثا لثباتها وخالفت عادة المراسي
في انها من فوق والمراسي التي تعالجونها انتم من تحت وانبتنا اي بما لنا من العظمة
فيها اي الارض وعظم قدرته بالتبعيض فقال تعالى من كل زوج اي صنف
من النبات تزاوجه اشكاله بهيج اي في غاية الرونق والاعجاب فكان مع

كونه

كونه رزقا متنزها تبصرة اي جعلنا هذه الاشيا كلها لاجل ان تنظروا بابصاركم
وتتفكروا ببصايركم فتعتبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة وذكرى اي
ولتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شي من ذلك
ان صانعها لا يعجزه شي وانه محيط بجميع صفات الكمال وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
بالامالة محضة وقرا ورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح تنبيه قال الرازي
يحتمل ان يكون الامرين عايدين الى السما والارض اي خلق السما تبصرة وخلق
الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السما وزينتها غير مستجدة في كل عام فهي كالشي
المرئي على ممر الزمان واما الارض فهي كل سنة تاخذ زينتها وزخرفها فتذكر فالسما
تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد
من الامرين فالسما تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة
هو ان فيهما ايات مستمرة منصوبة في مقابلة البصاير وايات متجددة مذكورة عند
التناسي لكل عبد اي لتبصر وتذكر كل عبد بما له من النقص وبما دل عليه هذا
الصنع من الكمال انه عبد مربوب لصانعه منيب اي رجاع عما حظه اليه طبعه الى
ما يغلبه عليه عقله فيرجع من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات
ثم ذكر تعالى دليلا بقوله تعالى ونزلنا من السما اي المحل العالي الذي لا يمسك فيه الما
عن دوام التقاطر الا بقاهر ما اي شيا فشيا في اوقات وعلى سبيل التقاطر
ولولا عظمتنا التي لا تضاها لقلب بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة
واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المسرة وعادت المنفعة مضرة مباركا اي نافعا
جدا كثير البركة وفيه حياة كل شي وهو المطر فيكون الاستدلال بالسما والارض
وما بينهما وهو انزال الما من فوق واخراج النبات من تحت فانبتنا بما لنا
من القدرة الباهرة به جنات من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيره مما تجمعه
البساتين فتجن اي تستر الداخل فيها وحب الحصيد اي النجم الذي من شانه
انه يحصد كالبر والشعير ونحوهما وقوله تعالى والنخل منصوب عطفا على مفعول
انبتنا اي وانبتنا النخل وقوله تعالى باسقات اي طوالا حال مقدرة لانها
وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه

اى طال عليهم فى الفضل ومنه قول ابن نوفل ابن مغيرة ، ، ،
يا ابن الذين بمجدهم ، بسقتهم قيس فزارة ، وهو استعارة والاصل استعماله
فى بسقت النخلة تبسق بسوقا اى طالت قال الشاعر ، لنا خمر وليست خمر كرم
، ولكن من نتاج الباسقات ، كرام فى السماء ذهبن طولا ، وقات ثمارها ايدى الجناة
وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع فى ضرعها اللبا قبل النتاج وكا
وقال سعيد بن جبير باسقات مستويات وافردها بالذكر لفرط ارتفاعها
لها طلع يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير فى باسقات ويجوز
ان تكون الحال وحده لها وطلع فاعل به وقوله تعالى نضيد بمعنى منضود بعضها
فوق بعض فى اكمامها كما فى سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها
بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها اصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع
كالسنبلة الواحدة تكون على اصل واحد وقوله تعالى رزقا يجوز ان يكون حالا اى
مرزوقا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق بالمصدر
فان قيل ما الحكمة فى قوله تعالى عند ذكر خلق السما والارض تبصرة وذكرى وفى
الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفى السما والارض ايضا منفعة
غير التبصرة والتذكرة اجيب بان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما
الاعادة والثانى البقا بعد الاعادة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدايم والعقاب الدايم وانكروا ذلك فقال
اما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفنا
واما الثانى فلان البقا فى الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل
والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثانى
تذكرة بالبقا والرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى
حيث ذكر ذلك بين الايتين ثم بدا بذكر الما وانزاله وانبات النبات تنبيه
لم يقيد هنا العبيد بالانابة وقيده فى قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا
وشاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام فلم يخصص بقيد ولما كان فى ذلك

اعظم

17

اعظم مذكرا للبصرا بالبعث ويجمع صفات الكمال اتبعه ما له من التذكير بالبعث
بخصوصه فقال تعالى واحيينا اى الما بعظمتنا بلدة رسمها بالتانيث اشارة
الى انها فى غاية الضعف والحاجة الى النبات والخلو عنه وذكر ميتا للزيادة
فى تقدير تمكن الحاجة فيها او حملا على تعيين المكان فان قيل ما الفرق بين هذا
الموضع وبين قوله تعالى واية لهم الارض الميتة حيث اثبت الها هناك
اجيب بان الاصل فى الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية
ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت
اهله واقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة فاسقط التا لان معنى
الفاعلية ظاهر فتثبت فيه الها واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا تثبت فيه
الها ويحقق هذا قوله تعالى بلدة طيبة حيث اثبت الها حيث ظهر لمعنى الفاعل
ولم يثبت حين لم يظهر كذلك اى مثل الاخراج العظيم الخروج من قبورهم
على ما كانوا عليه فى الدنيا اذ لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم وتفتت
فى الارض وصار ترابا كما كان من بين اصفره وابيضه واحمره وازرقه الى غير
ذلك وبين اخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا فى الدنيا تنبيه قال ابو
حيان ذكر تعالى فى السما ثلاثة البنا والتزيين ونفى الفروج وفى الارض
ثلاثة المد والقا الرواسى والانبات فقابل المد بالبنا لان المد وضع والبنا
رفع والقا الرواسى بالتزيين بالكواكب لارتكاب كل واحد
منها على سطح ما هو فيه والانبات المترتب على الشق بانتفا الفروج فلا شق
فيها وبنه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع
كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنين فبعض
الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت وقوله تعالى كذبت
قبلهم الاية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بان حاله كحال
من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم ولما
لم يكن لهولا المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى قوم نوح الذين كان
اخر امرهم انه التقى عليهم الما اذ نزل عليهم ما السما وطلع عليهم ما الارض

فاغرقهم ورسم الفعل بالتا اشارة الى هوانهم فى جنب هذا المجد واسقط الجار
من قوله تعالى قبلهم اشارة الى ان هولا الاحزاب لقوتهم وكثرتهم كانهم اهل الارض
قد استغرقوا مكانها وزمانها ثم اتبع قوم نوح بمشابههم بقوله تعالى واصحاب
الراس اى البير كانوا رسين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل
حنظلة بن صفوان وقيل غيره فخسفت تلك البير مع ما حولها فذهبت بهم وبكل
ما لهم كما ذكرت قصتهم فى القران ثم اتبع اصحاب الراس بقوم صالح عليه السلام
فقال وثمود لان الرجفة التى اخذتهم مبدا الخسف ثم اتبع ثمود بقوم هود عليه
السلام فقال تعالى وعاد لان الريح التى اهلكتهم اثرت بها صيحة ثمود وقال تعالى
وفرعون ولم يقل قوم فرعون لانه لم يلبس فى قادة هذه الفرق كافر غيره واخوان
لوط اى اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بملوكهم على
من شاواهم بنفسه وعمه خليل الله ابراهيم عليهما السلام ومع ذلك عاملوه
بالجناية والتكذيب ولما كان تبع الحميرى واسمه سعد وكنيته ابو كرب مع كونه
من قومه ملكا قاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار فى بلادهم يتحاكمون
اليها فتاكل الظالم ختم بهم فقال تعالى وقوم تبع مع كونه ملكا وهو يدعوهم
الى الله تعالى فلا يظن ان التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا بل
هو واقع بمن شينا من قوى وضعيف لا يخرج شى عن مرادنا كل اى من هذه الفرق
كذب الرسل اى كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان
من اظهار المعجزة الدعا الى الله تعالى فحق اى فتسبب عن تكذيبهم لهم لانه
ثبت عليهم ووجب وعيد اى الذى كانوا يكذبون به عند انذارهم لهم اياه
فجعلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الازل فاهلكناهم اهلاكا عاما
كاهلاك نفس واحدة على انحا مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعنا
ما هو فى البرزخ واخرنا ما هو فى القيامة الى يوم البعث فثبت باهلاكنا لهم
على تناى ديارهم وتباعد اعصارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة
فتسل باخوانك المرسلين وتاس بهم وليحذر قومك ما حل بمن كذبهم اذا صروا
افعينا بالخلق اى احصل لنا مع ما لنا من العظمة الاعيا وهو العجز بسبب الخلق

فى

فى شى من ايجاده او اعدامه الاول اى من السموات والارض وما بينهما حين ابتدا
اختراعا من العدم ومن خلق الانسان وساير الحيوان مجردا فى كل اوان فى الاطوار
الشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد ان خلقت اصله على ذلك الوجه
مما ليس له اصل فى الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم او تدريجا كغيرهم
بل هم فى لبس اى شك شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له
معنى بل السكوت عنه اجمل من اى لاجل خلق جديد اى بالاعادة ولما ذكر الخا
اتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال تعالى ولقد اى والحال انا قد
خلقنا بما لنا من العظمة الانسان وهو اعجب خلقا واجمع من جميع ما مضى ذكره
بما فيه من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان
وغير ذلك من عجيب الشان ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته
وسكناته وجميع احواله ونعلم اى والحال انا بما لنا من الاحاطة ما توسوس اى
تكلم على وجه الخفا به الان وفيما بعد ذلك نفسه مما لم ينقدح بعد من خزاين
الغيب الى سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حتى انه هو ربما
عجز عن ضبطها فنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا على اكمل ما نريد وبصحة القران
واعجازه وصدق الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد
والنفاسة والكبر والرياسة على الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا
وتمادوا فيه حتى غطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط بهم من جميع الجوانب
ونحن اى بما لنا من العظمة اقرب اليه اى قرب علم وشهود من غير مسافة
من حبل الوريد لان ابعاضه واجزاه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله
تعالى شى والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان
من الراس الى الوتدين وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه
وهذا مثل فى فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع اى حبل العرق الوريد
او لان الحبل اعم فاضيف للبيان نحو بير ساقية او يراد حبل العاتق واضيف
الى الوريد كما لا يضاف الى العاتق لانهما فى عضو واحد وقال البغوى حبل
الوريد عرق الغرق وهو عرق بين الحلقوم والعلياوين يتفرق فى البدن

والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيري وفي هذه
الاية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس وسكون قلب لقوم وقوله تعالى
اذ يتلقى ظرف لاقرب ويجوز ان يكون منصوبا باذكر اى واذكر اذ يتلقى اى
بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كل انسان خلقناه وابرزناه الى هذا
الوجود المتلقيان اى الملكان الموكلان بعمل الانسان ومنطقه يحفظانه
ويكتبانه حال كونهما عن اليمين لكل انسان وعن الشمال اى احدهما عن يمينه
والاخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب
السيات وقوله تعالى قعيد اى قاعدان مبتدا وخبره ما قبله لان فعيل يطلق
على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود ان يدعى
حذف اما من الاول اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثانى فيكون
قعيد الملفوظ به للاول ومثله قوله ، رماني بامر كنت منه ووالدى ،
، بريا ومن اجل الطوى رماني ، وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن اعلم منهما
واقرب وانما استحفظهما لاقامة الحجة بهما على مجاري عاداتكم وغير ذلك
من الحكم ما يلفظ اى يرمى ويخرج المتكلف من فيه وعمم في النفي بقوله تعالى من
قول جل او قل الا لديه اى الانسان او القول على هيئته من القدرة والعظمة من
القرب المستغرب رقيب من حفظتنا شديد المراعاة في كل من احواله عتيد اى
حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلي وكل منهما بمعنى المثنى اى رقيبان
عتيدان روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب
السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر تنبيه اختلف فيما
يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان
الا ما يوجر عليه او يوزر فيه فائدتان احدهما قال الحسن ان الملائكة يجتنبون
عند حالتين عند غائطه وعند جماعه والثانية قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر
على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه ان ينطق عتيقته وجاءت اى

اتت وحضرت سكرة الموت اى حالته عند النزع وشدته وغمرته يصير المرء بها
كالسكران لا يعي ويخرج بها اقواله وافعاله عن كونها على الاعتدال بحيث يلتبسا ١٣
بالحق اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحد الا الموتة وقيل
للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ذلك اى هذا الامر العظيم العالى
الرتبة الذى يحق لكل احد الاعتداد له بغاية الجد ما الامر الذى كنت اى جبلة
وطبعا منه تحيد اى تميل وتنفر وتزوغ وتذهب تنبيه قيل الخطاب مع
النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازى وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل
والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا اولى وقوله تعالى ونفخ في
الصور معطوف على قوله تعالى وجاءت سكرة الموت وهو النفخ الذى ينفخ فيه
اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع اوان
التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه وانتشاره الا الله تعالى وهو عليه السلام
قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته واصغى سمعه
ينتظر متى يومر فيها من عظمة ما افعلنا عنهما وانسانا لها والمراد بهذه النفخة
البعث وقوله تعالى ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل
على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الاهوال والاجا ل
يوم الوعيد اى للكفار بالعذاب وجاءت اى فيه كل نفس اى مكلفة معها سايق
اى ملك يسوقها اليه وشهيد يشهد عليها بعملها قال الضحاك السايق من الملائكة
والشاهد من انفسهم وهو الايدى والارجل وغيرها وهي رواية العوفي عن ابن
عباس وقيل هما جميعا من الملائكة فالسايق كما قيل لا تعلق له بالشهادة لبلا تقول
تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السايق هو الذى يسوقها الى الموقف
ومنه الى عقده والشهيد هو الكاتب والسايق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق
الى الجنة واما الفاجر فالى النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى
وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت تنبيه يجوز في جملة معها
سايق وشهيد ان تكون في موضع جر صفة لنفس وان تكون في موضع رفع صفة
لكل وان تكون في موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر لقد كنت اى

كونا كانه جبلة لك فى غفلة اى عظيمة محيطة بك ناسية لك من هذا اى من تصور
هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب والجزا بالثواب او العقاب لانه
على شدة جلايه خفى على من اتبع الشهوات فكشفنا بعظمتنا بالموت ثم البعث عنك
غطاك الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالامال فى
الحال والمال وساير الحظوظ والشهوات فبصرك اليوم اى بعد البعث حديد
اى فى غاية الحدة والنفوذ فلذا تقر بما كنت تنكر فى الدنيا وقال مجاهد يعنى
نظرك على لسان ميزانك حتى توزن حسناتك وسياتك والمعنى ازلنا غفلتك
فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا واختلف فى القرين فى قوله تعالى وقال
قرينه فاكثر المفسرين على انه الملك الموكل به فيقول هذا ما اى الذى لدى عتيد
اى حاضر ونقل الكرمانى عن ابن عباس انه الشيطان الذى سلط على اغوايه
واستدراجه الى ما يريد قرين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقيضنا
لهم قرنا وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبيس القرين
فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد
للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصى هو شى عندى معتد لجهنم اعددته
لها بالاغوا والاضلال وقوله تعالى القيا فى جهنم اى النار التى يلقى الملقى فيها
بما كان يعامل به عباد الله من الكبر والعبوسة كل كفار خطاب من الله تعالى
للسايق والشهيد او للملكين خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة
تثنية الفعل وتكريره كانه قيل الق الق وقيل اراد القين بالنون الخفيفة
فابدلها الفا اجرا للوصل مجرى الوقف وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين
تاكيدا كقوله فان تزجرانى يا ابن عفان ازدجر وان تدعانى احم عرضا ممتعا
قال ابن عادل وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق لان المراد ملكان يفعلان
ذلك انتهى وهو القول المتقدم عنيد وهو المبالغ فى ستر الحق والمعاداة لاهله
بغير حجة حمية وانفة نظرا الى استحسان ما عنده والثبات عليه تجبرا وتكبرا
على ما عند غيره ازدرا له كاينا من كان مناع اى كثير المنع للخير من الما وغيره من
كل معروف يعلق بالمال والقال والفعال وقيل المراد الاسلام فان الاية نزلت

فى

فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عنه معتد اى مجاوز للحدود مريب اى
داخل فى الريب وهو الشك والتهمة فى اهل الدين وقوله تعالى الذى جعل مع
الله اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال الها اخر يجوز ان يكون منصوبا
على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا بالابتدا والخبر
فالقياه فى العذاب اى الذى يزيل كل عذوبة الشديد ودخلت الفا فى الخبر
لتضمن الابتدا معنى الشرط ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اى هو الذى جعل
ويكون فالقياه تاكيد قال قرينه مناديا باسقاط الاداة كداب اهل القرب
اتهاما انه منهم ربنا اى ايها المحسن الينا ايتها الخلايق كلهم ما اطغيته
اى ما اوقعته فيما كان فيه من الطغيان فانى لا سلطان لى عليه وانت اعلم
بذلك ولكن كان اى بجبلته وطبعه فى ضلال بعيد اى محيط به من جميع جوانبه
لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى تنبيه
هذا جواب لكلام مقدر فان الكافر حين ما يلقى فى النار يقول ربنا اطغانى
شيطانى فيقول ربنا ما اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدى لان
المخاصمة تستدعى كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى فى سورة ص قالوا بل
انتم لا مرحبا بكم الى قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشرى
وهذا يدل على ان المراد بالقرين فى الاية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذى
هو شهيد وقعيد قال الرازى وجات هذه الاية بلا واو وفى الاول بواو
عاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس فى ذلك
الوقت تجى ومعها سايق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفى الثانية
لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى تذكر الواو فان الفا فى قوله تعالى فالقياه
فى العذاب لا يناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك مناسبة
مقتضية للعطف فان قيل كيف قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين
اجيب بان المراد من قوله لاغوينهم اى لادمنهم على الغواية كما ان الضال
اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا هناك فقوله
ما اطغيته اى ما كان ابتدا الغى منى وقوله تعالى قال اى الله تعالى للمحيط علما

وقدرة الذى حكم عليهم بذلك فى الازل لا تختصموا اى توقعوا الخصومة بهذا الحكم
والاجتهاد واستيناف كان قايلا قال فاذا قال الله تعالى له فاجيب بقال
لا تختصموا وقوله تعالى لدى اى فى دار الجزاء بهذه الحضرة التى هى فوق ما كنتم تدركونه
من الاخبار عنها بكثير بعيد ومفهومه ان الاختصام كان ينبغى ان يكون قبل
الحضور والوقوف بين يديه وقوله تعالى وقد قدمت اليكم بالوعيد اى التهديد
وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفر والعدوان جملة حالية
ولا بد من تاويل وذلك ان النهى فى الاخرة وتقدمه الوعيد فى الدنيا فاختلف
الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتاويلها هو ان المعنى وقد صح ان قدمت
وزمان الصحة وزمان النهى واحد وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدم فتكون
البا للحال ولا بد من حذف مضاف اى وقد تقدم قولى لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز
ان يكون قدمت على حاله متعديا والبا مزيدة فى المفعول اى قدمت اليكم الوعيد
كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل الباء هنا
للمصاحبة كقوله اشتريت الفرس بلجامه اى معه فكانه قال تعالى قدمت اليكم
ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار ما يبدل اى بغير وجه من الوجوه العقول
لدى اى الواصل اليكم من حضرتى التى لا يحيط بها احد من خلقى وعبر بمن التى هى
للحاضر دون لا التى للمستقبل لان الاوقات كلها عنده حاضرة وما انا واكد النفى
بقوله تعالى بظلام للعبيد فاعذبهم بغير ظلم فان قيل الظلام مبالغة فى الظلم
ويلزم من انتفائه اثبات اصل الظلم فاذا قال القايل هو كذاب يلزم ان يكون
كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله تعالى ما انا بظلام لا يفهم منه نفى اصل
الظلم وان الله ليس بظالم اجيب باربعة اوجه احدها ان الظلام بمعنى
الظالم كالتمار بمعنى التامر فيكون اللام فى قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة
لان الفعال حينئذ بمعنى ذى ظلم لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانيها قال الزمخشرى
ان ذلك امر تقديرى كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدى الضعيف الذى هو محل
الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفى كونه ظلاما نفى كونه
ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار العبيد حيث قال الله تعالى وما انا بظلام

للعبيد

للعبيد اى فى ذلك اليوم الذى املا فيه جهنم مع سعتها حتى تضيق وتقول لم يبق فى
طاقة بهم وثم فى موضع لهم فهل من مزيد استفهام انكارى قالوا انه لمقابلة الجمع بالجمع
والمعنى ان ذلك اليوم مع انى املى فى جهنم عددا لا حصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب
كثير الظلم لانه تعالى قال وما انا بظلام للعبيد يوم تقول اى على ما لنا من العظمة
لجهنم ولم يقل ما انا بظلام فى جميع الازمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فلذلك
خصص النفى بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه ان يكون ظالما فى غير
ذلك الوقت لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفى ما عداه لانه نفى كونه ظلاما ولم يلزم
منه كونه ظلاما لغيرهم تنبيه يحتمل ان يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى
يا حسرة على العباد ما يا تيهم من رسول الاية والمعنى اعذبهم وما انا بظلام لهم
ويحتمل ان يكون المراد منه المومنين والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولى
ورحمت الكافر كنت فى تكليف العباد ظالما لعبادى المومنين لانى مشقتهم من
الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يات بما اتى به المومن ما يناله المومن
لكان اتيان المومن بما اتى به من العبادة والايمان غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى
لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة ويحتمل ان يكون المراد التعميم وهذا اظهر
وقوله تعالى لجهنم هل التى هى دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم هل امتلات
استفهام تحقيق لوعده عليها وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وتقول بصورة المستفهم كالسوال هل من مزيد اى فلا امتلات ولم
يبق فى موضع لم يمتل فهو استفهام انكار وقيل بمعنى الاستزادة رواه ابو صالح
عن ابن عباس وعلى هذا يكون السوال وهو قوله تعالى هل امتلات قبل دخول
جميع اهلها فيها وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين فلما سبق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب
فيها ولا يملؤها فتقول الست قد اقسمت لتمتلان فيضع قدمه فيها فيقول هل امتلات
فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلات وليس فى مزيد وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى
يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض

ت

وتقول قط قط بعد ذلك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا
فيسكنهم فضول الجنة ولابي هريرة نحوه ولا يظلم الله تعالى من خلقه احدا
تنبيه هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله
مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطايفة من المتكلمين انه لا يتكلم في
تاويلها بل نفوض بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها اولها
معنى يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها
تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل الحديث فقيل المراد بالقدم
التقدم وهو شايع في اللغة والمعنى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب
وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم
وقيل يحتمل ان في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض
اظهر التاويلات انهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه
عن ظاهره لقيام الدليل العقلي القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى
وقولها قط قط حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطا وكسرها
منونة وغير منونة ولما ذكر النار التي هي دار الفجار وقدمها لان للمقام للانذار
اتبعها دار الابرار فقال تعالى سارا لهم باسقاط المسير وطي مشقة البعد وازلفت
الجنة اي قربت بايسر امر مع الدرجات والحياض الممتلية للمتقين اي الفريقين
في هذا الوصف فاذا راوها تسابقوا لها وتركوا ما كانوا فيه في الموقف من منابر
النور وكثبان المسك ونحو هذا واما غيرهم من اهل الايمان فقد يكون لهم غير
هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر وقوله تعالى غير بعيد يجوز
ان يكون حالا من الجنة ولم يونث لانها بمعنى البستان او لان فعيلا لا يونث
لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري ومنعه ابو حيان وتقدم الكلام على ذلك في
قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف
المكاني اي مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي ازلا غير بعيد
وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال او شيا غير بعيد فان قيل ما وجه
التعذيب والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب اجيب من اوجه

اولها

اولها ان الجنة لا تزال ولا يومر المومن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها
لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المومن والجنة فهو التقريب فان قيل
فعلى هذا ليس ازدلاف الجنة من المومن باولى من ازدلاف المومن من الجنة فما فايدة
قوله تعالى ازلفت الجنة اجيب بان ذلك اكرام للمومن وبيان لشرفه وانه
ممن يمشي اليه ثانيها قريب من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني ثالثها ان
الله تعالى قادر على نقل الجنة من السما الى الارض فيقربها للمومن ويحتمل انها ازلفت
بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لها لانها تنال بكلمة
طيبة وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم احق بها وقوله تعالى هذا اي الازدلاف
والذي ترونه من كل ما يسركم ما اي الامر الذي توعدون اي وقع الوعد لكم به في
الدنيا يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون معترضا بين البدل والمبدل منه وذلك
ان لكل اواب اي رجاع الى طاعة الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانيهما
ان يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال اي مقولا لهم وقرا ابن كثير
بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب ونسب ابو حيان قراة اليا لابن كثير
ولابي عمرو وانما هي لابن كثير فقط وقال سعيد بن المسيب الاواب هو الذي يذنب
ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقال ابن
عباس وعطا هو المسبح من قوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال قتادة هو المصلي
وقوله تعالى حفيظ اختلف فيه فقال ابن عباس هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع
عنها ويستغفر منها وعن ابن عباس ايضا الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما
استودعه الله تعالى من حقه والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة اي يكون
كثير الاوب شديد الحفظ ثم ابدل من كل تتميما لبيان المتقين قوله تعالى من خشي
اي خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى الرحمن لانه اذا خاف مع استحضار
الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفه مع استحضار غيرها اولى وقال
القشيري التعبير بذلك للاشارة الى انها خشية تكون مقرونة بالانس يعني
الرجا كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار او القهار ويقال الخشية الطف من
الخوف فكانها قريبة من الهيبة وقوله تعالى بالغيب حال اي غايبا عنه فيحتمل ان

يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما وقيل الباء للمصاحبة اى مصاحب له من
غير ان يطلب اية او امرا يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى بالبراهين
القطعية التى منها انه مربوب وهو ايضا بيان لبليغ خشيته ويجوز ان يكون
صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ومعنى الاية من خاف الرحمن فاطاعه
بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدى يعنى فى الخلوة حيث لا يراه احد
وقال الحسن اذا ارخى الستور واغلق الباب وقوله تعالى وجا اى بعد الموت
بقلب منيب اى راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شان الخايف اى يهرب
فاما المتقى فجار به لعلمه انه لا ينجى الفرار والباء فى بقلب اما للتعدية واما
للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب السليم والضمير فى قوله تعالى
ادخلوها عايد الى الجنة وقوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها اى سالمين
من العذاب والهموم فهى حال مقارنة او بسلام من الله تعالى وملايكته عليهم فهى
حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين كذا قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع
من مقارنة تسليم الملايكة عليهم حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فانه
لا يعقل الخلود الا بعد الدخول ذلك اى اليوم الذى جعل فيه الدخول يوم الخلود
اى الدوام فى الجنة الذى لا اخر له ولا نفاذ لشى من لذاته اصلا ولذلك وصل به
قوله تعالى جوابا لمن نظم قال على اى وجه خلودهم لهم بظواهرهم وبواطنهم
ما يشاون اى تتجدد مشيئتهم او يمكن مشيئتهم له فيها اى الجنة ولدينا اى
عندنا من الامور التى هى فى غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغربا مزيد
اى مما لا يدخل تحت اوهامهم ليشاون فان سياق الامتنان يدل على ان تنوينه
للتعظيم والتعبير بلدى يوكد ذلك فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى قال ادخلوها
بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم اجيب من وجوه اولها ان قوله
تعالى ادخلوها فيه مقدر اى فيقال لهم ادخلوها فلا يكون التفاتا ثانيها
انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول غير مخل بهم فى غيبتهم
وحضورهم ففى حضورهم الجور وفى غيبتهم الجور والقصور ثالثها انه يجوز
ان يكون قوله تعالى لهم كلاما مع الملايكة يقول للملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا

انها

ان لهم ما يشاوون فيها فاحضروا بين ايديهم ما يشاوون واما انا فعندى ما لا يخطر
ببالهم ولا تقدرون انتم عليه والمزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اى عندنا ما نزيده
على ما يرجون ويأملون قال انس وجابر وهو النظر الى وجه الله الكريم قيل
يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد ولما
ذكر تعالى اول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية
بقوله تعالى وكم اهلكنا اى بما لنا من العظمة قبلهم من قرن اى جيل هم فى غاية
القوة وزاد فى بيان القوة قوله تعالى هم اشد منهم اى من قريش بطشا اى قوة
واخذا لما يريدون بالعنف والسطوة والشدة تنبيه كم منصوب بما بعده
وقدم اما لانه استفهام واما لان كم الخبرية تجرى مجرى كم الاستفهامية فى
التصدير ومن قرن تمييز وهم اشد صفة اما لكم واما لقرن والفا فى قوله تعالى
فنقبوا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا فى البلاد والضمير فى
نقبوا اما للقرن المتقدم وهو الظاهر واما لقريش والتنقيب التنقير والتفتيش
ومعناه التطوف فى البلاد قال الحارث بن حلزة
نقبوا فى البلاد من حذر الموت ، وجالوا فى الارض كل مجال ، وقال امرؤ القيس ،
، وقد نقبت فى الافاق حتى ، رضيت من القيامة بالايات ، ولما كان التقدير
ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم توجه سوال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت
للمعاند الجاهل بقوله تعالى هل من محيص اى معدل ومحيد ومهرب وان رق من
قضايانا ليكون لهولا وجه ما فى رد امرنا ان فى ذلك اى فيما ذكر فى هذه السورة
من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة لذكرى اى تذكيرا عظيما جدا لمن كان
اى كونا عظيما له قلب اى عقل فى غاية العظمة فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر
به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له سليم بل له قلب لاه او القى السمع اى استمع
الوعظ بغاية اصغايه حتى كانه يرمى بشى ثقيل من علو الى سفل وهو اى والحال
انه فى حال القايه شهيد اى حاضر بكليته فهو فى غاية ما يكون من تصويب
الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شى مما تلى عليه والقى اليه فيتذكر وعطف

على قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قوله تعالى ولقد خلقنا اى بما لنا من العظمة التى
لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها السموات والارض على ما هما عليه من الكبر وكثرة
المنافع وما بينهما من الامور التى لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب والمسببات
بدونها فى ستة ايام الارض فى يومين ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين
ولو شاء لكان ذلك فى اقل من لمح البصر ولكنه تعالى سن لنا التانى بذلك وما مسنا
لاجل ما لنا من العظمة ادنى مس وهم فى النفى فقال تعالى من لغوب اى اعياء فانه
لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك شى على ما اردناه فكان
تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى وانتم تشاهدون الامر فى الكل على حد سواء من
نفوذ الامر وتمام التصرف فاصبر يا اشرف الخلق على ما يقولون اى اليهود وغيرهم
من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر
على البعث وغيره وسبح اى اوقع التنزيه على كل شايبة نقص ملتبسا بحمد
ربك اى باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع
هذه البراهين التى خصك بها تفضلا لك على جميع الخلق وقوله تعالى قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب اى اشارة الى زلفى من الليل وتقريره انه صلى الله
عليه وسلم كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله تعالى والثانى هداية الخلق
فاذا لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الاخر وهو العبادة قيل الطلوع وقيل
الغروب لانهما وقت اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل اوله لانه
ايضا وقت اجتماعهم وقال اكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقيل
الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد ومن الليل فسبحه وادبار
السجود استقل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشا وقال مجاهد ومن الليل يعنى
صلاة الليل اى وقت صلى وقرا نافع وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة على انه مصدر
قام مقام ظرف الزمان كقولهم اتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت
ادبار الصلاة اى انقضايها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو اخر الشى
وعقبها ومنه قولهم اسرع على دبر الشهر الحرام فارضنا وما حولها جدب سنون تلمع
ولم يختلفوا فى وادبار النجوم وقوله تعالى وادبار معطوف ايضا على قبل الغروب

واما

واما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب ادبار السجود
الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى
رواية العوفى عن ابن عباس وروى عنه مرفوعا قال البغوى هذا قول اكثر
المفسرين عن عايشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شى من
النوافل اشد معاهدة منه على الركعتين امام الصبح وعن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعنى بذلك
سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود ما احصى ما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر بقل يايها الكافرون
وقل هو الله احد وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان فى ادبار
الصلوات المكتوبات وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سبح فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا
وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المايتة لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شى قدير غفرت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وعنه ايضا ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما ذاك فقالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول
اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامور تدركون من قبلكم وتستبقون
من جا بعدكم ولا ياتى احد مثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون فى دبر كل
صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وقوله تعالى يوم ظرف لاستمع اى استمع
ذلك فى يوم ينادى المنادى اى اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس واستمع
اى لما اخبرك به من احوال القيامة فيه تهويل وتفظيع للمخبر به والمحدث عنه
كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا
معاذ اسمع ما اقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى يوم ظرف لاستمع اى استمع
ذلك فى يوم ينادى المنادى اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى
بالحشر فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا وقيل المنادى جبريل من مكان

قريب بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في السماع سواء لاتفاوت
بينهم اصلا واختلف في ذلك المكان القريب فاكثر المفسرين انه صخرة بيت المقدس
فانها اقرب الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت
اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة اينما الصفام البالية وقوله
تعالى يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله
تعالى بالحق حال من الصيحة ملتبسة بالحق ومن الفاعل اى يسمعون بسماع حق
متلبسين ذلك اى اليوم العظيم الذي يظهر به المجد ويعلو به ضعفا الموتى
المجد يوم الخروج اى الذي لاخروج اعظم منه وهو خروجهم من قبورهم من الارض
التي خلقوا منها الى المحشر وهو من اسماء يوم القيامة انا اى بما لنا من العظمة نحن
اى خاصة نحيي ونميت اى نجدد ذلك شيئا بعد شيء سنة مستقرة وعادة
مستمرة كما تشاهدونه فقد كان مثال الاحياء الاول المبدأ واليينا اى خاصة بالامانة
ثم الاحياء المصير اى في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي في الاخرة للبعث
واليينا المصير بعد البعث وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض
وقرأ تشقق الارض نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون
بالتخفيف عنهم اى مجاوزة لهم بعدات كانوا في بطنها فيخرجون منها احياء كما كانوا
على ظهرها احياء حال كونهم سراعا اى اجابة مناديا وهو جمع سريع واشار
الى عظمة الامر بقوله تعالى ذلك اى الاخراج العظيم جدا حشر اى جمع بكره ء
وزاد في بيان عظمة هذا الامر بدلالة على اختصاصه بتقدم الجار فقال تعالى
علينا اى خاصة يسير فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن ان ينكره واما غيرنا
فلا يمكنه ذلك بوجه تنبيه علينا متعلق بيسير فصل معمول الصفة بينهما وبين
موصوفها ولا يعترض ذلك وقال الزمخشري التقديم للاختصاص وهو ما اشرت اليه
اى لا يتيسر ذلك الا علينا وحدنا وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد
وقوله تعالى نحن اعلم اى عالمون بما يقولون اى في الحال والاستقبال من
التكذيب بالبعث وغيره تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما
انت عليهم بجبار اى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما انت منذر وقد فعلت

ما امرت

ما امرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر بالقتال
فذكر اى بطريق البشارة والنذارة بالقرآن اى الجامع بمجده لكل خير المحيط بكل صلاح
من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره وهم الموتى وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال
وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هون الله عليه نارات الموت
وسكراته حديث موضوع ونارات الموت بمثلثة وهمزة مفتوحة اهواله ،

سورة والذاريات مكية

، وهي ستون اية وثلثمائة وستون
كلمة والف وماءتان وتسعة وثمانون حرفا بسم الله اى المحيط بصفات الكمال
فهو لا يخلف الميعاد الرحمن الذي عم الخلايق بنعمة الايجاد الرحيم الذي خص من
اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه وتعالى بالتذكير بالوعيد
افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قايل مناسبا بين القسم والمقسم
عليه والذاريات اى الرياح تذرو التراب وغيره وقيل النساء الوالدات فانهن
يذرين الاولاد وقوله تعالى ذروا منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه
وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتضابا يقال ذرت الريح التراب واذرته
فالحاملات اى السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة للسحاب وقيل النساء الحوامل
وقوله تعالى وقرا اى ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال
الرازي ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربه سوطا فالجاريات
اى السفن وقيل الرياح في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى
يسرا اى بسهولة مصدر في موضع الحال اى ميسرة فالمقسمات اى الملايكة التي
تقسم امر الرزق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد وقوله تعالى امرا يجوز ان يكون
مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق او المال وان يكون حالا اى مامورة وهل هذه
اشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من عطف المتغايرات والفاء في الترتيب في القسم
لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز ان يراد الريح وحدها لانها تنشئ السحاب
وتقلبه وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات
والمراد واحد فتكون الفاء على هذا لترتيب الامور في الوجود وعن علي بن ابي طالب انه

قال وهو على المنبر سلونى قبل ان لا تسالونى ولن تسالوا بعدى مثلى فقام ابن الكوا
فقال ما الذاريات قال الرياح قال فما الحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات
يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملايكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن
المقسمات الحساب يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة
ويجوز ان يراد الرياح لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه ويجرى فى الجو
جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قيل ان كان وقرا مفعول فلم
لم يجمع وما قيل او فقار اجيب بان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا
القول فى المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لان جماعة من الملايكة قد تجتمع على
امر واحد فايدة اقسم الله بجمع السلامة المونث فى خمس سور ولم يقسم بجمع السلامة
المذكر فى سورة صلا فلم يقل والصالحين من عبادى ولا المخربين الى غير ذلك مع
ان المذكر اشرف لان جموع السلامة بالواو والنون فى الغالب لمن يعقل ولما كانوا
يكذبون بالوعيد اكد الجواب بعد الثانى بنفس المقسم فقال تعالى انما توعدون
لصادق اى مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقته له تنبيه ما يجوز
ان تكون اسمية وعايدها محذوف اى توعدونه وان تكون مصدرية فلا عايد
على المشهور وحينئذ يحتمل ان يكون توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا
من الوعيد لانه يصلح ان يقال اوعدته فهو موعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم
او وعيدكم وان الدين اى المجازاة لكل احد بما كسب يوم البعث لواقع لا بد منه
وان انكرتم والسماء ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق
الحسن المستوى يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه وقال سعيد
ابن جبير ذات الزينة اى المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكت بالنجوم وقال
مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطريق لحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل
والشعر الجعد وهو اثار تشنيه وتكسره قال زهير
مكلل باصول النجم تنسجه
ريح خريق لضاحى ماله حبك
والحبك يحتمل ان يكون مفرده حبيك كطريقة
وطرق او حباك نحو حمار وحمر قال
كانما حلها الحواك ظهنته فى وشيها حباك
واصل الحبك احكام الشى واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب القسم انكم

يا

يا معشر قريش لفى قول محيط يكم فى امر القران والاتى به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون
به ابطال الدين الحق مختلف فتقولون فى القران سحر وكهانة واساطير الاولين وفى
محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ومجنون وكاهن وكاذب يوفك اى يصرف
عنه اى عن النبى والقران اى عن الايمان به ذلك من افك اى صرف عن الهداية
فى علم الله تعالى ومعناه حينئذ الذم وقيل انه مدح للمومنين ومعناه يصرف
عن القول المختلف من يصرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوى قتل اى
لعن الخراصون اى الكذابون وهم الذين لا يخرصون بامر بل هم شاكون متحيرون
وهم اصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى الذين هم اى خاصة
فى غمرة اى جهل يغمرهم ساهون اى غريقون فى السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة
وذهاب القلب الى غير ما يهمه فعاقل ذلك ذو الوان مختلفة من هول ما هو فيه
وشدة كربه يسالون النبى استهزا ايان اى متى واى حين يوم الدين اى وقوع
الجزا الذى تخبرنا به ولولا انهم بهذه الحالة لتذكروا من انفسهم انه ليس احد منهم
يترك عبيده ولجراه فى عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينتظر قطعا فى احوالهم
ويحكم بينهم فى اقوالهم وافعالهم تكيف الظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين
خلقهم على عهد النظام المحكم وابدع لهم هذين الخافقين وهيا لاجلهم فيهما كل ما
يحتاجون اليه فيتركهم سدا وبوجدهم عبثا وقوله تعالى يوم هم منصوب بمضمر اى
الجزاكين يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون فيها جواب لسوالهم ايان يوم
الدين وقال الرازى يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن قولهم ايان
يقع فكانهم لما سالوا سوال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم
مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون فجعلهم بالثانى اقوى من جهلهم بالاول
ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال قايل من يقدم زيد فلو اجيب بقوله
يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانيهما ان يكون
ذلك ابتدا كلام تمامه فى قوله تعالى ذوقوا فتنتكم اى تعذيبكم فان قيل هذا
يفضى الى الاضمار اجيب بان الاضمار لا يذمه لان قوله تعالى ذوقوا فتنتكم
متصل بما قبله الا باضمار يقال هذا اى هذا العذاب الملون الذى كنتم به

تستعجلون في الدنيا استهزاء ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده حال المتقين
فقال تعالى ان المتقين اى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا في جنات اى
بساتين عظيمة تجن داخلها اى تستره من كثرة ظلالها لكثرة اشجارها وعظمها
وعيون جارية في خلال الجنان تنبيه المتقى له مقامات ادناها ان يتقى
الشرك واعلاها ان يتقى الجنة الدنيا والاخرة وادنى درجات المتقى الجنة فما من
مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة
والكسائى بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى اخذين حال من الضمير في خبر ان
وقوله تعالى ما اتاهم ربهم اى المحسن اليهم المعبر لهم بتمام علمه وشامل قدرته
ان كان مما في الجنة فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين تنبيه اعلم ان
الله تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله تعالى هنا ان
المتقين في جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة
فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة واما
جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لا يحصرها عدد واما
تثنيتها فسياتى الكلام ان شا الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقيل جنة
لخايف الانس وجنة لخايف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازى غير انا
نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحدها اى الجنة وكذلك عند الشرا فقال
تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطاء
جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف ما لو وعد بجنات ثم يقول
انه في جنة لانه دون الموعود ومعنى اخذين قابضين ما اتاهم شيا فشيا ولا
يستوفونه بكماله لامتناع استيفا ما لا نهاية له وقيل قابلين قبول راض كقوله تعالى
ويا خذ الصدقات يقبلها قال الزمخشرى وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك
محسنين اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان والاشارة بذلك
اما لدخول الجنة واما لاتيا الله تعالى واما ليوم الدين والاحسان يكون في
معاملة الخالق والخلايق وقيل هو قول لا اله الا الله ولهذا قيل في معنى كلمة

التقوى

التقوى انها لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله
وقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله
ثم فسر احسانهم معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى كانوا اى لما عندهم
من الاجلال له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون فيه قليلا من الليل الذى
هو وقت الراحات وقضا الشهوات ما يهجعون اى يفعلون الهجوع وهو
النوم الخفيف القليل بالليل فما ظنك بما فوقه فما هديدة ويهجعون خبر
كان وقليلا ظرف اى ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون اكثره وقال ابن
عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها او من وسطها
وعن انس بن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشا وقال محمد بن على
كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة اتت
عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل ليلة ووقف بعضهم على
قليل ليواخى بها قوله تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور ويبتدى
من الليل ما يهجعون اى ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا
ثم ابتدا فقال ما يهجعون وجعله جحدا اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون
للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذى وعايدها
محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذى يهجعونه وهذا فيه تكلف
ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال تعالى دالا على ذلك وعلى ان تهجدهم
متصل باخر الليل وبالاسحار قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل
هم اى دايما بظواهرهم وبواطنهم يستغفرون اى يعدون مع هذا الاجتهاد
انفسهم مذنبين ويسيلون غفران ذنوبهم لوفود علمهم بالله تعالى وانهم لا
يقدرون على ان يقدروه حق قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد صلى
عليه وسلم لا احصى ثنا عليك وابراز الضمير دل على ان غيرهم لو فعل هذا ليلة
لاعجب بنفسه وراى انه لا احد افضل منه وعلى ان استغفارهم في الكثرة
يقتضى انهم يكونون بحيث يظن انهم احق بالتذلل من المصرين على المعاصى
فان استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ما له سبحانه في الافاق وفي انفسهم

من الايات والحكم البالغة فاقبلوا على الاستغفار طالبين باته تعالى لايقدر حق
قدره نتنبيه بالاسحار متعلق بيستغفرون والباء بمعنى فى وقدم متعلق
الخبر على المبتدا لجواز تقديم العامل وقال الكلبى ومجاهد وبالاسحار صلوتى
وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة روى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل فيقول
انا الملك انا الملك من الذى يدعونى فاستجيب له من الذى يسالنى فاعطيه
من الذى يستغفرنى فاغفر له وهذا الحديث من احاديث الصفات وفيه
مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جا من غير
تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفى امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب سبحانه
عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان
الصعود والنزول من صفات الاجسام فالله تعالى منزه عن ذلك فعلى هذا
يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال على الداعين بالاجابة
واللطف وتخصيصه بالثلث الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعا
وغفلة اكثر الناس وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من
الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك
الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن
فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق
والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك
امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وزاد فى رواية وما اعلم به منى
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك زاد النسائى ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق اتبعه المعاملة
للخلايق تكميلا لحقيقة الاحسان فقال تعالى وفى اموالهم اى كل اصنافها
حق اى نصيب ثابت للسايل اى الذى يتبه على حاجته بسوال الناس
وهو المتكفف والمحروم وهو المتعفف الذى لا يجد ما يقيمه ولا يسال الناس

ولا يفطن

ولا يفطن له ليتصدق عليه وهذه صفة اهل الصفة رضى الله تعالى عنهم فالمحسنون
يوقفون صاحب الوصف لما لهم من ثاقد البصيرة ولله تعالى بهم العناية وقدم السا
لانه يعرف بسواله او يكون اشارة الى كثرة العطا فيعطى السوال فاذا لم يجدهم
يسال عن المحتاجين فيكون سايلا ومسئولا وقيل قدم السايل لتجانس رؤس
الاى وقيل السايل هو الادمى والمحروم كل ذى روح غيره من الحيوانات المحترمة
قال صلى الله عليه وسلم فى كل كبد حراجر وهذا ترتيب حسن لان الادمى مقدم
على البهايم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب السايل الذى يسال الناس والمحروم
الذى ليس له فى الغنايم سهم ولا يجرى عليه من الفى شى وقال قتادة والزهرى
المحروم المتعفف الذى لا يسال الناس وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب
بثمره او زرعه او نسل ما شيته وهو قول محمد بن كعب القرظى قال المحروم صاحب
الجايحة ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون وفى الارض اى من الجبال والبحار و
والاشجار والثمار والنبات وغيرها ايات اى دلالات على قدرة الله تعالى
ووحدانيته للموقنين اى الذين صار الايمان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك
يتفطنون لروية ما فيها قال القشيرى من الايات فيها انها تحمل كل شى
فكذلك العارف يحمل كل احد ومن استثقل احدا او يوم بروية احد فكلفه
فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة واهل الحقايق
لا يتصفون بهذه الصفة ومن الايات فيها انه بالماء عليها كل قدر وقامة فتنبت
كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب ما يسبق من الجفا ولا يرى شيا الا بكل خلق
حسن على وشيمة زكية وفى انفسكم فى تركيب خلقكم من العجايب افلا تبصرون
اى بابصاركم وبصايركم فتاملوا فى ذلك من الايات فمن تاملها علم انه
عبد ومتى علم ذلك علم ان له ربا غنيا محتاجا الى احد وفى السما اى جهة العلو
رزقكم بما ياتى من المطر والرياح والحر والبرد وغيرها لكم مما رتبه سبحانه
وتعالى لمنافع العباد وقال ابن عباس يعنى بالرزق المطر لانه سبب الارزاق
وقيل فى السما رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السما ولولاه لما
حصل فى الارض حبة قوت وما توعدون قال عطا من الثواب والعقاب وقال

مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك من الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه
فقال عز من قايل فورب اى مبدع ومدبر السما والارض اى وما اودع فيهما مما علمتموه
وما لم تعلموه انه اي الذى توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من امر
الرزق وما تقدم الاقسام عليه لحق اى ثابت يطابقه الواقع مثل ما انكم تنطقون
اى مثل نطقكم كما انه لا شك فى انكم تنطقون ينبغى لكم ان لا تشكوا فى تحقيق
ذلك وقال بعض الحكما معناه ان كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن ان
ينطق بلسان غيره كذلك كل احد ياكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر ان ياكل
رزق غيره وانشدوا فى المعنى ما لا يكون فلا يكون بحيلة ابدا وما هو كاين سيكون
سيكون ما هو كاين فى وقته واخو الجهالة مكمد مغبون وقيل معناه ان
القران لحق تكلم به الملك النازل من السما مثل ما تتكلمون وقرا حمزة والكساى
وشعبة برفع اللام على انه نعت لحق وما نريده وانكم مضاف اليه اى لحق مثل
نطقكم ولا يضر تقدير اضافتها لمعرفة لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون
بالنصب على انه نعت لحق ايضا كما فى القراة الاولى وانما بين الاسم لاضافته الى
غير ممكن كما بناه القايل فى قوله فتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حامض الجبل
بفتح مثل مع انها نعت لدم وقيل انها نعت لمصدر محذوف اى لحق حقا مثل
نطقكم وقوله تعالى هل اتاك يا اكمل الخلق حديث ضيف ابراهيم المكرمين
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم
كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين عند الله اولا ابراهيم
عليه السلام اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم فى اكرم المواضع واختيار ابراهيم
لكونه شيخ المرسلين وكون النبى صلى الله عليه وسلم مامورا بان يتبع ملته
وكان ابراهيم عليه السلام اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن ابي
نجيح عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس
سماهم مكرمين لانهم جاوا غير مدعوين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه فان قيل اذا كان المراد من الاية التسلية والانذار
فاى فايدة فى حكاية الضيافة اجيب بان فى ذلك اشارة الى ان الفرج فى حق

الانبيا

الانبيا والبلا على الجهلة ياتى من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خيرا من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته
قال القشيرى وقيل كان عددهم اثنى عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان
معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرا هشام بفتح الها والف بعدها والباقون بكسر الها
ويا بعدها اذ اى حديثهم حين دخلوا عليه اى دخول استعلا مخالف لدخول
بقية الضيوف وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الذال عند الدال والباقون
بالادغام تنبيه اختلف فى العامل فى اذ على اربعة اوجه احدها انه حديث
اى هل اتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه ثانيها انه منصوب بما فى
ضيف من معنى الفعل لانه فى الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره
كانه قيل الذين اضافهم فى وقت دخولهم عليه ثالثها انه منصوب بالمكرمين
ان اريد باكرامهم ان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى يقول
اكرموا اذ دخلوا رابعها انه منصوب باخبار اذكر ولا يجوز نصبه باتاك
لاختلاف الزمانين فان قيل انما ارسلوا الى قوم لوط فما الحكمة فى مجيئهم الى
ابراهيم عليه السلام اجيب من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام
شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك اذا ارسل رسولا لملك وفى طريقه من
هو اكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك واجره برسالتك وخذ فيها رايه ثانيهما
ان ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة
عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم
بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من هلك ويكون من صلبه فروع الانبيا
عليهم السلام فقالوا سلاما اى هذا اللفظ قال سلام اى هذا اللفظ والمشهور
ان السلام الاول المراد به التحية اى فسلم سلاما وقيل ان سلاما معناه حسنا
لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو ويأثم فكانهم قالوا قولا حسنا سليما من
الاثم فيكون مفعولا به لانه فى معنى القول واما رفع الثانى فالمشهور انه التحية
فهو مبتدا وخبره محذوف اى عليكم وقيل انه السلامة اى امرى سلام لانى
لا اصرفكم وقرا حمزة والكساى بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين

واللام والف بعدها والمعنى واحد وقوله قوم منكرون اى غربا لا اعرفهم قال
ذلك فى نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدا مقدر اى هولا وقيل انما انكر امرهم لانهم
دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العالية انكر اسلامهم فى ذلك الزمان
وفى تلك الارض فراغ اى ذهب فى خفية من ضيفه فان من اداب المضيف ان
يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا الى اهله اى الذين
عندهم بقرة فجا بعجل اى فتى من اولاد البقر لانه كان عامة ماله البقر سمين قد
شواه وانضجه كما قال تعالى فى سورة هود حنيذ اى مشوى فقربه اليهم بان
وضعه بين ايديهم ليا كلوا فلم ياكلوا قال الا تاكلون والهمزة اما للانكار عليهم
فى عدم اكلهم واما للعرض واما للتحضيض فلم يجيبوا فاوجس اى اضمر فى نفسه
منهم خيفة لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاوه لشر وقيل وقع فى نفسه
انهم ملايكة ارسلوا بعذاب فلما عرفوا منه ذلك قالوا مونسين له لا تخف واعلموه
انهم رسل الله وبشروه بغلام ياتيه على شيخوخته وياس امراته بالطعن فى
السن بعد عقمها وهو اسحاق عليه السلام عليم اى مجبول جبلة مهياة للعلم ولا يموت
حتى يظهر علمه بالفعل فى اوانه فان جميع الانبيا بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم فانه من ذرية اسماعيل عليه السلام تنبيه ذكر ههنا من اداب
الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاوه بالوجه الحسن والمبالغة فى الاكرام بقوله
سلام وهو اكد وسلامهم بالمصدر فى قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام
عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبيا فقال
سلام اى امرى سلامة ثم فيها من اداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفا فى قوله
فراغ تدل على التعقيب واخفاوها لان الرغمان يقتضى الاخفا وغيبة المضيف
عن الضيف ليستريح وياتى بما يمنعه الحيا منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار
الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف فى مكانه ولا ينقل الضيف للطعام
لقوله قربه اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يامره لقوله تعالى الا تاكلون ولم يقل كلوا
وسروره باكله لا كما يوجد فى بعض البخلا الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره
ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله فاوجس منهم

خيفة

خيفة لعدم اكلهم ومن اداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا
به او يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا طعام غليظ
لا يصلح لى بل ياتى بعبارة حسنة ويقول فى مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه
بقولهم لا تخف ولم يذكروا فى الطعام شيا ولا انه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا
بانهم ملايكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه انهم ليسوا ممن ياكلون
ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف الصفات ثم ادب اخر
فى البشارة وهو ان لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم
جلسوا واستانس بهم ابراهيم ثم قالوا بشرك فان قيل قال تعالى فى سورة هود
فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم
وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفا التعقيب
وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه اجيب
بان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس فى الشكل والهيئة ولذلك قال قوم
منكرون اى عند كل احد واشترك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل
انكرتم منكرون فى انفسكم عند كل احد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تاكد الانكار لان
ابراهيم تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال فى سورة
هود ابسط مما ذكره ها هنا فانه هنا لم يقل ان يبين المبشر به وهناك ذكره باسمه
وهو اسحاق وها هنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط ولما كانا
بعيدين عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله تعالى دالا على ان الولد اسحاق مع
الدلالة على ان خفا الاسباب لا يوثر فى وجود المسببات فاقبلت اى من سماع
هذا الكلام امراته سارة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى
البيت فهو كقول القايل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه وقوله تعالى فى صرة اى صيحة
حال اى جات صايحة لانها قد امتلات عجبا فصكت قال ابن عباس لطمت
وجهها واختلف فى صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب
الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهى عادة النسا اذا انكرن شيا واصل
الصك ضرب الشى بالشى العريض وقيل جمعت اصابعها وضربت جبهتها عجبا

وذاك من عادة النسا ايضا اذا انكرن شيا وقالت تريدان تستبين الامر هل
الولد منها او من غيرها عجوز قال القشيري قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين
سنة ومع ذلك عقيم فهي حال شبابها لم تكن تقبل الحبل فلم تلد قط ولما قالت ذلك
قالوا مجيبين لها قالوا كذلك اي مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة قال
ربك اي المحسن اليك بتاهيلك لذلك على ما ذكرت من حالك وبتاهيلك من قبل
الاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم انه هو اي وحده الحكيم اي الذي يضع الاشيا
في احق مواضعها العليم المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شي ثم بين سبحانه وتعالى
ما كان من حال ابراهيم وحال الملايكة بعد ذلك بقوله تعالى قال اي ابراهيم عليه
السلام سببا عما راى من حالهم وان اجتماع الملايكة على تلك الحالة لم يكن لهذه
البشارة فقط فما خطبكم اي جبركم العظيم ايها المرسلون اي لامر عظيم وهذا
ايضا من اداب المضيف اذا بادر الضيف بالخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك
لان في سكوته ما يوهم اشتغاله ثم انهم اتوا بما هو من داب الصديق الذي لا يسد
عن الصديق شيا وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابراهيم عليه السلام
على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابي الانبيا اسحاق عليه السلام فان
قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال ما هذا الاستعجال وما خطبكم
المعجل لكم اجيب بانه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة وايناس
فلما انسوه قال فما خطبكم اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم
قالوا قاطعين بالتاكيد بان مضمون خبرهم حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة
فيه انا ارسلنا اي بارسال من تعلم الى قوم مجرمين اي هم في غاية القوة على ما
يحاولونه وقد صرفوا ما انعم الله تعالى به عليهم من القوة في قطع ما يحق
وصله ووصل ما يحق قطعه يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي من السما التي فيها
ما وعد العباد به وتوعدوا حجارة من طين اي مهيا للاحراق والاحتراق مسومة
اي معلمة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقوله تعالى عند ربك
اي المحسن اليك بهذه البشارة وغيرها ظرف لمسومة اي معلمة عنده للمسرفين
اي المتجاوزين الحدود غير قانعين بما ابيح لهم فالمسرف المتمادي ولو في الصغاير

فهم

فهم مجرمون اي مسرفون والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اعظم
الذنوب وهنا لطيفة وهي ان الحجارة سومت للمصر المسرف الذي لا يترك الذ نب
في المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان
الاجرام ظاهرا قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد
اي لهولا المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسوقة واسرافهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم
به احد من العالمين وفي هذا دليل على رجم اللايط والفايدة في ارسال جماعة من الملا يكة
لهذا الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهم اذ الملك العظيم قد يهلك بالامر الحقير كما
اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك فرعون بالنمل والجراد بل بالريح التي بها
الحياة اظهارا للقدرة وقد تكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف من الملايكة
باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا لعظيم قدرته تنبيه قوله تعالى من طين
اي ليس من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكما فانهم يقولون ان
البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع ذلك التوهم قال الرازي ان بعض
من يدعي العقل يقول لا ينزل من السما الا حجارة من طين مدورات على هيئة
البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار
تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض
البلاد ويتفق ذلك الى هوا ندي فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق
استدار بدليل انك اذا رميت الما الى فرق ثم نظرت اليه رايته يقطر كدات
مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول ان اتفق ان تضربها النيرات التي في الجو
جعله حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من هيا الله تعالى هلاكه وقد ينزل
كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين لان
ما لا يكون من طين كالحجر الذي يكون في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا
تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع فحادث اخر لزم التسلسل ولا بد من
الانتها الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا
والمختار له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه اخر من غير
نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما يصل العقلا اليه

لا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول حجارة الطين من السما اغرب
واعجب من غيرها ولما اراد الله تعالى ان يهلك المجرمين ميز المومنين بقوله تعالى
فاخرجنا اى بما لنا من العظمة بعد ان ذهبت رسلنا اليهم ووقفت بينهم وبين
لوط عليه السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هنا الى ذكرها من كان فيها اى
قرى قوم لوط من المومنين اى المصدقين بقلوبهم لانا لا نسوبهم بالمجرمين
فخلصناهم من العذاب على قلتهم وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم فما وجدنا فيها
اى تلك القرى اسند الامر اليه تشريفا لرسله واعلاما بان فعلهم فعله تعالى
غير بيت اى واحد وهو بيت ابن اخى ابراهيم عليهما السلام وقيل كانت
عدة الناجين منهم ثلاثة عشر من المسلمين اى الفريقين فى اسلام الظاهر
والباطن لله تعالى من غير اعتراض اصلا وهم ابراهيم واله عليهم السلام وانهم
اول من وجد منهم الاسلام الاتم وسموا به كما مر فى سورة البقرة وسموا به اتباعهم
فكان هذا البيت الواحد صارفا عليه الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى
هو الانقياد قال البغوى وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه
ما من مومن الا وهو مسلم يعنى لما بينهما من التلازم وان اختلف المفهومان وقال
الاصفهانى وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وقيل هم لوط
وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام اى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم
الطاعات تنبيه فى الاية اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشى
لا تنفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة
وفيهم شرذمة يسيرة يسرفون ويزنون ومثاله ان العالم كالبدن ووجود
الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم ان
البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار وفيه النافع
طاب ونما وان وجدا فيه معا فالحكم للاغلب واطلاق الحاضر على العام لا مانع
منه لان المسلم اعم من المومن فاذا سمى المومن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما
فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا الا عم منهم الا بيتا من المسلمين
ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المومنين وتركنا اى بما لنا من العظمة

فيها

فيها اى تلك القرى بما اوقعنا بها من العذاب اية اى علامة عبرة على هلاكهم كالحجارة
او الما المنتن فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت فى الجو كالغمام الى عنان السما ولم يشعر
احد من اهلها بشى من ذلك ثم قلبت واتبعت بالحجارة ثم حف بها وغمرت بالما
الذى لا يشبهه شى من مياه الارض كما ان جنايتهم لم تكن تشبه جناية احد ممن
تقدمهم من اهل الارض الذين يخافون العذاب الاليم اى ان يحل بهم كما حل بهذه
القرى فى الدنيا من رفع الملايكة لهم فى الهوا الدارى الى عنان السما وقلبهم واتبعهم
الحجارة المحرقة وغمرهم بالما المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه وما ادخر لهم
فى الاخرة اعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى
وفى موسى عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور
فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا فى قصة موسى اية
اذ ارسلناه اى بما لنا من العظمة الى فرعون بسلطان مبين اى بحجة واضحة
وهى معجزاته الظاهرة كاليد والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها ومع ذلك سبب عنها
وعقب بها قوله تعالى فتولى اى كلف نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه علمها الى
الاقبال اليهما واشار الى قواه بقوله تعالى بركنه اى بسبب ما يركن اليه من القوة
فى نفسه وباعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه كناية عن المبالغة
فى الاعراض وقال معلما بعجزه عما اتاه به وهو لا يشعر ساحر ثم ناقض كمناقضتكم
فقال بجهله عما يلزم على قوله او مجنون اى لاجترايه على مع ما لى من عظيم الملك
بمثل هذا الذى يدعو اليه تنبيه او هنا على بابها من الابهام على السامع
او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك فى امره تمويها على
قومه وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو قال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا
لساحر عليم وقال فى موضع اخر ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ورد الناس
عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الايتان فلا تدلان على انه
قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه فى وقت
وهذه فى اخر ولما وقعت التسلية بهذا للاوليا قال تعالى محذرا للاعدا فاخذناه
اى اخذ غضب وقهر بعظمتنا وقوله تعالى وجنوده ويجوز ان يكون معطوفا

على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه فنبذناهم اى طرحناهم
طرح مستهين بهم كما تطرح الحصيات فى اليم اى البحر الذى هو هائل لان يقصد بعد
ان سلطنا الريح عليه فغرقنه لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه وتشققت ارضه
وابست ما ابرزت فيه من الطرق لنجاة اوليائنا وهلاك اعدائنا وهو اى
والحال ان فرعون مليم اى اتى بما يلام عليه من تكذيب الرسول ودعوى الربوبية
وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصا اخر تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم احداها قوله
تعالى وفى عاد اى اهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام اية عظيمة اذ اى حين
ارسلنا بعظمتنا عليهم الريح فانهم تحمل سحابة سوداء وهى تدر الرمل وترمى
بالحجارة كما مرت الاشارة اليه على كيفية لاتطاق العقيم اى التى لاخير فيها
لاتحمل المطر ولاتلقح الشجر وهى الدبور ثم بين عقمها واعتامها بقوله تعالى
ما تذر اى تترك على حالة رديئة واغرق فى النفى فقال تعالى من شئ اتت عليه
اى اتيانا اراد مرسله اهلاكه بها الا جعلته كالرميم اى الشئ البالى الذى
دهكته الايام والليالى الى حالة الرماد وهو فى كلامهم ما يبس من نبات الارض
ودرس قاله ابن جبير فان قيل الجبال والصخور وغير ذلك اتت عليهم وما
جعلته كالرميم اجيب بان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاد واعينهم
وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم
فاتركت شيأ من تلك الاشياء الا جعلته كالرميم ثانيها قوله تعالى وفى ثمود اى
اهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام اية عظيمة اذ اى حين قيل لهم اى من لايخلف
الميعاد وقراهشام والكسائى بضم الثاف والباقون بكسرها تمتعوا اى بلبان
الناقة وغيره مما مكناهم فيه من الزروع والنخيل والابنية فى الجبال والسهول
وغير ذلك من جلايل الامور على الوجه الذى امرناهم به ولا تتطفوا حتى حين اى
وقت ضربناه لاجالكم فعتوا اى اوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو
التكبر والاباء عن امر ربهم اى مولاهم الذى اعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته
وارادوا قتل نبيه صالح عليه السلام فاخذتهم اى بسبب عتوهم اخذ قهر
وعذاب الصاعقة اى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح فاوصلتها الى

مسامعهم

مسامعهم بقاية العظمة ورجت ديارهم رجة ازالت ارواحهم بالصعق وقرا
الكسائى باسكانة العين ولا الف قبلها والباقون بكسر العين وقبلها الف وقوله
تعالى وهم ينظرون دال على انها كانت فى غمام وكان فيها نار ويجوز مع كونه من
النظر ان يكون ايضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة
ايام وجعل فى كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه فى اليوم الرابع
وقال بعض المفسرين المراد منه ما اجملهم الله تعالى بعد عقرهم الناقة وهو
ثلاثة ايام بقوله تعالى تمتعوا فى ديارهم ثلاثة ايام وكان فى تلك الايام
تغير الوانهم فتحمر وتصفر وتسود قال الرازى وهذا ضعيف لانه قوله تعالى
فعتوا عن امر ربهم يجرى القاء ليل على ان العتو كان بعد قوله تعالى تمتعوا
فاذن الظاهر ان المراد هو ما قدره الله تعالى للناس من الاجال فما من احد الا
وهو يمهل مدة الاجل انتهى وحسن هذا فسرت الهاية به فما اى فتسبب عن
ذلك انهم ما استطاعوا اى تمكنوا واكد النفى بقوله تعالى من قيام اى فما قاموا
بعد نزول العذاب وما قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة
كقوله تعالى فاصبحوا فى ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا
عجز عن دفعه وما كانوا اى كونا ما منتصرين اى لم يكن فيهم اهلية الانتصار
بوجه لا بانفسهم ولا بناصر ينصرهم فيطاوعونه فى النصرة لان تهيوم لذلك
سقط بكمل اعتبار ثالثها قوله تعالى وقوم نوح بالجر هى قراءة ابى عمرو وحمزة
والكسائى عطف على ثمود اى وفى اهلاكهم بما السماء والارض اية ويا النصب
وهى قراءة الباقين اى واهلكنا قوم نوح من قبل اى من قبل اهلاك هؤلاء
المذكورين ثم علل اهلاكهم بقوله تعالى انهم كانوا خلقا وطبعا لاجبلة لغيرنا
من اهل المساياب فى صلاحهم قوما اى اقويا فاسقين اى عريقين فى
الخروج عن حظيرة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام القدرة على البعث بقوله
تعالى والسماء بنيناها اى بما لنا من العظمة بايد اى بقوة وشدة عظيمة لايقدر
قدرها فايدة رسمت ياييد بياءين بعد الالف وانا على عظمتنا بعد ذلك لموسعون
اى اغنياء وقادرون ذوو اسعة لاتتناهى ولذلك اوسعنا بقدر جرمها وما

فيها من الرزق عن اهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط ارجوة
السما بما اقتضته صفة الالهية التى لا يصح معها الشركة اصلا قلنا لكن تعرفون
من الملوك لانهم اذا فعلوا شيا لم يقدروا على اعظم منه وان قدروا كان ذلك
منهم بكلفة ومشقة وسترون فى اليوم الاخر ما يتلاشى ما ترون فى جنبه
ومن انشاءنا جعلها بلا عمد مع ما هى عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور
الخارقة للعوايد وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها
وبين الارض سعة والارض فرشناها اى بسطناها ومهدناها بما لنا من
العظمة فصارت ممهدة جديرة بان تستقر عليها الاشيا وهى اية على تمهيد ارض
الجنة وسقينا الانهار ها وعزسنا لاشجارها فنعم اى فتسبب عن ذلك ان
يقال فى وصفنا نعم الماهدون والمخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اى نحن
لكمال قدرتنا فما نترك من السماشى ولا نبقيه من الارض شى الا بارادتنا واختيارنا
وتقديرنا من الازل لانا اذا صنعنا شيا علمنا ما يكون منه من حين
انشايه الى حين افنايه ولا يكون شى منه الا بتقديرنا وذلك وذلك تذكير
بالجنة والنار وما فيها من خير فهواية على الجنة وما فيها من شر فهواية على
النار وقوله تعالى ومن كل شى خلقنا يجوز ان يتعلق بخلقنا اى خلقنا
من كل شى زوجين وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه فى
الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شى اى صنفين
كل منهما يزاوج الاخر من وجه وان خالفه من اخر ولا يتم نفع احدهما الا بالاخر
من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنا والفقر والحسن
والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم
والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين هما من نفس
جهنم اية بينة عليها وبنا ها على الاعتدال فى بعض الاحوال اية على
الجنة مذكرة بها مشوقة اليها والايمان والكفر والسعادة والشقاوة
والحق والباطل والحلو والمر قال الحسن كل اثنين منها زوج والله
سبحانه وتعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بنا

السما وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعلموا ان خالق
هذه العالم شيا واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح
وقرا حفص والكسا بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ففروا اى اقبلوا
والجاوا الى الله اى الذى لا اسم له فضلا عن مكافى وله الكمال كله فهو فى غاية
العلو فلا يعز ويمكن احدا الى غير محتاج مثله فان المحتاج لا فتا عنده ولا يعز
اليه سبحانه الا من تجرد عن حضيض عوايقه الجسيمة الى اوج صفاته
الروحانية وذلك من وعيده الى وعده الذين ول عليهما بالزوجين فتكفل
السيات بالتحذير والاستعطاف بالاستدعا فهو من باب لا منجا منك الا
اليك اعوذ بك منك قال القشيرى ومن صح فراره الى الله صح فراره مع الله قال
البقاعى وهو بكمال المتابعة ليس عين ومن فهم منه اتحاد ايذات او صفة فقد نابذ
طريق القوم فعليه لعنة الله انى لكم منه اى لا من غيره نذير اى من ان يفر احد
الى غيره فانه لا يحصل له قصد مبين اى بين الانذار فحذار العامة من الجهل الى
العلم عقدا وسعيا ومن الكسل الى التشمير حذرا وحزما ومن الضيق الى السعة
ثقة ورجا وفرارخاصة الخاصة محادون الحق الى الحق استغراقا فى وحدانية
ولا تجعلوا اى بافهامكم مع الله وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تفخيما للمراد لانه
لم يشاركه فى التسمية به احد وتنبيها على ما له من صفات الكمال وتفخيما لوجوه
المقاصد ليلا يظن لو قيل معه ان المراد النهى عن الجعل من جهة الغير لا من
جهة غيرها الها اخر ثم علل النهى مع التاكيد بطعنهم فى نذارته فقال انى لكم منه
اى لا من غيره فان غيره لا يقدر على شى نذير اى محذر من الهلاك الابدى
بالعقوبة التى لا خلاص معها ان فعلتم ذلك مبين اى لا اقول شيا من واضح
النقل والاول ليله ظاهر كذلك اى مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد
من الصواب بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله تعالى
مستانفا ما اتى الذين من قبلهم اى كفار مكة وعمم النفى فقال تعالى من
رسول اى من عند الله تعالى الا قالوا ساحر او مجنون اى مثل تكذيبهم لك بقولهم
ذلك لان الرسول ياتيهم بمخالفة ما الوفاتهم التى قادتهم اليها اهواهم والهواهو

الذى اوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت او للتفصيل لان بعضهم قال
واحد وبعضهم وقال بعضهم قال اخرا وكانت للشك لان الساحر يكون لبيبا ا
فطنا اتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون يا لضد من ذلك فان قيل قوله
تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والامر ليس كذلك لان ما من رسول الا وامن
به قوم اجيب بان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا
فلما كان كثير منهم قايلين قال تعالى الا قالوا فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر
المكذبين وقال الم قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت اجيب بان المقصود ه
التسلية وهى على التكذيب فكانه تعالى قال لا تاسى على تكذيب قومك فان اقوا ما
قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم عجب منهم بقوله تعالى اتواصوا به فهو استفهام للتعجيب
والتوبيخ والضمير فى به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اى اتواصوا الاولون
والاخرون بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد
كانهم تواطوا عليه واوصى اولهم واخرهم وقوله تعالى بل هم قوم اى ذوو شماخة وكبر
طاغون اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا
القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى سلى تنبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى فتول اى اعرض عنهم اى كف نفسك الاعراض عن الابلاغ فى ابلاغهم
ولا تاسف على تخلفهم عن الاسلام فما انت بملوم لانك بلغتهم الرسالة وما قصرت
فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضرة امر
النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى وذكر اى ولا تدع التذكير
والموعظة فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولى مطلقا
بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولى يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير ينفع اذا
كان مع المومنين وقال مقاتل معناه عنا بالقرات كفار مكة فان الذكرى تنفع
من علم الله تعالى انه مومن منهم وقال الكلبى عظ بالقران من امن من قومك ه
فان الذكرى تنفعهم ولما بين حال من قبل النبى صلى الله عليه وسلم فى التكذيب
بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى الذى خلقهم للعبادة بقوله

تعالى

35

تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واختلف فى تعميم ذلك فاكثر المفسرين
على ان المراد بهم العموم ولا ينافى ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها
كما فى قولك بريت هذا القلم لاكتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قاله الجلال المحلى
واوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الا معدين للعبادة ثم منهم من يتاتى منه ذلك
ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب انتهى او ان
المراد الا لامرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن على بن ابى طالب او ان المراد
ليطيعوا وينقادوا والقضاى فالمومن يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها او ان
المراد الا ليوحدون فاما المومن فيوحد اختيارا فى الشدة والرخا واما الكافر فيوحد
اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخا وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال
البغوى وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى ولين
سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص اى ما خلقت السعداء من الجن
والانس الا لعبادتى والاشقيا منهم الا لمعصيتى قاله زيد بن اسلم قال هو ما جبلوا
عليه من السعادة والشقاوة ويويده قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
المومنين وقيل الطايعين تنبيه استدل المعتزلة بهذه الاية على ان افعال الله تعالى
معللة بالاغراض واجيبوا بوجوه منها ان اللام قد ثبتت لغير الغرض كقوله تعالى
اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
معناه قدرت الخلق بالعبادة اى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى
الله خالق كل شى ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل الله
من يشا ويهدى من يشا ومنها قوله تعالى لا يسال عما يفعل وقوله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما
يريد فان قيل ما الحكمة فى انه لم يذكر الملايكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم
اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون
عن عبادته اجيب بوجوه احدها ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة
من ترك ما خلق له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود فيهما دون
الملايكة ثانيها ان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجن والانس فلما قال تعالى
وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخصص امته بالذكرى فكر الانس

والجن ثالثها ان عباد الاصنام كانوا يقولون ان الله عظيم الشان خلق الملايكة وجعلهم مقربين فهم يعبدونه تعالى وخلقهم لعبادته ونحن لتنزل درجاتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملايكة وهم يعبدون الله تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملايكة لان الامر فيهم كما مر مسلما من القوم فذكر المنازع فيه رابعها فعل الجن يتناول الملايكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملايكة فيهم ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى **ما اريد منهم** اى في وقت من الاوقات وعم في النفي بقوله تعالى **من رزق** اى شيء من الاشياء على وجه فينتفعني من جلب او دفع لاني منزه عن لحاق نفع او ضر كما يفعل غيري من الموالي مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا او مربت في فلاحة ليفتل ارضا او مسلم في حرفة لينفع باجوته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق لاني الغني المطلق وكل شيء مفتقر الي **وما اريد** اصلا **ان يطعمون** اى ان يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض باصنامهم فانهم كانوا يعلمون معها ما ينفعها ويحفرون لها المكامن فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل في الاية حذف مضاف اى وما اريد ان يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله فقد اطعمه كما صح في الحديث عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي فان قيل ما الفايدة في تكرير الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد

ان يطعمه لجيب بان السيد قد يطلب من العبد قضاء حوايجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الادنى الى الاعلا فان قيل ما فايدة تخصيص الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم اجيب بانه لما عمم النفي في طلب الاول بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفى الادنى ليتبعه بنفي الاعلا بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من غنى ولا عمل فان قيل المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشترى العبد لا لطلب رزق منه ولا للتعظيم بل يشترى للتجارة اجيب بان عموم قوله تعالى ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين تعالى انه الرازق لا غيره بقوله عز من قايل **ان الله** اى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص **هو** اى لا غيره **الرزاق** اى على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت **ذو القوة** اى التي لا تزول بوجه **المتين** اى الشديد الدايم فان قيل لم لم يقل ان رازق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله تعالى هو الرزاق فما الحكمة اجيب بان المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة او يكون قل مضمرا عند قوله تعالى ما اريد منهم من رزق ولم يقل القوى بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل الا على انه له قوة فاراد في الوصف المتانة وهو الذي لا ثبات لا يتزلزل والمعنى في وصفه سبحانه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء ولما اقسم سبحانه على الصدق في وعيدهم الى ان ختم بقوته التي لا حد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى موكدا لاجل انكارهم **فان للذين ظلموا** اى اوقعوا الاشيا في غير مواقعها **ذنوبا** اى نصيبا من العذاب طويل الشركانه من طوله صاحب الذنب **مثل ذنوب اصحابهم** اى الذي تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة المملوة ماء وفي الحديث فاتى بذنوب من ماء فان لم تكن ملاى فهي دلو ثم عبر به عن النصيب قال عمرو بن شاس

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وادنيه قال الزمخشري وهذا تمثيل اصله في السقاة يقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب ... فان ابيتم فلنا القليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب ايضا
الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم
ذنوب اى طويل الشر استعارة من ذلك ويجمع فى القلة على اذنبه وفى الكثرة على
ذنايب فلا يستعجلون اى تطلبوا اتيكم به قيل اوانه لاحق به قال ذلك لانه فعله
الاناقص وانا متعال عن ذلك لا اخاف الفوت ولا يلحقنى عجز ولا اوصف به
ولا بدان اوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الازل قانط الاحق الاوقات
بعقابهم لتكامل ذنوبهم فويل اى شدة عذاب للذين كفروا اى ستروا ما ظهر من
هذه الادلة التى لا يسع عاقلا انكارها من يومهم الذى يوعدون اضافه اليهم
لانه خاص بهم دون المومنين وهو يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العايد
لاستكمال شروطها اى يوعدونه وقرا حمزة والكسائى فى الوصل بضم الها والميم
وابو عمرو بكسر الها والميم والباقون بكسرهما وبما رواه البيضاوى عن نبيها
لمن محترزى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والذاريات اعطاه الله
تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا حديث موضوع

• سورة والطور مكية • وهى تسع واربعون اية وثلثماية
واثنتى عشرة كلمة والف وخمسماية حرف بسم الله الملك الاعظم ذى الملك والملكوت
الرحمن الذى عم خلقه بالرحموت الرحيم الحى الذى لا يموت وقوله تعالى والطور وما
بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التى بعد الاولى عواطف
لاحروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام
وهو بمدين اقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذى نادى الله تعالى وطور سينين
وقيل هو اسم حبش تنبيه مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح
بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب فى قوله تعالى وكتاب مسطور اى متفق
الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مرتبة جامعة للكلمات متفقة هو كتاب
موسى عليه السلام وهو التوراة وقيل القرآن وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحايف
اعمال الخلق قال تعالى وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى
فى رق متعلق بمسطور اى مكتوب فى رق والرق الجلد الرقيق يكتب فيه وقال

الراغب الرق ما يكتب فيه شبيه كاغد انتهى فهو اعم من كونه جلدا وغيره صح
منشور اى مبسوط مهيا للقراءة وقوله تعالى والبيت المعمور مختلف فى مكانه
فقيل فى السما العليا تحت العرش وقيل فى السما الثالثة وقيل فى السما السادسة
وعلى كل قول هو بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السما كحرمة الكعبة فى
الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة يطوفون به ويصلون فيه ثم
لا يعودون اليه ابدا ووصفه بالعمارة لكثرة الطايفين به من الملايكة وقيل هو
بيت الله الحرام لكونه معمورا بالحجاج والعمار والمجاورين وقيل اللام فى البيت
المعمور للتعريف الجنس كانه تعالى اقسم بالبيوت المعمورة والعماير المشهورة وقوله
تعالى والسقف المرفوع مختلف فيه ايضا فالاكثر على انه السما كما قال تعالى وجعلنا
السما سقفا محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش
ونقل عن ابن عباس وقوله تعالى والبحر المسجور من الاضداد يقال بحر مسجور اى
مملو وبحر مسجور اى فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس انه قال خرجت
امة لتستقى فقالت ان الحوض مسجور اى فارغ ويويد هذا ان البحار يذهب
ماوها يوم القيامة وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه
ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظى يعنى بالمسجور الموقد الحمى بمنزلة التنور المسجور
وهو قول ابن عباس لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها
فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت ومعنى على انه سال بعضهم اين موضع
النار فى كتابكم قال فى البحر قال على ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يركب البحر رجل الا غازيا او معتمرا
او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع ابن انس المختلط العذب
بالملح وروى الضحاك عن المنذر بن سمرة عن على انه قال البحر المسجور هو بحر
تحت العرش عمره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان
يمطر الله عباده منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وهذا قول
مقاتل فان قيل ما الحكمة فى القسم بهذه الثلاثة اشيا اجيب بان هذه الاماكن
الثلاثة وهى الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة انبيا للخلوة

بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى اما الطور فانتقل اليه موسى عليه
السلام وخاطب الله سبحانه وتعالى هناك واما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله
عليه وسلم وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصى ثنا عليك انت كما
اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة
بهذه الاسباب فاقسم الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فلان الانبيا كان لهم مع الله تعالى
في هذه الاماكن كلام والكلام في الكتاب تنبيه اقسم الله تعالى في بعض السور
بمجموع كقوله تعالى والذاريات والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله تعالى
والطور ولم يقل والاطوار والاسحار قال الرازي والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم
عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هي متبدلة افرادها مستمرة بانواعها
والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المستمر
لا الى المفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من الجبال
دايم زمانا ودهرا فاقسم في ذاك بالواحد وكذلك في قوله تعالى والنجم ولو قال والريح
لما علم المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى ان عذاب ربك اي الذي تولى تربيتك
لواقع اي ثابت نازل لمستحقه جواب القسم كما مر ماله من دافع اي مانع لانه
لا شريك لموقعه لما دلت عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وجلال الحكمة قال
جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر
فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا
والطور الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين
سمعته ولم يكن اسلم يوميذ فاسلمت خوفا من العذاب وما كنت اظن اني اقوم
من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين تعالى انه متى يقع بقوله تعالى يوم تمور السما
اي تتحرك وتضطرب وتجي وتذهب وتدور دوران الرحى ويموج بعضها في بعض
قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والمجي والتردد والدوران
والاضطراب قال الرازي وقيل تجي وتذهب كالدخان ثم تضمحل مورا اي اضطرابا
شديدا وتسير الجبال اي تنتقل من امكنتها انتقال السحاب وحقق معناه

وتتكفا باهلها تكفا السفينة وتختلف اجزاوها بعضها في بعض صح

بقوله

بقوله تعالى سيرا فتصير هبا منثورا وتكون الارض قاعا صفصفا ثم بين من
يقع عليه العذاب بقوله تعالى فويل اي شدة عذاب يوميذ اي يوم ان يكون
ما تقدم ذكره للمكذبين اي الفريقين في التكذيب للرسل الذين هم من بين
الناس بظواهرهم وبواطنهم في خوض اي اقوالهم وافعالهم اعمال الخايض
في الما فهو لا يدري اين يضع رجله يلعبون فاجتمع عليهم امران موجبان للباطل
الخوض واللعب فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه فلا يوسس على
بيان او حجة فان قيل اهل الكباير لا يكذبون فمقتضى ذلك انهم لا يعذبون
اجيب بان ذلك العذاب لا يقع على اهل الكباير لقوله تعالى كلما القي فيها فوج
سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا فالمومن لا يلقى فيها
القا بهوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام فالويل انما هو للمكذبين
وقوله تعالى يوم يدعون بدل من يوم تمور او من يوميذ قبله تقديره فويل يوميذ
يوم يدعون اي يدفعون دفعا عنيفا بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله تعالى
لذلك ذاهبين ومتهيئين الى نار جهنم وهي الطينة التي تلقاهم بالعبوسة
والكراهة واكد المضي وحققه بقوله تعالى دعا قال البغوي وذلك ان خزنة
جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم لاقدامهم ثم يدفعون
دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم مقولا لهم تبكيتا وتوبيخا هذه النار
اي الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الشاغل عن اللعب التي كنتم بها في الدنيا
تكذبون على التجدد والاستمرار وقوله تعالى افسحر خبر مقدم وقوله تعالى
هذا هو المبتدا وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك انهم كانوا
ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي الابصار بالسحر وان
انشقاق القمر وامثاله سحر فوبخوا به وقيل لهم افسحر هذا اي الذي انتم فيه
من العذاب مع هذه الاحراق الذي تصلون منه ام انتم في منام او نحوه لا تبصرون
بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في اكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون
للمنذرين بيننا وبينكم حجاب فاعمل اننا عاملون اصلوها اي اذا لم يمكنكم
انكارها وتحققتم انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فقاسوا شدتها فاصبروا على

هذا الذى لا طاقة لكم به اولا تصبروا فانه لا محيص لكم عنه سواء عليكم اى الصبر والجزع فان صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجبا كان الصبر وعدمه سيان فى عدم النفع ولما ذكر ما للمعذبين من العذاب اتبعه ما للاضداد هم من الثواب فقال تعالى ان المتقين اى الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة فى جنات اى بساتين اية بساتين وايما فى الدنيا حكما وفى الاخرة حقيقة ونعيم اية نعيم فى الاجل يعنى بما لهم فيه من الانس وفى الاجل بالفضل وزاد فى تحقيق التنعيم بقوله تعالى فاكهين اى متلذذين معجبين تاعمين بما اتاهم اى اعطاهم ربهم الذى تولى تربيتهم بعلمهم بالطاعات الان اوصلهم الى هذا النعيم ووقاهم اى فضل ذلك ربهم اى المتفضل بتربيتهم يكفهم عن المعاصى والقاذورات عذاب الجحيم اى النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة وجانب النقمة فى غنا عظيم قال مترجما لذلك على تقدير القول كلوا اى اكلا هنيا واشربوا اى شربا هنيا وهو الذى لا تنغيص فيه فكلما تنتا ولونه ماموق الطاقية من التخم والسقم وغيرهما بما اى بسبب ما كنتم اى كونا راسخا تعملون اى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كانه طبع لكم ثم نبه على انهم مع هذا النعيم محدودون بقوله تعالى متكيين اى مستندين استنادا راحة لانهم يخدمون فلا حاجة لهم الى الحركة على سرر مصفوفة اى متصوبة واحد الى جنب واحد مستوية كانها السطور على احسن نظام وايدهم ثم نبه على تمام سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى وزوجناهم تزويجا بليقا بعظمتنا من العظمة اى صيرناهم مميزين بحور اى نساء فى شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها فى غاية حسن لا موصف عين اى واسعات العين فى رونق وحسن تنبيه اعلم ان الله تعالى بين اسباب التنعم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنان ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه امور اربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر فى كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن وقال فاكهين اشارة الى عدم التنغيص وعلو المرتبة لكونه مما

اتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيا اى ماموق العاقبة وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنويعها وكثرتهما وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى انه تعالى يقول انى مع كونى ربكم وخالقكم واد خلكم الجنة بفضلى فلا منة لى عليكم اليوم وانما منتى عليكم كانت فى الدنيا هديتكم ووفقتكم للاعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان واما اليوم فلا منة عليكم لان هذا انجاز الوعد وقوله تعالى والذين امنوا اى اقروا بالايمان واتت لم يبالغوا فى الاعمال الصالحة مبتدا وقرا ابو عمرو واتبعناهم اى بما لنا من الفضل الناشى عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون الياء وبعد العين نون مفتوحة بعدها الف والباقون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على امنوا ذرياتهم اى الصغار والكبار فالكبار بايمانهم وانفسهم والصغار بايمان ابايهم فان الولد الصغير يجعل باسلامه تبعا لاحد ابويه بايمان اى بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان فى ادنى درجات الايمان ولكنهم ثبتوا عليه الى ان ماتوا وذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعى ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان الذرية حقيقة انه كما تواكبارا وحكما ان كانوا صغارا ثم اخبر عن الموصول المبتدا بقوله تعالى الحقنا بهم تفضلا منا عليهم ذرياتهم وان لم يكن للذرية اعمال لانه تعالى يجازى الفاعلين ويكرم والذريات هنا تصدق على الاباء وعلى الابناء وان المومن اذا كان عمله اكثر الحق به من دونه فى العلا ابناء كانوا او اباء وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها اخذ العلم او عمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب فى جواب من سال عمن يحب القوم ولما يلحقه بهم وقد اذريا تهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم ناضع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرا ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرا ابو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرا ابن عامر بالجمع فيهما الا انه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية فان قيل قوله تعالى اتبعناهم

ذرياتهم يغبد فايدة قوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم اجيب بان قوله تعالى
الحقنا بهم اى فى الدرجات والاتباع انما هو فى حكم الايمان والم يبلغوه كما مر
ثم اشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى وما التناهم اى نقصنا المتبوعين
من عملهم واكد النفى بقوله تعالى من شئ اى بسبب هذا الالحاق ولما بين تعالى
اتباع الادنى للاعلا فى الخير بين اتباع الادنى لايتبع الاعلا فى الشر بقوله تعالى
كل امرئ من الذين امنوا والمتقين وغيرهم بما كسب اى عمل من خير او شر رهين
اى مرهون يوخذ بالشر ويجازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من
الشرك رهين فى النار والمومن لايكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين وقال الواحدى هذا يعود الى ذكر اهل النار وهو قول مجاهد
ايضا قال الرازى وفيه وجه اخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل
فيكون المعنى كل امرئ راهن اى دايم ان احسن ففى الجنة مويدا وان اساء ففى
النار مخلدا لان فى الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لايبقى الا فى
جوهر ولا يوحد الا فيه وفى الاخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى
يبقى اعمالهم لكونها عند الله تعالى من اليا قيات الصالحات وما عند الله باق والباقى
يبقى مع علمه وامددناهم اى الذين امنوا والمتقين ومن الحقنا بهم من
ذرياتهم بما لتناهم العظمة بفاكهة وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم
ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نوعه فى الدنيا وان كانت عيش الجنة لجميع
الاشيا نقلها ليس فيه شى يقصد به حفظ البدن قال تعالى ولحم مما يشتهون
من انواع اللحمات والمعنى زدناهم ما كولا ومشروبا فالما كول الفاكهة واللحم
والمشروب الكاس وفى هذه الطيفة وهى انه تعالى لما قال وما التناهم ونفى
النقصان يصدق بحصول المساوى فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على
المساوى بل بالزيادة والامداد وقوله تعالى يتنازعون فى موضع نصب على
الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستانفا وقوله تعالى فيها يجوز ان
يعود الضمير لشربها ويجوز ان يعود للجنة ومعنى يتنازعون يتعاطون وقيل
ان يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب متنازعة

وفيه نوع لذة لانهم يفعلون ذلك هم وجلساوهم من اقربايهم واخوانهم كاسا
اى خمرا من رقة حاشيتها تكاد ان لاترى فى كاسها لالغو اى لاسقط حديث
وهو ما لا ينتفع من الكلام ولا يضر فيها اى فى تنازعها ولا يسببها لانها لاتذهب
بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل بخلاف المتعادين فى الدنيا على الشراب
بسفههم وعربدتهم ولا تاثيم اى لايكون منهم ما يوثمهم قال الزجاج لايجرى
منهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجرى فى الدنيا لشربه الخمر قال الرازى ويحتمل
ان يكون المراد من التاثيم السكر وقيل لايا ثمون فى شربها وقرا ابن كثير وابو عمرو
بنصب لغو وتاثيم من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما مع التنوين ولما كانت
المعاطات لايكمل بسطها ويعظم انسها الا بخدم وسقاة قال تعالى ويطوف
عليهم بالكوؤس وغيرها من انواع التحف غلمان اى ارقاء ولما كان احب ما الى
الانسان ما يختص به قال تعالى لهم ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن انهم الذين
كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم واحدا فى الدنيا بقول او فعل ان
يكون خادما له فى الجنة فيحزن بكونه لايزال تابعا وافاد التنكير ان كلا من وخل
الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك كانهم فى بياضهم وشدة صفايهم لولو مكنون
اى مخزون مصون لم تمسه الايدى قال سعيد بن جبير يعنى فى الصدف لانه فيها
احسن منها فى غيرها ومصون فى الجنة لم تغيره العوارض قال عبد الله بن عمر
ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه
هذه صفة الخادم واما المخدوم فروى عن الحسن انه لما تلى هذه الاية قالوا يا رسول
الله الخادم كاللولو المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على سايرالكواكب وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل
الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك وقرا
السوسى وشعبة لولويا بدل والباقون بالهمز واقبل بعضهم لما ازدادوا من
السرور واللذة والحبور على بعض يتساءلون اى يسال بعضهم بعضا فى الجنة
قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف فى الدنيا قالوا اى قال
كل منهم انا كنا قبل اى فى دار العمل فى اهلنا على ما لهم من العدد والعدة

ولنا بهم من جوالب اللذة والدواعي الى اللعب مشفقين اى غريقين فى الخوف
من الله تعالى لا يلهينا عنه شى مع لزومنا لما تعذر عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره
لما له من العظمة والجلال والكبريا والكمال حق قدره والمعنى انهم يسالون عن
سبب ما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة فيقولون ذلك خشية الله اى كنا
نخاف الله فمن الله الذى له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه علينا بالرحمة
والتوفيق ووقانا اى وجنبنا بما سترنا به عذاب السموم قال الكلبى عذاب
النار وقال الحسن السموم اسم من اسما جهنم والسموم فى الاصل الريح الحارة التى
تتخلل المسام والجمع سمايم يقال سم يومنا اى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة
الحر او شدة البرد فى النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل
والحرور بالليل وقد يكون بالنهار انا كنا اى بما طبعنا عليه وهيئنا له من قبل
اى فى الدنيا ندعوه اى نساله ونعبده بالفعل واما خوفنا بالقوة فقد كان
فى كل حركة وسكون ثم عللوا دعاوهم اياه موكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم
مما لا يكاد يفعله غيره فهو مما يتعجب منه غاية العجب بقولهم انه هو اى وحده
وقرا نافع والكساى بفتح الهمزة والباقون بكسرها البر اى الواسع الجود الذى
عطاوه حكمة ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطا ولا يزيده منع فهو يبر عبده
المومن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبوس فهو يختار له
من الاحوال ما هو خير له ليوسع له البر فى العقبى فعلى المومن ان لا يتهم ربه
بشى من قضايه الرحيم اى للكرم لمن اراد من عباده باقامته فيما يرضاه
من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر فى خدمته ولما بين تعالى ان فى الوجود
قوما يخافون الله تعالى ويشفقون فى اهلهم والنبى صلى الله عليه وسلم
مامور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد
فوجب التذكير فلذلك قال تعالى فذكر اى عظ يا اشرف الخلق بالقران
ودم على ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن مجنون فما انت بنعمة
ربك اى بسبب ما انعم به عليك المحسن اليك من هذا الناموس الاعظم
بعد تاهيلك له بما هياك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال

وجود

وجود الكف وطهارة الاخلاق وجعلك اشرف الناس عنصرا واكملهم نفسا
وازكاهم خلقا وهم معترفون له بذلك قبل النبوة واكد النفى بقوله تعالى بكاهن
اى تقول كلاما مع كونه سجعا متكلفا اكثره فارغ ويحكم على المغيبات من غير
وحى ولا مجنون اى تقول كلاما لا نظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا يغرنك
قولهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة اصلا وعما قليل يكون
عيبا لهم لا يغسله عنهم الا اتباعهم لك فمن اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر
على عناده استمر تبابه وخسارة تنبيه نزلت هذه الاية فى الذين اقتسموا
عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون
والشعر ام يقولون اى هولا المقتسمون شاعر اى هو شاعر قال الثعلبى قال
الخليل كلما فى سورة والطور من ام فاستفهام وليس بعطف وقال ابو البقا ام
فى هذه الايات منقطعة وتقدم الخلاف فى المنقطعة هل تقدر ببل وحدها
او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثانى وقال مجاهد فى قوله تعالى ام
تامرهم تقديره بل تامرهم نتربص اى تنتظر به ريب المنون اى حوادث الدهر
وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو
متزلزل قال الشاعر ٭ تربص بها ريب المنون لعلها ٭ تطلق يوما او يموت حليلها ٭
وقال ابو ذويب ٭ امن المنون وريبها يتوقع ٭ والدهر ليس بمعتب من يخدع ٭
والمنون فى الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد
وتقطع المدد والمعنى بل يقولون يعنى هولا المقتسمين الخراصين شاعر نتربص
به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك ان العرب كانت تحترز عن
ايذا الشعرا فان الشعر كان عندهم يحفظ فقالوا لا نعارضه فى الحال مخافة ان
يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من
الشعرا ويتفرق اصحابه فان اباه مات شابا ونحن نرجوا ان يكون موته
كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الدهر وبمعنى الموت سيما بذلك لانهما
يقطعان الاجل ثم انه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل اى لهولا
البعدا تربصوا اى انتظروا بى الموت ولم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها

على انها من السقوط بمنزلة ما لا يحتاج معه الى رد بجادلة ثم سبب عن امره لهم
بالتربص قوله فان معكم من المتربصين اى الفريقين فى التربص وان ظننتم خلاف
ذلك واكده تنبيها على انه يوجو الفرج بمصيبتهم كما يرجون الفرج بمصيبته واشار
بالمعية الى انه صار لهم فى ذلك وان ظنوا الكثرة لهم وقوتهم ووحدته وضعفه ات
الامر بخلاف ذلك قال القشيرى جا فى التفسير ان جميعهم اى الذين تربصوا به
ماتوا ولا ينبغى لاحد ان يومل نفاق موته بموت احد لتنهى التوبة اليه فعقل من
تكون هذه صفاته الا سبقته المنية ولا يدرك ما تمناه من المنية فان قيل
هذا امر للنبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الامر يوجب المامور به او يبيحه ويجوزه
وتربصهم كان حراما اجيب بان ذلك ليس بامر وانما هو تهديد اى تربصوا
ذلك فانى متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شيت فانى لست
عنك بغافل ام تامرهم اى تزين لهم تزيينا يصير مالهم اليه من الانبعاث كالامر
احلامهم اى عقولهم التى بزعمهم انهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث
انه كان يقال فيهم اولو الاحلام والنهى فازرا الله تعالى بعقولهم حين لم تتم
لهم معرفة الحق من الباطل وذلك ان الاشيا لا يعبا بها الا ان تزينت بعقل او نقل
هل كرفقال ورد امر سمى ام عقولهم تامرهم بهذا اى قولهم له ساحر كاهن
مجنون وقيل الى عبادة الاوثان وقيل الى التربص اى لا تامرهم بذلك ام اى بل
هم بطواهرهم وبواطنهم قوم ذو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك طاغون اى
تغترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد
فى العصيان وكذلك كل شى مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى الما تنبيه اعلم ان
قوله تعالى ام تامرهم مفصل تقديره انزل عليهم ذكرام تامرهم احلامهم بهذا وفى
هذه الاية اشارة الى ان كلما لا يكون على وفق العقل لا ينبغى ان يقال وانما
ينبغى ان يقال ما يجب قوله عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب
واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه
والحلم من الاحتلام وهو ايضا سبب وقار المرء وثباته لان الحلم فى اصل المعتقن
هو ما يراه النايم فيترك ويلزم الغسل الذى هو سبب البلوغ وعنده يصير الانسا

مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل العقل
ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه
يريد به كمال العقل ام يقولون ما هو افحش عارا من التناقض تقوله اى تكلف
قوله تعالى من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام
بعضهم بالعلم وعراقة اخرين فى الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزوا عن مثله
بل عن مثل شى منه تنبيه النقول تكلف العقول ولا يستعمل الا فى الكذب وهذا
ايضا متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره كاهن ام يقولون تقوله
والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يومنون بالقرات استكبارا ثم الزمهم الحجة وابطل
جميع اقسام فتقال عز من قايل فليا توا اى على اى تقدير اراده بحديث اى
كلام مفرق يحدو اتيانه مع الزمان مثله اى القران فى البلاغة وصحة المعانى
والاخبار بالمغيبات. مما كان او يكون على ما هى عليه لانكلفهم ان ياتوا به جملة
فان قيل الصفة تتبع الموصوف فى التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث
وهو منكر ومثله مضاف الى القران والمضاف الى القران معرف فكيف هذا اجيب
بان مثل وغير لا يتعرفان بالاضافة وذلك ان غير ومثل وامثالهما فى غاية التنكير
لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شى فان كل شى مثل زيد فى شى فالحمار مثله
فى الجسم والجرم والامكان والنبات مثله فى النمو والنشو والذبول والفنا والحيوان
مثله فى الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر
وعند قطع الاضافة ربما تتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار فى غاية الابهام
فانه يتناول امورا لا حصر لها واما اذا قطعت غير عن الاضافة فربما يكون
الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كاسما الاجناس وتجعله
مبتدا او تريد به معنى معينا تنبيه قال المعتزلة المحدث محدث والقران
سماه حديثا فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشترك يقال للمحدث
والمنقول وهذا يصح ان يقال هذا حديث قديم اى متقادم العهد لا بمعنى سبب
الاولية وذلك لا نزاع فيه قال بعض العلما وهذا امر تجويز قال الرازى
والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ايتوا مطلقا بل قال تعالى ان

كانوا اى كونهم راسخون فيه صادقين اى فى ان تقوله من عند نفسه كما يزعمون
فهو امر متعلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله
تعالى فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر
وفى هذا تشنيع عليهم شنوا ادعوا انه مجنون ام شاعر ام كاهن ام غير ذلك لان
العادة تحيل ان ياتى واحد من قوم وهو مساولهم بما لا يقدرون كلهم على مثله
والعاقل لا يجزم بشئ الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما
ياتى به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلد والنسب وبعضهم
يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلما ومناولة الخطب والرسايل
وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتاييد الهى وهو المراد من تكذيبهم
ام خلقوا اى وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة من غير شئ اى خالق
خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق
من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون
لانفسهم وذلك فى البطلان اشد لانه ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان
قامت الحجة عليهم بانهم خالقا والله تعالى فلم لا يوحدونه ويومنون برسوله
ويكتابه وقال الزجاج معناه اخلقوا بلا طلا لا يحاسبون ولا يومنون وقال
ابن كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يومرون ولا ينهون كقول القايل فعلت
كذا وكذا من غير شئ اى لغير شئ ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم
لله امر وقيل معناه اخلقوا من غير اب وام تنبيه لاضراب اى ام هنا ليست
بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد ما يقع فى صدر الكلام من الاستفهام
بالهمزة كانه يقول اخلقوا من غير شئ قال الرازى ويحتمل ان يقال هو على اصل
الواقع للاستفهام الذى يقع فى اثنا الكلام وتقديره اخلقوا من غير شئ
ام هم الخالقون ام خلقوا اى على وجه الشركة السموات والارض فهم بذلك عالمون
بما فيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا انك تقوله ليصير لهم رده
والتهكم عليه بل لا يوقنون اى ليس لهم نوع يقين والا لامنوا برسوله وكتابه
ام عندهم اى خاصة دون غيرهم خزاين ربك اى المحسن اليك بارسالك فيعلموا

ان هذا الذى اتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم انك تقوله ام هم
اى لا غيرهم المسيطرون اى الرقبا الحافظون والمتسلطون الجبارون الرؤسا
الحكام الكتبة ليكونوا قواضا بطين الاشيا كلها كما شان كتاب السر عند الملوك
فيعلموا انك تقولت هذا الذكر لانهم يكتبوا به اليك ام لهم سلم يصعدون
به الى السما يستمعون اى يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها فيه اى صاعدين
فى ذلك السلم الى كلام الملايكة وما يوحى اليهم من علم الغيب
حتى يعلموا ما هو كائن فليات مستمعهم اى مدعى الاستماع بسلطان مبين
اى بحجة بينة واضحة ونسبة هذا الزعم لزعمهم ان الملايكة بنات الله قال
الله ام له البنات اى بزعمكم ولكم البنون اى خاصة لتكونوا اى اقوى منه
فتكذبوا برسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا امنين من
عذاب يا تيكم منه لضعفه وقوتكم ام تسالهم اى ايها الطاعم الكثيم البعيد عن
مواقع التهم اجرا على بلاغ ما ياتيهم به فهم من مغرم اى غرم تلك ولو قل والقرم
التزام ما لا يجب مثقلون فهم لذلك يكذبون من كان سببا لهذا الثقل بغير مستند
ليستريحوا مما جره لهم من الثقل ام عندهم الغيب اى خاصة بهم الغيب اى علم ما غاب
عنهم فهم يكتبون اى يحدثون الناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم
ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبونك الى
خبوك اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك منه وقال ابن عباس معناه
ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام فى
الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتريت اللحم
تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما معينا ام يريدون اى بهذا القول الذى يرمونك
به كيدا اى مكرا وضررا عظيما يهلكون به فالذين كفروا وكان الاصل فهم ولكنه
قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف هم اى خاصة المكيدون اى المغلوبون
المهلكون فانهم مكروا به فى دار الندوة فخيبه الله تعالى منهم ثم اهلكهم ببدر بعد
انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهى خمس عشرة مرة لان بدرا كانت فى
الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله تعالى من الاسباب

ما اوجب سوقهم الى هلاكهم بامور خارقة للعادة فلو كانت لهم بصاير لكفتهم فى
الدلالة والردع عن الضلالة والغواية ام لهم الة اى يمنعهم من التصدق بكتابتنا
لو يستندون اليه للامات من عذابنا غير الله الذى احاط بجميع صفات الكمال
سبحان الله الملك الاعظم الذى تعالى عن ان يدانى جنابه شايبة نقص عما
يشركون من الاصنام وغيرها تنبيه الاستفهام يام فى مواضعها للتقبيح
والتوبيخ ولما بين تعالى فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انهم لم يبق لهم عذر
فان الايات والحجج قد ظهرت ولم يوفقوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله
تعالى وان يروا اى معاينة كسفا اى قطعة وقيل قطعا واحدتها كسفة
مثل سدرة وسدر من السماجهارا نهارا ساقطا يقولوا جواب لقولهم واسقط
علينا كسفا من السما يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السما عليهم لم
ينتهوا عن قولهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب فان قيل لهم هو مخالف للسحاب
بصلابته وغلظته قالوا مركوم اى مركب بعضه على بعض فتلبد وتصلب
وقوله تعالى فذرهم اى اتركهم على شاحوالهم كقوله تعالى فاعرض عنهم وقوله
تعالى فتول عنهم الى غير ذلك فقيل كلها منسوخة باية القتال قال ابن عادل
وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن يصحبه دعه
فانه سيشال جنايته حتى يلاقوا يومهم الذى فيه اى لا فى غيره لانه ما حكمنا
به لا يتقدم ولا يتاخر يصعقون اى يموتون من شدة الاهوال وعظم الزلازل
كما صعق بنو اسرايل فى الطور ولكن لا نميتهم كما امتنا اوليك الا عند النفخ فى
الصور ليحشرهم للحساب الذين يكذبون به قال البقاعى والظاهر ان هذا اليوم
يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بانتصرفيه فما اغنى احدمنهم عن احد شيا كما قال
ابو سفيان بن الحارث ما هنا الا انا لقينا هم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا
كيف شاوا ويا سروننا كيف شاوا وقوله تعالى يوم لا يغنى اى بوجه من
الوجوه بدل من يومهم عنهم كيدهم اى الذى يرمونه بهذه الاقوال الممتنا قضة
شيا من الاغنا فى دفع شى يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون انه يغنى
عنهم فى غير ذلك من احوال هذه الدار ولا هم ينصرون اى يتجدد لهم نصرتنا

فى

فى ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى فان للذين ظلموا يجوز ان يكون
من ايقاع الظاهر موضع المضمر وان لا يكون المعنى وان للذين ظلموا وقعوا
الاشيا فى غير مواقعها كما يقولونه فى القرات ويفعلونه من العصيان ويعتقدونه
من الشرك والبهتان عذابا دون ذلك اى غير عذاب ذلك اليوم قال ابن
عباس يعنى القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين
وقال البراء بن عازب عذاب القبر والاية تحتمل هذه المعانى كلها ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان العذاب نازل بهم واصل اى وجد هذه الحقيقة لتصبر على ما انت
عليه من اداء الرسالة لحكم ربك اى الحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم
يرده لم يكن شى منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية فى معارج
الحكم وتسبيب عن ذلك قوله تعالى موكدا لما يغلب على الطبع البشرى فى
بعض اوقات الامتحان من نوع نسيان فانك باعيننا اى بمراى منا نراك
ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التى هى سياقها وهى ظاهرة فى الجمع
واشارة الانه محفوظ بالجنود الذين مر ويتهم من مرويته سبحانه وتعالى ملتبسا
بحمد ربك اى المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فلا يكون
فى ملكه ما لا يريد ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة حين تقوم قال سعيد بن جبير
وعطا اى قبل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس
خيرا ازدت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى ابو هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل
ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وقال ابن عباس معناه صل لله حين
تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبى هو ذكر
الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة لما روى
عاصم بن حميد قال سيلت عايشة باى شى كان يفتتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا

وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى وعافنى
ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين لامرنا ومن الليل الذى
هو محل السكون والراحة فسبحه اى صل له قال مقاتل يعنى صلاة المغرب
والعشا وادبار النجوم اى صل الركعتين قبل صلاة الغداة وذلك حين تدبر
اى تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هى فريضة صلاة
الصبح وهذه الاية نظير قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وقد تقدم الكلام عليها قال الرازى قال تعالى هنا وادبار النجوم وقال فى
ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع
ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم
نجوم السما وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى ولله يسجد من فى
السموات ومن فى الارض الاية والمراد من النجوم الوظايف وكل وظيفة نجم فى اللغة
اذا فرغت من وظايف الصلاة فقل سبحان الله كما مر وما رواه البيهقى فيما
للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والطور كان حقا على الله
ان يوسعه من عذابه وان ينعمه فى جنته حديث موضوع سورة والنجم مكية
ثنتان وستون اية وثلثمايه وستون كلمة والف واربعماية وخمسة احرف
بسم الله الذى احاط بصفات الكمال الرحمن الذى عم الموجودات بصفة
الجمال الرحيم الذى خص اهل وده بصالح الاعمال والنجم اذا هوى قال ابن
عباس فى رواية العوفى يعنى الثريا اذا غابت وسقطت وهوبت مغيبة والهوى
شمى الثريا نجما وجا فى الحديث عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى
الارض شى من العاهات الا رفع وارد بالنجم الثريا وقال مجاهد هو نجم السماء
كلها حين ينزع لغلظه واحد ومعناه الجمع سمى الكواكب نجما لطلوعه وكل طالع
نجم يقال نجم السن وانبت والقرن اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس
انه ما يرجم به الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالى هى
النجوم اذا انتشرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القران سمى نجما لانه
نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وسمى التفريق تنجيما والفرق بينهما هذا

قول

قول ابن عباس فى رواية عطا وقال الكلبى والهوى النزول من اعلى الى اسفل وقال
الاخفش النجم هو النبت الذى لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان
وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل
من السما ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هويا والكلام فى قوله
تعالى والنجم كالكلام فى قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال
والذاريات والمرسلات تنبيه اول هذه السورة مناسب لاخرها قبلها فانه
تعالى قال فى اخرتلك وادبار النجوم وقال تعالى فى اول هذه والنجم اذا هوى قال
الرازى والفايدة فى تقييد المقسم به فى وقت هويه انه اذا كان فى وسط السما يكون
بعيدا عن الارض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب
من الشمال فاذا نزل عن وسط السما تبين بنزوله من جانب المغرب عن المشرق
والجنوب عن الشمال وقوله تعالى ما ضل اى عن طريق الهداية صاحبكم محمد صلى
الله عليه وسلم وقتا من الاوقات جواب القسم وعبر بالصحبة لانها مع كونها ادل على
القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومقبحة عليهم انتهامه فى انذاره وهم يعرفون
طهارة شمايله وما غوى اى وما مال ادنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس
من اسباب غواية الشياطين وغيرها تنبيه الغى جهل عن اعتقاد فاسد وذهب
اكثر المفسرين الى ان الغى والضلال بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال
فى مقابلة الهدى والغى فى مقابلة الرشد قال تعالى قد تبين الرشد من الغى قال
الرازى وتحقيق القول فيه ان الضلال اعم استعمالا فى الوضع تقول ضل بعيرى
ورحلى ولا تقول غوى فايدة قيده افع الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
واما بقية الانبيا فدافعوا عن انفسهم ليس بى ضلالة ليس بى سفاهة ونحو ذلك
قاله القشيرى فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ما ضل صاحبكم وبين قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اجيب بان المراد من الاية الاتية ووجدك ضالا فهدى
عليه الان من الشريعة فهداك اليها بخلاف هذه الاية وما ينطق اى يجاوز نطقه
فيه فى وقت من الاوقات لا فى هذه الحال ولا فى الاستقبال نطقا ناشيا عن الهوى
اى عن امر كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعرا وغيرهم وما يقول هذا القران

من عند نفسه ان اى ما هو اى الذى يتكلم به من القرآن وكل اقواله وافعاله
واحواله الا وحي اى من الله تعالى وكذه يقوله تعالى يوحى اى يجدد اليه ايحاه
مناوقتا بعد وقت تنبيه استدل بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبيا
واجيب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد ومايستند
اليه كله وحيا لانطقا عن الهوى علمه اى صاحبكم الوحى الذى اتاكم به شديد
القوى فلا تعجبوا من هذه الايحار الزاخرة فان معلمه بهذه الصفة التى هو بها
بحيث ينفذ كل ما امره الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة
فى ابدا الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبيا وصعوده ارجى
من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض هقاب الارض المقدسة
فنفخه نفخة بجناحه فالقاه فى اقصى جبل الهند ذو مرة قال ابن عباس
ومنظر حسن وقال اكثر المفسرين ذو قوة وقدرة عظيمة على الذهاب فيما امر
به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو
صعب المراس فى مزاولته ما فى على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا توصف
الا الثقات له يعاجه الى غير ما امر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشان شديد
الشكيمة لا يسام فى شى يزاوله ومن جملتها اعطى من القوة القدرة على التشكل والى
ذلك اشار بما سبب عن هذا من قوله تعالى فاستوى اى فاستقام واعتدل
بغاية ما يكون من قوته على اكمل حالاته فى الصورة التى فطر عليها وهو اى والحال
ان جبريل عليه السلام بالافق الاعلى اى عند مطلع الشمس وذلك ان
جبريل عليه السلام كان ياتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الادميين
كما كان ياتى الانبيا عليهم السلام قبله فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض
ومرة فى السما فاما التى فى الارض ففى الافق الاعلى والمراد بالاعلا جانب
المشرق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان بحرا وكان جبريل واعده ان
ياتيه وهو بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر

صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل له جبريل عليه السلام فى صورة الادميين
ثم دنى اى قرب منه فتدلى اى زاد فى القرب فكان منه قاب اى قدر قوسين
اى عربيتين او ادنى من ذلك وضم الى نفسه حتى اقاق وسكن روعه وجعل
يمسح التراب عن وجهه واما فى السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا
فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم تنبيه القاب والقيب والقاد
والقيد والقيس المقدار وقد جا التعبير بالقوس والرمح والسوط والذراع
والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لصلاة الاان ترتفع الشمس
مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة موضع قده خير من
الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر
« وقد جعلتنى من خزيمة اصبعا » فان قيل ما تقدير قوله فكان قاب قوسين
اجيب بان تقديره فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه
المضافات كما قال ابو على « وقد جعلتنى من خزيمة اصبعا » اى ذا مقدار مسافة
اصبع وروى الشيبانى قال سالت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى
قال اخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود انه محمد صلى الله عليه وسلم راى جبريل له
ستمائة جناح وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال اخرون دنا الرب
عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين
او ادنى ومعنى دنوه تعالى تقرب منزلة لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه
تبارك وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت
اليه باعا ومن مشى الى اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازى قال
البغوى وروينا فى قصة المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابى نمر عن
انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وفى
رواية ابى سلمة عن ابن عباس قال مجاهد فى جبريل من ربه وقد قدمت
الكلام على المعراج وعلى جواز رويته صلى الله عليه وسلم ربه فى اول الاسرا
وقال الضحاك دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فاهوى
للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب والقوس

مارئى به فى قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان بين
جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد
معناه حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فى
ذلك ان الحليفين من العرب كانا اذا اراد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما
فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه
وقال عبد الله بن مسعود وقاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد
ابن جبير والقوس الذراع يقاس بها كل شى اوادنى بلا قرب وانما ضرب
المثل بالقوس لانها لا تختلف بالعرب فاوحى اى الله تعالى وان لم يجر له ذكر
لعدم اللبس الى عبده اى جبريل عليه السلام ما اوحى اى جبريل عليه السلام
الى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشانه وهذا التفسير مما
جرى عليه الجلال المحلى وهو ظاهر وقيل اوحى الى جبريل بسبب هذا القرب ومعنى
الى عبده اى عبد الله ما اوحى اى جبريل وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو
المعين بشديد القوى كما فى قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه
برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف فى الموحى
على اقوال الاول قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما الى قوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك الثانى اوحى اليه الصلاة الثالث ان احدا من الانبيا
لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل امتك الرابع انه جمع لا يطلع
عليه احد وتقيد ما قبله على الجملة الخامسة ان ما للعموم والمراد كل ما جا به جبريل
ما كذب الفواد اى فواد النبى صلى الله عليه وسلم ما راى اى ما راى ببصره
من صورة جبريل عليه السلام وهذا ايضا ما جرى عليه الجلال المحلى وقال البقاعى
ما راى البصر اى حين رؤية البصر كائنا حاضر القلب لانها رؤية بصر فقط يمكن
فيها الخلو عن حضور القلب وقال العشرى ما معناه ما كذب فواد محمد صلى
الله عليه وسلم ما راه ببصره على الوصف الذى علمه قبل ان راه فكان علمه حق
اليقين وقرا هشام بتشديد الذال والباقون بالتخفيف وقوله تعالى افتمارونه
اى تجادلونه وتغلبونه على ما يرى خطاب للمشركين المكذبين برؤية النبى

صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعايشة ومن قال ان
المرئى هو الله تعالى اختلفوا فى معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره فى فواده
بفواده وهو قول ابن عباس قال راه بفواده مرتين ما كذب الفواد ما راى
وقال انس والحسن وعكرمة راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينه وروى
عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة
واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية
وكانت عايشة تقول لم ير محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على رؤية
جبريل قال مسروق قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف
شعرى مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدث ان
محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرات وما تدرى نفس ماذا
تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ومن حدثك انه كتم شيا مما
انزل الله تعالى فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
الاية ولكنه راى جبريل فى صورته مرتين وروى ابو ذر قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نورانى اراه وحاصل المسئلة
ان الصحيح ثبوت المسئلة وهو ما جرى عليه ابن عباس جبر الامة وهو الذى
يرجع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابو عمرو فاخبره انه راه ولا يقدح فى ذلك
حديث عايشة لانها لم تخبر انها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لم ار وانما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو
الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه
نفى الرؤية بغير احاطة واجيب عمن احتجا بها بقوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الاية بانه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز
وجود الرؤية من غير كلام وبانه عام مخصوص بما تقدم من الادلة واما قوله
صلى الله عليه وسلم نورانى اراه فقال الماوردى الضمير فى اراه عايد الى الله

تعالى ومعناه انه خالق النور المانع من رويته اى رؤية احاطة كما مر اذ من
المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه
عن ذلك فان قيل هلا قيل افتمارونه على ما يرى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه
حين اسرى به فقالوا صف لنا ربك بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق
وغير ذلك مما جادلوه به واما الحكمة فى ابرازه بصيغة المضارع اجيب
بان التقدير افتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد راه فى السما فاذا تتولوف
فيه والواو فى قوله تعالى ولقد راه يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للحال
اى كيف تجادلونه فيما راه وهو قد راه نزلة اخرى على وجه لا شك فيه
تنبيه قوله تعالى نزلة فعلة من النزول كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول
واختلفوا فى ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير فى راه عايد الى جبريل
اى راى جبريل نزلة اخرى اى راى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا
من السما مرة فى الارض ومرة فى السما عند سدرة المنتهى قال الرازى ويحتمل
ان تكون المنزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثانى ان الضمير عايد الى الله تعالى
اى راى الله نزلة اخرى وهذا قول من قال فى قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى
هو الله تعالى وقد قيل اذا النبى صلى الله عليه وسلم راى ربه بقلبه مرتين
وعلى هذا فحتى النزول وجهان احدهما قول من يجوز على الله الحركة من غير تشبيه
وثانيهما ان نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث ان محمدا راى الله تعالى
نزلة اخرى والمراد من النزلة ضدها وهو العرجة كانه قال راه عرجة اخرى
قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كان للنبى صلى الله عليه وسلم عرجات فى تلك
الليلة لمسيلة التخفيف فى الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه فى بعضها
وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده مرتين وعنه
انه راى بعينه وعلى ان المراى هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى
ظرفا للمراى كما اذا قال القابل رايت الهلال فيقال له اين رايته فيقول على السطح
وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله تعالى فى مكان فذلك
باطل فان قيل بان المراى جبريل عليه السلام فظاهر تنبيه اضافة السدرة

الى المنتهى تحتمل وجوها احدها اضافة الشى الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا
فالمنتهى حينئذ موضع لا بتعداه ملك قال هلال ابن كيسان سال ابن عباس
كعبا من سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على رؤس
حملة العرش واليها ينتهى علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى
وقيل ينتهى اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهى اليها
الملايكة والانبيا وقال الربيع تنتهى اليها ارواح المومنين وثانيها اضافة
الملك الى مالكه كقوله دار زيد وشجر زيد وحينئذ المنتهى اليه محذوف تقديره
سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى
واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال
فى التسبيح باغاية رغبتاه وياغاية املاه وثالثها اضافة المحل الى الحال كقوله
كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم فتتلقى هناك قال
البقاعى وذلك والله اعلم ليلة الاسرا فى السنة الثالثة عشر من النبوة قبل
الهجرة بقليل بعد ان ترقى فى معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما
بينهما من المسافات فانتهى الى منتهى يسمع فيه صرير الاقلام وعظمها بقوله
تعالى عندها اى السدرة جنة الماوى اى الذى لا ماوى فى الحقيقة غيره وهى
الجنة التى وعد بها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هى جنة اخرى عندها
تكون ارواح المومنين الشهدا تاوى اليها وقيل هى جنة الملايكة وقوله تعالى
اذ معمول لراى اى راى من ايات ربه الكبرى حين يغشى السدرة وهى شجرة النبق
وقوله تعالى ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا فيما يغشاها فقيل
فراش اوجراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال الرازى
وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر والا فوجه ان ينتهى
قال القرطبى ورواه ابن مسعود وابن عباس موفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قايل
اذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملايكة تغشاها كانهم طيور بر تقوف اليها

متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وروى في حديث المعراج
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بي الى سدرة المنتهى
وورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كقلال هجر قال فلما غشيها من امر الله تعالى
ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يقدر ان ينعتها من حسنها فاوحى الي
ما اوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقيل يغشاها انوار الله تعالى
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار
لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعله دكا ولم تتحرك الشجرة وخر
موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابهمه تعظيما له
والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القران قيل لما اختيرت
السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قال لان السدرة تختص بثلاثة
اوصاف ظل ممدود وطعم لذيذ ورايحة زكية فشابهت الايمان للذي يجمع قولا
وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوره وطعمها بمنزلة النية لكمونها
وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قطع سدرة صوب الله تعالى راسه في النار وسيل ابو داود عن معنى هذا الحديث
فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم
عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى راسه في النار ثم اكد سبحانه
الروية وقررها بقوله تعالى **ما زاغ** اي ما مال ادنى ميل **البصر** اي الذي لا بصر لمخلوق
اكمل منه فما قصر عن النظر الى ما اذن له فيه ولا زاد **وما طغى** اي تجاوز الحد الى ما لم
يوذن له فيه مع ان ذاك العالم غريب عن بني ادم وفيه من العجايب ما يجبر
النظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على اتم
قوانين العدل فاثبت ما راه على حقيقته وكما هو قال السهروردي في اول
الباب الثاني والثلاثين من عوارفه واخبر تعالى بحسن ادبه في الحضرة بهذه
الاية وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم **تنبيه** اللام في البصر تحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ البصر
لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد

والفراش

والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده
فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلا وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان
قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما لم يلتفت يمنة ولا يسرة
بل اشتغل بمطالعتها الثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه
السلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد صلى الله عليه
وسلم وفي الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع
لعظم هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه ادل على العموم
فان النكرة في معرض النفي نعم اجيب بان هذا مثل كقوله تعالى لا تدركه
الابصار ولم يقل ولا يدركه بصر ولما كانوا قد انكروا الاسرا انكارا لم يقع لهم في
غيره مثله زاد في تاكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى **لقد راى** اي ابصر بما
اهلناه له من الرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر على
الظواهر **من ايات ربه** اي المحسن اليه بما لم يصل اليه احد قبله ولا يصل اليه
احد بعده **الكبرى** اي العظام اي بعضها واختلف في ذلك البعض فقيل جبريل
عليه السلام راه في صورته له ستماية جناح قال الرازي والظاهر ان هذه الاية
غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملايكة
اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال راى من ايات ربه ايات هن اكبر
الايات وقيل راى رفرفا اخضر سد الافق وقيل اراد ما راى في تلك الليلة في
مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبيا عليهم الصلاة والسلام في
السموات ولما قرر تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبدا به الرسول وهو التوحيد
ومنع الخلق عن الاشراك بقوله تعالى **افرايتم اللات والعزى** اشارة الى ابطال
قولهم كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم راه العقلا في غاية البعد عما يدعيه يقولون
انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره
فلذلك قال تعالى افرايتم اللات والعزى اي كما هما فكيف تشركونهما بالله
سبحانه وتعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغسان وهما اعظم
اصنامهم اشتقوا لهما اسما من اسما الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العز

العزى تانيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد ان العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول ياعزى كفرانك لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له قد قطعتها فقال ما رايت قال ما رايت شيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلت فيه فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هى صنم لغطفان وضعها لهم سعيدين ظالم الغطفانى وذلك انه لما قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بهما فعاد الى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا به قال انا اضع لكم كذلك واخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذى اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد هى بيت بالطايف كان يعبده ثقيف واما قوله تعالى ومناة فقال قتادة هى صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عايشة فى الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت بالمشلل تعبده بنو اكعب وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبده اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى الثالثة الاخرى نعت لمناة اذ هى الثالثة للصنمين فى الذكر واما الاخرى فقال ابو البقاء توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال الزمخشرى والاخرى ذم وهى

المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت اخراهم اى وضعاهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى انتهى قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شى فلقرينة خارجية انتهى ووجه الترتيب ان اللات كانت وثنا على صورة ادمى والعزى شجرة ببنات وعناة صخرة فهى جماد فى اخر اية المراتب فان قيل ما فايدة الفا فى قوله تعالى افرايتم وقد ورت فى مواضع بغيرها كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون من دون الله ارايتم شركاءكم اجيب بانه تعالى لما قدم عظمته فى ملكوته وان رسوله الى الرسل سد الافاق ببعض اجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال افرايتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال يالفا اى عقب ما سمعتم من عظمة ايات الله الكبرى ونفاذ علمه فى الملا الاعلى وما تحت الثرى انتقلوا الى اللات والعزى تعلما فساد ما ذهبتم اليه تنبيه مفعول ارايت الاول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف والمعنى اخبرونى الهذا الاصنام قدرة على شى مما تعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرا ابن كثير مناة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بغير همز ولما زعموا ايضا ان الملايكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل لكم اى خاصة الذكر اى النوع الاعلى وله اى وحده الانثى اى النوع الاسفل تلك اى هذه القسمة البعيدة عن الصواب اذا اى اذ جعلتم البنات لله والبنين لكم قسمة ضيزى اى جايرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق الى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما وصلتكم الكراهة له الى دفنه حيا بل كان ينبغى ان تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفتم العقل والنقل والعادة ان اى ما هى اى هذه الاصنام الا اسما اى لا حقايق لها فيما ادعيتم لها من الالهية ليس لها من ذلك غير الاسماء وكذلك يقوله تعالى سميتموها اى ابتدعتم تسميتها فان قيل الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها اجيب بان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسما

وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمالا وضعتموها انتم وآباؤكم اى لاغير ما انزل الله
اى الذى له جميع صفات الكمال بها اى باستحقاقها للاسماء لما سميتموها به من الالهية
واغرق فى النفى فقال من سلطان اى حجة تصلح على ما يدعى فيها بل لمجرد الهوى لم يروا
منها ايه ولا كلمتكم قط كلمة تعتمدونها وعلى تقدير ان تتكلم الشياطين على السنتها فاى
طريقة قويمة شرعت لكم واى كلام صالح او بليغ بزر اليكم منها واى اية كبرى ارتكبتموها
ان اى ما يتبعون اى فى وقت من الاوقات فى امر هذه الاوثان بغاية جهدهم
من انها الهة وانها تشفع لهم او قرنهم الى الله الا الظن اى وهو غاية امرهم لمن يحسن
الظن بهم والظن ترجيح احد الجائزين على زعم القائل ولما كان الظن قد يكون
موافقا للحق مخالفا للهوى قال تعالى وما تهوى الانفس اى تشتهى وهى مائلة
من النقص لا تشتهى ابدا الا ما يهوى بها عن غاية العلو وجها الى اسفل حضيضها واما
المعالى وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال القشيرى فاما الظن
الجميل بالله تعالى واحكامه وصفاته انتهى ولهذا كان كثير من الفقه ظنيا وقال
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه انا عند ظن عبدى بى ولقد اى لعجب انهم
يعقلون ذلك والحال انه قد جاءهم من ربهم الحسن اليهم الهدى على لسان النبى
صلى الله عليه وسلم من البرهان القاطع انها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله
الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وقرأ
ابو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم ام للانسان اى للكل انسان منهم ما
تمنى من اتباع ما يشتهى من جاه ومال وطول ورفاهة عيش وظن ان الاصنام
تشفع له ليس الامر كذلك فلله اى الملك الاعظم وحده الاخرة فهو لا يعطى منها فيها
الا من اتبع الهدى هداه وترك هواه والاولى اى الدنيا فهو لا يعطى جميع الاماني
فيها لاحد اصلا كما هو مشاهد ولكنه يعطى منها ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم
عليه سبحانه فى شىء منها وكم من ملك اى كثير من الملائكة اى ممن يعبدهم هؤلاء الكفار
ودل على زيادة قوتهم بشرف مسكنهم وهو قوله تعالى فى السموات اى وهم فى الكرامة
والزلفى لا تغنى شفاعتهم اى عن احد من الناس شيا ثم قصر الامر عليه ورده محه
بحذافيره اليه بقوله تعالى الا من بعد ان يأذن اى يمكن ويريد الله اى الملك

الذى لا امر اصلا لاحد معه لمن يشاء من عباده من الملائكة او من الناس ان يشفع
ويرضى اى ويراه اهلا لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها تشفع لهم ان
الذين لا يؤمنون اى لا يصدقون بالاخرة ولا يقرون بالبعث وغيره من احوال
يوم القيامة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا
وذلك انهم كانوا يقولون الملائكة وجدوا من الله فهم اولاده بمعنى ايجادهم
انهم راوا فى الملائكة تا التانيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة
فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث فان قيل كيف يقال انهم لا يؤمنون
بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم
ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه اجيب
بانهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لو حشرنا فان كان فلنا شفعاء بل
ما حكى الله تعالى عنهم وما اظن الساعة قايمة ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى وبانهم ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذى ورد به
الرسل فان قيل كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث اجيب بان
المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الاى وما اى
والحال انهم ما لهم به اى بما يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول
الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى اى ما لهم بالله تعالى من علم ثم بين تعالى
الحامل لهم على ذلك بقوله تعالى ان اى ما يتبعون اى بغاية ما يكون من
شهوة النفس فى ذلك وغيره الا الظن اى الذى يتخيلونه واف اى والحال
ان الظن اى مطلقا فى هذا وفى غيره ولذلك اظهر فى موضع الاضمار لا يغنى
اى اغناء مبتديا من الحق اى الامر الثابت فى نفس الامر الذى هو حقيقة
الشى وذاته بحيث يكون الظن يدله والظن انما يعتبر فى العمليات لا فى العلميات
ولا سيما الاصولية شيا اى من الاغناء من احد من الخلق فانه لا يودى ابدا الى الجزم
بالعلم بالشى على ما هو عليه فى نفس الامر فهو ممنوع فى اصول الدين فان
المقصود فيها تحقيق الامر على ما هو عليه فى الواقع واما الفروع فان المكلف
به فيها هو الظن لكن بشرطه اما ذوق فيه وهو رده الى الاصول المستنبط

منها لعجز الانسان عن القطع فى جميع الفروع تنبيها على عجزه وافتقاره الى الله
تعالى ليعقل عليه وسرا من حوله وقوته ليكشف له عن الحقايق ولما ان اصروا
على الهوى بعد مجئ الهدى تسبب عن ذلك قوله تعالى فاعرض اى يا اشرف
الرسل عمن تولى اى كلف نفسه خلاف ما يدعوا اليه العقل والفطرة الاولى
عن ذكرنا اى القران الذى انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه ولم يرد اى فى
وقت من الاوقات الا الحياة الدنيا اى الحاضرة لتقيده بالمحسوسات
كالبهايم مع العمى عن دناتها وحقارتها قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر
بالجهاد قال الرازى واكثر المفسرين يقولون بان كل ما فى القران من قوله
تعالى فاعرض منسوخ بايات القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق
لاية القتال فكيف ينسخ بها وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم فى الاول
كان مامورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فاما عارضوه بايا طيلهم
وقيل لروجادلهم بالتى هى احسن ثم لما لم ينفع قال لربيه اعرض عنهم
ولا تقل لهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم
والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها ذلك
اى الامر المتناهى فى الجهل والقباحة مبلغهم اى نهاية بلوغهم وموضع
بلوغهم والحاصل لهم وتهكم بهم بقوله تعالى من العلم اى غايتهم من العلم انهم
اثروا الدنيا على الاخرة والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم على الدنيا وقوله
تعالى ان ربك اى المحسن اليك بالرسالة هو اعلم اى عالم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى اى ظاهرا وباطنا تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم
الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ
وقد بلغت لان النبى صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب للقلوب فاتى على ترتيب
الاطبا فى ان المرض اذا امكن بالغذا لا تستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا
الضعيف لا يستعملون الدوا القوى ثم اذا عجزوا عن المداوات بالمشروبات وغيرها
عدلوا الى الحديد والكى كما قيل اخر الدوا الكى فالنبى صلى الله عليه وسلم اولا امر
القلوب بذكر الله تعالى فان بذكر الله تعالى تطمين القلوب كما ان بالغذا تطمين

التقوس والذكر عند القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اولا قولوا لا اله الا
الله امرا بالذكر فانتفع مثل ابى بكر ومن لم ينتفع ذكرلهم الدليل وقال اولم يتفكروا
ثم انظروا افلا ينظروا الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد
فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فان قيل
ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك فى العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها
والمجنون الذى لا علم له اوالصبى الذى لا يومن بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم
الله تعالى اجيب بانه ذكر قبل ذلك انهم تزلوا عن ذكر الله تعالى فتولهم
ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب ولله اى الملك الاعظم وحده ما فى
السموات وما فى الارض اى من الذوات والمعانى فيشمل ذلك السموات والارض
فتعترض بين الاية الاولى وبين قوله تعالى ليجزى الذين اساوا اى بالضلال
بما عملوا اى بسببه وبجنسه اما بواسطتك سيوفك وسيوف اتباعك
اذا اذنت لكم فى القتال واما بغير ذلك بالموت حتف الانف تضرب الملايكة
وجوههم وادبارهم ثم بعذاب الاخرة على جميع ذنوبهم من غير ان يكون
عجل لهم فى الدنيا شى ينقص بسببه عذاب الاخرة تنبيه اللام فى ليجزى
يجوز ان تتعلق بقوله تعالى بمن ضل وبمن اللام للصيرورة اى عاقبة امرهم
جميعا للجزا بما عملوا قال معناه الزمخشرى وان تتعلق بما دل عليه قوله تعالى
اعلم بمن ضل اى حفظ ذلك ليجزى قاله ابو البقا ويجزى اى ويثيب ويكرم
الذين احسنوا اى على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى اذى اعدايهم بالحسنى
اى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وبين المحسنين بقوله الذين يجتنبون اى
يكلفون انفسهم ويجهدونها على ان يتركوا كباير الاثم والفواحش اى ما عظم الشاع
اثمه بعد تحريمه بالوعيد او الحد وقرا حمزة والكسائى بكسر الباء للوحدة وبعدها
ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها الف وبعد الالف همزة مكسورة
وعطف على كباير قوله تعالى الا اللمم فيه اوجه احدها وهو المشهور انه
استثنا منقطع اى لكن اللمم لانه الصغاير فلم تندرج فيما قبلها ثانيها انه
صفة والا بمعنى غير كقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اى كباير الاثم

والفواحش غير اللمم ثالثها انه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغاير
قالوا ان اللمم من الكباير والفواحش قالوا معنى الاية الا ان يلم بالفاحشة
مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن
ورواه عطا عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون
الشرك قال السدى قال ابو صالح سيلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت
هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك عن ابن عباس فقال لقد
اعانك عليها ملك كريم وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال
ما رايت شيا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا
العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق
ذلك او يكذبه ولمسلم كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان
زناهما النظر والاذان زناهما الاستماع واللسان زناه النطق واليد زناها
البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه تنبيه ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوايف الى انقسام
المعاصى الى كباير وصغاير وقد تظاهرت على ذلك دلايل الكتاب والسنة وقد
اختلف فى ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هى ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص
كتاب او سنة وقال جمع هى المعصية الموجبة للحد والاول اوجه لانهم عدوا
الربا واكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكباير ولا حد فيها وقال امام
الحرمين هى كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين واما تعريفها بالعد
فقال ابن عباس هى الى السبعماية اقرب اى باعتبار اصناف انواعها وما عدا
المحدود من المعاصى فمن الصغاير ولا يامر بذكر شى من النوعين فمن الاول تقديم
الصلاة او تاخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر مع القدرة ونسيان القران والياس من رحمة الله تعالى وامن مكر الله
تعالى وقتل النفس عمدا او شبه عمد والفرار من الزحف واكل الربا واكل مال
اليتيم والافطار فى رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط

تتمنى

وشهادة

وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ
ربع مثقال كما ينقطع به فى السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير
حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا وسب
الصحابة واخذ الرشوة والسحر والنميمة واما الغيبة فان كانت فى اهل
العلم وحملة القران فهى كبيرة والا فصغيرة ومن الصغاير النظر المحرم وكذب
لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك
فى الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب فى المصيبة والتبختر فى المشى
والجلوس بين الفساق ايناسا بهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة
يغلب تنجيسهم المسجد واستعمال نجاسة فى بدن او ثوب لغير حاجة
والاصرار على صغيرة من نوع او انواع يصيرها كبيرة الا ان تغلب طاعاته
على معاصيه كما اوضحت ذلك فى شرح المنهاج وغيره ان ربك اى المحسن اليك
بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن امتك واسع المغفرة يغفر الصغاير
باجتناب الكباير ويغفر الكباير بالتوبة وله ان يغفر ما شا من الذنوب ما عدا
الشرك صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا بخلاف غيره من الملوك فانه لا يغفر لمن كررت ذنوبه
اليهم وان صغرت قال البيضاوى ولعله عقب به وعيد المسيئين ليلا ييأس
صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى انتهى ونزل
فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا وهو اعلم بكم اى بذواتكم واحوالكم
منكم بانفسكم اذ اى حين انشاكم من الارض اى التى طبعها طبع الموت البرد
واليبس بانشا ابيكم ادم عليه السلام منها وتهييكم للتكوين بعد ان لم يكن
فيكم وانتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة ولا بعيدة اصلا فميز التراب
الذى يصلح لتكوينكم منه والذى لا يصلح واذ اى وحين انتم اجنة اى مستورون
فى بطون امهاتكم فهو يعلم اذ ذاك ما انتم صايرون اليه من خير وشر وان
علمتم مدة من العمر بخلافه لانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وقرا حمزة والكسائى
فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون واما فى

الابتدا بالهمزة فالجميع بضمها فلا تزكوا اى تمدحوا بالزكاة وهى البركة والطهارة
عن الدناة انفسكم اى حقيقة بان يثنى الانسان على نفسه فان تزكيته لنفسه
قال العشيرى من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى اى من مدح نفسه على
سبيل الاعجاب اما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن او مجازا بان يثنى على غيره
من اخوانه وانه كثيرا ما يثنى بشى فيظهر خلافه وربما حصل له الاذى بسببه
وان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع الحديث
ولذلك علل بقوله تعالى هو اعلم اى منكم ومن جميع الخلق بمن اتقى اى فانه يعلم
المتقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم عليه السلام فمن جاهد
نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يوصل من الثواب فى الدارين
فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا ولما بين جهل المشركين فى عبادة
الاصنام ذكر واحدا منهم بسوء فعله فقال تعالى افرايت الذى تولى اى عن
اتباع الحق والثبات عليه قال مجاهد وابو زيد ومقاتل نزلت فى الوليد بن
المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين
وقالوا له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله تعالى
فضمن الذى عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب
الله فرجع الولد الى الشرك واعطى الذى عيره بعض ذلك الذى ضمن ومنعه تمامه
فانزل الله تعالى افرايت الذى تولى اى اعرض عن الايمان واعطى قليلا اى من المال
المسمى واكدى اى منع الباقى ماخوذة من الكدية ارض صلبة كالصخرة تمنع حافر
البير اذا وصل اليها من الخير فاكدى اصله من اكدى الحافر اذا صقر شيأ فصادف
كدية منعته من الحفر ومثله اجبل اذا صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه
كلت من الحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيأ فلم يصل اليه اولم يتممه ولمن طلب
شيأ ولم يبلغ آخره قال الحطيئة واعطى قليلا ثم اكدى عطاه ومن يفعل
المعروف فى الناس يحمد ومال السدى نزلت فى العاصى بن وايل السهمى
وذلك انه ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقال محمد بن
كعب القرظى نزلت فى ابى جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم

الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى يعنى ان لم يوف به ومعنى اكدى قطع
وروى ان عثمان رضى الله تعالى عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال عبد الله بن سعد
ابن ابى سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شى فقال عثمان ان لى
ذنوبا وخطاى واننى اطلب بما اصنع رضا الله تعالى وارجو عفوه فقال عبد الله على
ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه واسك عن
العطا فنزلت وقوله تعالى اعنده علم الغيب اى ما غاب هو المفعول الثانى
لرايت بمعنى اخبرنى والمفعول الاول محذوف اقتصارا اعطى فهو اى فتسبب
عن ذلك انه يرى اى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ام اى بل لم ينبا اى يخبر
اخبارا عظيما متشابها بما فى صحف موسى اى التوراة المنسوبة اليه بانزالها
عليه وكذا ما تبعها من اسفار الانبيا الذين جاوا بعده بتقديرها وقدم
صحف موسى عليه السلام على قوله وابراهيم اى وصحفه لان كتاب موسى
عليه السلام بقوله تعالى الذى وفى اى اتم ما امر به من ذلك بتبليغ الرسالة
واستقلاله باعبا النبوة وقيامه باضيافه وخدمة ايامهم بنفسه
وانه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى
الصوم وعن الحسن ما امره الله تعالى بشى الا وفى به وصبر على ما امتحن به
وما تعلق شيا من قلق وصبر على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق
بل قال لجبريل عليه السلام لما قال له الك حاجة قال اما اليك فلا وقال
الضحاك وفى المناسك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم
الذى وفى اربع ركعات من اول النهار وهى صلاة الضحى وروى الا اخبركم لم
سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين
تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى
التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المومنون
قد افلح المومنون وخص هذين النبيين لان الموجودين من بنى اسرايل
اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب يدعون
متابعة ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا تمسك لهم ولا سلف فى نبوة

محققة ولا شريعة محفوظة وقرا هشام بفتح الها والف بعدها والباقون بكسر
الها ويا بعدها ثم فسر تعالى الذى فى الصحف او استانف بقوله ان لا تزر
اى تاثم وتحمل وازرة اى نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر وزر
اخرى اى حملها الثقيل من الاثم وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن
المغيرة ان يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم
عليه السلام ياخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه
واخيه وعمه وخاله وامراته والعبد بسيده حتى جاهم ابراهيم عليه السلام
فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى ولما
نفى ان يضره اثم غيره نفى ان ينفعه سعى غيره بقوله تعالى وان ليس للانسان
كاينا من كان الا ما سعى فلا بد ان يعلم الحق فى اى جهة فيسعى فيه ودعا
المومنين للمومن من سعيه بموادته ولو بمرافقته لهم فى الدين فقط وكذا الحج
عنه والصدقة ونحوهما واما الولد فواضح فى ذلك واما ما كان بسبب العلم
والصدقة ونحوهما فكذلك وتضمنه النبى صلى الله عليه وسلم عن امته اصل
كبير فى ذلك فان من تبعه فقد واده وهو اصل فى التصدق عن الغير واهداء
ماله من الثواب فى القراة ونحوها اليه وقال ابن عباس هذا منسوخ الحكم
فى هذه الشريعة اى وانما هو فى صحف موسى وابراهيم عليهما السلام بقوله
الحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقال عكرمة ان
ذلك لقوم موسى وابراهيم عليهما السلام واما هذه الامة فلهم ما سعوا
وما سعى لهم غيرهم لما يروى ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله
الهذا حج فقال نعم ولك اجر وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ان امى
انسلت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين
ابو العباس احمد بن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد
خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعا
غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل
الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكباير فى الخروج

من

من النار وهذا انتفاع بسعى الغير رابعها ان الملايكة يدعون ويستغفرون
لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار
من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان اولاد
المومنين يدخلون الجنة بعمل ابايهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها
قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح
ابيهما وليس من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق
بنص السنة والاجماع ومن عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت
بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور او الصوم
المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادى
عشرها المدين الذى امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى
دينه ابو قتادة وقضى دين الاخر على بن ابى طالب وانتفع بصلاة النبى
صلى الله عليه وسلم وبردت جلدته بقضا دينه وهو من عمل الغير ثانى عشرها
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلى
معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها ان الانسان تبرا ذمته
من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل غيره رابع عشرها
ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل عنها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل
الغير خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع فى المحيا والممات كما جا فى الاثر وهذا
انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن
منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع
بعمل غيره سابع عشرها الصلاة على الميت والدعا له فى الصلاة انتفاع
للميت بصلاة الحى عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة افضل باجتماع
العبد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع
عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مومنون ونسا مومنات وقال تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشرونها

ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعى له حادى عشرها ان الزكاة يجب فى مال الصبى والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعى له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعلمه ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان تتاول الاية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان يعنى الكافر واما المومن فله ما سعى وما سعى له وقيل ليس لاحد الكافر من الخير الا ما عمله يثاب عليه فى الدنيا حتى لا يبقى له فى الاخرة خير ويروى ان عبد الله بن ابى كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة فى الاخرة يثاب عليها **وان سعيه** اى من خير وشر **سوف يرى** اى فى ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعد لا خلف فيه وان طال المدى من اينه الشى اى يعرض عليه ويكشف له فان قيل العمل كيف يرى بعد وجوده ومضيه اجيب بانه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال الرازى وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل ما عدم فيعيد الفعل فيرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها او يحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما **ثم يجزاه** اى السعى **الجزاء الاوفى** اى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الرازى الجزاء الاوفى يليق بالمومنين الصالحين لان جزاء الصالح واجر قال تعالى فان جهنم جزاوكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من نفع الطعام فهى فى نفسها اوفى **وان الى ربك** اى المحسن اليك لا الى غيره **المنتهى** اى الانتهاء مرجوع الخلايق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وفيه منه ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وروى ابو هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفى رواية لا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره قال القرطبى ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم ياتى الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغه ذلك فليستعذ بالله تعالى ولينته احسن من قال ولا تفكرن فى ذى العلا عز وجهه

فانك

فانك ترى ان فعلت وتخذل ودونك مخلوقاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال الخليل اعجل وقيل المراد من الاية التوحيد وفى الخطاب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك ايها السامع او العاقل والثانى انه خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثانى يكون تسلية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام فى المنتهى للعهد الموعود فى القران وعلى الثانى تكون للعموم اى الى ربك كل منتهى وقوله تعالى **وانه هو** اى لاغيره **اضحك وابكى** يدل على ان كل ما يعمله الانسان بقضاء الله تعالى وخلقه حتى الضحك والبكا وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى اى قضى اسبابهما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبرئيل فقال ايت هولا فقل لهم ان الله تعالى يقول هو اضحك وابكى اى قضى اسباب الضحك والبكا وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد يقول

السن تضحك والاحشا تحترق ... وانما ضحكها زور ومختلق

يارب باك بعين لا دموع لها ... ورب ضاحك يسن ما به رمق

وقال مجاهد والكلبى اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقال عطا بن ابى مسلم يعنى افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكا من ساير الحيوان وقيل القرد وحده يضحك ولا يبكى وان الابل وحدها تبكى ولا تضحك وقال يونس بن الحسين سئل طاهر المقدسى اتضحك الملايكة فقال ما ضحكوا ولا كلمن دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عايشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكا احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكا اهله عذابا وان الله تعالى هو اضحك وابكى تنبيه قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى

ومابعده تسميه البيانيون الطباق المتضاد وهو نوع من البديع وهو ان يذكر
ضدان او نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه وامتحك وابكى لامفعول لهما فى
هذا الموضع لانهما سيقا لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول
كقول القايل فلان بيده الاخذ والعطا يعطى ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى
واختار هذين الموضعين المذكورين لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من
الطبايعيين ببيان لاختصاص الانسان بالضحك والبكا وجها وسببا واذا
لم يعلل بامر فلا بد له من موجد فهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم
يقولون سببهما اختلاف المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على ذلك
انهم اذا عللوا الضحك قالوا لقوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما
بهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك
لان الانسان قد يبكى لقوة الفرح كما قال بعضهم ، هجم السرور على حتى كانه
، من عظم ما قد سرنى ابكانى ، وانه هو اى لا غيره اماث واحيى وان رايتم
اسبابا ظاهرة فانها لا عبرة بها فى نفس الامر بل هو الذى خلقها اى اماث فى
الدنيا واحيا فى البعث وقال القرطبى قضا اسباب الموت والحياة وقيل امات
الابا واحيا الابنا وانه خلق الزوجين ثم فسرهما بقوله تعالى الذكر والانثى فانه
لو كان ذلك فى يد غيره لمنع البنات لانها مكروهة لغالب الناس وقوله تعالى
من نطفة اذا تمنى اى تصب يشمل سايرالحيوانات لا ان ذلك مختص بادم
وحوا لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة
جسم متناسب الاجزا ويخلق الله تعالى منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة
وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا لم يقدر احد على ان يدعى خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن
الله وقال قيل ما الحكمة فى قوله تعالى وانه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال
وانه هو امات وابكى اجيب بان الضحك والبكا ربما يتوهم انه بفعل الانسان
والاماتة والاحيا وان كان ذلك التوهم بعيدا لكن ربما يقوله به جاهل كما قال
من حاج ابراهيم عليه السلام فقال انا احيى واميت فاكد ذلك بالفصل واما

انه

انه يخلق احدا من الناس فلم يؤكد بالفصل الا ترى الى قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى
حيث كان الاغنا عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان فى معتقدهم ان ذلك بفعلهم
كما قال قارون انما اوتيته على علم عندى ولذلك قال هو رب الشعرى فاكد فى
موضع استبعادهم الى الاستاد ولم يؤكد فى غيره وانه عليه اى خاصا به علما وقدرة
النشاة اى الحياة الاخرى بالبعث يوم القيامة بعد الحياة الاولى فان قيل
الاعادة لا تجب على الله تعالى فما معنى عليه اجيب بانه عليه بحكم الوعد فانه
قال انا نحن نحيى الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرا ابن كثير
وابو عمرو بفتح الشين وبعدها الف ممدودة قيل الهمزة والباقون بسكون
الشين وبعدها الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين
وانه هو اى وحده من غير نظر الى سعى ساع ولا غيره اغنى قال ابو صالح اغنى
الناس بالاموال واقنى اقنى القنية واصول الاموال وما يدخر وقنية يعد
الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى
بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى
اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع قال الراغب
وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضى وقال سليمان التيمى اغنى نفسه وافقر
خلقه اليه وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقد يبسط الرزق لمن يشا
ويقدر وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد وقال الزمخشرى
اعطى اقنى القنية وهى المال الذى قانلت وعزت على ان لا يخرج من يدك
تنبيه حذف مفعول اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه
وكذلك باقيها والف اقنى منقلبة عن ياء لانه من القنية منقلبة قال الشاعر
، الا ان بعد الدم للمرء قنية ، ويقال قنيت كذا وقنيته فقنيت حيائى
عفة وتكرما وانه هو اى لا غيره رب الشعرى اى رب معبودهم وكانت
خزاعة تعبد الشعرى واول من سن ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة
عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى
مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وابو كبشة احد اجداد النبى

صلى الله عليه وسلم من قبل امهاتهم وبذلك كانت مشركوا قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف اديانهم تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير دينهم والشعرى في لسان العرب كوكبتان يسمى احدهما الشعرى الغميصاء وهي المرادة في الاية الكريمة وهي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار ايضا وتسمى الشعرى اليمانية والشامية الشعرى الغميصاء وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على ما زعمه العرب انهما كانتا اختين اوتروحين لسهيل فاخذ سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرا العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصاء تبكي حتى غمصت عينها ولذلك كانت اخفى من العبور وكان من لا يعبد الشعرا من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم **وانه اهلك عادا الاولى** وهم قوم هود هلكوا بريح صرصر والاخرى قوم صالح وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وقرا نافع وابو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة تقلا وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا قرا القارى عادا لولى لقالون وابو عمرو فائدة في الوصل اى وصل عادا بلولى وحينيذ واحد وهو النقل المذكور وقالون على اصله بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عادا وابتدا بالاولى فله الابتدا بهمز الوصل وهو الاولى وله ايضا الابتدا بغير همز الوصل وهو لولى وله ايضا الابتدا بالوصل وهو الاولى وقالون بهمز الواو في الوجهين الاولين ولم يهمز في الوجه الثالث الذي هو الاصل وواقفهما ورش في الاوجه المذكورة في الوصل والابتدا الا في الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل **وثمود** وهم قوم صالح **اهلكهم** الله تعالى بصيحة **فما ابقى** منهم احدا وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على الالف **وقوم نوح** اى اهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب **من قبل** اى قبل القريتين اى قوم نوح **كانوا** اى بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها **هم** اى خاصة **اظلم** اى من الطاغيتين المذكورتين **واطغى** اى واشد

تجاوزا في الظلم وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبرا وعتوا لتمادي دعوة نوح عليه السلام قريبا من الف سنة ولانهم اطول اعمارا واشد ايدانا وكانوا مع ذلك ملأ الارض روي ان الرجل منهم كان ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي قد مشى بي اليه وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه ولذا قال نوح عليه السلام لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى **والمؤتفكة** منصوب بقوله تعالى **اهوى** وقدم لاجل التفاصيل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط قال رفعها الى عنان السما على جناح جبريل عليه السلام ثم اهواها الى الارض اى اسقطها واتبعها حجارة النار الكبريتية وهو قوله تعالى **فغشاها** اى اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشا وهو له بقوله تعالى **ما غشى** اى اى عظيم من الحجارة المنضودة المسومة وغيرها مما لا تتسع العقول له وصفه **فباى الاى** النعم **ربك** اى المحسن اليك **تتمارى** اى تشك ايها الانسان وقيل الخطاب لابن الخميرة قال ابن عباس تتمارى اى تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى تشك في حالة الخواطر في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان احدا منهم يهلك وقد حكم ربك بالهلاك كثيرا منهم لما اقتضته حكمته فكان بعض خواطرك في تلك الحالة تشكك ببعضها بعضا **هذا** اى النبي صلى الله عليه وسلم **نذير** اى محذر يبلغ التحذير **من النذر الاولى** اى من جنسهم اى رسول كالرسل قبله ارسل اليكم كما ارسلوا الى اقوامهم وقال تعالى الاولى على تاويل الجماعة او هذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذر من جنس الانذارات الاولى التي انذرتها من قبلكم **ازفت الازفة** اى قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة وهو يوم القيامة **ليس لها من دون الله** اى من احد في رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وقوله تعالى **كاشفة** يجوز ان يكون وصفا على ان يكون مصدرا فان كانت وصفا احتمل ان يكون الثانيث لاجل انه وصف لمونث محذوف تقديره نفس كاشفة او حال كاشفة اى ببينة متى تقوم كقوله

تعالى لا يجليها لوقتها الا هو اوليس لها نفس كاشفة بالتاخير وان كانت مصدرا
فهى بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اى لا يكشف عنها ولا
يظهرها غيره افمن هذا الحديث قال الزمخشرين المراد بالحديث القران العظيم الذى
يتلى على سبيل التجدد بحسب الوقايع والحاجات تعجبون انكارا وهو فى غاية ما
يكون من ترقيق القلوب وقرا ابو عمرو بادغام المثلثة فى التا المثناة بخلاف عنه
وتضحكون اى استهزاء من هذا الحديث وتجدون ذلك فى كل وقت ولا تبكون اى
كما هو حق من يسمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازى يحتمل ان
يكون ذلك اشارة الى حديث ازفت الازفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد
والعظام البالية وقوله تعالى وانتم سامدون جملة مستانفة اخبر الله تعالى
عنهم بذلك ويحتمل ان تكون حالا اى انتفى عنكم البكا فى حال كونكم سامدين
واختلف فى معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة عن الشى اى وانتم معرضون
غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك اى لهوك قاله الواقدى
والعوفى عن ابن عباس وقال الشاعر
الا ايها الانسان انك سامد ... كانك
لا تغنى ولا انت هالك
فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل هو الجحود وقيل الاستكبار
قال الشاعر رمى الحدثان نسوة آل سعد ... بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ... وردد وجوههن البيض سودا
فهذا بمعنى الجحود والخشوع وقال عكرمة وابو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية
اسمدى لنا اى غنى لنا كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقال مجاهد اشرون
وقال الضحاك غضبان يتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهى الرافع راسه
من قولهم يعير سامدا فى سيره وقال الحسن الساهد الواقف للصلاة قيل وقوف
الامام لما روى انه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال
مالى اراكم سامدون وتسميد الارض ان يحفر فيها السماد وهو سرجين ورماد
وقوله تعالى فاسجدوا اى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود لله اى الملك الاعظم
يحتمل ان يكون المراد به سجود التلاوة وان يكون المراد به سجود الصلاة واعبدوا
اى اشتغلوا بكل انواع العبادة ولم يقل واعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله

تعالى فاسجدوا لله واما لان العبادة فى الحقيقة لا تكون الا لله ويقوى الاحتمال
الاول ما روى عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم
وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وعن عبد الله بن مسعود قال
اول سورة انزلت فيها السجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسجد من خلفه الا رجلا شيخا من قريش اخذ كفا من حصا او تراب فرفعه الى
جبهته وقال يكفينى هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد ذلك قتل كافرا وهو
امية بن خلف كما فى بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرات على النبى
صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة
غير واجب قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله لم يكتبها علينا وهو قول
الشافعى واحمد رضى الله عنهما اى فهى مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على
القارى والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثورى واصحاب الراى وذهب
قوم الى انها فى المفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به حديث موضوع

سورة القمر وتسمى اقتربت مكية

الا سيهزم الجمع
ويولون الدبر الايات وهى خمس وخمسون اية وثلثمائة واثنان واربعون
كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا بسم الله اى الذى احاط علمه
فتمت قدرته الرحمن الذى وسعت رحمته كل شى فعمت الشقى والسعيد تمته
الرحيم
اقتربت الساعة دنت القيامة وفى اول
هذه السورة مناسبة لاخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الازفة فكانه اعاد
ذلك مستدلا عليه بقوله تعالى اقتربت الساعة فهو حق اذ القمر انشق وقوله
تعالى وانشق القمر ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت
الى قوله وقد صح فى الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وروى انس بن مالك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما وقال سنان عن قتادة فاراهم
انشقاق القمر مرتين وقال ابو ضمرة الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة
وقال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة
واوقع الماضي موقع المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه
الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وانشد النابغة فلما ادبروا ولهم دوى
دعانا عند شق الصبح داعي وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى ابو
الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فاسئلوا السفار فسالوا قالوا نعم
قد رايناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اي كفار
قريش اية اي معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر يعرضوا عنها ويقولوا
هذا سحر مستمر اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشي واستمر
اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة وقال ابو العالية والضحاك
مستمر اي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته اذا احكمت
فتله واستمر الشي اذا قوي واستحكم وقيل مستمر اي دايم لا يختلف بالنسبة
الى شي بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز
عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر
الا انما الدنيا ليال واعصر وليس على شي قديم بمستمر وعن حذيفة
انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على
عهد نبيكم مستمر دايم مطرد وكل شي قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد
استمر وقال ابو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك
وقال ليلة بدر اي ليلة اربعة عشر في الشهر فسال ربه فانشق القمر فقالوا سحر
مستمر ولم يومنوا وكذبوا بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
وجزموا بالتكذيب عنادا واتبعوا اي بمعالجة فطرهم الاولى المستقيمة في دعايها
الى التصديق اهواهم في انه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور

شي

شي في جانب اخر من الجو يشبه نصف القمر وانه سحر اعتيادا وان القمر لم يصبه شي
فهذه اهواهم قال القشيري اذا حصل اتباع الهوى فمن سويه يحصل التكذيب
لان الله تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضا
مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فياتي
بالتصديق وكل امر اي من اموركم من الخير والشر مستقر اي باهله في الجنة او النار
وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر مستقر باهل الشر وقيل
مستمر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعذاب وقيل
كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شي فهم كذبوا واتبعوا اهواهم والانبيا
صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شي ولقد جاهم اي اهل مكة في
القران قبل الانشقاق من الانبا اي اخبار اهلاك الامم الماضية المكذبة
رسلهم لان الانبا الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجيتك من
سبا بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاكم فاسق
بنبا اي بامر عظيم له خطر وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه
امر ذو بال ما فيه خاصة مزدجر اي عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم
الا من اراد الله تعالى تنبيه المزدجر اسم مصدر اي ازدجار او اسم مكان اي
موضع ازدجار والدال بدل من تا الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة
وما موصولة او موصوفة وقوله تعالى حكمة خبر مبتدا محذوف او بدل من ما او
مزدجر بالغة اي لها اعظم البلوغ الى انهى غايات الحكمة لصحتها ووضوحها ففيها
مع الزجر ترجية ومواعظ واحكام ودقايق فما تغني اي تنفع النذر اي الانذارات
والمنذرون المنذر بها ومنها انما المعنى بها بذلك هو الله تعالى فما شاه كان وما
لم يشاه لم يكن قال البقاعي ولعل الاشارة باسقاط يا تغن باجماع المصاحف
من غير موجب في اللفظ الى انه سقطت غاية احرف الكلمة سقطت ثمرة
الانذار وهو القبول تنبيه يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل
نصب مفعولا مقدم اي اي شي تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر
شيا والنذر جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه وسلم

شديد التعلق بطلب نجاتهم فهو لذلك ربما اشتهى اجابتهم الى مقترحاتهم تسبب
عن ذلك قوله تعالى فتول عنهم اى كلف نفسك الاعراض عن تمنى ذلك فما عليك
الا البلاغ واما الهداية فالى الله تعالى وحده تنبيه قال اكثر المفسرين نسختها اية
السيف وقال الرازى ان قول المفسرين فى قوله تعالى فتول منسوخ ليس كذلك
بل المراد منه لانتاظرهم بالكلام وقوله تعالى يوم منصوب باذكر اى واذكر يوم يدع
الداعى وقيل منصوب بيخرجون بعد والداعى معروف كالمنادى فى قوله تعالى يوم
ينادى المنادى وداعيا يدعو فقيل الداعى اسرافيل عليه السلام ينفخ قائما
على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك
والتعريف حينيئذ لا ينقطع حد العلمية ويكون كقولنا جار جل فقال الرجل قاله
الرازى وقرا نافع وابو عمرو بحذف الياء بعد العين وقفا واثباتها وصلا وابن
كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا الى شئ نكر اى
منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما فان قيل ما ذلك الشئ المنكر اجيب
بانه الحساب او الجمع له او النشر للجمع فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه احيا ولان
الكافر من اين يعرف وقت النشر ما يجرى عليه لينكره اجيب بانه يعلم ذلك
لقوله تعالى عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرا ابن كثير سيكون الحاق
والباقون بالرفع وبما بين تعالى وعاه بما هال امره بين حال المدعو بن زيادة
فى الهول فقال تعالى خاشعا ابصارهم اى ينظرون نظر الخاضع الذليل الساقل
المنزلة المستوحش الذى هو شر حال وتسبب الخشوع الى الابصار لان الذل والعز
يتبينان فى النظر والذل الذى يرمى به صاحبه الى المرض مثلا مع هيئة يعرف منها
ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائى بفتح الخاء والف بعدها وكسر الشين والباقون بضم الخاء ولا الف بعدها وفتح
الشين مشددة اما القراة الاولى فهى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل
وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد تقول تخشع ابصارهم ولا تقول تخشعن
ابصارهم واما على القراة الثانية فجات على لغة طى يقولون اكلونى البراغيث
قال الزمخشرى ويجوز ان يكون فى خشعا ضميرهم وقع ابصارهم بدلا عنه انتهى

وتقدم

وتقدم تظير ذلك فى قوله تعالى فى الم نبيا واسرواالنجوى الذين ظلموا وجملة خاشعا
ابصارهم حال من فاعل يخرجون اى الناس من الاجداث اى القبور كانهم
جراد اى فى كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتوجههم يقال فى
الجيش الكبير المائج بعضه فوق بعض جاوا كالجراد وكالذباب منتشر اى منبث
متفرق فى كل مكان لكثرتهم لا يدرون اين يذهبون مهطعين اى مسرعين ماد
اعناقهم الى الداعى مصوبى رؤسهم اليهم لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر فى
ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل واما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى
يقول اى على سبيل التكرار الكافرون اى الذين كانوا فى الدنيا غريقين فى ستر
الادلة واظهار الاباطيل المضلة هذا اى الوقت الذى نحن فيه لما نرى فيه من
الاهوال يوم عسر اى فى غاية العسر والصعوبة والشدة وذكر بحسب حالهم فيه
كما قال تعالى فى سورة المدثر يوم عسير على الكافرين ولما فرغ من حكاية كلام الكا فرين
ومن ذكر علامات الساعة اعاد ذكر بعض الانبيا فقال تعالى كذبت اى
اوقعت التكذيب العظيم الذى تعمدوا به جهة الرسالات وجميع الرسل قبلهم اى
اهل مكة قوم نوح مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار فى جميع الاقطار
وانت فعلهم تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم فى جنب قدرته تعالى فان قيل الحاق
الضمير المونث بالفعل قبل ذكر الفاعل جايز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير
الجمع بالفعل قبيح عند اكثرهم فلا يجوز وكذبوا قوم ويجوز وكذبت قوم ما
الفرق اجاب الرازى بان التانيث انما جاز قبل الجمع لان الانوثة والذكورة
للفاعل امر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان
الجمع للفاعلين بسبب فعلهم فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام على ما له من
العظمة بنسبته الينا مع تشريفنا اياه بالرسالة وقالوا زيادة على التكذيب
مجنون اى فهذا الذى يظهر منه من الخوارق امر من الجن وازدجر وهل هذا
من تقولهم اى قالوا انه ازدجر اى ازدجرته الجن وذهبت بليده قاله مجاهد
او هو من كلام الله تعالى اخبر الله تعالى عنه بانه انتهر وزجر بالسب وانواع
الاذى وقالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال الرازى

وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا ترتب
عليه قوله تعالى فدعا ربه وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو
عن دعايهم دعا ربه الذي رباه بالاحسان اليه وبرسالته اني اي باني مغلوب اي
من قومي كلهم بالقوة والمنعة لا بالحجة واكده ابلاغا في الشكاية واظهارا لذل العبودية
لان الله تعالى عالم بسر العبد وجهره فما شرع الدعا في اصله الا لاظهار التذلل وكذا
الابلاغ فيه وقال ابن عطية غلبتني نفسي وحملتني على الدعا عليهم قال ابن عادل
وهو ضعيف فانتصر اي اوقع نصري عليهم انت وحدك على ابلغ وجه فانتقم لي
منهم ففتحنا اي بسبب دعايه فتحا يليق بعظمتنا ابواب السما اي كلها في جميع
الاقطار وعبر بجمع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب والسما حقايقها
فان للسما ابوابا تفتح وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر ان
الما كان من السحاب فهو كقول القايل في المطر الوابل جرت ميازيب السما وفي قوله
تعالى ففتحنا بيان ان الله تعالى انتصر منهم وانتقم بما لا يجند انزله ومن العجب
انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى بمطلوبهم وقرا ابن عامر بتشديد
الثا بعد الفا والباقون بالتخفيف وفي البا في قوله تعالى بما وجهان اظهرها انها
للتعدية وذلك على المبالغة في انه جعل الما كالالة للفتح به كما تقول فتحت بالمفتاح والثاني
انها للحال اي فتحناها ملتبسة بما منهمر اي منصب بابلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك
لم يقبل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك اربعين يوما وفجرنا اي صدعنا بما لنا من العظمة
وشققنا وبعثنا واسلنا الارض عيونا اي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام
ثم البيان وافاده بان وجه الارض صار كله عيونا وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة
بكسر العين والباقون بضمها فالتقى الما اي المعهود وهو ما السما وما الارض بسبب
فعلنا هذا وزاد في تعظيمه باداة الاستعلا فقال تعالى على امر اي حال قد قدر اي قضي
في الازل وهو هلاكهم غرقا بما مقدر لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من امرناه باهلاكه وحملناه
اي نوحا عليه السلام تتميما لانتصاره على ذات اي سفينة صاحبة الواح اي اخشاب
نجرت حتى صارت عريضة ودسر جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به السفينة من مسمار
وحديد وخشب او من خيوط الليف ونحوها قال البقاعي ولعله عبر عن السفينة بما شرحها

تنبيها

تنبيها على قدرته على ما يريد تجري اي السفينة باعيننا اي محفوظة من ان تدخل بحر الظلمات
او ياتي عليها غير ذلك من الافات بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشي باعين
كثيرة ولا يغيب عنه اصلا وجوزوا ان يكون جمع تكسير لعين الما وقوله تعالى جزا
منصوب بفعل مقدر اي اغرقوا انتصارا لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام او الباري تعالى
ولقد تركناها اي ابقينا هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة على هذا الوجه وابقا نوعها
داله عليه ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بينها بقيت على الجودي حتى ادرك بقايا هذه
الامة اية اي علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة العامة فهل من مدكر اي معتبر
ومتعظ واصله متذكر ابدلت التا دالا مهملة وكذا المعجمة وادغمت فيها وقوله فكيف كان
اي وجد وتحقق عذابي اي لمن كفر وكذب رسلي ونذر اي انذاري استفهام تقرير
فكيف خبر كان وهي للسوال عن الحال والعين حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه
تعالى بالمكذبين لنوح موقعه وقرا ورش باثبات اليا بعد الرا وصلا ووقفا جميع ما
في هذه السورة والباقون بغير يا وقفا ووصلا قال البقاعي ولما كان هذا المفصل
مما انزل اول القران تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله تعالى ولقد يسرنا اي على ما
لنا من العظمة القران اي على ما له من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا
لنا للذكر اي الاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والحفظ والتشريف لمن يراعيه قال
برهان انزلناه باللسان العربي ونزلنا للافهام تنزيلا وضربنا لهم الامثال واحللنا
لهم في هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق الماخوذ عليهم وقال القشيري يسر قراته على
السنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب
قوم وكلهم اهل القران وخاصته وليس يحفظ من كتب الله على ظهر قلب غيره قال المحلي
فهل من مدكر اي معتبر ومتعظ بها وتقدم اصله ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على
هذا القول العظيم ذكر قصة عاد لانها اعظم قصة جرت بعد قوم نوح فيما يعرفه العرب
بقوله تعالى كذبت عاد اي اوقعت التكذيب العام المطلق الذي اوجب تكذيبهم برسولهم
هود عليه السلام في دعايهم الي وانذاره عذابي فكيف اي فعلي اي الاحوال لاجل تكذيبهم
كان عذابي لهم ونذر اي وانذاري اياهم بلسان رسولي قبل نزوله اي وقع موقعه فان
قيل له لم يقبل فكذبوا هودا كما قال تعالى في قصة نوح فكذبوا عبدنا اجيب بان تكذيب قوم نوح

ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى انا ارسلنا اي بما لنا من العظمة عليهم ريحا وغير محرق الاستعلا اعلاما بالنعمة ثم وصف الريح بقوله تعالى صرصرا اي شديدة الصوت من صرصر الباب او العلم اذا هم صوت وقيل التشديدة من الصد وهو البرد وقال ابن كيسان اصله صرر من صر الشيء اذا صوت لكن ابدلوا من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين وقال الرازي الصرصر الدائم الهبوب من امر علي الشيء اذا دام وثبت واكد شؤمها بدوم زمانها فقال تعالى في يوم نحس اي شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء في اخر الشهر وهو شوال لثمان يقين الى غروب الاربعاء اخره فانه قال في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقال تعالى في حم السجدة في ايام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وقوله تعالى مستمر اي دايم الشوم الى وقت انقضاء المراد منه يفيد ما تفيده الايام لان الاستمرار يبني عن امتداد الزمان كما تبني عنه الايام والحكاية مذكورة هنا على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز فاستمر عليهم بنحوسة ولم يبق منهم احدا الا اهلكه هذا وصفها في ذاتها واما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى تنزع اي تاخذ الناس اي الذين هم صور لا ثبات لهم بارواح التقوي من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفروها ليتمتعوا بها من الوراب فتطيرهم بين السماء والارض كانهم الها المنثور فتقطع روسهم من جثثهم وقوله تعالى كانهم اي حين ينزعون فيلقون الارواح فيهم اعجاز نخل اي اصول نخل قطعت روسها حال من الناس مقدرة وقوله تعالى منقعر صفة لنخل باعتبار الجنس وانث في الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار معنى الجماعة قال ابن عادل وانما ذكرهنا وانث هناك مراعاة للفواصل في الموضعين وقال الرازي ذكر الله تعالى النخل في موضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال منها وهي كاملة وصفا وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان اختيار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه العقر وهو مفعول والخاوي والباسق فاعل واخلا المفعول عن علامة التانيث اولي تقول امراة قتيل واما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق امر قايم بها واما الخاوية فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها فكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الايجاز حيث اتي بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ تنبيه الاعجاز جمع عجز وهو موخر الشيء ومنه العجز لانه يوتي في تاخير

الامور

الامور والمنقعر المتقلع من اصله يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت وقعرت البير وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ماءه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزي وتقدم تفسير قوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وكرره ايذانا بتفسير القران مع اعجازه لا يكون الا لعظمة تعفو قوي البشر وتعجز عنها منهم القدر ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانها تلي قصة عاد في الطاعة فقال تعالى كذبت ثمود اي قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى بالنذر جمع نذير بمعنى منذر اي بالانذارات التي انذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام ان لم يوحدوا ربه ثم علل ذلك وعقبه بقوله تعالى فقالوا ابشرا منكرين لما جاهم من الله تعالى غاية الانكار ابشرا انكار لرسالة هذا النوع ليكون انكارا لنبوة بينهم على ابلغ الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره تتبعه الاتي وقولهم منا نعت له اي فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم واحدا نعت له ايضا ثم عظموا الانكار بقولهم نتبعه اي نجاهد انفسنا في خلع ما الوفنا ومالمان عليه اباونا والاستفهام بمعنى النفي المعين كيف نتبعه ونحن الناس قوة وكثرة وما احد منا ثم استحى عن هذا الانكار والتزيد قولهم موكدين اذا اذا اي ان اتبعناه لفي ضلال اي ذهاب عن الصواب محيط بنا وسعر اي ونيران جمع سعير فنكسوا عليه ان اتبعناك كما اذا كما تقول وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر كانها بها سعر اذا العيس هزها زميل وارخاص السري منقب ثم استرلوا بامر اخس ساقوه مساق الانكار فقالوا ا القي اي انزل الذكر اي الوحي الذي يكون به الشرف الاعظم بغتة في سرعة عليه لانه لم يكن عندهم في مضار هذا الشان ولا توسموا فيه قبل اشاريه بد شيا منه بل اتاهم به بغتة في غاية الاسراع ودلوا على وجه النفي والانكار بالاختصاص بقولهم من بيننا اي وفينا من هو اولي بذلك منه سنا وشرفا وقرانا فع وابن كثير وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولي المفتوحة وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا بخلاف عن ابي عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير الفا ولما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وادخال الالف بينهما مع التحقيق والباقون بتحقيقها مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله في الثانية التسهيل وابدالها واوا مع التحقيق ثم ضربوا

عن ذلك الاستفهام لانه بمعنى النفي بقولهم بل هو كذاب اي بليغ في الكذب في قوله انه اوحي
اليه ما ذكر اشر اي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى اعجبته نفسه فتحير فهو يريد الترفع
قال الله تعالى سيعلمون اي بوعد لا خلف فيه غدا اي في الزمن الاتي القريب لانه ما حقق
اتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة وقرا ابن عامر وحمزة بعد السين
بتا الخطاب وفيه وجهان احدهما انها حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه والثاني
انه خطاب الله تعالى على جهة الالتفات والباقون بيا الغيبة جريا على الغيب نقله في قوله
تعالى فقالوا ابشرا واختار هذه القراة مكي لان عليها الاكثر من الكذاب الاشر وهو هم بان
يعذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح وروي انهم تعنتوا عليه فاخرج لهم من صخرة ناقة حمرا عشرا
فقال تعالى انا اي بما لنا من العظمة مرسلوا الناقة اي موجدوها لهم ومخرجوها كما
اقترحوا من حجر اهلناه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دلالة على ارسالنا صالحا عليه
السلام تريد ان تعرف الحق منا بان ندعو الهتنا وتدعو الهك فمن اجابه الهه علم انه
المحق فدعوا اوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع انت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة شعرا عشرا فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك واكدوا فكذبوا بعد
ما كذبوا في اب الهتهم تجبهم وصدق هو عليه السلام في كل ما قال فاخبره ربه سبحانه انه
يجبهم الى اخراجها فتنة لهم اي امتحانا يخالطهم به فيميلهم عن حالتهم التي وعدوها
ويحنهم عنها لان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ
يفترق المصدق من المكذب او يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة ودورانها بينهم وقسمة
الما كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلوا الناقة ولم يقل مخرجوا فارتقبهم اي كلف
نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزا على اعمالهما فتطار من يحرسهم واصطبر اي عالج نفسك
واجتهد في الصبر عليهم واصلا كطا في اصطبرتا فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الاطباق
ونبيهم اي اخبرهم اخبارا عظيما بامر عظيم ان الما اي الذي يشربونه وهو ما يبرهم قسمة
بينهم اي بين قوم صالح عليه السلام والناقة مقلب العاقل عليها والمعنى انا اذا بعثناها كان
لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع في البير قطرة ياخذها احد منهم وتوسع الكل بدل الما
لبنا كل شرب اي نصيب من الما محتضر اي فالناقة محتضر الما يوم وردها تغيب عنهم يوم
وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الما يوم غيبتها فيشربون ويحضرون

مخصوصين له من بين قومه وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام

اللبن

اللبن يوم وردها فيحتلبون تنبيه الحكمة في قسمة الما اما لان الناقة عظيمة الخلق فتقر
منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الما فلا يحملهم واما لان الما كان مقسوما
بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد الناقة على هولا يرجعون على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون
النقصان على الكل ولا تختص الناقة بجميع الما روي انهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها
وليس في الاية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله تعالى كل شرب محتضر يعضد الوجه
الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد قوله تعا فنادوا صاحبهم فيه حذف قبله اي فتمادوا
على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف الذي انتدبوه
بطرا واشرا لقتل الناقة وكذبا في وعدهم الايمان واكرامها بالاحسان وكان اشجعهم
وقيل كان رئيسهم فتعاطى فاجترا على تعاطي الامر العظيم غير مكترث به فعقر اي فتسبب
عن ذلك عقرها وقيل فتعاطى الناقة فعقرها اي فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تفاعل
الشي بتكلف قال محمد ابن اسحاق كمن لها في اصل شجرة في طريق فرماها فانتظم به عضلة
ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها وقال ابن
عباس كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر اكشف اقعى يقال له قدار ابن سالف والعرب تسمي
الجزار قدار تشبيها بقدار ابن سالف شوم ال ثمود فكيف كان عذابي اي كان على حال
ووجه هو اهل لان يجتهد في الاقبال على تعرفه والسوال عنه ونذر اي انذاري لهم بالعذاب
قبل نزوله اي وقع موقعه وبينه بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة ارسلنا اي ارسالا
عظيما عليهم صيحة وعقر شانهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله تعا واحدة صاحها
عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن لهم بصيحته هذه التي هي واحدة طاقة كما قال تعالى
فكانوا كهشيم المحتظر وهو الذي يجعل القسمة حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن
فيها من الذباب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم والهشيم المهشوم
المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا في الحطب
المتكثر اليابس قال المفسرون كانوا كالحشب المتكثر الذي يخرج من الحظاير بدليل قوله
تعالى هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم
اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان او لانضمام بعضهم الى بعض فاجتمعوا
فوق بعض كما يجمع الحطاب الحطب يضعه شيا فوق شي منتظرا حضور من يشتري منه

قال ابن عادل ويحتمل ان يكون ذلك كبيان كونهم في الجحيم اي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد
كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم حطبا
تنبيهان احدهما انه تعالى ذكر فكيف كان عذابي ونذر في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية
نوح عليه السلام بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد
قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف في حكاية لغير العارف
هل تعلم كيف كان امر فلان وعرضان يقول اخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب
ذكرها للتعظيم كقول فلان اي ضرب واي ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته اي قويا وفي
حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام ثانيهما انه تعالى ذكر في حكاية نوح عليه السلام
الذي للتعظيم وفي حكاية عود ذكر الذي للبيان لان عذاب قوم نوح كان بامر عظيم عام وهو
الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم ثالثهما انه تعالى ذكر
في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح عليه السلام
كان اتم مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه اتى بامر عظيم عجيب ارضي وكان اعجب مما جاء به
الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان عيسى عليه السلام احيى الميت لكن الميت كان محلا للحياة فحنان
الحياة باذن الله تعالى في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فانبت
الله تعالى في الخشب الحياة باذن الله سبحانه لكن الخشبة نبات كان له قوة في النمو فانبت الحيوان
في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في يدي خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محل للحياة
ولا محلا للنمو والنبي صلى الله عليه وسلم اتى بامر عجيب من الكل وهو التصرف في الجرم السماوي الذي يقول
المشرك لا وصول لاحد الى السماء واما الارضيات فقالوا انها اقسام مشتركة المواد يقبل كل واحد
منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما اتى بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله ادعى كان اتم
وابلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي اتم من معجزة سائر الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم **ولقد يسرنا**
اي على ما لنا من العظمة **القرآن** اي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس **للذكر** اي الحفظ
والتذكر والتدبر وحصول الشرف في الدارين **فهل من مدكر** اي من ناظر بعين الانصاف
والتجرد عن الهوى ليري كل ما اخبرنا به فيبينه عليه ولما انقضت قصة ثمود مما تعرفه
العرب بالاخبار ورؤية الاثار فقال تعالى **كذبت قوم لوط** اي وهم في قرى عظيمة
على ما يجاورونه وان كانوا في تكذيبهم هذا اضعف من عقول النساء عن التجرد عن الهوى بما

دل عليه تانيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص **بالنذر** اي بالامور المنذورة لهم
على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على تناهي العتاهة في مرتكبهم بتقديم الاخبار عن عذابهم
فقال تعالى موكدا لتوعد المن استمر على التكذيب **انا** اي عالنا من العظمة **ارسلنا عليهم حاصبا**
اي ريحا شديدة ترميهم بالحصباء وهي حجارة الوحدة دون حلا الكف فهلكوا **الا ال لوط**
وهم من امن به فكان اذا رايته فكانك رايت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من افعاله
والمشي على مناوله في اقواله وافعاله **نجيناهم** اي تنجية عظيمة **بسحر** اي باخر الليلة من الليالي
وهي الليلة تعذب فيها قومه وانصرف لانه نكره لانا لا نعرف تلك الليلة بعينها ولو قصد به وقت
بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن الالف هو المشهور وزعم صدر الافاضل انه مبني
على الفتح كامس مبنيا على الكل قال الجلال المحلي وهل ارسل الحاصب على ال لوط او الاقوال
وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل وعلى الثاني بانه منقطع وان كان من الجنس تسمحا وقوله
تعالى **نعمة** اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام
فالتاويل اما في العامل واما في المصدر وقوله تعالى **من عندنا** متعلق بنعمة او بمحذوف
صفة لها **كذلك** اي مثل هذا الانجاء العظيم الذي جعلناه جزاء لهم **نجزي من شكر** اي من امن
بالله واطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بانه يصونهم عن الهلاك
العام وقال الرازي ويمكن ان يقال هو وعد لهم لا بالثواب يوم القيامة كما انجاهم في الدنيا
من العذاب كقوله تعالى ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وقال مقاتل من
وحد الله تعالى لم يعذبه مع المشركين **ولقد انذرهم** اي رسولنا لوطا عليه السلام **بطشتنا**
اي اخذتنا المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة وهي العذاب الذي نزل بهم وقيل هي عذاب
الاخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى **فتماروا** اي تجادلوا وكذبوا **بالنذر** اي بانذاره
فكان سببا للاخذ **ولقد راودوه عن ضيفه** اي لرادوا ان يخلي بينهم وبين القوم الذين
اتوه في صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملايكة في صورة فتيان مرد وافرد لان المراد
الجنس **فطمسنا** اي فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا **اعينهم** اي اعميناها وجعلناها
بلا شق كما في الوجه بان صفقها جبريل عليه السلام بجناحه وقال الضحاك بل اعماهم الله
تعالى فلم يروا الرسل وقالوا لقد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا فلم يروهم
وهذا قولهم ابن عباس وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفيحة فعموا ولم يهتدوا

للخروج قال ابن جرير والعرب تقول اهمت الريح الاعلام اذا دفتها بما تنشي عليها فاطلقوا
هادييهم مرسيي الى الباب لا يهتدون اليه ولا يقفون عليه بل يصادمون الجدران خوفا
مما هو اعظم من ذلك وهم يقولون عند ذلك لوط اسحر الناس وما ادتهم عقولهم الى ان يومنوا
فينجوا انفسهم قال العشري وكذلك اجري الله تعالى سنته في اوليايه بان يطمس على قلوب
اعدايهم حتى يلبس عليهم كيف يوذون اوليايه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى فذوقوا عذابي
ونذر اي انذاري وتخويفي خطاب لهم اي قلنا لهم على لسان الملايكة فذوقوا وهو خطاب مع
كل مكذب اي ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد بقوله تعالى عذابي هو العذاب
العاجل وبقوله تعالى ونذر هو العذاب الاجل فهما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال تعالى
ذوقوا اجيب بان العذاب الاجل اوله متصل بالعذاب العاجل فهما كالواقع في ازمان واحد
وهو قوله تعالى الم تر فوافا دخلوا انار ولقد صبحهم اي اتاهم اي وقت الصباح وقرا نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بامظهار الدال عند الصاد والباقون بالاظهار وحقق المعنى بقوله
تعالى بكرة اي في اول نهار العذاب وانصرف بكرة لانه ينكره ولو قصد به وقت بعينه امتنع
الصرف للتانيث والتعريف عذاب اي فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة وحسفها
وغمرها بالماء المنتن الذي لا يعيش به حيوان مستقر اي ثابت عليهم غير مزايل لين بخيال ولا سحر
كما قالوا عند الطمس فانه اهلكهم فاتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الاكبر في الطبقة التي
تناسب اعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق لسان المقال فذوقوا اي
بسبب افعالكم الخبيثة عذابي ونذر تنبيه قد علم من تكرير هذا ان سبب العذاب التكذيب
بالانذار اي رسول كان وكان استيفا في كل قصة منها على انها اهل على حدتها الا ان يتعظ
بها ولقد يسرنا على مالنا من العظمة القران اي الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شينا
لاعليناه بما لنا من القدرة التي حد تحار القوي عن فهمه كما اعليناه التي رتبة وقعت القوي
عن معارضته للذكر فهل من مدكر اي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي اوقع فيه هوى القوم
ظنا منهم ان الامر لا يصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب ولما انقضت قصة
لوط عليه السلام اتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط بقوله تعالى ولقد جاء ال
فرعون اي فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين اذا رؤوا وكان كانه ربي فيهم لشدة قربهم
منه وتخلقهم باخلاقه النذر اي الانذار على لسان موسى وهارون عليهما السلام فلم

يومنوا

يوسوا بل كذبوا اي تكذيبا عظيما مستمرا بايانتا التي اتاهم بها موسى عليه السلام كلها اي التسع
التي اوتيها وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
فان قيل كيف قال ولقد جاءهم ولم يقل في غيره اجيب بان موسى عليه السلام لما كان غايبا
عن القوم تقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء الرسول وقال تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد الخروج كما جاء موسى قومه من الطور والنذر
الرسل ولقد جاءهم يوسف وبقوله الى ان جاءهم موسى عليه السلام وقيل النذر الانذارات تنبيه
هنا هزيان مفتوحتان من كلمتين فقرا ابو عمرو وورش بالقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر
وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية ولهما ايضا ابدالها الفا وورش على اصله في الهمزة المسهلة
ومد بعد الجيم حمزة وهشام ابدالا الهمزة الجامع المد والتوسط والقصر فاخذناهم اي باليم من
العظمة بنحو ما اخذ به قوم نوح من الاغراق اخذ عزيز اي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء
مقتدر اي لا يعجل بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى
حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى اكفاركم اي الراسخون منكم يا اهل
مكة في الكفر الثابتون عليه يا ايها المكذبون لهذا النبي الكريم السائرون لشموس دينه
خير في الدنيا بالقوة والكثرة او في الدين عند الله او عند الناس من اولايكم اي المذكورين
من قوم نوح الى فرعون الدين وعظناكم بهم في هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار
اي ليسوا باقوى منهم فمعناه نفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا
بكفرهم تنبيه قوله تعالى خير مع انه لا خير فيهم اما ان يكون كقول حسان فشر كما الخير كما
الله او هو بحسب زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة اولان كل ممكن فلا بد وان
يكون صفات محمودة فالمراد تلك الصفات ام لكم اي يا اهل مكة براءة في الزبر اي انزل
لكم من الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا ايضا
بمعنى النفي اي ليس الامر كذلك ام يقولون اي كفار قريش نحن جميع اي جمع واحد سالم في
اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له منتصر اي على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل
واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الاي ولما قال ابو جهل يوم بدر نحن جميع منتصر نزل
سيهزم الجمع بايسر امر يوعد لا خلف فيه وقال مقاتل ضرب ابو جهل يوم بدر فرسه فتقدم
من الصف وقال نحن ننتصر اليوم على محمد واصحابه فانزل الله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر

وقال سعيد ابن المسيب سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر
كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر ورايت رسول الله صلي الله عليه وسلم يثبت في درعه ويقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة
روس الاي بل الساعة اي القيامة التي يكون فيها الجمع الاكبر والهول الاعظم موعدهم اي للعذاب
والساعة ادهي اي من كل ما يعرض وقوعه في الدنيا وادهي افعل تفضيل من الداهية وهي امر هايل
لا يهتدي لدواهيه فهي امر عظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقرا حمزة والكسائي
بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وامر لان عذابها للكفار
غير مفارق ولا مزايل فهي اعظم نايبة واشد مرارة من الامر والقتل يوم بدر وفي رواية ان النبي صلي
الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا جادلتك وتجادل رسولك بفخرها بخيلها
فاحتهم الغداة يقال اخنا عليه الدهر اي غلبه واهلكه ومنه قول النابغة • اخفي عليه الذي اخفا
علي كبد • واحنيت عليه افسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تاويلها وهذا
من معجزات رسول الله صلي الله عليه وسلم اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس كان بين نزول
هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية علي هذا مكية وفي البخاري عن عايشة ام المومنين
قالت لقد انزلت علي محمد صلي الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهي
وامر وعن ابن عباس انه صلي الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم
ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت علي ربك
وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيامة
والساعة ادهي وامر مما لحقهم يوم بدر ان المجرمين اي المشركين القاطعين لما امر الله تعالي
ان يوصل في ضلال اي هلاك بالقتل في الدنيا وسعر اي نار سعرة اي مهيجة في الاخرة
وقيل في ضلال اي عمي عن القصد بتكذيبهم بالبعث وسعر قال الضحاك اي نار تسعر عليهم وقيل
ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الاخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال الحسين ابن الفضل
ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الاخرة وقال قتادة في عنا وعذاب ثم تبين عذابهم في
الاخرة بقوله تعالي يوم يسحبون اي في القيامة اهانة لهم من اي صاحب كان في النار اي
الكاملة النارية علي وجوههم لانهم في غاية الذل والهوان جزا بما كانوا يذلون اوليا الله تعالي
مقولا لهم من اي قايل اتقوا ذوقوا لانه لا سقة لهم ولا حمية بوجه مس سقر اي حر النار والمها

فان

فان مسها سبب للتالم بها وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس او النار اي لوحته ويقال صقرته
بالصاد وهي مبدلة من السين قال ذو الرمة • اذا زالت الشمس التي صقراتها • باقعان مربوع
الصريمة مقبل • وعدم صرفها للتعريف والتانيث وقال بعض المفسرين ان هذه الاية نزلت في القدرية
لما روي انه صلي الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالي
في قوله سبحانه ان المجرمين في ضلال وسعر وفي مسلم عن ابي هريرة قال جا مشركوا قريش يخاصمون
رسول الله صلي الله عليه وسلم في القدر ومذهبهم ان الله تعالي مكن العبد من الطاعة والمعصية
وهو قادر علي خلق ذلك في العبد وقادر علي ان يطعم الفقير ولهذا قالوا انطعم من لو يشا
الله اطعمه منكرين لقدرته تعالي علي الاطعام وقوله صلي الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الامة ان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه صلي الله عليه
وسلم المشركون المنكرون قدرته علي الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد
بالامة من امن به صلي الله عليه وسلم فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس
الي امة المتقدمة فان المجوس اضعف الكفرة المتقدمين بشبهة واشد مخالفة للعقل
وكذا القدرية في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري
هو الذي ينكر قدرة الله تعالي وقد رد عليهم بالكتاب والسنة اما من الكتاب فقوله تعالي
انا اي بما لنا من العظمة كل شي اي من الاشيا المخلوقة صغيرها وكبيرها خلقناه بقدر
اي قضا وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم في وقت
معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك في اللوح قبل وقومه واما من السنة فما روي عبد الله
ابن عمر ابن العاص انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل
ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام سنة قال وعرشه علي الما وعن طاوس اليماني
قال ادركت ما شا الله تعالي من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يقولون كل شي بقدرة الله تعالي
قال وسمعت من عبد الله ابن عمرو يقول قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل شي بقدر حتي
العجز والكيس او الكيس والعجز وعن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم لا يومن بالله عبد حتي يومن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول
الله بعثني بالحق ويومن بالموت وبالبعث بعد الموت ويومن بالقدر وزاد الله
خيره وشره تنبيه كل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر ولما بين سبحانه

وتعالى ان كل شي بفعله بين يسر ذلك وسهولته عليه بقوله تعالى وما امرنا في كل شي اردناه
وان عظم امره الا واحدة اي فعلة يسيرة لا معالجة فيه وليس هناك احداث قول لانه قديم
بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق الارادة الازلية وقيل الا كلمة واحدة وهي قوله تعالى كن كما
قال تعالى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثم مثل لنا ذلك باسرع ما نعقله واخفه بقوله
تعالى كلمح بالبصر واللمح النظر بالعجلة وفي الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف اي فكما ان
لمح احدكم بصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا ايسر وعن ابن عباس وما امرنا
بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اي بما لنا من العظمة اشياعكم اي اشباهكم
ونظراكم في الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما
اصابهم ولذلك سبب عند قوله تعالى فهل من مدكر اي بما وقع لهم انه مثل من مضى بل اضعف
وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام
بمعنى الامر اي اذكروا وانفظوا وكل شي فعلوه قال الجلال المحلي اي العباد وقال اكثر المفسرين
اي الاشياع لانه هو المتقدم ذكره في الزبر اي مكتوب في دواوين الحفظة وقيل في اللوح
المحفوظ وقيل في ام الكتاب فلتحذروا من افعالهم فانها غير منسية هذا ما اطبق عليه القرا
بما ادى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا
في الزبر كل شي من الاشيا وهو فاسد وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر
اي مكتوب في اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المومنين موكدا ردا على المنكر فقال
عز من قايل ان المتقين اي الفريقين في وصف الخوف من الله الذي وفقهم لطاعته في
جنات اي خلال بساتين ذات اشجار تستر داخلها وقوله تعالى ونهر اريد به الجنس
لان فيها انهارا من ما وعسل ولبن وخمر افرده لموافقة روس الاي ولشدة اتصال بعضها
ببعض فكانها شي واحد والمعنى انهم يشربون من انهارها وقيل هو السعة من النهار وكما
جعل للمتقين في تلك الدار ذلك جعل لهم في هذه الدار ايضا جنات العلوم وانهار المعارف
ولهذا كانوا في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا تاثيم ولم يقل في مجلس صدق لان
القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النسا ولذا قال عند مليك
اي ملك تام الملك مقتدر اي قادر لا يعجزه شي وهو الله تعالى وعند اشارت للرتبة والكرامة
والمنزلة من فضله تعا جعلنا الله ومحبينا منهم وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه

صلى

صلى الله عليه وسلم قال من سورة القمر في كل غب اي يقرا يوما ويترك يوما بعثه الله تعالى
يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حيث موضوع سورة الرحمن وتسمى عروس
القران لانها تجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال مكية كلها في قول الحسن وعروة
وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى يسيله من في السموات
والارض الاية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها قال ابن عادل والاول اصح
لما روى عروة ابن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به قط فمن
رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة
يمنعونه فابا ثم قام عند المقام فقرا بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادا بها
رافعا صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول
الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه
وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا بسورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وهي سبع
وثمانون اية وثلثماية واحدى وخمسون كلمة والف وستماية وثلاثون حرفا
بسم الله الذي ظهرت احاطت كماله بما ظهر من عجايب مخلوقاته الرحمن الذي ظهر
عموم رحمته بما بهر من بدايع مصنوعاته الرحيم الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته
بما تحققوا من الذل المفيد للفر بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة مقصورة
على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بقوله تعالى الرحمن علم اي من شا القران
وقدم من نعمه الدينية ما هو اعلا مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه تعالى بالقران
العظيم وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله تعالى رتبة واعلاها منزلة واحسنه
في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعباد عليها تنبيه
اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لان اخر تلك مليك مقتدر واول هذه انه
رحمن قال سعيد ابن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث اذا جمعن كن اسما
من اسما الله تعالى الر وحم ون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تبارك وتعالى رحمتان
رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن
باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمن

سورة الرحمن مكية

ولما خلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع
جاز ان يكون يقال له رحيم وفي اعراب الرحمن ثلاثة اوجه احدها انها مبتدا مضمر اي الله
الرحمن الثاني انها مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن ربنا الثالث انه مبتدا وخبره مضمر اي الرحمن
علم القران فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله اجيب
بانا ان قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر وان قلنا بالوقف على الله تعالى والراسخون
فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال
فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع
القليلة وكذا القول في تعليم القران ويقال المراد لا يعلمه من تلقا نفسه بخلاف الكتب التي
تستخرج بقوة الذكا والفكر واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال اكثر المفسرين نزلت
حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان
اليمامة يبثون مسيلمة الكذاب فانزل الله الرحمن علم القران اي سهله ليذكر ويقرا كما قال
تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ولما كان كانه قيل كيف يعلمه وهو صفة من
صفاته ولمن علمه قال تعالى مستانفا او معللا خلق الانسان اي الجنس بان قدره
واوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف مفضلا عن جميع الجمادات واصله
منها ثم عن ساير الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وخلقه له دليل على خلقه لكل شي
موجود انا كل شي خلقناه بقدر وقيل علم القران جعله علامة واية علمه البيان اي
القوة الناطقة وهي الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغايب بقياسه
على الحاضر وغير ذلك مما اودعه له سبحانه وتعالى مع تعبيره عما ادركه مما هو غايب في
ضميره وافهامه تارة بالقوة وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك
ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القران وقال ابن
عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلام على اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها وكان
ادم يتكلم بسبعماية الف لغة افضلها العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد
بالانسان ها هنا محمد محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى
من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والاخرين وعن يوم الدين
وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع ابن انس هو ما ينفعه وما يضره وقال

السدي

السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فان قيل لم قدم تعليم القران للانسان على خلقه وهو متاخر
عنه في الوجود اجيب بان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل كيف صرح بذلك
المعقولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القران اجيب بان في ذلك اشارة الى ان النعمة
في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص وبان المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد النعم
على الانسان واستدعا الشكر منه ولم يذكر الملايكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان
وقيل تقديره علم جبريل القران وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا
اولى لعمومه تنبيه هذا الجمل من قوله تعالى علم القران الى هنا جي بها من غير عاطف لانها
سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الى فلان اكرامه استاذ فكره رفع قدره فلشدة
الوصل ترك العاطف وهي اخبار مترادفة للرحمن ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه
عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين بقوله تعالى الشمس وهي اية النار والقمر وهو
اية الليل بحسبان فانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعتها للزرا عات
وغيرها ولولا الشمس والقمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب
فان نعمها لا تظهر لكل احد مثل ظهور نعمتهما وانهما بحساب لا يتغيرا ابدا ولو كان سيرهما غير
معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان
بحسبان معلوم فاضمر الجن قال ابن عباس وقتادة وابو مالك يجريان بحسبان في منازل
لا يتعدونهما ولا يحيدان عنها وقال ابو زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا
الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر كيف يحسب شيا اذا كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال
السيد بحسبان تقدير اجلهما اي يجريان باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره
كل يجري لاجل مسمى والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له كالبقول والشجر
اي الذي له ساق كشجرة الرمان وتقدم الجواب عن قوله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين
في سورة الصافات يسجدان ينقادان لله تعالى فيما يريده طبعا انقياد الساجد من
المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان
اذا طلعت الشمس ثم يميلان حتى ينكسر الفي وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال
تعالى تتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران ظله

وقيل سجود النجم اقوله وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها مكان الماوردي وقال النحاس
اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها لامر الله
عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك فان قيل كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن اجيب
بانه استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا
لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قيل اي تناسب بين هاتين
الجملتين حتي وسط بينهما العاطف اجيب بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان
فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل فان السما والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان
جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالي فهو مناسب لسجود النجم والشجر والسما
اي رفع السما ثم فسر ناصبها فيكون كالمذكور مرتين اشارة الي عظيم تدبيره لشدة ما فيها من الحكم
فقال تعالي رفعها اي حسا قال البقاعي بعدم ما كانت ملتصقة بالارض ففتقها واعلاها عنها
وقال الزمخشري حيث جعلها ويتبعه البيضاوي خلقها مرفوعة قال البيضاوي محلا ورتبة
قال الزمخشري حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه مقترن اوامره ونواهيه ومكن
ملايكته الذين يهبطون بالوحي علي انبيايه ونبه بذلك علي كبريا شانه وملكه وسلطانه ووضع
الميزان اي العدل الذي دبر به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة لتنتظم امورنا كما قال صلي الله
عليه وسلم بالعدل قالت السموات والارض وقال السدي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال
وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي الفه وقيل علي هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج
اليه وهو قول الحسن ابن الفضل وقال الحسن وقتادة والضحاك هو الميزان الذي يوزن به
لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعني الامر بالعدل يدل عليه قوله تعالي واقيموا
الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان في الارض لوزن الاعمال
ان اي لاجل ان لا تطغوا اي تتجاوزوا الحدود في الميزان فمن قال الميزان العدل قال طغيانه
الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم
له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه
الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه فان
قيل اذا كان المراد به ما يوزن به فاي نعمة عظيمة فيه حتي يعد في الالا اجيب بان النفوس
تابي الغبن ولا يرضي احد ان يغلبه غيره ولو في الشي اليسير ويري ان ذلك استهانة به

فلا

فلا يترك خصمه يغلبه فوضع الله تعالي معيارا يبين به التساوي ولا يقع به البغضا بين
الناس وهو الميزان وهو كل ما توزن به الاشيا ويعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال
ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الي عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصل اليه كالهوا
والما الذين لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما
بالعدل وقال ابو الدردا اقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عتبة الاقامة باليد
والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا
الموزون امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتدي وزيادة وعن الخسران الذي
هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديد التوصية وتقوية للامر باستعماله والحث
عليه وقيل كرره لمحال روس الاي وقيل كرره ثلاث مرات الاول بمعني الالة وهو قوله تعالي
ووضع الميزان والثاني بمعني المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول اي لا
تخسروا الموزون قال ابن عادل وبين القران والميزان مناسبة فان القران فيه
العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذي لا يقام بغيره من
الالات ولما ذكر انعامه الدال علي اقتداره برفع ذكر علي ذلك الوجه مقابلها بعد
ان وسط بينهما ما قامتا به العدل تنبيها علي شدة العناية والاهتمام به فقال تعالي
والارض اي دحاها وبسطها علي الماء للانام اي كل من فيه قابلية النوم او قابلية
بلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنو ادم خاصة وهو مروي عن ابن عباس
عباس ونقل النووي في التهذيب عن الزبيدي الانام الخلقة قال ويجوز الانيم وقال الواحدي
الواحدي قال الليث الانام ما علي ظهور الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن فيها
اي الارض فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون
الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقي من الادني الي الاعلي اذ التنكير فيها للتعظيم
والتكثير منه عليه بتعريف فرع منها وفوه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو اكثر ثمار العرب
المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالي والنخل ودل علي تمام القدرة بقوله
تعالي ذات اي صاحبة الاكمام اي اوعية اي اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان يتفتق
بالثمر والاكمام وجمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وبما انطلع وغطا التنور
والجمع كمام واكمه واكمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا يعض وكم القميص بالضم والجمع

الكمام وكمه والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس والحب اي جميع الحبوب التي يقتات
بها كالحنطة والشعير ذو العصف قال ابن عباس تبين الزرع وورقه الذي يعصفه
الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال سعيد ابن جبير بقل الزرع الذي اول ما
ينبت منه وهو قوله الفرا والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك
وقيل العصف حطام النبات والريحان وهو في الاصل مصدر ثم اطلق علي الرزق
قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانة
نصبوهما علي المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا وعن ابن عباس ايضا والضحاك
وقتادة انه الريحان الذي يشم وهو قول ابن زيد وقال سعيد ابن جبير هو ما قام علي
سلق وقال الفرا العصف الماكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي العصف
الورق الذي يوكل والريحان هو الحب الماكول وقيل له بقلة طيبة الريح سميت
ريحانا لان الانسان يراح لها رايحة طيبة اي يشم وفي الصحاح والريحان نبت معروف
والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان ابيه
وقرا ابن عامر بنصب الحب وذا والريحان بخلق مضمرا اي وخلق الحب وذا العصف
والريحان وقرا حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطفا علي فاكهة وجر الريحان عطفا
علي العصف والباقون برفع الثلاثة عطفا علي فاكهة اي وفيها ايضا هذه الاشيا ولما
دخل في قوله تعالي والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهما بقوله تعالي فباي
الا اي نعم ربكما اي المحسن اليكما المدبر لكما الذي لا مدبر ولا سيد لكما غيره تكذبان
اقبلك النعم ام بغيرها وكرر هذه الاية في هذه السورة احدي وثلاثين مرة موضعا
تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم
ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك
افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير
حسن في مثل هذا قال القايل • كم نعمة كانت لكم كم كم وكم • وقال اخر • لا تقتلي مسلما ان كنت
مسلمة • اياك من دمه اياك اياك • وقال اخر • لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قول
كاشح اشري • ولا تمكن يوما من زيارته • زره وزره وزر وزر وزري زري • وقال الحسن ابن
الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة قال به من العلما والتكرير هاهنا كما تقدم

في

في قوله تعالي ولقد يسرنا القران للذكر وقوله تعالي فيما سياتي ويل يومئذ للمكذبين
وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الي ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع
واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب علي سبيل الالتفات والمراد به التقرير
والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذا اللفظ في هذه السورة
نيفا وثلاثين مرة للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معني وقيل الخطاب من الانس
والجن والنعمة محضرة في رفع المكروه وتحصيل المقصود واعظم المكروه نار جهنم
ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك للنسبة
للانس والجن ثلاثون والزايد لبيان التاكيد وروي جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول
الله صلي الله عليه وسلم سورة الرحمن حتي ختمها ثم قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم
ردا علي ما قرات عليهم هذه الاية من مرة فباي الا ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشي من نعمتك
ربنا نكذب فلك الحمد وقرا ورش فباي الا ربكما تكذبان علي اصله بالمد والتوسط والقصر جميع
ما في هذه السورة ولما ذكر تعالي خلق العالم الكبير من السما والارض وما فيهما من الدلالات
علي وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالي خلق الانسان اي ادم عليه
السلام من صلصال اي من طين يابس له صلصلة اي صوت اذا نقر كالفخار كالخزف
المصنوع المشوي بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل
اذا انتن تنبيه قال تعالي هنا من صلصال كالفخار وقال تعالي في الحجر من حما مسنون
وقال تعالي في الصافات من طين لازب وقال تعالي في ال عمران كمثل ادم خلقه من تراب وكله
متفق المعني وذلك انه اخذه من تراب الارض فعجنه بالما فصار طينا ثم ترك حتي صار حما
مسنونا ثم منتنا ثم صوره كما يصور ابريق وغيره من الاواني ثم ايبسه حتي صار في غاية
الصلابة فصار كالخزف الذي اذا نقرته صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب اولا فالمذكور هنا
اخر تخليقه وهو النسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة انشاه فالارض امه فالما
ابوه ممزوجان بالهوا الحامل للجزء الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه
ومن الما روحه وعقله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهوا حركته وتقلبه في محامده
ومذاحه فالغالب في جبلته التراب فلهذا نسب اليه وان خلقه من العناصر الاربع كما ان الجان
خلق من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالي وخلق الجان

اي وخلق الجان اي ابا الجان وهو ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس وقيل هو اسم جنس
كالانسان من مارج من نار وهو لهبها الخالص من الدخان وقال القشيري هو اللهب
المختلط بسواد النار فالنار اغلب عناصره وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب
الشديد وعن ابن عباس اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر
وهو شاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وقال
ابو عبيدة والحسن المارج المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال
القرطبي يروي ان الله تعالى خلق نارين فمرج احديهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهي
نار السموم فخلق منها ابليس تنبيه من مارج من نار من الاولى لابتدا الغاية وفي الثانية
وجهان احدهما انها للبيان والثاني انها للتبعيض فباي الا اي نعم ربكما الغاشية عن مبديكما
او مربيكما وسيدكما تكذبان اي مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة الكاينات رب اي خالق ومدبر المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق الصيف ورب
المغربين كذلك فباي الا اي نعم ربكما الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم تكذبان اي مما في ذلك
من الفوايد التي لا تحصى كاعتدال الهوى واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه
الى غير ذلك مرج اي ارسل الرحمن البحرين اي العذب والمالح فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب
حال كونهما يلتقيان اي يتماسان على وجه الارض فلا فصل بينهما في روية العين وقال
ابن عباس بحر السما وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما
وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل
بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللولو والمرجان بينهما برزخ اي حاجز عظيم فعلى القول بانهما
بحر السما وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السما والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال
الباقية قال الحسن وقتادة هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا اولى لا يبغيان
اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم كما طغيا فاهلكا من على الارض في
ايام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين الناس ابيس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي
احدهما على الاخر صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة
قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله تعالى في انقضا الدنيا
صار البحران شيا واحدا وهو قوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل ابن عبد الله البحران

طريق

طريق الخير والشر والبروج الذي بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازي معنى الاية ان الله
تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الاختلاط تحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان
اي لا يجاوز كل احد منهما ما حده له خالقه لا في الظاهر ولا في الباطن فمتى حفرت على جنب الملح
في بعض الاماكن وجدت الما العذب وان قربت الحفرة منه قال البقاعي بل كلما قربت كان احلى
فخلطهما سبحانه في راي العين وحجز بينهما في غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا
ادراك فكيف يبغي بعضكم على بعض ايها المدركون العقلا فباي الا اي نعم ربكما الموجد
لكما والمربي تكذبان اتلك النعم ام بغيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من انواع الموجودات
فصدقتم بالاخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى يخرج منهما اللولو وهو جبار الجوهر
والمرجان وهم صغار الجوهر قال علي وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وقيل المرجان حجر
احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي اي بمخالطة العذب المالح من غير واسطة او بواسطة
السحاب فصار ذلك كالذكر والانثى وقال الرازي فيكون المالح كاللقاح للملح وقال ابو حيان
قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه العذبة فاسند ذلك
اليها وهذا شهور عند الغواصين قال مكي كما قال على رجل من القريتين عظيم اي من احد
القريتين وحذف المضاف كثير شايع وقيل هو قوله تعالى نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه
ويفري لا يجيب عبيده قال البغوي وهذا جايز في كلام العرب ان يذكر شيين ثم
يخص احدهما بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم تاتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس
وقيل يخرج من احدهما اللولو ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس
تكون هذه الاشيا في البحر بنزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس
فيكون تولده من بحر السما وبحر الارض وهذا قول الطبري وقال الزمخشري فان قلت لم قال
منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصار كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما
يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت
من الارض وانما خرجت من محلة من محالة من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله تعالى اولى بالاعتبار من كلام الناس فمن الجايز
انه يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البحر
اشيا تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر قال ابن عادل

والجواب عن هذا ان الله تعالي لا يخاطب ولا يمتي عليهم الا بما يالفوت ويشاهدون وقرا نافع
وابن عمر ويخرج بضم اليا وفتح الرا مبنيا للمفعول والباقون بفتح اليا وضم الرا مبنيا للفاعل
علي المجاز وقرا السوسي وشعبة بابدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا واذا وقف حمزة ابدل الاولي
والثانية فباي الا اي نعم ربكما اي الملك الاعظم المالك لكما تكذبان اي بكثرة النعم من خلق
المنافع في البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلي العجيبة ام غيرها وله اي لغيره الجواري اي
السفن الكبار الغارقة والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا
شيا من ذلك اليها وقرا المنشات حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعني انها تنشي الموج
بجريها او تنشي السعير اقبالا وادبارا والتي رفعت شراعها اي قلوعها والشراع القلع
وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشات والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجازا كما
يقال انشات السحابة المطر وقرا الباقون بفتح الشين وهو اسم مفعول اي انشاها الله
تعالي او الناس ورافعوا شراعها تنبيه الجواري جمع جارية وهي اسم او صفة للسفينة
وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك
الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله وحده وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت
واقفة في الساحل كما سمها في موضع اخر بالجارية كما قال تعالي انا لما طغي الما حملناكم في الجارية
وسمها بالفلك قيل ان لم تكن كذلك فقال تعالي لنوح عليه السلام واصنع الفلك باعيننا
ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالي فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي في
الفلك اولا ثم السفينة ثم الجارية انتهي والمراد المملوكة تسمي ايضا جارية لان شانها الجري
والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعني
فاعلة عند ابن دريد اي تسفن الما وفعيلة بمعني مفعولة بمعني غيره بمعني مسجورة
وقوله تعالي في البحر متعلق بالمنشات وقوله تعالي كالاعلام حال اما من الضمير المستكن
في المنشات واما من الجواري وكلاهما بمعني واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل
علما علي الارض قال القايل اذا قطعنا علما بدا لنا علم ۝ وقال اخر ربما اتيت في علم ۝ يرفعن
ثوبي مملات ۝ وقالت الخنسا في اخيها صخر واذ صخر التاتم الهداة به ۝ كانه علم في راسه نار ۝
اي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البحر وجمع الجواري ووجد البحر وجمع الاعلام اشارة
الي عظمة البحر فباي الا اي نعم ربكما العظيم التي عمت خلقه تكذبان ابتلك النعم من

خلق

خلق مواد السفن والارشاد الي اخذها وكيفية تركيبها واجرايها في البحر واسباب لا يقدر
علي خلقها وجمعها غيره وقوله تعالي كل من عليها فان اي هالك غلب فيه من يعقل علي
غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالي
والارض وضعها وقيل الضمير عادية الي الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية
قالت الملايكة هلك اهل الارض فنزل كل شي هالك الا وجهه فايقنت الملايكة بالهلاك
فان قيل الكلام في تعدد النعم فاين النعمة في فنا الخلق اجيب بان التسوية بينهم في
الموت والموت سبل النقل الي دار الجزا والثواب النقل ويبقي اي بعد فنا الكل مستمرا الي
الي ما لا نهاية له وجه ربك اي ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس
الوجه عبارة عنه فان قيل كيف خاطب الاثنين بقوله فباي الا ربكما تكذبان وخاطب
هاهنا الواحد فقال ويبقي وجه ربك ولم يقل وجه ربكما اجيب بان الاشارة هاهنا
وقعت الي كل احد فقال ويبقي وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال
ويبقي وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفنا فان قيل فلو قال ويبقي
وجه الرب من غير خطاب كان ادل علي فنا الكل اجيب بان كان الخطاب في الرب اشارة
الي اللطف والابقا اشارة الي القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال
بلفظ الرب وكان الخطاب ولما ذكر تعالي مباينته للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة
الكاملة فقال تعالي ذوا الجلال اي العظمة التي لا ترام وهي صفة ذاته التي تقتضي
اجلاله عن كل ما لا يليق به والاكرام اي الاحسان العام وهو صفته فعله مع جلاله وعظمته
فباي الا اي نعم ربكما اي المربي لكما علي هذا الوجه الذي ماله الي العدم الي اجل مسمي تكذبان
ابتلك النعم من بقا الرب وفنا الكل والحياة الدايمة والنعيم المقيم ام بغيرها وقوله
تعالي يسيله من في السموات اي كلها كلهم والارض كذلك مستانف وقيل حال من وجه
والعامل فيه يبقي اي يبقي مسيولا من اهل السموات والارض بلسان الحال او المقال او بهما
قال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه الرزق واهل
الارض يسالونهما جميعا وقال ابن جريج يساله الملايكة الرزق لاهل الارض فكانت المسيلتان
جميعا من اهل السما واهل الارض لاهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من الملايكة ملكا
له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسال الله تعالي الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد

وهو يسال الله تعالي الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله تعالي الرزق للبهائم
ووجه كوجه النسر وهو يسال الله تعالي الرزق للطير قال بن عطا انهم يسالونه القوة علي العبادة
وقوله تعالي كل يوم منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله تعالي هو في شان
والثاني الامر وروي ابو الدردا عن النبي صلي الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان
قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقال اكثر المفسرين من شانه
ان يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشقي قوما ويفرج مكروبا ويجيب داعيا
ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الي ما لا يحصي من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا وروي البغوي
عن ابن عباس انه قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه من ياقوتة
حمرا قلمه نور وكلماته نور ينظر الله تعالي فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي
ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله تعالي كل يوم هو في شان وقال سفيان
بن عيينة الدهر كله عند الله تعالي يوما احداهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه
اي في كل يوم من ايامها الامر والنهي والاماتة والاحيا والاعطا والمنع والثاني يوم القيامة
وشانه فيه الجزا والحساب والثواب والعقاب وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية
له في كل يوم الي العبيد بر جديد وقال بعض المفسرين شانه تعالي انه يخرج في كل يوم وليلة
ثلاث عساكر عسكرا من اصلاب الابا الي ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الي الدنيا
وعسكرا من الدنيا الي القبور ثم يرتحلون جميعا الي الله تعالي وقيل نزلت في اليهود حين
قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا وسال بعض الملوك وزيره عن هذه الاية فاستمهله
الي الغد وذهب كيبيا يتفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله
تعالي يسهل لك علي يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان
الله تعالي ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ويشفي سقيما ويسقم صحيحا ويبتلي معافا ويعافي مبتلي ويعز ذليلا ويذل عزيزا
ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال
يا مولاي هذا من شان الله تعالي وعن عبد الله ابن طاهر انه دعا الحسين ابن الفضل وقال له
اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشف لي قوله تعالي فاصبح من النادمين وقد صح

الندم

الندم توبة وقوله تعالي كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الي يوم القيامة
وقوله تعالي وان ليس للانسان الا ما سعي فمعناه ليس له الا ما سعي فما بال الاضعاف قال الحسين
يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالي خص هذه
الامة بخصايص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن علي قلت هابيل ولكن حمله
واما قوله تعالي وان ليس للانسان الا ما سعي فمعناه انه ليس له الا ما يسعي عدلا ولي ان اجزيه
بواحدة الفا فضلا واما قوله تعالي كل يوم هو في شان فانها شيون يبديها لا شيون
نبتديها فقال عبد الله فقبل راسه وسوغ خراجه فباي الا اي نعم ربكما المدبر لكما هذا التدبير
العظيم تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها سنفرغ لكم اي سنقصد لحسابكم وجزايكم وقرا حمزا
والكساي بعد السين باليا التحتية والباقون بالنون ايها الثقلان اي الانس والجن وذلك
يوم القيامة فانه تعالي لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي فقال فرغت من الشغل افرغ فراغا
وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلت وليس بالله تعالي شغل يفرغ منه
وانما المعني سنقصد لمجازاتكم او محاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس و
الضحاك كقول القايل لمن يريد تهديهم اذن اتفرغ لك اي اقصدك وانشد ابن الانباري لجوين
الان وقد فرغت الي غيري فهذا حين كنت لهم عذابا يريد وقد قصدت وانشد الزجاج والنحاس
فرغت الي العبد المقيد في الحجل وفي حديث النبي صلي الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار
ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الحياجب هذا مذمم يبايع بين قبلة يمل حربكم فقال النبي
صلي الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لا تفرغن لك اي اقصد الي ابطال امرك
وهذا اختيار الكساي وغيره وقال ابن الاثير الازب في اللغة الكثير وهو هنا شيطان اسمه
ازب العقبة وهي الحية وقيل ان الله تعالي وعد علي التقوي واوعد علي الفجور ثم قال تعالي
سنفرغ لكم اي ما وعدناكم ونوصل كلا الي ما وعدناه اتم ذلك وانفرغ منه قال الحسن و
مقاتل وابن زيد تنبيه رسم ايه بغير الف فاذا وقف عليها وقف ابو عمرو والكساي ايها بالالف
ووقف الباقون علي الرسم ايه وفي الوصل قرا ابن عامر ايه برفع الها والباقون بنصبها فايده
سمي الانس والجن بالثقلين لتعظيم شانهما بالاضافة الي ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف
وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض احيا وامواتا قال الله تعالي واخرجت الارض اثقالها
ومنه قولهم اعطه ثقل او وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي له قدر ووزن فيانس منه

هو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واحده وصايده يخرج به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق
سمي ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمي الجن بذلك مجازا للمجاورة
والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين
كتاب الله وعترتي فباي الاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما بهذا الصنيع المحكم تكذبان اي بتلك النعم
من اثابة اهل طاعته وعقوبة اهل معصيته ام بغيرها يا معشر الجن اي يا جماعة فيهم اهلية
والعشرة والمصادق والانس اي الخواص والمستانسين والمانوسين المبني امرهم على الاقامة
والاجتماع ان استطعتم اي وجدت كم اطاعة الكون في ان تنفذوا اي تسلكوا باجسامكم
وتمضوا من غير مانع يمنعكم من اقطار اي نواحي السموات والارض هاربين من الله تعالى من
انواع الجزا بينكم او عصيانا على في قبول احكامه وجري مراداته وافضيته عليكم من الموت
وغيره وقوله تعالى فانفذوا امر تعجيز والمعنى ان استطعتم ان تجوزوا نواحي السموات والارض
فتخرجوا اربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا بعيي لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله تعالى اينما
تولوا فثم ملك الله عز وجل فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس هاهنا وتقديم
الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يا توا بمثل هذا القرآن
اجيب بان التفوذ من اقطار السموات والارض الجن اليق ان امكن والاتيان بمثل القرآن
بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به فان قيل لم جمع في قوله تعالى سنفرغ لكم وفي
قوله تعالى ان استطعتم وثنى في قوله ايها الثقلان اجيب بانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى
فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم لا تنفذون اي لا تقدرون
على التفوذ الا بسلطان اي لا بقوة وقهر واني لكم ذلك وروي عن ابن عباس انه قال
معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي
ببينة من الله تعالى تتيه في هذه الايات والتي في الاحقاف وفي قل اوحي دليل على ان الجن
مكلفون مخاطبون مامورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء منهم محمودهم وكافرهم
ككافرهم فباي الاء اي نعم ربكما المحسن اليكما المربي لكما بما تعرفونه به قدرته على ما يريد تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها وقال البغوي وفي الخبر يحاط على الخلق بالملايكة وبلسان من نار
ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم الاية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما اي ايها
المعاندون قال ابن عباس حين يخرجون من القبور لسوقهم الى المحشر شواظ من نار

قال

قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس هو اللهب الخالص الذي لا دخان
له وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس كدخان الحطب وقال سعيد ابن جبير
وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال عمر
وهو النار والدخان جميعا وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان * هجوتك فاختصفت
لها يدك بتافية توجح كالشواظ وقرا ابن كثير بكسر السين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد
مثل صرار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلفوا في قوله تعالى ونحاس فقيل هو الصفر
المعروف يذيبه الله تعالى ويعذبهم به وقيل هو الدخان الذي لا لهب معه قال الخليل وهو معروف
في كلام العرب وانشد الاعشى يصفي كصفو سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقال ابن عرفان
العرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القراء على ضمها انتهى وقال الضحاك هو ردي
الزيت الخلي وقال الكسائي التي لها ريح شديد فلا تنتصران اي فلا تمتنعان ولا ينصر بعضكم
بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر فباي الاء اي نعم ربكما اي المدبر لكما هذا التدبير تكذبان ابتلك
النعم فان التهديد لطف والدبير بين المطيع والعاصي بالجزا والانتقام من الكفار في عداد الانعام
بغيرها فاذا انشقت السما كاي انفرجت فكانت ابوابا لنزول الملايكة فكانت وردة اي
حمرا مثل الوردة كالدهان اي كالاديم الاحمر على خلاف في العهد بها لشدة حر نار جهنم وقال
مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت في صفا الدهن والدهان على
هذا جمع دهن وقال سعيد ابن جبير وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن
اي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حمرا من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن لو قها وذوبانها
وقال الحسن كصفو الدهن فانك اذا صببته ترى فيها الوانا وجواب اذا انما اعظم الهول
فباي الاء اي نعم ربكما اي الخالق والرازق لكما تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها مما يكون ذلك
فيومئذ اي فحينئذ عن يوم الله اذا انشقت السما انه لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
اي سوال تعرف واستعلام بل سوال توبيخ وتوبيخ وملام وذلك انه لا يقال له هل عملت
فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على ان ذلك اليوم طويل وهو ذو الوان تارة يسال فيه
وتارة لا يسال فيه والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك الالوان يسمى يوما فيسال
في بعض ولا يسال في بعض وقيل المعنى لا يسالون اذا استقروا في النار وقال الحسن
وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملايكة رواه العوفي

عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد لا يسئل الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله تعالى
يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ ورواه مجاهد عنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين
وقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكنه
يسالهم اعملتموها سوال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال
قتادة يسالون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم مشاهدة
عليهم تنبيه الجان هنا وفيما ياتي بعني الجني والانس بمعنى الانسي فباي الاي
نعم ربكما الذي ربي كلاسكم بماله مطمع في النكاره ولا خفا فيه تكذبان ابتلك النعم
ام بغيرها ايا انعم الله تعالى على عباده المومنين في هذا اليوم يعرف اي لكل احد المجرمون
اي الفريقون في هذا الوصف بسيماهم اي العلامات التي صور الله تعالى ذنوبهم فيها
فجعلها ظاهرة بعد ان كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الاذ الليل اذا جاء لا يخفى
على احد اصلا وكذا النهار وغيرهما لغير الاعمى قال البقاعي وتلك والله اعلم زرقة العيون
وسواد الوجه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتقسيمها
والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله تعالى مشيرا بالبنا للمفعول الى سهولة
الاخذ من اي احد كان فيوخذ بالنواصي اي منهم ومن مقدمات الروس والاقدام بعد ان
يجمع بينهما فيسحبون بها سحبا من كل ساحب اقامه الله تعالى لذلك لا يقدرون على الامتناع
بوجه فيلقون في النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراظهره
وعنه يوخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يدوق ظهره ثم يلقى في النار
وفعل بالكافر ذلك ليكون اشد لعذابه وقيل تسحبه الملايكة الى النار تارة تاخذ بناصيته
وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه على وجهه فباي الاي نعم ربكما اي
المنعم عليكما الذي دبر مصالحكم بعد ان اوجدكم تكذبان ابتلك النعم ام بغيرها مما وعد
ان يفعل من الجزا في الاخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا وغير ذلك من الفضل هذه
جهنم اي يقال لهم اذا القوا فيها هذه جهنم التي يكذب اي ماضيا او حالا ومالا استهانة
بها وبمن اوعد بها المجرمون اي المتوغلون
الحقيقون بالاجرام وهو قطع ما من حقه ان يوصل وهو ما امر الله تعالى به وخص هذا
الاسم اشارة الى انها تلتقمهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة والغاظة كما كانوا يفعلون

مع الصالحين عند الاجرام المذكوره يطوفون بينها اي بين تدرك النار وبين حميم
اي حار منتاه في الحرارة وهو منغوص كقاض يقالي اني يا اني فهو آن كقضي يقضي فهو
قاض والمعنى انهم يسعون بين الحميم والجحيم فان استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم
الان الذي صار كالمهل وهو قوله تعالى ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب الاحبار
واد من ادوية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فيطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه
حتى تتخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون
في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان قيل هذه الامور ليست
نعمة فكيف قال عز وجل فباي الاي نعم ربكما اي المحسن ايها الثقلان اليكما تكذبان
اجيب من وجهين احدهما ان ما وصل من هول هوم القيمة وعقاب المجرمين فيه زجر
عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا من اعظم النعم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخشعت
العبرة وجعل يبتول ويحي من يوم تنشق فيه السما ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويحيك يا فتى يا فتى منها والذي نفسي بيده لقد بكت ملايكة السما من بكائك الثاني
ان المعنى ان كذبتم بالنعمة المتقدمة لاستحقيتم هذه العقوبات ومي داله على الايمان
بالغيب وهو من اعظم النعم ولما عرف ما للمجرم المجتري على العظايم وقدمه لما اقتضاه
تمام التكذيب من التراهيب وجعله سببا اشارة الى ابواب النار السبع عطف عليه ما
للخايف الذي اداه خوفه الى الطاعة وجعله ثمانيا على عدد ابواب الجنة الثمانية
فقال ولمن خاف اي من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة
الخايفين مقام ربه اي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك المعصية والشهوة
قال القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في
قوله تعالى فاذا جا اجلهم وقوله تعالى في موضع اخر ان اجل الله اذا جا لا يوخر وقال
مجاهد هو الذي هم فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل جنتان اي لكل
خايف جنتان على حدة قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد بن علي
الترمذي جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه
بعداد الفرايض وقيل جنتان لجميع الخايفين وقيل جنة لخايف واخرى لخايفة الجن

فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا
لمكانك وانشد • ونفيت عنه مقام الذيب • كالرجل اللعين • يريد ونفيت عنه الذيب قال ابن
عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة
ورثها وقيل احدي الجنتين مسكنة والاخري بستانه وقيل احدي الجنتين اسافل القصور
والاخري منزل ازواجه كما يفعل روسا الدنيا وقيل احدي الجنتين مسكنه والاخري بستانه
وقيل احدي الجنتين اسافل القصور والاخري اعاليها وقال الفرا انها جنة واحدة وانما
ثني لروس الاي وانكر القتيبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال
تسعة عشر مراعات لروس الاي وقيل جنة واحدة وانما ثني تاكيدا لقوله تعالي القيا في
جهنم وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج
بلغ المنزل الا ان يبلغه الله تعالي اليه الا ان يبلغه الله تعالي الجنة اخرجه الترمذي
قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير اخر الليل والمراد من الادلاج التشهر والجد
والاجتهاد في اول الامر فان من ثار في اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روي البغوي بسنده
عن ابي الدردا انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقص علي المنبر وهو يقول ولمن خاف
مقام ربه ~~ونهي النفس~~ جنتان قلت وان زنا وان سرقا يا رسول الله فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق
يا رسول الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان
قلت الثالثة وان زنا وان سرق يا رسول الله قال وان زنا وان سرق رغم انف ابي الدردا
فايدة قال القرطبي في هذه الاية دليل ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق
انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالي وحيا منه وقال سفيان الثوري
وافتي به هذا ومذهب الشافعي انه لا يحنث اذا كان مسلما ومات علي الاسلام وقال عطا
نزلت هذه الاية في ابي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حتي ازلفت والنار حين ابرزت وقال
الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا علي ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستغنا
ورسول الله صلي الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلي عليه
الاية فباي الا اي نعم ربكما المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر احد علي شي منها تكذبان
ابتلك النعم ام بغيرها من نعمه التي لا تحصي ثم وصف الجنتين بقوله تعالي ذواتا اي صاحبتا

او

او خبر لمبتدا محذوف اي هما ذواتا وهي تثنية ذات لغتان الرد الي الاصل فان اصلها ذوية
فالعين واو واللام يا لانها مونثة ذو والثانية التثنية علي اللفظ فيقال ذاتا وقوله تعالي
افنان فيه وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا تكون به الزينة
بالورق والثمر وكمال الانتفاع قاله النابغة الذبياني • تكاد حمامة تدعوا هديلا مفجعة علي
فنن تغني • وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحولون الوفانون يريد الوافنين وهو جمع
افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي قال قتادة ذواتي افنان
اي سعة وفضل علي سواهما والوجه الثاني انه جمع فن واليه اشار ابن عباس والمعني ذواتي
انواع واشكال وقال الضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن الا ان الكثير في فن ان يجمع
علي فنون وقال عطا كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالي فباي الا
اي نعم ربكما اي المحسن اليكما والمدبر لكما تكذبان ابتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل
له من امثاله ما يعتبرون به ام بغيرها ولما كانت الجنان لا تقوم الا بانهار قال تعالي
فيهما عينان تجريان اي في كل واحد منهما عين جارية قال ابن عباس يجريان ما بالزيادة
والكرامة من الله تعالي علي اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن يجريان بالما الزلال اجري
العينين التسنيم والاخري السلسبيل وقال عطية احديهما من ما غير اسن والاخري من خمرة
لذة للشاربين وقيل يجريان من جبل من مسك قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان
لمن كانت عيناه تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في كل مكان شا صاحبهما وان
مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها فباي الا اي نعم ربكما
اي المالك لكما والمحسن اليكما تكذبان ابتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا امثالا كثيرة
ام بغيرها فيهما اي الجنتين من كل فاكهة اي تعلمونها او لا تعلمونها زوجان اي صنفان
ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا
ثمرة حلوة ولا مرة الا في الجنة حتي الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله تعالي ذواتا افنان وفيهما
عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين فما الحكمة في فصل بعضها
عن بعض بقوله تعالي فباي الا ربكما تكذبان مع انه لم تعالي لم يفصل ذكر العذاب بين الصفات
بل قال تعالي يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع ان الشواظ غير ارسال
النحاس اجيب بانه تعالي جمع العذاب جملة وفصل ايات الثواب ترجيحا لجانب الرحمة

في الدنيا

علي جانب العذاب وتطييبا للقلب وتهييجا للسامع فان اعادة ذكر المحبوب وتطوير الكلام فيما
اللذات مستحسن فان قيل لما وجد توسط اية العينين بين ذكر الافنان واية الفاكهة والفاكهة
انما تكون علي الاغصان فالمناسبة ان لا تفصل بين اية الاغصان والفاكهة اجيب بان
ذلك علي عادة المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان فاول قصدهم النزهة بالخضرة والماء ثم
يكون الاكل تبعا فباي الا اي نعم ربكما التي اخرها الموجد لكما المحسن اليكما تكذبان ايها الثقلان النعم
ام بغيرها مما فوضه اليكم من سايرالنعم التي لا تحصي ولمكان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم
من طيب العرش وغيره قال تعالي مخبرا عن هولا الذين يخافون مقام ربهم متكيين اي لهم ما ذكر
حال الاتكا والحامل في الحال محذوف اي فيتنعمون متكيين علي عرش وعظها بقوله مخاطبا
للمكلفين بما تحتمل عقولهم والا فليس في الجنة ما يشبهه علي الحقيقة شي من الدنيا بطائنها
من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطائن التي
تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر
قال هذا مما قال الله تعالي فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف
لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالي وتظير ذلك في الجنة
قوله تعالي عرضها كعرض السما والارض واما الطول فلا يعلمه الا الله تعالي عز وجل لكن قال
القرطبي وفي الخبر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا وقيل الظواهر
من السندس وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول
للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض وقال الفراء قد تكون الباطنة الظاهرة
والظاهر الباطنة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السما وهذا بطن السما
لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتلاقيين
اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحايط بينك وبين قوم وعلي اديم السما وقال ابن عباس وصف
البطائن وترك الظواهر لانه ليس احد في الارض يعرف ما الظواهر تنبيها قال الرازي
الاستبرق معرب وهو الديباج التخين اي وهذا ومثله لا يخرج القران عن كونه عربيا
لان العربي ما نطقت به العرب وضعا واستعمالا من لغات غيرها وذلك كله سهل عليهم
وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكا لانه حال
الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وجني الجنتين اي ثمرهما

دان

دان اي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتي يجنيها وفي الله تعالي ان شا قايما وان شا
قاعدا وان شا مضجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا يشوك قال الرازي جنة الاخرة
مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه ان الثمرة علي رؤس الشجرة في الدنيا بعيد علي الانسان
المتكي وفي الجنة هو متكي والثمر تتدلي اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعي الي الثمرة ويتحرك
اليها وفي الاخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من
ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد فباي الا
اي نعم ربكما اي المربي لكما الذي يقدر علي كل ما يريده تكذبان امن قدرته علي عطي الاعضاء
وتقريب الثمار ام من غيرها وللمكان ما ذكر لا تتم فكهته الا بالنسوان الحسان قال تعالي
فيهن اي الجنان التي علم مما مضي ان لكل فرد من الحاينين منها جنتين فصح الجمع وقال
الزمخشري فيهن في هذه الالا المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنين
او في الجنتين لاشتمالهما علي ما ذكر وقصور ومجالس انتهي قال ابو حيان وفيه اي الاول
بعد لان الاستعمال ان يقال علي الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف ولذا جمع الزمخشري
مع الفرش غيرها حتي صح له ان يقول ذلك وقيل يعود علي الجنتين لان اقل الجمع اثنان وقال
الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذا صح ان يقال فيهن قاصرات الطرف اي الاعين علي ازواجهن
المتكيين من الانس والجن قال الرازي وقوله قاصرات الطرف اي نسا بل بالصفات فقال تعالي
حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نسا عربا ولا نسا قاصرات
لوجهين اما علي عادة العظما كبنات الملوك يذكرن باوصافهن واما لانهن كملن كما نهن خرجن
من جنهن وقوله تعالي فيهن قاصرات الطرف يدل علي عفتهن وعلي حسن المومنين في اعينهن
فيحببن ازواجهن حبا شديدا لشغلهن علي الفراء بغيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة
ربي ما اري في الجنة احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك ويدل ايضا
علي الحيا لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها تنبيه انظر الي
حسن هذا الترتيب فانه تعالي بين اولا المسكن وهو الجنة ما يتفكه به وهو النسا والاعين
الجاوية ثم ذكر الماكول فقال تعالي فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش
ثم ذكر ما يكون في الفراش معه وللمكان الاختصاص بالشي من اعظم الملذوذات لاسيما المراة
قال تعالي لم يطمثهن اي لم يجامعهن ويقال طمث المراة كضرب وفرح حاضت

وطئها الرجل اقتضها وايضا جامعها انس قبلهم اي المتكيين ولا جان فكانه قال عن ابكار لم يجامعهن احد فان هذا جمع كل من يمكن منه جماع وفي ذلك دليل على ان الجني ينبغي كما ينبغي الانسي ويدخل الجنة ويكون لهم فيها جنتان قال ضمرة للمومنين منهم ازواج من الحور فالافيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسهن ممن انشاهن خلقا وهو قول الكلبي اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشيئن فيه انس ولا جان واما في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع الرجل ولم ينم يطوف الجان على اجليله فيجامع معه وقال القرطبي لم يطمثهن لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد وهذا شامل لنساء الجنة وكنساء الدنيا بعد انشايهن خلقا جديدا وقرا الكسائي يطمثهن بضم الميم في موضعين بخلاف عنه وتخييري احدهما وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها فباي الاء اي نعم ربكما المدبر مصالحكما تكذبان اي باي نوع من انواع هذا الاحسان ام غيره كانهن الياقوت اي صفاء والمرجان اي اللولو بياضا والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه والمرجان صفاء اللولو واشده بياضا وقيل شبه نوعين من بياض اللولو مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب حمرة قال ابن الخازن والاصح انه شبههن بالياقوت لصفايه فان حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استضيئته لرايت السلك من ظاهره لصفايه قال عمر وابن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضا يدل على صحة ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المراة من نساء اهل الجنة ليرى ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان قال الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استضيئته لرايته من ورايه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون انيتهم الذهب والفضة واسفاطهم الذهب ومجامرهم الالوة اي بخورهم العود ورشحهم المسك ولكل احد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد فباي الاء اي نعم ربكما اي المالك الملك المربي جميع التربية تكذبان اي احد منا لا لما ذكر من وصفين ام غيره هل جزاء الاحسان اي بالطاعة

من الانس

اي بالطاعة من الانس والجن وغيرهما الا الاحسان اي بالثواب وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل على ما امر الله محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة وعن انس ابن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي باسناده عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي فباي الاء اي نعم ربكما الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال تكذبان ايشيء من هذه النعم الجزيلة ام بغيرها ومن دونهما اي من ادنى مكان ورتبة تحت جنتي هولاء المحسنين المقربين جنتان اي لكل واحد من دون هولاء المحسنين الخائفين ومن اصحاب اليمين وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج اي اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيها فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما اي امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاولتان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوتة وعلى هذا هما افضل من الاولتين والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال ومعنى من دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب واد في الى العرش وقال مقاتل الجنتان الاولتان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى فباي الاء اي نعم ربكما اي المحسن بنعمه لجميع خلقه تكذبان ايشيء مما تفضل به عليكم ام بغيره ثم وصف تلك الجنتين بقوله تعالى مدهامتان قال ابن عباس رضي الله عنهما خضراوان وقال مجاهد سوداوان لان الخضرة اذا اشتدت تضرب الى سواد وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قال سواد العراق لكثرة شجره وزرعه والارض اذا احضرت غاية الخضرة تضرب الى سواد قال الرازي والتحقيق فيه ان ابتدا الالوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فان الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيا من الالوان فباي الاء اي نعم ربكما اي المحسن اليكما بالرزق وغيره تكذبان ايشيء من تلك النعم ام بغيرها ثم وصف تلك الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما اي في جنتي كل شخص منهم عينان نضاختان قال ابن عباس اي فوارتان

بالماء والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضخ بالحاء المهملة بان النضخ بالمهملة الرشح والرش و
بالمعجمة اكثر فوران الماء وقال مجاهد العين نضاختان بالخير والبركة وبن مسعود تنضخ عين
اوليا الله تعالى بالمسك والكافور والعنبر في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن
جبير بانواع الفواكه والماء فباي الاء اي نعم ربكما المزي البليغ الحكمة في التربية تكذبان ايتلك
النعمة ام بغيرها ثم وصف الجنتين ايضا بقوله تعالى فيهما فاكهة وخص اشرفها واكثرها وجدانا في
الحزين والثاكل كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لهاتين بقوله تعالى ونخل ورمان فاد كلا
منهما فاكهة وادام فلذا خصا تنبيها وتنبيها على ما فيهما من التفكه واولهما اعم نفعا واعجب خلقا
ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام تفصيلا له كقوله تعالى ملائكته
وجبريل وميكايل وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء
ليس ذلك من الفاكهة ولذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث
وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كالثمرات فكان بكثرة ثمرها
عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفاكهة عندهم من الوان الثمار التي تعجبوا بها فلما ذكر الفاكهة
ثم ذكر النخل والرمان لعمومها وكثرتها عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن
فاخرجهما من الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتهما وقيل افراد بالذكر لان النخل ثمرة
فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يجعلها للتفكه قال البغوي وعن ابن عباس
قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وورقها ذهب احمر وسعفها كسوة اهل الجنة منها تقطعاتهم
وحللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليين من الزبد
وليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة ملا جلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد
وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثني عشر ذراعا فباي الاء اي
نعم ربكما المحسن الي الثقلين بجليل التربية تكذبان ايتلك النعم ام بغيرها مما احسن به اليكما
فيهن اي الجنان الاربع او الجنتين وقصورها خيرات حسان اي نساء الواحدة خيرة على معنى
ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات مخفف كهين وليين روي الحسن عن امه عن ام سلمة
قالت قلت يا رسول الله اخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان
الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذاري ابكار وقال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن
الله تعالى فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى لا يشبهه اختيار الادميين وصفهن

بالحسن

بالحسن فاذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر اما هناك وقال
الرازي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن فباي الاء اي نعم ربكما اي الكامل الاحسان اليكما
تكذبان ايتلك النعمة ما جعل لكم من انواع الفواكه ام غيرها ثم زاد في وصفهن بقوله تعالى
حور جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها مقصورات والمقصورات
المحبوسات المستورات في الخيام وهي الخيام قلت بالطوافات اي في الطرق قاله ابن عباس
والنساء تمدح بملازمتهن البيوت كما قال فتيس من الاسلت وتكسل عن جيرانها فيزورنها
وتقبل من اتيانهن فتعذر ويقال امراة مقصورة وقصرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة
والت الذي حبت كل قصيرة اي ولم يعلم بذاك غنيت قصيرة الجمال لم ارد فصار الخطا
شر النساء البحائر والخيام اربعة اعواد تنصب وتسقف بشيء من نبات الارض وجمعها
خيم كثيرة وتمر وتجمع الخيم على خيام وهو جمع الجمع واما ما يتخذ من شعر او وبر او نحو
فيقال له خبا وقد يطلق عليه خيمة تجوزا وقال بن عمر الخيمة درة مجوفة وقال ابن
عباس قال وهو قرئ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة
ان في الجنة لولوة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون الاخرين يطوف
المومنون عبد الله الحكيم الترمذي بلغنا ان سحابة امطرت من الوان فخلق اي الحور
العين من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على ثماني الاء اربعون
ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب
ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تلحظها فهو معنى مقصورة
قد قصرها الله على ابصار المخلوقين وقال مجاهد معناه قصرت اطرافهن وانفسهن على
ازواجهن فلا يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من اهل الجنة اطلعت
على الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما
فيها فاية اختلفوا ايما اكثر حسنا واتم جمالا الحور ام الاميات فقيل الحور لما ذكر في
وصفهن في القران والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة الجنازة وابدله
زوجا خيرا من زوجه وقيل الاميات افضل من الحور العين بسعي الوضع روي
ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين
والمومنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري قال بن عادل والمشهور

ان الحور العين لسن من نسا اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالي لم يطمثهن بعد
انشايهن خلقا اخر وعلي هذا لا دليل في ذلك فباي الا اي نعم ربكما الذي صوركم واحسن صوركم
تكذبان ابهذا النعمة ام بغيرها لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الجنتين الاولتين و
ضميرهم في قبلهم لاصحاب الجنتين فباي الا اي نعم ربكما الذي جعل لكم في الجنة ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر تكذبان ابهذا النعم ام بغيرها متكيين اي لهم ما ذكر
حال الاتكا والعامل في الحال محذوف اي ينعمون متكئين علي رفرف اي ثياب ناعمة و
فرش رفيعة النسج من الديباج لينة ووسايد عظيمة ورياض باهرة وبسط لهما اطراف فاضلة
وهو جمع رفرفة لان الله تعالي وصفه بالجمع بقوله خضر ووصفه بذلك لان الخضرة احسن
الالوان وابهجها وقال الجوهري هو ثياب خضر يتخذ منها المجالس الواحة رفرفة واشتقاقه
من رف الطاير اي ارتفع في الهوي ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران وقيل الرفرف
طرف الفسطاط والخبا الواقع علي الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر في وفات
النبي صلي الله عليه وسلم فرفع الرفرف فرايناه وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط
قال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول الرفرف اعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولتين متكئين
علي فرش بطايها من استبرق وقال هنا متكيين علي رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي
علي شي اذا استوي عليه الولي رفرف به اي طار به حيثما يريد كالمرجاح وروي في
حديث المعراج ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهي جاه الرفرف فتناوله
من جبريل وطار به الي سند العرش فذكر انه قال طار بي يخفضني ويرفعني علي وقف
بي علي ربي اي محل تنزلات رحمة ربي ثم لما جا الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا
يهوي به حتي اداه الي جبريل عليه السلام كالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالي
له خواص الامور من الدنو والقرب كما ان البراق دابة يركبها الانبيا مخصوصة بذلك وهذا
الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاوهما وفرشهما يرفرف بالولي
علي حافات تلك الانهار وحيث يشا الي خيام ازواجه وقوله تعالي وعبقري منسوب
الي عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب قال في القاموس عبقر
موضع كثير الجن وقرية بناوها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شي وقال الخليل هو
جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي

ومختي

ومختي انتهي والمراد به الجنس ولذلك قال تعالي حسان حملا علي المعني اي هي في غاية حسن
كمال الصفة وحسن النظر لا توصف فباي الا اي نعم ربكما المحسن الواحد الذي لا محسن غير
مولا احسان الا منه تكذبان ابشي من هذه النعم ام بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه السورة من
النعم علي احاطة مبدعها باوصافها الكمال وختم نعم الدنيا بقوله تعالي ويبقي وجه ربك
ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة ان الباقي هو الله تعالي وان الدنيا فانية ختم بالقلم
الاخرة بقوله عز من قايل تبارك قال ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكره جل ذكره
الا عند امر يعجب انتهي ومعناه ثبت ثباتا لا تسع العقول وصفه انتهي ولما كان تعظيم
الاسم ابلغ في تعظيم المسمي قال تعالي اسم ربك اي المحسن اليك بانزال هذا القران الذي
جبلك علي متابعته فصرت مظهرا له وصار خلقا لك فصار احسانه اليك فوق الوصف
وقيل لفظ اسم زايد وجري عليه الجلال المحلي والاول اولي ذي الجلال اي العظمة الباهرة
والاكرام قال القرطبي كانه يريد به الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات
والارض وصفه فانه تعالي كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة
واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال اخر الصفة تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي
فمن رحمتي خلقتكم وخلق لكم السموات والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم
الرحمن لمدح اسمه فقال تعالي اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي جليل في ذاته كريم في افعاله
وقرا ابن عامر بالواو رفعا صفة للاسم والباقون باليا خفضا صفة للرب فانه هو الموصوف
بذلك روي الثعلبي عن علي انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لكل شي
عروس وعروس القران سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلي الله عليه وسلم قال من قرا سورة الرحمن ادي شكر ما انعم الله عليه حديث موضوع
سورة الواقعة مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة
الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالي وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي
مكية الا اربع ايات منها ابهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
نزلت في سفر وقوله تعالي ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلت في سفره الي المدينة
وقدمنا ان في المكي والمدني اصطلاحين وان المشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني

ما نزل بعدها وهي ست وسبعون اية قال الجلال المحلي وهي ست او سبع او تسع وسبعون
اية انتهى وثلثمايه وستون كلمة والف وسبعماية وثلاث احرف بسم الله الذي له الكمال كله ففاوت
بين الناس في الاحوال الرحمن الذي عم بنعمته البيان وفاصل في قبولها بين اهل الادبار واهل
الاقبال الرحيم الذي قرب اهل حزبه ففازوا بمحاسن الاقوال والافعال ولما قسم سبحانه الناس
في تلك السورة الى ثلاثة اصناف مجرمين وسابقين ولاحقين شرح احوالهم في هذه السورة وبين
الوقت الذي يظهر اكرامه وانتقامه بقوله تعالى اذا وقعت الواقعة اي التي لابد من وقوعها
ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال وتا المبالغة وغيرهما وهي الثانية التي يكون عنها
البحث الاكبر الذي هو القيامة الجامعة لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة
ما يقع فيها من الشدايد وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذا وكان كيت وكيت وقال الجرجاني اذا
صلة كقوله اقترب للساعة واتى امر الله وهو كما يقال جا الصوم اي دنا وقرب وقوله تعالى
ليس لوقعتها كاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر
كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي او صفة والوصف
محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة اي كلما يخبر عن وقعتها صادق او نفس كاذبة اي لا يردها شي
وقيل ان قيامها جد لا هزل وقوله تعالى خافضة رافعة تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدا محذوف
اي هي قال عكرمة ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت
من نأى يعني اسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين
وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله تعالى ورفعت اقواما الى طاعة الله وقال
وقال عمر ابن الخطاب خفضت اعدا الله تعالى في النار ورفعت اوليا الله تعالى في الجنة
وقال ابن عطا خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل ولا مانع ان كل ذلك موجود
فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب
سبحانه وتعالى الرفع والخفض الى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب اضافتها الفعل
الى المحل والزمان وغيرهما مما لم منه الفعل يقولون ليل قايم ونهار صايم وفي التنزيل بل مكر
الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في قوله تعالى لوقعتها اما
للتعليل اي لا كذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية كقوله تعالى ليس لزيد
ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس وقعتها امر يوخذ لها كاذب اذا اخبر عنه

قال الرازي

الرازي وعلى هذا لا تكون ليس عاملا في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب اذا رجت الارض
اي كلها على سعتها وثقلها بايسر امر رجا اي حركت تحريكا شديدا بحيث ينعدم ما فوقها من
بناء وجبل قال بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شي
من الجبال وغيرها والرجرجت الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب
البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت امواجه والظرف متعلق بخافضة او بدل
من اذا وقعت ولما ذكر حركتها المزعجة اتبعها غايتها بقوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتت
حتى صارت كالسويق الملتوت من بسر السويق اذا لته قال ابن عباس ومجاهد كما يبس
الدقيق اي يلت والبسيسة السويق او الدقيق يلت بالسمن والزيت ثم يوكل ولا يطبع وقد
يتخذ زادا قال الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حسا او سبقت وسيرت من
الغنم اذا ساقها وبست الابل وانبتها القنان اذا زجرتها وقلت بس مبس قاله ابو زيد
وقال الحسن بست قطعت من اصلها قد صبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت
بالرمل والتراب فكانت اي بسبب هبا اي غبارا في غاية الانمحاق والى شدة لطافته اشار
بصيغته فقال منبثا اي منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هوا يفرقه فهو كالذي
يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وقال ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا اضطربت
يطير منه شرار فاذا وقع لم يشا وكنتم اي قسمتم بما كان في حيلاتكم وطبايعكم في الدنيا ازواجا
اي اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة قال البيضاوي وكل صنف
يكون او يذكر مع صنف اخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الاول وتكرير المبتدا بلفظه هنا مغن عن الضمير
ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم ولما
ذكر الناجين بنفسهم اتبعهم اضدادهم بقوله تعالى واصحاب المشيمة اي الشمال وهم
الذين يوتون كتبهم بشمايلهم وقوله تعالى ما اصحاب المشامة تحقير لشانهم بدخولهم
النار وقال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب
واصحاب الشمال هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال في النار والمشامة الميسرة وكذا الشامة
والعرب تقول لليد الشمال الشوم وللجانب الشمال الاشام كذلك يقال لما جا عن اليمين
اليمين ولما جا عن الشمال الشوم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن

يميني الكعبة والشام عن شمالها وقال ابن عباس اصحاب اليمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين
اخرجت الذرية من صلبه فقال تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم هم الذين
اخذ واسق ادم الايمن وقال بن جريج اصحاب اليمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشئمة
هم اصحاب السيات وفي صحيح مسلم من حديث الاسري عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال فلما علوذا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسود وعن يساره اسودة قال فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكي قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
قال قلت ياجبريل من هذا قال ادم عليه السلام وهذه الاسودة عن شماله وعن يمينه
نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد
اصحاب اليمنة اصحاب التقدم واصحاب المشئمة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك
ولا تجعلني من المتاخرين تنبيه الغاية قوله فاصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه
التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب اليمنة واصحاب المشئمة والسابقون ثم بين حال
كل قسم فقال فاما اليمنة وترك التقسيم اولا واكتفي بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة
مع احوالها فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشئمة في مقابلة اليمنة مع انه قال في بيان
احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال اجيب بان اليمين وضع للجانب المعروف و
استعملوا منه الفاظا في مواضع فقال هذا يمون يتمنا به ووصفوا مقابلة اليمين اليسار
بالتي اليسير اشارة الى ضعفه واستعملوا منه الفاظا قليلة ما به فذكر المشئمة في مقابلة اليمنة
وذكر المشئمة في مقابلة اليمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله ولما
ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين ذكر لاحد اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم
ولم يقسم اهل المشئمة ترهيبا الى سوء حالهم فقال **والسابقون** اي الى اعمال الطاعة
مبتدا وقوله تعالى **السابقون** تاكيد عن المهدروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون
الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا اذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن
الحنفية هم الانبيا وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل امة وقال محمد ابن سيرين لا
هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال
مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد واول الناس روحا الى الصلوة الخمس وقال علي بن
ابي طالب هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد ابن جبير الى التوبة واعمال البر قال

تعالى

تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وقال بن عباس هم اربعة منهم سابق امة موسى عليه السلام وهو حزقيل
مومن ال فرعون وسابق امة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابق
امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقال سميط بن عجلان
الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو
السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبة حتى ختم له
بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا
من اصحاب الشمال وروي عن كعب قال هم اهل القران المتوجون يوم القيامة وقيل هم
اول الناس رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله وخبر المبتدا **اولئك** اي العالو
الرتبة جدا **المقربون** اي الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم هم
واصطفاهم الله تعالى للسبق فاراهم لقربه ولولا فضله في تقربهم لم يكونوا سابقين
قال الرازي في اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم واعمالهم كلها لله دينا ودنيا من
حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما عندهم حق الناس الله تعالى والدنيا عندهم اخرتهم لانهم
يرافقون ما يبدوالهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد وهم صفات صفق قلوبهم
في جلاله وعظمته هايمة قد ملكتهم هيبته فالحق يستعملهم في اخر قدارخي من عنانه والامر
عليه اسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الحظة ومحله الاعلا فهو امين الله في ارضه فيكون
عليه اوسع انتهى ثم بين ترغيبه لهم بقوله تعالى **في جنات النعيم** اي الذي لا كدر فيه بوجه
ولا منغص ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى **ثلة** اي جماعة وقيدها الزمخشري بالكثرة
وانشد وجاءت اليه ثلة حقد فيه تجيش كتيار من السيل مزبد قال بن عادل ولم يقيدها
غيره بل صرح بانها الجماعة قلت اوكثرت ثم قال والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون من
السياق انتهى لكن قال البغوي الثلة جماعة غير محصورة العدد **من الاولين** اي من الامم
السابقة من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم الصلاة والسلام ومن امن
بهم **وقليل من الاخرين** وهم من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبياء عليهم السلام
ماية الف وثمانية وعشرين الفا وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو ممن
يعد من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة الف فاظنك بمن

عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النسا فكيف بمن عداه
من سايرالنبيين عليهم السلام المجددين من بني اسرايل وغيرهم قال البيضاوي ولا يخالف
ذلك قوله عليه الصلاة والسلام امتي يكثرون سايرالامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه
هذه اكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوان تكون ربع اهل
الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسموهم في النصف الثاني رواه ابوهريرة ذكره الماوردي
وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبدالله ابن مسعود وكانه اراد انها منسوخة
قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان عدد امة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك
الزمان بل الى اخرالزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة والمراد بالاولين الانبيا
وكبار اصحابهم وهم اذا جمعوا اكثر من السابقين من هذه الامة ولان هذا خبر والخبر
لا ينفسخ وقال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فكذا قال تقالي وقليل من الاخرين
وقال في اصحاب اليمين وهم سوي السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ولذا قال
صلى الله عليه وسلم اني لارجوان تكون امتي شطر اهل الجنة ثم ثلاثة من الاولين وثلة من
الاخرين وروي الطبراني ان الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون الصحابة كلهم من
هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى راس القرن الثالث وهم لا يحصيهم الا الله تقالي
ومن المعلوم ان من تناقص الامر بعد ذلك الى ان صار السابق في الناس اقل من القليل
لرجوع الاسلام الى الحال الذي بدء عليها من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا
كما بدا فطوبى للغربا وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
وقال ابوبكر فلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو
في اخرها وهو مثل قوله تقالي فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل
المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين ذرياتهم الملحقون بهم في قوله
تقالي واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم واشتقاق الثلة وهي مبتدا من الثل
وهو القطع والجر علي سرر جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من المقاعد العالية المصنوعة
للراحة والكرامة موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشكة بالدر
والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة اي مصفوفة لقوله تقالي في موضع اخر علي

سرر

سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب مشكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة
واصله من وضنت الشي اي ركب بعضه علي بعض ومنه قيل للدروع موضونة لتراكب حلقها
قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تسير مع الحي عيرا فعيرا ومنه ايضا وضين الناقة وهو
حزامها لتراكب حلقها قال عمر وهو مار بوادي بحسر اليك تغدو اقلقا وضينها معترضا
في بطنها جنينها مخالفا دينها النصاري دينها رواه البيهقي ومعناه ان ناقتي تغدو اليك
سرعة في طاعتك قلقا وضينها وهو جمل كالحزام من كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد
البالغ في طاعتك والمراد صاحب الناقة فيس للمار بوادي بحسر ان يقول هذا الكلام
الذي قاله عمر ولما ذكر تقالي السرر وبين عظمها ذكر غايتها فقال سبحانه متكيين عليها
اي السرر علي الجنب او غيره كحال من يكون علي كرسي فيوضع تحته شي اخر للاتكا عليه
متقابلين فلا ينظر بعضهم الي قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا في الملوس وزوجته
واهله اي يتكيون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلثماية ذراع فاذا اراد العبد ان
يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا ارواحا نورانية
صافية ليس لهم ادبار وظهور تشبيه متكيين عليها متقابلين عالان من الضمير في علي
سرر يجوز ان يكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكيين ثم بين تقالي
انهم في غاية الراحة بقوله تقالي يطوف عليهم اي لكفايه كلما يحتاجون اليه ولدان
اي علي احسن صورة وزي وهيبة مخلدون قد حكم الله تقالي ببقايهم علي ما هم عليه من
الهيبة علي شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قولهم مرء القيس
وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال وقال سعيد بن جبير مخلدون
مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل في الاذن من الحلق وقيل مقرطون اي منطقون
من المناطق والمنطقة ما يجعل في الوسط واكثر المفسرين انهم علي سن واحد اثناهم الله تقالي
لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاءوا من غير ولادة فيها لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي ابن
ابي طالب والحسن البصري الولدان ها هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا
حسنة لهم ولا سيية وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن
لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود
ان اهل الجنة في اتم السرور والنعمة وقوله تقالي باكواب متعلق بيطوفون والاكواب

جمع كوب وهي كيزان مستديرة الافواه بلا عروة ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عايق عن شرب من
اي موضع اراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء عن الحالة التي تناول بها الشرب قوله تعالى واباريق
جمع ابريق وهي اواني لها عري وخراطيم فيها من انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
سمي بذلك لبريق لونه من صفايه وكاس اي انا شرب الخمر من معين اي خمر صافية صفا الما
ليس يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع ابدا فان قيل كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد
الكاس اجيب بان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر في انواعي كثيرة ويشربون بكاس
وفيها مباينتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والابارق ولا تثقل عليهم بخلاف
اهل الدنيا لا يصدعون عنها اي بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها
والصداع هو الدا المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبيدة
في وصف الخمر تشفي الصداع ولا يوذيك حالتها ولا يخالطها في الراس تدويم قال ابو عثمان
هذه صفة خمر الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر ابن الزبير والمعنى لا تتصدع روسهم من شربها
فهي لذة بلا اذى بخلاف خمر الدنيا وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي تذهب بعقولهم
بوجه من الوجوه اي يفرغ شرابهم من نزفت البير اذا نزح ماوها وقرا عاصم وحمزة
والكسائي بكسر الزاي والباقون بفتحها وفواكه مما يتخيرون اي يختارون
ما يشتهون من الفواكه لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة ترضيت والتخير الاختيار
ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون قال ابن عابس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين
يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع على صحفة الرجل فياكل منها ما يشتهي ثم يطير فيذهب فان
فان قيل ما الحكمة في تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتها واذا حضر عند الشبعان تميل
نفسه اليه الفاكهة فالجايع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون
لا من جوع بل للتفكه واذا اشتها حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل
ولهذا قدم الفاكهة على اللحم فان قيل الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان فيناولونهم
الفواكه الغريبة واللحم العجيبة لا للاكل بل للاكرام بما يصنع المكرم للضيف انواع الفواكه
بيده او يكون معطوفا على المعنى في قوله جنتان النعيم اي يقربون في جنات النعيم وفاكهة
ولحم اي في هذا النعيم يتقلبون ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشتهى النسا قال تعالى وحور
اي نسا شديدات سواد العيون وبياضها عين اي ضخام العيون وقرا حمزة والكسائي

بخفض

بخفض الاسمين عطفا على سرر فان النسا في معنى المتكا لانهن يسمين فرشا والباقون بالرفع
عطفا على ولدان كامثال اللولو المكنون اي المخزون في الصدف المصون الذي لا تمسه
الايدي ولم تقع عليه الشمس والهوى فيكون في نهاية الصفا قال البغوي ويروى انه
يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثغر حور اضحكت في وجه زوجها ويروى ان
الحور اذا مشت يسمع تقديس الخلال من ساقها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان العقد
الياقوت في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لولو يسيران بالتسبيح ولما
بلغ في وصف جزايهم بالحسن والصفا دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزا من جنس العمل
فقال تعالى جزا اي فعل لهم ذلك لاجل الجزا بما كانوا يعملون اي يجدون عمله على جهة
الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على ان ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزا
لا يجوز الاخلال به واجيبوا بانه لو صح ما ذكروه لما كان في الوعد بهذه الاشيا
فايدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزا قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى
لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشيا لانها جزاوه وافضال الجزا واجب فكان
لا يصح التمدح به لا يسمعون فيها لغوا اي شيا مما لا ينفع واللغو الساقط ولا
تاثيما اي ما يحصل به الاثم او السنة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها رضا الله
تعالى وقال ابن عباس باطلا وكذا قال محمد ابن كعب ولا تاثيما اي لا يوثم بعضهم
بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا ماثما وقوله تعالى الا قليلا فيه قولان
احدهما انه استثنا منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتاثيم
والثاني انه متصل وفيه بعد قال ابن عادل فكان هذا راي ان الاصل لا
يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه ثم بين تعالى ذلك بقوله سلاما
اي قولا سلاما قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام او تحييهم الملايكة او يحييهم
ربهم ودل على دوامه بتكريره فقال تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال القرطبي
السلام الثاني بل من الاول والمعنى الا قولا يسلم فيه من اللغو ولما بين تعالى
حال السابقين شرع في بيان حال اصحاب الميمنة فقال تعالى واصحاب اليمين
ثم فخم امره واعلا مدحه لتعظيم جزايهم فقال تعالى ما اصحاب اليمين فان
قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ

اليمين عند ذكر الانعام اجيب بان ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد في سدر
اي شجر نبق مخضود اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه قال
ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم ابن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون انا لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله
لقد ذكر الله تعالى في القران شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة توذي صاحبها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل
مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه
لون يشبه الاخر وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمين الى وج وهو واد بالطايف
مخضب فاعجبهم سدرة فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت قال امية بن ابي الصلت يصف
الجنة ان الحدايق في الجنان ظليلة فيها الكواكب سدرها مخضود وقال مجاهد
في سدر مخضود هو الوقر حملا الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن
اذا ثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال وطلح منضود
اي منظوم بالحمل من اعلاه الى اسفله ليس له ساق بارزة متراكم يتركب بعضه على
بعض على ترتيب هو في غاية الاعجاب والطلح جمع الطلحة قال علي وابن عباس
واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر
له ظل بارد رطب وقال الفرا وابو عبيدة شجر عظام له شوك والطلح كل شجر عظيم
كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها احلا من
العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا خوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله
الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل ساير ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي
طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلا من العسل وقال مسروق اشجار الجنة من
عروقها الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانا احسن منها وظل
ممدود اي دايم لا يزول ولا تسخنه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد
الظل كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل ليس ظل اشجار بل ظل يخلقه
الله تعالى قال الربيع ابن انس يعني ظل العرش وقال عمر بن ميمون مسيرة سبعين
الف سنة وقال عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل او الشي الذي

لا ينقطع ممدود قال الشاعر غلب القرا وكان غير تغلب دهر طويل دايم ممدود وفي
صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام لا ينقطعها واقراوا ان شيتم ودل ممدود وفي هذا
الحديث رد على من يقول ان الاشجار لا ظل لها وقد سيل السبكي عن الرجل الذي
هو اخر الجنة دخولا اذا نزلت له شجرة يقول يا رب ادنيني من هذه لاستظل في
ظلها الحديث من اي شي يستظل والشمس قد كورت اجاب بقوله تعالى وظل ممدود
وبقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال اذ لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل لانه
مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل امر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان
وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى
وظل ممدود وقال شجرة في الجنة يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون ويشتهي بعضهم
لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحا من الجنة فتتحرك تلك الشجرة بكل لهو في
الدنيا وما مسكوب اي جار في منازلهم في غير اخدود لا يحتاجون فيه الى جلب
ما من الاماكن البعيدة ولا ادلي في بير كاهل البوادي فان العرب كانت اصحاب بادية
وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الما الا بالدلو والرشا
فوعدوا في الجنة خلاف ذلك وفاكهة كثيرة اي اجناسها وانواعها واشخاصها
لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من
احد اذا اراد اخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان
كما تنقطع اكثر ثمار الدنيا اذا جا الشتا ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يمنع من
ارادها شوك ولا بعد ولا حايط بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها
قال تعالى قطوفها دانية وجا في الحديث ما قطع من ثمار الجنة الا ابدل الله تعالى
مكانها ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل الا لداويه الا مع الراحة قال تعالى
وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر يقال ثوب رفيع اي غزير مرتفع القدر والثمن
بدليل قوله تعالى متكين على فرش بطاينها من استبرق فكيف اظهارها او مرفوعة
فوق السرر بعضها فوق بعض روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السما والارض

مية خمسماية عام قال حديث غريب وقيل هي كناية عن النساء كما كني عنهن باللباس اي ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة ويدل هذا التاويل قوله تعالى انا اي بعظمتنا من العظمة التي لا يتعاظمها شيء انشأناهن اي الفرش التي معناها النساء من اهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزادني التاكيد فقال تعالى انشأً اي خلقا جديدا من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كسائر بني ادم ليكونوا كابيهم ادم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداة ولذلك ان ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشأناهن انشاءً فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا رمصا فجعلهن الله تعالى بعد الكبر ابكارا عربا على ميلاد واحد في الاستوي وروي انس ابن مالك يرفعه في قوله تعالى انا انشأناهن قال هن العجايز الغمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب ابن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشأناهن انشاءً قال هن عجايز الدنيا انشاهن الله تعالى خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدهن ابكارا فلما سمعت عايشة ذلك قالت واوجاهاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قالت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادعوا الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاءً فجعلناهن اي الفرش المنشاة وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء ابكارا اي عذاري كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن عذاري ولا وجع وذكر المسيب عن غيره انهن فضلنا على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين انشأناهن الله تعالى لم تمسهن على الولادة وقوله تعالى عربا جمع عروب كصبور وصبر وهي الغنجة المتحببة لزوجها وقال الرازي في اللوامع العطنة يراد الزوج كعطنة العرب وقيل الحسناء وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن عباس هن العواتق وانشد واشعر وفي الجباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يغشى دونها البصر وقرأ حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى اترابا جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدها التراب في وقت واحد وهو اكد في الايتلاف وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة

لانه

87

لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويكن حذفت لانه في معنى مصاحبك قال القرطبي سن واحد وهو للاث وثلاثون سنة يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد التعنين من النساء وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الاشكال والاكفاء وقال السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض فيهن ولا تحاسد وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاثا وثلاثين على خلق ادم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة اذرع وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من مات من اهل الجنة من صغير وكبير يردون ابناء ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا وكذلك اهل النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لولوء وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ينظر وجهه في خدها اصفى من المراة وان ادنى لولوة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا يخرقها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن ابي هريرة ان ادنى اهل الجنة منزلة وما منهم دنيء لمن يغدو اليه ويروح عشرة الاف خادم مع كل واحد منهم طريقة ليست مع صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين وجهان احدهما انها متعلقة بانشأناهن اي لاجل اصحاب اليمين والثاني انها متعلقة باترابا كقولك هذا تراب لهذا اي ساويته ثم بينهم بقوله تعالى ثلة من الاولين اي من اصحاب اليمين وثلة اي منهم من الاخرين فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر ان الاخرين اكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون صفا واربعون من سائر الامم وعن عروة بن رويم قال لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين بكى عمر وقال يا نبي الله امنا برسول الله وصدقناه ومن يجيء منا قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فدعا صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله فيما قلت قال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادم الينا ثلة الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه احد ورفع الي سواد عظيم فقلت انهم امتي فقيل لي هذا موسى

وقومه ولكن انظر الي الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الف
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم فتذاكر اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فقاموا اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا امنا بالله ورسوله
ولكن هولاء هم ابناونا فبلغ النبي صلي الله عليه وسلم ذلك فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون
ولا يكتوون وعلي ربهم يتوكلون فكان عكاشه بن محصن فقال ادع الله تعالي ان يجعلني
منهم فقال انت منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع الله تعالي ان يجعلني منهم فقال سبقك بها
عكاشه والرهط دون العشرة وقيل الي الاربعين وعن عبد ابن مسعود عن النبي صلي الله
عليه وسلم قال عرضت علي الانبيا الليلة باتباعها حتي اتي علي موسي في كبكبة بني اسرايل فلما
رايتهم اعجبوني فقلت اي رب من هولا قيل هو اخوك موسي ومن معه من بني اسرايل قلت يا رب
واين امتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فاذا ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقال هولا
امتك ارضيت فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال
فقال هولا امتك ارضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هولا سبعين الفا يدخلون الجنة لا
حساب عليهم فقال صلي الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم
فكونوا من اهل الافق فاني قد رايت اناسا يتهاوشون كثيرا وعن عبد الله ابن مسعود قال
كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل
الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده اني
لا ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل
الشرك الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود او كالشعرة السودا في جلد الثور الاحمر وتقدم في
الحديث المار انهم ثلثا اهل الجنة ولا منافات لانه صلي الله عليه وسلم اخبر اولا بالقليل ثم
اطلعه الله علي الزيادة ولما اتم وصف اصحاب الجنة اتبعه اضدادهم بقوله واصحاب الشمال
اي الجهة التي تتشام العرب بها ويعبر بها عن الشي الاحسن والحظ الانقص قال البقاعي والظاهر
انهم ادني اصحاب المشيمة كما ان اصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم
ومصابهم فقال تعالي ما اصحاب الشمال اي انهم بحال من الشوم هو جدير بان يسال عنه
وسماهم بذلك لانهم ياخذون كتبهم بشمالهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالي
في سموم اي ريح حارة من النار تنفذ في المسام وحميم اي حار بالغ في الحرارة الي حد

يذيب

يذيب اللحم وظل من يحموم اي دخان اسود كالحمم اي الفحم شديد السواد وقيل النار سودا
واهلها سود وكل شي فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسما النار قال الرازي وفي الامور الثلاثة
اشارة الي كونهم في العذاب دايما لانهم ان تعرضوا لمهب الهوا اصابهم السموم وان استكنوا
كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون في ظل من يحموم وان ارادوا
التبرد بالما من حر السموم يكون الما من حميم فلا انفكاك لهم من العذاب او يقال ان السموم
تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشايه فيشرب الما فيقطع امعاه فيريد الاستظلال
بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادني علي الاعلا
كانه قال ابرد الاشيا في الدنيا حار عندهم فكيف احرهم وقوله تعالي لا بارد ليراوح النفس ولا
كريم اي ليونس به ويلجا اليه صفتان للظل لقوله تعالي من يحموم وقال الضحاك لا بارد اي
كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان سعير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب
ولا حسن منظره وكل شي لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ونفي برد الظل وروحه ونفعه
من ياوي اليه من اذي الحر وذلك كرمه ليحموما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعني انه
ظل حار اضار الا ان للنفي في نحو هذا نشانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة
وانهم لا يتاهلون الظل البارد والكريم الذي هولا ضدادهم في الجنة ثم بين استحقاقهم
لذلك بقوله تعالي انهم كانوا اي في الدنيا قبل ذلك اي الامر العظيم الذي وصلوا اليه مترفين
اي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا في سعة من العيش متمكنين في الشهوات
مستمتعين بها متمكنين فيها وكانوا يصرون اي يقيمون ويدومون علي سبيل التجديد
لما لهم من الميل الجبلي الي ذلك علي الحنث اي الذنب ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قولهم
لم يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يواخذ بالحنث اي الذنب
وتحنث فلان اي جانب الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حرا اي يتعبد لمجانبة
الاثم ثم خرج لتفعل في هذه كلها للسبب ولما كان ذلك قد يكون من الصغاير التي تغفر
قال تعالي العظيم اي وهو الشرك قال الحسن والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذي
لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهو من الكباير يقال حنث في يمينه ان
لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله تعالي فلذلك
حنثهم فان قيل الترفه هو التنعم وذلك لا يوجب ذما اجيب بان الذم انما حصل بقوله

تعالي وكانوا يصرون علي الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرة النعم عليه اقبح
القبايح وفي الاية مبالغات لان قوله تعالي يصرون يقتضي ان ذلك عادتهم والاصرار
مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب يطلق علي الصغيرة ويدل علي ذلك قولهم
بلغ الحنث اي بلغ مبلغا تلحقه فيه الكبيرة ووصفه بالعظيم يخرج الصغاير فانها
لا توصف بذلك قال الرازي والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين
سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه علي ان الثواب
منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سوا ذكر سببه اولم يذكر لا يتوهم بالتفضل
نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل علي ذلك انه
تعالي لم يقل في حق اصحاب اليمين جزا بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب
اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزا في حقه
وكانوا اي زيادة علي ما ذكر يقولون اي انكارا مجددين لذلك دايما عنادا ايذا اي
انبعث اذا متنا وكنا اي كونا ثابتا ترابا وعظاما ثم اعادوا الاستفهام تاكيدا لانكارهم
فقالوا اينا لمبعوثون اي كاين وكاتب بعثنا ساعة من الدهر واكدوا ليكونوا انكارهم
لما دون ذلك بطريق الاولي وقرا قالون ايذا بتحقيق الهمزة الاولي المفتوحة وتسهيل
الثانية المكسورة في اينا وقرا ورش بتحقيق الاولي وتسهيل الثانية ولا ادخال بينهما
وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة في اينا مع النقل عن اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية الا ان ابا عمرو يدخل بينهما الفا فيهما وابن كثير
لا يدخل الفا وضما ميم متنا او اباونا اي او تبعث اباونا الاولون اي الذين قد بلت
مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترابا ولا سيما ان حملهم السول ففرقت اعضاءهم
وذهبت بها في الافاق فان قيل كيف حسن العطف علي الضمير في لمبعثون من غير تاكيد
بنحن اجيب بانه حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالي ما اشركنا ولا
اباونا الفصل لا الموكدة للنفي وقرا قالون وبن عامر بسكون الواو من او والباقون
بفتحها ثم رد الله تعالي عليهم قولهم ذلك بقوله تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم قل اي
لهولا ولكل من كان مثلهم واكد لانكارهم ان الاولين اي الذين جعلتم الاستبعاد
فيهم وهم الابا والاخرين وهم الابنا لمجموعون اي في المكان الذي يكون فيه الحساب

الي

الي ميقات يوم اي زمان معلوم اي معين عند الله تعالي وهو يوم القيامة اذ هو من
شانه ان يعلم بما عليه من الامارات والميقات ما وقت به الشي من زمان او مكان الي
حد ثم انكم اي بعد هذا الجمع ايها الضالون اي الذين غلبت عليهم الغباوة فهم
لا يفهمون فضلوا عن الهدي ثم اتبع ذلك بما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال تعالي
المكذبون بالبعث والخطاب لاهل مكة ومن قبل حالهم لاكلون من شجر من زقوم
وهو من اخبث الشجر المرتبهامة ينبتها الله تعالي في الجحيم فهو في غاية الكراهة وبشاعة
المنظر ونتن الرايحة وقد مر الكلام علي ذلك في الصافات تنبيه من الاولي لابتدا
الغاية والثانية لبيان الشجر فمالئون اي ملاهو في غاية الثياب وانتم في غاية
الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظم الكراهة منها اي الشجرة وانثه لانه جمع شجرة
وهو اسم جنس قال البقاعي وهم يكرهون الاناث فتانيثه والله اعلم زيادة في تنفيرهم
وقال الزمخشري انث ضمير الشجر علي المعني وذكره علي اللفظ في قوله منها وعليه وهو لف ونشر
مرتب البطون اي نظهركم الي تناول هذا الكريمة حتي تملوا بطونكم منه ثم لما بين ما كلهم
اتبعه مشربهم فقال تعالي فشاربون عليه اي الاكل او الزقوم من الحميم لاجل مرارته
وحرارته يحتاجون الي شرب الما فيشربون من الما الحار فشاربون اي منه شرب الهيم
اي الابل العطاش وهو جمع هيمان للذكر وهيمان للانثي كعطشان وعطشي والهيام
دا معطش تشرب الابل منه الي ان تموت او تسقم سقما شديدا وقيل انه جمع هايم
وهايمة من الهيام ايضا الا انه جمع فاعل وفاعلة علي فعل قليل نحو نازل ونزل وعايد
وعود وقيل انه جمع هيام بفتح الها وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يري من الما
اصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف بامساك عينه ثم كسرت فاوه لتصح
اليا كما فعل بالذي قبله والمعني انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الي شرب الحميم الذي
يقع امعاهم فيشربون منه شرب الهيم فان قيل كيف صح عطف الشاربين علي الشاربين
وهم لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي علي نفسه اجيب بانهما
ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين الحميم علي ما هو عليه من متناهي الحرارة
وقطع امر عجيب وشربهم له علي ذلك كما يشرب الهيم الما امر عجيب ايضا فكانتا صفتين
مختلفتين وقرا نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها هذا اي ما ذكر نزلهم

اي ما يعد لهم او قدومهم مكان يعد للضيف اول حلوله كرامة له يوم الدين اي الجزا هو حكمة
القيامة واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما ياتي بعد ما استقروا في الجحيم وفي ذلك تهكم كما في قوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم فان النزل ما يعد للنازل تكرمة له ثم استدل على منكري البعث بقوله
تعالى نحن اي لا غيرنا خلقناكم اي بما لنا من العظمة فلولا تحضيض اي فهلا تصدقون اي
بالبعث فان الاعادة اسهل من الابتدا وقيل نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا
طعامكم ان لم تومنوا او متعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا افرايتم
اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما تمنون اي تصبون من المني في ارحام النسا
ءانتم تخلقونه اي تجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستوا والحكمة بعد خلقه من سورة
النطفة الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام و
الاعصاب ام نحن اي خاصة الخالقون اي الثابت لنا ذلك وقرا افرايتم في الثلاثة مواضع
نافع بتسهيل الهمزة التي عين الكلمة ولورش وجه ثان وهو ابدالها واسقطها الكسائي والباقون
بالتخفيف وقرا ءانتم في الثلاثة مواضع نافع وبن كثير وابو عمرو وهشام بتحقيق الاولى و
تسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام ولم يدخله بينهما
ورش وبن كثير ولورش وجه ثاني وهو ابدال الثانية الفا والباقون بتحقيقها مع عدم الادخال
بينهما ولما كان الجواب قطعا انت الخالق وحدك اكد ذلك بقوله تعالى نحن اي بما لنا من العظمة
لا غيرنا قدرنا اي تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص شي منه بينكم الموت وقسمناه عليكم
فلم نترك احدا منكم بغير حصة منه واقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه فقصرنا عمر
هذا وربما كان في الاوجه من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة
عمره ما قدروا ان يوخروه لحظة واطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف البدن
واضطراب المزاج فلو تمالوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا وقرا بن كثير بتخفيف الدال
والباقون بالتشديد وما نحن اي على ما لنا من العظمة بمسبوقين اي بالموت اي لا عاجزين
ولا مغلوبين على اي عن ان نبدل تبديلا عظيما امثالكم اي صوركم واشخاصكم
وننشئكم اي انشا جديدا بعد تبديل ذواتكم في ما لا تعلمون فان بعضهم تاكله الحيتان
او السباع او الطيور فتتا ابدانها منه وبعضهم تصير ترابا فربما نشا منه نبات فاكلته الدواب
فنشات منه ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض من الذهب والفضة والحديد

والنحاس

والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا الى اخرها
قال البغوي فان نخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور اي تغيير
اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة وقال
الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت ~~وما نحن بمسبوقين~~ على ان نبدل امثالكم
بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا
يتاخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اي نجعلكم قردة
وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا
فتجعل المومن بياض وجهه وتقبح الكافر بسواد وجهه فايدة في ما مقطوعة في الرسم
ولقد علمتم النشاة الاولى اي الترابية لابيكم ادم عليه السلام واللحمية لامكم حوى
رضي الله عنها والنطفية لكم وكل منهما تحويل من شي الى غيره فما الذي شاهدتم قدرته
على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من الصور
ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى فلولا اي فهلا ولم لا تذكرون اي تذكرا عظيما تكرهون
انفسكم عليه فتعلمون ان من قدر على النشاة الاولى قدر على الثانية فانها اقل
ضعفا لحصول المراد وتخصيص الاجزا وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
وفي الخبر عجبا كل العجب بالمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا
للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور قرا بن كثير وابو عمرو النشاه بفتح
الشين وبعدها الف قبل الهمزة والباقون بسكونها ولا الف بعدها فاذا وقف حمزة نقل
حركة الهمزة الى الشين وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص وشددها الباقون
ثم ذكر لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة
ما نبهناكم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبهكم لذلك انكم رايتم ما تحرثون اي تجددون
على الاستمرار من ارضيكم فتطرحون فيه البذر ءانتم تزرعونه اي تنشونه بعد طرحكم
وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن خاصة الزارعون اي المنبتون
له والحافظون روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن زرعت وليقل حرثت
قال ابو هريرة ارايتم الى قوله تعالى افرايتم الاية ولما كان الجواب قطعا انت
الفعال لذلك وحدك قال تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره لو نشا اي لو عاملناكم

بصفة العظمة لجعلنا اي بتلك العظمة حطاما اي مكسورا مفتتا لا حب فيه قبل النبات
حتى لا يقبل الخروج او بعده ببرد مفرط او حر مهلك او غير ذلك فلا ينتفع به فظلتم اي
فاقمتم بسبب ذلك نهارا في وقت وتركتم ما يهمكم تفكهون حذفت منه احدى التائين
في الاصل تخفيفا اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من
المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة قال الزمخشري ومن الحديث مثل العالم كمثل الحمة
ياتيها البعد او يتركها القربا فبينما هم اذ غار ماوها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكهون
اي يتندمون وقال الكسائي التفكه التلهف على ما فات من الاضداد تقول العرب تفكهت
اي تنعمت وتفكهت اي حزنت وتقولون انا لمغرمون بحذف القول ومعنى الغرم ذهاب
المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجي الغرام بمعنى الهلاك قول القايل
ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي وقال ابن عباس الغرام العذاب
اي عذبوا بذهاب اموالهم والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض
ومن الغرام بمعنى العذاب قول القايل وثقت بان الحلم مني سجية وان فوادي
مبتلى بك مغرم وقرا شعبة انا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام
والباقون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر بل نحن اي خاصة محرومون اي ممنوعون
رزقنا حرمنا من لا يرد قضاوه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزراع ممن له
حظ لا افلح زرعه ثم ذكر تعالى لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم الما اي
اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نهينا عليه مما مضى في المطعم وغيره افرايتم
الما الذي تشربون فتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التي انعم بها
عليهم بانزال المطر الذي لا يقدر عليه احد الا الله جل وجل ءانتم انزلتموه من المزن
اي السحاب وهو اسم جنس واحد مزنة قال القايل فلا مزنة ودقت وقها ولا ارض اقبل
اقبالها وعن ابن عباس والثوري المزن السما والسحاب وقال ابو زيد المزنة
السحابة البيضا اي خاصة وهي اعذب ما والجمع مزن والمزنة المطرة ام نحن اي
خاصة المنزلون اي له بما لنا من العظمة لو نشا اي حال انزاله وبعده قبل ان ينتفع
جعلناه اي بما تقتضيه صفة العظمة اجاجا اي ملحا مرا محرقا كانه في الاحشا لهيب
النار الموجج فلا يبرد عطشا ولا ينبت نبتا ينتفع به وقال ابن عباس الاجاج المالح

الشديد

الشديد الملوحة فلولا اي فهلا ولم لا تشكرون اي تحددون الشكر على سبيل الاستمرار
باستعمال ما افادكم ذلكم من القوى في طاعة الله الذي اوجده لكم ومكنكم منه ثم ذكر تعالى
لهم حجة اخرى بقوله تعالى افرايتم النار اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما تقدم
افرايتم النار التي تورون اي تخرجون من الشجر الاخضر ءانتم انشاتم اي اخترعتم واوجدتم
واحييتم وربيتم ورفعتم شجرتها اي التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما
شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع الشجر الذي توقد به النار
ام نحن اي خاصة واكد بقوله تعالى المنشون اي لها بما لنا من العظمة على تلك البهية
فمن قدر على ايجاد النار هي ايبس ما يكون في الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة
لها كان اقدر على اعادة الطراوة في تراب الجسد الذي كان غصنا طريا فيبس ولما
كان ولما كان الجواب قطعا انت وحدك قال تعالى دالا على ذلك تنبيها على عظيم
الخبر نحن اي خاصة جعلناها اي لما اقتضته عظمتنا تذكرة اي يشا يتذكر به
تذكرا عظيما جليلا كلما اخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشا فيها من شجرة
الزقوم وغير ذلك وقيل موعظة يتعظ به المومن وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله
ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها
مثلها مثل حرها ومتاعا اي بلغة ومنفعة للمقوين اي المسافرين والمقوي النازل
في ارض القوى بالكسر والقصر والمد وهي القفرا البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع
بها اهل البوادي والاسفار فان منفعتهم بها اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل
لتهرب السباع ويهدي الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد للمقوين اي المنتفعين
بها من الناس اجمعين في الظلمة ويصطلحون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز
الى غير ذلك من المنافع ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن
زيد للجايعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيا قال
الشاعر واني لاختار القوى طاوي الحشا مخافة من ان يقال لئيم وقال قطرب
المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على
ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقرا والاغنيا الاغنا لاحد عنها وقال المهدوي

الاية تصلح للجميع لان النار تحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير ولما ذكر تعالي ما يدل علي
وجود واحدانيته وقدرته وانعامه علي ساير الخلق خاطب نبيه صلي الله عليه وسلم او كل
احد من الناس بقوله تعالي فسبح اي اوقع التنزيه العظيم من كل شايبة نقص من ترك البعث
انعامه وغيره ولاسما بعد بلوغ هذه الادلة باسم اي متلبسا بذكر اسم ربك اي المحسن اليك
بهذا البيان الاعظم فايدة اثبتوا الف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دورة كثرته في البسملة
وحذفوه منها لكثرة دورها وهم شانهما الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف
لا يهجل واثبات ما اثبت من اشكاله مما لا يكثر دليل علي الحذف منه وكذا لا تحذف مع غير البا
في اسم الله ولا مع البا في غير الجلالة الكريمة من الاسما وقد اوضحت ذلك في مقدمتي علي البسملة
والحمدلة ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالي العظيم اي الذي ملا الاكوان كلها عظمة فلا
شي منها الا وهو مملو بعظمته تنزها عن ان يلحقه شايبة نقص او يفوته شي من كمال فالعظيم
صفة للاسم او الرب والاسم قيل بمعني الذات وقيل زايد اي فسبح ربك واختلف في لا في قوله
تعالي فلا اقسم فقال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة موكدة بدليل قوله تعالي بعد ذلك
وانه لقسم لو تعلمون ومثلها في قوله تعالي ليلا يعلم اهل الكتاب والتقدير ليعلم وقال بعضهم
انها حرف نفي وان الملقي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاهل التقدير فلا حجة بما يقوله الكافر
ثم ابتدا قسما بما ذكر وضعف ذلك هذا بان فيه اسم لا وخبرها قال ابو حيان ولا ينبغي فان
القايل بذلك مثل سعيد ابن جبير تلميذ حبر القران ونحوه عبد الله بن عباس ويبعد ان
يقوله سعيد الا بتوفيق وقال بعضهم انها لام الابتدا والاصل فلا اقسم فاشبعت الفتحة
فتولد منها الف كقول بعضهم اعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري ولا يصح ان تكون اللام
لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون الموكدة والاخلاف بها ضعيف
قبيح والثاني ان لا فعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال
واختلف ايضا في معني قوله تعالي بمواقع النجوم فقال اكثر المفسرين بمساقطها لغروبها
قال الزمخشري ولعل لله تعالي في اخر الليل اذا انحطت النجوم الي المغرب افعالا عظيمة
مخصوصة وللملايكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المجتهد والمبتهلين اليه
من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم
ذلك بقوله تعالي وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقال عطا بن رباح اراد بمواقعها منازلها

قال

قال الزمخشري وله في ذلك من الدليل علي عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال
الحسن مواقعها انكدارها وانتثارها يوم القيمة وقال بن عباس والسدي المراد النجوم القران
اي اوقات نزولها وقال الضحاك هي الانوا التي كانت الجاهلية تقول اذا مطرنا مطرنا
بنو كذا وقال القشيري هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالي وصفاته
القديمة فان قيل جواب لو تعلمون ماذا اجيب بانه مقدر تقديره لعظمتموه اي لو كنتم من ذوي
العلم لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما علمتموه فعلم انكم لا تعلمون وقرا بمواقع حمزة والكسايي
بسكون الواو ولا الف بعدها والباقون بفتح الواو والف بعدها وقوله تعالي انه اي القران
الذي افهمته النجوم بعموم افهامها لقران اي جامع سهل ذوا انواع جليلة كريم اي بالغ
الكرم منزه عن كل شايبة لوم ودناة هو المقسم عليه وفي الكلام اعتراضان احدهما الاعتراض
بقوله تعالي وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله تعالي لو تعلمون
بين الصفة والموصوف تنبيه من كرم هذا القران العظيم كونه من الملك الاعلا الي خير
الخلق بسفارة روح القدس مشتملا علي اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وبلسان
العرب الذين اتفقت علما الفرق علي ان لسانهم افصح الالسن وعلي وجه اعجز العرب
كافة وبقية الخلق اجمعين واختلف في معني قوله تعالي في كتاب اي مكتوب مكنون
اي بصون فالذي عليه الاكثر انه المصحف سمي قرانا لقرب الجوار علي الاتساع ولان النبي
صلي الله عليه وسلم نهي ان يساير بالقران الي ارض العدو واراد به المصحف وقوله تعالي
لا يمسه خبر بمعني النهي ولو كان باقيا علي خبريته لزم منه الخلف لان غير المتطهر يمسه وخبر
الله تعالي لا يقع فيه خلف لان المراد بقوله تعالي الا المطهرون لا المحدثون وهو قول
عطا وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي رضي الله عنهما وقال
ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روي مالك وغيره ان كتاب
عمرو ابن حزم لا يمس القران الا طاهر وقال بن عمر قال النبي صلي الله عليه وسلم لا تمس القران
الا وانت طاهر وقالت اخت لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالمصحف لا يمسه الا
المطهرون فقام فاغتسل واسلم وعلي هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون
من الاحداث والانجاس انتهي وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا
كتاب في السما وقال جابر هو اللوح المحفوظ اي لقوله تعالي بل هو قران مجيد في لوح محفوظ

وقال عكرمة التوراة والانجيل خيرا ذكر القرآن وقال السدي الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية والجملة
في لا يمسه صفة الكتاب وعلى هذا ففي الجملة وجهان احدهما ان محلها الجر صفة الكتاب والمراد به اما
اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملايكة والمراد به المصاحف والمراد بالمطهرين الملايكة فقط
اي لا يطلع لان نسبة المس الى المعاني متعذرة وقيل انها ناهية والفعل بعدها مجزوم
انه لوفك على الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى يمسهم السوء ولكنا ادغم ولما ادغم حرك
بالضم لاجل هاضمير المذكور الغايب وفي الحديث انا لم نرده عليه كما انا حرم تضم الدال
وان كان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا ظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان
نهيا كان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو بل لا يجوز سيبويه
غيره واختلفوا في المس المذكور في الاية فقال مقاتل انس وسعيد ابن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون
من الذنوب وهم الملايكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل
من الملايكة والرسل من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد
وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملايكة الموصوفون في سورة عبس في قوله تعالى صحف
مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون اي
الا الرسل من الملايكة على الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب
المكنون الا الملايكة المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون او المطهرون
بتشديد الطا ومن قال بالاول قال المطهرون يعني المتطهرون تنبيه اختلف العلما
في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث
عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا
والزهري والحنفي والحكم وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واما الحمل فلانه ابلغ
من المس سوا احمله بعلاقته ام في كمه ام على راسه وسوا امس نفس الاسطر ام بينهما ام
الحواشي ام الجلد او العلاقة ام الخريطة ام الصندوق اذا كان المصحف فيها وسوا امس
باعضا الوضوء ام بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله واحتجوا بان النبي صلى الله عليه
وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه هو واصحابه وان الصبيان
يحملون الالواح محدثين بلا انكار وبانه اذا لم تحرم القراة فالحمل والمس اولى وبانه
يجوز حمله في امتعته واجيب عن الاول بان ذلك الكتاب كان فيه ايتان ولا يسمي

مصحفا

مصحفا ولا في معناه وبانه لو كان كتابا قد تضمن مع القرآن دعا الى الاسلام فلم يكن القرآن
بانفراده مقصودا فجاز تقليبا للمقصود فيه وعن الثاني بانه ابيح للضرورة لانهم غير مكلفين
وعن الثالث بان القراة ابيحت للحاجة وعن الوضوء لها كل وقت وبانا لا نسلم الاولوية
المذكورة بدليل ان الكافر لا يمنع من القراة ويمنع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بان جواز
حمل المصحف في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال اخرون بحرمة المس
دون الحمل واحتجوا بان المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله واجيب عنه بانه غير
صحيح لان حمل الانسان المصحف ابلغ في الاستلا عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم
الاعلى اولى ولان تحريم المصحف انما هو لحرمة ما فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم
فان تحريمه مقصود على الاستمتاع وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه على يده وقلب به
اوراق المصحف حرم عليه لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعود ويحرم كتب
شيء من القرآن او من اسمايه تعالى بنجس او نجس ومسه به اذا كان غير معفو عنه ولو خاف
على المصحف من حرق او غرق او وقوع نجاسة عليه او وقوعه بيد كافر جاز حمله مع الحدث
بل يجب ذلك صيانة للمصحف ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله
مع الحدث ويلزمه ان يتيمم اذا وجد التراب ولا يجوز المسافرة بالمصحف الى ارض الكفار
اذا خيف وقوعه في ايديهم للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره كتب الفقه
والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا ان يكون القرآن اكثر من التفسير
او مساويا فيحرم للحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح
المنهاج وغيره وقوله تعالى تنزيل اي منزل اليكم بالتدريج بحسب الوقايع والتعبير للافهام
والثاني للترقية من حال الى حال وحكم الى حكم بوسايط الرسل من الملايكة من رب العالمين
اي الخالق العالم بتربيتهم صفة اي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا
على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله واثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل
اكثر وفي ذلك رد على قول من قال ان القول شعر او سحر او كهانة افبهذا الحديث
وقتا بعد وقت انتم مدهنون اي متهاونون كمن يداهن في الامر يلين جانبه
الله ولا يتصلب فيه تهاونا به قال ابن عرجان الادهان والمداهنة الملاينة في
الامور والتغافل والركون الى التجاوز انتهى قال البقاعي فهو على هذا انكار على

من سمع احدا يتكلم في القران بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة واهل الالتحاد كابن العربي
الطا صاحب الفصوص وبن الفارض صاحب التائية اول من ضربت اليه هذه الاية فانهم
تكلموا في القران لتبطيل الدين اصلا وراسا وبجله عروة فهم اخر الناس علي هذا الدين ومن
تاول لهم او ينافح عنهم او يعتذر لهم او يحسن الظن بهم مخالف لاجماع الامة انجس
حالا منهم فان مراده ابقا كلامهم الذي لا افسد للاسلام منه من غير ان يكون لابقايه
مصلحة ما بوجه من الوجوه انتهي وجري ابن المقري في روضه علي كفر من شك في
كفر طايفة ابن العربي الذين ظاهروا كلامهم عند غيرهم الالتحاد وهو بحسب ما فهمه
من ظاهر كلامهم ولكن كلام هولا جار علي اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة
في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعين صحيح واما
من اعتقد ظاهره من جهلة الصوفية الذين لا علم عندهم بل اكثرهم يدعي ان العلم حجاب
ومدعي ذلك هو المحجوب فانه يعرف فان استمر علي ذلك بعد معرفته صار كافرا فنسال الله
تعالي التوفيق والعصمة ولما كان هذا القران متكفلا بسعادة الدارين قال تعالي
وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو
نفعكم كله انكم تكذبون فتضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالي وما كان صلاتهم
عند البيت الا مكا وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون
مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه
من قبل الوسايط التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله
تعالي ثم تقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبرا ان كان مكروها تعبدا له وتذللا و
عن بن عباس ان المراد به الاستسقا بالانوا وهو قول العرب مطرنا بنو كذا رواه علي
ابن ابي طالب عن النبي صلي الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر
الناس علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال النبي صلي الله عليه وسلم اصبح من الناس
شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالي وقال بعضهم لقد صدق نو كذا قال
فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتي بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وفيه ايضا ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلي الله
عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله تعالي لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوا

كذا

علي وجه

كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانوا فصلي ركعتين ودعا الله تعالي فهاجت ريح
ثم هاجت سحاب فمطروا فمر النبي صلي الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف
بقدح له وهو يقول سقينا نوا كذا كقوله جعلت احسابي اليه اساءة منك الي وجعلت
انعامي لديك ان اتخذتني عدوا قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا
بنوا كذا ان يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوا
كذا وهو يريد ان النوا انزل الما كما يقول اهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم
يتب وحاصله ان اعتقد ان النوا هو الفاعل حقيقة كافر والا فيكره كراهة تنزيه وسبب
الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيسا الظن بقايلها ولانها من شعار الجاهلية
ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه وتعالي انه لا فاعل لشي في الحقيقة سواه بقوله
تعالي فلولا وهي اداة تفهم طلبا بزجر وتوبيخ وتقريع بمعين فقال تعالي اذ بلغت
الحلقوم اي بلغت الروح منكم ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم اضمرت من غير ذلك
لدلالت الكلام عليها دلالة ظاهرة وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون
العروق ويجمعون الروح شيا فشيا حتي تنتهي الي الحلقوم فيتوفاها ملك الموت
والحلقوم مجري الطعام في الحلق والحلق مساغ الطعام الي جهة اللسان وانتم اي
والحال انكم ايها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له حينيذ اي بلغت الروح ذلك
الموجع تنظرون اي الي امري وسلطاني او الي الميت ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر
ولم يقل تبصرون لان لا يظن ان لهم ادراكا بالبصر لشي من البواطن من حقيقة الروح ونحوها
ونحن اي والحال انا نحن بما لنا من العظمة اقرب اليه اي المحتضر بعلمنا وقدرتنا
منكم علي شدة قربكم منه قال عامر ابن قيس ما نظرت الي شي الا رايت الله اقرب الي
منه ولكن لا تبصرون من البصيرة اي لا تعلمون ذلك فلولا اي فهلا ان كنتم ايها
المكذبون بالبعث غير مدينين اي مربوبين من دان السلطان الرعية اذ ساسهم
ومقهورين مملوكين مجرمين محاسبين بما عملتم في دار البلا التي اقامكم فيها احلم
الحاكمين من دانه اذا ذله واستعبده واصل التركيب ان للذل والانقياد قاله
البيضاوي ترجعونها اي الروح الي ما كانت عليه ان كنتم كونا ثابتا صادقين
في زعمتم فلولا الثانية تاكيد للاولي واذ ظرف لترجعون المتعلق به الشرطين

والمعني انكم في جحودكم افعال الله تعالي واياته في كل شي ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم
شعر وافترا وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطر يجيبكم به
قلتم صدق نوكذا علي مذهب يوادي الي الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الي
البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي
المميت المبدي المعيد ثم ذكر تعالي طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من
قايل فاما ان كان المتوفي من المقربين اي السابقين الذين اجذبهم الحق من انفسهم
فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالي
منزه عنه وانما هو بالتخلق بالصفات الشريفة علي قدر الطاقة البشرية ليصير
الانسان روحا خالصا كالملايكة لا سبيل للحظوظ والشهوات عليه وقوله تعالي فروح
مبتدا خبره مقدر قبله اي فله روح اي راحة ورحمة وما ينعشه من نسيم الريح وقال
سعيد بن جبير فله فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة وريحان اي رزق عظيم ونبات
حسن بهيج وازهي وازاهير طيب الرايحة وقال مقاتل هو بلسان حمير رزق يقال
خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية
لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتي يوتي بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض
وقال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النجاة والريحان دخول دار القرار وجنت اي
بستان جامع للفواكه والرياحين نعيم اي ذات تنعم ليس فيها غيره واهله معصورة
عليهم تنبيه جنت هنا مجرورة التا وقف عليها بالها بن كثير وابو عمرو الكساي فالكساي بالا
مالة في الوقف علي اصله والباقون بالتا علي المرسوم واما ان كان المتوفي من اصحاب
اليمين اي الذين هم في الدرجة الثانية من اصحاب الميمنة فسلام لك اي يا صاحب اليمين
من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله تعالي الا قيلا سلاما سلاما
وقال القرطبي فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست تري منه الا ما تحب من السلامة
فلا تهتم لهم بانهم يسلمون من عذاب الله تعالي وقيل المعني سلام لك منه اي انت
سالم من الاغتمام له والمعني واحد وقيل اصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بان
يصل الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب
اليمين فحذف انك وقيل انه يحيي بالسلام تكرما وعلي هذا في محل السلام ثلاثة اقوال

احدها

احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن
مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقروك السلام الثاني عند
مسيلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملايكة
قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك
اكرام بعد اكرام ولما ذكر تعالي الصنفين الناجيين اتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف
واحد لان من اريدت له السعادة بكيفية ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعياذ بالله
تعالي لا ينفعه الاغلاظ والاكثار فقال تعالي واما ان كان المتوفي من المكذبين
الذي اخذناه من اصحاب المشامة وانتم حوله تتقطع اكبادكم له ولا تقدرون علي شي
اصلا الضالين اي عن الهدي وطريق الحق فنزل من حميم كما قال تعالي ثم انكم
ايها المكذبون الضالون لاكلون الي ان قال تعالي ثم ان لهم لشوبا من حميم اي ما متناه
في الحرارة بعد ما نالوا في العطش كما يرد اصحاب الميمنة الحوض كما يسادر به المقام ليبرد
به عليه عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم اي ونزل من تصليط جحيم
والمعني ادخال في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه
النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الي المفعول كما يقال لفلان
اعطي ماله اي يعطي المال ان هذا اي الذي ذكر في هذه السورة من امر البعث الذي
كذبوا به في قولهم اينا لمبعوثون ومن قيام الادلة عليه لهو حق اليقين اي حق
الخبر اليقين اي لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كانه مشاهد مباشر وقيل انما جاز
اضافة الحق الي اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين ولما
حقق له تعالي هذا اليقين سبب عن امره لنبيه صلي الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه
به مما يلزم منه وصفه بالعجز فقال تعالي فسبح اي اوقع التنزيه كله عن كل شايبة
نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة وغيرها بان تصفه بالاعتقاد والقول والفعل
بالصلاة وغيرها بان تصفه والقول والفعل بالصلاة وغيرها بان تصفه بكل وصف بالاعتقاد
به نفسه من الاسما الحسني وتنزهه عن كل ما تنزه عنه نفسه باسم ربك اي المحسن بما خصك
به مما لم يعط احدا غيرك واذا كان هذا الاسم فكيف بما هو له العظيم اي الذي ملات عظمته
جميع الاقطار والاكوان وزادت علي ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لان من له هذا

الخلق علي هذا الوجه المحكم وهذا الكلام الاعز الاكرم لا ينبغي لشايبة نقص ان تلم بجنابه
او تدنو من فنائه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
النبي صلي الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلي قال
النبي صلي الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن ابي ذر قال قال
لي رسول الله صلي الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الي الله تعالي سبحان الله وبحمده
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان علي اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الي الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
هذا الحديث اخرجه في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قال
سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وروي ابو طيبة عن عبد الله بن مسعود
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة
ابدا ورواه البيهقي وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا واخرجه ابن الانباري في كتابه جامع
الاصول ولم يعزه **سورة الحديد** مكية او مدنية وهي تسع وعشرون اية وخمسماية
واربعة واربعون كلمة والفان واربعمايه وست وسبعون حرفا **بسم الله** الذي
احاطت هيبته بجميع الموجودات **الرحمن** الذي وسعهم جوده في جميع الحركات
والسكنات **الرحيم** الذي خص اهل ولايته بما يرضيه من العبادات ولما ختمت الواقعة
بالامر بتنزيهه عما لا يليق من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالي
سبح لله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال **ما في السموات** اي الاجرام العالية والذي
فيها والارض والذي فيها اي تنزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للاكثر
وهو اي وحده **العزيز** الذي يغلب كل شيء **الحكيم** اي الذي اتقن كل شيء صنعه وقرا
قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها **له** اي وحده **ملك السموات و**
الارض وما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الان موجود في الدنيا من
ارض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضيئة وافلاك ورياح وسحاب مربية وغير
ذلك مما يحيط به علمه تعالي والملك الباطن الغائب عنا واعظمه المضاف الي الاخرة وهو
الملكوت **يحيي** اي له صفة الاحياء فيحيي ما يشاء من الخلق بان يوجده علي صفة الحياة
كيف شاء في اطوار يقلبها كيف شاء وما شاء **ويميت** اي له هاتان الصفتان علي سبيل

الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر علي البعث بدليل ثبت له من صفة الاحياء **وهو علي**
كل شيء اي من الاحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن **قدير** اي بالغ القدرة **هو** اي وحده
الاول بالازلية قبل كل شيء فلا اول له والقديم الذي منه وجود كل شيء وليس وجوده
من شيء لان كل ما نشاهده متاثر لانه متغير وكلما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متاثر
ولا متغير **والاخر** اي بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شيء في سلسلة الترقي وهو
بعد فناء كل شيء باق فلا اخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل
ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد من معدم يكون بعده ولا
يمكن اعدامه **والظاهر** اي الغالب العلي علي كل شيء **والباطن** اي العالم بكل شيء معني
قول ابن عباس وقال بيان هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن
العليم وقال الذي هو الاول ببره اذا عرفك توحيده والاخر بوجوده اذا عرفك
التوبة علي ما جيت والظاهر بتوفيقه اذا وفقك للسجود له والباطن بستره اذا
عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب
والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسال عمر كعبا عن هذه الاية فقال
معناه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن **وهو بكل شيء عليم** اي لكون
الاشياء عنده علي حد سواء والبطون والظهور انما هو بالنسبة الي الخلق واما هو سبحانه
وتعالي فلا باطن من الخلق عنده بل هو في غاية الظهور له به لانه الذي اوجدهم فان
قيل ما معني هذه الواو وان اجيب بان الاول معناه الدلالة علي انه الجامع بين
الصفتين الاوليه والاخرية والثالث انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطي
فعلي انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المتم
الوجود في جميع الاوقات الماضية والحاضرة والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن
جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس قال الزمخشري وفي هذا حجة
علي من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة وهذا علي راية الفاسد وهو علي راي المتزلة
المنكرين رويته الله تعالي في الاخرة واما اهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحاديث
الدالة علي ذلك من تشبيه ولا تكييف تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وعن سهل قال كان
ابو صالح يامرنا اذا اراد ان ينام ان يضطجع علي شقه الايمن ثم يقول اللهم رب

السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة
والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته اللهم انت الاول فليس قبلك
شيء وانت الاخر فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغنا من الفقر وكان يروي ذلك
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اي وحده الذي خلق السموات جمعها
لعلم الرب بتعددها والارض اي الجنس الشامل للكل وافردها لعدم توصلهم الى العلم
بتعددها وقال تعالى في ستة ايام اي من ايام الدنيا اولها الاحد واخرها الجمعة سنا التأني
في الامور وتقرير الايام التي اوترها سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي هو يوم
خلقه باسم الجمعة على انه المقصود بالذات وبان السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى
ثم استوى على العرش اي الدبر كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال
في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك يعني انه انفرد بالتدبير وقد لا يكون هناك سرير
فضلا عن جلوس والى باداة التراخي تنبيها على عظمة يعلم ما يلج اي يدخل دخولا يغيب
فيه في الارض من النبات وغيره من اجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك في غاية البعد
فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سواء في القرب والبعد وما يخرج منها كذلك
نبه في الاطلاع والتعبير بالمضارع دلالة على ما اودع في الخافقين من القوى فصار
يحيث يتجدد منها كذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابهما وما ينزل من السما من الوحي
والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى من
مقادير اعمار بني ادم وارزاقهم وغيرها من جميع شؤونهم وما يعرج اي يصعد ويرتقي
ويغيب فيها كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولم يجمع السما لان المقصود
حاصل بالواحدة مع افهام التكثير بها الجنس الشامل للكل وهو معكم بالعلم والقدرة
ايها الخلق اينما كنتم لا يتفاوت علمه وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع امودكم وقادر
عليكم تعالى عن الاتصال بالعالم ومماسته او انفصاله عنه بغيبة او مسافة والله اي
المحيط بجميع صفات الكمال بما تعملون اي على سبيل التجدد والاستمرار بصير اي عالم
بجليله وحقيره فيجازيكم به وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقيق الاحاطة
له اي وحده ملك السموات وجمع لاقتضا المقام له والارض وافرد لخفا تعددها
عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله تعالى والى الله اي الملك

الذي

57

الذي لا كتوله وحده ترجع بالاعتبار على غاية السهولة الامور اي كلها حسابا بالبعث ومعنى
بالابتدا والافنا ودل على ذلك بقوله تعالى يولج اي يدخل ويغيب بالنقص والمحو الليل
في النهار فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد اتى بعد شخصه وحوله وزاد النهار وملا الضيا
الاقطار بعد ذلك الظلام ويولج النهار الذي عم الكون ضياؤه في الليل الذي كان قد كان
غاب في علمه فاذا الظلام قد طبق الافاق فيزيد الليل والطول الذي كان في النهار قد صار
نقصا وملوا اي وصف عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي بما فيها من الاسرار
والمعتقدات على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت الادلة
على تنزيهه سبحانه قال تعالى امروا بالاذعان له ولرسوله صلى الله عليه وسلم امنوا اي
اثبتوا بالله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ورسوله الذي عظمته من عظمته
ونزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك وانفقوا اي في سبيل الله مما جعلكم مستخلفين
فيه اي من الاموال التي في ايديكم فانها اموال الله تعالى مخلقة وانتم له تبعا لكم
اياها وخولكم بالاستمتاع بها وجعلكم خلفا في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة
وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلا والنواب فانفقوا في حقوق الله تعالى وليهون عليكم
الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين
مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا باحالهم حيث انتقل
منهم اليكم ويستقبل منكم من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالانفاق منها انفكم ولما
امر الله تعالى بالانفاق وصفه بما سهله سبحانه عنه ما يرغب فيه فقال تعالى فالذين
امنوا منكم وانفقوا اي من اموالكم في الوجوه التي ندب اليها على وجه الاصطلاح على
ما دل عليه التعبير بالانفاق لهم اجر كبير اي لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق
في ايام استخلافكم قبل غيركم واتلافكم وخصهم بالذكر بقوله تعالى منكم لضيق في رمانكم
وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله تعالى وما اي واي شيء
لكم من الاعذار وغيرها في انكم او حال كونكم لا تؤمنون بالله اي تجددون الايمان
تجديدا مستمرا بالملك الاعلا اي الذي له الملك كله والامر كله خطاب للكفار
اي لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة العامة يدعوكم
في الصباح والمسا لتؤمنوا اي لاجل ان تؤمنوا بربكم الذي احسن تربيتكم بان جعلكم

من امة هذا النبي الكريم فلولكم به وقد اي والحال انه قد اخذ ميثاقكم اي وقع اخذه فصار
في غاية القباحة ترك التوثق بسبب نصب الادلة والتمكين من النظر بابداع العقول
وذلك كله منضم الي اخذ الذرية من ظهور ادم عليه السلام حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى وقرا ابو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع الثاني على البناء للمفعول لكون
المعنى من اي اخذ كان من غير نظر الي معين وقرا الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب الثاني
على البناء للفاعل والاخذ هو الله القادر على كل شيء العالم بكل شيء والحاصل انهم نقضوا
الميثاق في الايمان فلم يواخذهم حتى ارسل الرسل ان كنتم مومنين اي مريدين الايمان فبادروا
اليه هو اي لا غيره الذي ينزل اي على سبيل التدريج والمولاة بحسب الحاجة وقرا ابن كثير وابو
عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي على عبده
الذي هو احق الناس بحضرة جماله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ايات اي علامات
مبينات من ظهورها حقيقة ان يرجع اليها ويستعيد بها بينات اي واضحات ومبينات وايات
القران الكريم ليخرجكم اي الله بالقران اوعبده بالدعوة من الظلمات التي انتم مغمسون
مغمسون فيها من الحظوظ والنقايص التي حيل عليها الانسان والعقلة الكاملة على
نزاكم الجهل فمن اتاه الله تعالى العلم والايمان فقد اخرجه من هذه الظلمات التي
طرات عليه الى النور الذي كان له وصفا لروحه وفطرته الاولى السليمة وان الله اي
الذي له صفات الكمال بكم لرووف رحيم اي حيث بينهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على ما
نصب لكم من الحجج العقلية وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون
بالمد وورش على اصله بالمد والتوسط والقصر وليس قصر كقصر ابي عمرو ومن معه وانما هو
قصر حمد قالون ومن وافقه وما اي واي شيء يحصل لكم في ان لا تنفقوا اي توجدوا
الانفاق للمال في سبيل الله اي في كل ما يرضي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال ليكون
لكم به وصلة فيحصنكم بالرافة التي هي اعظم الرحمة فانه ما يخل احد عن وجه الا سلط الله
غرامة في وجه شر ولله اي الذي له صفات الكمال لا سيما صفة الاحد المقتضية
للزهد في الموروث ميراث السموات والارض اي يرث كل شيء فيهما فلا يبقى لاحد مال
فمن تامل انه زايل هو كلما في يد والموت من ورايه وطوارق الحوادث مطيقة به وعما قليل
ينتقل ما في يد الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين

المنفقين

المنفقين منهم فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق اي اوجد الانفاق في ماله وجميع
قواه ومايقدر عليه من قبل الفتح اي الذي هو فتح جميع الدنيا في الحقيقة وهو فتح مكة
الذي كان سببا لظهور الدين الحق على الدين وقاتل سعيا في انفاق نفسه لمن امن به
قبل الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال
والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه وفضل
الاول اما له اذذاك بالانفاق عن كرة لضيق المال حينيذ وفي هذا دليل على فضل ابي
بكر فانه اول من انفق لم يسبقه في ذلك احد وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا
اشرف منه على الهلاك روي محمد بن فضيل عن الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه وعن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
ابو بكر الصديق عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل عليه السلام فقال الله تعالى
اري ابا بكر عليه عباءة قد خللها بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله
تعالى عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له اراض انت علي في فقرك هذا ام ساخط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله عز وجل يقرا عليك السلام ويقول لك
اراض انت علي في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط علي ربي انا عن ربي
راض انا عن ربي راض اولئك اي المنفقون المتاكون وهم السابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لمقدارتهم بالجود بالنفس والمال اعظم درجة وتعظيم
الدرجة يكون لعظم صاحبها من الذين انفقوا من بعد اي من بعد الفتح وقاتلوا اي من
بعد الفتح وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله اي الذي له الجلال والاكرام الحسنى
اي المثوبة الحسنى ومن الجنة مع تفاوت الدرجات وقرا ابن عامر برفع اللام على الابتدا
اي وكل وعد ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها اي وعد كلا والله اي الذي له
الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال بما تعملون اي تجددون عمله على الاوقات خبير
اي عالم بباطنه وظاهره عالما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزا الاعمال على قدر النيات
التي هي ارواح صورها تنبيه التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدين فقالت
عايشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة

الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس وقال يوم القوم
اقراوهم لكتاب الله وقال فليؤمنكما اكبركما واما في احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين
فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث
ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه ثم رغب في الانفاق بقوله
تعالى من واكد بالاشارة بقوله تعالى ذا الاجل ما للنفوس من الشح الذي يقرض الله اي يعطي
الذي له جميع صفات الجلال والاكرام شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا عطى المستحق
ماله لوجه الله تعالى فكانه اقرضه اياه قرضا حسنا اي طيبا خالصا مخلصا فيه متحريا به افضل
الوجوه من غير من ولا رياء ولا تسويف وغيره فيضاعفه له اي يوتي اجره من عشرة الى اكثر من سبعمائة
كما ذكره في البقرة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل التوفيق الحسن بقوله سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات
وقرا ابن عامر وعاصم بنصب الفا بعد العين والباقون بالرفع وقرا ابن كثير وابن عامر
بغير الف بعد الضاد وتخفيف وله اي المقرض زيادة على ذلك اجر لا يعلم قدره الا الله تعالى
وهو يعين وصفه بقوله تعالى كريم اي حسن طيب ذاك تام وقوله تعالى يوم ظرف لقوله
تعالى وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر اي واذكر يوم ترى اي يا نبي المومنين والمومنات
اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة يسعى نورهم اي ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى
الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان
الاشقياء يوتونها من شمايلهم وراظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم لانهم هم
الذين بحثوا عن سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على
الصراط يبقون يسعى معهم ذلك النور حبيبا لهم ومقدما نور الايمان والمعرفة والاعمال
المقبولة والثاني نور الاتفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المومنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ودون
ذلك حتى ان من المومنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله ابن مسعود
يوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل
القائم واد ناهم نورا نوره على ابهامه فيطفي مرة ويقدم اخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم
من الملايكة بشراكم اليوم اي بشارتكم العظيمة هي جميع ما يستقبلكم من الزمان تنبيه

بشراكم

بشراكم اليوم مبتدا واليوم ظرف وقوله تعالى جنات خبره على حذف مضاف اي دخول جنات
وهو المبشر به ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله تجري من تحتها الانهار ثم امنهم من خوف الانقطاع
بقوله تعالى خالدين فيها اي خلودا لا اخر له لان الله تعالى اورثهم ذلك فلا يورث عنهم لان الجنة
لا موت فيها ذلك اي هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنان الخلدة هو الفوز
العظيم اي الذي ملا بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح تعالى حال المومنين في موقف القيامة
اتبع ذلك بحال شرح المنافقين بقوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات وهم المظهرون
المبطنون الكفر تنبيه يوم بدل من يوم ترى او منصوب باذكر للذين امنوا اي ظاهرا وباطنا
انظرونا اي انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف تذق بهم وهو لا شاة او
انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به
وقراحمزة بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء اما الوقف على
امنوا والابتداء بانظروا فلحمزة على حاله كما يقرا في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتداء
والظاء على حالها من الضم نقتبس اي نستضيء من نوركم اي هذا الذي نراه لكم ولا يلحقنا منه
شيء كما كنا في الدنيا نرى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشيء جزافا وذلك
لان الله تعالى يعطي للمومنين نورا على قدر اعمالهم يسعون به على الصراط ويعطي المنافقين
ايضا نورا خديعة لهم قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يسعون اذ بعث الله تعالى ريحا
وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم
كما سلب نور المنافقين والقبس المشعلة من النار والسراج قال ابن عباس وابو امامة
يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء يعطون
نورا يسعون فيه وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المومنين ولا يعطون
النور فاذا سبقهم المومنون وبقوا في الظلمة قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم
قيل لهم جوابا لسوالهم قال ابن عباس يقول لهم المومنون اي توارد وتوبيخ وتهكم
وتندم ارجعوا وراءكم اي ارجعوا الى الدنيا الموقف حيث اعطينا النور فالتمسوا
نورا هناك فمن ثم نقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان
او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا والتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد

وقد علموا ان لا نور وراهم وانما هو تخييب واقناط لهم وقال قتادة تقول لهم الملايكة
ارجعوا وراكم من حيث جيتم وقرا هشام والكساي بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان
التقدير فرجعوا او فاقاموا في الظلمة سبب عنه وعقب قوله تعالي فضرب بينهم اي بين
المومنين والمنافقين بسور اي حايط بين شق الجنة وشق النار له اي لذلك السور
باب موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن اذن له الله تعالي من المومنين بما يهديهم اليه من
نورهم الذي بين ايديهم لشفاعة او نحوها باطنه اي ذلك السور او الباب وهو الشق
الذي يلي الجنة من جهة الذين امنوا جزا لايمانهم الذي هو غيب فيه الرحمة وهي ما لهم
من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي ساترة فيظن من فيها باشجارها وباستارها كما كانت
بواطنهم ملاي الرحمة وظاهره اي ما ظهر لاهل النار من قبله اي من عنده ومن جهته
العذاب وهو الظلمة والنار لانه يليها لاقتصار اهلها علي الظواهر من غير ان يكون
لهم نفوذ الي باطن وروي عن عبد الله ابن عمران السور الذي ذكر الله تعالي في القران
هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي
جهنم وقال بن سريج كان كعب يقول في الباب الذي يسمي باب الرحمة في بيت
المقدس انه الباب قال الله تعالي فضرب بينهم بسور له باب الاية وقيل السور عبارة
عن منع المنافقين من طلب المومنين ينادونهم اي ينادي المنافقون الذين امنوا
ويترفقون لهم الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم فنستحق المشاركة فيما صرتم
اليه بسبب ذلك الذي كنا معكم فيه قالوا اي الذين امنوا بلي اي كنتم معنا في الظاهر
ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات
وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وبمحمد صلي الله عليه وسلم وقلتم
لو شك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في الدين وفي نبوة محمد
صلي الله عليه وسلم وفيما اوعدكم به وغرتكم الاماني اي ما تتمنون من الارادات
التي معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها
بما كنتم تتوقفون لنا من دواير السوء حتي جا امر الله اي قضا الملك المتصف بجميع
صفات الكمال فلا كفوا له ولا خلف وقرا قالون وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولي
مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وايضا لهما ابدالها والباقون

بتخفيفهما

بتخفيفهما وامال الالف بعد كسرة الميم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف
حمزة وهشام ابدل الهمزة الثانية مع المد والقصر والتوسط وغركم بالله اي الملك
الذي له جميع العظمة الغرور اي من لا صنع له الا الكذب وهو الشيطان فانه
يزين لكم بغروره التسويف ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وماذا عسي
ان يكون ذنوبكم عنه وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتي يوقع
الانسان فاذا اوقعه واضل عليه مثل ذلك حتي يتمادا فاذا تمادا صار الباعث له
حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده فاليوم اي بسبب افعالكم تلك لا يوخذ منكم
فدية اي نوع من انواع الفدا وهو البدل والعوض المنفس علي اي حال كان
من قلة وكثرة لان الاله غني وقد فات محل العمل الذي شرعه لكم لانقياد انفسكم
وقرا بن عامر بالتا الفوقية علي التانيث والباقون بالتحتية علي التذكير ولا من
الذين كفروا اي الذين اظهروا كفره ولم يستروه كما سترتموه انتم كما وانكم لهم في
الكفر وانما عطف الكافر علي المنافق وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن
الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه علي المنافق ماواكم النار
اي منزلكم وسكنكم لا مغزلكم غيرها نحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاوليا باقبالكم علي
الشهوات واضاعة حقوق ذوي الحاجات وقرا حمزة والكساي بالامالة محضة وقرا
ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وورش لا يبدل هذه الهمزة ثم
اكد ذلك بقوله تعالي هي اي لا غيرها مولاكم اي هي اولا بكم وانشد لبيب فغدت كلا
الفرجين تحسب انه • مولي المخافة خلفها وامامها • والشاهد في مولي المخافة فمولي
بمعني اولي والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام وهو وصف بقرة وحشية
اي غدت علي حالة كلا جانبيها مخوف وحقيقته في الاية محراكم بحا مهملة ورا
اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولي بكم كما قيل هو ميتة للكرم اي مكان كقول
القايل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد بقي
المناصر علي البتات وقيل تتوالاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار ولما كان
التقدير بيس المولي هي عطف عليه قوله تعالي وبيس المصير اي هذه النار واختلف
في سبب قوله تعالي الم يان اي يحن ويدرك وينتهي الي الغاية للذين امنوا

اي اقروا بالايمان ان تخشع اي تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمين قلوبهم لذكر الله اي
الملك الاعظم الذي لا خير الا منه فيصدق في ايمانه من كان كاذبا ويقوي في الدين
من كان ضعيفا فيعرض عن الفاني ويقبل علي الباقي ولا يطلب لدا دينه دوا ولا لمرض
قلبه شفا في غير القران فقال ابن عباس ان الله تعالي استبطا قلوب المومنين فعاتبهم
علي راس ثلاثة عشر سنة من نزول القران وعن بن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرون
من القران اقل ما تقرون فانظروا في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق
وقيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة فنزلوا عما كانوا عليه
فنزلت وعن ابي بكر ان هذه الاية قريت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة
فبكوا بكا شديد فنظروا اليهم وقال هكذا كنا قست القلوب وقال الشاعر
الم يان لي يا قلب ان تترك الجهلا وان يحدث الشيب المنير لذا عقلا وقوله
تعالي وما نزل من الحق اي القران عطف علي الذكر عطف احد الوصفين علي الاخر
لان القران جامع للامر للذكر والموعظة او انه حق نازل من السموات ويجوز ان
ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالي وقرا نافع وحفص بتخفيف الزاي والباقون بالتشديد
وقوله تعالي ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل اي قبل ما نزل اليكم وهم اليهود
والنصاري معطوف علي تخشع والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي
عنهم بقوله تعالي فطال عليهم الامد اي الاجل لطول اعمارهم وامالهم او ما بينهم
وبين انبيايهم فقست اي بسبب الطول قلوبهم اي صلبت واعوجت بحيث لا
تنفعل بالطاعات والخير فكانوا كل قليل في تعنت جديد علي انبيايهم عليهم السلام
يسالونهم المقترحات واما بعد انبيايهم فابعدوا في القساوة فمالوا في دار الكدر
واعرضوا عن دار الصفا فانجروا الي الهلاك باتباع الشهوات قال القشيري
وقسوة القلب انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن
ابي موسي الاشعري انه بعث الي القري البصرة فدخل عليه ثلثماية رجل قد قرا القران
فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاقروه ولا تطيلون عليكم الامد فتقسي قلوبكم
كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم اخرجته فتساوته عن الدين اصلا وراسا

فيهم

فيهم فاسقون اي غريقون في صفة الاقدام علي الخروج من دايرة الحق التي حدها لهم الكتاب
حتي تركوا الايمان بعيسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالي اعلموا ان الله اي الملك
الاعظم الذي له الكمال كله فلا يعجزه شي يحيي اي علي سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه
الارض اي بالنبات بعد موتها اي بسببها تمثيل الاحيا الاموات بجميع اجسادهم
وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام اول مرة ولاحيا القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا رحمته لاحيا
القلوب فانه قادر علي احيايه بروح الوحي كما اوحي الارض بروح الملك لتصير باحيايها
بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض بالما رابية بعد خشوعها وموتها ولما
انكشف الامر بهذه غاية الانكشاف انتج قوله تعالي قد بينا اي علي ما لنا من العظمة
لكم الايات اي العلامات النيرات لعلكم تعقلون اي لتكونوا عند من يعلم ذلك
ويسمعه من الخلايق علي رجا من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه علي سبيل
التواصل الدايم بالاستمرار وقرا ان المصدقين اي الفريقين في هذا الوصف من الرجال
والمصدقات اي من النسا بن كثير وشعبة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق بالايمان
والباقون بالتشديد فيهما من التصدق اذ عمت التا في الصاد اي الذين تصدقوا و
قوله تعالي واقرضوا الله اي الذي له الكمال كله عطف علي معني الفعل في المصدقين
لان اللام بمعني الذين واسم الفاعل بمعني اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا و
اقرضوا الله قرضا حسنا اي بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والنفقة
في سبيل الله الخير وحسنه كما قال الرازي ان يصرف بصره عن النظر الي فعله والنفقة والا
متنان منه وطلب العوض عليه يضاعف اي ذلك القرض لهم من عشرة الي سبعماية
كما مر لان الذي كان القرض كريم وقرا بن كثير وبن عامر بتشديد العين ولا الف بينها
وبين الضاد والباقون بتخفيفها العين وبينها وبين الضاد الف ولهم اي موضع
المضاعفة اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والنظر الي وجهه الكريم ثم بين سبحانه
وتعالي الحامل علي الصدقة ترغيبا فيه وهو الايمان فقال تعالي والذين امنوا اي اوجدوا
هذه الحقيقة العظيمة بالله اي الملك الاعلا الذي له الجلال والاكرام ورسله اي كلهم لاجل
ما لهم من النسبة اليه فمن كذب واحدا منهم لم يكن مومنا بالله تعالي اوليك اي هولا

العالون الرتبة هم الصديقون اي الذين هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له ان
يصدقه من سمعه وقال القشيري الصديق من استوى ظاهره وباطنه ويقال هو الذي
يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يجنح للتاويلات وقال مجاهد كل من امن بالله تعالى
ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية وقال الضحاك الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا
اهل الارض في زمانهم في الاسلام ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وحمزة وتاسعهم
عمر ابن الخطاب الحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نبيه صلى الله عليه وسلم واختلف في نظم
قوله تعالى والشهدا عند ربهم اي المحسن بالتربية لمثل تلك التربية العالية فمنهم من
قال هي متصلة بما قبلها والواو للنسق واراد بالشهدا المومنين المخلصين وقال
الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضي الله عنهم وقال مجاهد كل مومن صديق وشهيد
وتلا هذه الاية وقال قوم تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا بقوله تعالى والشهدا
فهو مبتدا وخبره لهم اجرهم اي جعل ربهم لهم ونورهم اي الذي زادهموه من فضله برحمته
قالوا والواو للاستيناف وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم
من قال هم الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الامم يروي ذلك عن ابن
عباس وهو قول مقاتل بن حيان وقال مقاتل ابن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل
الله عز وجل ولما ذكر تعالى اهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم جامعا
جامعا لاصنافهم اتبعهم اهل الشقاوة كذلك بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا
ما دلت عليه الادلة وكذبوا باياتنا اي على ما لها من العظمة بنسبتها اليك اوليك اي
هولا البعدا من كل خير اصحاب الجحيم اي النار التي من غاية في توقدها وفي ذلك دليل على ان
الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر باختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا واما غيرهم من القضاة فدخولهم لها ليس على وجه الصحبة
الدالة على الملازمة ولما ذكر تعالى حال الفريقين في الاخرة حقر امر الدنيا بقوله تعالى
اعلموا ايها العباد المبتلون بحب الدنيا انما الحياة الدنيا اي الحاضرة التي رغب
في الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة للتاكيد اي الحياة في
هذا الدار لعب اي لعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ولهو اي شي يفرح به الانسان
فليهيه اي يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم اتبع ذلك اعظم ما يلهي في الدنيا

بقوله

بقوله تعالى وزينة اي شي يهيج العين ويسر النفس كزينة النسوان واتبعها ثمرتها بقوله
تعالى وتفاخر بينكم اي كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض فيجر ذلك الى الحسد والبغضا
واتبع ذلك بما يحصل به الفخر بقوله تعالى وتكاثر اي من الجانبين لتكاثر الرهبان في الاموال
لا يفتخر بها الا احمق لكونها مايلة والاولاد اي التي لا يفتخر بها الا سفيه لانها زايلة وافاتها
هايلة وانما هي فتنة وابتلا يظهر بها الشاكر من غيره ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب
فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون اشد في الحسرة ثم في اخر ذلك يموت فاذا هو اضمحل
امره ونسي عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته متمتعا بها سواه فالدنيا حقيرة واحقر
منها طالبها لانها جيفة وطالبا لجيفة ليس له خطر واحسنهم من يبخل بها وقال علي لعمار لا تحزن
على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس وشموم ومركوب ومنكوح
فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الما ويستوي فيه جميع الحيوان و
افضل ملبوسها الديباج وهو منسج دودة وافضل شمومها المسك وهو دم فارقة
وافضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النسا وهو مبال في مبال
والله ان المراة لتزين احسنها يراد به افنجها انتهى ويناسب بعض ذلك قول الشاعر
فخير لباسها نسجات دود ٭ وخير شرابها قي الذباب ٭ وانتهى ما يقال المرء فيها ٭ مبال
في مبال سطاب ٭ قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الاخرة
فكل ما يشغله عن الاخرة فهو الدنيا انتهى اي واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الاخرة
ثم ضرب للدنيا مثل بقوله تعالى كمثل غيث اي مطر حصل بعد جدب وسوء حال اعجب الكفار
اي الزراع الذي حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث كما يستر الكافر حقيقة انوار الاعاد
بما يحصل منه من الجحد والطغيان نباته اي نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب
بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى ثم يهيج اي ييبس فيتم جفافه فيحين حصاده
فتراه اي عقب ذلك وبالقرب منه مصفرا اي على حالة لا نمو بعدها ثم اي بعد تناهي الجفاف
يكون اي كونا كانه مطبوع عليه حطاما اي فتاتا يضمحل بالرياح ولما ذكر تعالى في
الظل الزايل ذكر اثره الثابت الدايم مقسما له الى قسمين فقال تعالى وفي الاخرة عذاب
شديد اي على من اثر الدنيا واخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الاخرة هذا
هذا احد القسمين واما القسم الاخر فهو ما ذكره بقوله تعالى ومغفرة اي ولمن اقبل على

اي هذا الذي ذكرته من امرها يشبه مثل

الاخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة من الله اي الملك الاعظم ورضوان
اي في جنة تعالية تفضلا منه تعالي ورحمة وقوله جل وعلا وما الحياة الدنيا اي لكونها تنقل
بنوبتها مع انها زايلة الا متاع الغرور اي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا ظنك لانه لا يبر
بعد ما يضر تاكيد لما سبق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة
فاما اذا ادعتك الي طلب رضوان الله تعالي وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة ثم ارشدهم
الله تعالي الي المسابقة الي الخيرات لان الدنيا خيار ومحال والاخرة بقاء وكمال بقوله تعالي
سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار الي مغفرة اي ستر لذنوبكم عينا واثرا
من ربكم اي المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقال الكلبي سابقوا
بالتوبة لانها تودي الي المغفرة وقال تكحول هي التكبيرة الاولي مع الامام وقيل الصف
الاول وجنة اي وبستان هو من عظم اشجاره واطراد انهارها بحيث يستر داخله عرضها
كعرض السماء والارض اي السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزقت
بعضها ببعض لكانت عرضها كذلك وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين
جنة بهذه السعة وقال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزقت
بعضها الي بعض لكانت عرضها كعرض جنة واحدة من الجنان وسال عمر ناسا من اليهود اذا كانت
الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم ارايتم اذا جا الليل اين يكون النار واذا جا النهار
اين يكون الليل فقالوا انه لمثلهما في التوراة ومعناه انه حيث شا الله وهذا عرضها ولا شك
ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها علي ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا
تمثيل للعباد بما يفعلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات
والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس اعدت اي هيئت هذه الجنة الموعود بها وفرغ
من امرها بايسر امر للذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة بالله اي الذي له جميع العظمة
لاجل ذاته مخلصين له الايمان ورسله فلم يفرقوا بين احد منهم وفي هذا الخطر جا واقوي
اصل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيا اخر يدل عليه
قوله تعالي في سياق الاية ذلك اي الفضل العظيم جدا فضل الله اي الملك الذي لا تكفوا
فلا فلا اعتراض عليه يوتيه من يشا فيبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله لا بعمله
لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احدا منكم

عمله

عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته ولابينا في ذلك
قوله تعالي ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان ابا في الحديث عوضيت وفي الاية سببية فان قيل
يلزم علي هذا ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة واذ يقطع بانه لا عقاب عليهم اجيب
بانا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الي
الجنة يبقوا فيها ابدا الاباد فكانت معدة لهم والله اي والحال ان الملك المختص بجميع
صفات الكمال فله الامر كله ذو الفضل العظيم اي الذي جل ان يحيط بوصفه العقول
ما اصاب من مصيبة في الارض اي من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات وغلا الاسعار
وتتابع الحوايج وغير ذلك ولا في انفسكم اي من الامراض والفقر وذهاب الاولاد وصيق
العيش وغير ذلك الا في كتاب اي مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالي من قبل ان
نبرأها اي نخلق ونوجد ونقدر المصيبة في الارض والانفس وهذا دليل علي ان الكتاب
العباد بخلقه سبحانه وتقديره ان ذلك اي الامر الجليل وهو علمه بالاشيا وكتبه له علي
تفاصيله قبل ان يخلقه علي الله اي لما له من الاحاطة بصفات الكمال يسير لان علمه محيط
بكل شي فقدرته شاملة لا يعجزها شي ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالي لكيلا
اي اعلمناكم بانا علي ما لنا قدرنا من ذلك من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل
ولا تغيير لا تحزن ير فعه ولا السرور يليه ويجمعه كما قال صلي الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك
ما قدر يكن لاجل الا تاسوا اي تحزنوا حزنا كبيرا علي اصل الجبلة وقوله تعالي فرحا جزء ذلك
الي السخط وعدم الرضا بالقضا علي ما فاتكم اي من المحبوبات الدنيوية ولا تفرحوا اي تسروا
تسرورا يوصل الي البطر بالتمادي علي ما هي اصل الجملة وقوله تعالي بما اتاكم قراه ابو عمرو
بقصر الهمزة اي جاكم منه والباقون بالمد اعطاكم قال جعفر الصادق مالك تاسف علي مفقود
ولا يرده عليك الفوت ومالك تفرح بوجوده ولا يزكيه في يدك الموت انتهي ولقد عزي
الله تعالي المومنين رحمة بهم في مصايبهم وزهدهم في دنياهم بان اسفهم علي فوت المطلوب
لا يعيبه وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده وبان ذلك لا مطمع في بقايه الاباد خارج عند الله
الله تعالي وذلك بان يقول المصيبة قدر الله تعالي وما شا فعل ويصير وفي النعمة هكذا
قضي وما ادري ما له هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فلا يزال خايفا عند النقمة
قايلا في الحالين ما شا الله تعالي كان ومالم يشا لم يكن واكمل هذا ايكون مسرورا بذكر

وبه في كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالضاد ولم يتاثر
بالمسار فهو بيد وقد كما اشار اليه القشيري وقال ابن عباس ليس من احد الا وهو يحزن
ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما اللذان
تنفذ فيهما الي مالا يجوز والله اي الذي له صفة الكمال لا يحب اي يفعل فعل المحب بان
يكرم كل مختال اي متكبر نظر الي ما في يده من الدنيا فخور اي به علي الناس قال القشيري
الاختيال من بقايا النفس ورويتها والفخر من رويته خطر ما به يفتخر وقوله تعالي الذين
يبخلون بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يرضى به غالبا ويامرون الناس اي
كل من يرقونه بالبخل ارادة ان يكونوا لهم رفقا يعاونون باعمالهم الخبيثة او مبتدا
خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالي ومن يتول اي يكلف نفسه الاعراض صدما في
فطرته من محبة الخير والاقبال علي الله تعالي فان الله الذي له جميع صفات الكمال هو اي وحده
الغني الحميد لان معناه ومن يعوض عن الانفاق فان الله غني اي عن ماله وعن انفاقه
وكل شيء اليه مفتقر وهو المستحق للحمد سواء حمد الحامدون ام لا لقد ارسلنا اي بما لنا من
العظمة رسلنا اي الذي لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الافضال من الملايكة الي الانبياء علي
جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومن الانبياء الي الام بالبينات اي الحجج القواطع
وانزلنا اي بعظمتنا التي لا شيء اعلا منها معهم الكتاب اي الكتب المتضمنة للاحكام وشرايع
الدين والميزان اي العدل وقيل الالة روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه
الي نوح عليه السلام وقال امر قومك يزنوا به ليقوم الناس بالقسط ليتعاملوا بينهم
بالعدل وانزلنا اي خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القوة الحديد اي المعروف علي وجه
من القوة والصلابة والدين فلذلك سمي ايجاده انزالا وعن ابن عباس قال نزل اوم
عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد وروي من الحدادين السندان
والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والميقعة ما يجدد به
يقال وقعت الحديدة ايقعها اي حددتها وفي الصحاح المقعة الموضع الذي بالة البازي
فيقع عليه وخشبة القصاد التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروي
ومعه المبرد والمسحاة وعن عمران النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي انزل اربع
بركات من السما الي الارض انزل الحديد والنار والما والملح وروي عكرمة عن ابن

عباس

عباس قال انزل ثلاثة اشياء مع ادم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج
وعصا موسي عليه السلام وكانت من آس طولها عشرة اذرع مع طول موسي وعن الحسن وانزلنا
الحديد خلقناه كقوله تعالي وانزل لكم من الانعام وخلق ان اوامره تنزل من السما وهو
قضياه واحكامه فيه باس اي قوة وشدة شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهي اله
الرفع ومنه سلاح وهو اله الضرب ومنافع للناس بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم احوالهم
بذلك قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد التها وقال مجاهد يعني جنة وقيل
انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك وروي ان الحديد انزل
في يوم الثلاث افيه باس شديد اي مهراق الدما ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم
الثلاث لانه يوم جري فيه الدم وروي انه صلي الله عليه وسلم قال ان في يوم الثلاثا لايراق
فيها الدم وقوله تعالي وليعلم الله اي الذي له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة
بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزا علي العمل لا علي العلم عطف علي قوله تعالي ليقوم الناس
اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت وليعلم الله من ينصره اي ينصر دينه بالات الحر
من الحديد وغيره وقوله تعالي ورسله عطف علي مفعول ينصره اي وينصر رسله وقوله
تعالي بالغيب حال من ها ينصره اي غايبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا
يبصرونه ان الله اي الذي له العظمة كلها قوي اي فهو قادر علي اهلاك جميع اعدايه
وتاييد من ينصره من اوليايه عزيز فهو غير مفتقر الي نصر احد وانما دعا عباده الي نصرة
دينه ليقيم عليهم فيرحم من اراد بامتثال الامور ويعذب من شا بارتكاب المنهي لبناء هذه
الدار علي حكمة ربط المسببات بالاسباط ولما اجمل الرسل الي قوله تعالي لقد ارسلنا رسلنا
فصل هنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب فقال تعالي ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة
نوحا وهو الاب الثاني وجعلنا الاغلب علي رسالته مظهر الجلال وابراهيم وهو ابو
العرب والروم وبني اسراييل الذي اكثر الانبيا من نسله وجعلنا الاغلب علي رسالته تجلي
الاكرام وجعلنا اي بما لنا من العظمة في ذريتهما النبوة فلا يوجد نبي الا من نسلهما والكتاب
اي الكتب الاربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والقران وعن ابن عباس الكتاب الخط
بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة والضمير في قوله تعالي منهم مهتد يعود علي الذرية لتقدم ذكرها
لفظا وقيل يعود علي الرسل اليهم لدلالة ارسلنا اي هو بعيي الرضا منا وهو من لزم طريقة

الاصفاء وان كان من اولاد الاعداء وكثير منهم اي المذكورين فاسقون اي هم جميعا السخطاء وان
كانوا من اولاد الاصفياء والمراد بالفاسق هنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين وقيل هو
الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا ام لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشتمل الكافر وغيره ثم قفينا
اي اتبعنا بما لنا من العظمة على اثارهم اي الابوين المذكورين ومن مضى قبلهم من الرسل او عامرها
منهم برسلنا اي فارسلناهم واحدا في اثر واحد كموسى والياس ولداود وغيرهم ولا يعود
الضمير على الذرية لاباقية مع الرسل وبعدهم وايضا الرسل المنتهي بهم من الذرية وقفينا اي
اتبعنا بما لنا من العظمة على اثارهم قيل ان تندرس عيسى بن مريم وهو من ذرية ابراهيم من
جهة امه وهو اخر من قبل النبي الخاتم عليهم السلام فامته اولى الامم باتباعه صلى الله عليه وسلم
واتيناه اي بما لنا من العظمة الانجيل كتابا ضابطا لما جا به مقيما لملته مبشرا بالنبي العربي
موضحا لامره مكثرا من ذكره وجعلنا اي بما لنا من العظمة في قلوب الذين اتبعوه اي على
دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه رافة اي اشد رافة على من كان ينسب الى الاتصال
بهم ورحمة اي رقة وعطفا على من لم يكن له سبب في الاتصال بهم كما كان الصحابة رضي
الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذلة على المومنين مع ان قلوبهم في غاية الصلابة
فهم اعزة على الكافرين متوادون بعضهم لبعض وقوله تعالى ورهبانية منصوب بفعل مقدر
تفسره الظاهر وهو قوله تعالى ابتدعوها قال ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فتكون
المسيد من باب الاشتغال والى هذا ذهب الفارسي والزمخشري وابو البقا وجماعة الا ان هذا
يقال انه اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة
والرافة لما كانتا من فعل الله تعالى بسبب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى
بل من فعل يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه وقيل ان رهبانية معطوفة على رافة
ورحمة وجعل بمعنى خلق او بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة لرهبانية وانما خصت
بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر غريزي لا تكليف للانسان فيها بخلاف الرهبانية
فانها افعال البدن وللانسان فيها تكسب لكن ابو البقا منع هذا بان ما جعله الله تعالى
لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما لم تكن مكتسبة صح ذلك فيها والمراد من الرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين متحملين كلفا زايدة على العبادات التي كانت
واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النسا والتعبد الكهوف والغيرات

روي

روي ان ابن عباس قال في ايام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم غير الملوك التوراة
والانجيل مناح نفر وبقي نفر قليل فترهبوا وتنسكوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه
السلام ارتكبوا المحارم فلثمانية سنة فانكرها عليهم من كان يبقى على منهاج عيسى فقتلوهم
فقال قوم بقي بعدهم نحن اذ نهيناهم فقتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا النسا
واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا واتخاذ الصوامع
وفي حديث مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال وقوله تعالى ما كتبناها صفة لرهبانية
ويجوز ان تكون للاستيناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم
بها في كتابهم ولا على لسان رسولهم وقوله تعالى الا ابتغا رضوان الله اي الملك الاعظم
استثنا منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغا رضوان الله وقيل متصل عاهو مفعول
من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من الاشيا الا لابتغا مرضات الله ويكون كتب بمعنى
قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغا مرضات الله فما رعوها حق رعايتها اي ما
قاموا بها حق القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم
وبقي على دين عيسى كثير منهم وامنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاتينا اي بما لنا من
من صفات الكمال الذين امنوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم منهم اجرهم اي الذي يليق بهم
وهو الرضوان المضاعف وكثير منهم اي من هولا الذين ابتدعوا فضيعوا فاسقون اي غريقون
في وصف الخروج عن الحدود التي حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين
عيسى عليه السلام روي البغوي بسنده عن ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين
وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سايرهم فرقة غزة الملوك وقاتلوهم على دين عيسى
وفرقة لم يكن لهم طاقة بمعاداة الملوك ولا ان يقيموا بين اظهرهم فدعوهم الى دين الله
ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد فترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل رهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي واتبعني وصدقني
فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاولئك هم الهالكون وعن ابن مسعود
ايضا قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن عبد هل تدري
من اين احدثت بنو اسرايل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم
الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي مغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزموا اهل الايمان

ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقاتلوا ان ظهرنا عليهم لا فتنونا ولم يبق للدين احد يدعوا
اليه فتفانوا فتفرق في الارض اي ان بعث الله تعالى النبي الذي وعدنا عيسى عليه السلام يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم
من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني من
ثبت عليها اجرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله
اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى وعن ابن عباس قال
كانت ملوك بني اسرايل بعد عيسى عليه السلام يتلوا التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى
فقيل لملوكهم ان جمعتم جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه لجمعهم ملككم
وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل والا فما يدلوانها فقالوا نحن نكفيكم انفسنا
فقالت طايفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطوا شيئا فرفع به طعامنا وشرابنا
فلا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدروا
علينا بارضنا فاقتلونا وقالت طايفة ابنوا لنا دورا في الفيافي نحتفر الابار ونحترث البقول فلا
نرد عليكم ولا نراكم ففعلوا بهم ذلك فمضى وليك على منهاج عيسى عليه السلام وخلق قوم من بعدهم
ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول لكون في مكان في مكان فلان فتنقبد كما تعبد وتسيح
كما ساح فلان وتتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم
فلذا قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني
الاخرين الذين جاءوا من بعدهم فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين اتبعوها ابتغاء
مرضات الله تعالى وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم قال فلما بعث الله النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل اخطار جل من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب
دير من ديره فامنوا وصدقوا فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي بموسى وعيسى عليهما السلام
ايمانا صحيحا اتقوا الله اي خافوا عقاب الملك الاعظم وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه
وسلم ايمانا مضمونا الى ايمانكم بمن تقدمه هذا اذا كان خطابا للمومنين من اهل الكتاب واما
اذا كان خطابا للمومنين من اهل الكتاب وغيرهم فالمعنى امنوا برسوله ايمانا مضموما الى
ايمانكم بالله تعالى فانه لا يصح الايمان بالله الا مع الايمان برسوله صلى الله عليه

وسلم

وسلم يوتكم اي يبتكم على اتباعه كفلين اي نصيبين ضعفين من رحمته يحصنانكم من العذاب
كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كساء يقعد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره
على العجز وهذا التحصين لاجل ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة
العمل ورفع الاصار ولا بعد ان يشاهدوا على دينهم السابق وان كان منسوخا بركة
الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصر صلى الله عليه وسلم وقال ابو موسى
الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال بن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة وعن
ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث يوتون اجرهم مرتين رجل كانت له
جارية فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب امن بكتابه
وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده ويجعل لكم اي مع ذلك
نورا مجازيا في الدنيا من المعلوم والمعارف القلبية وحسيا في الاخرة بسبب العمل تمشون
به اي مجازيا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة في الاخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو
البيان والهدى وقال بن عباس هو القران وقال الزمخشري هو النور المذكور في قوله تعالى
نورهم يسعى وقيل يمشون في الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونون راسا في الهدى الاسلام لا تزول
عنكم رياستكم فيه وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما
كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية
في الدين ويغفر لكم اي ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل وجد والله اي المحيط بجميع صفات
الكمال غفور اي بليغ المحو للذنوب عينا واثرا رحيم اي بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه
للعمل بما يرضيه ولما بلغ من لم يومن من اهل الكتاب قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين
قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا ومن لم يومن
منا فله اجره كاجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله تعالى ليلا يعلم اي ليعلم واللام زايدة للتاكيد
اهل الكتاب الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان
والمعنى انهم لا يقدرون على شيء في زمن من الازمان من فضل الله اي الملك الاعلى فلا
اجر لهم ولا نصيب في فضله ان لم يومنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حسد الذين
لم يومنوا من اهل الكتاب المومنين منهم فنزلت هذه الاية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك
ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت هذه الاية

وروي ان مومني اهل الكتاب افتخروا علي غيرهم من المومنين بان يوتون اجرهم مرتين وادعوا
الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله
الله تعالي وقيل نعم الله تعالي التي لاتحصي وان اي وليعلموا ان الفضل اي الذي لايحتاج اليه
من هو عنده بيد الله الذي له الامر كله يوتيه من يشا لانه قادر مختار فاتي المومنين نعم اجرهم
مرتين والله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال ذو الفضل العظيم اي ماكله ملكا لايشكه
ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه اصلا فلذلك يحض من يشا بما يشا روي البخاري عن ابن عمر
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قايم علي المنبر يقول انما بقاوكم فيمن سلف قبلكم
من الامم كما بين صلاة العصر الي غروب الشمس اعطوا اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتي
انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتي
صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتي غربت الشمس
فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل هذه التوراة ربنا هولا اقل عملا واكثر اجرا قال هل
ظلمتكم من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا وفي رواية انما اجلكم في اجل
من كان قبلكم خلا من الامم كما بين صلاة العصر الي مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود و
النصاري كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الي نصف النهار علي العصر علي قيراط قيراط
فعملت اليهود الي نصف النهار علي قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الي العصر علي قيراط قيراط ثم قال
من يعمل لي من صلاة العصر الي مغرب الشمس علي قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من
صلاة العصر الي مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصاري وقالوا نحن اكثر عملا
واقل عطا قال تعالي هل ظلمتكم من حقكم شيا قالوا لا قال فانه فضلي اوتيه من شيت وعن
ابي موسي الاشعري عن النبي صلي الله عليه وسلم قال مثل اليهود والنصاري كمثل رجل استاجر قوما
يعملون عملا يوما الي الليل علي اجر معلوم فعملوا الي نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الي اجرك
الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم كملوا بقية عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا
واستاجر اخرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا
حتي اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا
بقيت عملكم فانما بقي من النهار شي يسير فابوا فاستاجر اخرين علي ان يعملوا له بقيت يومهم

حتي

حتي غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما بقوا من هذا
النور وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلي الله عليه وسلم من قراسورة الحديد
كتب من الذين امنوا بالله ورسله حديث موضوع سورة المجادلة مدنية
في قول الجميع الا رواية عن عطا الا العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي
نزلت جميعها بالمدينة غير قوله تعالي ما يكون من نجوي ثلاثة الاهو رابعهم ثم نزلت
بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربعماية وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعماية
واثنان وسبعون حرفا بسم الله الذي تمت قدرته وكملت جميع صفاته الرحمن
الذي شمل الخلايق جودا بالايجاد وارسال الهداة الرحيم الذي خص احباءه فمنت
عليهم نعمة مرضياته ونزل في خولة بنت ثعلبه وكانت تحت اوس بن الصامت
وكان قد ظاهر منها قد سمع الله اي اجاب بعظيم فضله الذي احاط بجميع صفات
الكمال فوسع سمعه الاصوات قول التي تجادلك اي تراجعك ايها النبي في زوجها ه
المظاهر منها روي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه مر بها في خلافته وهو علي حمار
والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قالت قد كنت تدعي عميرا
ثم قيل لك اميرا لمومنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن
ايقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف
لهذا العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من اول النهار الي اخره لازلت الا
للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبه سمع الله تعالي
قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عايشه
تبارك الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبه ويخفي علي بعضه
وهي تشكي زوجها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي
ونثرت له بطني حتي اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما
برحت حتي نزل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشكي الي الله والاية
وروي انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما
انصرفت اراد ها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرئ به لمم فاصابه بعض لممه
فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فقالت

النبي صلي الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما علا سني
ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم حرمت عليه
فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
حرمت عليه فقالت اشكوا الي الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونقصت له بطني
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم حرمت عليه ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله
صلي الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت
اشكوا الي الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم
اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الي السما وتقول اللهم اني اشكوا اليك فانزل علي لسان نبيك
وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية
فارسل رسول الله صلي الله عليه وسلم الي زوجها وقال ما حملك علي ما صنعت فقال الشيطان
فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله
فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني اخطاني ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكل
صبري ولظننت اني اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان يعينني منك بعون
وصلة فاعانه رسول الله صلي الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله
فتصدق به علي ستين مسكينا وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لها مريه ان
يعتق رقبة فقالت اي رقبة والله لا يجد رقبة وما له خادم غيري فقال فقال مريه
ان يصوم شهرين فقالت والله لا يقدر علي ذلك انه يشرب في اليوم كذا كذا مرة فقال
مريه فليطعم ستين مسكينا فقالت اني له ذلك **وتشتكي** اي تتعمد بتلك المجادلة الشكوي
منتهية **الي الله** اي سوا الملك الاعظم الرحمة الذي احاط بكل شي علما فان قيل ما معني
قد في قوله قد سمع الله اجيب بان معناها التوقع لان رسول الله صلي الله عليه وسلم والمجادلة
كانتا يتوقعان ان يسمع الله تعالي مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها
لصدقها في شكواها وقطع رجايها فكشف ما بها من غير الله ان الله تعالي يكشف كربتها **والله**
اي والحال ان الذي وسعت رحمته كل شي لان له الامر كله **يسمع تحاوركما** اي تراجعكما الكلام
وهو علي تغليب الخطاب **ان الله** اي الذي احاط بجميع صفات الكمال **سميع** اي بالغ السمع
بكل مسموع **بصير** اي بالغ البصر لكل ما يبصر فهما صفتان كالعلم والقدرة والارادة والحياة

وهما

وهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما ولما اتم تعالي الخبر عن احاطة
العلم استانف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالي **الذين يظهرون** اي يوجدون
الظهار في اي زمان كان وقوله تعالي **منكم** اي ايها العرب المسلمون توبيخ لهم وتهجين
لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون ساير الامم فنبه تعالي علي ان اللايق بهم
ان يكونوا ابعد الناس عن هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية
زاده الاسلام استهجانا **من نسايهم** اي يحرمون نساهم علي انفسهم تحريم الله تعالي
عليهم ظهور امهاتهم والظهار لغة ماخوذ من الظهر لان صورته الاصلية ان يقول
لزوجته انت علي كظهر امي وخصوا الظهر دون البطن والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب
والمراة مركوب الزوج وقيل من العلو قال تعالي فما اسطاعوا ان يظهروه ان يعلوه وكان
طلاقا في الجاهلية وقيل في اول الاسلام ويقال كان في الجاهلية اذا كره احدهم امراته
ولم يرد ان تتزوج بغيره آل منها او ظاهر فتبقي لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره فغير
الشرع حكمه الي تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سياتي وحقيقته الشرعية تشبيه
الزوجة غير البائن بانثي لم تكن حلالة وسمي هذا المعني ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر
الام وله اركان اربعة مظاهر ومظاهر منها وصيغة ومشبه به وشرط في المظاهر
كونه زوجا يصح طلاقه وشرط في المشبه به كونه كل انثي محرم او جز انثي محرم
لم تكن حلالة كبنته واخته وشرط في الصيغة يشعر بالظاهر صريح كانت او راسك او
بدنك كظهر امي او كجسمها او بدنها او كناية كانت او كعينها او غيرها مما يذكر لكرامة كراسها
او روحها ويصح تاقيته وتعليقه واصل يظهرون يتظهرون ادغمت التا في الظا وقرا
الذين يظهرون والذين يظهرون عاصم بضم اليا وتخفيف الظا وبعدها الف وتخفيف
الها مكسورة وقرا ابن عامر وحمزة والكساي بفتح اليا وتشديد الظا وتخفيف الها مع فتحها
وبين الظا والها الف والباقون بفتح اليا وتشديد الظا والها ولا الف بينهما **ما هن** اي
نساوهم **امهاتهم** اي علي الحقيقة **ان** اي ما **امهاتهم** اي حقيقة **الا اللاي ولدنهم** ونساوهم
لم يلدنهم فلا يحرمن عليهن حرمة مويدة للاكرام والاحترام ولا هن ممن الحق بالامهات
بوجه يصح كازواج النبي صلي الله عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام
والاعظام لان النبي صلي الله عليه وسلم اعظم في ابوة الدين من ابي النسب وكذا المرضعات

لمالهن من حق الرضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة واما الزوجة فبابية لجميع ذلك وقراءة
قالون وقنبل بالهمزة بالكسرة ولا ياء بعدها وقراءة ورش والبزي وابو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد
والقصر للبزي وابي عمرو وابدال موضع الهمزة ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء
وهم على مراتبهم في المد وانهم اي المظهرون ليقولون اي في هذا التظهر على كل حالة منكرا من القول
اذ الشرع انكره وهو حرام اتفاقا كما نقل عن الرافعي في باب الشهادات وزورا اي قولا مائلا
عن السداد متحرفا عن القصد لان الزوجة معدة للاستمتاع الذي هو الغاية من الامهتان
والام في غاية البعد من ذلك فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي تشبه بامه ولم
يقل انها امه فما معنى انه منكر من القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب اجيب بان
قوله هذا ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فكذلك لان الام موبدة التحريم والزوجة
لا يتابد تحريمها بالظهار فهو زور مخض فان قيل قوله تعالى الا اللاي ولدنهم يقتضي انه للام
الا الوالدة وهذا مشكل بقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله وازواجه امهاتهم اجيب
بان الشارع الحقهن بالوالدات لما مر وان الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه في شرع
ولا غيره لعفو اي من صفاته ان يترك عقاب من يشاء غفور اي من صفاته ان يمحو ذنب
واثره ثم بين احكام الظهار بقوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا
والعود في ظهار غير موقت من غير رجعية ان يمسكها بعد ظهاره مع علمه بوجوب الصفة
في المعلق ومن امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته يقال قال فلان قولا
ثم عاد له وعاد فيه اي خالفه ونقضه وهو قريب من قولهم عاد في هبته ومقصود
الظهار وصف المراة بالتحريم واساكها يخالفه فلو اتصل بظهاره جنونه او اغماوه او
فرقة بموت او فسخ من احدهما بمقتضيه كعيب باحدهما او بطلاق بائن او رجعي
ولم يراجع فلا عود والعود في ظهار غير موقت من رجعية سواء طلقها عقب الظهار
ام قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول ثم اسلم في العدة فلا عود به
باسلام بل بمضيه والفرق ان الزوجة امسك في ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل
للدين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امساك وانما يحصل بعده والعود في ظهار
بوقت يحصل بمغيب حشفة او قدرها من فاقدها في المدة ويجب في العود به وان حل
نزع لما غيبه كما لو قال ان وطئتك فانت طالق لحرمة الوطي قبل التكفير كما سياتي واقتضا

المدة

المدة واستمرار الوطي وفي ولما كان المبتدا الموصول يتضمن معنى الشرط ادخل الفا في خبره
ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال عز من قايل فتحرير اي فعليهم بسبب هذا
الظهار والعود تحرير رقبة مومنة فلا تجزي كافرة قال تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة
مومنة والحق بها غيرها قياسا عليها بجامع حرمة سببها من القتل والظهار وحملا للمطلق
على المقيد كما في حمل المطلق في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم على المقيد في قوله
واشهدوا ذوي عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزي صغير ولو ابن يوم واقرع و
اعرج يمكنه تتابع مشي بان يكون عرجه غير شديد واعور ولم يضعف عوره بصر عينه
السليمة ضعفا يخل بالعمل واصم واخرس يفهم الاشارة وتفهم عنه واخشم وفاقد رجل او خنصر
وبنصر من يد او انملتين من كل منهما او فاقد انملتين من اصبع غيرهما او فاقد انملة ابهام لاخلا
لكل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزي مريض لا يرجى برؤه ولم ير الذي سل وهرم
بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون افاقته اقل من جنونه تغليبا
للاكثر ويجزي معلق بصفة بان يعتق عنه بنية الكفارة او يعلقه كذلك بصفة اخرى وتوجد
قبل الاولى ويجزي نصفا رقبتين اعتقهما عن كفارة باقيهما او في احدهما كما استظهره
بعضهم وتجزي اعتاق رقبته عن كفارتيه لاجل الفتن المعلق كفارة عند وجود الصفة
او لا مستحق عتق لام ولد وصحيح كتابة من قبل ان يتماسا ان يتجدد بينهما مس روى ابو
داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امراته وواقعها لا تقربها حتى تكفر
والتفكير مدة مضي الوقت لانتهايه وحمل التماس هنا لشبه الظهار بالحيض على التمتع بما بين
السرة والركبة ومن حمل على الوطي الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة كما نقتضيه
كظهر امي فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها او ظاهر منهن باربع كلمات ولو متوالية
فعايد من غير اجزة ولو كرر في امراة متصلا بعد الظهارات قصد استيناف او يصير المظاهر
بالاستيناف عايدا ذلكم اي ذلك الحكم بالكفارة توعظون به اي التقط الكفارة وعظكم حتى
تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله اي الذي له الاحاطة بالكمال بما تعملون اي تجددون
فعله خبير اي عالم بظاهركم وباطنه فهو عالم بما يكفر فافعلوا ما امر به وقفوا عند
حدوده وانما يلزم الاعتاق عن الكفار من ملك رقيقا او ثمنه فاضلا عن كفاية مونته
من نفسه وغيره قال الرافعي وسكتوا عن تقدير مدة ذلك ويجوز ان تقدر بالعمر الغالب

وان تقدر بسنة انتهي والذي عليه الجمهور هو الاول ولا يلزمه بيع عقار وراس تجارة وماشية
لا يفضل دخلها عن غلة العقار وربح مال التجارة وفوايد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية نمونه
ولا بيع مسكن ورقيق بقيمتين الفهما ولا يلزمه سابقين فمن لم يجد اي الرقبة بان عجز المكفر
عن الاعتاق حسا او شرعا وقت اداء الكفارة فصيام اي فعليه صيام شهرين متتابعين عن
كفارته فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيا وليس لسيده منعه من الصوم ان
ضره وانما اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت الوجوب قياسا علي ساير العبادات ولو ابتدا الصيام
ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر به حيث دخل فيه وقال ابو حنيفة يعتق قياسا
علي الصغيرة المعتد بالشهور اذا رات الدم قبل انقضا العدة فانها تستانف الحيض اجماعا ويكفيه نية
صوم الكفارة وان ينوا الولا فان انكسر الشهر الاول اتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه
الي الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض او سفر فيجب الاستيناف ولو كان الفايت
اليوم الاخير او اليوم الذي نسيت النية له بخلاف ما اذا فات بجنون او اغما مستغرق لمنافات ذلك
الصوم من قبل ان يتماسا كما مر في العتق فان جامع ليلا عصي ولم ينقطع التتابع لانه ليس محلا
للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتدا الكفارة لقوله
تعالي من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع بان عجز عن صوم اولا لمرض يدوم شهرين بالظن المستفاد
من العادة في مثله او من قول الاطبا او لمشقة شديد تلحقه بالصوم او بولاية ولو كانت المشقة
لشدة الوطي او خوف زيادة مرض فاطعام اي فعليه اطعام ستين مسكينا اي من قبل ان يتماسا
حملا للمطلق علي المقيد بان يملك كل مسكين من اهل الزكاة مدا من جنس الفطرة كبر وشعير واقط
ولبن فلا يجزي لحم ودقيق وسويق وخرج باهل زكاة غيره فلا يجزي دفعها لكافر ولا لهاشم
ومطلبي ولا لمواليهما ولا لمن تلزمه مونته ولا لرقيق لانها حق الله تعالي فاعتبر فيها صفات الكمال
ذلك اي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من امر الله الذي هو موافق
للحنفية السمحة ملة ابيكم ابراهيم عليه السلام لتومنوا اي ليتحقق ايمانكم بالله اي
الملك الذي لا امر لاحد معه فتطيعوا بالانسلاخ من امر الجاهلية ورسوله اي الذي تعظيمه
من تعظيمه ولما رغب في هذا الحكم رهب في التهاون به بقوله تعالي وتلك اي هذه الاحكام
العظيمة المذكورة حدود الله اي اوامر الملك الاعظم ونواهيه التي يجب امتثالها والتعبد
بها لترعي حق رعايتها فالتزموها وقفوا عندها ولا تعتدوها فانه لا يطاق انتقامه اذا تعدي

نقضه

نقضه وابرامه وللكافرين اي الفريقين في الكفر بها او بشي من شرايعه عذاب اليم بما الموا
المومنين من الاعتد فان عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في
ذمته الي ان يقدر علي شي منها فاذا قدر علي خصلة من خصالها فعلها ولا ينقض الصوم ولا
العتق بخلاف الاطعام حتي لو وجد بعض مد خرجه لانه لا بدل له وبقي الباقي في ذمته
قال الزمخشري فلذا قلت امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه قلت لها ذلك
وعلي القاضي ان يجبره علي ان يكفر وان يحبسه ولا شي من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا
كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والانتفاع بحق الاستمتاع فيلزم ابدا
حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتي يكفر لما روي
ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت
خلخالها في ليلة قمرا فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتي
تكفر انتهي والمراد بالاستغفار هنا التوبة ولما ذكر تعالي المومنين الواقفين عند حدوده
ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالي ان الذين يحادون الله اي يغالبون الملك
الملك الاعلي علي حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان
المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو قوله تعالي ومن يشاق الله ورسوله اي الذي عزه
من عزه وقيل يحادون اي اوليا الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
والضمير في قوله تعالي ان الذين يحادون الله يحتمل ان يرجع الي المنافقين فانهم كانوا يوادون
الكافرين ويظاهرونهم علي النبي صلي الله عليه وسلم انهم كبتوا اي اذلوا وقال ابو عبيدة
والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخذوا وقال ابو زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال
الفرا اغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر كما كتب الذين من قبلهم اي المحادين المخالفين
رسلهم كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر علي العصيان قال القشيري ومن ضيع لرسول الله
صلي الله عليه وسلم او احدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك وقد انزلنا اي بما لنا
من العظمة عليكم وعلي من قبلكم ايات بينات اي دلالات عظيمة هي في غاية البيان
لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان كشرك المحادة وتحصيل الاذعان وللكافرين الراسخين
في الكفر بالايات او بغيرها من امر الله تعالي وشرايعه يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم
وشماختهم ويتركون به محادتهم وقوله تعالي يوم منصوب باذكر كما قاله الزمخشري

قال تعظيما لليوم اي بلهم اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه جزا او بفعل مقدر قدره ابوا
البقا بها نون او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم الله اي الملك الاعظم جميعا اي حال
كونهم مجتمعين الكافرين المصرح بهم والمومنين المشار اليهم الرجال والنسا احيا كما كانوا
لا يترك منهم احدا وقيل مجتمعين في مال واحد فينبيهم اي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصي
بما عملوا تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا لحالهم احصاه الله اي احاط به عدوا كما وكيفا وزمانا
ومكانا بما له من صفات الجلال ونسوه لانهم تهاونوا به حيث ارتكبوه ولم يبالوا به
لضراوتهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات الامور ولخروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد
علي انفراده والله اي بما له من القدرة الشاملة والعلم المحيط علي كل شي علي الاطلاق شهيد
اي حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل ثم انه تعالي اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات
فقال جل ذكره الم تر اي تعلم علما في وضوحه كالرويه بالعين ان الله اي الذي له صفات
الكمال كلها يعلم ما في السموات كلها وما في الارض كذلك كليات ذلك وجزئياته لا
يغيب عنه شي منه بدليل ان تدبيره محيط بذلك علي اتم ما يكون وهو يخبر من شا من
انبيايه واصفيايه بما يشا من اخبار ذلك القاصية والدانية الماضية والاتية فيكون
كما اخبر وقوله تعالي ما يكون من نجوي يكون فيه من كان التامة ومن نجوي فاعلها
ومن مزيدة فيه اي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف اي اهل
نجوي فتكون ثلاثة صفة لاهل وان يوول نجوي بمتناجين جعلوا نجوي مبالغة فتكون
صفة للنجوي واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الي الذهن
لا تيسير لكل احد ان يطلع عليه وقوله تعالي الا هو رابعهم استثنا من اعم الاحوال اي ما
يوجد شي من هذه الاشيا في حال من الاحوال الا وهو يعلم بنجواهم كانه حاضر معهم
وشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة اي من نجواهم الا هو
سادسهم اي يعلم كما مر فان قيل ما الداعي الي تخصيص الثلاثة والخمسة اجيب بوجهين
احدهما ان قوما من المنافقين تخلقوا للتناجي فيما بينهم دون المومنين وينظرون
الي المومنين ويتغامزون باعينهم مغايظة للمومنين علي هذين العددين ثلاثة وخمسة
فقيل ما يتناجي منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون ولا ادني من ذلك اي من عددهم
ولا اكثر اي من ذلك الا هو معهم يسمع ما يقولون اينما اي في اي مكان كانوا فانه لا مسافة

بينه

بينه وبين شي فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب بني عمرو وصوان
ابن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اتراك الله يعلم ما تقول فقال الاخر يعلم بعضا
ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا يعلم كله وصدق لين من علم بعض الاشيا
بغير سبب فقد علمها كلها لانه كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والوجه الثاني
انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوي والمتخالفين للشوري والمندوبين
لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طايفة مجتباة من اولي النهي والاحلام ورهط من اهل الراي
والتجارب واول عددهم اثنان فصاعدا الي خمسة الي ستة الي ما اقتضته الحال و
حكم به الاستصواب الا تري الي عمر بن الخطاب كيف تري الامر شوري بين ستة
ولم يتجاوز بها الي سباع الاربعة فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال ولا ادني من ذلك
فدل علي الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل علي ما يبني هذا العدد ويقاربه وروي انه
صلي الله عليه وسلم قال في خطبته الكبري اخرجها الحارث بن ابي اسامة رقا المنبر وقال
يا ايها الناس ادنوا واسمعوا لمن خلفكم ثلاث مرات فدنا الناس وانضم بعضهم الي بعض و
التفتوا فلم يروا احدا فقال رجل منهم بعد الثلاثة لمن نسمع يا رسول الله الملايكة فقال لا انهم
اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمايلكم وعلي ذلك
فليسوا في مكان الايمان هنا والشمايل بل في المكانة من ذلك فالله جل جلاله اعلا واجل
واتره مكانة واكرم استوي ثم ينبيهم اي يخبر اصحاب النجوي اخبارا عظيما بما عملوا
دقيقه وجليله يوم القيامة الذي هو المراد الاعظم من الوجود لاظهار الصفات العلي
فيه اتم اظهارا ان الله اي الذي له الكمال كله بكل شي عليم اي بالغ العلم فهو علي كل شي شهيد
وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات واختلف في سبب نزول قوله تعالي الم تر
اي تعلم علما هو كالروية الي الذين نهوا عن النجوي فقيل في اليهود وقيل في المنافقين و
قيل في فريق من الكفار وقيل في فريق من المسلمين لما روي ابو سعيد الخدري قال كنا
ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما هذه النجوي فقلنا تبنا الي الله تعالي يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال خوفا منه
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلي يا رسول الله
قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال بن عباس نزلت

اي مما ذكر وغيره

في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمومنين ويتغامزون باعينهم
يوهمون المومنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من
اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما
طال ذلك عليهم واشتكوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين
فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الي مناجاتهم فانزل الله تعالي الم تر الي الذين نهوا عن النجوي ثم
يعودون اي علي سبيل الاستمرار لا انه وقع مرة وبادروا الي التوبة منها او فلتة معفوا
عنها لما نهوا عنه اي من غير اي يعتدوا لما يتوقع من جهة القاصي من الضرر عنده ويتناجون
اي يقبل بعضهم علي المناجات اقبالا واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الاخر مرة بعد اخري
علي سبيل الاستمرار وقرا حمزة بعد اليا بنون ساكنة وبعدها تا فوقية مفتوحة ولا الف
قبل الجيم وضم الجيم والباقون بتا فوقية مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون الف
وفتح الجيم بالاثم اي بالشي الذي يثبت عليهم به الذنب وبالكذب وبما لا يحل والعدوان اي
العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة الحدود ومعصية الرسول اي
مخالفة الذي جا اليهم من الملك الاعلي وهو كامل في الرسالة لكونه مرسلا الي جميع الخلق وفي
كل الازمان فلا نبي بعده فهو لذلك مستحق غاية الاكرام فايدة اسمت معصية في الموضعين
بالتا المجرورة واذا وقف عليها فابو عمرو وبن كثير والكسائي بالها في الوقف والكسائي بالامالة
في الوقف علي اصله ووقف الباقون بالتا علي الرسم والتفقوا في الوصل علي التا واذا جاوك
اي يا اشرف الخلق حيوك اي واجهوك بما يعدونه تحية بما لم يحيك به الله اي الملك
الاعلي الذي لا امر لاحد معه وذلك لان اليهود كانوا يدخلون علي النبي صلي الله عليه وسلم
ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي
صلي الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول وعليكم فقالت السيدة عايشة السام عليكم ولعنة الله
وغضبه عليكم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مهلا يا عايشة عليك بالرفق واياك
والعنف والفحش فقالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب فيهم ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلي الله عليه وسلم
عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فانزل الله تعالي واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك الله وروي النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا

وعليكم

وعليكم بالواو فقال بعض العلما ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان ندخل
معهم في ما دعوا به علينا من الموت او من مسامة ديننا وهو الملال يقال سام سامة وساما
وقال بعضهم الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر فلما اجزنا ساحة الحي وانتحي اي لما اجزنا
انتحي فزاد الواو وقال اخرون هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال اخرون هي علي
بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلي الله
عليه وسلم لعايشة تنبيه اختلف العلما في رد السلام علي اهل الذمة فقال بن عباس و
الشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل
عليك وعندنا يجب ان يقول له وعليك لما مر في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علاك
السلام اي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني
الحجارة ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون باعلا الله تعالي لهم انه صلي الله عليه وسلم
لا يطلع عليه وان الطلع عليه لم يقدر ان ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله تعالي ويقولون في
انفسهم من غير ان يطلع عليه احد لولا اي هلا ولم لا يعذبنا الله اي الذي له الاحاطة بكل شي
بما نقول اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم
السام فلو كان كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل
الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من
يغضبهم بالعذاب حسبهم اي كافيهم في الانتقام جهنم اي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم و
العبوسة والغطاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة علي الكفاية فاستعجالهم بالعذاب
محض وعونة يصلونها اي يقاسون عذابها دايما فانا قد اعددناها لهم فبيس المصير
اي مصيرهم يا ايها الذين امنوا اي ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اذا تناجيتم اي اطلع
كل منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه لصاحبه سرا فلا تتناجوا اي توجدوا هذه الحقيقة
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي الكامل في الرسالة كفعل المنافقين واليهود و
قال مقاتل اراد تعالي بقوله امنوا المنافقين امنوا بلسانهم وقال عطا يريد الذين امنوا
بزعمهم وقيل يا ايها الذين امنوا بموسي وتناجوا بالبر والتقوي اي الطاعة والعفاف عما
نهي الله تعالي عنه واتقوا الله اقصدوا قصدا يتبعه العمل بان تجعلوا بايسر امر واسهله
بقهر وكره وهو يوم القيامة فيتجلي فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف بينهم

بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية
الذي اليه خاصة تحشرون اي تجمعون

بالعدل ومحاسبتهم علي النقير والقطمير لا تخفي عليه خافية ولا تفي منه واقية انما النجوي اي
المعهودة وهي المنهي عنها من الشيطان اي مبتدية وممتدة من المحترق بطرده عن رحمة الله
تعالي فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لاعدا اعدايه مخالف لاعظم اوليايه ليحزن
اي الشيطان الذين امنوا اي ليوهمهم انها لسبب شي وقع مما يوذيهم والحزن هم غليظ وتوجع
يدق يقال حزنه واحزنه بمعني قال في القاموس واحزنه جعله حزينا وقرا نافع بضم اليا وكسر الزاي
من حزن والقراة الاولي اشد في المعني علي ما في القاموس وليس ان الشيطان او ما حمل عليه
من التناجي بضارهم اي الذين امنوا شيا من الضرر وان قل الا باذن الله اي بمشية
الملك المحيط علما وقدره فان قيل كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم الا باذن الله اجيب بانهم
كانوا يوهمون المومنين في نجواهم وتفاخرهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا لا يضرهم
الشيطان والحزن بذلك الوهم الا باذن الله تعالي او بمشيته وهو ان يقضي الموت علي اقاربهم
والغلبة علي الغزاة وعلي الله اي الملك الذي لا كفو له لا علي احد غيره فليتوكل المومنون
اي الراسخون في الايمان في جميع امورهم فانه القادر وحده علي اصلاحها وافسادها فلا
يحزنوا من احد ان يكيدهم بسره ولا بجهره فانهم توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه وخص
الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة واما اصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم الا خرق
عادة روي بن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا اذا كان ثلاثة فلا يتناجي اثنان
دون الاخر حتي يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو
ان يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل بن عمر وذلك انه لما كان يتحدث مع رجل فجا اخر
يريد ان يناجيه فلم يناجه حتي دعا رابعا فقال لها وللاول تاخرا وناجا الرجل
الطالب للمناجاة خرجه في الموطا وشبه علي العلة بقوله من اجل ان يحزنه ان يقطع
في نفسه ما يحزن لاجله وعلي هذا استوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجي الاربعة دون
واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعني في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن
واوقع فيكون بالمنع اولي وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتي ذلك فيه
قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور
وسوا كان التناجي في واجب او مندوب او مباح فان الحزن ثابت به وقد ذهب بعض
الناس الي ان ذلك في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجي المنافقون

دون

دون المومنين فلما نشا الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع
التي لا يامن الرجل فيها صباحه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يغيثه بخلاف
السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم الغوث ولما نهي المومنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر
امرهم الان بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله تعالي يايها الذين امنوا اي الذين
اتصفوا بهذا الوصف اذا قيل لكم من اي قايل كان فان الخير يرغب فيه لذاته تفسحوا
اي توسعوا اي كلفوا انفسكم في اتساع المواضع في المجلس اي الجلوس او مكانه لاجل
من ياتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه قال قتاده ومجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي
صلي الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال
اذا اصطفوا للحرب قال الحسن وزيد بن ابي حبيب لان النبي صلي الله عليه وسلم اذا قاتل
المشركين تشاح اصحابه علي الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة
فنزلت فيكون كقوله تعالي مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلي الله عليه وسلم
في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس من
اهل بدر وقد سبقوا الي المجلس فقاموا قبل النبي صلي الله عليه وسلم علي ارجلهم ينتظرون
ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلي الله عليه وسلم ما يحملهم علي القيام وشق ذلك علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد القايمين من اهل
بدر فشق ذلك علي من قام وعرف النبي صلي الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال
المنافقون والله ما عدل علي هولا ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم
واجلس من ابطا فنزلت الاية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت الاية في
ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان
يريد القرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم للوقر اي الصمم الذي كان في اذنيه فوسعوا
له حتي قرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجري بينه وبينهم كلام
فنزلت هذه الاية وقد تقدمت قصته في سورة الحجرات وقرا عاصم بفتح الجميع والف
بعدها جمعا لان لكل جالس مجلسا اي فليفسح كل واحد في مجلسه والباقون بكسر
الجيم ولا الف افرادا قال البغوي لان المراد منه مجلس النبي صلي الله عليه وسلم وقال
القرطبي الصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير وللاجر سوا

الاما يعلم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا اثنتين رجل اتاه الله مالا
فسلط على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها واراد بالحسد
الغبطة وبي ان يتمني مثله ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال من جاه
اجله وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ومنها انه
صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد
المضمر سبعين سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي على ادناكم ومنها انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اوحى الى ابراهيم يشفع يوم القيامة ثلاثة انبيائم العلماء الشهداء فاعظم غنيمة
هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها انه صلى الله
عليه وسلم من مجلسين في مسجد احد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والاخر يتعلمون
الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من
صاحبه اما هولا فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هولا فيتعلمون الفقه
ويعلمونه الجاهلية فهولا افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم والاحاديث في ذلك كثيرة
جدا واما اقوال السلف فلا تحصر فمنها ما قاله بن عباس ان سليمان عليه السلام خير بين
العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء ليت شعري
اي شئ ادرك من فاته العلم واي شئ فات من ادرك العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون
ارباباً وكل عز لم يؤكد بعلم مآله الى ذل ما يصير وما قاله الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا فحول
الرجال وما قاله ابو مسلم الخولاني مثل العلماء في الارض مثل النجوم في السماء اذا بزغت
للناس اهتدوا بها واذا خفيت عليهم تحيروا وما قاله معاذ تعلم العلم فان تعلمه لله
خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه
صدقة وبذله لاهله قربة وما قاله علي العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس
المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وما قاله بن عمر مجلس فقه خير
من عبادة ستين سنة وما قاله الشافعي رضي الله عنه من اراد طلب العلم افضل من
صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرايض افضل من طلب العلم وقال من اراد الدنيا

اكان مجلس حرب او ذكر او مجلس الجمعة وان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال صلى الله
عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذ بذلك فيخرجه
الضيق من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة الجمع **فافسحوا** اي وسعوا
فيه عن سعة صدر **يفسح الله** اي الذي له الامر كله **لكم** في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين وقال
الرازي هذا يطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة
قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيه الاية بالتفسيح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال
السرور في قلبه **واذا قيل** اي من اي قايل كان كما مضى اذا كان يريد الاصلاح والخير **انشزوا**
اي ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذي تؤمرون به او يقتضيه الحال للتوسعة او غيرها
من الاوامر كالصلاة والجهاد **فانشزوا** اي فارتفعوا وانهضوا **يرفع الله** اي الذي لجميع
صفات الكمال **الذين امنوا** وان كانوا غيرا علما **منكم** ايها المامورون بالتفسح السامعون
للاوامر المتبادرون اليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم وتوسعهم
لاخوانهم **والذين اوتوا العلم درجات** يجوز ان يكون معطوفا على الذين امنوا فهو من عطف
الخاص على العام وان الذين اوتوا العلم بعض المومنين منهم ويجوز ان يكون والذين اوتوا
العلم من عطف الصفات ان تكون الصفات لذات واحدة كانه قيل يرفع الله المومنين
العلماء ودرجات مفعول ثان وقال بن عباس ثم الكلام عند قوله تعالى منكم وينصب الذين
اوتوا بفعل مضمر اي ويخص الذين اوتوا العلم درجات اي ويرفع درجات قال المفسرون
في هذه الاية ان الله رفع المومن العالم على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم قال ابن
مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم
على الذين امنوا ولم يوتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا بما امروا به وقال تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدني علما وقال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والايات في ذلك كثيرة معلومة واما الاحاديث
فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروي ان عمر رضي الله
عنه كان يقدم عبد الله بن عباس عن الصحابة رضي الله تعالى عنه فكلموه في
ذلك فدعاهم ودعاه فسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فكتبوا فقال ابن
عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها

الا ما يعلم

فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه في كل منها وقد ذكرت في اول شرح
المنهاج من الاحاديث ومن اقوال السلف ما يسر الناظر الراغب في الخير وفيما ذكرته هنا كفاية
لاولي الابصار والله اي والحال ان المحيط بكل شي علما وقدرة بما تعملون اي حال الاقر وغيره
خبير اي عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم مزينا بالعمل فامتثال الاوامر واجتناب
النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة علي حسبه وان كان علي غير ذلك فكذلك واختلف في
سبب نزول قوله تعالي يايها الذين امنوا اي ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اغنيا كانوا او
فقرا اذا ناجيتم الرسول اي اردتم مناجاة الذي لا اكمل منه في الرسالة الاية فقال بن عباس
ان المسلمين كانوا يكثرون المسايل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين شقوا عليه فانزل
الله تعالي هذه الاية فكف كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلفون بالنبي
صلي الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوي فشق عليهم
ذلك فامرهم الله تعالي فالصدقة عند النجوي ليقطعهم عن استخلايه وقال زيد بن اسلم
ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلي الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع
كما قيل له ولو كان لا يمنع احدا من مناجاته فكان ذلك يشق علي المسلمين لان الشيطان كان يلقي
في انفسهم انهم يناجون ان جموعا اجتمعت لقتال فنزلت يايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
اي اردتم مناجاته فقدموا اي بسبب هذه الارادة وقوله تعالي بين يدي نجواكم اي
استعارة من له يدان والمعني قبل نجواكم التي هي سركم الذي يريدون ان ترتفعوا صدقة
لقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل ايام حاجة فيستمطر به الكريم
ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته والصدقة تكون لكم برهانا علي خلاصكم كما ورد ان
الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوا الايمان بالله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم
وبكل ما جا به عن الله تعالي تنبيه ظاهر الاية يدل علي ان تقديم الصدقة كان واجبا لان
الامر للوجوب ويوكد ذلك قوله تعالي بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان
كان مندوبا لقوله تعالي ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب
وحب المال وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب وان لو كان واجبا لما ازيد وجوبه و
الكلام متصل به وهو قوله تعالي فان لم تجدوا الاية واجيب عن الاول بان المندوب كما
يوصف بانه خير واطهر فكذلك ايضا يوصف بانه الواجب وعن الثاني بانه يلزم من

اتصال

اتصال الايتين في التلاوة كونهما متصلين في النزول كما قيل في الاية الدالة علي وجوب الاعتداد
اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن
انه قال لما نزلت دعاني رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا
يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا اما
الفقير فلعسرته واما الغني فلسحته واختلف في مقدار تاخر الناسخ من المنسوخ في هذه
الاية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن
حبان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ لما روي عن علي انه قال ان في كتاب الله
الاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم وفي رواية فاشتريت به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلي الله عليه
وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وعن بن عباس انهم نهوا
عن المناجاة حتي يتصدقوا فلم يناج احد الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره ولا
يقدح فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عنه المناجاة شيا اذ لا يكون احتاج الي المناجاة ثم
نزلت الرخصة وعن بن عمر كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر
النعم تزويجه فاطمة واعطاه الراية يوم خيبر واية النجوي واختلف في الناسخ لذلك
فقيل هي منسوخة بالزكاة واكثر المفسرين انها منسوخة بالاية التي بعدها وهي اشفقتم
كما سياتي وكان علي ما يقول وخفف عن هذه الاية فان لم تجدوا اي ما تقدمونه فان الله
اي الذي له جميع صفات الكمال غفور رحيم اي له صفات الستر للمساوي والاكرام
باظهار المحاسن علي الدوام فهو يعفوا ويرحم تارة يقدم العقاب للعاصي وتارة بالتو سعة
للضيق بان ينسخ ما يشق لي الي ما يخف وقوله تعالي ااشفقتم اي خفتم العلية لما يعدكم
به الشيطان من الفقر خوفا كاد ان يفطر قلوبكم ان تقدموا اي باعطا الفقر وهم اخوانكم
بين يدي نجواكم اي للنبي صلي الله عليه وسلم صدقات وجمع لانه اكثر توبيخا من حيث
انه يدل علي النجوي تتكرر استفهام معناه التقدير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرا
نافع وبن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل بينهما الفا
قالون وابو عمرو وهشام والباقون بتحقيقها ولا ادخال والاولي مخففة فاذا اي
فحين لم تفعلوا اي ما امرتم به من الصدقة بسبب هذه الاشفاق وتاب الله اي الملك

الاعلي عليكم اي رجع بكم عنها بان نسخها عنكم تخفيفا عليكم فاقيموا اي بسبب العفو عنكم
شكرا اي علي هذا الكرم والحلم الصلاة التي هي من طهرة لارواحكم وصلة بكم بربكم وانواعه
الزكوة التي هي براءة لابدانكم وتطهير الاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا في شيء من ذلك
فتحملوم فالصلاة تؤدي بهدي الي المقاصد الدينوية والاخروية ويعون علي نوايب الدارين
والصدقة برهان علي صحة القصد في الصلاة ثم عمم بعدان خصص اشرف العبادات
البدنية واعلا المناسك المالية بقوله تعالي واطيعوا الله اي الذي له الكمال كله ورسوله
اي الذي عظمته من عظمته في سايرما يامر انكم به فانه تعالي بما امركم لاجل اكرام رسولكم
صلي الله عليه وسلم الا بالحقيقية السمحة والله اي الذي احاط بكل قدرته وعلما خبير بما
تعملون اي يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لاتخفي عليه خافية الم تر اي تنظر يا اشرف
الخلق الي الذين تولوا اي تكلفوا بغاية جهدكم وهم المنافقون اي جعلوا اولياهم الذين
يتولون لهم امورهم قوما وهم اليهود ابتغوا عندهم القوة اعتزازا بما يظهر لهم من القوة
غضب الله اي الملك الاعلي الذي لاند له عليهم اي المتولي والمتولي لهم ماهم اي المنافقون
منكم اي المومنين ولا منهم اي اليهود وبل هم مذبذبون وزاد في الشناعة عليهم بما قبح
الاشيا بقوله تعالي ويحلفون اي المنافقون يتجددون الحلف علي الاستمرار ودل باداة
الاستعلا علي انهم في غاية الجراة علي استمرارهم علي الايمان الكاذبة بان التقدير يحلفون
علي الكذب في دعوي الاسلام وغير ذلك ليقفوا فيه من عظايم الاثام فاذا عوتبوا عليه
بادروا الي الايمان وهم يعلمون انهم كاذبون متعمدون روي ان عبد الله بن نبتل كان
يجالس رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الي اليهود فبلغ رسول الله صلي الله
عليه وسلم في حجة اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق العينين اسمر قصيرا خفيفا للحية فقال له النبي صلي الله عليه
وسلم علي تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبي صلي الله عليه وسلم فعلت فانطلق
فجا باصحابه فحلف بالله ما سبوه فنزلت اعد الله اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفوء
له لهم عذابا اي امرا قاطعا لكل عدو به شديدا اي لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بما
دل علي انه واقع في ايم مواقعة بقوله تعالي موكدا تقبيحا علي من كان يستحسن فعالهم
انهم ساء اي بلغ الغاية بما يسود دل علي ان ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالي ما كانوا يعملون

اي

اي يتجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه قال الزمخشري او هي حكاية ما يقال
لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم اي الكاذبة التي لا تزول علي من في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان جنة وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق كما ينا ما كان فصدوا اي كان
قبول ذلك منهم وتاخير عقابهم بسبب الايمان عن سبيل الله اي شرع الملك الاعلي الذي
هو طريق الي رضوانه الذي هو سبب الفوز الاعظم فانهم كانوا يتبطون من لقوا عن الدخول
في الاسلام او يوهنون امره ويجبرونه ومن وراء قد خلصوا من المكارة بايمانهم الخايبة
ودرت عليهم الارزاق استدراجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من
اقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سننهم في اقوالهم وافعالهم ونسبح علي منوالهم وردا
بظاهرهم معرضا عما توعدهم الله تعالي عليه من جزاخرلهم وامرهم واجري الامر علي
اسلوب الهتكم بالام التي تكون في المحبوب فقال تعالي فلهم اي فتسبب عن صدهم انه
كان لهم عذاب مهين جزا بما طلبوا بذلك الصد عزازا نفسهم واهانة اهل الاسلام لن
تغني اي بوجه من الوجوه عنهم اموالهم اي في الدنيا ولا في الاخرة بالاقتدا ولا بغيرهم ولا اولادهم
اي بالنصرة والمدافعة من الله اي اغنا مبتدا من الملك الاعلا شيا ولو قل جدا فمنها اراد
بهم سبحانه وتعالي كان ونفذ ومضي لا يدفعه شي تكذيبا لمن قال منهم لان كان من يوم
القيامة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الان وتستحبون بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك
اي البعداء من كل خير اصحاب النار هم اي خاصة خالدون اي دايمون لازمون اي غير نهاية
وقوله تعالي يوم منصوب باذكر اي واذكر يوم يبعثهم الله اي الذي له جميع صفات الكمال
جميعا فلا يترك احدا منهم ولا من غيرهم الا اعاده الي ما كان قبل موته فيحلفون اي
فيتسبب عن ظهوره انعذرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون انهم يحلفون له اي
لله في الاخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون اي في القيامة
بايمانها الكاذبة انهم علي شي اي يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم وقيل يحسبون في
الدنيا انهم علي شي لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاولي ظهر والمعني انهم لشدة تزعمهم
في النفاق ظنوا يوم القيامة انهم يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة علي علام الغيوب
واليه الاشارة بقوله تعالي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابن عباس ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال ينادي مناد يوم القيامة اين خصما الله تعالي فتقوم القدرية مسودة

وجوههم مزرقة اعينهم مايل شدقهم جبل لعابهم فيقولون والله ماعبدنا من دونك
شيا ولا تمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله انا مم الشرك
من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها الا انهم هم الكاذبون اي المحكوم بكذبهم في حسابهم هم والله القدرية
ثلاثا استحوذ اي استولى عليهم الشيطان مع انه طريد ومحترق ووصل منهم الى ما يريده
وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وصار هو محيطا بهم من كل جهة
غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها والحوذ
السوق السريع ومنه الاحوذي الخفيف المشي الحذق واستحوذ مما جاء على الاصل وهو
ثبوت الواو دون قبلها الفا فانساهم اي فتسبب عن استحواذه عليهم ان انساهم ذكر
الله اي الذي له الاسما الحسنى والصفات العلى اولئك اي البعداء البغضاء حزب الشيطان
اي اتباعه وجنوده وطايفته واصحابه الا ان حزب الشيطان اي الطريق المحترق
هم الخاسرون اي الراسخون في هذا الوصف لانهم لم يطرقوا بغير الطرد والاحراق ان الذين
يحادون الله اي يقاتلون مع الملك الاعظم الذي لا كفوله فعل من ينازع اخر في الارض
فيغلب على طايفة فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه ورسوله اي الذي عظمته من عظمته
اولئك اي البعد الغضا في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله تعالى واختلف في معنى
قوله تعالى كتب الله اي الملك الذي لا كفوله فقال اكثر المفسرين اي قضى الله عز وجل لاغلبن
وقال قتادة كتب في اللوح المحفوظ وقال الفراء كتب بمعنى قال وقوله تعالى انا تاكيد
ورسلي اي من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة
بالحرب كان اغلب واقوى وقال مقاتل قال المومنون ليبن فتح الله لنا مكة والطايف و
خيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن سلول
اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد
بطشا من ان تظنوا فيهم فنزل لاغلبن انا ورسلي ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرا نافع وابن عامر
بفتح الياء والباقون بالكسر ان الله اي الذي له الامر كله قوي اي على نظام ليايه عزيز
اي لا يغلب عليه في مراده ثم نهى فقال عن موالاة اعداء الله بقوله سبحانه لا تجد اي بعد هذا

البيان

البيان قوما اي نا سالم قوى على ما يريدون يومنون اي يجددون الايمان ويديمونه
بالله اي الذي له صفات الكمال واليوم الاخر الذي هو موضع الجزا لكل عامل بكل ما
عمل الذي هو محيط الحكمة يوادون اي يحصل منهم ود لاظاهر ولا باطنا من حاد
الله اي عادى بالمناسبة في حدود الملك الاعلى ورسوله فان من حاده فقد
حاد الذي ارسله بل لاجدهم الا يحادونهم لانهم يوادونهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله تعالى
ولو كانوا اباهم اي الذين اوجب الله تعالى على الابنا طاعتهم في المعروف وذلك كما
فعل ابو عبيدة بن الجراح حيث قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وابناهم اي
الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل ابو بكر فانه دعا ابنه يوما الى المبارزة وقال
دعني يا رسول الله اكفك الرغلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا
بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم اي الذين هم اعضادهم
كما فعل مصعب بن عمير يوم احد وحرق سعد بن ابي وقاص غيرة فراع عنه رؤوفان
الثعلب فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال ازيدان تقتل نفسك وقتل محمد
ابن سلمة الانصاري اخاه من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودي راس بني النضير
او عشيرتهم اي الذين هم انصارهم وانادهم كما قتل محمد خاله العاصي وهشام بن المغيرة
يوم بدر وعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة بن ربيعة
والوليد ابن عتبة وعن الثوري ان السلف كانوا يرون ان الاية نزلت فيمن يصحب
السلطان انتهى ومدار ذلك على ان الانسان يقطع رجاه من غير الله تعالى وان لم يكن
لذلك لم يكن مخلصا في اعيانه تنبيه قدم الاباء اولا لانهم تجب طاعتهم على ابنائهم
ثم ثنى بالابنا لانهم اعلق بالقلوب وهم حياتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون
بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا
بغير سلاح وان من عم المرء علم جناحه وهل ينهض الباري بغير جناح ثم ربع بالعشيرة
لان بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى ان الميل الى هولا اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب
ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي عبيدة
ابن الجراح لما قتل اباه وعمر بن الخطاب لما قتل اخاه العاصي بن هشام يوم بدر وروي
انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقطت

منها اسنانه ثم اتي النبي صلي الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال او فعلت قال نعم قال لا تعد
اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته فهولا لم يوا اقاربهم
قال القرطبي استدل مالك بهذه الاية علي معادات القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي
وفي معني اهل القدر جميع اهل الظلم وعن عبد العزيز بن ابي الدردا انه لقي المنصور في
الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الاية وقال صلي الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر
عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
الاية اوليك اي العالوا الهمة كتب اي اثبت قال الربيع بن انس وقيل خلق وقيل جعل
كقوله واكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالي فساكتبها للذين يتقون وقيل كتب
في قلوبهم الايمان بما وقفهم فيه وشرح له صدرهم اي علي قلوبهم كقوله تعالي في جذوع
النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل علي خروج العمل
من مفهوم الايمان فان جزا الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه
وايدهم اي وقواهم وشددهم وشرفهم بروح اي نور شريف جدا يفهمون فيه ما اودع
في كتابه وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم من نور العلم والعمل منه اي من الله تعالي احياهم
به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الاوقات فاثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا
فعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا كالسرج فلا تجد شيا ادخل في الاخلاص من موالاة
اوليا الله تعالي ومعاداة اعدايه بل هو عين الاخلاص ومن جنح الي منحرف عن دينه
او داهن مبتدعا في عقيدته نزع الله تعالي نور التوحيد من قلبه قال الزمخشري ويجوز
ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان علي انه في نفسه روح لحياة القلوب به
وقال بن عباس نصرهم علي عدوهم وسمي تلك النصرة روحا لانه به يحيي امرهم وقال الربيع
بن انس بالقران وحججه وقال بن جريج بنور وبرهان وهدا وقيل برحمة وقيل ايدهم
بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات اي بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها واخبر
عن ريها بقوله تعالي تجري من تحتها اي قصورها الانهار فهي بذلك كثيرة الرياض والاشجار
وقال تعالي خالدين فيها لان ذلك لا يلذ الا بالدوام وقال تعالي رضي الله اي الملك الاعظم
عنهم لان ذلك لا يتم الا برضي مالكها الذي له الملك كله ورضوا عنه لانه اعطاهم فوق ما
يامكون اوليك اي الذين هم في الدرجات العلي من العظمة لكونهم قصروا ودهم علي الله تعالي

علما

علما منهم بانه ليس الضر والنفع الا بيده حزب الله اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال
الا ان حزب الله اي جند الملك الاعلي وهم هولا الموصوفون ومن والاهم هم المفلحون اي الذين
الظفر بكلها يوملون في الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والافلاح عدم
الانفكاك عن السعادة فاغني ذلك عن تقييد الخلود بالتابيد فايدة هذه السورة نصف
القران عددا وليس فيها اية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة او مرتين او ثلاثا وما رواه
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلي الله عليه وسلم ان من قرا سورة المجادلة كتب من
حزب الله تعالي يوم القيامة حديث موضوع سورة المجادلة مدنية في قول الجميع
وهي اربع وعشرون اية واربعمايه وخمس واربعون كلمة والف وتسعماية وثلاث عشر حرفا
بسم الله الملك الاعظم الذي لا خلف لميعاده الرحمن الذي عمت نعمه ايجاده الرحيم الذي خص
اهل وده بالتوفيق فهم اهل السعادة ولما ختمت المجادلة بانه يعز اهل طاعته ويذل اهل
معصيته تنزه عن النقايص تاييدا للوعد بنصرهم فقال تعالي سبح اي اوقع التنزيه الاعظم
عن كل شايبة نقص لله الذي احاط بجميع صفات الكمال ما في السموات اي كلها وما في
الارض اي كذلك وقيل ان اللام مزيدة اي نزهه واتي بما تغليبا للاكثر وجمع السما لانها
جنس واحد وهو اي والحال انه وحده العزيز الذي يغلب كل شي ولا يمتنع عليه شي الحكيم
اي الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن واحاط بكل شي فاتقن ما اراد فكل ما خلقه جعله
علي وحدانيته دليلا والي بيان ما له من العزة والحكمة سبيلا وقرا قالون وابو عمرو و
الكساي بسكون الها والباقون بضمها قال المفسرون نزلت هذه الاية السورة في بني النضير
وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحة بنوا النضير علي ان لا يكونوا عليه دلالة
فلما غزا بدرا وظهر علي المشركين قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا
وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلي الله عليه وسلم والمومنين ونقضوا
العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف اربعين
راكبا من اليهود الي مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم علي ان تكون كلمتهم واحدة
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم
علي بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الي المدينة فنزل جبريل عليه
السلام واخبر النبي صلي الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن سلمه فلما قتل كعب

ابن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية
لهارهرة فلما سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب وقالوا
يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا دعنا نبكي شجونا ثم ايتمر
امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم
تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال وبعث المنافقون عبد الله بن ابن واصحابه اليهم ان لا
تخرجوا من الحصن فان قاتلكم فنحن معكم ولا نخرلكم ولننصرنكم ولبن خرجتم لنخرجن معكم
فتربصوا على الارقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا
اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف
بيننا وبينك يسمعون منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض
قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت
قبله ولكن ارسلوا اليه كيف تفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك وتخرج اليك
في ثلاثة من علمائنا فسمعوا منك فان امنوا بك امنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه واشتملوا على الخناجر واراد وا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اختها وهو زوج مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد وا بنو
النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره بهم فلما كان الغد اغدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتايب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا الرسول صلى الله عليه وسلم الصلح
فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك
فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا
لهم ديارهم وعقارهم وساير اموالهم قال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا
من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك على كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا
من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل بيتين
من الى النحيق والرحيبي من احطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة فذلك قوله
تعالى هو اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب الذي اخرج اي على وجه القهر الذين

كفروا

كفروا اي ستروا ما في كتبهم من الشهواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في فطرتهم
الاولى من اتباع الحق من اهل الكتاب اي الذي انزله الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم
وهم بنو النضير وفي التفسير يكفروا اشعارا بانهم الذين ازلوا بالتبديل والاخفاء ما قدروا
عليه مما بقي من التوراة من ديارهم اي مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عديل الروح
لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحاق كان اجلاء
بني النضير فرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب
وبينهما سنتان لاول الحشر هو حشرهم الى الشام ولاخره ان جلاهم عمر في خلافته الى خيبر
وقال عمرة الحمد لله الذي كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر خورة العرب الى
اذرعات واريحا من الشام في ايام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة اضرب
حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر كانوا من بسط لم يصبهم جلاء وكان
الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر والى الدنيا
الى الشام قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر الى الشام فليقرا هذه الاية وان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة
هذا اول الحشر قال ابن عباس هو اول حشر من اهل الكتاب واخرج من داره واما الحشر
الثاني فحشرهم يوم القيامة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب فتبيت
معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح
وذكروا تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربي للحشر اول ووسط واخر
فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو
قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي
ما ظننتم ايها المومنون ان يخرجوا ان يوقعوا الخروج من شي اورثتموه منهم لما كان
لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة باسهم وقرب بني قريظة منهم واهل خيبر ايضا
غير بعيدين عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنافقون من انصارهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك
وظنوا انهم وقوله تعالى مانعتهم حصونهم فيه وجهان احدهما ان تكون حصونهم مبتدا
ومانعتهم خبرانهم وحصونهم فاعل به كقولك زيد قايم ابوه وان عمر قايمة امه جاريته وجعله

ابو حيان اولي لان في نحو قايم زيد علي ان يكون خبرا مقدما ومبتدا موخرا خلافا واكلوتبون
يمنعونه فمحل الوفاق اولي وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم
تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جا عليه قلت بتقديم الخبر علي المبتدا دليل علي فرحا وشوقهم ومنعها
اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل علي اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
لا يبالي معها باحد يتعرض اليهم وليس ذلك قولك حصونهم تمنعهم انتهي وهذا الذي ذكره انما يتاتي
علي الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح ودل علي ضعف عقولهم بان عبر عن جنده باسمه الاعظم
بقوله تعالي من الله اي الملك الاعظم الذي لا عز الا له فاتاهم الله اي جاهم الملك الاعظم الذي
لا يحتملون مجيئه من حيث لم يحتسبوا بما صور لهم من حقارة انفسهم علي حبسها وهي خذلان
المنافقين رعبا كرعبهم وقرا حمزة والكساي بالامالة محضا وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بفتحها وقذف اي انزل انزالا كانه قذف بحجارة فثبت في قلوبهم الرعب اي
الخوف الذي سكنها بعد ان كان الشيطان زينا لهم غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة
وقرا في قلوبهم الرعب وعليهم الجلا ولاخوانهم الذين حمزة والكساي في الوصل بضم الها والميم
وابو عمرو بكسرها والباقون بكسر الها وضم الميم وحرك العين بالضم بن عامر والكساي
والباقون بالسكون ثم بين تعالي حالهم عند ذلك وفسر قذف الرعب بقوله تعالي يخربون
بيوتهم اي لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيرها وقرا ابو عمرو بفتح الخا وتشديد الرا
والباقون بسكون الخا وتخفيف الرا وهو بمعني لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم
بالهمزة وعن ابي عمرو انه فرق بمعني اخر فقد خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب بالهمز
ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفرا قال المبرور لا اعلم لهذا وجها وزعم سيبويه
انهما متعاقبان في بعض الكلا فيجري كل واحد مجري الاخر نحو مزجته وامزجته وقرا ورش
وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم البا الموحدة والباقون بكسرها بايديهم وايدي المومنين
قال الزهري وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم لما صالحهم علي ان لهم ما اقلت الابل كانوا
ينظرون الخشبة في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه علي ابلهم
ويخرب المومنون باقيها وقال قتاده والضحاك كان المومنون يخربون من خارج ليدخلوا
اليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم ان
لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون ساير الجوانب فان قيل ما معني تخريبها

لهم

لهم بايدي المومنين اجيب بانهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم
اياه وقال ابو عمرو وايف العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي المومنين في اجلايهم عنها ولما
كان في غاية الغرابة ان يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه سبب عن ذلك قوله
تعالي فاعتبروا اي احملوا انفسكم بالامعان في التامل في عظيم قدرته الله تعالي والاعتبار
ماخوذ من العبور والمجاوزة من شي الي شي ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين
الي الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من التخيل الي المقول وسميت الالفاظ عبارات
لانها تنقل المعاني عن لسان القايل الي عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه
ينتقل عقله من حال ذلك الغير الي حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره به غيره ولهذا قال القشيري
الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهان دلالاتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها
ثم بين ان الاعتبار لا يحصل الا للكمل بقوله تعالي يا اولي الابصار بالنظر بابصارهم
وبصايرهم في غريب هذا الصنع ليتحققوا به ما وعدكم علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم
من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا تعتمدوا علي غير الله تعالي كما اعتمدها ولا علي المنافقين
فان من اعتمد علي مخلوق اسلمه ذلك الي صغاره ومذلته ولولا ان كتب الله اي فرض فرضا حتما
الملك الذي له الامر كله عليهم الجلا اي الخروج من ديارهم والجولان في الارض فاما معظمهم
فاجلاهم بخت نصر من بلاد الشام الي العراق واما هولا فحماهم الله تعالي بمهاجرة رسول الله
صلي الله عليه وسلم من ذلك الجلا وجعله علي يده صلي الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب
بعضهم الي خيبر وبعضهم الي الشام مرة بعد مرة تنبيه قال الماوردي الجلا اخص من
الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال غيره الفرق بينهما
ان الجلا ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك لعذبهم اي بالقتل
والسبي في الدنيا كما فعل بقريظة من اليهود ولهم اي علي كل حال اجلوا او تركوا في الاخرة
التي هي دار البقا عذاب النار وهو العذاب الاكبر ذلك اي الامر العظيم الذي فعله بهم
من الجلا ومقدماته في الدنيا وبفعله بهم في الاخرة بانهم شاقوا الله اي الملك
الاعلي الذي له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق الاعدا المحاربين
بعد ما كانوا الموادعين وشاقوا رسوله اي الذي اجلاه من اجلاله ومن يشاق الله
اي يوقع في الباطن مشاقة الملك الاعلي الذي كفوا له في الماضي والحال والاستقبال

فان الله اي المحيط بجميع العظما شديد العقاب وذلك كما فعل ببني قريظه بعد هذا حيث نقضوا
عهدهم واظهروا المشاقة في غزوة الاحزاب وكما فعل باهل خيبر وقوله تعالى ما شرطية في موضع نصب
بقوله تعالى قطعتم وقوله تعالى من لينة بيان له واختلف في معنى قوله تعالى من لينة فاكثر
المفسرين على انها هي النخلة مطلقا كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة كان قتودي
فوقها عش طاير على لينة سوقا تهفو اجنوبها وقال الزهري هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا
برنية وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق واللجو كانتا مع نوح عليه السلام
في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها
حكاه الماوردي وقال سفيان هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرا
نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة الكريمة
اي القريبة من الارض وقيل هي الفتيلة اي بالفا وهي صغار النخل انها اللين من النخلة
وقيل هي الاشجار كلها للينها بالحياة وقال الاصمعي هي الدقل قال بن العربي والصحيح ما قاله
الازهري ومالك وجميع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان
وهو شاذ لان يكسر ما يفرق بتا التانيث شاذ كرطبة ورطب وارطاب والضمير في قوله تعالى
او تركتموها عايد على معنى ما ولما كانت الترك يصدق ببقايها مغروسة او مقطوعة
قال تعالى قايمة على اصولها فباذن الله اي فقطعها بتمكين الملك الاعظم روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع
اعدا الله تعالى عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر
وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في
انفسهم من قولهم وظنوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا
فانه مما انا الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله تعالى هذه الاية بتصديق
من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى وعن
ابن عمر قال احرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع اللام في قوله
تعالى وليخزي الفاسقين متعلقة بمحذوف اي واذن في قطعها ليخزي اليهود
في اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد وليس المومنين ويغيرهم وليخزي فان قيل لم
خصت اللينة بالقطع اجيب بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة

والبرنية

والبرنية وان كانت من اكرم النخل غيظ اليهود اشد واحتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة
وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتفريقها وان ترمى بالمناجيق وكذا اشجارهم وعن بن مسعود
انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر
اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضور النبي صلى الله
عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري
قال وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت فتلقوه الحكم من تقريره فقط قال بن العربي وهذا باطل
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما يدل
على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا لعموم الادلة للكفار ودخولا
للاذن في الكل بما يقتضي عليهم بالبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين وما افا الله
اي رد الملك الذي له الامر كله ردا سهلا بعد ان كان في غاية العسر والصعوبة على
رسوله فصيره في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع ايدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل
عليه التعبير بما يفي الذي هو عود الظل الى الناحية التي كان ابتدا منها منهم اي ردا مبتدا من
الفاسقين فبين تعالى ان هذا فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء اموال من مات منهم بلا وارث
وكذلك الفاضل عن وارث له غير جايز وكذا الجزية وعشر تجاراتهم وما جلوا اي تفرقوا عنه
ولو لغير خوف كضر اصابهم واما القسمة فهي ما حصل لنا من الحربيين مما هو لهم بايجاف حتى
ما حصل بسرقة او التقاط وكذا ما انهزموا عنه عند التقا الصفين ولو قبل شهر السلاح و
اهداه الكافر لنا والحرب قايمة ولم تحل القيام لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبيا اذا اغنموا
ما لا جمعوه فتاتي نار من السما تاخذه ثم احلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر
الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم مضرة وشجاعة بل اعظم ثم نسخ ذلك واستقر الامر
على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي الاية واما الفيء مذكور
هنا بقوله تعالى فما اوجفتم اي اسرعتم يا مسلمين عليه ومن في قوله تعالى من خيل مزيدة
اي خيلا واكدا باعتبار التاني دفعا لظن من ظن انه غنيمة لاحاطتهم به بقوله تعالى ولا
ركاب والركاب الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات واحدها راكبة ولا واحد لها

من لفظها وقال الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس
فارسا والمعنى لم تعطفوا اليها ولا تقتيم بها خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا يخطو
بليف فاقتنحها صلحا قال الرازي ان الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان
يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي
تعبتم انفسكم في تحصيلها واما الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر مفوضا فيه الى
النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء ولكن الله اي الذي له العز كله فلا كقوله يسلط
رسله اي له هذه السنة في كل زمن على من يشاء بجعل ما اقاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب
اعدائه والله اي الملك الذي له الكمال كله على كل شيء يصح ان تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من
التسليط وغيره قدير اي بالغ القدرة الى اقصى الغايات فلا حق لكم فيه وتختص به النبي
صلى الله عليه وسلم ومن ذكره في الاية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه
من ان لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه كيف شاء ثم بين تعالى مصرف
الفيء بقوله تعالى ما افاء الله اي الذي اختص بالعزة والقدرة والحكمة على رسوله من
اهل القرى اي قرية بني النضير وغيرها من وادي القرى والصفراء وينبع وما هنالك من
قرى العرب التي تسمى قرى عربية فيخمس ذلك خمسة اخماس وان لم يكن في الاية تخميس
فانه مذكور في اية الغنيمة فحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له اربعة
اخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فلله تعالى اي الملك الاعلى
الذي كل بيده ذلك للتبرك فان كل امر لا يبدا فيه به فهو اجزم وللرسول اي الذي عظمته
من عظمته تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم واما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف
ما كان له من خمس الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلما بعلوم تتعلق بمصالح
المسلمين كتفسير وقراة والمراد بالقضاة غير قضاة العسكر اما قضاته وهم الذين يحكمون
لاهل الفيء في مقراهم فيرزقون من الاخماس الاربعة لا من خمس الخمس بقدم وجوبا الاهم فالاهم
واما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولذي القربى اي منه وهو
مومنو بني هاشم وبني المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم في القسم عليهم مع سوال

يرحم

غيرهم من بني عميهم نوفل وعبد شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه فيعطون ولو اغنيا لانه صلى الله عليه وسلم اعطى العباس وكان
غنيا ويفضل الذكر على الانثى كالارث سوا الكبير والصغير والفقير بالانتساب الى الاب فلا
يعطى اولاد البنات من بني هاشم والمطلب شيا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان
مع ان ام كل منهما كانت هاشمية وقرا حمزة والكسائي والامالة محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين وابو عمرو بين والباقون بالفتح خالفهم ابو عمرو في اليتامى ثانيها المذكور في قوله
تعالى واليتامى اي الفقراء مالا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لزوال مال او نحوه اخذ من الكفار
فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه ابو داود وحسنه
النووي وان ضعفه غير لاب له وان كان له ام وحد اليتيم في البهائم من فقد امه
وفي الطير من فقد اباه وامه ومن فقد امه فقط من الادميين يقال منقطع ثالثها المذكور
في قوله تعالى والمساكين الصادقين بالفقر وهم اهل الحاجة وتقدم تعريفهم في سورة
الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور في قوله تعالى وابن السبيل اي الطريق الفقير منا
ذكورا كانوا او اناثا ولو اجتمع في واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة اعطي باليتم
فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويقدم
الامام ونوابه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوبا لعموم الاية فلا يخص الحاضر
موضع حصول الفيء ولا من في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد
مسدا بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه
للباقين منهم واما الاخماس الاربعة فهي لمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام
لهم بعمل الاولى به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من الفيء بل من الزكاة على المرزوقة و
يترك المرتزقة قضاتهم كما مر وائمتهم ومؤذنوهم وهمالهم ويجب على الامام ان يعطي كلا من
المرتزقة بقدر حاجة ممونة من نفسه وغيرها كزوجاته يستغرغ للجهاد ويراعي في الحاجة
الزمان والمكان والرخص والغلا وعادة الشخص مروة وضدها ويزاد ان زادت حاجة
بزيادة ولد او حدوث زوجة فاكثر ومن لا عبد له يعطي من العبيد ما يحتاجه للقتال
معه او لخدمته ان كان ممن يخدم ويعطى مونته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطى
من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مونته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن

في اربع ثم ما يدفعه المه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفي وقيل يملكه هو ويصير
اليهما من جهته فان مات اعطي الامام اصوله وزوجاته وبناته الي ان يستغنوا وليس
ان يضع الامام ديوانا وهو الدفتر الذي يثبت فيه اسما المرتزقة واول من وضعه عمر رضي الله
تعالي عنه وان ينصب لكل جمع عريفا وان يقدم في اسم واعطا قريشا لشرفهم بالنبي صلي الله
عليه وسلم ولحيز قدموا قريشا وان يقدم منهم بني هاشم وبني المطلب فبني عبد شمس فبني
عبد العزي فساير بطون العرب الاقرب فالاقرب الي النبي صلي الله عليه وسلم فسائر العرب
فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض فكصحيح وان لم يرج يروه ويمح اسم
كل من لم يرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مونتهم وللام صرف بعضه في نفور وصلاح
وخيل ونحوها وله وقف عقار في او بيعه وقسم عليه او ثمنه كقسم المنقول اربعة اخماسه
للمرتزقة وخمسة للمصالح وله ايضا قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل
الي قسمته ولما حكم سبحانه هذا الحكم في الفي المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص
الاغنيا به بين علته المظهرة لعظمته بقوله تعالي **كي لا يكون** اي الفي الذي يسره الله
تعالي بقوله من قذف الرعب في قلوب اعدايه ومن حقه ان يعطاه الفقرا **دولة** اي متداولا
بين الاغنيا منكم اي يتداوله الاغنيا ويدور بينهم كما كان في الجاهلية فانهم كانوا يقولون
من عزيز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه و
استاثر به وقرا هشام بخلاف عنه تكون بالتانيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير و
النصب فاما الرفع فعلي ان كان تامة واما التانيث والتذكير فواضحان لانه تانيث مجازي
واما النصب فعلي انها الناقصة واسمها ضمير عايد علي الفي والتذكير واجب لتذكير المرفوع
ودولة خبرها وقيل دولة عايد علي ما اعتبروا بلفظها وكي لا هنا مقطوعة في الرسم **وما
اتاكم الرسول** اي وكل شي احضره لكم الكامل في الرسالة من الغنيمة او مال الفي او غيره **فخذوه**
اي فاقبلوه لانه حلال لكم وتمسكوا به فانه واجب الطاعة **وما نهاكم عنه** اي من جميع الاشيا
فانتهوا لانه لا ينطق عن الهوي ولا يقول ولا يفعل الا ما امره به ربه عز وجل تنبيه
هذه الاية تدل علي ان كل ما امر به النبي صلي الله عليه وسلم امر من الله تعالي لان الاية وان
كانت في الغنايم فجميع اوامره صلي الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد
لقي بن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرا علي بهذا اية

من كتاب

123

من كتاب الله تعالي قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله ابن
محمد بن هارون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عم شيتم اخبركم من كتاب
الله تعالي وسنة نبيكم صلي الله عليه وسلم قال فقلت لهم ما تقول في المحرم يقتل الزنبور
قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة ابن
اليماني قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر
حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب
عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن افتي بقتل الزنبور
في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلي الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان
الله تعالي امر بقبول ما يقوله صلي الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسيل
عكرمة عن امهات الاولاد هل هن احرار فقال في سورة النسا في قوله تعالي اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن بن مسعود
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالي فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها
ام يعقوب فجات فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا العن من لعن
رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالي فقالت لقد قرات ما بين اللوحين
فما وجدت فيه ما تقول فقال لين كنت قراتيه فقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلي قال فانه قد نهي عنه الحديث فايدة الوشم
هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشي بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان
يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف
تفريج ما بين ثناياها بصاغة وقيل تتفلج في مشيها في كل شي نهي عنه وقرا حمزة والكساي
بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا
خلاف لانها معني الاعطا **واتقوا الله** اي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقاية من عذاب الله تعالي الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالي **ان الله**
اي الذي له الجلال والاكرام علي الاطلاق **شديد العقاب** اي العذاب الواقع بعد الذنب

قال البقاعي ومن زعم ان شيا مما في هذه السورة نسخ بشي مما في صورة الانفال فقد اخطا لان
الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى للفقرا اي الذي كان الانسان منهم يعصب
الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتا لتقييد البرد ماله دثار غيرها بدل من لذي القربى
وما عطف عليه قال الزمخشري والذي منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان
كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الفقر في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله ولانه تعالى يرتفع برسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تسميته بالفقر وقال غيره انه خبر لمبتدا محذوف اي ولكن الفي للفقرا واقتصر على هذا التقدير
الجلال المحلي وانما جعله الزمخشري بدلا عن من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون
الفقرا في اعطا ذوي القربى من الفي ولذا قال البيضاوي ومن اعطا اعتيا ذوي القربى اي
كالشافعي خصص الابدال بما بعده او الفي يفي بين النضير انتهى او انهم كانوا عند نزول الاية
كذلك ثم خصص بالوصف بقوله تعالى المهاجرين وقيد ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم لان الهجرة قد تطلق على من هجر اهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى
واموالهم اشارة الى ان المال لما كان بستره الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدنيا
من النقايص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص
فقال تعالى يبتغون اي اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب
عليه سبحانه وتعالى لاحد شي بقوله تعالى فضلا من الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له
لانه المختص بجميع صفات الكمال فيقيهم بفضله عمن سواه ورضوانا بان يوفقهم لما
يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كراهته
وقرا شعبة بضم الرا والباقون بكسرها وينصرون اي على سبيل التجديد والاستمرار الله
اي دين الملك الاعظم ورسوله الذي عظمته من عظمته بانفسهم واموالهم يضمحل حزب
الشيطان اوليك اي العالوا الرتبة في الاخلاص الفاضلة هم الصادقون اي الفريقون
في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من
الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وواله اولياهما وان
بعدت دارهم وشط مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا في كل حال
معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شا فعل ومهما اراد منهم صاروا اليه

بقوله

بقوله تعالى والذين تبوأ اي جعلوا بغاية جهدهم الدار اي الكاملة في الدور التي جعلها
الله تعالى في الازل للهجرة وهياها للنصرة وجعلها محل اقامتهم وفي قوله تعالى والايمان اوجه
احدها انه ضمن تبوأوا بمعنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوا ثانيها
انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا او والفوا او واحبوا او واخلصوا كقول القايل ٭
علفتها تبنا وماء باردا ٭ وقول الاخر ٭ ومعلدا سيفا ورمحا ٭ ثالثها انه يتجوز في الايمان
فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع
بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها ان يكون الاصل دار الهجرة و
دار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان
ووضع المضاف اليه مقامه خامسها ان يكون سمي المدينة به لانها دار الهجرة ومكان ظهور
الايمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه قيام الى مقام المضاف اليه وهو محل خلاف
وهو ان الهل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة
هي الماوى اي ماواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي الماوى له واما
كونها عوضا عن المضاف اليه فقال بن عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب على
المفعول معه اي مع الايمان قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق
فقال ان المدينة تبوات الايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اي وهم الانصار يحبون اي على سبيل التجديد
والتكرار من هاجر وزادهم محبة فيهم بقوله تعالى اليهم لان القصد الى الانسان يوجب
حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه ولا يجدون في صدورهم اي
التي هي مساكن قلوبهم فضلا عن ان تنطق السنتهم حاجة قال الحسن ضدا وخزازة
وغيظا مما اوتوا اي اتى النبي المهاجرين من اموال بني النضير وغيرهم واطلق لفظ الحاجة
على الحسد والغيظ والخزازة لان هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم
على الملزوم على سبيل الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجايز بعد المهاجرين وفي
اوتوا للمهاجرين وقيل ان الحاجة هنا على بابها الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج
اليه والمعنى ولا يجدون طلب محتاج اليه مما اتى المهاجرين من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى
حاجة تقول خدمته حاجتك واعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري والضمير ان محل ما تقدم

وقال ابو العباس الحاجة اي انه حذف المضاف للعلم به وعلي هذا فالضمير ان الذين يتبوا
الدار والايمان قال القرطبي كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم صلي الله عليه وسلم اموال بني
النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين حتي انزلهم اياهم منازلهم واشركهم في
الاموال ثم قال صلي الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان
المهاجرون علي ما هم عليه من السكني في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيهم وخرجوا من ديارهم
فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا
وبادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم ارحم
الانصار وابناء الانصار واعطي رسول الله صلي الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا
ثلاثة نفر محتاجين اراد جائزة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وما
اخبر تعالي عن تخليهم عن الرذايل اتبعه الاخبار بتحليهم بالفضايل فقال عز من قايل
ويؤثرون علي انفسهم فيدفعون لغيرهم كاينا من كان ما في ايديهم فان الايثار تقديم
الغير علي النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية وذلك ينشأ عن قوة اليقين
وتوكيد المحبة والصبر علي المشقة وذكر النفس دليل في غاية النزاهة عن الرذايل فان النفس
اذا طهرت مكارم التلب اطهر واكرم لذلك بقوله تعالي **ولو كان** اي كونا هو في غاية المكنة
بهم اي خاصة لا بالمؤثر **خصاصة** اي فقر وحاجة الي ما يؤثرون به وروي عن ابي هريرة
ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية
واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وعنه ايضا جاء رجل الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الي بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق
ما عندي الا ما فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام
رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الي رحله فقال لامراته هل عندك
شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعللیهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج واريه
انا نحن الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الي
رحله وذكر المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له المتوكل ولم
يكن عنده الا قوته وذكر الثعلبي قال اهدي رسول الله صلي الله عليه وسلم راس شاة
فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الي هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعث بها واحد الي

اخر

اخر حتي تناولها سبعة ابيات حتي رجعت الي الاول فنزلت الاية وذكر القرطبي عن انس
قال اهدي لرجل من الصحابة راس وكان مجهودا فوجه بها الي جار له فتداولها سبعة انفس
في سبعة ابيات ثم عادت الي الاول فنزلت فان قيل قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع ما
يملكه المرء اجيب بان محل النهي فيمن لا يوثق منه بالصبر علي الفقر وخاف وخاف ان يتعرض
للمسئلة اذا افتقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثني الله عليهم بالايثار علي انفسهم فكانوا
كما قال الله تعالي والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم افضل
من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة اولي من الايثار كما روي ان رجلا
جاء الي النبي صلي الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال
ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيكتفف الناس والايثار بالنفس فوق
الايثار بالمال وان عاد الي النفس ومن الامثال والجود بالنفس اقصي غاية الجود واعلي
من الجود بالنفس الجود علي حماية رسول الله صلي الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة
ترس علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلي الله عليه وسلم يطلع ليري
القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك بحري دون نحرك ووقي بيده
رسول الله صلي الله عليه وسلم نشلت وقال حذيفة الدوري انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن
عم لي فاذا برجل يقول آه آه فاشار الي بن عم ان انطلق اليه فاذا هو شهام بن العاص فقلت
استيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا
هو قد مات فرجعت الي هشام فاذا هو قد مات فرجعت الي ابن عمي فاذا هو قد مات و
قال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني الا شاب من اهل بلخ قدم الينا حاجا
فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقال اذا وجدنا اكلنا واذا افقدنا صبرنا فقال
هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا افقدنا شكرنا واذا وجدنا
اثرنا وسيل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تضييق الجوع وترك طلب المفقود
والايثار عند الفوت وحكي عن ابي حمزة الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون
رجلا بترية من تري الري وبينهم ارقعة ممدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان
واطفاوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا اذا الطعام بحاله لم يرفع كل احد منهم شيا
ايثارا لصاحبه علي نفسه ومن يوق شح نفسه اي يجعل بينه وبين اخلاقه الذميمة

المشار اليها بالنفس وغاية تحول بينها وبينها فلا يكون ما تعالما عنده حريصا ما عند غيره
حسدا قال ابن عمر الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح
فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبي الشح
والبخل سواء وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص
والمراد بالشح في الاية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذي الارحام والضيافة وما اشبه
ذلك وليس بشحيح ولا يبخل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على
نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه روي الاموي عن
ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله
يقول ومن يوق شح نفسه وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدي شيء فقال ابن مسعود
ليس ذلك الذي ذكر الله تعالى انما الشح البخل فوق بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان
يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في
ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح
ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح ان منع الزكاة وادخار الحرام
وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس
من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله
تعالى عنه ولم يمنع شيئا امره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله تعالى شح نفسه وعن انس
النبي صلى الله عليه وسلم قال بري من الشح ما ادي الزكاة واقري الضيف واعطي في النائبة
وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها
وسوائها وقال ابن الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي
لا تزيد علي ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا
الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبي ونزل علي هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان
سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا وقال كري
لاصحابه اي عمي احسن يا بن ادم قالوا الفقر قال الشح اضر من الفقر لان الفقير

اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **فاولئك** العالوا المنزلة **هم المفلحون**
اي الكاملون في الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الاعراض والاملاك
صفة السيادة والاكابر لا من اسرته الاخطار ولما اثنى سبحانه على المهاجرين والانصار عاهم اهله اتبعهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى
والذين جاؤا اي من اي طايفة كانوا **من بعدهم** اي بعد المهاجرين والانصار
وهم من امن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع
النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة **يقولون** على سبيل التجديد والاستمرار
تصديقا لايمانهم **ربنا** اي ايها المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا
اغفر لنا اي ادفع ستر القبايح اثارها واعيانها **ولاخواننا** اي في الدين فانهم
اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم **الذين سبقونا بالايمان** قال ابن ابي ليلى الناس على
ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد
ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد فكن انصاريا
فان لم تجد فاعمل باعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امر الله تعالى وقال
مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن
ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن
جده انه جاء رجل فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في
عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقراء المهاجرين الاية
قال لا قال فانت من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان الاية
قال لا قال فوالله ان لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله
تعالى والذين جاؤا من بعدهم الاية وروي ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد
ابن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر ثم عثمان فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين
الاولين انتم فقالوا لا قال امن الذين تبوؤا الدار والايمان قالوا لا قال فقد
تبرأتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين
جاؤا من بعدهم قوموا فعلى الله بكم وفعل بنيه هذه الاية دليل على وجوب
محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما داموا

علي محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم او اوحد منهم او اعتقد فيهم شرا انه
لا حق له في الفي قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في المسلمين ثم قرا والذين جاوا من بعدهم والاية
عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم الي يوم الدين يروي ان النبي صلي الله عليه
وسلم خرج الي المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم
لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم علي
الحوض فبين صلي الله عليه وسلم ان اخوانه كل من اتي بعدهم كما قال السدي
والكلبي انهم الذين هاجروا من بعدهم من قصد الي النبي صلي الله عليه وسلم الي
المدينة بعد انقطاع الهجرة وانما بداوا في الدعا بانفسهم لقوله صلي الله عليه وسلم
ابدا بنفسك وقال الشعبي ففاضلت اليهود والنصاري علي الرافضة بخصلة
سيلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم امروا
بالاستغفار لهم فسبوهم وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول لا تذهب هذه الامة حتي يلعن اخرها اولها اعاذنا الله تعالي ومحبينا من الاهوا
المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا اي ضغما وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب
الانتقام للذين امنوا اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادني درجاته وقيدوا بالقلب
لان رذايل النفس قل ان تنفك وانها ان كانت مع صحت القلب او شك الا لا توثر
ربنا اي ايها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما
يقولون بقولهم انك روف اي راحم اشد الرحمة لمن كانت لديك وصلة بفعل من افعال
الخير رحيم مكرم غاية الاكرام لمن اردت ولو لم يكن له وصلة فانت جدير بان
بان تجيبنا لانا بين ان تكون لنا وصلة فنكون من اهل الرافة او لا فنكون من اهل
الرحمة فقد افادت هذه الاية ان من كان في قلبه غل علي احد من الصحابة فليس
ممن عفي الله تعالي بهذه الاية وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكساي بقصر الهمزة
والباقون بمدها ولما ذكر حال المومنين اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالي
الم تر اي تعلم علما هو في قوة الجزم كالمشاهدة باعلا الخلق وبين بعدهم

عن

عن جابه العالي ومنصبه الشريف العالي بادات الانتها فقال تعالي الي الذين نافقوا
اي اظهروا غير ما اضمروا وبالغوا في اخفا عقايدهم وهم عبد الله بن ابي واصحابه
قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من الضبت
في منافقاته وقاصعاته وصور ما لهم بقوله تعالي يقولون لاخوانهم الذين كفروا اي
عظوا انوار المعارف التي دلتهم علي الحق من اهل الكتاب وهم اليهود من بني قريظه
والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا محتمل وجوها احدها الاخوة في الاخرة وهي
هنا محتمل وجوها لان اليهود والمنافقين في عموم الكفر بمحمد صلي الله عليه وسلم
وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالات والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم
في عداوة محمد صلي الله عليه وسلم فقالوا لليهود لين اخرجتم اي من مخرج ما من
المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم اي في خذلانكم احدا اي يريد خذلانكم
من الرسول والمومنين واكدوا بقولهم ابدا اي ما دمنا نعيش وبمثل هذا العزم
استحق الكافر الخلود الابدي في العذاب وان قوتلتم اي من اي مقاتل كان نقاتلهم
ولم تخرجوا لننصرنكم اي ليعيننكم ولنقاتلن معكم ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي
عليه سامعه بالصدق من حيث كونه موكدا مع كونه مبتدا من غير سوال فيه بين
حاله سبحانه بقوله تعالي والله اي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شي
قدرة وعلما يشهد انهم لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا وهذا من اعظم دلايل
النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم اخبر تعالي عن حال المنافقين بقوله
تعالي لين اخرجوا اي بنوا النضير من اي مخرج كان لا يخرجون اي المنافقون
معهم اي حمية لهم لاسباب يعلمها الله تعالي ولين قوتلوا اي اليهود من اي مقاتل
كان فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلي الله عليه وسلم لا ينصرونهم اي المنافقون
ولقد صدق الله تعالي وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لا نصروهم
ولا خرجوا معهم فكان ذلك من اعلام النبوة وعلم به من كان شاكا فضلا عن
الموفقين ولين نصروهم اي المنافقون في وقت من الاوقات ليولن اي
المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالي الادبار اي ولو قدر وجود
نصرهم لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد

اي المنافقين

منهما نفرة في وقت من الاوقات ولم يزل المنافقون واليهود في الذل لانتم ايها المومنون اشد
رهبة اي خوفا في صدورهم اي اليهود ومن ينصرهم من الله اي لتاخير عذابه واصل الرهبة
والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد الخوف
واشد من رهبتهم من الله ط ذلك اي الامر الغريب وهو خوفهم من الخالق على ماله من
العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم بانهم قوم اي على مالهم من القوة لايفقهون اي لايتجدد
لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا بها
ان الله هو الذي ينبغي ان يخشى لاغير بل هم كالانعام لانظر لهم الى الغيب اغاهم مع المحسوسات
والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهرا الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة
لايقاتلونكم اي اليهود والمنافقون جميعا اي قتالا تقصدونه بمجاهم وهم مجتمعون
كلهم في وقت من الاوقات وممكان من الاماكن الا في قرى محصنة اى ممتنعة بحفظ الدروب
وهي السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها او من وراجدار اي محيط بهم سوا
كان بقرية ام بغيرها لشدة خوفهم وقد اخرج هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورته كالبير
ومن كان ينزل من اهل خيبر من الحسن بيارز ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا
خاصا ببني النضير في هذه الكرة وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال والف بعدها
واما الالف ابو عمرو والباقون بضم الجيم والدال باسهم اي حربهم بينهم شديد اي
بعضهم قطاعي بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم بينهم من ورا الحيطان
والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم احيى خلق الله تعالى تحسبهم اي اليهود
والمنافقين ما اعلى الخلق ويا ايها الناظر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بكسر
والباقون بفتحها جميعا لما هم فيه من اجتماع الاشباح وقلوبهم شتى اي متفرقة اشد
افتراق وموجب هذا التفات اختلاف الاهوا التي لاجامع لها من نظام العقل كالبهايم
وان اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع البهايم في الهرب من الذيب قال القشيري
اجتماع النفوس مع تفاوت القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل تخاذل و
تقاطع تجاسر العدو وافتراق القلوب واختلافها اصل كل فساد والاشراك في الهمة و
التساوي في القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وقرا شتى والحسني حمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين والباقون بالفتح وهي على وزن

فعلى

الثالثة الاذن من مخلوق منهم
ضعيف لم يتم له وعد ضرهم

ذلك اي الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق الذي يحيل الاجتماع بانهم قوم اى 128
مع شدتهم لايعقلون فلا دين لهم مثل في ترك الايمان كمثل الذين من قبلهم قريبا اي بزمن
قريب وهم كما قال ابن عباس بنو قينقاع من اهل دينهم اليهود اظهروا باسا شديدا عند
ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم باس الله تعالى فقالوا لا
يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا لاعلم لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلنا لعلمت
انا نحن الناس ثم مكروا بامراة من المسلمين فراودوها على كشف وجهها فابت فعمدوا واطرف
ثوبها من تحت خمارها فلما قامت انكشف سوتها فصارت فغار لها رجل من الصحابة فقتل
اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم
فاذلهم الله تعالى ونزلوا من حصنهم على حلقه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفوا ان ابي
ولم يفن عنهم شيا غير انه سال النبي صلى الله عليه وسلم في ان لايقتلهم والح عليه حتى كف
عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير حشر لهم بالالزام بالجلاء واقوا
وبال امرهم اي عقوبة في الدنيا من القتل وغيره ولهم عذاب اليم اي مولم في الاخرة
ومثلهم ايضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم كمثل الشيطان اي البعيد
من كل خير لبعده من الله تعالى المحترق بعذابه والشيطان هنا مثل المنافقين اذ
قال للانسان وهو هنا مثل اليهود اكفر اي بالله بالغين له ووسر اليه من اتباع الشهوات
العارم مقام الامر فلما كفر اي اوجد الانسان الكفر على اي وجه ودلت الفا على اسرعه
في تتابعه تبريه قال اي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين اني بري
منك اي ليس بيني وبينك علاقة في شي اصلا ظنا منه ان هذه البراة تنفعه شيا
مما استوجبه المامور بقبوله لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود
في اخذلهم وعدم الوفا في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان
حذف حرف العطف كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم وقوله كمثل الشيطان كما
لقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال
له الشيطان اذهب تزلت عنده امراة اصابها لم ليدعوها فزين له الشيطان فوطيها فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاوا
فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاه الشيطان فوعده ان سجد له انجاهم فسجد

لبيان

فسجد له فتبرامنهم وروي عطاء وغيره عن بن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا
تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالي فيها طرفة عين وان ابليس اعياه
في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الا احد فيكم من يكفيني برصيصا فقاله
الابيض وهو صاحب الانبيا عليهم السلام وهو الذي تودي للنبي صلي الله عليه وسلم وجاه في
صورة جبريل عليه السلام ليوسوس اليه علي وجه الوحي فدفعه جبريل السلام الي اقصي
بلاد الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق
وسط راسه واتي صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينتقل عن صلاته الا في كل
عشرة ايام مرة ولا يفطر في كل عشرة ايام الا مرة فلما راه الابيض انه لم يجبه اقبل علي العبادة
في اصل صومعته فلما انتقل برصيصا اطلع من صومعته فراي الابيض قايما يصلي في
هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما راي ذلك من حاله ندم علي نفسه حيث لم
يجبه فقال لاك حيث ناديتني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتي اني احببت
ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك واجتمع علي العبادة وتدعولي و
ادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما
ادعو اللمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل علي صلاته وترك الابيض فاقبل الابيض
يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما التفت بعدها راه قايما يصلي فلما
راي برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي ان
ارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل
اربعين يوما مرة ولا ينتقل من صلاته الا كذلك ويعامد الي الثمانين فلما راي برصيصا
اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا
ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا منه ورايت وكان يلتقينا عنك انك غيره
الذي رايت فدخل من ذلك علي برصيصا امر شديد وكره مفارقته للذي راه من شدة
اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهن
خير ما انت فيه يشفي الله تعالي المريض ويعافي بها المبتلي والمجنون قال برصيصا
اني اكره هذه المنزلة لان لي نفسي شغلا واني اخاف ان اعلم به الناس يشغلوني عن
عبادة ربي عز وجل فلم يزل به الابيض حتي علمه ثم انطلق حتي اتي ابليس فقال

واله

والله قد اهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخبنه ثم جاه في صورة رجل مطيب
فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا انا عالجه قالوا نعم فقال اني لا اقوي علي جنيته
ولكن سارشدكم الي من يدعوا الله تعالي فيعافيه انطلقوا الي برصيصا فان عنده
الاسم الذي اذا دعي به اجيب فانطلقوا به اليه فسالوه فدعي بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الي برصيصا
فيداوا لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرايل
وكان لها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عمها ملك
بني اسرايل فصدها وخنقها ثم جاايهم في صورة رجل مطيب فقال انا عالجها قالوا
نعم قال ان الذي عرض لها عليها ما ربما يطاق ولكن سارشدكم الي رجل تثقون
به تدعونها عنده اذا جاها شيطانها دعي لها حتي تعلموا انها قد عوفيت فتردونها
صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان نجيبا الي هذا وما هو اعظم
شانا من ذلك قالوا ابنوا صومعة الي جنب صومعته ولتكن لزيق صومعته حتي
تشرف عليه فان قبلها والا فتضعونها في صومعته ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب
امانتك فانطلقوا اليه فسالوه ذلك فابي فبنوا صومعة علي ما امرهم به الابيض و
صعوا الجارية في صومعتها وقال يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها
ثم انصرفوا فلما انتقل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت
في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاه الشيطان فخنقها فكانت تكش عن نفسها وتتعرض
لبرصيصا فجا الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وتستوب بعد ذلك
ويتم لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتي واقعها فلم يزل علي ذلك ياتيها حتي حملت
وظهر حملها فقال الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهلك ان تقتلها
وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها شيطانها ولم اقو عليه فدخل فقتلها ثم انطلق
بها فدفنها الي جانب الجبل فجا الشيطان وهو يديفها فاخذ بطرف اذارها فبقي
خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الي صومعته واقبل علي صلاته اذ جا اخوتها
يتعهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه بها فلما
لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جا شيطانها فذهب بها ولم

اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما اسوا مكر وبي جا الشيطان الي اكبرهم في منامه فقال ويحك
ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم وهو
من عمل الشيطان برصيصا حيي من ذلك فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الي
الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبره احدا فانطلق الي اصغرهم
بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله رايت
مثله وقال الاكبر انا والله رايت مثله فانطلقوا الي برصيصا وقالوا له فعلت باختنا
فقال ابيس قد اعلمتكم بحالها فكالكم انهمتموني فقالوا والله لانتهمك واتحيوا منه
وانصرفوا فجاء الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج
من التراب فانطلقوا فراوا اختهم علي ما راوي في النوم فذهبوا اليه ومعهم علمائهم وولاتهم
بالفوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم اتوا به الي الملك
فاوقع علي نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك امران قتل و
مكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه علي خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال
يا برصيصا تعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك
اما اتقيت الله تعالي في الامانة خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرايل اما استحيت
فلم يزل يبيوه ثم قال لم يكفك ما صنعت حتي اقررت علي نفسك وفضحت نفسك واياهم
من الناس فان مت علي هذه الحالة فلم يفلح احد من نظايرك قال فكيف اصنع قال اطيعني
في خصلة واحدة حتي اجيئك مما انت فيه فاخذ باعينهم واخرجك من مكانك قال
وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له قال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت
عاقبة امرك الي ان كفرت بربك اني بريء منك اني اخاف الله اي الملك الذي لا كبر
لاحد معه وقرا نافع وبن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها رب العالمين
اي الذي اوجدهم من العدم وما هم عايدل علي جميع الاسماء الحسني والصفات العليا فلا
يبغي احد من خلقه عن احديثيا الا باذن الله فكان اي فتسبب عن قوله ذلك انه
كان عاقبتهما اي الغار والمغرور انهما في النار حال كونهما خالدين فيها لانهما ظلما
ظلما لا فلاح معه وذلك اي العذاب الاكبر جزا الظالمين اي كل من وضع العبادة في غير
محلها اوهم الكافرون لقوله تعالي ان الشرك لظلم عظيم قال بن عباس ضرب الله

تعالي

بوهم

تعالي هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة قد مر المنافقون اليهم
وقالوا لا تجيبوا لمحمد الي ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم فاجا
وان اخرجوكم خرجنا معكم فاجابوهم فذربوا علي حصونهم وتحصنوا في ديارهم وجا
نصر المنافقين فيناصبوهم الحرب وجا نصر المنافقين فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرا الشيطان
من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين في النار قال بن عباس وكانت الرهبان
بعد ذلك في بني اسرايل لا يئسون الا بتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق في الاحبار و
رءوسهم بالبهتان حتي كان امر جريج الراهب فلما براه الله تعالي مما رموه به انبسطت
بعد الرهبان وظهروا للناس وكانت قصة جريج ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسي بن مريم وصاحب جريج وكان جريج
رجلا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فاتت امه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال
رب امي وصلاتي واقبل علي صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقال مثل مقالته
الاولي لم يعبا به فقالت اللهم لا تمته حتي ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرايل جريجا وعبادته
وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شيتم لافتنه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها
فاتت راعيا كان ياوي الي صومعته فمكنته من نفسها فوقعها فحملت فلما ولدت قالت
هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم
فقالوا زنيت بهذه البغي فحملت منك فقال اين الصبي فجاوا به فقال دعوني حتي اصلي فلما
انصرف من صلاته اتي الصبي وطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي
قال فاقبلوا علي جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال
لا اعيدها من طين كما كانت والثالث كلمه امه وهي تر ضعه في قصة مشهورة يا ايها
الذين امنوا اي اقروا بالايمان باللسان اتقوا الله اي اجعلوا لكم وقاية تقيكم
سخط الملك الاعظم باتباع اوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب التقصير
فيما احده كلكم من امر او نهي ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي في يوم القيامة لان هذه الدنيا
كلها اليوم واحد يجي فيه ناس ويذهب اخرون والموت والاخرة لابد من كل منهما وكل ما
هو ات فهو في غاية القرب والقرب تكني عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها علي
ان الساعة قريبة كقول القايل وان غدا لناظره قريب وقال الحسن وقتادة قرب

الساعة حتي جعلها كغد لان كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعني ما قدمت اي من خير او شر
ونكر النفس لاستقلال الانفس التي تنظر في مقامة للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك
ونكر الغد للتعظيم وابهام امره كانه قال الغد لا توصف كميتة لعظمته وقوله تعالي واتقوا
الله اي الجامع لجميع صفات الكمال تاكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقوتين فمتعلق الاولي
اداء الفرايض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال
معناه الزمخشري ان الله اي الذي له الاسما الحسني والصفات العلي خبير اي عظيم الاطلاع
علي ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بما تعملون فلا تعملون عملا الا كان بعراي منه وسمع
فاستحيوا منه ولا تكونوا ايها المحتاجون الي التحذير وهم الذين امنوا كالذين نسوا الله
اي اعرضوا عن اوامره ونواهي الملك الاعظم وتركوها تركا لناسين لو برزت عنه
مع ماله من صفات الجلال والاكرام فانساهم اي فتسبب عن ذلك ان انساهم بماله من الاحاطة
بالظواهر والبواطن انفسهم اي فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا بقايا لحمان مشوبا بالمفسدات
من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالي وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة الاية لانهم
لم يدعوا بابا من ابواب الفسق فان راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح الحكمة
معرفة النفس فاعرف الناس براس اعرفهم بربه اوليك البعد من كل خير هم الفاسقون اي
الراسخون في المروق من دايرة الدين لا يستوي اي بوجه من الوجوه اصحاب النار اي التي هي
محل الشقا الاعظم واصحاب الجنة اي التي هي دار النعيم الاكبر لا في الدنيا ولا في الاخرة واستدل
بهذه الاية ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفايزون اي الناجون من كل مكروه
المدركون لكل محبوب واصحاب النار هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة
لفريقي المومنين وبني النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما لو انزلنا اي بعظمتنا
التي بانها هذا الانزال هذا القران اي الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين
لجميع الحكم علي جبل اي جبل كان وجبل فيه تمييز الانسان لرايته يا اشرف الخلق وان لم
يناهل عركك لتلك الروية خاشعا اي متذللا لابائه متصدعا اي مشققا غاية التشقيق
من خشية الله اي من الخوف العظيم ممن له الكمال كله وفي هذا حث علي تامل مواعظ
القران وتدبر اياته وتلك الامثال اي التي لا يضاهيها شيء نضربها للناس لعلهم يتفكرون
فيومنون والمعني انا لو انزلنا هذا القران علي الجبل لخشع لوعد ولا ترهبون من وعيده

والغرض

والغرض من هذا الكلام التنبيه علي قساوة قلوب هولا الكفار وغلظ طباعهم ونظيره
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم
اي لو انزلنا هذا القران يا محمد علي جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك
وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته لما تثبت عليه الجباله وقيل انه خطاب
للامة والله تعالي لو انزل بهذا القران الجبال لتصدعت من خشية الله تعالي والانسان
اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر علي رده ان عصي لانه موعود
بالثواب ومزجور بالعقاب ولما وصف تعالي القران بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة
تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بوصف عظمته تعالي فقال عز من قايل هو اي الذي وجو ده
من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف هو غيره لانه الموجود
دايما ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غايب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل
من خشيته ولما عبر عنه باخص اسمايه اجز عنه لطفا بنا وتنزلا لنا باشهرها الذي
هو مسمي الاسم كلها بقوله تعالي الله اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالهية الا له
الذي لا اله الا هو فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه
شيء والاله او الاسم لله فلذلك لا يكون احد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو
اساس كل فريضة عالم الغيب اي الذي غاب عن جميع خلقه والشهادة اي الذي وجد
فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل
ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل استوي في علمه السر والعلا
نية
والموجود والمعدوم وقوله تعالي هو الرحمن الرحيم معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالي
ارادته الخير والنعمة والاحسان الي خلقه وقيل ان رحمن اشد مبالغة من رحيم
ولهذا قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لانه تعالي باحسانه في الدنيا يعم المومن والكا
فر
وفي الاخرة يختص انعامه واحسانه بالمومنين هو الله اي الذي لا يقدر علي تعميم
الرحمة لمن اراد وتخصيصها بمن شا الا هو الذي لا اله اي لا معبود بحق الا هو الملك
فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الي شيء لانه ما اراد كان فهو متصرف في الامر
والنهي في جميع خلقه فهو تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي البليغ في التنزاهه
عن كل وهم يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يحتاج اليه ضمير ونظره

السبوح وفي تسبح للملايكة سبوح قدوس رب الملايكة والروح السلام اي الذي سلم من النقايص
وكل افة تلحق الخلق وهو نفي اللامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصفه بهذه مبالغة في
وصف كونه سليما من النقايص او في اعطايه السلامة المؤمن قال بن عباس هو الذي امن
الناس من ظلمه وامن من امن به عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم
والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب وقال مجاهد
المؤمن الذي وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو قال بن عباس اذا كان يوم
القيمة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا
لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لبايقهم انتم المسلمون وانا السلام
وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار بتركة هذين الاسمين المهيمن قال
ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القايم على خلقه
بقدرته وقيل هو الرقيب الحافظ لكل شيء يفعل من الا من قلبت همزته هاء العزيز اي
الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر الجبار الذي حير خلقه على ما اراده اي جبرهم
حالهم بعض اصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذا
قوله تعالى المتكبر اي الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا في حقه تعالى صفة مدح
لان له جميع صفات العلو والعظمة وفي صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر
من نفسه التكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا
الكبر كان كذلك في فعله سبحان الله اي تنزه الملك الاعلا الذي اختص بجميع صفات الكمال
تنزها لا تدركه العقول منه اكثر من انه علا عن اوصاف الخلق فلا يدانيه شيء من نقص
تعالى عما يشركون اي من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها ما في الارض او في السما
من صغير وكبير وجليل وحقير هو اي الذي لا شيء يستحق ان يطلق عليه هذا الضمير غيره
الا وهو ممكن ولما ابتدا بهذا المغيب المحض الذي هو اظهر الاشيا اخبر عنه باشهر الاشيا الذي
لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى الله اي الذي ليس له سمي فلا كفو له فهو المعبود بالحق
فلا شريك له بوجه الخالق اي المقدر للاشيا على مقتضى حكمته الباري اي المخترع المنشي
للاشيا من العدم الى الوجود بريا من التفاوت وقوله تعالى المصور اي الذي يخلق صور
الاشيا على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترز بهذا الضرب عن

قراة

قراة امير المومنين علي بن ابي طالب والحسن فانهما قرا بفتح الواو ونصب الراء وهي قراة شاذة
وانما قرضت لها لابين وجهها وهو ان تخرج هذه القراة على ان يكون المصور منصوبا بالفعل
بالبارئ والمصور هو الانسان اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراة يحرم الوقف على المصور
بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف لا يجوز له اي خاصة الاسما
الحسنى التسعة والتسعون الوارد فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسرا والحسنى تا نيث
الاحسن يسبح اي يكرر التنزيه الاعظم عن كل شايبة نقص على سبيل التجديد والاستمرار
له اي على وجه التخصيص ما في السموات اي السموات ومن فيها والارض ومن فيها
وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء الحكيم اي الجا مع
للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن معقل بن يسار ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم وقرا الثلاث ايات من سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون
عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسي كان له ذلك
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابي هريرة انه قال سالت خليلي ابا القاسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراتها
فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لكان هذه الا يه
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر حديث موضوع سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث
عشرة اية وثلثماية وثمان واربعون كلمة والف وحمسماية وعشرة احرف بسم الله الذي
من تولاه اغناه عما سواه الرحمن الذي شمل برحمته البيان من خاطبه بالعقل ودعاه
الرحيم الذي خص بالتوفيق من احبه وارتضاه ونزل في حاطب ابن ابي بلتعة يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا عدوي اي وانتم تدعون مولاتي وعدوكم اي الفريق في
عداوتكم ما رميتم على مخالفته في الدين اولياء وذلك ما روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي
يقال لها سارة اتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها
اسلمة جيئ قالت لا قال افمهاجرة جيئ قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي
والعشيرة وقد ذهبت الموالي يوني قتلوا يوم بدر فاحببت حاجة شديدة فقدمت

عليكم لتقطوني وتكسوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت عن شان اهل مكة
ولانت مغنية ناجة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب ابن
ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا باهل مكة لنخبة من
حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا اهبتكم
وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله تعالى بكم
وانجز له موعده فيكم فالله وليه وناصره فخرجت بسادة وتنزل جبريل بالخبر فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا يزيد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة حاج فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوا
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجدت وخلفت ما معها كتاب ففتشوا
امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب الاوالله لاجردنك ولاخرجن عنقك فلما
رات الجد اخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة
نفر احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال
نعم فقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا وكنت
اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم باسه
وان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق
هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم فما ملكت عيني عمر وقال والله ورسوله اعلم واضافة العدو الى الله تعالى
تغليظا في خروجهم وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وتقدم نظيره
في قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي

عليه

133

عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى استانف ببيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى
مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله تعالى تلقون اي جميع ما هو
في حوزتكم مما لا تطمعون فيه القا الشيء الثقيل من علو اليهم على بعدهم منكم حسا ومعنى
بالمودة اي بسببها قال القرطبي تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان
سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصابكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فواده
وخلوص اعتقاده وقراءة ضم الهاء والباقون بكسرها وقوله تعالى وقد كفروا اي غطوا
جميع ما لكم من الادلة بما اي بسبب ما جاءكم من الحق اي الامر الثابت الكامل في الثبات
الذي لا شيء اعظم ثباتا منه فيه اوجه احدها الاستيناف وثانيها الحال من فاعل
تتخذوا بانها الحال من فاعل تلقون اي لا تتولوهم ولا تتوادوهم وهم على حالهم وقوله تعالى
يخرجون الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين
وان يكون حالا من فاعل كفروا وقوله تعالى واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا
له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تومنوا اي توقعوا حقيقة الايمان مع التجدد
والاستمرار بالله اي الذي اختص بجميع صفات الكمال ربكم اي المحسن اليكم تعليل ليخرجون
والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لانكم تومنون بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال
ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم اي عن اوطانكم
وقوله تعالى جهادا في سبيلي اي بسبب ارادتكم تسهيل طرق التي شرعتها لعبادي
ان يسلكوها وابتغاء مرضاتي اي ولاجل تطلبكم اعظم الرغبة لمرضاتي علة للخروج وعمدة
التعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرا الكسائي بالامالة محضة و
الباقون بالفتح وقوله تعالى تسرون اي توجدون جميع ما يدل على مناصحتهم والمو
اليهم بالمودة اي بسببها بدل من تلقون قال ابن عطية قال ابن عادل ويشبه ان
يكون بدل اشتمال لان القا المودة يكون سرا وجهرا واستانفا واقتصر عليه الزمخشري
وانا اي والحال اني اعلم اي من كل احد حتى من نفس الفاعل وقرا نافع بعد الالف بعد
النون بما اخفيتم وما اعلنتم قال ابن عباس بما اخفيتم في صدوركم واظهرتم بالتكلم
اي فاي فايدة لاسراركم ان كنتم تعلمون اني عالم به وان كنتم تتوهمون اني لا اعلمه

فهي القاصمة ومن يفعله اي يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم منكم في وقت من الاوقات
فقد ضل اي عمي ومال واخطا سوا السبيل اي قويم الطريق الواسع الموصل الي القصد قويمة
وعدلة قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل علي فضله وكرامته ونصيحته لرسوله
صلي الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من تحب لحبيب كما قال القايل
اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقي الود ما بقي العتاب وقرا قالون وبن كثير وعاصم باظهار
الدال عند الضاد والباقون بالادغام ان يثقفوكم اي يظفروا بكم في وقت من الاوقات ومكان
ومن الاماكن يكونوا لكم اعدا اي ولا ينفعكم التا المودة اليهم ويبسطوا اليكم اي خاصة
وان كان هناك في ذلك الوقت من غير من قتل اعز الناس عليهم ايديهم اي بالضرب ان استطاعوا
والسنتهم اي بالشتم مضمومة الي فعل ايديهم فعل من ضاق صدره بما تجرع من اخر من الغصص
حتي اوجب له غاية السنة بالسوء اي بكل من شانه ان يسوء وودوا اي تمنوا قبل ذلك
هذا لو تكفرون لان معصية الدين اعظم فهم اليها اسرع لان دابة العدو الفصل الي اعظم
ضرر يراه لعدو وعبر بما يفهم التمني الذي يكون في المحالات ليكون المعني انهم احبوا
ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشري لانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه ابين في العداوة
وان كان الثاني انكار لما كانت عداوتهم مقرونة وانما غطاها محبة القرابات لان الحب
للشي يعمي ويصم فحاربهم في موالاتهم بما اعلمهم به من حالهم فقال تعالي مستانفا اعلاما
بانها خطا علي كل حال لن تنفعكم بوجه من الوجوه ارحامكم اي قراباتكم الحاملة لكم
علي رحمتكم والعطف عليهم ولا اولادكم اي الذين هم اخص ارحامكم ان واليتم اعدا الله
لا يعلمهم فينبغي ان لا يقدروا قربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله تعالي يوم
القيمة اي القيام الاعظم يفصل ان يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع
الاسباب وقرا عاصم بفتح اليا واسكان الفا وكسر الصاد مخففة وقرا بن عامر بضم اليا
وفتح الفا وفتح الصاد مشددة وحمزة والكسائي كذلك الا انهما يكسران الصاد والبا
قون بضم اليا وسكون الفا بينكم اي ايها الناس فيدخل من يشا من اهل طاعته الجنة
ومن اشا من اهل معصيته النار فلا ينفع احدا احدا منكم بشي من الاشيا الا ان كان
قد اتي الله تعالي بقلب سليم فياذن الله في اكرامه بذلك والله اي الذي له الاحاطة التامة
بما تعملون اي من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه في الدنيا والاخرة ولما نهي تعالي

عن

عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وان سيرته التبري من الكفار بقوله تعالي
قد كانت اي وجدت وجودا تاما وكان تانيث الفعل اشارة الي الرضا بها ولو كانت
علي ادني الوجوه لكم ايها المومنون اسوة اي موضع اقتدا وتاسية في ابراهيم
وطريقة مرضية وقرا اسوة في الموضعين بضم الهمزة والباقون بكسرها حسنة اي
يرغب فيها في ابراهيم اي في قول ابي الانبيا عليه السلام والذين معه اي من كان قبله
من الانبيا قال القشيري وممن امن به في زمانه كابن اخيه لوط عليه السلام وهم قدوة اهل
الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه اصحابه من المومنين وقرا هاشم بفتح الها والف بعدها
والباقون بكسر الها وما بعدها اي فاقتدوا به الا في استغفاره لابيه قال القرطبي الاية
نص في الامر بالاقتدا بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك يدل علي ان شرع من قبلنا شرع
لنا فيما اخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا ما يقرره وقيل ليس
بشرع لنا مطلقا وهو الاصح عندنا اذا اي حين قالوا وقد كان من امن به اقل منكم
واضعف لقومهم اي الكفرة وقد كانوا اكثر من عدوكم واقوي وكان لهم فيهم ارحام وقرابات
ولهم فيهم رجا بالقيام والمحاولات انا برا اي متبرون تبرية عظيمة منكم اقرب
الناس الينا ولا ناصر لنا منهم غيركم ومما تعبدون اي توجدون عباداته في وقت
من الاوقات من دون الله اي الملك الاعظم كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم
وبدا اي ظهر ظهورا عظيما بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة في الافعال بان يعدو كل
الاخر والبغضا وهي المباينة بالقلوب للبغض العظيم ولما كان ذلك قد يكون سريع
الزوال قالوا ابدا اي علي الدوام وقرا نافع وبن كثير وابو عمرو في الوصل الهمزة الثانية
المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون بتخفيفها وهم علي مراتبهم في المد
واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر ولهما ايضا التسهيل مع
المد والقصر والروم معهما ولما كان ذلك موسيا من صلاح الحال وقد يكون لحظ نفس بينوا
غايته بقولهم حتي تومنوا بالله اي الملك الذي له الكمال كله وحده اي تكونوا
مكذبين بكل ما يعبد من دون الله تعالي وقوله تعالي الا قول ابراهيم لابيه فيه اوجه
احدها انه استثنا متصل من قوله تعالي في ابراهيم ولكن لا بد من حذف مضاف
ليصح الكلام تقديره في مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت ثانيها انه مستثني من

وان كنتم

من اسوة حسنة واقتصر علي ذلك الجلال المحلي وجاز بذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة
لان الاسوة الاقتدا بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم فيهم اسوة في جميع احواله من قول
وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه غير محوج الي تقدير مضاف وغير مخرج للاستثنا من الاتصال
الذي هو اصله الي الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره ثانيها قال بن عطية ويحتمل
ان يكون الاستثنا من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا وبهذا
انه استثنى منقطع اي لكن قول ابراهيم وهذا بناس قايله علي ان القول لم يندرج تحت
قوله اسوة وهو موضع قال القرطبي معني قوله تعالي الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك اي
فلا تتاسوا به في الاستغفار وتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعدة منه قاله قتادة
ومجاهد وغيرهما وقيل معني الاستثنا ان ابراهيم هجر قومه وبا عدهم الا في استغفاره لابيه
ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة علي تفضيل نبينا محمد صلي الله عليه وسلم علي
سايرالانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا به امرنا امرا مطلقا في قوله تعالي وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتدا بابراهيم استثني بعض افعاله وهذا اخبار
لانه ظن اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلي هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم
فلما بان بانه لم يسلم تبرا منه وعلي هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا
مثل هذا الظن فلم تواخذوهم وقوله وما املك لك من الله اي من عذاب او ثواب الملك الاعلي المحيط
بغفوت الجلال من شي من تمام قوله المستثني ولا يلزم من استثنا المجموع استثنا جميع احواله
وقوله ربنا ايها المحسن الينا عليك اي لا علي غيرك توكلنا اي فوضنا امرنا اليك يجوز ان
يكون من قول ابراهيم عليه السلام والذي معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثنا
ويجوز ان يكون منقطعا عما قبله علي اضمار قوله وهو تعليم من الله تعالي لعباده
لانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا واليك اي وحدك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا
وبواطننا واليك اي وحدك المصير اي الرجوع في الاخرة ربنا اي ايها المربي لنا والمحسن
الينا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا تخلفه
ويظنوا علي حق فيفتنوا بذلك وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان
هولا علي الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تسلط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم واغفر
لنا اي لما وقع منا من الذنوب وامح عينه واثره ربنا اي ايها المحسن الينا واكدوا اعلاما

بشدة

135

بشدة رغبتهم في حسن الثنا عليه فقالوا انك انت اي وحدك لا غيرك العزيز اي الذي
يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم اي الذي يضع الاشيا في اوفق محالها فلا يستطاع نقضها ومن
كان كذلك فهو حقيق بان يطلب من امله ومواطلب وقوله تعالي لقد كان لكم اي يا محمد جواب قسم
مقدر فيهم اي ابراهيم ومن معه من الانبيا والاولياء اسوة حسنة اي في التبري من الكفار
وكرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران علي
هذا الوجه وقوله تعالي لمن كان يرجو الله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال واليوم
الاخر اي الذي تحاسب فيه علي النقير والقطمير بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وفي
ذلك بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول اي يوقع الا عراض
عن اوامر الله تعالي فيوالي الكفار فان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة هو اي خاصة
الغني اي عن كل شي الحميد اي الذي له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال فهو حميد في نفسه
وصفاته او حميد الي اوليايه واهل طاعته ولما نزلت الاية الاولي عادي المسلمون اقرباهم
من المشركين فعلم الله تعالي شدة وجد المسلمين في ذلك فنزل عسي الله اي انتم جديرون
بان تظنوا في الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما ان يجعل اي باسباب لا تعلمونها بينكم
وبين الذين عاديتم منهم اي كفار مكة مودة اي بان يلهمهم للايمان فيصيروا لكم
اولياء وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لان عسي من الله وعد وهو كاين
يخلق الميعاد والله اي الذي لكمال الاحاطة قدير اي بالغ القدرة علي كل ما يريد فهو يقدر
علي تقليب القلوب وتيسير العسير والله اي الذي له جميع صفات الكمال غفور اي محالا
عيان الذنوب واثارها رحيم يكرم المخاطبين اذا اراد بالتوبة ثم بالجزا غاية الاكرام فيغفر
الي ما فرط منكم في موالاتهم من قيل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وقوله لا ينهاكم الله اي
الذي اختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم اي بالفعل في الدين الاية رخصة
من الله تعالي في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم قال بن زيد هذا كان في
اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقال بن عباس قال نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله تعالي في بري هم وقال اكثر اهل
التاويل انها محكمة واحتجوا بان اسما بنت ابي بكر قدمت امها وهي مشركة عليها

بشدة

المدينة تهديا فقالت اسما لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتا حتى استاذن رسول الله صلي
الله عليه وسلم فسالته فانزل الله تعالي هذه الاية فامرها رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تدخل منزلها
وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك اشارة الي الاقتصاد في العداوة والولاية كما
صلي الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما فعسي ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما
فعسي ان يكون حبيبك يوما ما وروي عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق
طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها
المهادنة بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الي اسما بنت ابي بكر
قرظا واقطا فكرهت ان تقبل منها حتى ات رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل
الله تعالي هذه الاية لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان
اي لا ينهاكم عن ان تبروهم بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح في قصد الموادة
وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم علي وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل
فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل وحكي ان القاضي اسماعيل بن اسحاق دخل عليه
رومي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فقال علي هذه الاية ان الله اي الذي له الكمال كله يحب
اي يثيب المقسطين اي الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل انما ينهاكم الله اي الذي له
الاحاطة الكاملة علما وقدرة عن الذين قاتلوكم اي جاهدوكم مستعدين لقتالكم في الدين اي
عليه فليس شيء من ذلك خارجا عنه واخرجوكم من دياركم اي بانفسهم لبغضكم وهم عشاة اهل
مكة وظاهروا اي عاونوا غيرهم علي اخراجكم وهم شركوا مكة وقوله تعالي ومن يتولهم اي
تكلف نفسه الحمل علي غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولي من المبارة واطلق ولم يقيد بعنكم ليعم
المهاجرين وغيرهم والمومنين وغيرهم فاولئك اي الذين ابعدوا عن العدل هم الظالمون اي
الفريقون في ايقاع الاشياء في غير مواضعها ولما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك
مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الي بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة بين
احكام مهاجرة النساء بقوله تعالي يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان اذا جاءكم المومنات
اي بانفسهن مهاجرات اي من الكفار بعد الصلح منهم في الحديبية فامتحنوهن اي بالحلف
انهن ما هاجرن الا رغبة في الاسلام لا بغضة في ازواجهن الكفار ولا عشقا لرجل من المسلمين
كذا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحلفهن قبل ان يسبب الامتحان انه كان من ارادت

منهن

منهن اضرار زوجها قالت سارها جر ابي رسول الله صلي الله عليه وسلم فذلك امر النبي صلي الله
عليه وسلم بامتحانهن الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما اعلم منكم ومن انفسهن بايمانهن
هل هو كما بين ام لا علي وجه الرسوخ ام لا فانه محيط بما غاب كما حاطته بما شوهد وانما
وكل الامر اليكم في ذلك ستر للناس فان علمتموهن مومنات اي العلم الممكن لكم وهو
الظن الموكد بالامارات الظاهرات بالحلف وغيره فلا ترجعوهن اي بوجه من الوجوه الى الكفار
وان كانوا ازواجا قال ابن عباس لما جري الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية علي من اتاه
من اتاه من اهل مكة ردها اليهم جاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي
صلي الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا صيفي بن الراهب وقيل مسافر
المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذا الكتاب لم تجف بعد فانزل
الله تعالي هذه الاية وروي ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت النبي صلي الله عليه
وسلم بالحديبية فجاء اهلها يسيلونه اي يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص وسهما
اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلي الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلي الله
عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال صلي الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل
الله تعالي هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهل بن عمرو علي النبي صلي الله عليه وسلم
في الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان علي دينك الا رددته الينا وخليت بيننا
وبينه فكره المومنون ذلك وابي سهل الا ذلك فكاتبه النبي صلي الله عليه وسلم علي ذلك
فرد يومئذ ابا جندل الي ابيه سهل بن عمرو ولم ياتيه احد من الرجال الا رده في تلك المدة
وان كان مسلما حتى انزل الله تعالي في المومنات ما انزل وهذا يومي الي ان الشرط في رد
النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يري نسخ السنة بالقران وقال بعض العلماء كله
منسوخ بالقران وقالت طائفة لم يشترط رد هن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من
اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالي خروجهن عن عموم
وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات فروج فخرجن عليهن الثاني انهن
ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن علي شركها فمردودة عليهم لا هن اي
المومنات حل اي موضع حل ثابت لهم اي الكفار باستماع ولا غيره وقوله تعالي ولا هم اي
رجال الكفار يحلون لهن اي المومنات توكيد للاول لتلازمهما وقال البيضاوي في التكرير

للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وقيل اراد استمرار
الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماد امواشركي وهن مومنات والمعنى لم يجعل الله تعالى
مومنة لكافر في حال من الاحوال وهذا دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها
الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح
كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف
الدار ولما نهى عن الرد وعللها بما قدم من الاقساط اليهم فقال تعالى وآتوهم اي اعطوا
الازواج ما انفقوا اي عليهن من المهور فان المهر في نظير اصل المشرة ودوامها وقد فوتها
المهاجرة فلا يجمع عليه خسارتان الزوجية والمالية واما الكسوة والنفقة فانهما لما يتجددان
من الزمان تنبيه امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان الخاطب بهذا الامام
وعليه يجب ذلك او يندب ظاهر الاية الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعي لان هم
البضع لبين بمال فلا يشمل الاماء كما لا يشمل زوجية والاية وان كانت ظاهرها الوجوب
محتملة للندب الصادق بعد الوجود الموافق للاصل وقال مقاتل يرد المهر للذي يتزوجها
من المسلمين وليس لزوجها الكافر شيء وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل
الذمة فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر
كما قال ولا جناح اي حرج ومثل عليكم ايها المسلمون بالخطاب ان تنكحوهن اي تجددوا
زواجكم بهن بعد الاستبراء ان كان ازواجهن من الكفار يطلقوهن لزوال العلق منهن عنهن
لان الاسلام فرق بينهم قال الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا والمعنى
قد امر برد مهور الكفار وكان في خاطر انه منع عن تجديد مهر لهن اذا نكحن المسلم نفي
ذلك بقوله اذا اتيتموهن اي لاجل النكاح اجورهن اي مهورهن وفي شرط ايتاء المهر في
نكاحهن ايذان بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع
عصمة وهي هنا عقد النكاح اي من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت
عصمتها فلا يكن بينكم وبينه عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب
وضاربة قال النخعي المراد بالاية هي المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون
المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ
امراتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية ابن ابي سفيان وهما

علي

علي شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة
وهما على شركهما بمكة فلما ولي عمر قال ابو سفيان للحادية طلقي قريبة فلا بري عمر سلبة في بيتك
فابي معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها بعد الاسلام حالد بن سعيد بن العاص وكان ممن فر الى
النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فخيبها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن امية
وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع
اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم دونه ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح
الاول ولم يحدث شيئا قال ابن عمرو وفي الحديث بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد
سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انهما لم تحل اسلم زوجها واما
الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما
لا خلاف فيه انه عنى به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرايض
وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل هذه السورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين
تنبيه المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي عامة نسخ
منها نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو
قول بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاووس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى
ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري والشافعي
واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن الحارث اسلم قبل هند بنت عتبة على كفرها واخذت
امراته وكان اسلامه بعد الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها
فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقر على نكاحها
لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده
فكانا على نكاحهما قال الشافعي والحجة لمن اصح بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نساء المومنين
محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله
تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بين السنة ان مراد الله تعالى هذا من قوله
هذا انه لا يحل لبعضهم لبعض الا ان اسلم الثاني منهما في العدة وقال ابو حنيفة واصحابه
في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق

بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او
في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم ان اعتبار الدارين شيء وهذا الخلاف انما
هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا فلم خلاف في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها
وكذا يقول مالك في المراة يرتد زوجها المسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا
بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح وقال الشافعي واحمد تنتظر بها تمام
العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فذهب مالك والشافعي واحمد الى
تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الوثني تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان
صفوان ابن امية وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتهما لما ذكر مالك في
الموطا قال بعض العلماء قال كان بين اسلام صفوان واسلام زوجته نحو من شهر قال ولم
يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا
فرقت هجرتها بينها وبين زوجها مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم فيفسخ النكاح
بينهما لما روي يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول
طاوس والحسن وعطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة وايتوهم اي
ايها المومنون الذين ذهبت ازواجهم اي الكفار مرتدات ما انفقتم اي من مهور نسائكم
وليسالوا اي الكفار ما انفقوا اي من مهور ازواجهم اللاتي اسلمن قال المفسرون كان من
ذهب من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهورها ويقال
للمسلمين اذ اجا احد من الكفار اتت مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك فصفا
وعدلا بين الحالين ذلكم اي الحكم الذي ذكر في هذه الايات البعيد تعلق الرتبة عن كل
سفيه حكم الله اي الملك الذي له صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص يحكم اي الله اذ
حكم على سبيل المبالغة بينكم اي في هذا الوقت وفي غيره وعلى هذا المنهاج البديع وذلك لاجل
الهدنة التي كانت وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم واما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق والله اي الذي له الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم
لا يخفى عليه شيء حكيم اي فهو لتمام علمه يحكم كل اموره غاية الاحكام فلا يستطيع احد نقض
شيء منها روي ان المسلمين قالوا رضينا باحكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين فاستفوا فنزل
قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم اي واحدة فاكثر منهن او شيء من مهورهن بالذهاب

الى

الى الكفار مرتدات فعاقبتم تغنمتم وغنمتم من اموال الكفار فجاءت نوبة غزوكم باد الكفر
الى اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما انفقتم ظلما فاتوا اي فاحضروا
واعطوا من مهر المهاجرة الذين ذهبت ازواجهم اي منكم من الغنيمة مثل ما انفقوا اي
لغوائله عليهم من جهة الكفار روي الزهري عن عروة عن عايشة انها قالت حكم الله تعالى
بينهم فقال جل ثناوه واسيلوا ما انفقتم وليسيلوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم
الله تعالى بيننا بانه ان جاءكم امراة منا ان توجهوا الينا صداقها وان جاءتكم امراة منا
وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا
به فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الاية وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم
حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض
قال الزهري ولولا العهد لامسكنا النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد
وانما امروا بان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي
في من بيننا وبينه عهد وقالا فحفني وعاقبتم واقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا اي من المهور وقال ابن عباس معنى الاية ان لحقت امراة مومنة
بالكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج
المسلم مهرها من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى
من صداق من لحق بها تنبيه محصل مذهب الشافعي في هذه الاية ان الهدنة لو
عقدت بشرط ان يرد وا من جاءهم منا مريدا صحبة وتزمهم الوفا به سواء كان رجلا
او امراة حرا او رقيقا فان امتنعوا من رده فنا قضوا للعهد لمخالفتهم الشرط او
عقدت على ان لا يردوه جاز ولو كان المرتد امراة فلا يلزمهم رده لانه صلى الله
عليه وسلم شرط في مهادنة قريش حيث قال لسهيل ابن عمرو وقد جاء رسولا منهم
من جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منا فسحقا فسحقا ومثله ما لو اطلق العقد كما فهم
بالاولى ويرفعون فيهما مهر المرتدة فان قيل لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر
المسلمة على ما تقدم من الخلاف اجيب بانهم قد فوتوا عليه الاستابة الواجبة
علينا وايضا المانع جاء من جهتها والزوج غير متمكن منها بخلاف المسلمة الزوج
متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق ارتد دون الحر فان عاد

ج

الرقيق المرتد الينا بعد اخذنا قيمته رددناها عليهم بخلاف نظيره في المهر لان الرقيق
بدفع القيمة يصير ملكا لهم مبني بيع المرتد للكافر والصحيح خلافه اجيب بان هذا
ليس مبنيا عليه لان هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة وان شرطنا عدم
الرد فان قيل هل يغرم الامام لزوج المرتدة ما انفق من صداقها كانا بعقد الهدنة حنا
بينه وبينها ولولاه لقاتلناهم حتى يردوها اجيب بان هذا ينبني على ان الامام هل
يغرم لزوج المسلمة المهاجرة ما انفق وقد تقدم الكلام على ذلك فايدة روي عن ابن
عباس انه قال لحق بالمشركين من نسا المومنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي
سفيان وكانت تحت شداد بن عياض الفهري وفاطمة بنت ابي امية ابن المغيرة اخت
ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابته وارتدت وبروع بنت
عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وغرة بنت عبد العزيز بن فضلة وزوجها عمرو ابن
عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم
بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعنا عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ازواجهن مهور نسايهم من الغنيمة ولما كان التحد في مثل ذلك عسر فان المهور
تتفاوت تارة وتتساوى اخرى قال تعالى واتقوا اي في الاعطا والمنع وغير ذلك
الله الذي له صفات الكمال وقد امركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون الذي
انتم به مومنون اي متمكنون في مرتبة الايمان ولما خاطب المومنين الذين هم
موضع الحماية والنصرة للذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بما يعتهن
بقوله تعالى يا ايها النبي مخاطبا له بالوصف المقتضي للعلم اذا جاكم المومنات جعل اقبالهن
عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة مصححا لاطلاق الهجرة عليهن يبايعنك على
ان لا يشركن اي كل واحدة منهن تبايعك على عدم الاشراك في وقت من الاوقات
بالله اي الملك الذي لا كفو له شيا اي من اشراك على الاطلاق ولا يسرقن ان
ياخذن مال الغير بغير استحقاق في خفية ولا يزنين اي يمكن احد من وطيهن بغير
عقد صحيح ولا يقتلن اولادهن اي بالوايدة كما كان يفعل في الجاهلية من
وايدة البنات اي دفنهن احيا خوف العار والفقر ولا ياتين ببهتان اي بولد
ملقوط وبشبهة بان يفترينه اي يتعمدن كذبه بان ينسبه للزوج ووصفه بصفة

الولد

الولد الحقيقي بقوله تعالى بين ايديهن اي بالحمل في البطون لان بطنها الذي يحمل فيها الولد
بين يديها وارجلهن اي بالوضع من الفروج لان فرجها الذي تلد منه بين رجليها اون
الولد اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها وقيل ما بين ايديهن السنتهن بالنميمة
ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين ايديهن من قبلة او حبسه وبين رجليها
الجماع وروي ان هند لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان امر قبيح وما يامر الا
بالارشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك اي على حال من الاحوال في معروف وهو ما
وافق طاعة الله تعالى في كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب
وخمش الوجه فبايعهن اي التزم لهن بما وعدن على ذلك من اعطا الثواب في نظير ما الزمن
انفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن قالت عايشة
والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسا قط الا بما امر الله عز وجل وما مست
كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وروي انها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيا الماخر ما قالت وما مست يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال فيما استطعتن اطعن فقلت يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقلت يا رسول الله صافحنا فقال اني اصافح النسا
انما قولي لامراة كقولي لماة امراة وروي انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا وبين يديه
وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جمع نسا الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب
فسلم فرددت عليه السلام فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن
بالله شيا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم
قال اللهم اشهد وروي عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا بايع النسا دعا بقدح من ما فغمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه وروي انه
صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة وهو على الصفا وعمر
ابن الخطاب اسفل منه وهو يبايع النسا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغن
عنه عن ان لا يشركن بالله شيا وهند بنت عقبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة

مع النساخوفامن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة يوم احد فقالت والله
انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته علي الرجال وكان يبايع الرجال يوميذ علي الاسلام
والجهاد فقط فقال النبي صلي الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح
واني اصيب من ماله قوتنا فلا ادري ايحل في ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شي فيما
مضي وهو غير فهو لك حلال فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك
لهند بنت عقبة قالت نعم فاعف علي ما سلف عفا الله عنك وروي انها قالت يا رسول الله
ان ابا سفيان رجل مسيك فهو علي حرج ان اخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف
فخشيت هند ان يقتصر علي ما يعطيها فتضيع وتاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة
المذكورة فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني
من غير استطالة الي اكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند اتزني الحرة فقال ولا يقتلن
اولادهن اي بالواد ولا يسقطن الا جنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلهم يوم بدر كبارا
وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتي استلقي وتبسم
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا
وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما
جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن
بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط ولدا تلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي
منك فكان هذا من البهتان والافترا وهذا عام في الاتيان بولد والحاقة بالزوج وان
سبق النهي عن الزنا تنبيه ذكر تعالي في هذه لرسول الله صلي الله عليه وسلم في صفة البيعة
خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي ولم يذكر اركان الامر وهي ست ايضا الشهادة و
الصلاة والزكاة والحج والصوم والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دايم في كل زمان
وكل الاحوال فكان التنبيه علي اشتراط الدايم اكد وقيل ان هذه المناهي كان
كان في النسا كثير ممن يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا
قوله صلي الله عليه وسلم لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت فنبههم
علي ترك المعصية في شرب الخمر دون المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء
شهوته من المعاصي هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها ولما كان الانسان محل

النقصان

النقصان لا سيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله تعالي واستغفر اي اسال لهن الله اي
الملك الاعظم ذا الجلا والاكرام في الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه لا يقدر
احد ان يقدر الله تعالي حق قدره ان الله اي الذي له صفات الكمال غفور اي بالغ
الستر للذنوب عينا واثرا رحيم اي بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه واحسانا وروي
ان ناسا من فقرا المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك
بقوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تتولوا اي تعالجوا انفسكم ان تولوا قوما اي ناسا لهم
قوة علي ما يحاولونه فغيرهم من باب اولي غضب الله اي اوقع الملك الاعلي الغضب عليهم
لاقبالهم علي ما احاط بهم من الخطايا فهو عام في كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا
اوليا قد يئسوا اي تحققوا عدم الرجا من الاخرة اي من ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم
النبي صلي الله عليه وسلم مع علمهم انه الرسول المبعوث في التوراة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور اي من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احيا وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار
اي كما يئس الكفار الذين تبروا من خير الاخرة ان تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا
امنوا وما يصيرون اليه من النار فتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلي الله عليه وسلم قال من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون
والمومنات شفعا يوم القيامة حديث موضوع سورة الصف مدنية في قول الاكثرين
وذكر النحاس عن بن عباس انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدي وعشرون
كلمة وتسعماية حرف بسم الله الملك الاعظم الذي لا كفو له الرحمن الذي عم بفضله كل
احد من خلقه الرحيم الذي خص من شا من عباده فهياه لعبادته واهل سبح لله اي وقع
التنزيه الاعظم للملك الاعظم ما في السموات من جميع الاشيا من الملايكة وغيرها كالافلاك
والنجوم وما في الارض كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اي
نزه الله واتي بما دون من قال الجلال المحلي فقليبا للاكثر انتهي فان قيل ما الحكمة في انه
تعالي قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع وفي بعضها
سبح بلفظ الامر اجيب بان الحكمة في ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالي علي الدوام كما ان
الماضي يدل عليه في الماضي والزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والامر
يدل عليه في الحال فان قيل هلا قيل سبح لله ما في السموات والارض وما فيهما وهو

وكثر مبالغة اجيب بان المراد جهة العلو فيشمل السما وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل
الارض وما فيها وهو اي وحده العزيز اي الغالب علي غيره اي شي كان ذلك الغير ولا يمكن ان
يغلب عليه غيره الحكيم اي الذي يضع الاشيا في اتقن مواضعها روي الدارمي في مسنده قال
قال انبانا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيي بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله بن سلام
قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم الاعمال احب
الي الله تعالي لعملناه فانزل الله تعالي سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يايها
الذين امنوا اي ادعوا الايمان لم تقولون ما تفعلون حتي ختمها قال عبد الله فقراها علينا
رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي ختمها قال ابو سلمة قراها علينا عبد الله بن سلام حتي ختمها
قال يحيي فقراها علينا ابو سلمة فقراها عليه ابو يحيي فقراها علينا الاوزعي فقراها علينا محمد
فقراها علينا الدارمي انتهي ولي بقراتها سند متصل الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال عبد الله
ابن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الي الله تعالي لعملناه فلما نزل الجهاد
كرهوه وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو علمنا احب الاعمال الي الله تعالي لسارعنا
اليه فنزل هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها
بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالي عليهم بقوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية بترك الوفا وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالي نبيه
صلي الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا قتال لنفرغن
فيه وسعنا فغزوا يوم احد فعيرهم الله تعالي بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم
كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقيل قد اذي المسلمين رجل ونكي فيهم فقتله
وانتحله قتله اخر فقال عمر الصهيب اخبر النبي صلي الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته
لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابي يحيي قال نعم فنزلت في المنتحل
وقال بن زيد نزلت في المنافقين وندايهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وكانوا يقولون للنبي
صلي الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم
وتخلفوا وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم القرطبي هذه الاية توجب علي كل من الزمن نفسه
عملا فيه طاعة ان يفي به وفي صحيح مسلم عن ابي موسي انه بعث الي قرا اهل البصرة فدخل
عليه ثلثماية رجل قد قراوا القران فقال انتم خير اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن

عليكم

عليكم الامة فتقسي قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة فشبهها في الطول والشدة
ببراة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغا واديا ثالثا
ولا يملي جوف بني ادم الا التراب وكنا نقرا سورة فشبهها باحدي المسبحات فانسيتها غير اني
حفظت منها لو كان يايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فلبثت شهادة في اعناقكم
فتسالون عنها يوم القيامة قال بن العربي وهذا كله ثابت في الدين لفظا ومعني في هذه
السورة واما قوله شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة فمعني ذلك ثابت في الدين
فان من التزم شيا الزمه شرعا وقال القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقضي علي الناس
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الي ما انهاكم عنه يايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اتيت ليلة الاسري بي علي قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت
من هولا يا جبريل قال هولا خطبا امتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقراون كتاب الله
ولا يعملون تنبيه قوله تعالي لم تقولون ما لا تفعلون استفهام علي جهة الانكار والتو بيخ
علي ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل
يكون خلفا وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم لام الاضافة داخلة علي الاستفهامية كما
دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والي م وانما حذفنا الالف
لان ما والحرف كشي واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام السنتهم وقال جا استعمال الاصل
قليلا والوقف علي زيادة ها السكت والاسكان ومن اسكن في الوصل فلا جراية مجري
الوقف كما سمع ثلاثة اربعة بالها والها حركة الهمزة عليها محذوفة انتهي ووقف البزي
له بها السكت بخلاف عنه كبر اي عظم وقوله تعالي مقتا تمييز والمقت اشد البغض وزاد
في تشنيعه زيادة في التنفير منه بقوله تعالي عند الله اي الملك الاعظم الذي يحقر عنده
كل متعاظم وقيل ان كبر من امثلة التعجب وقد عده بن عصفور في التعجب المبوب له في النحو
فقال صيغة ما افعله وافعل به وكفعل نحو كرم الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من
افصح الكلام وابلغه في معناه قصه في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلب ناب
كليب بواوها ومعني التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب الا من شي
خارج عن نظايره واشكاله وقوله تعالي ان تقولوا اي عظم من تلك الجهة ان يقع

في وقت من الاوقات او حال من الاحوال قولكم ما لا تفعلون فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق
هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الي الجهاد في سبيل الله وابتغا
مرضاته بقوله تعالي ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي وفي هذه السورة بين
ما يحمل المومن ويحثه علي الجهاد بقوله تعالي ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال
يحب ان يفعل فعل المحب مع الذين يقاتلون اي يوقعون القتال في سبيله اي بسبب
تسهيل طريقه الموصوفة الي رضاه وقوله تعالي صفا اي مصطفين حتي كانهم في اتحاد المراد
علي قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصطفاف كالبدن الواحد كانهم من شدة التراص
والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في المركز بنيان وزاد في التاكيد بقوله تعالي
مرصوص اي ملزوق بعضه الي بعض ثابت كثبوت البنا وقال بن عباس يوضع الحجر علي
الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة المرصوص وقال
الرازي يجوز ان يكون المعني علي ان يستوي شانهم في حرب عدوهم حتي يكونوا في اجتماع
الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال القرطبي استدل بعضهم بهذه الاية
علي ان قتال الرجال افضل من قتال الفارس لان العرب لا يصطفون علي هذه الصفة
قال المهدي وذلك غير مستقيم لما جا في فضل الفارس من الاجر والقيمة ولا يخرج الفرسان
من معني الاية لان معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج من الصف ان قاومناهم
الا متحرفا لقتال كمن ينصرف ليكمن في موضع ويهجم او ينصرف من مضيق ليتبعه العدو
الي متسع سهل للقتال او متحيزا الي فئة ليستنجد بها ولو بعيدة قليلة او كثيرة فيجوز
انصرافه لقوله تعالي الا متحرفا لقتال وتجوز المبارزة لكافر لم يطلبها بلا كره وندب
لقوي اذن له الامام او نايبه لاقراره صلي الله عليه وسلم عليها وهي ظهور اثنين
من الصفين للقتال من البروز وهو الظهور فان طلبها كافر سنت للقوي الماذون له
للامر بها في خبر ابي داود ولان في تركها اضعافا لنا وتقوية لهم والا كرهت ولما
ذكر تعالي الجهاد ذكر قصة موسي وعيسي عليهما السلام تسليمة لنبيه صلي الله عليه
وسلم ليصبر علي اذي قومه مبتدا بقصة موسي عليه السلام لتقدمه فقال تعالي واذ اي واذكر
يا اشرف الخلق اذ قال موسي لقومه اي بني اسرايل وقوله يا قوم استعطاف لهم
واستنهاض الي رضي ربهم لم تؤذونني اي تحددون اذاي مع الاستمرار وذلك حين

رموه

رموه بالادرة كما مر في سورة الاحزاب ومن الاذي ما ذكر في قصة قارون انه دس الي امراة
تدعي علي موسي الفجور ومن الاذي قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ها هنا قاعدون وقولهم انت قتلت هارون وغير ذلك وقوله تعالي وقد
تعلمون جملة حالية اي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت يتجدد اسبابه بما
اتيتكم به من المعجزات والكتاب الحافظ لكم من الزيغ اني رسول الله الملك الاعظم الذي لا
كفو له اليكم ورسوله يعظم ويحترم لا انه تنتهك جلالته وتحترم وانا لا اقول لكم شيا الا عنه
ولا انطلق عن الهوي فلما زاغوا اي عدلوا عن الحق بمخالفة اي امر الله تعالي وبايذايه
وقرا حمزة بالامالة والباقون بالفتح ازاغ الله اي الملك الذي له الامر كله قلوبهم اي
امالها عن الهدي علي وفق ما قدره في الازل والله اي الذي له الحكمة البالغة لانه المستجمع
لصفات الكمال لا يهدي اي بالتوفيق بعد هداية البيان القوم الفاسقين اي الفريقين
في الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم علي الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا مثلهم
في العزايم فتساووهم في عقوبات الجرايم وهذا تنبيه علي عظم ايذا الرسل حين ان
اذاهم يودي الي الكفر وزيغ القلوب عن الهدي ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالي واذ اي
واذكر يا اشرف المرسلين اذ قال عيسي ووصفه بقوله بن مريم ليعلم انه من غير اب وثبتت
نبوته بالمعجزات يا بني اسرايل فذكرهم بما كانوا عليه ابوهم من الدين وما اوصي به نبيه
من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسي عليه السلام لانه لا اب له فيهم وان كانت
امه فيهم فان النسب انما هو من جهة الاب واكد لانكار بعضهم فقال اني رسول الله اي
الملك الاعظم اليكم اي لا الي غيركم مصدقا لما بين يدي اي قبلي من التوراة التي تعلمون ان
الله انزلها علي موسي عليه السلام وهي اول الكتب التي نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون
فتصديقي لها مع تاييدي بها مويد لان ما اقتنه من الدلايل حق ومبين انها دليلي فيما
لم انسخه منها كما يستدل باقدامه من الاعلام ويراعيه ببصره وقرا ابو عمرو وابن ذكوان
والكسايي بالامالة محضة وقرا حمزة ونافع بين بين بخلاف عنه عن قالون والباقون
بالفتح ومبشرا اي لحال تصديقي للتوراة برسول اي الي كل من شملته الربوبية ياتي
من بعدي اي يصدق بالتوراة فكانه قيل ما اسمه اسمه احمد والمعني ارسلت اليكم
في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني

الاديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه جمعا ممن تقدم وتاخر فان قيل بما انتصب
مصدقا ومبشرا اجبنا في الرسل من معني الرسالة تم باليكم اجيب بانه بعضي الارسال الان اليكم
صلة للرسل فلا يجوز ان يعمل شيا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بمن فيها من معني
الفعل فاذا وقعت صلة لم تتضمن معني فعل فمن اين تعمل وعن اكعب ان الحواريين قالوا
لعيسي يا رسول الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكما علما ابرارا اتقيا لانهم من الفقه
ايسا يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضي الله عنهم باليسير من الورع ومن العمل
وعن حبيش بن معطم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي وانا العاقب الذي
ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وروي انه صلي الله عليه وسلم قال اسمي في
التوراة احيد الاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور انا ماحي محي الله بي عبدة الاوثان
واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود في اهل السماء والارض بل ذكر بعض العلما
انه له الف اسم قال البغوي والالف في احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان احدهما
انها مبالغة من الفاعل اي ومعناه ان الانبيا كلهم محمودون لما فيهم من الخصال
وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها انتهي وعلي كلا
الوجهين منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه علي الاحتمال الاول يمتنع
معرفة ويصرف نكرة وعلي الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا
نكر بعد كونه علما جري فيه خلاف سيبويه والاخفش وهي مسيلمة مشهورة بين النحاة
واشد حسان بمدحه وصرفه صلي الاله ومن يحف بعرشه والطيبون علي المبارك احمد
احمد بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو علي معني محمود ولكن في معني المبالغة
والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم من المكرم مرة بعد مرة وكذلك
الممدح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالي سماه قبل ان يسمي به نفسه
فهذا علم من اعلم بنوته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا كما هدي اليه وتبع
به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معني الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمد احتي كان احمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد علي

اللام

الاسم الذي هو محمد فذكره عيسي فقال اسمه احمد وذكره عليه السلام حين قال له ربه
تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد قيا احمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان احمد
لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة
يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد
علي شفاعته فدل ذلك علي انه صلي الله عليه وسلم اشرف الانبيا فاتحا لهم وخاتما
عليهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون بالسكون وقوله
تعالي فلما جاءهم يحتمل ان يعود فيه الضمير لاحمد اي جا للكفار واقتصر علي ذلك
الجلال المحلي ويحتمل عوده لعيسي اي جا لبني اسرايل بالبينات اي من المعجزات
العظيمة التي لا يسوغ لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين قالوا اي عندنا
مجيبها من غير نظرة لتامل هذا اي الماتي به من البينات او الاتي علي المبالغة سحر
فكانوا اول كافر به لان هذا وصف لهم لازم سوا بلغهم ذلك ام لا مبين اي في غاية البيان في
سحريته وقراءة والكسائي بفتح السين وسكون الحا وهذه مناسبة للتفسير الاول ومن اي لا
احد اظلم اي اشد ظلما ممن افتري اي تعمد علي الله اي الملك الاعلي الكذب اي بنسبة الشريك
والولد اليه ووصف اياته بالسحر ووصف انبيايه بالسحر وهو اي والحال انه يدعي اي من
داع كان الي الاسلام اي الذي هو احسن الاشيا فان له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان
اجابته افتراء الكذب علي الله تعالي والله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه لا يهدي
القوم اي لا يخلق الهدايه في قلوب من فيهم قوة المجادلة للامور الصعاب الظالمين
اي الذين يخبطون في عقولهم خبط من هو في الظلام يريدون اي يوقعون ارادتهم
للرسالة بافواههم ليطفيوا اي لاجل ان يطفيوا نور الله اي الملك الذي لا شيي يكافيه
بافواههم اي مما يقولون من كذب لامتناله عن الافواه لانه لا اعتقاد له في القلوب تنبيه
الاطفا هو الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفرق
بين الاطفا يستعمل في القليل فيقال اطفات السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي هذه
اللام اوجه احدها انها تعليلية كما مر بيانها انها مزيدة في مفعول الارادة قال الزمخشري
اصله يريدون ان يطفوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة
توكيدا لما فيها من معني الارادة في قولك جيت لاكرمك كما زيدت اللام في لا ابا لك

يحوا عيانها واثارها كلها ويدخلكم اي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات اي بساتين تجري
من تحتها اي تحت اشجارها وغرفها وكل مكان فيها الانهار هي لانزال غضة زهرا ولم يجئ هذا
اسلوب الذي ذكر الخلود لاغناما بعد عنه ودل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى
الجمع ومساكن طيبة روي الحسن قال سالت عمر بن حصين واباهريرة عن قوله تعالى ومساكن
طيبة فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لولوة في الجنة
في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل
بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور
العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون
وصيفا او وصيفة فيعطى الله المومن من القوة لواحد ما باتي على ذلك كله في جنات عدن
اي بساتين هي اهل للاقامة بها لايحتاج في اصلاحها الى شيء شاذ يحتاج في تحصيله الى الخروج
عنها قال خرمة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي اي جنات عدن قصبة الجنان ومدينة
الجنة اقربها الى العرش ذلك اي الامر العظيم جدا الفوز العظيم اي السعادة الدائمة الكثيرة
واصل الفوز الظفر بالمطلوب ولما ذكر تعالى ما انعم به عليهم في الاخرة بشرهم بنعمة في الدنيا
بقوله تعالى واخرى تحبونها اي ولكم الى هذه النعمة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها
تعريض بانهم يوثرون العاجل على الاجل وقوله تعالى نصر من الله اي الذي احاطت عظمته
بكل شيء خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر من الله وفتح قريب اي غنيمة
في عاجل الدنيا قبل فتح مكة قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس
والروم وقوله تعالى وبشر المومنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشرا
وعلى يومنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المومنون وبشرهم يا
اشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك كونوا اي
بغاية جهدكم انصار الله اي لدينه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا بالتنوين وجر اللام
من الاسم الجليل وترقيقها والباقون بغير تنوين وتفخيم اللام كما اي كونوا لاجل اني
نديتكم انا بقولي من غير واسطة ولذرتكم بخطابي مثل ما كان الحواريون انصار الله
حين قال عيسى بن مريم حين ارسلته الى بني اسرايل ياسخا شريعة موسى عليه السلام للحوا ريين
اي خلص اصحابه وخاصتهم منهم من انصاري الى الله اي المحيط بكل شيء اي انصر واديني الله

مثل

مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري الى الله اي من ينصرني مع
الله تعالى قال الحواريون معناه اي انهم جاروني في ذلك جدا لامزيد عليه لعلمهم ان
اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله تعالى نحن اي ياجمعنا
وكانوا اثنا عشر رجلا وهم اول من امن بعيسى انصار الله اي الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا
ولو كان عدونا على اهل الارض والمكان التقدير يوم دعوا من خالفهم من بني اسرايل وبارزهم بسبب
عنه قوله تعالى فامنت اي به طايفة اي ناس فيهم اهل الاستدارة لها لهم من الكثرة من
بني اسرايل قومه وكفرت طايفة اي منهم واصل الطايفة القطعة من الشيء وذلك انه
لما وقع تغرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه
اليه وفرقة كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المومنون واتبع كل فرقة طايفة
من الناس واقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
وظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا اي قوينا بقدرة رفع عيسى
عليه السلام الذين امنوا اي اقروا بالايمان المخلص على عدوهم اي الذين عادوهم لاجل
ايمانهم فاصبحوا اي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ظاهرين اي عالين غالبين قاهرين
في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستحقون منه وروي المغيرة عن ابراهيم
قال فاصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراسورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه
حديث موضوع سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية ومايتان وثمانون كلمة
وسبعمايتة وعشرون حرفا روي مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب الاول من قبلنا
واتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا
يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له وقال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد
غد للنصارى بسم الله الذي احاط علمه بكل معلوم فتم بيانه الرحمن الذي تمت نعمة
بيانه فهو العظيم شانه الرحيم الذي خص حزبه بالتوفيق فثبت عندهم حبه وايمانه

تاكيد المعني الاضافة في لا ابالك قال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطاء عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر يهود هو
استبشروا فقد اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى هذا الاية واتصل الوحي بعدها واختلف في المراد بالنور فقال ابن
عباس هو القران اي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي الاسلام اي يريدون
دفعه بالكلام وقال الضحاك انه صلى الله عليه وسلم اي يريدون هلاكه بالاراجيف وقال
ابن جريج حجج الله تعالى ودلايله يريدون ابطالها باذكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب
اي من اراد اطفا نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد اطفا الحق والله اي
الذي لا مدافع له لتمام عظمته متم نوره فلا يضره ستر احد له بتكذيبه ولا ارادة اطفايه
وزاد ذلك بقوله تعالى ولو كره اي اتمامه له الكافرون اي الراسخون في جهة الكفر المجتهدون
في المحاماة عنه هو اي الذي ثبت انه جامع لصفات الكمال وحده من غير ان يكون له شريك
او وزير الذي ارسل رسوله اي الحقيق بان يعظمه كل من بلغه امره لان عظمته من عظمته
ولم يذكر حرف الغاية اشارة الي عموم الارسال اي كل من شمله الملك كما مضي بالهدي اي
البيان الثاني بالقران او المعجزة ودين الحق اي والملة الحنيفية ليظهره اي يعليه مع
الشهرة وازالة المنازع على الدين اي جنس الشريعة التي جعل ليجازي من يسلكها ومن يزيغ
عنها بما يشرع فيها من الاحكام كله فلا يبقي دين الا كان دونه والحق به وذل اهله اذلا
لا يقاس به ذل ولو كره اي اظهاره المشركون المعاندون في كونهم الراسخون في تلك
المعاندة فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة
في ذلك اجيب بانه تعالى ارسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم في كفران النعم
سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرون
هنا اليهود والنصاري والمشركون فلفظ الكافر ليبق به واما قوله تعالى ولو كره المشر
كون فذاك عن انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم في ابتدا
الدعوة امرا بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوها فلهذا قال ولو كره المشركون و
اختلف في نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان هل ادلكم اي وانا المحيط
علما وقدرة فهو ايجاب في المعني ذكر بلفظ الاستفهام تشويقا ليكون اوقع في النفس

على تجارة تنجيكم من عذاب اليم اي مولم فقال معاذ نزلت في عثمان بن مظعون قال
يا رسول الله لو اذنت لي طلقت خوله وترهبت واخصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا
ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى الله عليه السلام ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام
انا رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصاء امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله
لوددت يا رسول الله اي التجارات احب الي الله ان الله نبهني من المؤمنين انفسهم
واموالهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل نزل هذا حيي قالوا لو نعلم اي الاعمال
احب الي الله تعالى لعملنا بها قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها
رضي الله تعالى ونيل جنته والنجاة من النار وقرا ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم
والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك التجارة بقوله تعالى تؤمنون
اي تدومون على الايمان بالله الذي له جميع صفات الكمال وعلى هذا فلا ينافي ذلك قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا وقيل المراد من هذه الاية المنافقون وهم الذين امنوا في الظا
هر وقيل اهل الكتاب وهم اليهود والنصاري فانهم امنوا بالكتب المتقدمة ورسوله الذي
تصديقه اية الاذعان للعبودية وتجاهدون بيانا لصحة ايمانكم على سبيل التجديد
والاستمرار في سبيل الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لغيره باموالكم وانفسكم وقدم الاول
لعزتها في ذلك الزمان ولانها قوام الانفس فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها
وقال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا بها في الانفاق ذلكم اي الامر العظيم من الايمان
وتصديقه بالجهاد خير لكم اي اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كان يمكن ان يتجدد
لكم علم في وقت فانتم تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم انه خير فبادروا عليه فكان لكم امر
عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا ترجا لصلاحه فصلوا على انفسكم صلاة الموتى وقوله
تعالى يغفر لكم فيه اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعني الامر اي امنوا وجاهدوا
والثاني انه مجزوم بشرط على جواب الاستفهام كما قاله الفراء والثالث انه مجزوم بشرط مقدر
اي ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام
فان الراء متكرر وقوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوي لا يدغم في الاضعف انتهي
وتقدم في اخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي وردد عليهما ذنوبكم اي

يسبح اي يوقع التنزيه الاعظم الاجمل لله اي الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما ما في السموات
اي من جميع الاشياء من الملايكة وغيرها كالافلاك والنجوم وما في الارض كذلك من الادميين
وغيرهم من الشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اي ينزه الله واتى بما دون من قال الجلال المحلي تغليبا للاكثر
ويحتمل ان يكون المراد بالسماوات العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض
وما فيها الملك اي الذي ثبت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا صحيح
ظاهر القدوس اي المنزه عما لا يليق به وعن احاطة احد من الخلق الا التردد في شهود افعاله
والتدبير لمفاهيم نعوته وجلاله واحقهم بالقرب والعداد في حزبه المخلوق باوصافه علي
قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل ويبني شيأ من اموره علي غير احكام
العزيز اي الذي يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ الحكيم اي الذي يوقع كلما اراد في احكم مواقعه واتمها
واتقنها هو اي وحده الذي بعث في الاميين اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون والامي
من لا يقرأ ولا يكتب رسولا منهم اي من جملتهم اميا مثلهم وهو محمد صلي الله عليه وسلم وما من حي من العرب
الا وله صلي الله عليه وسلم منهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحاق الا بني ثعلب فان الله تعالي طهر
نبيه صلي الله عليه وسلم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلي الله عليه
وسلم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير تطلب فكانت اتاء البشرية عنه مندرسة وانوار
الحقايق عليه لائحة وذلك ليلا يتوهم الافتقار الي الاستعانة بالكتب لان شأنه لحال
من بعث فيهم اقرب الي مساواتهم له لو اسكنهم فيكون معني عدم امكان المساواة ادل علي الاعجاز
وبعثه الي العرب لا يبقي بعثه الي غيرهم لا سيما مع ما ورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر
موضع البعث وابتداه فتكون الغاية مطلقة فتقديرها الي عامة الخلق يتلوا اي يقرأ قراءة يتبع
بعضها بعضا علي وجه الكثرة والعلو والرفعة عليهم مع كونهم اميا مثلهم اياته اي اياتهم
بها علي سبيل التجدد والمواصلة وهي القرآن الذي عجز الجن والانس ان يأتوا بسورة من مثله
ويزكيهم ان يطهرهم من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقايد الزايغة فكانت تزكية لهم
مدة حياته بنظره الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الي الانسان نظرة محبة
فزكاه الله تعالي بها بحسب القابليات والامور التي قضي الله تعالي ان تكون مهيات فكان
له اعشق فكانه لاتباعه الروم فكان في كتاب الله وسنة ارسخ ويعلمهم الكتاب اي القرآن
المشتمل علي الجامع لكل خير دنيوي ودنيوي في الاولي والاخري والحكمة وهي غاية الحكم للكتاب

في قوة

في قوة فهمه والعمل به فهي العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب هو القرآن والحكمة
السنة وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما فشا في العرب بالشرع لما امروا بالتقييد
بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وان اي والحال انهم كانوا اي كونا هو كالجبلة
لهم من قبل اي قبل ارساله اليهم لفي ضلال اي بعد عن المقصود مبين اي ظاهر في نفسه مناد
لغير انه ضلال باعتقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم انهم علي شئ وعموم الجهل لهم ورضاهم
به واختيارهم له وقوله تعالي واخرين منهم فيه وجهان احدهما انه مجرور عطفا علي الاميين
اي وبعث في اخرين من الاميين اي الموجودين والاتين منهم بعدهم لما اي لم يلحقوا بهم في البالغة
والفضل والثاني انه منصوب عطفا علي الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم اخرين لما يلحقوا
بهم وسيلحقون بهم كل من تعلم شريعة محمد صلي الله عليه وسلم الي اخر الزمان فرسول الله
صلي الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم فتنبيه الذين لم
يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا في زمنهم ويستجيبون بعدهم قال ابن عمرو سعيد بن جبير هم العجم
وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلي الله عليه وسلم اذ نزلت عليه
سورة الجمعة فلما قرأ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه
النبي صلي الله عليه وسلم حتي سأله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال
فوضع النبي صلي الله عليه وسلم يده علي سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجل
من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس حتي تناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث
فيهم محمد صلي الله عليه وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلي
الله عليه وسلم الي يوم القيمة وروي سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلي الله عليه وسلم ان
في اصلاب امتي رجالا ونسايدخلون الجنة بغير حساب ثم تلي واخرين لما يلحقوا بهم
قال ابن عادل والقول الاول اثبت وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال رايتني استقي
غنما سوداء ثم ابقعها غنما عفرا اولها يا ابا بكر اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك
بعد العرب فقال النبي صلي الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن
ليلي عن رجل من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب وهو اي والحال انه
وحده العزيز اي الذي يقدر علي كل ما اراده ولا يغلبه شئ وهو يزكي من يأويه ما اراد

من اي طايفة كان ولو كان اجهل تلك الطايفة لان الاشيا كلها بيده الحكيم فهو اذا اراد شيا
موافقا لشرعه وامره جعله على اتقن الوجوه واوثقها فلا يستطاع نقضه وبهما اراده فكيف كان
فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه وبالجملة هذا امر اباهر اعظمه بقوله تعالى على وجه
الاستشهاد من قدرته ذلك الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين
بعد ان كان الوف اتباعا لاوزان لهم عند غيرهم من الطوايف فضل الله اي الذي له جميع صفات
الكمال والفضل يعني الاسلام فضل الله يوتيه من يشا وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه
المال سئل في الطاعة لما روي ابو صالح عن ابي هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقال
وما ذاك فقال يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويصدقون ولا نتصدق ويعتقون
ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيا تدركون به من سبقكم وتسبقون
به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال
تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقرا
المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا
مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقيل انه انقياد الناس
الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته والله الملك المحيط بكل شيء قدرة
وعلما ذو الفضل العظيم ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يوفوا بحمد صلى الله عليه وسلم ضرب
الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا والزموا حمل الكتاب الذي
اتاه الله تعالى لنبي اسرايل على لسان موسى عليه السلام بان علمهم اياها سبحانه وكلهم حفظ
الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها واحكامها عن
الاهمال والتضييع ثم لم يحملوها بان حملوا الفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع
عيسى عليه السلام اذا جاهم ثم محمد صلى الله عليه وسلم اذا جا نهى خاصة لهم بشهادتها عليهم
فاذن لهم في النار من غير تبع اصلا كمثل اي مثل مثل الحمار اي الذي ابله الحيوان فهو مثله
في الغباوة حال كونه يحمل اسفارا اي كتب كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير
المسفر عما فيه في عدم الانتفاع بها لانه يمشي ولا يدري منها الا ما يمر بجانبيه وظهره من
الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر ذو امل للاشعار

لا علم عندهم يجدها الا علم الاباعوه لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باحماله او راح ما في الغرائر
من انشاد الشيخ ابن الخباز بيس مثل القوم اي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون الذين
كذبوا اي عمدا على علم بايات الله اي دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم و
المخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل والله اي الذي له صفات الكمال لا يهدي القوم اي لا
يخلق الهداية في قلوب الذين تعلوا الزيغ الظالمين اي الذين تعمدوا الظلم بمناداة الهدى
الذي هو البيان الذي لم يزغ بساحتي صار الظلم لهم صفة راسخة ولما ادعت اليهود الفضيلة
وقالوا نحن ابنا الله واحباوه نزل قوله تعالى قل يا اشرف الرسل يا ايها الذين هادوا اي تدينوا
باليهودية ان زعمتم اي قلتم قولا هو موضع للتكذيب ولذلك كذبتموا انكم اولياء لله اي الملك
الاعلى الذي لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتداه من دون اي ادنى رتبة من رتب
الناس فلم تتعد الولاية تلك الرتبة الدنيا الى احد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه اهلية
الحركة لا سيما الاميين فتمنوا الموت واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من دار البلا الى محل
الكرامة والا لاذكنتم اي كونا راسخين صادقين اي غريقين عند انفسكم في الصدق فان
من علامات المحبة الاستباق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان في كرد وكاد له وفي قد
وعد عند الوصول اليه الراحة التي لا يشوبها ضرر تمنى النقلة الى وليه روي انه صلى الله عليه
وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص برقبته فلم يمتلها منهم احد علما منهم
بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يوفوا عنادا منهم ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم لا يتمنوه
في المستقبل ايضا بقوله تعالى ولا يتمنونه اي في المستقبل ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما
قدموا من الكفر والمعاصي التي احاطت بهم فلم تدع لهم حظا في الاخرة تنبيه قال تعالى هاهنا ولا
يتمنونه وفي البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كلا منهما تنفي للمستقبل
الا ان في لن تاكيدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بنفي لفظه ولا يتمنونه
قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب
الجماعة وهي انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشويكه
بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى اخر ودعواهم الولاية الى التوسل الى
المحبة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل ان الدنيا ليست خالصة للاولياء المحقق لهم الولاية
بل البر والفاجر يشتركون فيها والله اي الذي له الاحاطة بكل شيء قدرة وعلما عليم اي بالغ العلم

محيط بهم هكذا لان الاصل ولكنه تعالي قال بالظالمين تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعني
انه عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم علي ظلمهم قل اي لهاولا
يا اشرف الرسل ان الموت الذي تفرون منه بالكف عن التمني فانه ملاقيكم اي لا تفوتونه
لاحق بكم تنبيه في هذه الوفا وجهان احدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معني الشرط
وحكم الموصوفون بالموصول حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وهنا
قال فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة علي انه لا ينفع الفرار منه الثاني انها مزيدة محضة لا
للمتضمن المذكور ولما كان الحبس في البرزخ امرا لا بد منه فهو لا نبه عليه وعلي طوله باداة التراخي
فقال تعالي ثم تردون الي عالم الغيب اي السر والشهادة اي العلانية او كلما غاب عن الخلق
وكلما شوهد فينبيكم اي يخبركم اخبارا عظيما مستقصي مستوفي بما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة
تعملون اي بكل جزا منه بما برز الي الخارج وبما كان في جبلاتكم ولو بقيتم لقتلتموه ليجازيكم
يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان اذا نودي اي من اي مناد كان من اهل الندا
للصلاة اي صلاة الجمعة من اي في يوم الجمعة كقوله تعالي اروني ماذا خلقوا من الارض
اي في الارض والمراد بهذا الندا الاذان عند قعود الامام علي المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المنبر اذان بلال وعن السايب بن يزيد قال كان الندا يوم
الجمعة اوله اذا جلس الامام علي المنبر علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
قال كان عثمان وكثر الناس زاد الندا الثاني علي الدور زاد في رواية فثبت الامر علي ذلك وعن
ابي داوود قال كان يوذن بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ جلس يوم الجمعة علي المنبر
علي باب المسجد فاذا نزل اقام للصلاة ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة علي ذلك حتي كان
عثمان وكثرة الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا اخر فامر بالتاذين الاول علي داره التي تسمي
زورا فاذا سمعوا اقبلوا حتي اذا جلس عثمان علي المنبر اذن الاذان الثاني الذي كان علي
زمن النبي صلي الله عليه وسلم فاذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه لقوله صلي الله
عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين من بعدي قال الماوردي اما الاذان
الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لسماع الخطبة عند اتساع المدينة
وكثرة اهلها وكان عمر امر ان يوذن في السوق قبل المسجد فجعله عثمان اذانين في
المسجد قال بن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذن كان علي عهد رسول الله صلي الله عليه
وسلم

وسلم
واحد فلما كان زمن عثمان زاد الندا الثالث علي الزور او سماه في الحديث ثالثا لانه اضافه
الي الاقامة كقوله صلي الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شا يعني الاذان والاقامة
وتوهم بعض الناس انه اذان اصلي فجعلوا الموذنين ثلاثة قال بن عادل فكان وهما جمعوهم
في وقت واحد فكان وهما علي وهم واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله
تعالي جمع فيه خلق ادم عليه السلام روي مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه اهبط وفيه مات وفيه
تيب عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وروي انه صلي الله عليه وسلم قال اتاني
جبريل وفي كفه مراة بيضا وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون ذلك عيدا ولامتك
من بعدك وهو سيد الايام ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد ومنهم من قال لان الله تعالي فرغ
من الاشيا فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات للصلاة وقيل اول
من سمي هذا اليوم جمعة كعب بن لوي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي وكان
اول من سمي الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن بن سيرين قال جمع اهل المدينة
قبل ان يقدم النبي صلي الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة
وقيل ان الانصار وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصاري
مثل ذلك فهلموا نجعل لنا نجمع فيه فنذكر الله تعالي ونصلي فقال يوم السبت لليهود
ويوم الاحد للنصاري فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الي اسعد بن زراره فصلي بهم
يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم انزل الله تعالي اية الجمعة
فهي اول جمعة كانت في الاسلام وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه كعب انه
كان اذا سمع الندا يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زراره فقلت له اذا سمعت الندا ترحمت
لاسعد بن زراره قال لانه اول من جمع بنا في هزم البيت من حرة بني بياضة في نقيع
يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داوود واما
اول جمعة جمعها النبي صلي الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير لما قدم النبي صلي الله عليه
وسلم مهاجرا نزل قبا علي بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر
ربيع الاول حين اشتدي الضحي ومن تلك السنة بعد التاريخ فاقام بها الي يوم الخميس
واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم

ابن عوف في بطن وادهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة
خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره
واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدي ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم
وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو الساعة وقرب من الاجل من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرض وضل ضلالا بعيدا اوصيكم
بتقوى الله واحذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل وخافة من
ربه عنوان صدق ما يبقون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبينه الله من امره
في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت
حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا و
يحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك
فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله
في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد
فاز فوزا عظيما وان تقوى الله يبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا
بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه واوضح لكم سبله ليعلم الذين
صدقوا ويعلم الكاذبين واحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت
فانه من يصلح ما بينه وما بين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله
يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد ابطل الله تعالى قول اليهود في ثلاثة
اتخذوا انهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم
اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم شبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالبت والله لبين للمسلمين
مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة تنبيها سمي الله تعالى الجمعة ذكر الله قال ابو حنيفة تقصر
الخطبة على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد

المنبر

المنبر فقال الحمد فاثنى عليه فقال انا بابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام
فقال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه
احد وعند صاحبته والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة ولها اركان وشروط مذكورة في الفقه
فان قيل كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسوله والثناء عليه
وعلى خلفائه الراشدين واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا
ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من
ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صه فقد لغا فلا يكون الخطب المتعالي
في ذلك لانها نعوذ بالله من غربة الاسلام وتكدر الايام وقد خاطب الله تعالى المومنين بالجمعة
دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله
تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وفرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة الجمعة ها هنا
معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم بالاجماع من نفس اللفظ بنكتة
وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم وهو نداء تلك الصلاة
واما غيرها فهو عام في سايرة الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته
اليها معنى فلا فايدة واختلفوا في معنى قوله تعالى فاسعوا اي لتكونوا اولياء الله ولا تسعوا
في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي
العمل لقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت
الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن ايتوها تمشون وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا
وما فاتكم فاتموا واختلفوا ايضا في معنى قوله تعالى الى ذكر الله اي الملك الاعظم فقال سعيد بن
المسيب هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكور بالملك الاعظم من القطع عن خدمته
هلك ولما امر بالمبادرة الى تجارة الاخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تفوت عن الجمعة
وذروا البيع اي اتركوا البيع والشرا لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشرا
عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع
والشرا وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس
من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واختصاص

الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالي الضحي ودني وقت الظهرة وح تتخذ التجارة وتتكاثر البيع والشرا
فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الي المسجد قيل بادروا تجارة الاخرة
واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الي ذكر الله ذلكم اي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال
بالدنيا خير لكم لان الامر الذي امركم به الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم في اديانكم وابدانكم
واموالكم وبيده اسعادكم واشقاوكم فان قيل اذا كان البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد اجيب
بان عامة العلما علي ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه
من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بما مغصوب
وعن بعض الناس انه فاسد وزاد في الحث عن ذلك بقوله تعالي ان كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعلمون
ان يتجدد لكم علم في يوم الايام فانتم تدرون خيرا فاذا علمتموه خيرا اقبلتم عليه فكان ذلك خيرا
لكم وصلاة الجمعة فرض عين تجب علي كل من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والا
قامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقها ومن تركها استحق الوعيد قال صلي الله عليه وسلم لينتهين
اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله تعالي علي قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروي انه صلي الله
عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا طبع الله تعالي علي قلبه قال بن عادل ونقل عن بعض
الشافعية ان الجمعة فرض علي الكفاية اما من به عذر يعذر به في ترك الجماعة بما يتصور هنا فلا
تجب عليه وتجب علي اعمي وجد قايدا وشيخا هرما وزمنا وجدا مركبا لا يشق ركوبه عليهما واختلف
اهل العلم لما يوضع اقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وفي المسافة التي يجب ان يوتي
منها فذهب قوم الي ان كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة
الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عمرو وبن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحاق قالوا
لا تنعقد باربعة والوالي شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوفاعي وابو يوسف تنعقد
بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور تنعقد باثنين كساير الصلوات وقال شعبة تنعقد
باثنين كصلاة كساير الصلوات وقال شعبة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب علي اهل البوادي
الا اذا سمعوا الندا من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم
وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان يبلغهم ندا موذن جهوري الصوت في وقت تكون الا
صوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب علي هذا القدر يجب علي
اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة علي من اواه المبيت قال الزهري تجب علي من

كان

كان علي ستة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة علي اهل البوادي سوا كانت القرية قريبة ام بعيد
دليل الشافعي ومن وافقه ما روي البخاري عن بن عباس ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد
رسول الله صلي الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داوود ونحوه وفيه
بجواثا قرية من قري البحرين تنبيه فضل يوم الجمعة مشهور واحاديثه كثيرة مشهورة تقدم
بعضها ومنها ان لله في كل جمعة ستماية عتيق من النار وعن كعب ان الله تعالي فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلي الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله
له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملايكة علي ابواب المساجد
بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول علي مراتبهم قال الزمخشري وكانت الطر قات
في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مقتضة بالمبكرين الي الجمعة يمشوح بالسرج وقيل اول
بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الي الجمعة وعن بن مسعود انه بكر فراي ثلاثة نفر
سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك رابع اربعة بسعيد وعن ابي هريرة ان
النبي صلي الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة اي مثل غسلها ثم راح في الساعة
الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في
الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج
الامام حضرت الملايكة يسمعون الذكر وروي النساي والخامسة كالذي يهدي عصفورا و
في السادسة بيضة فمن جا في اول ساعة منها لكن بدنة الاول اكمل من بدنة الاخر وبدنة
المتوسط متوسطة وهذا في حق غير الامام اما هو فسن له التاخير الي وقت الخطبة اتباعا
للنبي صلي الله عليه وسلم وخلفايه ويسن اكثار الدعا يومها وليلتها اما يومها فلرجا ان
يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة حقيقة وارجاها من جلوس الخطيب الي اخر الصلاة
كما في خبر مسلم قال النووي واما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة لا يوجد مسلم يسال الله حاجة
الا اعطاه اياه فالتمسوها اخر ساعة بعد العصر فيحتمل ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما
وفي وقت ويوما في اخر كما هو المختار في ليلة القدر واما ليلتها فبالقياس علي يومها وقد
قال الشافعي بلغني ان الدعا يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلاة علي النبي صلي
الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثروا علي من الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلي
علي صلاة واحدة صلي الله عليه بها عشرا واكثار قراة سورة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرا سورة الكهف

ليلة الجمعة اضاله من النور ما بينه وبين البيت العتيق وحشر من قراها يوم الجمعة اضاله
له من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما حث على الصلاة وارشد الى ان وقتها
لا يصلح لطلب شيء غيرها بين لهم وقت المعاش بقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة اي وقع
الفراغ منها على اي وجه كان فانتشروا اي فدبوا وتفرغوا مجتهدين في ذلك في الارض
اي جميعها للتجارة والتصرف في حوايجكم ان شيتم لاجناح عليكم ولا حرج رخصة من الله
تعالى لكم وابتغوا اي اطلبوا الرزق من فضل الله اي الذي بيده كل شيء ولا شيء لغيره
وهذا امر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقال ابن عباس ان شيت فاخرج
وان شيت فاقعد وان شيت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن
لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول
وابتغوا من فضله هو طلب العلم واذكروا الله اي الذي له الامر كله كثيرا اي بحيث لا تغفلون
عنه بقلوبكم اصلا ولا بالسنتكم حتى عند الدخول الخلا وعند الجماع واستثنى من الثاني
وقت التلبس بالقذر لوقت قضاء الحاجة والجماع تفلحون اي تفوزون بالجنة والنظر الى وجهه
الكريم وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة
فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا
فيهم فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة اي حمولا هي موضع للتجارة او لهوا اي يلهى عن كل نافع
انفضوا اي تفرقوا منصرفين من الجملة اليها اي من التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو
وابيض العطف بالواو فافراد الضمير اولي وقال الزمخشري تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا
اليها او لهوا انفضوا اليها فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان
الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن فجاعة وغلا سعر وكان معه
جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عن اجار الزيت وضرب الطبل
ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال
ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وابو مالك
اصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام
والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا
اليه فلما لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية فقال

صلى الله

صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد لسال بكم الوادي نارا
وقال مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم
الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة
عاتق الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند
احجار الزيت وكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج
اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قايم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثني عشر
رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولا لرميت عليهم الحجارة من السما
وانزل الله تعالى هذه الاية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدموا المدينة
استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة سيل عبد الله اكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب قايما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك قايما وعن جابر بن عبد الله قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قايما يفصل بينهما بجلوس وذكر
ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا
خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني
بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الجمعة قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد
صلى الجمعة فدخل رجل فقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه
اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله تعالى
هذه الاية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة مكان لا يخرج
احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه
التي يلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين
من تثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام
رجل من المنافقين الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينتقل من وجه ثابت فالظن
الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا

انهم فعلوه ثلاث مرات عيي تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم
دحية بتجارته وظنهم اني العير تمر لهو لا فايدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه
ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر
ونزل فيه القران وتجيينه باسم اللهو ما نزل وقوله تعالى وتركوك اي تخطب حتى بقيتي في اثني
عشر رجلا قال جابر انا احدهم وقوله تعالى قايما جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة
عند بعضهم تنبيه في قوله تعالى قايما تنبيه على مشروعيته في الخطبتين وهو من الشروط
للقادر على القيام اما اذا كانا خمسة حمد الله تعالى وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
بلفظ ووصية بتقوى الله وحث الثلاثة في كل من الخطبتين وقراة اية سفهمة ولو في احدها
والاولى اولى ودعا للمومنين في ثانية ومن الشروط كونهما عربيتين وكونهما في الوقت وولا
وطهر وستر كالصلاة قل يا اشرف الخلق للمومنين ما عند الله اي المحيط بجميع صفات الكمال
خير ما موصولة مبتدا وخبر خبرها من اللهو ومن التجارة والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب
صلاتكم خير من لذة لهوكم وفايدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير
مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم والله اي ذو الجلال والاكرام وحده خير الرازقين اي
خير من رزق فاطلبوا منه فاطلبوا واستقيموا باطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا
والاخرة وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها من انصاف
المسلمين حديث موضوع سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية وماية
وثمانون كلمة وسبعماية وست وسبعون حرفا بسم الله الذي له الاحاطة العظمى علما
وقدرة الرحمن الذي ستر بعموم رحمته من اراد بعباده الرحيم الذي وفق اهل وده لما يحبه
ويرضاه اذا جاءك يا ايها الرسول المبشر بك في التوراة والانجيل وقراحزة وابن ذكوان
بالامالة والباقون بالفتح واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها
الفا مع المد والقصر المنافقون اي المرتبون في وصف النفاق وهم عبد الله ابن ابي بن سلول
واصحابه قالوا موكدين لاجل استشعارهم لتكذيبهم من سمعهم لما عندهم من الارتياب
نشهد قال الحسن هو بمنزلة يميني كانهم قالوا نقسم انك لرسول الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة فوافقوا الحق بظاهر احوالهم وخالفوا بقلوبهم وافعالهم وقوله تعالى والله يعلم

اي وعلمه

اي وعلمه هو العلم في الحقيقة واكد سبحانه بحسب الكاذبين المنافقين فقال تعالى انك لرسوله سوا
اشهد المنافقون بذلك ام لا فالشهادة بذلك حق عن بطابق لسانه قلبه جملة معترضة بين
قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله تعالى والله يشهد لفايدة قال الزمخشري لو قال
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب
فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام والله اي المحيط بجميع صفات
الكمال يشهد شهادة هي الشهادة لانها محيطة بدقايق الظاهر والباطن ان المنافقين
اي الراسخين في وصف النفاق لكاذبون اي في اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون
لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره
بباطنه وسره بعلانيته وهي تخالف ذلك فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد
انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم اي كلها
من شهادتهم وكل يمين سواها جنة اي سترة عن اموالهم ودمايهم روى البخاري عن زيد
ابن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا وقال لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك
لعمي فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الي عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز
وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبدر الماء وكان الاعراب يسبقونا
فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه
قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فاوخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع
حجرا فناصل الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله ابن
ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا
بالطعام فليكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لين رجعنا الى المدينة ليخرجن

الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جراتهم ما لم يقع علي احد قال فبينما انا اسير مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت راسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعرك اذني وضحك في وجهي فكان يبشرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني
فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيا الا انه عرك في اذني وضحك
في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروي انه صلى الله
عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ما لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الما
جهجاه بن سعيد اخبر لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا
فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان للانصار فاعان جهجاه جعال من فقر المهاجرين
ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال من فقر المهاجرين وانت هناك وقال ما صحبنا محمد الا
لنطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القايل ممن كليك ياكلك اما والله لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو
امسكتم عن جعال وذوية فضل الطعام لم يكسروا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا
تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله
الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عزم من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله
امسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق
هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن توعد انوف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان
يقتله مهاجري فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب
ما قلت شيا من ذلك وان زيدا الكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون
يا رسول الله شيخنا على ما هو اكبر الكباير على وجه النفاق فهم اي فتسبب عن ذلك انهم
لا يفقهون اي لا يقع لهم فقه في شي من الاشيا فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا خفا

من باطل

من باطل واذا رايتهم اي ايها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة او ايها الراي كاينا
من كان بعين البصر تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها فان عنايتهم كلها بصلاح ظواهرهم
وترفيه انفسهم فهم اشباح وقوالب ليس وراها الباب وحقايق قال ابن عباس كان بن ابي
جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤسا المدينة
وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة
الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم وان يقولوا ان يوجد
منهم قول في وقت من الاوقات تسمع لقولهم اي لفصاحته فيلذ السمع ويروق الفكر
كانهم اي في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفي عدم الانتفاع بهم في شي خشب جمع كثرة
لخشبة وهو دليل على كثرتهم مسندة اي قطعت من مغارسها مماله الى الجدار وقرا ابو عمرو والكسائي
بسكون الشين والباقون بضمها يحسبون اي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما
يباشرون من سوء اعمالهم كل صيحة اي من ندا مناد في انشاد ضالة او انفلات دابة
او نحو ذلك واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلسهم لما في قلوبهم من الرعب انه ينزل فيهم
ما يسيح دماهم ومنه اخذ الاخطل ما زلت تحبس كل شي بعدهم خيلا تكر عليهم وجلا ومنه
قول الاخر كان بلاد الله وهي عريضة على الخايف المطلوب كفه حابل يخال اليه ان كل ثنية
تيممها ترمي اليه بقاتل هم العدو اي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على
الجمع اشارة الى انهم في شدة عداوتهم للاسلام واهله وكماله قصدهم وشدة سعيهم فيه
على قلب واحد وان اظهروا التودد في الكلام والتقرب به الى اهل الاسلام فان السنتهم
معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدايكم فهم عيون لهم عليكم فاحذرهم لان اعدا
عدوك من يعاشرك وتحت ضلوعه المدالكته يكون بلطف الله دايم الخذلان منكوسا في
اكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لسر قوله تعالى قاتلهم الله اي اضلهم الملك المحيط قدرة و
علما محل من يقاتله عدو قاهر له اشد مقاتلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين
وقال بن عباس اي لعنهم الله وقال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله
الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب اني اي كيف ومن اي جهة يوفكون اي يصرفهم عن قبح
ما هم عليه صارف ما كاين وقال مقاتل اي يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن
الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلايل وهو من الافك

واذا قيل لهم اي من اي قايل كان تعالوا اي ارفعوا انفسكم مجتهدين في ذلك بالمجي الي اشرف
الخلق الذي لا يزال مكانه عاليا كعلو مكانته يستغفر لكم اي يطلب الغفران لاجلكم خاصة من
اجل هذا الكذب اي الذي انتم مصرون عليه رسول الله اي اقرب الخلق الي الملك الاعظم الذي
لا يشبه لجوده لووا روسهم اي فعلوا اللي بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الي جهة اخري
اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة ورايتهم اي بعين البصيرة يصدون اي يعرضون اعراضا
قبيحا عما دعوا اليه مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة في موضع المفعول الثاني لرايت
وهم مستكبرون اي ثابتوا الكبر عما دعوا اليه وعن احلال انفسهم في محل الاعتذار فهم
لشدة غلظهم لا يدركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون الي دوايه واذا ارشدهم غيرهم ونبههم
لا يتنبهون فقد روي انه لما نزل القران فيهم اتاهم عشايرهم من المومنين وقالوا ويحكم
افتضحتم واهلكتم انفسكم فايتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق
واسالوه ان يستغفر لكم فلووا روسهم اي حركوها اعراضا وابا قاله بن عباس وعنه انه كان
لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض علي طاعة وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك
ورسول الله صلي الله عليه وسلم عليك غضبان فانه يستغفر لك فابي وقال لا اذهب اليه وروي
ان بن ابي راسهم لوي راسه وقال لهم اشرتم علي بالايمان فامنت واشرتم علي
بان اعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا ان تامروني بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا
ولم يلبث الا اياما قلايل حتي اشتكا ومات ولما كان صلي الله عليه وسلم يحب صلاحهم
فهو يحب ان يستغفر لهم وربما ندبه الي ذلك بعض اقاربهم قال تعالي منبها علي انهم ليسوا
باهل الاستغفار لانهم لا يومنون سوا عليهم استغفرت لهم استغني بهمزة الاستفهام
عن همزة الوصل ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله الذي الامر
كله كمال الصفات لا يهدي القوم اي الناس الذين لهم قوة في انفسهم علي ما يريدونه
الفاسقين اي لانهم لا عذر لهم في الاصرار علي الفسق وهو الروت من حصن الاسلام
بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتي استحكم فهم راسخون في النفاق والخروج
عن مظنة الاصلاح هم اي خاصة يخالص بواطنهم الذين يقولون اي اوجدوا هذا
القول للانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا مربوطين بالاسباب محجوبين عن
شهود التقدير لا تنفقوا اي ايها المخلصون في النصرة علي من اي الذين عند رسول الله

اي الملك

اي الملك المحيط بكل شي وهم فقرا المهاجرين حتي ينفضوا اي يتفرقوا اي يذهب كل احد منهم الي
اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك قال البقاعي وما دري الاجلاف انهم لو فعلوا ذلك اناخ
الله تعالي غيرهم للانفاق او امر رسوله صلي الله عليه وسلم فدعا في الشي اليسير فصار كثيرا
او كان بحيث لا ينفد او اعطي كلا يسيرا من طعام علي كيفيته لا ينفد مرة ولكن من يضل الله فما له
من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله تعالي ولله اي قالوا ذلك واستمروا علي تجديد قوله والحال
ان للملك الذي لا امر لغيره خزاين السموات اي كلها والارض كذلك من الاشيا المعدومة الداخلة
تحت مقدوره انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون ومن الاشيا التي اوجدها فهو
يعطي من يشا منهما حتي من ايديهم لا يقدر احد علي منع شي من ذلك لا مما في يده ولا مما بيد غيره ونبه
علي سوء عباوتهم وانهم تقيدوا بالوهم حتي سفلوا عن رتبة البهايم كما قال بعضهم ان كان محمد
صادقا فنحن شر من البهايم فقوله تعالي ولكن المنافقين لا يفقهون اي لا يتجدد لهم فهم اصلا
كالبهايم بل هم اضل لان البهايم اذا رات شيا ينفعها يوما في مكان طلبته مرة اخري وهولا راوا
غير مرة ما اخرج الله تعالي من خوارق البركات علي يد رسوله صلي الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك
ودل علي عدم نفعهم بقوله تعالي يقولون اي يوجدون هذا القول ويجددونه موكدين لا
ستشعارهم بان اكثر قومهم ينكر لين رجعنا اي ايتها العصابة المنافقة الي المدينة اي من غزاتنا
وهي غزوة بني المصطلق حي من هذيل خرج اليهم حتي لقيهم علي ما من مياههم يقال له المريسيع
من ناحية قديد الي الساحل ليخرجن الاعز يعنون انفسهم منها اي المدينة الاذل يعنون
النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون في هذا لكونهم تصوروا لشدة عباوتهم ان
العزة لهم وانهم يقدرون علي اخراج المومنين ولله اي والحال ان كل من نوع بصيرة يعلم ان
الملك الاعلي هو الذي وحده العزة الغلبة كلها ولرسوله وان عزته من عزته وللمومنين
فعزة الله قهره من دونه وكلما عداه دونه وعزة رسوله اظهار دونه علي الاديان كلها
وعزة المومنين نصر الله تعالي اياهم علي اعدايهم ولين المنافقين اي الذين استحكم فيهم
مرض القلوب لا يعلمون اي لا يوجد لهم علم الان ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك
هم يقولون شر هذا الخراف روي انه لما نزلت هذه الاية جا عبد الله ولد عبد الله بن ابي ابن
سلول الذي نزلت هذه الايات بسببه كما مر الي ابيه وذلك في غزوة المريسيع لبني المصطلق
فاخذ بزمام ناقته وقالت انت والله الذليل ورسول الله العزيز ولما اراد ان يدخل عبد الله

صلي الله عليه وسلم

ابن ابي اعترضه ابنه خباب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان خبابا
اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعز وانا الازل فلم يزل حبيبا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه
قال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راي منه الجد
قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المومنين خيرا فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم
الثانية بقوله تعالى لا يعلمون اجيب بانه ليعلم بالاولى قلة قياستهم وفهمهم وبالثانية
حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول
لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي والثاني مزاجي ثم نهى الله تعالى
المومنين عن التشبه بالمنافقين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وقلوبهم
مزعنة كظواهرهم لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم سوا كان ذلك في اصلاحها
او التمتع بها بحيث تغفلون عن ذكر الله اي الملك الاعظم حذر المومنين اخلاف المنافقين
اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضحاك اي عن الصلوات الخمس نظرا قوله تعالى لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن من جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن
الحج والزكاة وقيل عن قراة القران وقيل عن ادامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم
بالقول فامنوا بالقلب ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الفايزين عطف عليه قوله تعالى ومن
يفعل اي يوقع في زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار فعلى ذلك اي الامر البعيد
عن افعال ذوي الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالثاني والاعراض عن الباقي فاوليك البعدا
عن الخير هم الخاسرون اي الفريقون في الخسارة في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير
الفاني حيث كانهم مختصين بها دون الناس وذلك بضد ما ارادوا وانفقوا اي ما امرتم به
من واجد او مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال بن عباس يريد زكاة الاموال وهو ظاهر
الامر ثم ان الله تعالى زادني الترغيب بالرضا معهم باليسير بقوله تعالى مما رزقناهم
اي بعظمتنا قال الزمخشري من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب انتهى ثم قال
تعالى محذرا من الاغترار بالتسويف في اوقات السلامة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي

يري

155

يري دلايله واماراته وكل لحظة مرت فهي دلايله واماراته قال القرطبي وهذا دليل على وجوب
تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا اي بلا عذر وكذا ساير العبادات اذا دخل وقتها
وقال الرازي وبالجملة فقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله على الحافظة على
الذكر ان الموت وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة
تقتضي الاقبال الى الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى فيقول اي سايلا في الرجعة واشار الى
ترقيعها للقلوب بقوله رب لولا اي هلا ولم لا اخرتني اي اخرت موتي امهالا الى اجل اي زمان
وقوله قريب بين به ان مراده استدراك ما فات ليس الا وقيل لا زايدة ولو للتمني اي لو
اخرتني الى اجل قريب فاصدق اي للتردد في سفر هذا الطويل الذي انا مستقبله وعن ابن
عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنهما يمنع
احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا طاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه
الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو راى خيرا ما سال الرجعة فقيل له
اما تتقي الله يسال المومنون الكرة قال نعم انا اقرا عليكم قرانا يعني انها نزلت في المومنين وهم
الخاطيون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزل ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وقال
الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يود الزكاة ولم يصم الا وسال الرجعة وعن عكرمة نزلت في
اهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس انه قال هذه الاية تدل على
ان القوم لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا ينتهي الرجوع الى الدنيا والتاخير فيها احد له
عند الله تعالى خير في الاخرة اي اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فانه
ينتهي الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرا الكلهم واكن من الصالحين اي الفريقين
في هذا الوصف بالتدارك ابو عمرو ابوا وبعد الكاف ونصب النون عطفا على فاصدق
والباقون بحذف الواو لالتقا الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك
فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال بن
عطيه عطفا على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي
الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء
لكان مجزوما اي اصدق ثم زاد تعالى في الحث على المبادرة بالطاعة قبل الفوات
بقوله تعالى موكدا لاجل عظيم الرجاء من هذا المحتضر بالتاخير عطفا على ما تقديره

فلا يوخره الله فيفوته ما اراد ولن يوخر الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه
نفسا اي نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى اذا جا اجلها اي وقت موتها الذي حده الله تعالى
لها فلا يوخر الله تعالى نفس هذا القايل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرا قالون و
البزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد
تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدالهما الفا والباقون بتحقيقهما والله اي الذي له الاحاطة
الشاملة علما وقدرة خبير اي بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا بما تعملون اي توقعون عمله في
الماضي والحال والمال كله باطنه وظاهره وقرا شعبة بالياء التحتية على الغيبة على الخبر عمن مات وقال
هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة المنافقين بري من النفاق حديث موضوع سورة التغابن
مدنية في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي مدنية ومكية وعن بن عباس
ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي
شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية ومايتان واحدى واربعون
كلمة والف وسبعون حرفا بسم الله مالك الملك فلا كفو له ولا مثيل الرحمن الذي
وسع الخلايق بره الجليل الرحيم الذي خص ممن عمه فوفقهم للجميل يسبح اي يوقع
التنزيه التام مع التجديد والاستمرار لله الذي له الاحاطة باوصاف الكمال ما في السموات
اي كلها وما في الارض كذلك وقيل اللام زايدة اي نزه الله تعالى قال الجلال المحلي واتى
بما دون من تغليبا للاكثر له اي وحده الملك اي كله مطلقا في الدنيا والاخرة وله اي وحده
الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال كلها فلذلك نزه جميع مخلوقاته وقدم الظرفان ليدل
بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك بان الملك على الحقيقة له لانه
مبدي كل شي ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه
واما ملك غيره فتسليط منه واسترعا وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو
على كل شي قدير اي وحده الذي خلقكم اي انشاكم على ما انتم عليه فمنكم اي فتنسيه
عن خلقه لكم وتقديره كافر اي عريق في صفة الكفر ومنكم مومن اي راسخ في الايمان
في حكم الله تعالى في الازل قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيامة
مومنا

156

في القيامة مومنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشية تذكر شيا مما يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا
ويعيش مومنا ويموت مومنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد
الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا اي وسكت عن القسم الاخر وهو ان يولد
الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت كافرا اكتفى بالمقابل وقال بن مسعود قال النبي
صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا
عليهما الصلاة والسلام في بطن امه مومنا وفي الصحيح من حديث بن مسعود وان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها
وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل
عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماونا والمعنى
تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على
عموم الاحوال وقد يريده على وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره
فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن
وقال غيره لا حذف لان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا
وامنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله
تعالى والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فانه خلقهم والمشي
فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم
بفعلهم قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي وروينا
عن بن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي
قتله الخضر طبع على الكفر وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب

علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يارب ذكر ام انثى سعيد
في الرزق ام لا الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية
كالمنافق ومنكم مومن في العلانية كمحمد وزيد وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله
مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكواكب يعني في شان الانواء كما جاء في الحديث قال
القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الائمة ان الله خلق الكافر وكفره
فعله وكسب واختياره بتقدير الله تعالى ومشيته فالمومن بعد خلق
الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر
بعد خلق الله اياه يختار الكفر بان الله تعالى قدره عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد
من كل منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف
المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى قال البغوي وهذا طريق اهل السنة من سلكه
اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر قال الرازي فان قيل فاي حكمة انه تعالى خلقهم وقد
سبق في علمه انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة دعت الى خلقهم فالجواب
اذا علمنا الله تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطائفة
على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم
على وفق الحكمة والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بما تعملون اي يوقعون عمله كيما
بصير اي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي تكسبها اليكم وهو خالق
جميع الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق
الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدر فكيف لو سئل اي
موضع مشيه ومتى زمانه فكيف والله لمشي اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل افعاله
كما وكيفا وابانا وعز ذلك لم يكن خالقا لها بوجه ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه الاعلى
تمام احاطة بالبواطن والظواهر وقوله تعالى خلق السموات اي على علوها وكبرها والارض
على سعتها بالحق اي بالامر الذي يطابقه الواقع لما اراد وصوركم اي ادم عليه السلام
خلقه بيده كرامة له قال مقاتل وقيل جميع الخلايق صور لا توافق شيا من صور العلويات
ولا السفليات ولا فيها صورة توافق الاخرى من كل وجه فاحسن صوركم فجعلها احسن
الحيوانات كلها كما هو مشاهد ودليل ان الانسان لا ينتهي ان يكون على خلاف ما يرى

من

من سائر الصور ومن حسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب كما قال تعالى ولقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم كما ياتي ان شا الله تعالى فان قيل قد يوجد في افراد هذا النوع
من كل مشوه الخلقة مسخ الصورة اجيب بانه لا سماجة لان الحسن في المعان وهو
على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل
في حيز الحسن غير خارج عن حده فقبح القبيح منه انما هو بالنسبة الى احسن منه
ولذا قال الكمالان لا غاية لهما الجمال والبيان فقدرة الله تعالى لا تناهي قال البقاعي
فاياك ان تصغي لما وقع في كتب الغزال انه ليس في الامكان ابدع مما كان فان ذلك
يخيل الى انه سبحانه وتعالى لا يقدر على ان يخلق احسن من هذا العالم وهذا لا يقوله
احد انتهى وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كلا احد يوخذ من كلامه ويرد عليه كما قال الامام
مالك وغيره الغزالي نفسه الى ابن عباس وقال الكافيجي في صفة هذا الكتب وما الموت فيها
جمدا والي لا اعلم ان فيها الخطا لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدا عطف عليه قوله تعالى
واليه اي علمه حاصل وحده المصير اي المرجع بعد البعث فيجازي كلا بعمله يعلم اي
علمه حاصل في الماضي والحال والمال ما اي كل شي في السموات والارض كذلك ويعلم
اي على سبيل الاستمرار ما تسرون اي تخفون وما تعلنون اي تظهرون من الكليات
والجزييات والله اي الذي له الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم بذات اي صاحبة
الصدور من الاسرار والخواطر التي لم تبرز في الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها
ام لا وعلمه لكل ذلك على حد سوا لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي شبه علمه ما
في السموات والارض ثم بعلم ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور
ان شا من الجزييات والكليات غرضا عليه ولا عازب عنه ولا يجترئ العاصي
مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكلما ذكره بعد قوله لمنكم كافر ومنكم
مومن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تكرر نعمة الدنيا تكم
ايها الناس ولا سيما الكفر نبا اي خبر الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح
فذاقوا اي باشروا وبال امره اي ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوسيل
لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر ولهم عذاب اليم اي مولم في البرزخ

ثم يوم القيمة التي من موضع الفضل الاعظم ذلك اي الامر العظيم من الوبال الدال قطعا
على ان الكفر ابطل الباطل وانه مما يغضب الخالق بانه اي بسببه ان الشان العظيم البالغ
في انقطاعه كانت تاتيهم على عادة مستمرة رسلهم اي رسل الله الذين ارسلهم بالبينات
اي الحجج الظاهرات على الايمان فقالوا اي الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار تكبرا وقولهم
ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح
لان الاداة تطلب الفعل ويجوز ان يكون مبتدا وخبر وجمع الضمير يهدوننا اما بشر
اسم جنس وقد ياتي الواحد بمعنى الجميع فيكون اتى للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى
الواحد كقوله تعالى ما هذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم فكفروا اي بهذا
القول اذ قالوه استهزاء ولم يعلموا ان الله يبعث من شاء الى عباده وتولوا عن الايمان
فان قيل قوله تعالى فكفروا يغنيهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره اجيب بانهم كفروا
وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولي
فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل
وتولوا بالبرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة وبنبه بقوله تعالى واستغنى الله
اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه على ان هذا انما هو لصالح الخلق وهو غني عن
كل شيء فان قيل قوله تعالى وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا
والله تعالى لم يزل غنيا اجيب بان معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجيهم الى الايمان
ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك والله اي المستجمع لصفات الكمال غني عن خلقه
حميد اي محمود في افعاله زعم الذين كفروا اي اوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من
وجدانيته الله تعالى ولو على ادنى الوجوب وزعم قال بن عرابي كنية الكذب وقال
الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية الكذب
وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وفي حديث بن مسعود عند ابي داود
بيس مطية الرجل زعموا ان لن يبعثوا اي من اي باعث ما يوجد من الوجوب قل
اي يا اشرف الرسل لهم ولا بعد بلى اي لتبعثن ثم اكده بصريح القسم فقال وربي اي
المحسن الي بالانتقام ممن كذب بي لتبعثن اي باهون شيء وايسر امر ثم لتنبؤن
اي يخبرن اخبارا عظيما ممن يقيمه الله تعالى باحياكم بما عملتم اي باعمالكم لتجزون

عليها

عليها وذلك اي الامر العظيم عندكم من البعث والحساب على الله اي المحيط بصفات الكمال
وحده يسيرا اذ الاعادة اسهل من الابتداء فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم
قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتقد وبها اعتقادا
جازما فيعلمون انه لا يقدر على القسم بربه الا وان يكون الاخبار عنه صدقا اظهر من
الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى
لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال تعالى فامنوا بالله اي الملك
الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء ورسوله اي كل من ارسله ولا سيما محمد صلى الله عليه
وسلم والنور اي القرآن الذي انزلنا اي بما لنا من العظمة لانه نور يهتدي به من ظلمة
الضلالة كما يهتدي بالنور في الظلمات فان قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله
اجيب بان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قيل فآمنوا برسوله ونوره والله اي
المحيط علما وقدرة بما تعملون خبير اي بالغ العلم ما تفرون وما تفتلون فواقبوه في السر
والعلانية وقوله تعالى يوم يجمعكم منصوب بقوله تعالى لتنبؤن عن النحاس وبتخبير عند
الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يوافيكم يوم يجمعكم وما ذكر مضمرا عند الزمخشري
فيكون مفعولا به او بما دل عليه الكلام او بتغابنون يوم يجمعكم قاله ابو البقا اليوم الجمع اي
لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذي يجمع الله تعالى فيه الاولين والاخرين
من الانس والجن وجميع اهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه
بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات
وعقاب اهل المعاصي بل هو جامع لجميع ما ذكر ذلك اي اليوم العظيم يوم التغابن والتغابن
مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لان اهل السعادة منازل اهل
شقاوة التي كانوا بانزلونها لو كانوا مسعدا ونزول اهل الشقاوة منازل السعداء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن ولهذا قيل التغابن الناس واحد من
اثنين وفي الحديث ما من عبد ادخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وهو معنى ذلك يوم
التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعارة وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لانه
التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير ان التغابن هو ان يكتب الرجل

مالا من غير وجه ليرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار والثاني الجنة بذلك المال ه
فذلك هو الغبن والبيع والمغابن ما التوى من البدن نحو الابطين والفخذين والمقبون في غبن ه
في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يوم عيد عيني كل كافر بتركه الايمان وعين كل مومن بتقصيره
في الاحسان وبضيعه الايام قال الزجاج ويقين من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى
من هو اعلا منزلة منه قال فان قيل فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها اجيب
بانه تمثيل للغبن في الشراء والبيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت ه
تجارتهم فلما ذكر الكفار اشتروا الضلالة وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا
وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشتري اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا
نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال
الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقي
به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه
وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لاحساب عليه فعمل ذلك ه
الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد
بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل
والمراة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما قائلين فيقول الرجل يا رب ه
اوجبت نفقتها علي فنفقتها من حرام ومن حلال وهو لا الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي
فتقول المراة يا رب وما عسى ان يقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له
بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيومر بها الى النار ويومر بها الى الجنة فتطلع
عليه من طبقات الجنة فتقول له غبنتاك غبنتاك سعد نا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن
وقال بعض علماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا
ولانه لا يمكنه الاستيفاء للكمال حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد
الا نادما ان كان مسيئا كان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد في تنبيه استدل بعض العلماء
بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص ه
التغابن بيوم القيامة قال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد ان لا غبن في الدنيا
فكل من اطلع على غبن في بيع فانه مردود اذا ادعى الثلث واختار البغداديون واحتجوا عليه
بقوله

بقوله صلى الله عليه وسلم لحبان ابن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن
في الدنيا ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة ولكن
اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضي في البيوع اذ لو حكما برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلوا
منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة
غير معلوم فقدر بالثلث وهذا الخداع غير الخادع في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية
على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك
ابدا ومن يومن اي يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله اي الملك الاعظم
الذي لا كفوا له ويعمل تصديقا لايمانه صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله
لانه لا مثل له في جلب المصالح ودفع المضار يكفر عنه سياته التي غلبه عليها نعصان
الطبع واتبع ذلك الحامل الاخر وهو التوجيه بجلب المسار لان الانسان يطير الى ربه
سبحانه بجناحي الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والمداومة والمبادرة ويدخله اي برحمة
له واكراما وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار عظيمة واغصان ظليلة تسترد
داخلها وارضها مدينة مستوعبة الازاهير عطرة النشر بهيجة ريحا واثارا الى دوام
ريحها بقوله تعالى تجري من تحتها اي من تحت قصورها واشجارها الانهار وقرا ابن كثير
عنه ويدخله نافع وابن عامر بالنون فيهما اي نحن عالمين العظمة والباقون
باليا التحتية اي الله الواحد القهار خالدين اي مقدرين الخلود فيها واكده بقوله
ابدا فلا خروج لهم منها ذلك اي الامر العالي جدا من الغفران والاكرام الفوز العظيم
لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى
وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى الفائز بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه بضده
ترهيبا فقال غر من قابل والذين كفروا اي غطوا ادلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام
وكذبوا اي وقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب بايانا اي بسببها مع مالها
من العظمة باضافتها الينا وهي القرآن فلم يعملوا به اولئك اي البعد البغضاء
اصحاب النار خالدين اي مقدرين الخلود فيها وبيس المصير هي قال الرازي
فان قيل قال تعالى في حق المومن ومن يومن بالله بلفظ المستقبل وفي
الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير الكلام ومن يومن

بالله من الذين كفروا وكذبوا بايانا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب
النار انتهى فان قيل قال تعالى يومن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع
اجيب بانه ذكر بحسب اللفظ وهذا معنى فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وبين المصير بعد قوله
خالدين فيها وذلك بين المصر اجيب بان ذلك وان كان في معناه فهو تصريح بما يوكد
كما في قوله ابدا ما اصاب احدا من مصيبة اي مصيبة كانت دينية اي دنيوية في
نفس او مال او قول او فعل تقتضيها او يوجب عقابا اجلا او عاجلا الا باذن الله
اي بتقدير الملك الاعظم وقال الفراء بريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول
هذه الاية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصايب
في الدنيا فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة الا بقضايه وقدره فان قيل لم يفصل
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اجيب بانه يتعلق بقوله تعالى فامنوا
بالله ورسوله كما ان من يومن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله
ومن يومن بالله اي يصدق به بانه لا تصيبه مصيبة الا بقضا الملك الاعظم
وتقديره واذنه يهد قلبه قال ابن عباس هو ان يجعل في قلبه اليقين حتى يعلم انما
اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد
قلبه الى نيل الثواب في الجنة وقيل بتثبيته على الايمان وقال ابو عثمان الجبري
من صح ايمانه يهدي الله قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة فيقول
انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن حبيب والله اي الملك الذي لا نظير له بكل شيء
مطلقا من غير استثناء عليم فلا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره فاذا تحقق
من هدي قلبه ذلك اراح عنه كل اعتقاد باطل من كفر وبدعة او صفة خبيثة و
اطيعوا الله اي الملك الاعلا الذي له الامر كله واطيعوا الرسول اي هو نوا على
انفسكم المصايب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل
بسنته فان تولييتم اي عن الطاعة فانما على رسولنا اضافه اليه على وجه العظمة
تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه البلاغ المبين اي الظاهر في نفسه المظهر
لكل احد انه اوضح له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية
في القلوب الله اي المحيط بجميع صفات الكمال لا اله الا هو فهو القادر على خلق

الهداية في القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك غيره وعلى الله اي لان ايمانه بان
الكل منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل
عليه والتفويض به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلف في سبب نزول قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم اي وان اظهرت غاية المودة واولادكم اي
وان اظهروا غاية الشفقة عدوا لكم فقال ابن عباس نزلت بالمدينة في عوف بن مالك
الاشجعي شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فنزلت ذكره النحاس و
حكاه الطبري عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هوله الاية
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فانها نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي كان اذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو يكون هو ورقوه وقالوا الى من
تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الى اخر السورة وروى الترمذي عن ابن عباس
وسئل عن هذه الاية قال هو له رجال اسلموا من اهل مكة واراد وا ان ياتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم يا تونا النبي صلى الله عليه وسلم فلما
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد تفقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل
الله تعالى هذه الاية حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتومن
وتدع دينك ودين اباءك فخالفه فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر
وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له اتجاهد
فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فمن فعل ذلك فحق على الله ان
يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما ان يكون بالوسوسة والثاني
ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرنا
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا وولدا
دخل النار وما لابن ادم في الدنيا عبد وقال علي الصلاة والسلام تعس عبد الدينا تعس عبد الدرهم
تعس الخميصة تعس عبد القطيفة والادناة اعظم من دناة الدنيا والدرهم والاحسن
من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل في قوله تعالى ان من ازواجكم الذكر والانثى فكما
ان الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المراة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى

فاحذروهم اي ان تطيعوهم في التخلف عن الخير ولا تامنوا غوايله وان تعفوا اي توقعوا
المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فايدة في ذلك فان من طبع على شيء لا يرجع
عنه وانما النافع الحذر الذي ارشد اليه تعالى لا ان لا يكون سببا للوم الملهي عنه وتصفحوا
اي بالاعراض عن المقابلة بالترتيب باللسان وتغفروا اي بان تستروا ذنوبهم سترا
تاما شاملا للعيني والاثري بالتجاوز فان الله اي الجامع لصفات الكمال غفور اي بالغ
المحو لاعيان الذنوب واثارها حتى لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم
بسبب غفرانكم رحيم فيكرمكم بعد ذلك الستر بالانعام فتخلقوا باخلاقه تعالى يزدكم
من فضله انما اموالكم اي عامة واولادكم كذلك فتنة اي اختبار من الله تعالى لكم وهو اعلم
بما في نفوسكم منكم لكن يظهر في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة من لا يميله
فيكون عليه نعمة فربما دام الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح
اذلك ماله ولا ولده روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري عنه انه قال يوتى يوم
يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ويكفي في
فتنة المال فضة ثعلبة بن حاطب احد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله
وقال بن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال او
ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال
الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعدا
ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوا من الفتنة واشتغال
القلب بهما روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب في الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فنظر صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم
قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبة تنبيه
قدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال اكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة قال
البقاعي لانه منهن من يكون صلاحا وعونا على الاخرة والله اي ذو الجلال عنده
وناهيك بما يكون منه بسبب جلاله وعظمته اجر عظيم ثم وصفه بقوله تعالى

اي لمن

اي لمن ايتمروا وامره التي امره بها وقوله تعالى فاتقوا الله اي الملك الاعلام ما استطعتم
اي جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قاله قتادة والربيع
ابن انس والسدي وذكر الطبري عن بن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته قال جاء امر شديد قال ومن يوف قدر هذا ويبلغه فلما علم الله
تعالى انه قد اشتد عليهم نسخه عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا
الله ما استطعتم وقال بن عباس هي محكمة لم تنسخ فيها ولكن حق تقاته ان
تجاهدوا فيه حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لايم ويتوب الله بالنشط
ولو على انفسهم وابايهم وابنايهم فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف
الجمع بين الايتين وما وجه الامر بالتقايد حق تقاته مطلقا من غير تخصيص
ولا مشروط بشرط الا بالتقايد بشرط الاستطاعة اجيب بان قوله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه في ما جعله فتنة
لكم من اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة
من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله
تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملا
ظالمي انفسهم الى قوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر تعالى انه قد عفى
عن من لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك فذلك معنى قوله
تعالى ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها فتنة اموالكم
واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقب قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلا
بين علماء التاويل في ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة
مراد الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار
الطبري وقال بن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او
صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا
حتى ورمت عراقيبهم وقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا فيهم فاتقوا الله
ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل الان

المكره علي المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها واسمعوا اي سماع اذعان
وتسليم لما توعظون به وجميع اوامره واطيعوا اي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة
الافعال الظاهرة في الاسلاميات من القيام بامر الله تعالي والشفقة علي خلق الله في كل
امر ونهي علي حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة وانفقوا اي
اقعوا الانفاق كما حد لكم فيما اوجب او ندم اليه والانفاق لا يخص نوعا بل يكون
بكل ما رزق من الذاتي والخارجي قوله تعالي خيرا لانفسكم في نصبة اوجه احدها قال
سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره خيرا لانفسكم كقوله تعالي
انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابو عبيد
الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكساي والفرا اي انفاقا خيرا لانفسكم فان الله
يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما تزكي به النفس ويدخر عليه من الخرا في الاخرة مما لا يدري كنهه
فلا يغرنكم عاجل شي من ذلك فانما هو زخرف ولما ذكر ما في الانفاق من الخير عمم في جميع الاوامر
بقوله تعالي ومن يوق شح نفسه ينفعل في ماله جميع ما امومه موقنله مطمينا اليه
حتي يرتفع عن قلبه الاخطار ويتحرز عن رق المكنونات والشح خلق باطني هو الذاهب
العضال والبخل فعلا ظاهرا ينشا عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصي فتفعلها
وتارة باعطا الاعضا في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج
عن الشح ولما كان الواقي هو الله تعالي سبب عن وقايته قوله تعالي فاوليك اي العالوا
الرتبة هم المفلحون اي الفايزون الذين حازوا جميع المفردات بما اتقوا الله فيه ثم رغب
في الانفاق بقوله تعالي ان تقرضوا الله اي الملك الاعلا ذا الغنا المطلق الحايز لجميع صفات
الكمال قرضا حسنا والقرض الحسن هو التصدق عن الحلال مع طيب نفس ومع الاخلاص
والمبادرة يضاعفه لكم اي لاجلكم خاصة اقل ما يكون بالواحد عشرا ما لا ينتاهي علي حسب النيات
قال القشيري يتوجهوا الخطاب بهذا علي الاغنيا في بذل اموالهم وعلي الفقرا في اخلا ايامهم
واقلهم من مروتهم واشار مراد الحق علي مراد انفسهم فالغني يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك
ووقتك ولما كان الانسان لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع ما امر به لان
الدين وان كان يسيرا فهو متين لن يشاده احد الا غلبه قال تعالي ويغفر لكم اي يوقع
الغفران وهو محو ما فرط عنه واثره والله اي الذي لا تقاس عظمته بشي شكور

اي بليغ

اي بليغ الشكر لن يبطي لاجله ولو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر
وهو ناظر الي المضاعفة حليم فلا يعجل بالعقوبة علي ذنب من الذنوب وان عظم
بل يمهل طويلا ليتذكر العبد الاحسان مع العصيان فيتوبه ولا يهمل ويغتر بحلمه
فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع الي الغفران عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق
كلهم فشمل ما هو داخل القلب مما تويده الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن
غيره والشهادة وهو ما ظهر وما كان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الي
الاحسان من حيث انه موجب للمومن ترك ظاهر الاثم وباطنه وكل قصور وفتور
وغفلة وتهاون فيعبد الله تعالي كانه يراه العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه
شي الحكيم اي بالغ الحكمة التي يعجز عن ادراكها الخلايق وقال بن الاشيار الحكيم
هو المحكم لخلق الاشيا ففعل الي فعيل ومنه قوله تعالي الم تلك ايات الكتاب الحكيم معناه
المحكم فصرف عن مفعل الي فعيل وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلي
الله عليه وسلم قال من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة حديث موضوع
سورة الطلاق مدنية وهي احدي عشرة اية وقيل اثنتا عشرة وقيل ثلاث
عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الذي
خص بتمام النعمة ذوي الهمم العوال وقرا الرحمن
وقرا يايها النبي نافع بالهمزة وسهل الهمزة وابدلها ايضا واوا
خص صلي الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما
يقال لرييس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبار
الترأسة وانه لسان قومه والذين يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر
دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وساد بسيد جميعهم وقيل انه علي اضمار قول اي
يايها النبي قل لامتك اذا طلقتم النسا اي اردتم طلاق هذا النوع واحدة منه
فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته والتقدير يايها النبي وامته فحذف المعطوف
لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا حذفته رجلها اي ويدها وكقوله تعالي سرابيل
تقيكم الحر وقيل انه خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله
فان شيت حرمت النسا سواكم وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا قال الرازي

وجه تعلق اول هذه السورة باخر التي قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال
علمه بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشارة بهذه الى كمال علمه بمصالح
النسا والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات وروى ابن
ماجه عن بن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم
راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتت اهلها فانزل الله
تعالى يايها النبي اذا طلقتم النسا وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك
في الجنة ذكره الماوردي والقشيري وزاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله
تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت
وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقة واحدة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر امر الله ثم تحيض ثم تطهر فان شا
امسكها وان شا طلقها قبل ان يجامع فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النسا
هو قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في الوقت الذي يشرعن فيه في العدة وقد
قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله ابن عمر منه عبد الله بن عمرو بن العاص
وعمر بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم وروى الدارقطني
عن بن عباس انه قال الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان
فاما الحلال ان يطلقها طاهرا عن غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام
فان يطلقها حايضا او ان يطلقها حين يجامعها لا يدري ايشتمل الرحم على ولد ام لا تنبيه
الطلاق ينقسم الى سني وبدعي ولا ولا فطلاق موطوة ولو في دبر تعتد باقرا سني
ان ابتداتها الاقرا عقب الطلاق ولم يطاها في طهر طلقها فيه او علق طلاقها بمضي
بعضه ولا وطيها في نحو حيض قبله ولا في نحو حيض مع اخره او علق باخره وذلك
لاستعقابه الشروع في العدة وعدم الندم في من ذكرت والا فبدعي وان سالته طلاقا
بلا عوض وطلاق غير الموطوة بان لم توطا او كانت صغيرة او ايسة او حاملا منه وطلع
زوجته في زمن حيض بعوض لا سني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه وقسم جماعة
الطلاق الى واجب كطلاق المولي اي واجب مخير ان لم يكن عذر ومعنى ان كان عذر

شرعي

شرعي كالاحرام ومندوب كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه كمستقيمة
الحال وحرام كطلاق البدعة واشار الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تمح نفسه
بمونتها من غير تمتع بها وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا
خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق واختلفوا في الاستثنا في الطلاق والعتق فقال طا
بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال
مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثنا في الطلاق خاصة والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثنا
في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول ولما كان نظر الشارع الى العدة شديد
اصرح بصيغة الامر فقال تعالى واحصوا اي اضبطوا ضبطا كانه في اتقانه محسوس العدة
ليعرف زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوايد
الجليلة واتقوا اي في ذلك الله اي الملك الاعظم الذي له الخلق والامر ربكم اي لاحسانه
في تربيتكم في حملكم على الحنيفية السمحا ورفع جميع الاصار عنكم لا تخرجوهن اي ايها الرجال
في حال العدة من بيوتهن اي المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي يسكنها قبل
العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرا ورش
وابو عمرو وحفص بضم البا الموحدة والباقون بكسرها ولا يخرجن اي من بيوتهن حتى تنقضي
عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان في العدة حقا لله تعالى وقد وجبت
في ذلك المسكن وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا
ان تبدوا على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها وقال بن عباس الفاحشة المبينة ان
تبدوا على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقال بن مسعود اراد بالفاحشة المبينة
ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر اما لعذر كشرا غير من لها
نفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان نهارا وغزلها ونحوه كحديثها وتانيسها عند جاريتها
ليلا وترجع وتبيت المبيت ببيتها فانه جايز للحاجة الى ذلك وكخوف على نفس او مال من

نحو هدم وغرق وفسقة مجاورين لها وشدة تؤذيها بجيران وشدة تاذيهم بها للحاجة الي ذلك
بخلاف الاذي اليسير اذ لا يخلوا منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج نعم ان
اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران سالوا
طلبت بيت ابويها وتاذت بهما بها او هما بها فلا تنقل لان الوحشة لا تطول بينهما ولو
انتقلت لبلد او مسكن بان زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت فيه
لانها مامورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن فتعتد في الاول وان وجبت العدة
بعد وصولها للثاني لعصيانها بذلك نعم ان اذن لها بعد انتقالها ان تقيم في الثاني فكما
لو انتقلت بالاذن ولو اذن لها في الانتقال فوجب العدة قبل خروجها اعدت في
الاول ولو سافرت باذن زوجها فوجبت في الطريق فعودها اولا من مضيها
فان مضت وجب عودها بعد انقضا حاجتها ان سافرت لها او بعد انقضا مدة
الاذن ان قدر لها مدة او مدة اقامة المسافر ان لم يقدر لها مدة في سفر غير حاجتها
ولو خرجت فطلقها وقال ما اذنت في الخروج او قال وقد قالت اذنت في نقلتي
اذنت لا لنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكا له ويليق بها يعني لان تعتد
منه كما مر ويصح بيعه في عدة اشهر كالمكتري او كان مستعارا او مكري وانقضت مدة
انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان ملكا لها تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة
او اجارة والانتقال منه كما لو كان المسكن حسيسا ويخير هو ان كان نفيسا وسكنى
المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث تجب نفقتها عليه لو لم تفارق سوا كانت الفرقة
بطلاق او فسخ او وفات لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ
بانواعه بجامع فرقة النكاح في الحياة ولخبر فريعة بنت مالك في الوفاة ان زوجها
قتل فسالت النبي صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى اهلها وقالت ان زوجي لم يتركني
في منزل يملكه فاذن لها في الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في المسجد
دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة
اشهر وعشرا صححه الترمذي وغيره قال بن كثير وابو بكر بفتح اليا التحتية و
الباقون بكسرها وتلك الاحكام العالية جدا لما فيها من الجلالة وبانتسابها الى الملك
الاعلى من هذا الذي ذكر في هذه السورة وغيرها حدود الله اي الملك الاعظم

ومن

ومن يتعد اي يقع منه في وقت من الاوقات انه تعمد ان يعدو حدود الله اي الملك
الذي لا كفو له او بعضها كان طلق بدعيا فقد ظلم نفسه اي عرضها للعقاب وقرا قالون
وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الظا والباقون بالادغام لا تدري اي النفس اي
انت يا ايها النبي اي المطلق لعل الله اي الذي بيده القلوب ومقاليد جميع الامور
يحدث اي يوجد شيا حادثا لم يكن ايجادا ثابتا لا تقدر الخلق على التسبب في زواله
بعد ذلك اي الحادث من الاساة والبغض امرا بان يقلب قلبه من بغضهما الى
محبتها ومن الرغبة فيها الى الرغبة عنها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها
وقال اكثر المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض
على الطلاق الواحدة والنهي عن الثلاث وهذا احسن الطلاق واحله في السنة
وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة وكان يكره الثلاث
مجموعة كانت او معرفة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد
فاما مفرقا في الاطهار فلما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق
امراته وهي حايض ما هكذا امر الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا ويطلقها لكل قرء تطلقة
وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها يحتض بها النسا وعند الشافعي لا باس بارسال
الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ولا بدعة ومالك يراعي في
طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت
وحده قال الزمخشري فان قلت هل يقع الطلاق الخالف للسنة قلت نعم وهو اثم لما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته ثلاث بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا
بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا قال اذ عصيت وبانت
منك امراتك وعن عمر انه كان لا يوتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه
وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض
او ثلث لم يقع وشهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخلاف فان قيل قوله تعالى اذا طلقتم النساء
عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول من ذوات الاقرا والايسات والصغاير والحوامل فكيف
صح تخصيصه بذوات الاقرا المدخول بهن اجيب بانه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النسا اسم

اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معا قايما في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هن او
ذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق علم انه اطلق علي بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات
بالحيض ولما حد سبحانه ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضايها بقوله تعالي فاذا بلغن اي
المطلقات اجلهن اي شارفي انقضا العدة مشارفة عظيمة فامسكوهن اي بالمراجعة وهذا يدل
على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن لا سيما الثلاث بمعروف اي حسن عشرة لا لقصد المضارة
بطلاق اخر لاجل ايجاب عدة اخري او غير ذلك او فارقوهن بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها
بمعروف اي بايفاء الحق مع حسن الكلام وكل امر حسنه الشرع فلا يقصد اذاها بتفريقها من ولدها
مثلا او منه اذ كان عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا ما اشبه ذلك من انواع
الضرر بالفعل والقول فقد تضمنت الاية بانفصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب
المنكرات تنبيه قال بعض العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله
تعالى فامسكوهن بمعروف او تسريح بمعروف باحسان ان الزوج له حق في بدن المراة ولا حق في
بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سوا كان مالا او من فقة من ثمن او ثمن او اجرة
او بدل تلف او ضمان مغصوب او ضمان او نحو ذلك فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب
الاحسان باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي
له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الا
ستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمودي يودي باحسان
ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاثا على الكيس واليقظة والبعث عن افعال المغفلين
الفجرة واشهدوا اي على المراجعة والفارقة وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا
ذوي عدل منكم قطعا للتنازع وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله تعالى واشهدوا
اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدي الروايتين عنه والشافعي كذلك
ظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول
فلم تفتقر الى الاشهاد كساير الحقوق واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع
وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذلك النظر الي الفرج وقيل
وطيه مراجعة على كل حال نواها ام لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض
المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود الى
وطيها

وطيها حتي يستبريها من قامة الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولي وليست له
الرجعة في هذا الاستبرا تنبيه قوله تعالي منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من
احراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة علي الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي
للمذكر وقوله تعالي واقيموا اي ايها المامورون حيث كنتم شهودا الشهادة اي التي
تحملتموها باداها علي اكمل احوالها لله اي مخلصين لوجه الملك الاعلي لا لاجل
المشهود له والمشهود عليه ولا شي سوا وجه الله فيه حث علما دا الشهادة لما فيه
من العسر علي الشاهد بترك مهماته وعسر لقا الحاكم الذي يودي عنده وربما بعد
مكانه وكان للعدل في الادا عوايق ايضا ذلكم اي الذي ذكرت لكم ايها الامة من هذه
الامور البديعية النظام العالية المرام واولاها بذلك هذه الاشهاد واقامة الشهادة
يوعظ اي يلين ويرقق به من كان اي كونا راسخا من جميع الناس يومن بالله
اي الذي له الكمال كله واليوم الاخر فانه المحيط الاعظم للترقيق واما من لم يكن
متصفا بذلك فكانه في قساوة قلبه ما وعظ به لانه لم يمتنع به وقوله تعالي ومن
يتق الله اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية بما يرضيه
وهو اجتلاب ما امر به واجتناب ما نهي عنه من الطلاق وغيره وباطنا لان التقوي
اذا انفردت في القران عن مقارن عمت الامر والنهي واذا اقترنت بغيرها نحو
احسان او رضوان خصت المناهي يجعل اي بسبب التقوي له مخرجا جملة اعترا ضيه
موكدة لما سبق بالوعد علي اتقايه عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض
والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعد حدود الله تعالي روي ان النبي صلي
الله عليه وسلم سيل عمن طلق ثلاثا او الفاعل له من مخرج فتلاها وقال بن عباس
والثعلبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله تعالي يكن له مخرج
في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن بن عباس ايضا يجعل
له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما
رزقه قاله بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا
من النار الي الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهي الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل
شدة وقال الربيع بن خيثم مخرجا من كل شي ضاق علي الناس وقال الحسين بن الفضلي

ومن يتق الله في اداء الفرايض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه اي الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له في ما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن يتق الله من حوله وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام كما تامرني فقال صلى الله عليه وسلم اتقي الله و اصبر وامرك واياها ان تكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى المدينة وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له وروي انه جاء وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة لقوم فسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فقال ابوه للنبي صلى الله عليه وسلم احل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي الحسن عن عمران بن الحصين من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب **ومن يتوكل** اي يسند اموره كلها معتمدا فيها على الله اي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفوء له **فهو** اي الله في غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله **حسبه** اي كافيه ما اهمه وحذف المتعلق للتعميم وحرف الاعلا

للاشارة

للاشارة الى انه كانه حمل اموره كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار اي يزيل ذلك من المعاني الكبار فلا يبدو له في عالم الشهادة شيء يشينه من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان التوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل وفي الحديث لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ويوجد من هذا ان التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدو خماصا وتروح وهو من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن الملوي والاكان اتكالا وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروية لانه ابطال الحكمة الله التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات على الاسباب انتهى ولكان ذلك امر الايكاد يحفظ به الوهم علله بقوله مهوله له بالتاكيد والاظهار في موضع الاضمار **ان الله** اي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شايبة نقص **بالغ امره** اي جميع ما يريده فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل ام لا قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقال الحفص بالغ بغير تنوين امره بنصب الراء وضم الهاء قال بن عادل وهو الاصل خلافا لابي جعفر **قد جعل الله** اي الملك الذي لا كفوء له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثية **لكل شيء** كرخاء وشدة **قدرا** اي تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه واحواله وان اجتهد جميع الخلايق في ان يتعداه ومن توكل استعاذ الاخر وخفق عنه الالم وقذف في قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد الله وطاء غمه بشدة شعيب وخيبة اسبابه التي يعتقدانها هي المنجية كمن رضي فله الرضى ومن سخط له السخط حق القلم فلا يزادني المقادير شيء ولا ينقص منها شيء ويحكى ان رجلا اتى عمر فقال اولني عملا اوكلك الله فقال اتقرا القران قال لا قال انا لا اولي من لا يقرا القران فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القران وجاء ان يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم القران تخلف عن عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير المومنين ليست بهجر ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فاي اية اغنتك قال قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع

لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف يتعاطاها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلمه حق
علمه غيره تنبيه الاية فعلم ان من لم يتق يقتر عليه وهو موافق لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
يعلم ان من لم يتوكل على الله لم يكف شيأ من الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلنحن اذا توكلنا
عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع
ابن خيثم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه
جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم
ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني ولما بين تعالى امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكان قد
عرف اعدة ذوات الاقراء فهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال ابو عثمان
عمر بن سليمان نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال
ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار
والكبار وذوات الحمل فنزل واللاي يئسن اي من المطلقات من المحيض اي الحيض
الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
قال خلاد ابن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها
وعدة الحبلى فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يئست
فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الاية اورثت
في المستحاضة لا تدري دم حيض هو دم علة واختلف في سن اليائس فالذي عليه الاكثر
انه اثنان وستون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل سبعون ولما كان هذا الحكم
خاصا بازواج المسلمين لحرمة فروجهم وحفظ انسابهم قال تعالى من نسائكم اي ايها
المسلمون سواء كن مسلمات او من اهل الكتاب ان ارتبتم اي شككتم في عدتهن هـ
فعدتهن ثلاثة اشهر كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوايد النساء ان يكون
كل قرء في شهر واللاي لم يحضن اي لصغرهن او لانهن لا حيض لهن اصلا وان كن

بالغات

بالغات فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا هذا كله في غير المتوفى عنهن ازواجهن اما هن فعدتهن
ما في اية يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وقراء واللاي في الموضعين اي عامر
والكوفيون بالهمز وبابدة وقرا قالون وقيل بالهمز ولا بابدة وللبزي واي عمرو ابدال
الهمز يا ساكنة مع المد لا غير ولما فرغ من ذكر الحوامل اتبعه ذكر الحوامل بقوله تعالى واولا ت
الاحمال اي من جميع الزوجات المسلمات والكافرات المطلقات والمتوفى عنهن اجلهن
اي منتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض ام لا ان يضعن حملهن وهذا على
عمومه مخصص لاية يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لان الحافظة على
عمومه اولى من الحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى ازواجا لان عموم هذه
بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم ازواجا بالوضع لانه بدل لا يصلح
لجميع الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف فاك ولان هذه
الاية متاخرة عن النزول عن اية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك
في العمل هو مهما رفع لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح للفواق ولان
سبيعة بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فاذن لها النبي صلى الله
عليه وسلم ان تتزوج تنبيه اذا وضعت المراة ما في بطنها من علقة او مضغة
حلت عند مالك وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة لا تحل الا بوضع ما تبين فيه
شيء من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوءمين لم تنقض عدتها حتى تضع
الثاني منهما ولا بد ان يكون الحمل منسوبا الى الذي العدة اما اذا كان من زنا فلا حرمة
له والعدة بالحيض ولما كانت امور النساء في المعاشرة والمفارقة في غاية المشقة
كرر الحث على التقوى اشارة الى ذلك وترغيبا في لزوم ما حده سبحانه فقال
عاطفا على ما تقديره فمن لم يحفظ هذه الحدود عرضه الله تعالى عليه امره ومن يتق
الله اي يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا مستمرا يجعل بينه وبين سخطه
وقاية من طاعته اجتلابا للمامور واجتنابا للمنهي يجعل له اي يوجد ايجادا مستمرا
باستمرار التقوى ان الله لا يزال حتى يسهل من امره اي كله في النكاح وغيره يسرا
اي سهولة وفرجا وخيرا في الدارين بالرفع والنفع وذلك اعظم من مطلق المخرج
المتقدم في الاية الاولى وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره

يسر اي توفيقه لطاعته ذلك اي الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب
امر الله اي الملك الاعلى الذي له الكمال كله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي الذي
لا امر لاحد معه في احكامه فيراعي حقوقها يكفر اي يحط تغطية عظيمه عنه سياته
فتخلي عن المعبودات قال الحسان يذهبن السيات ويعظم له اجرا بان يبدل سياته
حسنات ويوفيه اجرها في الدارين مضاعفة فيتحلى بالقربات وهذا اعظم من مطلق
البر المتقدم اسكنوهن قال الرازي اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في
قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف يعمل بالتقوى في شان المنفردات فقيل اسكنوهن وقوله
تعالى من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها
محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضضن من
ابصارهن اي بعض ابصارهن قال قتادة ان لم يكن الا بيتا واحدا سكنها في بعض جوانبه قال
الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتداء الغاية
قاله الحوفي وابو البقاء والمعنى تنسبوا الى اسكانهن من الوجد الذي تكنون ه
انفسكم ودل عليه قوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه وفي اعرابه ه
وجهان احدهما انه عطف بيان لقوله تعالى من مسكنكم واليه ذهب الزمخشري وتبعه البيضاوي
قال ابن عادل الظاهر انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه ذهب ابو البقاء انه قال ه
اسكنوهن من وسعكم ولا تضاروهن اي حال السكنى في المسكن ولا في غيره لتضيقوا عليهن
حتى يلجئهن الى الخروج وان كن اي المطلقات ولا تحل اي من الازواج من طلاق باء او رجعي
فانفقوا عليهن وان مضت الاشهر حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على ه
اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات البوائن والاحاديث تؤيد قال القرطبي
اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال لذهب مالك وابي حنيفة ان لها السكنى والنفقة لها
ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة وهذهب احمد واسحاق وابي ثور لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت
اخواني زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم انه ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك
السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة ه
لمن لزوجها عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسودين يزيد ليسالني عن ذلك فان اصحاب

عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي
اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا
ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انه لو كان لها
سكنى لامر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك بما ه
روت عايشة انما قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب
انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى لها للرجعية لقوله
تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن واجع لما قبله وهي المطلقة ه
الرجعية فان ارضعن لكم اي بعد انقضاء علقة النكاح فاتوهن اجورهن اي على ذلك الا ضاع
وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة الا ستيجار اذا كان
الولد منهن ما لم يبن ويجوز عندك افي مطلقا وقوله تعالى وائتمروا خطاب للازواج والزوجات
اي ليامر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وقال
الكسائي ايتمروا وتشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملا يأتمرون وانشد قول امرئ القيس
ويعدو على المرء ما يأتمر وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى بينكم بمعروف اي ان هذا
الخير لا يعدوكم واكد ذلك بقوله بمعروف ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضى بالمستطاع
وهو يكون مع الاخلاق بالانصاف ومع النقص بالخلاف وان تعاسرتم اي طلب كل منكم ما ليس
على الاخر كان طلبت المراة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا فسترضع له اي الاب
اخرى اي المرضعة غير الام ويغني الله تعالى عنها وليس له ان يكرهها على ذلك نعم اذا انتفل
ثدي غيرها ولم يوجد غيرها اجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة
كذلك واختلفوا في من يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت
الزوجية الا ان فرضها وموضعها فعلى الاب رضاعه يوميذ فيما له وقال ابو حنيفة لا يجب
على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل او متبرعة تخير الاب بينهما
ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة
وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح لينفق ذو سعة اي مال واسع ولم يكتف
تعالى جميع وسعه بل قال تعالى من سعته اي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير

علي قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه ومن قدر اي ضيق عليه رزقه فعلي قدر
ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد علي مجري القلاة
قال تعالي وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف قال صلي الله عليه وسلم لهند
خذي ما يكفيك وولدك في المعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة
فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها تقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من يسره وعسره
والاعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان
والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالي لينفق ذو اسعة من سعته فجعل
الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولان الاعتبار بحالها يودي الي الخصومة لان
الزوج يدعي انها تطالب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت
قطعا للخصومة وقوله تعالي فلينفق اي وجوبا علي المرجع وغيرها من كل ما اوجبه
تعالي عليه مما اتاه الله اي الملك الذي لا ينفذ ما عنده ولا من راس المال ومتاع
البيت لا يكلف الله اي الذي له الكمال كله نفسا اي نفسا كانت الا ما اتاها اي
اعطاها من المال سيجعل الله اي الملك الذي له الكمال كله فلا خلاف لوعده بعد
عسر اي بعد كل عسر يسرا وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول
الاية ففتح عليهم جزيرة العرب ثم فارس والروم حتي صاروا اغني الناس وصدق
الاية دايم غيره في الصحابة رضي الله تعالي عنهم ونفعنا بهم امين لان ايمانهم انتم
قال القشيري وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا
عن درجة الرضي وارتفعوا عن حد الياس والقنوط ويغيثون في افنا الرجال
ويتعللون بحسن المواعيد انتهي ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب حذر من خالف
بقوله تعالي وكاين هي كاف الجر دخلت علي اي بمعني كم من قرية اي وكثير من القري
وقرا ابن كثير بالالف علي الكاف وبعد الالف همزة مكسورة وقفا ووصلا وقرا الباقون
في الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة وعبر عن
اهل القرية بها مبالغة فعال عتت اي استكبرت وجاوزت الحد في عصيانها
وطغيانها فاعرضت عنادا عن امر ربها اي الذي احسن اليها ولا يحسن اليها غيره
ورسله فلم تقبل منهم ما جاوا به عن الله تعالي فان طاعته من طاعته فحاسبناها

اي في

اي في الاخرة وان لم تجي لتحقق وقوعها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصا
وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا قطيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب في الدنيا
فيكون علي حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في
في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الاخرة
الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب وحاسبناها حسابا شد
وقرا نافع وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها فذاقت اي فتسبب عن ذلك
انها ذاقت وبال اي عقوبة امرها اي كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي في الدنيا بالاسر وضرب
الجزية وغير ذلك وفي الاخرة بعذاب النار فان من ذرع الشوك كما قال القشيري لا يجني
الورد ومن اضاع حق الله تعالي لا يطاع في حظ نفسه ومن احترز من مخالفة امر الله تعالي ه
فليصبر علي عقوبته ثم استانف الجواب عمن يقول لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله تعالي ه
اعد الله اي الملك الاعظم لهم بعد الموت وبعد البعث عذابا شديدا وفي ذلك تكرير للوعيد وبيا
لما يوجب التقوي المامور بها فاتقوا الله اي الذي له الامر كله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
يا اولي الالباب اي يا اصحاب العقول الصافية النافرة من الظهواهر الي البواطن وقوله تعا
الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادي في قوله تعالي يا اولي الالباب ويكون عطف ه
بيان للمنادي او نعتا له اي خلصوا من حيرة الشرك واوجدوا الايمان حقيقة قد انزل الله
اي الذي له صفات الكمال اليكم ذكرا هو القران وفي نصب رسولا اوجه احدها قال الزجا
والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف المصدري وفعل كانه قيل ان
ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالي
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما الثاني جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه ويكون محمولا
علي المعني كانه قال قد اظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الكي من الكي وهو هو
الثالث انه بدل منه علي حذف مضاف من الثاني اي ذكرا ذكر رسول الخامس انه منصوب
بفعل مقدر اي وارسل رسولا يتلوا عليكم ايات الله هي دلايل الملك الاعظم الظاهرة جدا
حال كونها مبينات اي لا لبس فيها بوجه واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلي الله عليه
وسلم او جبريل الاكثر علي الاول واقتصر عليه الجلال المحلي واقتصر الزمخشري علي الثاني وهو قول
الكلبي وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء بعد الموحدة والباقون بالفتح ليخرج

ج

الذين امنوا اي اقروا بالشهادتين وعملوا يصدقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا لانه من قلوبهم الصالحات
اي ليحصل لهم ما هم عليه الان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انهم مومن من الظلمات
اي الضلالة الى النور اي الهدي ومن يومن بالله اي يجدد وا في كل وقت علي الدوام
والايمان بالملك الاعلي بان لا يزال في ترقي في معارج معارفه ويعمل علي التجديد المستمر
صالحا لله وفي الله فله دوام النفما وهو معني ادخاله الجنة كما قال تعالي يدخله اي
عاجلا مجازا عما يفتح الله من لذات المعارف ويفتح له من الانس واجلا حقيقة جنات
اي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها
بقوله تعالي تجري من تحتها اي من تحت غرفها الانهار فهي في غاية الري بحيث ان ساكنها
يجري من اي موضع اراد نهرا وقرا نافع وبن عامر يدخله بالنون والباقون بالياء
التحتية خالدين فيها واكد معني الخلود بقوله تعالي ابدا ليفهم الدوام بلا انقضاء
وقوله تعالي قد احسن الله اي الملك الاعلي ذو الجلال والاكرام له اي خاصة رزقا
اي عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم للرزق من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان علي حد
الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق
لحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يشتغل بها من غير نقصان
ولا زيادة لا يقدر علي الاستمرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالي الله اي الذي له
جميع صفات الكمال التي القدرة الشاملة احديها الذي خلق اي اوجد وحده من العدم
بقدرته علي وفق ما دبر به بعلمه علي هذا المنوال الغريب البديع سبع سموات اي وانتم
تشهدون عظمة ذلك وتشهدون انه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل ومن
الارض مثلهن اي سبعا اما كون السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه
لحديث الاسرا وغيره واما الارضون فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها
فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والارض وفي كل ارض سكان
من خلق الله وقال الضحاك انها سبع ارضين ولكنها متطبقة بعضها علي بعض من
غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روي
البخاري وغيره روي ابو مرواق عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسي بن
صهيبا حدثه ان محمدا صلي الله عليه وسلم لم يرقرية يريد دخولها الا قال حين يراها

اللهم

اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما
اضللنا ورب الرياح وما اذرين انا نسئلك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ
بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروي مسلم سعيد بن زيد قال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين
البقاعي رايت في التعدد حديثا صريحا لكن لا ادري حاله ذكره ابن برجان
في اسمه تعالي الملك من شرحه الاسما الحسني قال ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال اتدرون ما تحت هذه الارض قال الله ورسوله اعلم قال هوا تدرون ما تحت
ذلك قال الله ورسوله اعلم قال ارض اتدرون ما تحت ذلك قال الله ورسوله اعلم حتي
عد سبع ارضين ثم رايته في الترمذي عن ابي ذر بن العقيلي ولفظه هل تدرون
ما الذي تحتكم قال الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك قال
الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا له اخري خمسمايه سنة حتي عد سبع
ارضين بين كل ارض مسيرة خمسمايه سنة ثم رايت في الفردوس عن ابن مسعود
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ما بين السما الي السما خمسمايه عام وعرض كل سما
وثخانة كل سما خمسمايه عام وما بين السما السابعة وبين الكرسي والعرش مثل
ذلك وما بين السما الي الارض مسيرة خمسمايه عام والارضون وعرضهن اهل
الاسلام يا الارض العليا ولا يلزم من ما في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل
من خلق عجيب وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم
يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها قال بن عادل وهذا
قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالي خلق
لهم ضيا يشاهدونه قال بن عادل وهذا قول من جعل الارض قبة وحكي الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق
بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلي هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول
الي ارض اخري اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول
الي ارض اخري احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار
اذا امكن سلوكها لا يمتنع من لزوم ما علم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها

لو لزمتهم لكان النص بها واراد او لكان النبي صلى الله عليه وسلم بهما مورا وقال هـ
بعض العلما في اللغة عبارة عما علاك فالاولي بالنسبة الي السما الثانية "ارض
وكذلك السما الثانية" بالنسبة الثالثة "ارض وكذلك البقية" بالنسبة الى ما تحتهـ
وبالنسبة الي ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع
سموات وسبع ارضين يتنزل اى بالتدريج الامر قال مقاتل وغيره اي الوحي على هذا يكون
قوله تعالي بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي اولاها وبين السما السابعة التي
هي اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضا والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله بينهن هـ
اشارة الي ما بين الارض السفلي التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها
فيجري امر الله وقضاوه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن قتادة في كل ارض من ارضه
وسما من سمايه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه وقيل هو ما يدبر فيهن
من عجايب تدبيره وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارض من خلق
قال نعم قال فما الخلق قال اما ملايكة او جن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع
الي الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماين ارض وامر وقيل تنزيل الامر بينهن بحياة
بعض وموت بعض وغنا قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره فيما تزل
المطر وتخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتا وبخلق الحيوانات على
اختلاف انواعها وهيأتها فيقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع
اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى لتعلموا متعلق هـ
بمحذوف اي اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا ان الله اي الملك الاعلى الذي له
الاحاطة كلها على كل شيء اى من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة قدير
بالغ القدرة فيأتي بعالم اخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الي ما لا نهاية
له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد
ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لا فرق في ذلك بين قليل وكثير
جليل وحقير ما في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغي الي من قال
انه ليس في الامكان ابدع من هذا العالم فانه مذهب فلسفي خبيث والاية نص في
ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الي الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس عليه وان

مذهبه

مذهبه فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتاب دلائل البرهان علي ان في
الامكان ابدع مما كان قال ومع كونه انه مذهب الفلاسفة اخذه اكفر الملحدين بن العر
واودعه في فصوصه وغيرها ذلك من كتبه واسنده في بعضها للغزالي والغزالي بري منه
بشهادة ما وجد من عقايده في الاحيا وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول بكفر ابن عربي وبن
الفارض يقول بكفره وكفر طايفته وقد تقدم الكلام على كلامهم وان الله اى الذي لا جميع
صفات الكمال قد احاط لتمام قدرته بكل شيء مطلقا علما فله الخبرة التامة بما يوصف به من
الاحكام في العالم بمصالحه ومفاسده ولا يخرج شيء عن علمه وقدرته فعاملوه بمعاملة من
يعلم انه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الاخرة تنبيه علما منصوب على المصدر
موكد لان احاطة بمعنى علم وقيل بمعنى والله احاط احاطة علما وما قاله البيضاوي تبعا
للزمخشري من ان صلى الله عليه وسلم حديث موضوع سورة التحريم مدنيه
وهي ثنتا عشرة اية وماتان واربعون كلمة والفي وستون حرفا بسم الله الذي له الكمال
كله على العوالم الرحمن الذي عم عباده بعظيم الانعام الرحيم الذي اتم على خواصه نعمة الاسلام
واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله اى الذي لا مر لاحد معه
لك فقالت عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها
عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها
فلتقل اني وجدت منك ريح مغافير فدخل علي احدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا
عند زينب بنت جحش ولم ادعوله فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعايشة
وحفصة وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوي والعسل وكان
اذا صلي العصر دار على نسايه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس
فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت اليها امراة من قومها عكة عسل فسقيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا
دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا
ماهذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه
سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحلة العرفط وسأقول ذلك
له وقولي انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذي لا اله غيره

تقولي

لقد كدت ان ابادیه بالذي قلت وانه لعلي الباب منك فلما دنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة
شربة عسل قالت حرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت
مثل ذلك فلما دخل على حفصة قلت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت
تقول سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية ان التي شربه
عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن
عباس انه شربه عند سودة وقيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطا بن
ابي مسلم تنبيه شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد والقصر قاله في المصباح وهو كل شيء حلو وذكر
العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلو تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب الخاص بعد
العام وقولها فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله فتواطيت بالهمز اي توافقت انا
وحفصة وقولها الى لاجد منك ريح مغافير وهو بفتح ميمه وغاء بعدها ياء وراء وهو صمغ
حلو كالناطف وله رايحة كريهة قيصحة شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء ثم
يكون بالجيم وقيل العرفط بضم العين المهملة والفا يكون بالجيم وقيل العرفط بنات له ورق
يفرش على الارض له شوك وثمرة خبيث الرايحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاة
وهو كل شجر له شوك وقيل له رايحته كرايحة النبذ وقال صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد
منه رايحة كريهة قولها جرست نحلة العرفط بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت
نحلة العرفط فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب
بنت جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره ابن القرطبي وقال اكثر المفسرين في سبب
نزول ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت
حفصة فوجد الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه
يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما اذنت لي من اجل انك
ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي اما رايت الي حرمة وحقا ما كنت

تضع

تضع هذا بامراة منهن فقال رسول صلى الله عليه وسلم اليس هذه جاريتي قد
احلها الله لي فهذه حرام على اشمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن
فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها
وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم
عليه امته ماريه وان الله قد اراحنا منها واخبرت عايشة بمارات وكانتا
متصافيتين متظاهرتين على سايرازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضبت عايشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن
انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له امة يطاوها فلم تزل
عايشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما
ما احل الله لك اخبب بان المراد بهم ان هذه الخطاب بطريق العتاب وخطاب
النبي صلى الله عليه وسلم بنا في ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم اجيب بانه
ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي
فان قيل تحريم ما احل الله غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله لك اجيب
بان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه
حرام اما بعد ما احل الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع
بها مع اعتقاد كونها حلا لافان من اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احل الله
فقد كفر فكيف يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي اي تريد ارادة عظيمة
من مكارم اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك اي الاحوال والامور التي
التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتفرق لما يوحى
اليك من ربك لكن ذلك للزوجات اكد والله اي الملك الاعلى غفور رحيم اي محا
ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم فقد غفر لك هذا التحريم ثم علل وبين
ذلك بقوله تعالى قد فرض الله اي قدر ولا الجلال والاكرام التي لا شريك له ولا امر
لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة اشار الى ان ذلك لا يقدح في
الورع ولا يخل بحرمة اسم الله تعالى لاهل الهمم العوال لا يحوزون النقلة من عزيمة
الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها ولما كان التحقيق على امته

اضع

تعظيما له صلى الله عليه وسلم قال تعالى لكم ايتها الامة التي انت راسها تحلة اي تحليله
ايمانكم بالكفارة المذكورة في سورة المايدة وقيل قد شرع الله تعالى لكم الاستثنا في ايمانكم
من قولك حلل فلان متصلا في يمينه اذا استثنى بمعنى استثن في يمينك اذا طلقتها بان
تقول ان شا الله متصلا بحلفك وتنويه قبل الفراغ منه واختلف اهل العلم في لقاء
التحريم فقال قوم ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام او حرمتك فان نوى به
طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظهار وان نوى تحريم ذاتها واطلق
فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شي عليه وهذا قول بن
مسعود واليه ذهب الشافعي وروى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن بن عباس
انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام
وتلا هذه الاية وذهب جماعة الى انه بيمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا
تجب الكفارة ما لم يقر بها كما لو حلف لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكل يروى ذلك عن
ابي بكر وعايشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة وعند ابي حنيفة ان نوى
الطلاق بالحرام كان باينا وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب
اذا لم ينو والا فعلى ما نوى نقله الزمخشري وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي
وعن علي ثلاث وعن زايد واحدة باينة وعن بن عباس قال اذا حرم الرجل
امراته فهي بيمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال
مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال زيد بن
مسلم وعاد الى مارية وقال الحسن لم يكفر لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر به الامة قال بن عادل والاول اصح وان
المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم الامة تقتدي به في ذلك والله اي والحال
ان المختص باوصاف الكمال مولاكم اي يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم
ومتولي اموركم وهو اي وحده العليم اي البالغ العليم بمصالحكم وغيرها الى ما لا نهاية
له الحكيم اي الذي يضع كلما يصدر عليه لكم في اتقن محاله بحيث لا يقدر عليه ان
يغيره ولا شيا منه والعامل في قوله تعالى واذا اذكر فهو معقول به لا ظرف
والمعنى اذكر اذا اسر النبي اي الذي شانه اي يرفعه الله تعالى دايما فانه ما ينطق

عن الهوي

عن الهوي الي بعض ازواجه وابهمها ولم يعينها تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها
وهي حفصة صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم حديثا
هو من شان الرسالة ولو كان من شانها لعم به ولم يخص به والا اسره وذلك هو
تحريمه علي نفسه وقوله لحفصة لا تخبري احدا وقال سعيد بن جبير عن بن عباس
اسر امر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة
يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقال ميمون بن مهران اسر ان ابا بكر خليفتي
من بعدي فلما بنات اي اخبرت به عايشة ظنا منها انه لا حرج عليها في ذلك
واظهره الله اي اطلعه الملك الذي له الاحاطة بكل شي عليه اي الحديث على
لسان جبريل عليه السلام بانه قد افشى مناصحة له في اعلامه بما يقع في غيبته
ليحذره ان كان شرا ويثبت عليه ان كان خيرا وقيل اظهر الله الحديث على النبي
من الظهور عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم التي اسر اليها بعضه اي بعض
ما فعلت واعرض علي بعض اي اعلام بعض تكرما منه ان يستقصي في العبادات
وحيا وحسن عشرة قال الحسن ما استقصي كريم قط وقال سفيان ما زال التفاعل
من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر الامامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفا من
ان ينتشر في الناس فربما اثار حسد بعض المنافقين واورث الحسود للصديق كيدا
وقال بعض المفسرين انه اسر الى حفصة شيا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة الي
بعضه يواخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي
يجازيكم عليه وقيل المعروف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وقال
وروي انه قال لها ويلك الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت
نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى به اباها فلما نباها به اي بما فعلت على وجه
لم يغادر من ذلك الذي عرفها به شيا منه ولا من عرايضه لتزداد بصيرة روي انها
قالت لعايشة سرا فانا اعلم انها لا تظهره قاله الملوي وهو معنى قوله تعالى قالت
اي ظنا منها ان عايشة افشت عليها من انباك هذا اي من اخبرك اني افشيت السر
قال نباني وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا للمعنى بالتعميم اشارة الى انه اخبره
بجميع ما دار بينها وبين عايشة على اتم العليم اي المحيط العلم الخبير اي المطلع على

على الضمائر والظواهر تهاونا وان يحذر فلا يتكلم سرا او جهرا الا بما يرضيه وقوله
تعالى ان تتوبا الى الله اى الملك الاعظم شرط وفى جوابه وجهان احدهما قوله تعالى هـ
فقد صغت قلوبكما والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما
عن الواجب فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحب وكراهة ما يكره
وصغت مالت وقالت عن الحق قال الفرطوبى وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء هـ
الشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به اى ان تتوبا كان خيرا
لكما اذ قد صغت قلوبكما الثانى ان الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او
فتاب الله عليكما قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى هـ
ذلك ذنب قال بعضهم وكاد نعم ان سيل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا
وقد غفل عن المعنى المصحح للكونه جوابا تنبيه قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث
اوقع الجمع موقع المثنى استقلالا لبلجى تثنيتين لو قيل قلبا كما ومن شان العرب اذا ذكروا ما
الثنيين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل والاحسن فى هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية
كقوله فتخالسا نفسيهما بنوافذ الفطا الذى لم يرفع هـ وقال بن عصفور لا يجوز الافراد
الا فى ضروره كقوله هـ حمامة بطن الواديين ترنمي هـ سقاك من الغوا الغوادى مطيرها
وتبعه ابو حيان وغلط بن مالك فى كونه جعله احسن من التثنية قال بن عادل هـ
وليس بغلط الكراهة توالى تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا الى الله فيه التفات
من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا الخطاب اما المومنين بنتا الشخصين الكريمين
عائشة وحفصة مثلما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهما احب ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من احباب جارتيه
واحباب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنساء قال بن زيد مالت قلوبكما
بان سرهما ان يحبس عنده ولذ فرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
قد مالت قلوبكما الى التوبة روى مسلم عن بن عباس انه قال مكثت سنة وانا اريد
ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اسال هيبة له حتى خرج ثم سرت حا جا
فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى
فرغ ثم سرت معه باداوه ثم جا فكتب على يديه منها فتوضى فلما رجع قلت يا امير

المومنين

المومنين من اللتان تظاهرتا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعايشة
قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك
قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وفي د واية
واعجبا لك يا بن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة
ثم اخذ يسوق الحديث قال كنت انا وجار لى من الانصار وكانا من نزلا فى بني اميه وهم من
عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبى صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل يوما
فاذا نزلت جيته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا
معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساهم فطفق
نساونا يتعلمن من نسايهم فصحت على امراتى فراجعتنى فانكرت ان تراجعنى قالت لم تنكر
ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم
حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها اى حفصة افتغاضب احداكن النبى صلى
الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتامنين ان يغضب الله
بغضب رسوله لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تساكريه شيا وسليني ما بدا لك
ولا يغرنك ان كانت جارتك هى واسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عا يشة
قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل الانصاري يوما فوبته ثم اتاني
عشا فضرب بابى ضربا شديدا فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت
ما هو اجا غسان قال لا بل اعظم من ذلك واهول طلق النبى صلى الله عليه وسلم نساه فقلت
خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت
على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبلي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل فى السوبة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر
فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى اتيت المنبر ثم اذا عنده رهط
جلوس ايتكى بعضهم فجلست قليلا ثم غلبنى ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر
فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعونى فقال ادخل
فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع
على رمال حصير وليس بينه فراش قد اثر الرمال بجنبه متكيا على وسادة من ادم

حشوها ليف ثم قلت وانا قايم يا رسول الله اطلقت نساك فرفع الي بصره وقال لا
فقلت الله اكبر ثم قلت وانا قايم لو رايتنا يا رسول الله لو رايتني دخلت على حفصة
فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد عايشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة اخرى فجلست حتى رايته تبسم النبي
صلى الله عليه وسلم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رايت فيه شيا يرد البصر غير اهبة ثلاثة
فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم
واعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكيا وقال اوفي
في هذا انت يا ابن الخطاب ان اوليك قوم عملوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله
استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من اجل ذلك الحديث حين افتته حفصة الي
عايشة تسعا وعشرين ليلة وكان وكان صلى الله عليه وسلم قال انا بداخل عليهن شهرا من
شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرين ليلة دخل على عايشة
فبدا بها فقالت له عايشة يا رسول الله انك كنت اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانما
اصبحت من تسع وعشرين ليلة اعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر
تسعا وعشرين ليلة قالت عايشة ثم انزل الله التخيير فبدا بي اول امراة من نسايه فاخترته
ثم خيرهن فقلت مثلها وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاها حين امره الله
ان يخير ازواجه قالت فبدا بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ذاكر لك امرا فلا عليك
ان تستعجلي حتى تستامري ابوك وقد علم ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه قالت ثم ان الله
قال يا ايها النبي قل لازواجك الى تمام الايتين فقلت اوفي هذا تستامري ابوي فاني اريد الله
ورسوله والدار الاخرة وفي رواية ان عايشة قالت له لا تخبر نساك اني اخترتك فقالت لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من امر النسا فان كنت طلقتهن فان الله
معك وملايكتك وجبريل وميكاييل وانا وابو بكر والمومنون معك واقل ما تكلمت واحد
الله بكلام الا رجوت ان الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا علينا الاية وفي رواية انه استاذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساه فاذن له وانه قام على باب المسجد

ونادي

ونادى باعلا صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه شرح بعض الفاظ هذا
الحديث قوله فعدلت معه اي فملت معه بالاداوة اي الركوة والعوالي جمع عاقبة وهي
اماكن باعلا ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كان جارتك يريد بها الضرة وهي عايشة
واسم منك واوسم منك اي اكثر حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الا نسان
مرة ويفعله مرة اخرى بعده والمشربة بضم الراء وفتح الغرفة وقوله تعالى فاذا هو متكي على
رمال حصير وقالت يقال وقلت الحصير اذا ظرفته ونجسته والمراد انه لم يكن على السرير
وطا سوى الحصير وقوله ما رايت ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب
وهو الجلد وقوله من شدة موجدة الموجدة الغضب وقرا وان تظاهروا الكوفيون بتخفيف
الظاء والباقون بتشديدها اي تتعاونا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه فان
الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له وقوله تعالى هو يجوز ان يكون فصلا وقوله تعالى
مولاه الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره
فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى وجبريل وصالح المومنين معطوف على محل اسم
ان فيكونون ناصريه ويجوز ان يكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع
فتختص الولاية بالله واختلف في صالح المومنين فقال عكرمة هو ابو بكر وعمر وعن اسما
بنت عميس هو علي بن ابي طالب وقال الطبري هو خيار المومنين وصالح اسم جنس
كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر وقال قتادة هو الانبيا وقال بن زيد هو الملايكة و قال
السدي هو اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والاولى هذه الاقوال كلها والملايكة اي
كله بعد ذلك اي الامر العظيم الذي تقدم ذكره ظهيرا اي ظهيرا عوان له في نصره عليكا السلا م
فهو مذكور خصوصا وعموما ثلاث مرات على القول بانه صالح المومنين هم الملايكة ان قلنا
بالعموم وذلك اظهار الشدة محبته وموالاته للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاية عكس
اية البقرة وهي قوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل فانه ذكر
الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال بن عادل ولم يذكر الناس
الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة ولما كان اشد ما على المراة انها
تطلق ثم اذا طلقت ان يستبدل بها ثم يكون البدل خيرا منها قال تعالى محذورا لهن عسى
ربه اي المحسن اليه بجميع انواع الاحسان التي عرفتموها وما لم تعرفوه منها اكثر جدير

وحقيق ووسط بين عسى وخبرها اعتراضا وتخويفا بقوله تعالى ان طلقكن اى بتقدير
من غير اعتراض عليه جميعكن او بعضكن قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذه الاية
وقيل هو واجب وان الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق وان طلقهن فان طلقكن
شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اى ان طلقكن فعسى
ربه وقوله تعالى ان يبدله اى يمجد صلاته وقرا نافع وابو عمر وبفتح الباء وتشديد
الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال ازواجا خيرا منكن خبر عسى والجملة
جواب الشرط ولم يقع البدل لعدم وجود الشرط فان قيل كيف تكون المبدلات خيرا منهن
ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لان هذا مما يمنع المومنين اجيب بانه اذا طلقهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمعصيانهن وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الاتية
مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم خيرا وان هذا على سبيل الفرض ومر عام فى الدنيا والاخرة
ولا يقتضى وجود من هو خير منهن مطلقا وان قبل بوجوده فى خديجه لما جرب من تحملها
على نفسها فى حقه صلى الله عليه وسلم وبلوغها فى حبه والادب معه باطنا وظاهرا
الغايه القصيا ومريم احسنت حيى كانت من القانتين فذلك فى الاخرة وتعليق تطليق
الكل لا يدل على انه لم يطلق حفصه فقد روي انه طلقها ولم يزدها ذلك الا فضلا ان الله
تعالى امرها ان يراجعها لانها صوامة قوامة ثم بين تعالى الجزية بقوله تعالى مسلمات الى اخره
وهو اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير مسلمات يعني مخلصات
وقيل مسلمات لامر الله عز وجل وامر رسوله صلى الله عليه وسلم خاضعات لله تعالى
بالطاعات مومنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما امرت ونهين
عنه وقيل مسلمات قرات بالاسلام مومنات مخلصات قانتات اي مطيعات والقنوت
الطاعة وقيل داعيات تائبات اي راجعات من المعصوات والذلات سريعا ان وقع من
شيء من ذلك وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن
عابدات اي كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التوحيد
سائحات قال ابن عباس صائمات وقال الحسن مهاجرات قال ابن زيد وليس في امة
محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفراء غير
سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه

بالصايم في امساكه الى ان يجي وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا
ذهب ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم تاب بوجه من الوجوه او زالت بكارتها
بوطي من غير نكاح وابكارا اي عذاري جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك على اول
حالها التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن اخبر بالعشرة التي هذا سياقها ووسط
الواو بين الثيبات والابكار لتناسي الوضعين دون سايرالصفات فان قيل كيف ذكر
الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقل رغبة الرجل فيهن اجيب بان يمكن ان يكون
بعض الثيبات خيرا من كثير من الابكار لاختصاصهن بالحال والجمال وما يليق بحاله
في خطاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن التشبه اكراما له صلى
الله عليه وسلم اتبع ذلك امر الامة بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى
متبعا لهن بالموعظة الخاصة بالموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب يا ايها الذين امنوا اي اقروا بذلك قوا انفسكم
اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي به صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات
وفي ادبه مع الخلق والخالق واهليكم من النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم
نارا بالنصح والتاديب ليكونوا متخلقين باخلاق اهل النبي صلى الله عليه وسلم
كما روي الطبراني عن سعيد بن العاص ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن
وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم
لعل الله يجمعكم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل
اهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم
تقم رش على وجهها بالماء ورحم الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم
يقم رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء ما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد
بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله صلى الله عليه
وسلم ان احل ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افراد سايرالمقربات فيعلمه الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم حق الولد ان يحسن اسمه
الكتابة ويزوجه اذا بلغ ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل وقودها
اي الذي توقد الناس اي الكفار والحجارة كاصنامهم منها وعن ابن عباس انها حجارة

الكبريت وهي اشد الاشيا حرا اذا اوقد عليها والمعني انها مفرطة الحرارة فتتقد بما ذكر
لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه عليها ملايكة خزنتها عدتهم تسعة عشر كما ياتي ان شا
الله تعالي في سورة المدثر غلاظ اي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من
الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما احبب لبني ادم اكل الطعام والشراب شداد اي
شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال يرفع واحد منهم بالرفعة الواحدة
سبعين الفا في النار لم يخلقوا الله فيهم الرحمة وقيل في اخذهم اهل النار شداد
عليهم يقال فلان شديد علي فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ
اجسامهم ضخمة شداد اي قويا قال بن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة
وقال صلي الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب
لا يعصون الله اي الملك الاعلي وقت من الاوقات وقوله تعالي ما امرهم بدل من الجلالة
اي لا يعصون امر الله وقوله تعالي ويفعلون ما يومرون تاكيد هذا ما جري عليه الجلال
المحلي وقال الزمخشري فان قلت اليس الجمليات في معني واحد قلت لا فان معني الاولي انهم
يقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعني الثانية انهم يؤدون
ما يومرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما امرهم في ما
مضي ويفعلون ما يومرون في ما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي فان قيل انه تعالي
خاطب المشركين في قوله تعالي فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معني مخاطبته للمومنين بذلك
اجيب بان الفساق وان كانت بركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحد
فقيل للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه الدار
الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتقوي عن الارتداد والندم علي الدخول في الاسلام وان
يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشري ويعضد ذلك قوله
تعالي علي الاثر يايها الذين كفروا اي بالاضلال بالادب مع الله تعالي وبالادب مع ساير
خلقه لا تعتذروا اي تبالغوا في اظهار العذر وهو ايساغ الجبلة في وجه يزيل ما
ظهر من التقصير اليوم فانه يوم الجزا لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار
وصار الامر الي ما صار وهذا اليمني لتحقق الياس انما تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم

اي ما

اي مما هو لكم كالجبلة والطبع تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم قال
البقاعي ولا بعد علي الله في ان يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انها عمله ثم يجعل
تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الالام ما علم الله تعالي انه بمقدار استحقاقه ولما
بين تعالي ان المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم امر بالتوبة في الدنيا بقوله تعالي يايها الذين
امنوا توبوا اي ارجعوا رجوعا تاما الي الله اي الملك الذي لا نظير له توبة وقوله نصوحا
صيغة مبالغة اسند النصح اليها مجازا وهي من نصح الثوب الذي خاطه فكان التايب
يوقع بالمعصية وقيل من قولهم ناصح اي خالص وقرا شعبة بضم النون والباقون
بفتحها تنبيه امرهم بالتوبة وهي فرض علي الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان
واختلفوا في معناها فقال عمرو ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الي الذنب
كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما علي ما مضي مجمعا علي
ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن
وعن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن سماك ان تنصب الذنب
الذي اقللت فيه الحيا من الله تعالي امام عينك وتستعد لمنظرك وعن السدي لا تصح
الا بنصيحة النفس ونصيحة المومنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله
وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون فيها انفسهم وقال القرطبي يجمعها اربعة اشيا
الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيي
الاخوان وقال الفتا التوبة التي لا تعلق لحق ادمي فيها لها ثلاثة شروط احدها ان يقلع
عن المعصية وثانيها ان يندم علي ما فعله وثالثها ان يعزم علي ان لا يعود اليها
فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحة وان فقد شرط منها لم تصح توبته
وان كانت تتعلق بادمي فشروطها هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها
فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الي مالكه وان كان الحد قذف ونحوه مكنه من نفسه
او طلب العفو منه وان كان غيبة استحله منها قال العلما التوبة واجبة من كل معصية
ونحوه كبيرة او صغيرة علي الفور ولا يجوز تاخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من
بعضها صحت توبته عما تاب منه وبقي عليه الذي لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة
والجماعة وقد قال صلي الله عليه وسلم يايها الناس توبوا الي الله فاني اتوب في اليوم

مايه مرة وعن ابي هريرة قال قال صلى الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لا استغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة وعن ابي موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى
تطلع الشمس من مغربها وعن بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وعن علي انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا
ان سرعة بالاستغفار بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشيا على
الماضي من الذنوب الندامه وللفرايض الاعادة ورد الظالم واستحلال الخصوم وان يعزم
على ان لا يعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما اذبتها في المعصية وان تذيقها
مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة يحسب الرجل من الشراب يتوب من
الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى عسى ربكم اي الحسن اليكم ان يكفر اي يغطي تغطية
عظيمة عنكم سيئاتكم اي ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله لعباده في قبول التوبة
وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذ كان التايب على خطر فما ظنك بالمصر ولكن الفضل
واسع ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار بقوله تعالى ويدخلكم
اي يوم الفصل جنات اي بساتين كثيرة الاشجار تسترد داخلها تجري من تحتها تحت غرفها
واشجارها الانهار فهي لا تزال زيا وقوله تعالى يوم لا يخزي الله اي الملك الاعظم النبي اي الذي
نباه الله تعالى لما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التي هي في غاية العظمة منصوب بيدخلكم
او باضمار اذكر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه وقوله تعالى والذين امنوا معه يجوز
فيه وجهان احدهما ان يكون منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا معه على هذا يكون
قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم مستانفا او حالا الثاني ان يكون مبتدا
وخبره نورهم يسعى الخ اخره وقوله تعالى يقولون خبر ثاني او حال تنبيه التقييد بالايمان
لا ينبغي ان لهم نورا عن شمايلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين
واما من اهل اليمين فهم يمشون في هاتين الجهتين ويوتون صحايف اعمالهم منهما واما
اصحاب الشمال يعطونها من وراء ظهورهم ومن شمايلهم وهم بما لهم من النور ان قالوا سمع
لهم وان شفعوا شفعوا ربنا اي ايها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير لنا او لكون فيه

اتمم

اتمم لنا نورنا اي الذي مننت به علينا حتى يكون في غاية التمام قال بن عباس يقولون ذلك
اذا طفي نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقو له
تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر
ما يبصرون مواطي اقدامهم لان النور على قدر الاعمال يسالون اتمامه تفضلا وقيل السا بقون
الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا على الصراط
فاوليك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا اي وامح عنا كل نقص كان يميل بنا الى
احوال المنافقين عينه واثره وهذا النور من صور اعمالهم في الدنيا لان الاخرة تظهر فيها
حقايق الاشيا وتنبع الصور معانيها وهو شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي يضرب به
بين ظهراني جهنم لان الفضايل في الدنيا متوسطة بين الرذايل فكل فضيلة يكتنفها رذ يلتان
افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله
فمن كان يمشي في الدنيا على امر به سوء من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن اصالته
الشهوات طفي نوره في بعض الاوقات واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار
بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفي لان اقراره
لا حقيقة له انك اي وحدك على كل شي يمكن دخول المشيئة فيه قدير بالغ القدرة ولما ذ كر
ما تقدم من لينه صلى الله عليه وسلم لاضعف الناس النسا وحسن ادبه وكرم عشرته لانه
مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم امره سبحانه بالغلظة والشدة على اعدايه بقوله
تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار اي بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما دونه من المواعظ الحسنة
والدعا الى الله تعالى ليعرف ان ذلك اللين لاهل الله تعالى انه هو من قام عقلك وعزيز علمك
وفضلك والمنافقين اي جاهدهم بما يليق بهم من الحجة والسيف ان احتج اليه ان ابدوا نوع مظا هره
وعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المومنين وقال
الحسن وجاهدهم باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر
والابعاد والنحو فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى كما ان اللين لاهل الله من خشية الله تعالى
وقرا حمزة بضم الها والباقون بكسرها وماواهم اي في الاخرة جهنم وبيس المصير اي هي ولما
كان للكفار قرابات بالمسلمين ربما توهم انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار توهم انها
تضرهم ضرب لكل مثلا وبدا بالاول فقال تعالى ضرب الله اي الملك الذي احاط بكل شي

بكل شي قدرة وبدا بالاول وعلما مثلا يعلم به من فيه قابلية العلم وينقط به من له اهلية
الاتعاظ للذين كفروا اى عظوا الحق على انفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى امراة نوح عليه
السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالحسب والخسف والاغراق يجوز ان يكون بدلا من قوله
مثلا على تقدير حذف المضاف اى ضرب الله مثلا مثل امراة نوح وامراة لوط ويجوز ان يكون
مفعولين وضرب الله مثلا تعالى هذا المثل تنبيها على انه لا يغنى احد عن قريب ولا مسبب فى الاخرة
اذ فرق بينهما الدين قال مقاتل وكان اسم امراته وكان اسم امراة نوح والهة واسم امراة
لوط والقه وقال الضحاك عن عايشه ان جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة واسم امراة لوط والهة تنبيه رسمت امرات فى الثلاثة
وابنت بالتا المجرورة فوقف عليهن بالها ابن كثير وابو عمرو والكساى وقف الباقون بالتا وقوله
تعالى كانتا اي مع كونهما كامراتين تحت عبدين جملة سابقة كانها مفسرة لضرب المثل ولم
بضميرهما فيقال تحتهما اى تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة قال
القايل لا تدعنى الا بيا عبدها فانه اشرف اسمايه ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله
تعالى صالحين واختلف فى معنى قوله تعالى فخانتاهما فقال عكرمة والضحاك بالكفر وعن
بن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا من به احد اخبرت الجبابرة من قومه
وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امراة نبى قط وانما كانت خيانتها فى
الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتها النميمة اذا اوحيا اليها شى
افشيتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزلت به ضيف دخنت لعلم قومها
انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال فلم اي فتسبب عن ذلك اى العبدين الصا لحين
لم يغنيا عنهما اى المراتبين بحق النكاح من الله اى من عذاب الملك الذى له الامر كله فلا
امر لغيره شيا اى من اغنا لاجل خيانتها وقيل اى للمراتبين عن اذن له فى القول النافذ الذي
لا مرد له ادخلا النار اى قيل لهما ذلك عند موتهما يوم القيامة مع الداخلين اى مع الداخلين
من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبيا فلم يغن نوح ولوط عن امراتيهما شيا من عذاب الله
تعالى وفى هذا المثل تعريض بامى المومنين عايشة وحفصة وما فطر منهما وتحذير لهما على اعلا
وجه واشده وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة
استهزوا وقال ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقربا كما

لا ينفع

لا ينفع نوح امراته ولا لوط امراته مع قربهما لها الكفر صما ثم شرع تعالى فى ضرب المثل الثا ني
فقال تعالى ضرب الله اى الملك الاعلى له صفات الكمال مثلا للذين امنوا امراة فرعون
واسمها اسية وهى بنت مزاحم اتت وعملت صالحا فلم تضرها الوصلة بل الكافر بالزوجية
التى هى من اعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امرء بما كسب رهين واثابها ربها تعالى
ان جعلها فى الاخرة زوجة غير خلقة محمد صلى الله عليه وسلم فى دار كرامته
يصرها على عبادة الله تعالى وهى فى حال عدوه واسقط وصفه بالعبودية دليلا
على تحقيره وعدم رحمته له لانه من اعدا عدايه وقوله تعالى اذ قالت خلود للمثل
المحذوف اى مثلهم مثلها حين قالت رب اى ايها المحسن بالهداية وانا فى حبالة
هذا الكافر الجبار ابن لي عندك بيتا وبيت مرادها بالعندية فقالت فى الجنة اى
دار المقربين وقد اجابها سبحانه بان جعلها زوجة اكمل خلقه صلى الله عليه
وسلم فكان معه فى منزله الذى هو اعلا المنازل ونجني اعادة العامل تاكيدا من
القوم الظالمين ان الناس الاقربا الفريقين الذين يضعون اعمالهم واستجاب الله
تعالى دعاها واحسن اليها لاجل محبتهما للمحبوب وهو كليم الله موسى عليه السلام كما
يقال صديق صديقى داخل فى صداقتى وان موسى عليه السلام غلب السحرة امنت فلما
تبين لفرعون ايمانها اويد يديها ورجليها باربعة ان فرعون امر بصخرة عظيمة
لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا على جسد لا اروح فيه
ولم تجد المال وحسن الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى امراة فرعون الى الجنة فهى فيها
تاكل وتشرب وهو قوله تعالى ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون تسيلته للارامد
التى احصنت فرجها اى عفت عن السو وجميع مقدماته كانت كالحصن العظيم
المانع من العدو فاستمرت على حالها الى الممات فزوجها الله تعالى فى الجنة جزاء
لها بخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين اراد بالفرج هنا الحبيب
لقوله تعالى فنفخت اي بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام فيه
اى فى حبيب درعها قال البقاعى او فى فرجها الحقيقى وعلى هذا فلا حاجة الى التاو يل
من روحنا اى من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح عيسى عليه السلام
وصدقت بكلمات ربها اى المحسن اليها واختلف فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعني با لكلمات

عسى والله بنى وانه عيسى عليه السلام كلمة الله وقال البغوى بعنى الشرايع التى شرعها الله
تعالى للعباد بكاماته المنزلة وقيل من قوله جبريل عليه السلام لها انما رسول ربك الاية وعلى
قول استخفت ان تسمى لذلك صديقة وقرا وكتبه ابو عمرو حفص بضم الكاف والتا
جمعا والباقون بكسر الكاف وفتح التا وبعدها الف افرادا والمراد منه الكثرة فالمراد بالجنس
فيكون فى معنى كل كتاب انزله الله تعالى على ولدها وغيره وقوله تعالى وكانت من القانتين
يجوز فى من وجهان احدهما لانه الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هـ
هارون اخى موسى صلوات الله وسلامه بينا وعليهما وعلى سايرالانبيا والهم اجمعين قال
الزمخشرى فان قلت لم يقل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت مشتمل من قنت من
القنيطين فغلب ذكورهم على اناثه وقيل ما اراد من القوم القانطين ويجوز ان يرجع الها هل
بينهما فانهم كانوا مطيعون لله والقنوت الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب والعشاء
وعن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى بجود بنفسها اذا قدمت على
صراطك فاقربى منى لسلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وعن انس ان النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال كمل من النسا الا مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت
محمد واسية بنت مزاحم امراة فرعون وروى الشيخان عن ابى موسى الاشعرى كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وفضل عايشة على النسا كفضل
الثريد على الطعام وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع سورة الملك مكية وتسمى
الواقية والمنجية وتدعى فى التوراة المانعة لانها تقى وتنجى من عذاب القبر وعن بن
شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون اية
وثلثماية كلمة والف وثلثماية حرف بسم الله الذى خضعت لكمال عظمته الملوك الرحمن
الذى عم بنعمة الايجاد كل من فى الوجود الرحيم الذى خص اولياه بالنعيم بدار الخلود تبارك
اى تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت ثباتا لامثل له مع اليمن والبركة ويقال دام فيه
فهو الدايم الذى لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه السمعات فى الدنيا والاخرة الذى بيده
اى بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره الملك اى له الامر النهى وملك السموات فى الدنيا والاخرة
وقال بن عباس بيده الملك ويقرويبسط ويمنع قال الرازى وهذه الكلمة تستعمل لتاكيد

كونه

180

كونه تعالى مكافا وما لكا كما يقال بيد فلان الامر والنهى والحل والعقد وذكر اليد انما هو تصوير
للاحاطة ولتمام القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يلزم حاجة او
شبهها وهو على كل شى اى من الممكنات قدير لتام القدرة تنبيه احتج اهل السنة
بهذه الاية على انه لا يوثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبايع فى قولنا للفاسد
وابطلوا القول بالتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بقول العبد موجودا لافعال نفسه
كقوله تعالى وهو على كل شى قدير ودلت هذه الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا
فاما ان يقدر على ايجاد شى او لا فان لم يقدر على ايجاد شى لم يكن الها وان قدر كان
مقدورا ذلك الاله الثانى شيا فيلزم كون ذلك الشى مقدورا للاله الاول لقوله وهو
على كل شى قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين فانه محال لانه اذا كان كل منهما مستقلا
بالايجاد فيلزم ان يستغنى كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا
عنهما وذلك محال وقرا وهو على كل شى قدير وهو العزيز الغفور وهو النطيق وما اشبه
ذلك ابو عمرو وقالون والكسائى بكون الهاء والباقون بضمها وخرج بقولنا من الممكنات
انه تعالى ليس قادرا على نفسه واجاب بعضهم بان هذا عام مخصوص ودل على عام قد
قوله تعالى الذى خلق اى قدر او اوجد الموت والحياة قبل خلق الموت فى الدنيا والحياة
فى الاخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البناة على البنين
فقال لهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا فى الابتدا
كانت فى حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه فقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول ان الله اذل بنى ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الاخرة
دار جزا ثم دار بقا عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو ان ثلاث ما طاطا
ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت على الحياة وانما النصر والموت بين عينيه كان اقوى
الداعى الى العمل وقال بن عباس والكلبى ومقاتل ان الموت والحياة جسمان والموت
فى هيئة كبش املح لا يمر على شى ولا يجد ريحه ومقاتل الامات وخلق الحياة على صورة فرس
انثى بلقا وهى التى كان جبريل عليه السلام والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها
مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر على شى ولا يجد ريحها الا حى ولا تطا على شى الا حى
وهى التى اخذ السامرى من اثرها فالقاه على العجل فحيى حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن

عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني
خلق انسانا فنفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا احسن بدل قوله تعالى
ليبلوكم اي يعاملكم وهو اعلم بكم من انفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل
بالاختبار ايكم احسن عملا اي من جهة العمل اي عمله احسن من عمل غيره وروي
عن عمر مرفوعا احسن عملا اعقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقال
الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال الحسن ايكم ازهد في
الدنيا واتركها وقال السدي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد خوفا
وحذرا وقيل ليعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بعود من يغزعليه ليبتي صبره
وبالحياة ليبتي شكره وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزا وخلق الحياة بالابتلا
فان قيل الابتلا هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في
حق الله تعالى العالم بجميع الاشيا محال اجيب بان الابتلا من الله تعالى فاذا قيل
الابتلا من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما مر للاشارة
اليه وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الغفور
اي الذي مع ذلك يغفل في نحو الذنوب عينا واثرا فعلي المبالغ في ذلك ويتلقى من
اقبل اليه احسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وقوله
تعالى الذي خلق اي ابدع على هذا التقدير اي ابدع على هذا التقدير من غير مثال
سبق سبع سموات يجوز ان يكون تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان
يكون منقطعا عنه خبر مبتدا محذوف او مفعول فعل مقدر وقوله تعالى طباقا صفة
لسبع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني انه جمع طبقة نحو رحبة
ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر
مبالغة وامّا على حذف مضاف اي ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر
اي طوبقت طباقا اي بعضها فوق بعض قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء
من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال وهي لا تكون كذلك الا ان تكون الارض
كرة والسما الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا

وهكذا

وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو اقربها بالنسبة اليه كحلقة
ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء التي فوقها بهذه النسبة وقدر اهل الهيئة
انها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة
الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع ما
لطف بنا فيما هيا لنا من المنافع اثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد وانقطع بالالجا
اليه ولم يعولوا الا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل خفض ورفع
تنبيه دلت هذه على القدرة من وجود احدها من حيث بقاؤها في جو الهوا معلقة بلا
عماد ولا سلسلة ثانيها ان كلا منها اختص بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من
السرعة والبطو الى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها
الى قادر تام القدرة وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن اي للسموات وغيرها خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم راجع
البصر ينقلب اليك البصر من تفاوت اي من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستوية
دالة على خالقها وان اختلفت صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في
السموات من عيب واصله من الفوت وهو ما يفوت بعضها بعضا فيقطع الخلل
لعدم استوايها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي من اختلاف
وعيب يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل من التفاوت المفطور لقوله
تعالى بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور وظيره قوله تعالى وما لها من
فروج قال الفقال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في
الدلالة على حكم الصانع وانه لم يخلقها عبثا تنبيه دلت هذه الاية على كمال
علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة
على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما
فدلت الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت اشارة الى كونه محكمة متقنة وقرا ما ترى وهل ترى ابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وادغم لام هل في
التا ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي وقرا من تفاوت حمزة والكسائي بغير الف بعد

بعد الفا وتحقيق الواو وقوله تعالى فارجع البصر مسبب عن قوله تعالى ما ترى وعن قوله تعالى هل ترى من فطور جملة يجوز ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اى فارجع البصر فانظر هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور جمع فطور هن وهو الشق يقال فطر فانفطروا منه فطر ناب البعير كما يقال شق وشق ومعناه شق اللحم وطلق قال المفسرين الفطور الصدوع والشقوق قال القايل شققت القلب ثم ذدت فيه هواك فليلحق فالتام الفطور ثم ارجع البصر قوله تعالى كرتين نصب على المصدر كرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقة بل التكثير بدليل قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا اى صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كاندحر عنه طردا بالصغار وهو حسير اى كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان لا يتاتيان بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كراة وهذا قولهم لبيك وسعديك ومنايك ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير اى اجابة بعد اجابة والاستناقض العرض والتشبيه تفيد التكثير لقرينة كما يفيد اصلها وهو العطف لقرينة كقوله لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم اي قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واسوايها والثانية ليبصر كواكبه فى مسيرها وانتهايها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط وروى البغوى عن كعب انه قال السما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفرا وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وبين السما السابعة والحجب السبعة صحارى بين نور ثم ذكر تعالى ولاية اخرى بعد دلالات الدلالة تدل على تمام قدرته بقوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا اى القربى وهو الراجح اى بتجوم متفقة عظيمة حدا تعوم الحصر ظاهرة سايرة مضيئة ظاهرة زاهرة وهى الكواكب التى تشوه هذه الارض هـ بالليل تارة التى تشورون بها سقوف درهم وتسمى الكواكب مصابيح لاضاتها وزينته لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا شقق الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح والتزيين بها لا يمنع ان تكون مركوبة فيما فوقها من السموات وهى تحت اى بحسب الشفوف بما الاجرام السما من الصغار ولتلك المصابيح من شدة الاضافة وجعلناها اى المصابيح بما لنا من العظمة مع كونها زينة واعلاما للهداية رجوما

للشياطين

طين

اى الذين يحق لهم الطرد من الجن لما لهم من الاحتراق حواسة للسما التى هى محل تنزل امرنا بالقضا والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم ليلا يفسطوا باستراق السمع فيها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم فجعلنا الحق الذى ختمنا به الاديان بالباطل والرجوم جمع رجم وهو مصدر فى الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا على مصدريته ويقدر مضاف اى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه واشخاصه منها وهى باقية لا تنقض وذلك يسوغ تشبيهها بالنجوم فى لمعة الشهاب منهم فتلهم او ضعضع اوامره وحيله وقال ابو على جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهى رجوم للشياطين والكوكب فى معنى مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال القاعل وماهم عنها بالحديث المرجم فيكون المعنى جعلناها رجوما وظنونا بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب فى اشيا من غليظ الابتلا وعن قتادة خلقت النجوم لثلاث زينة للسما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تعدى فيها غير ذلك اخطا وتكلف ما لا علم له به وافسد وظلم واعتدنا اى هيانا فى الاخرة مع هذا الذي فى الدنيا لنا من العظمة لهم اى للشياطين عذاب السعير اى التى فى غاية الاتقاد فى الاخرة قال المبرد سعرت النار فهى مسعورة وسعير بمعنى مفعولة وقيل وهذه الاية تدل على ان النار مخلوقة الان لان قوله تعالى واعتدنا لهم خبر عن الماضي ولما اخبر تعالى عن تهيئة العذاب لهم بالخصوص لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا لم فيه فقال عز من قايل وللذين كفروا اى اوقعوا التغطية لما من حقه ان يظهر وايثار من الاذعان للاله بربهم اى الذي تفرد بايجادهم والاحسان اليهم فانكروا ايجاده لهم بعد العدم كفرانا شاهدوا من اختراعه لهم من العدم عذاب جهنم اى الدركة النارية التى تلقاهم بالجهم والعبوسة والقطب وبيس المصير اى هى اذا القوا اى طرح الكفار فيها اى فى نار جهنم من اى طارح اطرحناه بطرحهم كما يطرح الحب فى النار العظيمة سمعوا لها اى جهنم لنفسها شهيقا اى صوتا يلا شد تكارة من اول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القا الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير

والاهلها على حذف مضاف كما قال عطا الشهيق للكفار اي سمعوا من انفسهم شهيقا ه
لقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق قال القرطبي الشهيق في الصدر والزفير في الحلق
وقد مضى في سورة هود وهي تفور اي تغلي بهم ومنه قول حسان ، تركتم قدركم لا شي
فيها ، وقدر القوم جابية تفور ، قال بن عباس تغلي بهم كغلي المراجل وقرا قالون ه
وابو عمرو والكساي بسكون الها والباقون بكسرها تكاد تميز اي تقرب من اي يتفصل
بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان يشقيق من غيظه وفلان غضب فطارت
شقة منه في الارض وشقة في السما كناية عن شدة الغضب وقرا البزي بتشديد التا
من تميز في الوصل والسوس عن اصله بادغام الدال في التا من الغيظ اي عليهم وقال
سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني تنقطع وينفصل بعضها من بعض وقال
بن عباس تتمزق من شدة الغيظ على اعدا الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها ه
وتاتي يوم القيمة وتاتي الى المحشر بالف زمام لكل زمام سبعون الف ملك بغضب سيدها
يقودونها به وهي من شدة الغيظ تقوى الملايكة وتحمل على الناس فتنقطع الازمة جميعا
وتحطم اهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع
ان لكل ملك من القوة ما لو امر ان يقلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها في
الجو فعل من عز كلفة وهذا كما اطفاها الله في الدنيا بنفخة روى ابو داود عن
ابن عمر انه قال انكست الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته
الى ان قال ثم نفخ في اخر سجدة فقال اف اف الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم الم تعدني
ان لا تعذبهم وهم يستغفرون ولما ذكر تعالى حالها اتبعه حالهم فقال تعالى كلما القي فيها
اي في جهنم يدفع الزبانية لهم فوج اي جماعات في غاية الاسراع والافواج الجماعات
في تفرقة ومنه قوله تعالى فتاتون افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سالهم
اي ذلك الفوج خزنتها اي النار وكلم مالك واعوانه سال توبيخ وتقريع الم ياتكم
اي في الدنيا نذير اي رسول يخوفكم هذا يوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ
زيادة لهم في العذاب قالوا بلى قراة حمزة والكساي بالامالة مختصة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح والوقف عليها كما في قد جانا نذير اي محذر يلبع التحرير ه
تنبيه في ذلك دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا
وهكذا

وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو اقرب منها بالنسبة اليه كحلقة
ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سما في التي فوقها بهذه السنة وقد قدر اهل التنبيه
بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع
ما لطف بنا فيما هيا لنا من المنافع اثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد فانقطع بالحالية
ولم يعول الا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل حفص ورفع بينه دلت
على هذه الاية على القدرة من وجوه احدها من حيث بقايها في جوالهم لهوا معلقة بلا عماد
ولا سلسلة ثانيها ان كلا منها اختص بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة
والبطو الى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها الى
قادر تام القدرة وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن اي للسموات ولغيرها خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل ما خاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر
ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر من تفاوت اي اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي
مستوية دالة على خالقها وان اختلف صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة اي
ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو ان يوت بعضها بعضا ينفع
الخلل بعدم استوايها يدل على قول بن عباس من تفرق وقال السدي ان من اختلاف
وعيب يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل من التفاوت الفطور لقوله تعالى ه
بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال
القتال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكم
الصانع وانه لم يخلقها عبثا تنبيه دلت هذه الاية على كمال علم الله تعالى وذلك
ان الحسن دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقات على وجه الاحكام والانفات
وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى
عالما بالمعلومات فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها
محكمة متقنة وقرا ما ترى وهل ترى في خلق الرحمن ابو عمرو وحمزة والكساي بالامالة
محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وادغم لام هل في التا ابو عمرو وهشام وحمزة
والكساي وقرا من تفاوت حمزة والكساي بغير الف بعد الفا وتشديد الفا مع الف والباقون
بالف بعد الفا وتحقيق الواو وقوله تعالى فارجع البصر مسبب عن قوله تعالى ما ترى وقوله

تعالى هل ترى من فطور جملة يجوز ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر هو
اى فارجع البصر فانظر هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه
فيكون هو المعلق والفطور جمع فطور هن الشق يقال فطر فانفطر ومنه فطرنا ان البعير
لم يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال
القايل شققت القلب ثم ذرذت فيه هواك فليط فالتام الفطور ثم ارجع البصر وقوله تعالى
كرتين نصب على المصدر كرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله
تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا اى صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه
طردا بالصغار وهو حسير اى كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان
لا يأتيان بنظرتين وله تلاث وانما المعنى كرات وهذا قولهم لبيك وسعديك وحنايك
ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير اى اجابة
لك بعد اجابة ولا تناقض العرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة لم يفيده اصلها وهو
العطف لقرينته كقوله لو حد قبر وقبر كنت اكرمهم اى قبور كثيرة ليتم المدح وقال
بن عطية كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها والثانية
ليصير كواكبها فى مسيرها واتيانها وهذا ظاهره يقتضي التثنية فقط وروى م
البغوي عن كعب انه قال السما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد
والرابعة صفراء وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة احمر
وبين السما السابعة والحجب السبعة صحارى من نور ثم ذكر تعالى دلالة اخرى بعد تلك
الدلالة تدل على تمام قدرته بقوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا اى
القربى لانه هذا اقرب السموات والارض وهى التى تشاهد ونها بمصابيح جمع مصباح
وهو السراج اى بنجوم متفقة عظيمة جدا تفوق الحصر ظاهرة سايرة مضيئة هـ
ظاهرة زاهرة وهى الكوكب التى تنور الارض بالليل تارة السراج التى تنورون بها
بقوف دوركم وقيل الكواكب مصابيح لاضائتها وزينة لان الناس يوقدون مساجدهم
ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا شقق الدار التى جعلتم فيها بمصابيح والتزين
بها لا يمنع ان تكون مركوزة فيما فوقها من السموات وهى ترى بحسب الشقوق هـ
هذا للاحرام السما من الصفاء ولتلك المصابيح من شدة الاضافة وهى قوله تعالى

قالوا

قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اظهروه تحسرا وزيادة فى توبيخهم على تفريطهم فى قبول
قول النذير وليبطنوا عليه قولهم فكذبنا اى فتسبب عن مجيئه انا اوقعنا التكذيب بكل
ما قاله النذير وقلنا اى زيادة فى التكذيب ما نزل الله اى الذى له الكمال كله عليكم ولا
على غيركم من شي لا وحيا ولا غيره وما كنا ناهذا الجحود حتى قلنا موكدين ان اى ما
انتم اى ايها النذر المذكورون فى نذير المراد به الجنس الا فى ضلال اى بعد عن الطريق
كبير فبالغنا فى التكذيب والسفه بالاستجهال والاستخفاف وقيل قوله تعالى ان انتم الا
فى ضلال كبير من كلام الملايكة للكفار حين اجزوا بالتكذيب وقالوا اى الكفار زيادة
فى توبيخ انفسهم لو كنا اى بما لنا من الغريزة نسمع اى كلام الرسل اى متقبلة جملة من
غير بحث وتفتيش اعتمادا على ملاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل اى بما ادنه الينا
حاسة السمع فتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا اى كونا دايما فى اصحاب
السعير اى فى عداد ما اعدت له النار التى هى فى غاية الايقاد تنبيه فى الاية اعظم
فضيلة للعقل روى عن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل شي دعامة
ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع الاية
فاعترفوا اي بالغوائي الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف بذنبهم اى فى دار الجزاء كما بالغوا فى هـ
بالتكذيب فى دار العمل والذنب لم يجمع لانه فى الوصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل هـ
فسحقا اى فبعدا لهم من رحمة الله تعالى وهو دعا عليه مستجاب لاصحاب السعير اى الذى
قضت عليهم اعمالهم وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد فى جهنم يقال له السحق
وقرا الكساى بضم الحا والباقون بسكونها ولما ذكر اصحاب السعير بتعمهم ذكر اضدادهم
بقوله تعالى ان الذين يخشون ان يخافوا ربهم اى المحسن اليهم خوفا ارق قلوبهم وادق
اعينهم بحيث لا يهدا لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازداد واطاعة ازدادوا خشية يقولون
ما قالوا وقلوبهم وجلة بالغيب اي حال كونهم غايبين عن عذابه او وعيده غايبا عنهم او وهم
غايبون عن اعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتتكلم بسوق
الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم احد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة
فعلى العاقل ان يطوع نفسه لترجع مطمينة بان ترضى بالله ربا وتدخل فى رق العبودية
وبالاسلام دينا ليصير غريقا فيها فلا ينازع الملك فى رداء الكبريا وازاره العظمة وتاجه الجلال

وحلته الجمال ولا ينازعه فيما يريده من الشراع ومظهره من المعارف ويحكم به على عبيده
من قضا به وقدره لهم مغفرة اى عظيمة تاتى على جميع ذنوبهم واجر اى من فضل الله
تعالى كبير يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه فى الدنيا من شدايد الايلام ه
ويصغر فى جنة لذايذ الدنيا العظام واسروا اى ايها الخلايق قولكم اى خيرا كان او شرا
او اجهروا به فانه يعلمه ويجازيكم به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعنى ان اخفيتم
كلامكم فى امر محمد صلى الله عليه وسلم او غيره او جهرتم به انه اى ربكم عليم اي بالغ
العلم بذات الصدور اى بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما يحدث عنه من الخير
والشر وقال بن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى صلى الله عليه فيخبره جبريل
عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع محمد واسروا قولكم او اجهروا به يعنى
واسروا قولكم فى محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره انه خطاب عام لجميع الخلق فى جميع
الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اى سبيل وجد فالحال واحد فى علمه تعالى ولما قال
تعالى فاحذروا من المعاصى كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك فان ذلك لا يتفاوت ه
بالنسبة الى قوله تعالى ولما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه عالم
فقال تعالى الا يعلم من خلق اى من خلق لا بد وان يكون عالما بما خلقه لان الخلق هو الايجاد
والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشى لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك ه
المخلوق كيفية وكميه والمعنى الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر فى القلب
اذ لا اكون عالما بما فى قلوب العباد قال اهل المعانى ان شيت جعلته من اسما المخلوقات
والمعنى الا يعلم من خلق ولا بد ان يكون العالم الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن
المسيب بينها رجل واقف بالليل فى شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع فى نفس الرجل امر
الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودى من جانب القبضة بصوت عظيم الا يعلم من
خلق وهو اى والحال انه هو اللطيف الذى يعلم ما يشبه فى القلوب الخبير اي البالغ
العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شى من الاشيا وقال ابو اسحاق الاسفراينى
من اسما صفات الذل ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الحكيم
ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغايب والحاضر ه
ومعناه ان لا يغيب عنه شى ومنها الحافظ ويختص به انه لا شى شيا ومنها المحصي ه
ويختص

ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضو النور واشتداد الريح وتساقط الاوراث
فيعلم عند ذلك اجزا الكلمات والحركات فى كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذى يخلق وقد
قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ولما كان هذا الامر غامضا دل عليه بامر مشاهد
بدعه بلطفه وانقته بخبره فقال متسابقا هو اى وحده الذى جعل لكم الارض على
سعتها وعظمتها وحزونة كثير منها ذلولا اى مسخرة لا تنفع لتتوصلوا الى منافعكم فيها
قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشى وزروع حبوب وغرس اشجار وغير ذلك وقيل
ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت متمايلة لما كانت منقادة لنا ولو كانت مثل
الذهب والحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد جدا فى الشتا تنبيه فى ذكر هذه
الاية بعد الاية المتقدمة تهديد للكفرة كقول السيد اعبده الذى اساء اليه سرا يا فلان
انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس فى هذه الدار التى وهبتها لك وكل هذا الخبر الذى
هيأته لك ولا تامن مكرى تاديبى فكانه تعالى يقول يا ايها الكفار انا عالم بسركم وجهركم
وضمايركم فخافونى فان الارض هى التى اقرركم انا ذللتها لكم ولو شيت خسفت بكم وقوله
تعالى فامشوا اى الهوينا مكتسبين وغير مكتسبين ان شيتم من غير صعوبة توجب لكم وثوبا
او حبوا فى مناكبها مثل لتذلل ومجاوزة الغاية لان المنكبين وملقاهما من الغارب
ارق شى من البعير وابناه على ان يطاه المراتب بقدمه ويقتهر عليه فاذا جعلها فى
الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك شيا وهذا امر اباحة وهو اظهار الامتنان وقيل خبر
بلفظ الامر اى لكيلا تمشوا على اطرافها ونواحيها واكمامها وجبالها وقال بن عباس وبشر
ابن كعب وقتاده فى مناكبها فى جبالها وتذليلها اذن على تذليل غيرها وليكن مشيكم
فيها وتصرفاتكم بذل واخبات وسكوت استصغارا لانفسكم وشكرا لمن سخر لكم ذلك وروى
ان بشير ابن كعب كانت له سرية فقال لها صرت حرة فاراد ان يزوجها فسال ابا ه
الدردا فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد فى اطرافها وعنه ايضا فى طرقها
ونجاحها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبى فى جوانبها ومنكبا الرجل فجانباه ه
فايدة فتى قتاده عن ابى الجلد ان اربعة وعشرون الف فرسخ للتودان اثنى عشر
الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاث الاف وللعرب الف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها
لاخراج البركات بقوله تعالى وكلوا ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله تعالى

من رزقه اى اودعه لكم فيها قال الحسن مما احل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا فى الارض
واليه اى وحده النشور وهو اخراج جميع الحيوانات التى اكلتها الارض وافتدتها يخرجها
سبحانه فى الوقت الذى يريده على ما كان كل منهما عليه عند الموت كما اخرج تلك الارزاق لا فرق
بين هذا وذاك غير انكم لا تتاملون فيا فوز شكر ويا هلاك من كفر مقود وا انفسكم بالخيرات
لعلها تتعاد كما قيل هى النفس ما عودتها تتعود ولما كان كانه لم يكن بعد الاستقاق الا
الانذار قال تعالى مهددا المكذبين ءامنتم قرا قبيل فى الوصل بابدال الهمزة بعد الشور واو
او سهل الهمزة الثانيه نافع وبن كثير وابو عمرو وهشام والباقون بخلاف عنه وحققها
الباقون وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى
من فى السما فيه وجه احدها ملكوته فى السما لانها سكن ملايكته وثم عرشه وكرسيه
واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثانى ان ذلك على حذف
مضاف اى ءامنتم خالق من فى السما والثالث ان فى معنى على اى على السما كقوله تعالى
ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على جذوع النخل وانما احتاج القايل بهذين الوجهين الى
ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على البارى تعالى شانه تعالى وهو الظاهر وثبت
بالدليل القطعى انه ليس بمتحيز لئلا يجسم ولا اجابة الى ذلك فان من هنا المراد بها
الملايكة سكان السما وهم الذين يتولون الرحمة والنعمة والرابع انهم خوطبوا بذلك علما
عتا قدهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة انه فى السما وان الرحمة والعذاب ينزلان معه وكانوا
يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من فى السما من تزعمون انه فى السما قال
الرازى وغيره هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها باجماع المسلمين لان ذلك يقتضى
السما من جميع الجوانب فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السما بكثير فيكون حقيرا بالنسبة
على العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قل لمن ما فى السموات والارض فلو كان فيها
لكان مالكا لنفسه فالمعنى اما من فى السما عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب
تعتقده واما من كان فى السما سلطانه وملكه وقدرته كما قال الله تعالى وهو الله فى السموات
وفى الارض فان الشى الواحد لا يكون دفعة فى مكانين والغرض من ذكر السما تفخيم سلطان
الله سبحانه وتعظيم قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو موكل وقوله تعالى ان يخسف بكم
الارض بدل من من السما بدل اشتمال وقال القرطبى يحتمل ان يكون المعنى ءامنتم خالق
من فى

من فى السما بدل اشتمال وقال القرطبى يحتمل ان تكون المعنى ءامنتم خالق من فى السما ان يخسف
بكم الارض كما خسفها بقارون وقرا من فى السماء ان نافع وبن كثير وابو عمرو بابدال الهمزة
الثانية المفتوحة بدل الكثرة يا فى الوصل والباقون بتحقيقهما فاذا هى اى الارض التى
انتم عليها تمور اى تضطرب وهى تهوى بكم وتجرى هابطة الهوى وتكتفا الى حيث شا سبحانه
قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك وقال الرازى ان
الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون
فيها مذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل السافلين وقال القرطبى قال المحققون
ءامنتم من فوق السما كقوله تعالى فسيحوا فى الارض اى فوقها للممات والتحيز لكن بالقهر
والتدبير والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل
او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالا
ماكن والجهاد والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدى بالدعا الى السما لان السما
مهبط الوحى ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملايكة واليها ترفع
اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولانه تعالى خلق
الامكنة وهو غير متحيز وكان فى ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان
وهو الان على ما عليه قوله تعالى ام امنتم اى ايها المكذبون من فى السما ان يرسل بدل
من فى السما بدل اشتمال عليكم اى من فى السما حاصبا قال بن عباس اى حجارة من السما كما ارسلها
على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها
وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة فستعلمون اى عن قريب يوعد لا يخلف عند معاينة العذاب
كيف نذير اى انذارى البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا يستطاع ولا يتعلق الاطماع
بكشف له ولا دفاع قال البقاعى وحذف اليا منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا
عن الطوق ليس منتهى مقدورة بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحذير اى على قراة
اكثر العشرا فقد قرا ورش باليا فى الوصل فيهما دون الوقت والباقون بغير يا وقفا ووصلا
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم لما اصبتم به من العذاب ولما ذكر
تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى اولم يروا اجمع القرا
على القراة بالغيب لان السياق للرد على المكذبين بخلاف تعالى ما فى النحل واشار الى بعد

الغاية بحرف النهاية قال تعالى الى الطير وهو جميع طاير فوقهم اي في الهوا وقوله تعالى صافات
اى باسطات اجنحتهن يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه
حالا فتكون متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول وليروا وقوله تعالى ويقبضن عطف
الفعل على الاسم لانه بمعناه اي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالفعل وقال ابو حيان هـ
وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل
على الاسم لما كان المعنى فالمعنى فالذاتي اعزن فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه
الا عند التسهيل فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند
طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضنها اذا ضربن بها جنوبهن فان
قلت لم قال ويقبضن لم يقل قابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطير
ان في الهوا كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض تارة
بعد تارة كما يكون بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد
تارة كما يكون من السابح اهـ وقال ابو حفص النحاس يقال للطاير اذا بسط جناحيه
صاف واذا ضمهما فاصابا جنبيه قابض لانهما يقبضهما وقيل ويقبض اجنحتهن بعد
بسطها اذا وقفن من الطيران ما يمسكهن اى عن الوقوع في حال البسط والقبض الا الرحمن
اي الملك رحمته عام لكل شي بان هياهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال
مختلفة وخصايص مقرونة هياهن للجري في الهوا انه اى الرحمن سبحانه بكل شي بصير اى بالغ
البصر والعلم بظواهر الاشيا وبواطنها فمنهما اراد كان والمعنى اولم يستبدلوا بنشوت الطير
في الهوا على قدرتنا ان يفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى امن مبتدا وقوله
تعالى هذا خبره وقوله تعالى الذى بدل من هذا وقوله تعالى هو جند اى اعوان لكم صلة
الذى وقوله تعالى ينصركم صفة جند من دون الرحمن اى غيره يدفع عنكم عذابه اى لا ناصر
لكم وقال بن عباس جند لكم اى حزب ومنعة لكم ولفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هـ
هذا الذى هو جند لكم وهو استفهام انكارى اى لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون
الرحمن اى من سوى الرحمن وقرا ابو عمرو بسكون الراء وللدورى اختلاس الضمة ايضا والبا قون
بالرفع ان الكافرون اى ما الكافرون الا في غرور اى من الشيطان يغرهم لان لا عذاب ولا حساب
قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبي صلى الله عليه وسلم

معتدين

معتدين على شيين احدهما قوتهم بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل
اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الافات وابطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى
امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم الاية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى امن هذا الذى
~~هو جند لكم~~ يرزقكم اى على سبيل التجدد والاستمرار ان امسك رزقه بامساك الاسباب التى
ينشا عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة في فمه فامسك
الله تعالى عنه قوة الازدراد اعجز اهل السموات والارض عن ان يسوغه تلك اللقمة
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اى فمن يرزقكم اى لا رازق لكم غيره بل لجوا اى تمادوا
سفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازى في اللوامع واللجاج تفخم الامر مع كثرة الصوارف
عنه في عتو اى مظروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد ونفور اى
تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم في جلب ساد
ولا دفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة والغضب افمن يمشي مكبا اى واقعا على وجهه
اهدى امن يمشي سويا اى معتدلا على صراط اى طريق مستقيم وخبر من الثانية محذوف دل
عليه خبر الاولى اى اهدى والمثل في المومن والكافر اى ايهما اهدى وقيل المراد بالمكب الاعمى
فانه ينفسق فينكب وبالسوى البصير وقيل المكب هو الذى يحشر على وجهه الى النار
ومن يمشي سويا اى الذى يحشر على قدميه الى الجنة وقال بن عباس والكلبي عنى بالذى
يمشي مكبا على وجهه ابي جهل وبالذى يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
ابو بكر وحمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل عام في الكافر والمومن ان الكافر لا يدرى
اعلى حق هو ام على باطل اى هذا الكافر اهدى ام المسلم الذى يمشي سويا معتدلا هـ
يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرا قيل بالسين وقرا خلق بالاشمام
اى بين الصاد والزاى والباقون بالصاد الخالصة قل اى يا اشرف الخلق واستفهم
عليهم مذكرا لهم بما رفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من الصالحات ليرجعوا
اليه وما يقولوا في حال من احوالهم الاعيه هو اى الذى شرفكم بهذا الذكر وبين هـ
لكم هذا البيان الذى انشاكم اى اوجدكم ودرجكم في مدتاج التربية حيث طوركم هـ
في اطوار الخليقة في الرحم ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة صفته عن اكتف
منه وجعل لكم السمع اى لتسمعوا ما يفعله قلوبكم فيهديكم ووحده لقلة التفاوت فيه

في نور الابصار فيه ليظهر سر تفاوته سبحانه في القلوب بغاية المفاوتة انه اعظم الطرق
الموصلة للمعاني اليها والافئدة لتنظروا صنايعه فتعتبروا وتزدجروا عما يريد بكم والابصار
اي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية التوقد بالادراك لما لا يدركه بقية الحيوان لتتفكروا
فتقبلوا على ما يعليكم وجمعها لكثرة التفاوت في نور وادراك الابصار قليلا ما تشكرون اي
باستعمالها فيما خلقت لاجلها وما نريده والجملة مستانفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه
النعم وهم يدعون انهم اشكر الاحسان للناس واعلاهم في العرفان قل هو اي وحده الذي
ذراكم اي خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وانشاكم بعد ما كنتم كالذر اطفالا ضعفا في الارض
التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم منها النبات وغيره واليه اي وحده بعد موتكم تحشرون شيئا
فشيئا الى البروج ودفعة واحدة يوم العبث للحساب فيجازي كلا بعلمه ويقولون اي
يجددون هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا متى هذا وزادوا في الاستهزاء بقولهم
الوعد اي يوم القيامة والعذاب الذي توعد وتبيانه ان كنتم صادقين اي في انه لا بد لنا
منه وانكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات الصبر لما كانوا طاشوا هذا الطيش بابراز هذا
القول القبيح ثم انه تعالى اجاب عن هذا السوال بقوله عز وجل قل اي يا اكرم الخلق لهاولا
البعدا انما العلم اي علم وقت قيام الساعة وترون العذاب عند الله اي الذي له الاحاطة
بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره وانما انا
نذير اي كامل في امر النذارة التي يلزم منها البشارة لمن اطاع النذير لا وظيفة لي عند الملك
الاعظم غير ذلك فلا وصال الى سواله عما لا يوذون لي في السوال عنه مبين اي بين الانذار
باقامة الادلة حتى يصيره ذلك كانه مشاهدة لمن له فيقول العلم فلما راوه اي العذاب بعد
الحشر زلفة اي ذا قرب عظيم منهم سيئت قال بن عباس اي اسودت وجوه واظهر
في موضع الاضمار تعميما وتعليق الخلق بالوصف فقال تعالى الذين كفروا اي اظهروا السوء
وغاية الكراهة في وجوه من اوقع هذا الوصف تنبيه الاصل سا اي اخرت وجوههم
العذاب ورويته ثم بين المفعول وسا هنا ليست المرادفة ليس وانتم كسرة السين نافع
وابن عامر والكسائي والباقون باختلاس الكسرة وقيل اي قال لهم الخزنة تقريعا
وتوبيخا هذا الذي كنتم اي حيلة وطبعا به اي بسببه مكابة حال تاتي غير عنها بطريق
المعنى لتحقق وقوعها وقرا هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها قل يا اكرم
الخلق

الخلق لهولا الذين طال تضجرهم منها وهم يتمنون هذا كك كما قال تعالى ام يقولون شا عر
نتربص به ريب المنون ارايتم اي اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية ان
اهلكني الله اي اماتني بعذاب او غيره الذي له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه ويقصم
عدوه وقرا قل ارايتم في الموضعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش ايضا ابدالها الفا
واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة سهل الهمزة وقرا قل اهلكني الله حمزة
بسكون اليا والباقون بفتحها ومن سكن اليا وقف اللام من الاسم الجليل ومن فتحها فخم ومن معي
اي من المومنين او رحمنا اي بالنصر واظهار الاسلام كما نرجوا فانجان بذلك من كل سوء
ووقانا كل محذور وقرا نافع وبن كثير وابو عمرو بن عامر وحفص بفتح اليا والباقون با لسكون
فمن يجير الكافرين اي الفريقين في الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره من عذاب
اليم اي لا يجير لهم قل اي باخر الخلق هو اي الله وحده الرحمن اي الشامل للرحمة امنا به اي
انا ومن امرني وعليه اي وحده توكلنا اي لانه لا شي في يد غيره والا لرحم من يريد عذابه او عذاب
من يريد رحمته فكل ما جرى على ايدي خلقه من رحمة او نعمة فهو الذي اجراه لانه الفاعل
بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجوا غيره ولا نخاف غيره فستعلمون اي
عند معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه من هو في ضلال مبين اي بين انحن ام انتم
وقرا الكسائي بعد السين بيا الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون بتا الخطاب اما على الو عيد
واما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراة الكسائي وهو تهديد لهم قل اي يا اعظم
خلقنا واعلمهم بنا ارايتم اي اخبروني اخبارا لا لبس فيه ان اصبح ماوكم اي الذي تعدونه
في ايديكم بما نهت عليه الاضافة غورا اي غايرا هبا في الارض لا تناله الدلا وكان ماوهم
من بيرين بير زمزم وبير ميمونة فمن ياتيكم على ضعفكم ح واختلاع قلوبكم واضطرار
افكاركم بما معين اي دايم لا ينقطع وظاهر للاعين سهل الماحة وقال بن عباس بما معين
اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معنى الما اي كثرة فهو على هذا فعيل وعن
ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بما عذب اي لا ياتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان
يبعثكم ويستحب ان يقول القاري عقب معين الله رب العالمين كما في الحديث وتليت هذه الا ية
عند بعض المتجبرين فقال تاتي به الفوس والمعاول فذهب ما عينيه وعمي لفوت بالله
من الجراة على الله وعلى اياته وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان

سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل يوم القيامة فاخرجته من النار
وادخلته الجنة وهي سورة تبارك بن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يوتى من قبل
رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل كما قرا في سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي
في التوراة سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب عن بن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودت ان تبارك الملك في طب كل مومن واما ما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر
حديث موضوع ٭ سورة ن وتسمى القلم مكية ٭ في قول الحسن وعكرمة
وعطا وجابر وقال بن عباس وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي
ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون
مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي
اثنان وخمسون اية وثلثماية كلمة والف ومايتان وستة وخمسون حرفا بسم الله اي الذي
له الاحاطة الكاملة فهو بكل شي عليم الرحمن الذي عمت نعمه ايجادها لاهل معادة البري
منهم والسقيم الرحيم الذي اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه صراطه المستقيم
وقوله تعالى ن كقوله تعالى ص والقران وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا
في تفسير ذلك فقال بن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل
والسدي والكلبي وروى ابو اطيبات عن بن عباس قال اول ما خلق الله تعالى القلم مجرى
بما هو كاين الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت
الارض ما تثبت في الجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا بن عباس الاية واختلفوا
في اسمه فقال الكلبي ومقاتل بهمزة وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثا وقال علي تلهوت
وقال الراوي لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت الارض ملكا فهبط الى الارض
حتى تحت دخل للارضين حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من
الفردوس ثورا له اربعون الف قرب واربعون الف قايمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه
فلم يستقر قدماه فاخذ الله تعالى ياقوتة خضرا من اعلا درجة الفردوس غلظها خمسماية
عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة
من اقطار الارض ومتحراة في البحر فهو تنفيس كل يوم نفسا فاذا تنفس يمتد البحر واذا اراد
نفسه

نفسه جزر البحر فلم يكن لقوايم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات
وسبع ارضين فاستقرت قوايم الثور عليها ومن الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن
للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده
حال والحوت على البحر والبحر على تين الريح والريح على القدرة ثقل الدنيا كلها بما عليها حرفان
قال لهما الجبار كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض
فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا ان يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت
منخره فوصلت الى دماغه ففخ الحوت لله تعالى منها فاذن الله لها تعالى فخرجت فوالذي نفسي
بيدي انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت له كما كانت قال بعضهم نون اخر
حروف الرحمن وهي رواية عكرمة بن عباس وقال القرطبي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ومنه قول الشاعر
٭ اذا ما الشوق برح بي اليهم ٭ القت النون بالدمع السجام ٭ ويكون على هذا اقسم
بالدواة والقلم فان للمنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفات يحصلها تارة بالنطق
وتارة بالكتابة وقيل قوله تعالى النون لوح من نور تكتب فيه الملايكة ما يومرون به رواه
معاوية من قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به الملايكة وقال عطا وابو العالية
هو افتتاح اسمه تعالى قصير ونوم وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصره المومنين
وقال الزمخشري هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة مما ادري اهو وضع لغوي
او شرعي ولا يخلوا اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب
وايهما كان ولا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان
جنسا او تجره وتنونه ويكون القسم بداوة منكرة مجهولة وكانه قيل وداة والقلم وان كان
علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت
واما ان يراد نون من النينات او يجعل علما للبهموت الذي تزعمون والتفسير باللوح من نور
او ذهب والنهر في ابخته نحو ذلك انتهى تنبيه في القلم المقسم به قولا من احدهما ان المراد به
الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السما والارض قال تعالى خلق الانسان علمه البيان
فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر والثاني انه القلم الذي
جا في الخبر عن بن عباس اول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال ما اكتب قال ما كان

وما هو كاين الى يوم القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيامة
ثم قال ختم فم القلم فلم فلا ينطق ولا ينطق يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض
وروى مجاهد اول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب فكتب ما هو كاين الى يوم القيامة وانما
يجري في الناس على امر قد فرغ منه قال بن عادل قال القاضي هذا بخير يجب حمله على
المجازي لان القلم الة مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فهو مرو ينهى فان
اجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة للكتابة بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون
وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو
مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة انتهى وقوله فان انجمع بين الى
قوله محال ممنوع فان الله خلق فيه ذلك كما قال للسموات والارض ايتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طايعين وقال الزمخشري اقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة
على الحكمة العظيمة من المنافع والفوايد التي لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا العقل
وانه شي كالاصل لجميع المخلوقات كالواو والدليل عليه انه روي في الاخبار اول ما خلق الله
تعالى القلم وفي خبر اخر اول ما خلق الله العقل فقال انجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك
وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة
فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات
ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي
هي اول المخلوقات شي واحد والا حصل التناقض وقال النبوي القلم هو الذي كتب الله به
الذكر وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض ويقال اول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه
فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقرا قالون
وابن كثير وابو عمرو وحفصة وحمزة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو هنا والباقون
بالادغام وما يسطرون اي الملايكة اي من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملايكة الحفظة
من اعمال بني ادم وقيل وما يكتبون اي الناس ويتفاهمون وقال بن عباس ومعنى وما يسطرون
وما يعلمون وما موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون
الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم اي وسطورهم ويراد بهم
كل من

كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى ما انت اي يا اعلا المتاهلين بخطابنا بنعمة اي
بسبب ادمامر ربك اي المربين لك بمثل ملك الهمم العالية والسجايا الكاملة بان خصك
بالقران الذي هو الجامع لكل علم وحكم بمجنون وهو نفي قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون
الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام في الوسط اي انتفى ذلك الجنون بنعمة ربك كما يقال
انت بحمد ربك عاقلا بل الذي وصفك بهذا التحقيق باسم الجنون وقال البغوي ما انت بنعمة
ربك بنبوة ربك بمجنون او بربك انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة
وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ما انت بنعمة ربك بمجنون والنعمة
لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وروي عن بن عباس انه صلى الله عليه
وسلم غاب عن خديجة الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه مغبرا متلا غبارا فقالت له
ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القران قال ثم نزل
لاقرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة من نوفل وهو بن عمها وكان
قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسلي الى محمد فارسلته فقال هل امرتك
جبريل عليه السلام ان تدعو احدا قال لا قال والله لين بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا
عزيزا ثم مات قيل دعا الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفر قريش
فقالوا انه مجنون واقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة
وقال بن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية هي الثانية نقله الرازي
وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قوله
يا ايها الذي نزل على الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت
بنعمة ربك بكاين ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة وقال عطا وبن عباس يريد
بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة وقال القرطبي يحتمل ان المنعمة ههنا قسم تقديره ما انت
وبنعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقال الرازي انه تعالى وصفه بصفات
ثلاثة الاولى نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها
لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل
الكامل والسيرة المرضية والبراة من كل عيب والانصاف في مكرمة واذا كانت هذه النعم المحسوسة

ظاهره ووجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى فيه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى
الدلالة البقية على كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية قوله تعالى وان لك اي على ما تحملت
من اثقال النبوة وعلى صبرك عليهم فيما يرونك به وهو تسلية الهه صلى الله عليه وسلم لاجرا
اي ثوابا غير ممنون اي مقطوع ولا منقوص في دنيا ولا اخرة يقال مان الشي اذا ضعف ويقال
مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير منين كالبيت عسل كواكب لا عن طعامها
اي لا يقطع يصف كلابا باضاربه ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل
والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك قال الزمخشري لانه ثواب تستحقه على تحملك
وليس بفضل ابتدا وانما يمن الفواضل لا الاجور على الاعمال انتهى وهذا قول المعتزلة فان
الله تعالى لا يجب عليه شي وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا بغير عمل
واختلفوا في هذا الاجر على اي شي حصل فقيل معناه ما مر وقيل ان لك في الاظهار النبوة
النبوة والمعجزات وفي دعا الخلق الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم
فلا تمنعنك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة
العالية الصفة الثالثة قوله تعالى وانك لعلى هدى عظيم استعظم خلقه لفرط احتمال الممضات
من قومه وحسن مخالفته ومداريته لهم قال بن عباس ومجاهد على دين عظيم من الاديان
ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عايشة ان خلقه كان القران
وقال علي هو ادب القران وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان
يأتمر به من الله وينتهي عنه بما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو
الخلق الذي امر الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذه الانسان في نفسه من الادب يسمى
خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع
المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عايشة اصح الاقوال
وسيلت ايضا عن خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات
قال الرازي وغيره وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة
الى عالم الغيب كل ما يتعلق بها وكانت شديدة التقوى عن اللذات الدنية والسعادات
الدنيوية بالطبع ويقتضي الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما دعاه

وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانه
لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان النبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال
الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وعن ابي اسحاق
قال سمعت البرا يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسن
الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن انس بن مالك قال خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي
تركته لم تتركه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن خلقا ولا مست
خزا قط ولا حريرا ولا شيا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت
مسكا ولا غيرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا
وعن انس ان امراة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة
فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا ام فلان اجلسي في اي سكك
المدينة شيت اجلس اليك فقالت ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قضت حاجتها وعن بن مالك قال كانت الامة من اما اهل المدينة لتاخذ بيدي رسول
الله فتنطلق به حيث شات وعن انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا صافح رجلا لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير
مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وعن عايشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيا قط الا ان يجاهد في سبيل ولا ضرب خادما ولا امراة وعنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه واما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شي قط
الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن انس قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى
صفحة عاتق رسول قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال مر لي من مال
الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطا وعنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وهو

عظيم كان اذا جاء قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به والنغير طاير صغير يشبه
العصفور الا انه احمر المنقار وعن الاسود قال سالت عايشة تما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل في بيته قالت كان في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة توضا وخرج الى الصلاة
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن الحارث قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ام الدرداء الحدث عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اثقل شي يوضع في ميزان المومن يوم القيامة خلق حسن وان الله يبغض الفاحش
البذي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اتدرون اكثر ما يدخل
الناس النار قال الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم
اتدرون اكثر ما يدخل الناس الجنة قال الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس الجنة
تقوى الله وحسن الخلق وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن
ليدرك بحسن خلقه درجة قايم الليل وصايم النهار وفتبصر اي معلم عن قرب بوعد لاخلق فيه
علما انت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر ويبصرون اي يعلم الذين رموك بالهتان علما هو كذلك
وقوله تعالى بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان الباء مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم
المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل الا انه
ضعيف من حيث ان الباء انما تزاد في المبتدا الذي حسبك فقط الثاني ان الباء بمعنى في وهي ظرفية
كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى في اي فرقة وطايفة منكم المفتون اي المجنون اهي في
فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والوجه الثالث على انه على حذف مضاف
اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش
وقلون الباسبية الرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير
بايكم الفتنة وقيل المفتون المعذب من قولهم فتن الذهب بالنار اذا حميته قال تعالى
يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقيل الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون
انه به شيطان وعنوا بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون عذابا بهم الشيطان الذي يحصل من
مسه الجنون واختلاط العقل فايدة بايكم رسمت هنا يبان ان ربك اي الذي ربك
احسن تربية وفضلك على سايرالخلق هو اي وحده اعلم اي من كل احد بمن ضل اي حاد
عن سبيله اي دينه وسلك على سبيل القصد واخطا موضع الرشد وهو اي وحده اعلم
بالمهتدين

بالمهتدين اي الثابتين على الهدى وهم اولوا الاحلام والنهى اي لذوو علم بمعنى عالم تنبيه
قوله تعالى وهو اعلم وهو مكظوم وهو مذموم قراة قالون وابو عمرو والكسائي بكون الهاء
والباقون بضمها وقوله تعالى فلا تطع المكذبين اي الغريقين في التكذيب ولم شركوا ملة غا نهم
كانوا يدعونه الى دين ابايه في فنهاه اي يطيعهم بترك التصميم على معاداتهم ودوا اي تمنوا
واحبوا محبة واسعة بتجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك لم مصدرية تدهن فيدهنون
قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن لو تصانعهم
في دينك فيصانعونك في دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترى فينافقون ويراؤن وقال ابن
قتيبة على ان يعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن الانباري ذكر المفعول في ذلك
نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى واسلمها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر
فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شا الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى تنبيه في دفع فيد هنون
وفيها احدها انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي
فهم فيدهنون وقال الزمخشري قال قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو
جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم
يدهنون كقوله تعالى انى من يوم من بريه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حج اوودوا ادهنانك فهم الان فيدهنون لطمعهم في ادهانه واختلفوا في سبب نزول
قوله تعالى ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على
النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له انه يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو
جهل بن هشام وقال عطا هو الاخنس بن شريق لانه حليف محالف في بني زهرة فذلك
سمي ذينما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث مهين اي ضعيف حقير قيل هو فعيل من
المهانة وهي قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان لا
انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو الحاف في الشر وقال الكلبي المهين
العاجز هماز اي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو الذي يغتاب اخيه في المجلس وقال
ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس
في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في غيبتهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سوا ونحوه
عن ابن عباس وقتادة مشاء اي كثير المشي بينهم اي فتان يلقي النميمة بين الناس ليفسد بينهم

فينقل ما قاله الانسان في اخر واذاعة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد
البين مبالغ في ذلك مناع اي كثير المنع شديد للخير اي كل خير من المال والايمان وغيرهما
من نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال بن عباس مناع للخير اي الاسلام يمنع ولده وعشيرته
من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لئن دخل احد منكم في دين محمد الا انفعه بشي
ابدا معتد اي ثابت التجاوز للحدود في كل ذلك اثيم اي بالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم
فيترك الطيبات وياخذ الخبائث يرغب في المعاصي ويطلبها ويدع الطاعات ويزهد
فيها عتل العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيء الخلق وقال الفرا هو
الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل واصله
من العتل الاكول الشروب القوي الشديد الذي لا يوزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من
اوليك سبعين الفا دفعة واحدة بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع وصفناه به زنيم وهو
الداعي اللصق بالقوم وليس لهم وقال عطا عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش
وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة كزنمة
الشاة وروى عكرمة عن بن عباس انه قال في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم
فعرف وكانت زنمة في عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن بن عباس قال يعرف بالشركا
تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل اعام له اصبع زائدة
وقال بن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا ولا ذكر في عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن
المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة وعن حانسة بن وهب الخزاعي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم على
الله لابراه الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر
الجواظ المجموع المتنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقال عكرمة
هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة سنة مولدة قال الشاعر • زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم •
قيل بغت امه من يعرف حتى نزلت الاية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال
عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في
صور

في صور القردة والخنازير لعل مراده به الدخول مع السابقين والا فمن مات مسلما دخل الجنة
وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا
فشى فيهم ولد الزنا اوشك ان يعم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر
قال القرطبي ومعظم المفسرين على ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهله منا حيسا
ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يزجين احد بلواع الا من
اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا ولا يعطي
المسكين درهما واحدا وقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يوتون ولما كان
حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا اي لم لا يفتخر به ولا يلتفت اليه الا
من كان بهذه الاوصاف فاذا كان ذلك اكبر همه ومبلغ علمه اثمر له الترفع على
الحقوق والتكبر على العباد قال الله تعالى ان اي لاجل ان كان اي هذا الموصوف
ذا مال اي مذكور بالكثرة وبنين انعمنا عليه بهما فصار يطاع لاجلهما فكا بحيث
يجب عليه شكر ما بينهما اذا تتلى اي تذكر على سبيل المتابعة عليه ولو كان ذلك على
سبيل الخصوص له اياتنا اي العلامات الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك
الاعلى وعلى ما له من صفات العظمة قال اي مفاجاة من غير تامل ولا توقف عوضا
عن شكرنا اساطير جمع سطور جمع سطر الاولين اي اشيا سطورها ورونوها وفرعوا
منها فحمله دني طبعه على تكثره بالمال فورطه في التكذيب باعظم ما يمكن سماعه
فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستحي من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه فاعرض عن الشكر
ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل
بالاستناد الى ما هو عند العاقل او هي من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده
كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدناة وقرا بن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين
مفتوحتين وبن عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة بتحقيقهما وهشام على اصله
يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة واحدة مفتوحة قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة
او بهمزتين مخففتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم
ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير
الان كان ذا مال وبنين يقول اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز

ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام
فصار كالمذكور بعد استفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله فيه فعل
مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين ولا يعمل في اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف
الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه في ما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا يعمل في ما
قبل الجزا اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير
مقدما موخرا في مال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد
قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا
مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان تتعلق بقوله تعالى مشا بنميم والتقدير
يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان تتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين
اباطيلهم ونزهاتهم سنسمه اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها على الخرطوم اي الانف
يعني بها ما عاش قال بن عباس سنسمه سنخطه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه
يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة
والاستخفاف وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائي
سنكويه على وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم
على الانف في النار وهو كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف
من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم سادتهم قال الفرا وان كان
الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيئين يعبر به عن الكل قال القرطبي
تبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد ابن
المغيرة ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقية على وجه الدهر ولا نعلم ان الله تعالى بلغ
من ذكر عيوب احد ما بلغ فالحق به على عار الا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة كالوسم على الخرطوم
وقيل ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا لنفسه في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار
وقال بن شميل المعنى سجده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمع خراطيم قال الرازي كالزمخشري
وهذا

وهذا تعسف انتهى وقيل للخمر كالخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب
لانها تطير في الخياشيم تنبيه الانف اكرم موضع من الوجه لتقديمه له ولذلك
جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان
شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية
الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد
وسم العباس اباعره في وجهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها
في جواعرها ولما ذكر تعالى في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلا في الاعمال وختم هنا
بعيب من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراه اعاد ذكر الابتلا واكره بقوله تعالى
انا اي بما لنا من القهر والعظمة بلوناهم اي عاملنا اهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة
المختبر ما علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا انهم احباب ومن قترنا عليهم من اوليائنا اعدا
واستهانوا بهم ونسبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه والجنون وكان ابتلاونا لهم بالقحط
الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف كما بلونا اي اختبرنا
اصحاب الجنة بان عاملناهم معاملة المختبر ما علمنا بالظاهر وحاصله انه استخراج ما في
البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب او انه كناية عن الجزاء
وعرف الجنة بانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعا بفرسخين يقال له
الضروان يطاوه اهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقرا وقت الصرام ويترك لهم ما اخطا
المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شي كثير
فلما مات تحت شح بنوه بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن
ذو عيال فحلفوا على ان يجذوها قبل الشمس حتى لا تاتي الفقرا الا بعد فراغهم وذلك معنى
قوله تعالى اذ اي حين اقسموا ودل على تاكيد القسم بالتاكيد وقال ليصرمنها عبر به عن
الجذ فلدلالته على القطع البائن المستاصل المانع الفقرا من الصرم الذي يعرض على فم الجدي
لئلا يرضع او من المصرما للمفاقرة التي لا ماء بها والمناقة القليلة اللبن مصبحين داخلين
في اول وقت الصباح لئلا يشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان ابوهم يتصدق به
عليهم منها ولا اي والحال انهم لا يستثنون في يمينهم اي ولا يقولون ان شا الله فان قيل
لم سمي استثنا وانما هو شرط اجيب بانه سمي استثنا لانه اخراج لشي يكون حكمه غير المذكور

اولا وكان الاصل فيه الا ان يشا الله فالحق به ان شا الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم
فطاف اي فتسبب عن فعلهم هذا ان طاف عليها اي جنتهم طايف عذاب مهلك محيط وهو
احرقتها ليلا لم تدع منها شيا والطايف غلب في الشر وقال الفرا هو الامر الذي ياتي ليلا
ورد عليه بقوله مسهم طايف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى من
ربك يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطاف وهم اي والحال ان اصحاب
الجنة المقسمين نايمون وقت ارسال الطايف فاصبحت اي فتسبب عن هذا الطايف
الذي ارسله القادم الذي لا يغفل ولا ينام على مال لا يزال اسير الفجر والنوم فعلا
او قوة كالصريم اي كالاشجار التي صرم عنها ثمرها كالليل المظلم اليه يقال الصريم
بسواده والصريم ايضا النهار وقيل الصبح لامنا نصرم من الليل قال الاخفش وهو
من الاضداد وقيل كالرماد الاسود ليس بها ثمرة بلغة خزيمة قاله بن عباس لان ذلك
الطايف اتلفها لم يدع فيها شيا لانهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطورق لضد
ما كان لابيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع احواله قال
القرطبي والاية دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا
فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل
صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم اما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يواخذ به
فتنادوا مصبحين اي في حال اول دخولهم في الاصباح وقوله تعالى ان اغدوا
اي بكروا جدا مقبلين ومستولين وقادرين ويجوز ان تكون المفسرة لانه
تقدمها ما هو بمعنى القول على حرثكم اي محل فايدتكم الذي اصلحتموه وتعبتم فيه
فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني
بالحرث الثمار والزروع والا والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم لما ارادوا قلع
الثمار من الاشجار قال الزمخشري فان قلت هلا قال اغدوا الى حرثكم وما معنى
على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا
عليهم الفه وقال الزمخشري ويجوز ان يتضمن الغدو معنى الاقبال اي فاقبلوا على

حرثكم

حرثكم ان كنتم صادقين مرمدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله اي فاغدوا ويجوز ان
تكون ان المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام تنبيه مقتضين كلام الزمخشري ان اغدوا متعد
في الاصل مالي فاحتاج الى تاويل فقدره بعلى قال بن عاذل وفيه نظر لورود تعديته بعلى في موضع
كقوله • وقد اغدوا على ثبة تثاوى • واحدين لما تشا • واذا كانوا اغدوا مرادفه بعلى فليعدوه
وقرا ان اغدوا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الموصل بكسر النون والباقون بضمها واتفقوا على ان لا
تبدا بالهمزة بالضم فانطلقوا اي تسبب عن هذا الحث عقبه كانهم كانوا متهيئين وهم اي
والحال انهم يتخافتون اي يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية السر كانهم ذاهبون الى
سرقة من دارمين في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهمود وخفا وخفت وخفد ثلاثيتها
في معنى الكتم ومنه الخفد ودانفاش ثم فسر ما يتخافتون به بقوله تعالى ان لا يدخلنها وان
لا هنا مقطوعة كما ترى واكدوه لانه لا يصدق ان احدا يصل الى هذه الوقاحة وان خذاذه
يخلوا من سايل اليوم اي في جميع النهار بما يدل عليه نزع الخافض لتكرره مرارا وتفتشوه فلا
تدعوا به ثمرة واحدة ولا موضع يطمع فيه احد في قصدكم عليكم وانتم بها مسكين وهو نهي للمسا كين
في اللفظ للمبالغة في نهي انفسهم ان لا يدعوه يدخل عليهم ان لا يمكنوه من الدخول حتى يدخل
كقولك الا ارينك هنا فقال لهم اوسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا بما يدل عليه ما ياتي
لا يقول هكذا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنع ابوكم قال البقاعي وكان طواه سبحانه
لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم ياتر شيا وغدوا اي ساروا اليها غدوة على حرد اي منع للمسا كين
قال ابو عبيدة على حرد اي منع من حاردت الابل حرادا اي قل لبنها والحرود من النوق القليلة
الدم وحاردت السنة قل مطرها وخيرها وقال الشعبي وسفيان على خنق وغضب من المساكين
وعن بن عباس على قدرة قادرين عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احادي
بدليل عدم استثنايهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا على ان يكون مع الحلف فعل من لا
كفوله وقال الحسن وقتادة على جد وجهه وقال القرطبي وعكرمة على امر مجتمع ودل على
قربها من منزلتهم بالفا فقال تعالى فلما راوها اي بعد مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها
اثر قالوا انا لضالون اي عند طريق جنتنا لانها صارت لسو حالها من ذلك الطايف بعيدة
عن حال ما كانت عليه عند قواعدهم وتغيير بناتهم فادهشهم منظرها وخبرهم خبرها
واكدوا لان ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم وكثرة ملابستهم لها وقوة معرفتهم بها ولما

انجلى ما ادهشهم في الحال قالوا مضربين عن الضلال بل نحن محرمون اى ثابت حرماننا ما كنا
فيه من الخير الذى لم تغب عنه الاسواد الليل فحرمنا الله تعالى اياه بما عزمنا عليه من حرمان
المساكين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقرا الكسائى بادغام اللام فى النون والباقون
بالاظهار قال اوسطهم اى عقلا ورايا وسنا وفضلا منكرا عليهم الم اقل لكم اى ما فعلتموه
لا ينبغى وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما فى نفسه وصاد لولا اى هلا ولم لا تسبحون اي
تستثنون فكان استثناوهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان
يامرهم بالاستثنا فلم يعطوه قال كان ابو صالح كما كان استثناوهم سبحان الله تعالى لهم لولا
تسبحون الله اى هلا تتولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال النحاس قال
اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح فى موضع ان شا الله لان المعنى
تنزيه الله ان يكون شى الا بمشيته وقال الرازى التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل
سو فلو دخل شى فى الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لنسب النقص الى قدرة الله تعالى
فقولك ان شا الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم
وتتوبون اليه من حيث نيتكم ان القوم لما عزموا على منع الزكاة فاعتزوا بالمال والقوة قال
لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوه العذاب ذكرهم اوسطهم كلا مد
الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينيذ اشتغلوا بالتوبة بان قالوا قالوا اي من غير
تلفتهم بما عاد اليهم من بركة ابيهم سبحان ربنا اى تنزه المحسن الينا التنزيه الاعظم ان يكون
وقع منه فيما فعل بنا ظلم واكدوا فياخذوا فعلهم هضما لانفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا
لتوبتهم انا كنا اى بما فى جبلاتنا من الفساد ظالمين اي مجاوزين الحدود فيما فعلنا من التقاسم
على منع المساكين وعلى حذها فى الصباح من غير استثنا فاقبل بعضهم اى فى الحال مبادرة
للخضوع على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا
بهذا الراي ويقول ذاك بهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني
فى جميع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل بان قالوا بما شغلهم قربة منهم وملازمة
لهم عن كل شي يا ويلنا اي هذا وقت حضورك ايها الويل ايانا ومنادمتك
لنا فانه لا نديم لنا الان غيرك والويل الهلاك والاشراك عليه انا كنا اي جبلة و
طبعا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان

طغينا

طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم
فقالوا عسى ربنا اى الذى احسن الينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها الان تاديبا لنا ان
يبدلنا من جنتنا شيا خيرا منها يقيم لنا امر معاشنا فتنقلب احوالنا هذه التى تحريفها من الهموم
والبذاذة بسروم ولذة وقرا نافع وابو عمرو بفتح البا الموحدة وتشديد الدال والباقون
بسكون الموحدة وتخفيف الدال انا الى ربنا لا الى غيره راغبون اى ثابتة رغبتنا ورجاونا
الخير والاكرام وقد قيل ان الله تعالى قبل رجوعهم واخلف عليهم فابدلهم جنة يقال لها
الحيوان يقال القطف الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل رواه البغوى عن بن مسعود
وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم
وقال الحسن وابو قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون اى لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم
او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابهم الشدة فتوقف فى كونهم مومنين وسيل قتادة عن
اصحاب الجنة فقيل امم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد كلفتين تبعا والا والاكثرون
يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى ولما كان المقام لترهيب من ركن الى ماله
واحتقر الضعفا من عباد الله ولم يجلهم بجلال الله طوى ذكر ما انعم به عليهم وذكر ما يخوفهم
فقال تعالى كذلك اي مثل الذي بلونا به اصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند انفسهم
فى غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان لفعلهم والاستصواب وهذيانه
اهل مكة فلم يبادروا الى المتاب العذاب اي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به فى الدنيا
فاذا تم الاجل قدرناه له اخذناهم به غير مستعجلين ولا مفرطين لانه لا يعجل الا نا قيص
يخاف الفوت ولعذاب الاخرة اي الذي يكون فيها للعصاة اكبر اي من كل ما يتوهمون
لو كانوا اي الكفار يعلمون اي لو كان لهم علم بشي من غرايزهم فى وقت من الاوقات
لرجعوا عما هم فيه ولما ذكر ما لاهل الجمود الذين يجوزون الممكنات ذكر تعالى اضدا دهم
فقال تعالى موكدا لاجل انكارهم ان للمتقين اي الفريقين فى صفة التقوى عند ربهم
اي المحسن اليهم فى موضع نوم اوليك وجنته امالهم جنات جمع جنة وهو لغة
البستان الجامع وفى عرف الشرع ما كان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع
الشرور النعيم اي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينقصه كما
يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله

تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يحصل التفضيل
فلا اقل من المساة فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه افنجعل المسلمين اى الذين هم
غريقون في الانقياد لاوامرنا والصلة لما امرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار
لهم معنا في نفس ولا غيرها لحسن حيلاتهم كالمجرمين اى الراسخين في قطع ما امرنا
به ان يوصل وانتم لا تقرون مثل هذا ففي ذلك انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون
ايضا ان صح اننا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم
كما نحن عليه في الدنيا وقوله تعالى مالكم اى اى شيء يحصل لكم من هذه الاحكام الجايرة
البعيدة من الصواب كيف تحكمون اى اى عقل دعاه الى هذا الحكم الذى يتضمن التسوية
من السيدين المحسن من عبيده والمسي المتفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار
بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راى ام اى بل اي الكم كتاب اى كاوى معروف انه
من عند الله خاص بكم فيه اى لا في غيرهم من اساطير الاولين تدرسون اى تقراون
قراة ايقنتم ان لكم اى خاصة على وجه التاكيد الذى لا رخصة في تركه لما تخيرون
اى ما تختارونه وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعدها هو
المدروس ويجوز ان تكون الجملة حكاية للمدروس وان تكون استينافية ام لكم ايمان
اى عهود ومواثيق علينا قد حملتمونا اياها بالغة اى واثقة نعت لايمان وقوله
تعالى الى يوم القيامة متعلق بما يتعلق به لكم من الاستقرار اى ثابتة لكم الى يوم القيامة
اى مبالغة تبلغ الى ذلك اليوم ومنتهى اليه قوله تعالى ان لكم لما تحكمون جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا اى اقسمنا لكم ولما عجب منهم ولهكم بهم ذيل ذلك بتهكم
اعلامنه بكشف عوارهم غاية الكشف فقال تعالى سيلهم يا اشرف الرسل ايهم بذلك
اى الامر العظيم الذين يحكمون به لانفسهم من انهم يعطون في الاخرة من المومنين زعيم
اي كفيل وضامن او سيد او رييس او متكلم بحق او باطل التزم في ادعايه صحة ذلك
ام لهم شركا موافقون لهم في هذا القول يكلفون لهم فان كانوا كذلك فليا توا
بشركايهم اى الكافلين لهم به ان كانوا صادقين اى يفريقين في هذا الوصف كما
يدعونه وقوله تعالى يوم منصوب بقوله تعالى فليا توا بشركايهم يوم يكشف اى
يحصل الكشف فيه بين المفعول لان الخفيف وقوعي الكشف الذى هو كناية عن
تناقم الامر

تناقم الامر وخروجها عن حد الطوق لا كونه من معين مع انه من المعلوم انه لا فاعل هنا
غيره سبحانه وتعالى عن ساق اي يشتد فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه
الامر وجد في فضله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمته عن سوقين غير محتشمات فهو
كناية عن هذا ولذلك نكره تهويلا له وتعظيما نقل هذا التاويل عن بن عباس وسعيد
بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلايق وظهور الجلايل فيه والدقايق من الاهوال
وغيرها كما كشفت هذه الاية جميع المشبه فتركة السامع لها في مثل ضوء النهار
ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اذكر فيكون على هذا مفعولا به وعلى الاول لا
يوقف على صادقين تنبيه علم مما تقرر ان كشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز
عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت
عن ساقها تبري اللحم عن عراقها وقال الطاي اخو الحرب ان عضت به الحرب
عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال اخر قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن
عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شيء يحتاج اليه الى الجد شمر عن ساقه فا
الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقال القرطبي واما ما روي ان الله تعالى يكشف عن
ساقه فانه تعالى متعال عن الاعضا والابعاض وان يكشف ويتغطى ومعناه
ان يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروي ابو موسى عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون
له سجدا وروي ابو بردة عن بن موسى قال حدثني ابو موسى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون
في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنظرون
وقد ذهب فيقولون ان لنا ربا كما نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا
رايتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له
فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم
كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فلذلك
قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون اي من داعي الملك الديان الى السجود

توبيخا على تركه الان وتنديما وتعريفا لا تعبدا وتكليفا فيريدونه ليفدوا انفسهم مما
يرون من المخاوف فلا اي فتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون لانهم غير سالمين لاعضا
لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم فيقول الله تعالى اي للساجدين عبادي ارفعوا
روسكم وقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة
تحدثت هذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال والله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك
بهذا الحديث فحلف له ثلاثة ايمان فقال ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب
الي من هذا واما غير الساجدين فعن بن مسعود وتعقم اصلابهم اي ترد عظامها
بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي
فقارة واحدة وقوله تعالى خاشعة حال من مرفوع يدعون وقوله تعالى ابصارهم
فاعل به ونسب الخضوع للابصار لان ما في القلب يعرف في العين وذلك ان المومنين
يرفعون روسهم من السجود ووجوههم اضوء من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين
سود مظلمة ترهقهم اي تغشاهم ذلة اي عظيمة لانهم استعجلوا الاعضا الذي اعطاهموها
الله سبحانه ليتقربوا بها اليه في دار العمل في غير طاعته وقد اي والحال انهم قد كانوا
يدعون الى السجود في الدنيا من كل داع يدعوا الينا وقال ابراهيم التيمي اي يدعون
بالاذان والاقامة فيابون وقوله تعالى وهم سالمون اي معافون اصحا حال من
مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون
وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات
ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فذرني اي اتركني على حالة اتعفت ومن يكذب
اي يوقع التكذيب لمن يتلوا ما حددت انزاله من كلام القديم على اي حالة كان
ايقاعه وافرد الضمير نصا على تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي القران
اي خل بيني وبينهم لا تشغل قلبك به فاني اكفيك امره لانه لا مانع منه صلاتهم
به اصلا سنستدرجهم اي سناخذهم بعظمتنا على التدريج لا على عزة الى عذاب
لا شك فيه من حيث اي من جهات لا يعلمون اي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات
فعذبوا يوم بدر وقال ابو روق كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم

الاستغفار

الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من
مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتتون بالثنا عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال
بن عباس سنكذبهم وروي ان رجلا من بني اسرايل قال يا رب كم اعطيك وانت
لا تعاقبني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر
جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج
ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة
بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجة الى
كذا واستدراجهم معناه ادناه منه على التدريج ومنه قيل درجات فتدرج
ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيلا لهم على المومنين
وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم واملي لهم اي امهلهم واطيل المدة كقوله تعالى انما نملي
لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان والملا
وة المدة من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار وقيل لا اعاجلهم
بالموت والمعنى واحد والملا مقصور الارض الواسعة سميته بها لامتدادها ان كيدي اي
ستري لاسباب الهلاك عما اريد اهلاكه وابدا على ذلك له في ملابس الاحسان متين اي
قوي شديد فلا يفوتني احد وسمي احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة
الكيد ووصفه بالمتانة بقوة اثر استحسانه في التسبب للهلاك ان تسالهم انت يا
اعفى الخلق واعلاهم همما اجرا على تبليغ الرسالة فهم اي فتسبب عن ذلك وتعقب
انهم من مغرم اي غرامة كلفتهم بها مثقلون اي ثقل حمل الغرامات عليهم في
بدل المال فثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستو
لون بالايمان على خزاين الارض ويصلون الى جنات النعيم ام عندهم اي خاصة الغيب
اي علمه من اللوح المحفوظ او غيره فهم اي بسبب ذلك يكتبون اي ما يريدون منه
ليكونوا قد اطلعوا على ان هذا الذكر ليس من عند الله او انهم لا درك عليهم في التكذيب
به فقد علم من هذا انهم لا شهوة لهم في ذلك عادية ولا شبهة وانما كيدهم مجرب حيث
طباع وظلمة نفوس واماني فاذرع واطماع فاصبر اي اوقع الصبر واوجده على كل ما
يقولونه فيك وعلى غير من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من ممر القضا لحكم ربك اي

اى القضا الذى قضاه وقدره المحسن اليك الذى اكرمك بما اكرمك به من الرسالة والزمك
بالزمك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب به فقد علم وعدلهم على ذلك طى الاجل وامهلهم
عليهم النعم واخرها وعدك به من النصر وقال بن جحر فاصبر لنصرك وقيل ان ذلك
منسوخ باية السيف وقال قتادة ان الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويا مر
بالصبر ولا يعجل ولا تكن اى ولا يكن حالك يا اشرف الخلق فى الضجر والعجلة كصاحب
اى كحال صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى اذ منصوب بمضاف محذوف
اى ولا يكن حالك كحاله او فضلك كقصة حين نادى اى ربه الظلمات من بطن الحوت
وظلمة ما يحيط به من لجة وظلمة الليل لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهى انما ينصب على احوالها وصفاتها
وقوله تعالى وهو مكظوم جملة حالية من الضمير من نادى والمكظوم الممتلى حزنا او غيظا
ومنه كظم من حيث اذ ملاه قال ذو الرمة ٭ وبت من حب منى مضمر حزنا ٭ على الفؤاد
فوج القلب مكظوم ٭ وقال القرطبى ومعنى وهو مكظوم اى مملوء عما وقيل كربا فالاول
قول بن عباس ومجاهد والثانى قول عطا وابى مالك قال الماوردى والفرق بينهما ان
الغم فى القلب والكرب فى الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم
غيظه اى حبس غضبه والمعنى لا يوجد منك لا يوجد عنه من الضجر ما قبلى مبلا به ولما
تشوق السامع الى ما كان من امره بعد ذلك هذا الامر العجيب قال تعالى لولا ان تداركه
اى ادركه ادراكا عظيما نعمة اى عظيمة جدا تنبيه حسن تذكير الفعل الفصل الضمير
فى تداركه من ربه اى الذى احسن اليه بارساله وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه
والرحمة وقال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال بن جبير عبادته التى سلفت وقال
بن زيد بدليله بقوله تعالى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقال بن اخرا جه
من بطن الحوت وقوله تعالى لنبذ اى لولا هذه الحالة السنية التى انعم الله تعالى عليه بها
لطرح طرحا هينا جدا بالعراء اى الارض القفر الواسعة التى لا ينبت فيها ولا جبال ولا نبات
الجبال فيها البعيدة من الانس جواب لولا وقيل جوابها بمقدر اى لولا هذه النعمة لبقى
فى بطن الحوت مذموما اى فى الحالة انه مذموم اى ملوم على الذنب وقيل مبعد من كل خير
وقال الرازى وانما مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه

الاول

الاول ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومية ترك الافضل وان حسنات الابرار
يسيئات للمقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه اى
اختاره لرسالته ربه وبه والفا للتعقيب قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين حل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين
اراد ان يدعو على ثقيف ثم سبب عن اجتبائه قوله تعالى فجعله من الصالحين
اى الذين رسخوا فى رتبة الصلاح فصلحوا لانعامهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم
فنبذ حينئذ بالعراء وهو محمود قال بن عباس رضى الله تعالى عنهما الوطى وسعفه فى نفسه وفى
قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان ارسله الى مائة الف او يزيدون بسبب
صبره فمن صبر اعظم من صبره كان اعظم اجرا من اجره وانت كذلك فانت اشرف العالمين
تنبيه استدل اهل السنة على ان فعل العبد خلق لله تعالى بقوله سبحانه فجعله من
الصالحين لان الصلاح انما جعل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائى يحتمل ان معنى
جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطفا به حتى صلح ان يجعل يستعمل فى اللغة فى هذه المعانى
والجواب ان ذلك مجاز والاصل فى الكلام الحقيقة وان هى المخففة اى وانه يكاد الذين
كفروا اى ستروا ما قد روا عليه مما جيت به من الدلايل واظهر موضع الاضمار تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف ولما كانت مخففة اتى باللام التى هى علمها فقال ليزلقونك بابصارهم
اى ينظرون اليك نظرا شديدا نظر ايكاد ان يصرعك من قامتك الى الارض كما يزلق
الانسان فينطرح لما يتراى فى عيونهم او يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد ه
يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره او الاكل لفعل قال القايل ٭ يتعارضون م
اذا التقوا فى موطن ٭ نظرا يزل مواطى الاقدام ٭ وقيل اراد وان يصيبوه بالعين فينظر
اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حجته وقيل كانت العين فى بنى اسرايل
فكان الرجل يجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شى فيقول لم ار كاليوم مثله الا عانه حتى ان
البقرة السمينة او الناقة السمينة لما تبرح حتى تقع الناقة للموت فتنحر وقال
الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا ياكل سبتا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فيمر به
الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا
حتى تسقط منها طايفة مهلكة هالكة فقال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبى

صلى الله عليه وسلم انك قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيبون
فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية وذكر الماوردي ان الوليد
اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه
وماله فيقول الله تعالى ما رايت اقوي منه ولا اشجع ولا اكبر منه ولا احسن فيصيب
بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ابو نعيم انه صلى الله عليه
وسلم قال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن اسماء بنت عميس قالت يا رسول
الله ان بني جعفر تصيبهم العين فاسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القضاء
لسبقته العين وقال الحسين دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية وتقرا فاقع بفتح
الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وازلقه يزلقه ازلاقا
وقال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك باعينهم كما يصيب العائن بعينه ماه
يعجبه وانما اراد انهم ينظرون اليك لما سمعوا الذكر اي القران نظر شديدا بالعداوة و
البغضاء يكاد ينقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر
البغضاء ان يصرعوك ويقولون اي قوله لا يزالون يحدونه حسدا او بغضا على انه
لم يزدهم تمادي الزمان الا اختفاء له المجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا
القران فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه وما هو اي القران الا ذكر للعالمين قال ابن
عباس موعظة للمؤمنين قال الجلال المحلي الانس والجن وظاهره اخراج الملائكة وهو ما
جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر الاية انه ارسل لجميع الخلائق وهو كما قال
بعض المتاخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي لما جنتوه لاجل القران بين انه ذكر
عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان الحمل الناس عقلا واثبتهم راياً وقوله تبارك
مخرج عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله
اخلاقهم حديث موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم سورة الحاقة مكية وهي اثنان
وخمسون اية والف واربعة وستون حرفا بسم الله الذي له الكمال كله الرحمن الذي عم
العالمين جوده الرحيم الذي خص اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى الحاقة
مبتدا وخبره الجملة خبر الاول والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها
وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها والحاقة الساعة الواجبة

الوقوع

الوقوع الثابتة المجيء التي لا ريب فيها او التي فيها خوارق الامور من البعث
والحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك احق
هذا اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة بذلك لانها
احقت لاقوام الجنة واقوام النار وقوله تعالى اي اي شيء اعلمك وما ادراك ما الحاقة
زيادة تعظيم لشانهما الاولى مبتدا وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول
الثاني لادري يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث
لا تبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم
له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشانها كانك لست تعلمها اذ لم يعانيها وقال
يحيى بن سلام يلقى ان كل شيء في القران وما ادراك فقد اداه وعلمه وكل شيء قال
وما يدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك
فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة
والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما
ذكر الساعة وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل
مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى كذبت ثمود قومهم لان بلادهم اقرب
الى قريش وواعظ العرب اكثر واهلاكهم بالصيحة وهي سنة بصيحة النفخ في الصورة ه
المبعثرة لما في القبور وعاد بالقارعة اي القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد
بالمخافة او لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدايده
وقوارع الكلام الايات التي يروعها الانسان اذا قرع من الانس والجن نحو اية الكرسي
كانه يقرع من الشيطان وقال المبرد الواخذة ماخوذة من القرعة من رفع قوم وحط
اخرين وقوارع القيامة انفطار السماء وانشقاقها والارض والجبال والدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة
وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في طرف الدنيا وكان بينهم يخوفهم
بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وقال ابن
اسحاق هو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف
رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كلها وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق فاما ثمود فاهلكوا

اى بايسر مومن اوامرنا بالطاغية اى الواقعة التى جاوزت الحد فى الشدة فرجعت منها هـ
القلوب واختلف فيها فقيل الرجفة وعن بن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله
تعالى عليهم صيحة فاهمدتهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهى
مصدر كالمكاذبة والعاقبة اى اهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشرى وليس بذاك
لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى برع صرصر لكن قال بن عابد ويوضحه كذبت
ثمود بطغواها اهلكوا بها ولاجلها قال والباسببية على الاقوال كلها الا على قول
قتادة فانها فيه بالاستعانة كعملت بالقدوم واما عاد فاهلكوا اى باشق ما يكون
عليهم وبايسر ما يكون علينا بريح صرصر اى شديد الصوت لها صرصرة وقيل هى
الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بشدها وقال مجا هد
هى الشديدة السموم عاتية اى مجاوزة الحد فى شدة عصفها والعتو استعارة او عتت
على عاد فيما قدروا على ردها بحيلة من استتار بينا او لياذ بجبل اختفا فى حفرة فانها
كانت تزعمهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ما ارسل الله تعالى سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة
من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الما يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم
عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان
فلم يكن لهم عليها ثم قرا بريح صرصر عاتية سخرها ارسلها عليهم وقال مقاتل سلطها
عليهم سبع ليال اى لا تفتر فيها الريح لحظة وثمانية ايام كذلك قال وهب هى الايام التى
تسميها العرب العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها فى عجز الشتا وقيل
سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح تقتلها اليوم الثامن من
نزول العذاب وانقطع العذاب حسوما قال مجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها
فترة فعلى هذا هو من حسم الكى وهو ان يبالغ على موضع الذا المكواة حتى تبرا ثم قيل
لكل شى يقطع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبى حسوما دايما
وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم واهلكتهم والحسم القطع والمنع منه حسم الدا
وقال عطية حسوما شوما كانها حسمت الخير عن اهلها تنبيه فى اعراب حسوما
اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبله ثانيها ان ينتصب على الحال ان ذات حسوم

وثالثها

وثالثها ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اى تحسمهم كحسوما واختلفوا فى
اولها فقال السدى غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن
سلام ووهب منبه غداة يوم الاربعا وهو اليوم النحس المستمر قيل كان اخر اربعا فى السنة
واخرها يوم الاربعا وقال البقاعى وهى من صبيحة الاربعا لثمان بقين من شوال
غروب الاربعا الاخر وهو اخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتدا كان
بها قطعا والا لم تكن الليالى سبعا فتامل ذلك انتهى وهو ظاهر ولما كان الحاسم المهلك
تسبب عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية فترى القوم اى الذين هم غاية فى القدرة على
ما يحاولونه فيها اى تلك المدة من الايام والليالى لم يتاخر منهم عنهم صرعى اى مجندلين
على الارض موتا جمع صريع وهى حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحا والضمير فيها للا يام
والليالى كما مر او للبيوت او للصريح قال بن عادل والاول اظهر لقربه كانهم اعجاز اى
اصول نخل قد شاخت وهرمت فهى فى غاية الفجر خاوية اى متاكلة الاجواف ساقطة
من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوا المنزل اذا خلى من قطانه قالوا كانت تدخل من
افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من الحشو من ادبارهم والوصف بذلك العظم اجسامهم وتقطيع
الريح لهم وقطعها لروسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم فهل ترى اى ايها المخاطب
الخبير بالناس فى جميع الاقطار لهم اى خصوصا واغرق فى النفى وعبر بالمصدر الملحق
بالها مبالغة فقال تعالى من باقية فيكون المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى
الطغيان اى من باق والاحسن ان يكون صفة لفرقة او لطايفة او لنفس او بقية او نحو
ذلك وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعافية والباقية قال المفسرون والمعنى هل ترى
لهم احدا باقيا قال بن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا فى عذاب الله تعالى
من الريح فلما امسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم فى البحر فلذلك
قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ونجى
الله تعالى صالحا عليه السلام ومن امن به من بنى ثمود ولم تضرهم الصاعقة وهودا
عليه السلام ومن امن به من عاد ولم يهلك منهم احد فدل ذلك دلالة واضحة
على ان له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما ان لهم كمال الاحاطة بالكليات وعلى قدرته
واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا المسيى كالمحسن وجواب هل لم يبق منهم

احد وجاوزعون اي الذي ملكناه طايفة من الارض وتجبر وادعى الالهية فاسيا نعمتنا
وقدرتنا وقوله تعالى ومن قبله قراة ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اي
ومن عندهم من اتباعه وقراه الباقون بفتح القاف وسكون الباء الموحدة على انه ظرف اي ومن
تقدمه من الامم الكافرة والمؤتفكات اي اهلكها وهي قرى قوم لوط اي المنقلبات باهلها
حتى صار عاليها سافلها الماحصل لاهلها بالانقلاب بالخاطية اي بالفعلات ذات الخطا
اي الذي يتخطا منها الى نهى الفعل القبيح من اللواط والصفع والفراط مع الركبة وغير
ذلك من انواع الفسق والمراد الرسل كالواحد لاتفاق كلمتهم في الدعا
الى الله تعالى والحمل على طاعته قال سيبويه لذلك موحد اي اللفظ ما هو صالح للكثير
باراءة الجنس فعصوا اي خالفوا رسول ربهم اي خالفت كل امة من ارسل المحسن اليها ابدا
عها من العدم وابداعها القوي وتزيينها وبعث رسولها لارشادها اعذارا باحسانه
ولم يجوزوا ان المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع فللتنبيه
على مثل ذلك لايجوز فصل احد للاثمين عن الاخر وسبب عن العصيان قوله تعالى
فاخذهم اي ربهم اخذ قهر وغضب اخذة لم تبق من امة منهم احدا ممن كذب الرسل
فلم يكن لكم ينصر على عدو من المومنين لابدان يفوته كثير منهم وان اجتهد في الطلب
وماذاك الا لتمام علمه سبحانه للجزييات والكليات وشمول قدرته وتلك الاخذة مع
كونها لهذه العظمة من انما اخذتهم كنفس واحدة جعلها سبحانه رابية اى عالية عليهم
زايدة في الشدة على غيرها وعلى عذاب الامم يقال ربا الشي يربو اذا زاد ومنه الربا
اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطى وللمعنى انها كانت زايدة في الشدة على عقوبات
سايرالكفار كما ان افعالهم كانت زايدة في القبح على سايرافعال كفار وقيل الاه
عقوبة ال فرعون متعلقة بعذاب الاخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة
الاخرة اشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانت كانها تفوا وترجوا ثم ذكر تعالى
قصة قوم نوح وهي قوله تعالى انا اى على عظمتنا لما طغى الما اى فزاد عن الحد حتى
علا اعلا جبل في الارض لقدر مايغرق من كان عليه حين اغرقنا قوم نوح عليه
السلام به فلم يطيقوا ضبطه الى ولا قدره بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه
وسلم طغى على خزانة من الملايكة غضبا فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد

على كل

على كل شي خمس مايه ذراع وقال ابن عباس طغى الماء من نوح على خزانه فكثر عليهم
فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطر قطر تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير
ذلك والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الاية عن
الاقتدا بهم في معصيته الرسول ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من نجى من الغرق
بقوله تعالى حملناكم اى في ظهور ابايكم في الجارية اى السفينة التي جعلناها هه
بحكمتنا غريقة في الجريان حتى كانه لاجارية غيرها على وجه الما الذي جعلناه من
شانه الاغراق والمحمول من الجارية انما هو نوح واولاده وكل من على وجه الارض
من نسل اولياك والجارية من اسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله المنشاة في
البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقولهم في بعض الالغاز ∴ ∴
رايت جارية في بطن جارية ∴ في بطنها رجل في بطنه جمل ∴ ونوح عليه السلام اول
من صنع السفينة وانما صنعها بوحي من الله تعالى وحفظه له قال اجعلها كهيئة صدر
الطاير ليكون مايجري في الما مقاربا لما يجري في الهوا واغرقنا سوى من تلك السفينة
من جميع اهل الارض من ادمي وغيره لنجعلها اى هذه الفعلة العظيمة وهي انجا المومنين
بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب احد واهلاك الكافرين بحيث لا يبقى منهم احد وكذا
السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه لكم ايها الناس تذكرة اى عبرة وحجة دالة
على قدرته تعالى وعظمة رحمته وقهره فيعودكم ذلك اليه ويقبل بقلوبكم عليه وقوله
تعالى وتعيها عطف منصوب على لنجعلها اى ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما
تقدم حفظا ثابتا مستقرا كانه محوي في وعا اذن اي عظيمة النفع واعية اى من شانها
ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد
الله تعالى كما كان نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة النسل والبركة
فيه حتى امتلات منه الارض ولوعي الحفظ للنفس والايعا الحفظ الوعا قال الزمخشري
فان قلت ثم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت لا يبعد لان الموعا فيها
قلة فوبخ الناس بقلة الوعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا غفلت عن
الله تعالى فهي السواد الاعظم عند الله وان ماسواها لا يبالى بهم بالة لان ملاء
واما بين الخافقين اه وقرا نافع بسكون الذال والباقون بضمها وما ذكر تعالى القيمة

لالة

نها

وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع سبحانه وتعالى فى تفاصيل احوالها وبداءة
بذكر مقدماتها لقوله تعالى فاذا نفخ وبنا الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه
وان ما يتوثر عنه ما يتوقف على ناخ معين بل من اقامة بذلك من جنده تاثر عنه
ما يريده فى الصور اى القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعى كانه عبر به
عنه دون القرن مثلا لانه يتاثر تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردها لاشكالها
سمته كما بين السماء والارض نفخة واحدة للفصل بين الخلايق قال الزمخشرى فان قلت
هما نفختان فلم قيل واحدة قلت انه لا تثنى فى وقتها ثم قال فان قلت فاى النفختين
هى قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس فقد روى عنه
انها الثالثة قال البقاعى وظاهر السياق انها الثانية التى بها البعث وخراب ما ذكر بعد
قيامهم انسب لانه اهيب وكونها الثانية احدى الروايتين والجلال المحلى على انها الثا
وهو الانسب كما قال البقاعى ثم ان الزمخشرى سال سوالا على ان النفخة الاولى بقوله
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرب انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل
اليوم اثنا للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف للحساب
فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جيتك عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت
واحد من اوقاته اه وما ذكر التاثير فى الاحيا اتبعه التاثير فى الجمادات وبدا منها
بالعظيات لملابستها للانسان فتكون عبرته اكثر فقال تعالى وحملت الارض والجبال
اى التى بها ثباتها حملتها الريح والملايكة او القدرة من اماكنهم فدكتا اى مسحتا
الجملتان الارض واوتادها وبطت ودق بعضها ببعض دكة واحدة اى فصارتا كثيبا
مهيلا بايسر امر فلم يبق شى منها من الاخر بل صارتا فى غاية الاستوى ومنه ادك سنام
البعير اذا انقوش فى صدره قال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة
والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل
كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى فيومئذ
منصوب بوقعة وقوله تعالى وقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل وهوان تكون الواقعة
صارت علما بالغلبة على القيامة والواقعة العظيمة والاقدام القايم لا يحول ولا زال
قايما فيه والتنوين فى يومئذ للعوض من الجملة فتقديره يوم اذ نفخ فى الصور ونوع
تعالى

تعالى اسما القيامة بالحاقة والواقعة والقارعة تهويلا لها ولما ذكر تاثير العالم السفلى
ذكر العلوى بقوله تعالى وانشقت السما اى فلك الجنة هوى ذلك اليوم اى انصدعت
وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملايكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل
الملايكة تنزيلا فهى يومئذ واهية اى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تتماسك كالعرن
المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البنا يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا و
يقال كلام واه اى ضعيف وقيل واهية اى متخرقة ماخوذ من قولهم وهى السقا اذا خرق
ومن امثالهم خل سبيل من وهى سقاوه ومن هريق بالفلاة ماوه اى من كان ضعيف العقل
لا يحفظ نفسه وقرا ابو عمرو او قالون والكسائى بسكون الهاء والباقون بكسرها والملك اى
هذا النوع على ارجايها اى نواحى السما واطرافها وحواشيها مالم تنشق منها قال الضحاك
يكونون بها حتى يامرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها وقال سعيد
بن جبير والمعنى والملك على حافات الدنيا اى ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها وقيل
اذا صارت السما قطعا تشق الملايكة على تلك القطع التى لبست منشقة فى انفسها والا
رجا فى اللغة النواحى والاقطار واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل
عصا وعصوان قال القايل فلا ترمينى بى الرجوان انى اقل القوم من يعنى مكانى قال ابن
عادل ورجا هنا يكتب بالالف على رجا لانه من ذوات الواو فان قيل الملايكة يموتون
فى الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فكيف يقال لهم انهم يقفون
على ارجا السما جيب من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثانى
المراد الذين استثنوا فى قوله تعالى الا من شا الله وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم
فيندروا كما يندر الابل فلا ياتون من قطر من اقطار الارض الا راوا الملايكة فيرجعوا
من حيث جاوا وقيل على ارجايها ينتظرون ما يومرون به فى اهل النار من السوق اليها
وفى اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى
وينزل الملايكة تنزيلا قال الزمخشرى فان قلت ما الفرق بين قولك والملك وبين ان
يقال والملايكة قلت الملك اعم من الملايكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم
من قولك ما من ملايكة انتهى قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملايكة لان الرد
المحلى بالالف واللام قصارا ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثنا منه

ثم قال ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن ان يكون على ارجائها
في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملايكة على ارجائها لانه لا ملك
واحد يتنقل على ارجائها في اوقات ولما كان الملك الملك يظهر في يوم العرض سرير
ملكه ويحمل غيره قال تعالى ويحمل عرش ربك اى الحسن اليك بكل ما تربيه لاسمائي
ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير في قوله تعالى فوقهم يومئذ اى
في يوم وقت الواقعة يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين
في قوله تعالى ثمانية وقيل يعود على جميع العالم اى ان الملايكة تحمل عرش الله تعالى
فوق العالم كلها واختلفوا في هذه الثمانية فقال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة
لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن
الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف او ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى الله عليه
وسلم قال ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امرهم الله تعالى باربعة
فاذا هم كانوا ثمانية على صورة الاوعال وفي رواية ثمانية اوعال من اظلافهم
الى ركبهم كما بين اسماء الى سماء وفي حديث اخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد
ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم
يكن فيهم صورة فكيف سموا اوعالا اجيب بان وجه الثور اذا كانت له قرون
اشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملا
الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سير سبعمائة عام هـ
اخرجه ابو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس حملة العرش ما بين احمص لحدهم
الكعبة سيرة خمسمائة عام ومن كعبه سيره خمسمائة عام وبين كعبة الى ركبته
خمسمائة ومن ترقوته الى موضع القرط سيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال
الذين يحملون العرش ما بين سوق احدهم الى موضع عينه خمسمائة عام وفي الخبر
ان فوق السماء السابعة ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء
وفوق ظهورهن العرش وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة
الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى ان رجلين
في الارض السابعة واضافة العرش الى ذلك الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس

البيت

البيت للساكن فلذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق
للعرش والحملة العرش لا تحيط به جهة وهو العلي العظيم وعن مسمر بن حوشب قال
حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقول سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قد رتك
واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولما بلغ هـ
تعالى النهاية في تحذير العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعا مة
العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسيء زاد عظما بقوله تعالى يومئذ اى اذا
كان جميع ما تقدم تعرضون على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في امرهم
ليختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب عبر بالعرض عن الحساب
الذي هو جزوه والمحسن لا يبلون له غير ذلك والمسيء يناقش لا تخفى منكم اى في ذلك
اليوم على احد بوجه من الوجوه وقرا حمزة والكسائي بالها التحتية لان التانيث
مجازي والباقون بالتاء وهو ظاهر خافية اى من السرائر التي كان من حقها ان تخفى في
دار الدنيا فانه عالم بكل شيء من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال
الرازي والغرض المبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال
القرطبي هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عر ضا
ليعلم ما لم يعلما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسايلة وتقدير الاعمال هـ
عليهم لمجازاتهم قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس على يوم القيمة ثلاث
عرضات فاما العرضتان الاوليان فمجادل ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير
الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال تعالى فاما من اوتي كتابه
بيمينه الذي اثبت فيه اعماله فيقول لما راى من سعادته تنبيها بحاله واظهارا لنعمة
ربه لان الانسان مطبوع على ان يظهر ما اتاه الله تعالى من خير تكميلا للدنة قيل
انه يكتب سيئاته في باطن صحيفته وحسناته في ظاهرها فيقرا الباطن ويقرا الناس
الظاهر فاذا انتهاه قيل له فرغها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون هـ
قوله هاؤم اقرؤا اى خذوا اقرؤا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته
لان اليمين عند العرب من دلايل الفرح قال الشاعر اذا ما رايت رفعة المجد
تلقاها عرابة باليمين قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب

وله شعاع كشعاع الشمس قيل فاين ابو بكر قال هيهات رفته الملايكة الي الجنة وقال بن زيد معني
هاوم تعالوا فتتعدي بالي وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا منه الحديث في الربا الا هاوها
اي يقول كل لصاحبه خذوا هذا هو المشهور ولذلك فسرت به الاية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت
لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث انه صلي الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت عالي
فاجابه النبي صلي الله عليه وسلم هاوم بصوته وقيل معناها اقصر وازعم هولا انها مركبة
من ها الكناية وامو امر من اللام وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الي هاوم وقيل
الميم ضمير جماعة الذكور وزعم العتبي ان الهمزة بدل من الكاف قال بن عادل فان عني انها
تحل محلها فصحيح وان عني البدل الصناعي فليس بصحيح **تنبيه** كتابيه منصوب بهاوم
عند الكوفيين وعند البصريين باقرا والانه اقرب العالمين والاصل كتابي فادخل الها لتبيين
صحة اليا والها في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت
وقفا وانما اجري الوصل مجري الوقف او وقف بنية الوقف في كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الها
وكذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القرا كلهم الا حمزة فانه حذف الها من هذه الكلم
الثلاثة وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف محتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفي
الوصل استغني عنها فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه وحسابيه اجيب بانه جمع بين اللغتين
اني ظننت قال بن عباس اين ايقنت وعلمت وقيل ظننت بان يواخذني الله تعالي بسياتي عذبني
فقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها وقال الضحاك كل ظن من المومن في القران فهو يقين
ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه
ان المومن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق اسا بربه الظن فاسا العمل **اني ملاق**
اي ثابت لي ثباتا لا ينفك اين القي **حسابيه** اي في الاخرة ولم ينكر البعث يعني انه ما نجي الا بخوفه
من يوم الحساب لانه تيقن ان الله تعالي يحاسبه فعمل للاخرة فحقق الله تعالي رجاه وامن
خوفه فعلم الان انه لا يناقش الحساب وانما حسابه بالعرض وهو الحساب اليسير فضلا من الله
تعالي ونعمة **فهو في عيشة** اي حالة من العيش وقوله تعالي **راضية** فيه ثلاثة اوجه احدها انه علي
النسب اي ذات رضي نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر اي ثابت لها الرضي ودايم لها لانها في
غاية الخشن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات باكثر من المعيشة الراضية بمعني ان اهلها
راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضا الثاني انه علي اظهار جعله المعيشة راضية لمحلها و

حصولها

وحصولها في مستحقها وانه لو كانت للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال ابو عبيدة
والفرا ان هذا مما جا فيه فاعل بمعني مفعول نحو ما دافق بمعني مدفوق كما جا مفعول بمعني فاعل في
قوله تعالي حجابا مستورا اي ساترا وقال صلي الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون ابدا
ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا
في جنة اي بساتين جامعة لجميع ما يراد منها **عالية** اي مرتفعة في المكان والمكانة والابنية
والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالي **قطوفها** جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل
بمعني مفعول كالذبح وهو ما يجنيه الجاني من الثمار واما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف
بالفتح والكسر وقت القطف **دانية** اي تربية الماخذ سهلة التناول جدا للراكب والقايم
والقاعد والمضطجع كل ذلك وقوله تعالي **كلوا واشربوا** علي اضمار القول اي يقال لهم ذلك وجمع الضمير
للمعني لان قوله تعالي فاما من اوتي كتابه يتضمن معني الجمع وهذا امر امتنان لا امر تكليف **هنيا**
اي اكلا طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل اذي وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك
من بول ولا غايط ولا بصاق ولا مخاط ولا قرف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل والبا في قوله تعالي
بما اسلفتم سببية وما مصدرية او اسمية اي بما قدمتم او بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية اي الماضية في الدنيا الذي انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها وعن مجاهد
ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالي يا اوليايي
طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم و
خمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية
ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الي مقبول ومردود وذكر سبحانه وتعالي
المقبول باديا به تشويقا الي حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن حاله اتبعه المردود تنفيرا
عن اعماله بما ذكر من قبايح احواله فقال تعالي **واما من اوتي كتابه** اي صحيفة حسابه
بشماله فيقول اي لما يري من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطا حتي لم يشك فيها لما
راي من قبايحه التي قدمها **يا ليتني** تمنيا للمحال **لم اوت** اي من اي موت ما **كتابيه** اي هذا
الذي ذكر بخبايث اعمالي وعرفتني جزاها **ولم** اي ويا ليتني لم **ادر ما حقيقة حسابيه**
من ذكر العمل وذكر جزايه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمني الموت
ويقول **يا ليتها** اي الموتة الاولي وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت

كالمذكورة كانت القاضية اي القاطعة لحياتي بان لا ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال
قتادة يتمني الموت ولم يكن في الدنيا عنده شي اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه
الموت قال الشاعر وشر من الموت الذي ان لقيته تمنيت منه الموت والموت اعظم والمعنى
يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي وقوله ما اغني غني ماليه يجوز ان يكون نفيا
تاسفا علي فوات ما كان يرجوا من نفعه والمفعول علي هذا التقدير محذوف للتعميم
ويجوز ان يكون استفهام توبيخ لنفسه حيث سولت له ما انزله كل سو وكل محال اي اي
شي اغني ما كان لي من يسار الذي منعت منه حق الفقرا وتعظمت به علي عباد الله تعالي
هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي علي الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي
الله تعالي عنهما ان هذه الاية نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن فنا حسرة الملقب
بالعضل انه لما قال عضد الدولة وبن ركنها ملك الاملاك غلاب الغلاب لم يفلح
بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال بن عباس ضلت عني حجتي
التي كنت احتج بها في دار الدنيا وذكر الضحاك ان الاية الاولي في اخي الاسود عبد الله ابن
الاسد المخزومي ولما كان كانه قيل هنا ما قال مما يقال له اجيب بانه يقال للزبانية علي
روس الاشهاد خذوه اي ايها الزبانية الذي كان يستهزو بهم عند سماع ذكرهم فغلوه اي
اجمعوا اي اجمعوا يديه الي عنقه ورجليه الي وراقفاه الي ناصيته ثم الجحيم اي النار
العظمي التي تجح علي من يريد دفاعها ويحجم عنها من راها لانها في غاية الحمو والتوقد والتغيظ
والتشدد صلوه اي بالغوا في تصليته اياها وكرورها بغمسه في النار كالشاة المصلية
مرة بعد مرة اخري لانه كان يتعاظم علي الناس فناسب ان يصلي اعظم النيران وعبر
ايضا باداة التراخي لعلو رتبة مدخولها فقال موذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول
يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه الا الجحيم قال ابوا
حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لجداة النحاة انتهي كلام النحاة لا يابي ما
قاله ثم في سلسلة اي عظيمة جدا وقوله تعالي ذرعها سبعون ذراعا يحتمل
ان يكون هذا العدد حقيقة علي هذا قال بن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل
في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل من فيه وتخرج من دبره وقال نوف البكاي سبعون
ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة
قال

قال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو ويحتمل ان يكون مبالغة
كما قال تعالي ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد
والذي يدل علي هذا ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن عن عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الي مثل الجمجمة ارسلت
من السما الي الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت
الي السما الي الارض من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار وقبل ان تبلغ
اصلها وقعرها وعن كعب انه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها اجارنا الله تعالي
ومحبينا منها وجميع المسلمين واشار سبحانه وتعالي الي ضيقها علي ما يحيط به من بدنه بتعبيره
بالسلك فقال تعالي فاسلكوه اي ادخلوه بحيث يكون كانه السلك اي الحبل الذي
يدخل في ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان
تلف قال الزمخشري والمعني في تقديم السلسلة علي السلك مثله في تقديم الجحيم علي
التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانه اقطع من ساير مواضع الارهاق
في الجحيم ومعني الدلالة علي تفاوة ما بين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك
في السلسلة لا علي تراخي المدة انتهي ولما ذكر سبحانه علي الاجمال عقابه اتبعه اسبابه
فقال تعالي انه كان اي جبلة وطبعا وان اظهر شيا يلبس به علي الضعفا ويدلس علي
الاغنيا لا يومن اي الان ولا في مستقبل الزمان بالله اي الملك الاعلي الذي يعلم السر
واخفي العظيم اي الكامل المعظم وهذا تعليل علي طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل
ما له يعذب هذا العذاب الشديد اجيب بذلك وفي قوله تعالي ولا يحض اي يحث علي
بذل طعام المسكين دليلان قويان علي عظم الجرم في جهات المسلمين احدهما عطفه علي
الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة
فكيف تارك الحض بهذه المنزلة فكيف تارك الفعل وما احسن قول القايل . . .
اذا ترك الاضياف كان عذورا علي الحي حتي تستقل مراحله يريد حضهم علي القري
واستعجلهم وعن ابي الدردا انه كان يحض امراته علي تكثير المرق لاجل المساكين وكان
يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الباقي بالطعام وقيل هو منع
الكفار وقولهم انطعم من لو يشا الله اطعمه والمعني علي بذل طعام المسكين ولما وصفه

سبحانه باقبح العقايد واشنع الذلايل تب عنهما قوله تعالي فليس اليوم هاهنا اي في مجمع
القيامة كله حميم اي صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كلهم له اعد كما انه كان لا يرق
علي الضعفا لما علم فيه من الاقلال من حطام الاموال ولا طعام الا من غسلين اي غسالة اهل
النار وصديدهم وقيحهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اي اصحاب الخطيا من
خطي الرجل اذا اتعمه الذنب وهم المركون الامن الخطا المضاد للصواب وهذا الطعام
يفسل ما في بطونهم من الاعيان والمعاني التي بها قوام صاحبها وهي بمنزلة ما كانوا
يحثون من اموالهم التي ابطنوها وذخروها في خزاينهم واستأثروا بها علي الضعفا فلا
اقسم اي لا يقع مني اقسام بما تبصرون من المخلوقات وما لا تبصرون منها اي بكل
الموجودات واجيالها وجايزها معقولها ومحسوسها بانها لا تخرج عن قسمي مبصر
وغير مبصر وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق
والنعم الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح من ان يحتاج الي اقسام وان كنت اقسم
في غير هذا الموضع بما شيت ولو قيل بهذا في الواقعة لكان حسنا وقيل لا زايدة وجري
علي ذلك الجلال المحلي انه اي القران لقول اي تلاوة رسول اي انا ارسلته به وعي
اخذه وليس فيه شي من تلقا نفسه انما هو كلام رسالة واضحة انا شا بها اله من المجاز
الذي يثبت ان كلامي كريم اي علي الله تعالي فهو في غاية الكرم الذي هو البعد من
مساوي الاخلاق باظهار معاليها الشرف النفس وشرف الاباء وهو محمد صلي الله عليه وسلم
وكرم اجتماع الكمالات اللايقة به فيه وقيل هو جبريل عليه السلام قال الحسن والكلبي
لقوله تعالي ورسول كريم ذي قوة واستدل للاول بقوله تعالي وما هو بقول شاعر اي ما
ياتي بكلام مقفي موزون بقصد الوزن قال مقاتل سبب نزول هذه الاية ان الوليد ابن
المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالي عليهم
بذلك فان قيل كيف يكون كلاما لله تعالي ولجبريل ولمحمد صلي الله عليه وسلم اجيب بان
الاضافة يكفي فيها ادني ملابسة فالله سبحانه وتعالي اظهره في اللوح المحفوظ
وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلي الله عليه وسلم وهو بلغة للامة قليلا ما يؤمنون
منصوب بفعل مضمر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا قليلا والناصب يؤمنون
وما مزيدة للتوكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه يؤمنون وما

يحتمل

يحتمل ان تكون نافية فيستقيم اي انهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة
فهو الايمان اللغوي لا الشرعي لانهم قد صدقوا بانبيا بيرة لا تقتضي عنهم شيا وهو اخلاصهم
بالوحدانية عند الاضطرار وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية ولا بقول كاهن وهو المنجم
الذي يخبر عن الانبيا واغلبها ليس له صحة وقوله تعالي قليلا ما تذكرون اي ياتي فيه ما
تقدم في قليلا ما يؤمنون وقال البغوي اراد بالقليل نفي ايمانهم اصلا وقرا قليلا ما يؤمنون
قليلا ما يذكرون بن كثير وبن عامر بخلاف عن بن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون
بالفوقية وخفف الذال حمزة والكسائي وحفص وشددها الباقون وقوله تعالي تنزيل خبر
لمبتدا اي هو تنزيل علي وجه التنجيم قال البقاعي واشار الي الرسالة الي جميع الخلق
من اهل السموات والارض بقوله تعالي من رب العالمين اي موجدهم ومدبرهم بالاحسان
اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتب سبحانه نظمه علي وجه سهل علي
كل منهم يكفي في هدايته انتهي وهذا يدل علي انه صلي الله عليه وسلم ارسل للملايكة
وهو الذي ينبغي وان لم يكونوا مكلفين تشريفا لهم زيادة في شرفه بارساله صلي الله
عليه وسلم اليهم ولو تقول اي كلف نفسه ان يقول مرة من الدهر كذبا علينا اي علي بالنا
من العظمة بعض الاقاويل اي الذي لم نقلها او قلناها ولم نأذن له فيها قال الزمخشري
التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المتقولة اقوال تصغيرا
لها وتحقيرا كتوله الاحاجيب والاضاحيك كانها جمع اقوولة من القول والمعني لو نسب
الينا قولا لم نقله او لم نأذن له في قوله لاخذنا اي لنلنا منه اي عقابا باليمين
اي بالقوة والقدرة تنبيه الباء علي اصلها غير مزيدة والمعني لاخذناه بقوة
منا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه في حكم الزايدة واليمين هنا مجازعن
القوة والغلبة فان قوة كل شي في يمينه وهذا معني قول بن عباس ومجاهد
ومنه قول الشماخ اذا ما رايت رفقة لجدة تلقاها عرابة باليمين وقال ابو جعفر
الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال علي عادة الناس في الاخذ بيد من يعا قب
ويجوز ان تكون الباء مزيدة والمعني لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة
كما يفعل بالمقتول صبرا يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد
عليه وقال الحسن لقطعنا يده اليمني وقال الزمخشري والمعني ولو ادعي علينا شيا

قب
كتوله علي الذكاكين بزوا كل قتل
ما قتلنا واتت قتيلة انا قتلنا اهلا

لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور
قتل الصبر بصورة ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده فتضرب رقبته وخص اليمين
عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ يساره واذا اراد ان
يوقعه في جيده واد يكفه بالسيف وهو ائد على المصبور لنظره الى السيف اخذه
بيمينه انتهى وقال تفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي وقتادة
المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم تاتوننا عن اليمين
اي من قبل الحق ثم لقطعنا اي بالنا من العظمة قطعا يتلاشى عنه كل قطع منه الوتين
اي نياط القلب وهو يتصل به من الراس اذا انقطع مات صاحبه قال ابو زيد وجمعه
وتن وثلاثة اوتنة والموتوف الذي قطع وتينه وقال الكلبي هو عرق بين العلباء
والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ متصل
سوء الناحر وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع
بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه ومايليه وقال
عكرمة ان الوتين اذ قطع لا ان عطاس جاع عرق ولا ان شبع عرق وقيل الوتين
من مجمع الوركين الى مجمع الصدرين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق الى سائر الجسد
ولا يكون في العادة الحياة بعد قطعه وقال ابن قتيبة لم يرد انا نقطع بعينه بل المراد
انه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره صلى الله عليه وسلم ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا
انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره
فما منكم اي ايها الناس واعرق في النفي من احد عنه اي العقل حاجزين اي لا يعدر احد
منكم ان يجزم عن ذلك ويدفعه عنه او الرسول صلى الله عليه وسلم اي لا تعذروا ان
تجزوا عنه القائل وتحولوا بينه وبينه تنبيه من احد اسم ما ومن زايدة لتاكيد
النفي ومنكم حال من احد وعنه حاجزين خبرها وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع
وضمير عنه للقتل او النبي كما مر وانه اي القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به
لاقبالهم عليه اقبال مستفيد وانا اي مالنا من العظمة لنعلم اي علما عظيما محيطا ان
منكم اي ايها الناس مكذبين بالقران ومصدقين فانزلنا الكتب وارسلنا الرسل

لنظهر

لنظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا نعلمه في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فنجازي
كلا بذلك الصواب والعقاب فذلك وجه في الحكمة ان نعيد الخلق الى ما كانوا عليه من اجسامهم
قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل وانه اي القران لحسرة ندامة
على الكافرين اي اذا راوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به وانه اي القران وقيل الجزاء
يوم الجزا لحق اليقين اي الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين موكد بالحق من
اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس انما هو كذلك
عين اليقين ومحض اليقين فسبح اي اوقع التنزيه الكامل عن كل شايبة نقص باسم
اي بسبب علمك بصفات ربك اي الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان
العظيم اي الذي ملات الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه مما لا تسعه
العقول وقال ابن عباس اي فصل لربك العظيم وقول البيضاوي للمخبري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قراسورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع
سورة المعارج مكية وهي اربع او اربع وعشرون اية ومايتان وستة عشر كلمة والف
واحدى وستون حرفا بسم الله الذي لا تنقطع الاعناق والامال دون عليائه
الرحمن الذي لا مطمع لاحد في حصر اوصافه الرحيم الذي اصطفى من عباده من وفقه
فكان من اوليائه سال سايل اي دعا داع بعذاب واقع فضمن سال معنى دعا فلذ
عداه تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسيل به خبيرا اي عنه اي سال سايل عن
عذاب واقع والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته واختلفوا في هذا
الداعي فقال ابن عباس هو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم
بدر صبرا هو وعتبة ابن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو الحارث بن النعمان
وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه ركب
ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله فقلناه منك وان نصلي خمسا ونزكي او لنا فقلناه
منك وان نصوم شهر رمضان في عام فقلناه منك وان نحج فقلناه منك ثم لم
ترض حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شيء منك ام من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه

لك

عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولي الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول
محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما صل الي ناقته حتى رماه
الله بحجر فوقع علي دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال الربيع هو ابو جهل وقيل
انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب علي الكافرين وقيل هو
النبي صلي الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالي فاصبر صبرا جميلا
اي لا تستعجل فانه قريب وقرا نافع وابن عامر بغير همز بعد السين والباقون بهمزة مفتوحة
بعد السين تنبيه ما تقدم من الوجهين في كون سال ضمن او ان الباء بمعنى عن هو
علي التوالي بالهمز واما علي عدمه ففيه وجهان احدهما انه لغة في السوال يقال سال
يسال كخاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي من لغة قريش والثاني انه من
السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقوله تعالي للكافرين
فيه اوجه احدها انه يتعلق بسال مضمنا معني دعا كما تري اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني
انه يتعلق بواقع واللام للعلة اي نازله لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب
اي كائن للكافرين الرابع ان يكون جوابا للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين الخامس
ان تكون اللام بمعني صلي اي واقع علي الكافرين ليس له اي بوجه من الوجوه ولا حيلة
من الحيل دافع يرده وقوله تعالي من الله اي الملك الاعلي الذي لا كفوء له يجوز ان يتعلق
بدافع بمعني ليس له دافع من جهته اذ اجاوقته لتعلق ارادته به وان يتعلق بواقع وبه
بدا الزمخشري اي واقع من عنده ذي المعارج اي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد
فيها الكلم الطيب والعمل الصالح ويترقى فيها المومنون في سلوكهم او في دارهم او مراتبا لملا
يكة او السموات قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لانها معارج الملايكة يعرجون فيها
فوصف نفسه بذلك او ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الي الناس علي مراتب
مختلفة قال ابن عباس وقتادة فالمدارج مراتب الكرامة علي الخلق وقيل ذي العظمة والعلا وقيل
المعارج الفرق اي انه ذو الفرق اي جعل الاولياء له الجنة غرفا وقرا تعرج الملايكة الكسائي
بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وادغم جيم المعارج في تا تعرج هنا السوسي والمضعف
بعضهم ذلك من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التا واجيب عن ذلك بان الادغام
يكون لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك الاستفال والانفتاح و

الروح

والشدة والجملة من تعرج مستانفة وقوله تعالي والروح من عطف الخاص علي العام ان اريد
بالروح جبريل كما قاله ابن عباس لقوله تعالي نزل به الروح الامين علي قلبك الاية او ملك اخر
من جنسهم عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله تعالي كهيئة الناس وليس بالناس
وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه اي يهبط امره من السما وقيل هو
كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الي ربي اي الي الموضع الذي امرني به وقيل عظمة كقوله
الي عرشه وعلق بالعروج او بواقع قوله تعالي في يوم اي من ايامكم وبين عظمه بقوله تعالي
كان اي كونا هو في غاية الثبات مقداره اي لو كان الصاعد فيه اديميا خمسين الوسنة
اي من سني الدنيا وذلك ان تصعد من منتهي امر الله تعالي من اسفل الارض السابعة
روي عن مجاهد ان مقدار هذا خمسين الوسنة وقال محمد بن اسحاق لو سار بنو ادم
من الدنيا الي موضع العرش سارو اخمسين الوسنة وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة
واراد الي موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الوسنة من سني الدنيا ليس
يعني به ان مقدار طوله هذا دون غيره لان يوم القيامة ليس له اول وليس له اخر
لانه يوم ممدود ولو كان له اخر لكان منقطعا وروي عن ابن عباس انه قال يوم
القيامة يكون علي الكافرين مقدار خمسين الوسنة وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله تعالي عنه انه قال قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين
الوسنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفسه بيده
ليخفف علي المومن حتي يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقيل معناه
لرولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله تعالي لم يفرغ منه في خمسين الوسنة قال
عطا ويفرغ الله تعالي في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقيل فيه موطنا علي الكافر كل موطن
الوسنة وما ورد ذلك علي المومن الا كما بين الظهر والعصر روي عن الكلبي انه قال
يتولي الله تعالي لوليه حساب ذلك الانس والجن والملايكة وطوقهم بحسابهم ثم يفرغ
منه في خمسين الوسنة وانا اتفرغ منه في ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة
فيه خمسون موطنا كل موطن الوسنة وفيه تقديم وتاخير كانه قال ليس له دافع من الله
ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين الوسنة تعرج الملايكة والروح اليه فان قيل كيف
الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالي في سورة السجدة في يوم كان مقداره الوسنة اجيب

بانه يحتمل ان من اسفل العالم الي اعلا العرش خمسين الف سنة ومن اعلا سما الدنيا الي
الارض الف سنة لان عرض كل سما خمسماية سنة ومايتين اسفل الي قرار الارض خمسماية
فقوله في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الي سما الدنيا ومقدار
خمسين الف سنة لو صعدوا الي اعلا العرش وقوله تعالي فاصبر صبرا جميلا متعلق كما قال الرازي
بسال سايل لان استعجالهم بالعذاب كان علي وجه الاستهزا برسول الله صلي الله عليه وسلم
فامر بالصبر والمعني جا العذاب لقرب وقوعه فاصبر علي اذا قومك والصبر الجميل هو الذي
لا جزع فيه ولا شكوي لغير الله تعالي وقيل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري
من هو وقال ابن زيد والكلبي هذه الاية منسوخة بالقتال انهم اي الكفار يرونه اي ذلك
اليوم الطويل او عذابه بعيدا اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن او يفعلون افعال
من يستبعده ونراه اي لما لنا من العظمة التي قضت بوجوده وهو علينا هين قريبا سوا
اريد بذلك قرب الزمان او قرب المكان فهو علي قدرتنا وهو ات لا محالة وكل ات قريب و
القريب والبعيد عندنا علي حد سوا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش
بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالي يوم تكون السما متعلق بمحذوف اي يقع فيه من
من الاهوال كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة البيضا في تلونها وتكون
الجبال اي التي هي اشد الارض واثقل ما فيها كالعهن اي كالصوف في الخفة والطيران
بالريح وقيل اول ما تنفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منثورا منبثا ولا
يسال اي من شدة الاهوال حميم حميما اي قريب في غاية القرب والصداقة قريبا مثله
عن شي من الاشيا لفرط الشواغل ولانه قد كشفت لهم وانه لا تغني نفس عن نفس شيا
وانه قد تقطعت الاسباب وتلاشيت الانساب وعلم انه لا عز الا بالتقوي يبصرون
اي يبصرهم به مبصر فلا يخفي احد علي احد وان بعد مكانه يود المجرم اي يتمني الكافر او هذا
النوع سوا كان كافرا او مسلما عاصيا علم انه يعذب بعصيانه لو بمعني ان يفتدي
اي يفدي نفسه من عذاب يوميذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرا نافع والكسائي
بفتح الميم والباقون بكسرها ببنيه اي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه لشدة
ما يري ولما ذكر الصق الناس بالفواد واعز من يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما
يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالي وصاحبته اي زوجه الذي يلزمه الذب عنها

لاسيما

لاسيما عند العرب من اقبح العار ولكونه دايما معها ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة
اتبعها الشقيق الذي هو عليه شقيق بقوله تعالي واخيه اي الذي له به النصرة علي من
يريد قال الشاعر اخاك اخاك ان من لا اخا له كنازل الهيجا بغير سلاح ولما كان
من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر اقربهم بقوله تعالي وفصيلته
اي عشيرته الذين هم اقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الابا الادنون وقال
ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون التي تؤويه اي تضمه اليها
عند الشدايد وتحميه لانه اقرب الناس اليها واعزهم عليها ولما خصص عمم بقوله تعالي ومن في
الارض اي من الثقلين وغيرهم سوا كان فيهم صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال منه ام لا ثم
اكد ذلك بقوله تعالي جميعا وقوله تعالي ثم ينجيه اي ذلك الاقتدا عطف علي يفتدي وقوله تعالي كلا
رد وردع وزجر لما يوده وقال القرطبي وانها تكون بمعني حقا وبمعني لا وهي هنا يحتمل
الامرين فاذا كانت بمعني حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعني لا كان تمام
الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله تعالي اقتدا ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم
ذلك المضمر اشار انه مستحضر في الذهن لا يغيب قال تعالي انها اي النار وان
لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل منهم لجهنم
تتلظي او تتوقد بعشرة قوله تعالي تلظي اي ذات اللهب الخالص المتناهي في
الحر اسم لجهنم تتلظي اي تتوقد فتاكل بسببه بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله
وتاكل كلما وجدته كاينا ما كان وقوله تعالي نزاعة للشوي جمع شواة وهو جلدة
الراس اي شديدة النزع لجلود الروس وقال في القاموس اليدان والرجلان
وفسح الراس وما كان غير مقتل اه وقرا حفص بالنصب علي الاختصاص والحال
المؤكدة والمثقلة علي ان لظي متلظية والباقون بالرفع علي انها خبر ان تدعوا من ادبر
وتولي عن الايمان تقول الي يا مشرك الي يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط
الطير للحب ولما كان الدنيا والاخرة ضرتين فقال الاقبال علي احداهما دالا علي الاعمال
عن الاخرى فقال تعالي دالا علي ادبار بقلبه وجمع اي محل ما كان منسوبا الي الدنيا
فاوعي اي جعل ما جمعه في وعا وكنزه حرصا وطول امل ولم يعط حق الله تعالي منه
فكان همه الاعطا لا اعطا ما وجب من الحق اقبالا علي الدنيا واعراضا عن الاخرة وقرا

لظى والشوي وتولى فاوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين
واتفق عن ورش قليل والباقون بالفتح ان الانسان اي الجنس من عبر به لما له من الانس
بنفسه والروية لمحاسنها والنيابة لربه ولدينه خلق هلوعا اي جبل جبلة هو فيها
بليغ الهلع وهو الحرص الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والسرعة
فيما لا ينبغي وعن ابن عباس انه الحرص على ما لا يحل له وروي عنه ان تفسيره ما بعده
وهو له تعالى اذا مسه اي ادنى مس الشر اي هذا الجنس وهو ما تطاير شرره من الضر
جزوعا اي عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينفد نصفيه وينفتت
واذا مسه كذلك الخير اي هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة في المال وغيره
من انواع الرزق منوعا اي مبالغا في الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب
العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع الحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا الوصف
ضد الايمان لانه نصفي شكر وصبر فان قيل حاصل هذا الكلام انه تعالى قصور على المضار
طالب للراحة وهذا هو اللايق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه اجيب بانه اغاذمه لقصور
نظره على الامور العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال وقوله تعالى
الا المصلين استثنا للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الاحوال
المذكورة قبل مفادة تلك الصفات لهم من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة
الحق والاستغاق على الخلق والايمان بالجزا والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار
العاجل على الاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها
الذين هم اي بكلية ضمايرهم وظواهرهم على صلاتهم اي التي هي معظم دينهم وهي
النافعة لهم لا لغيرهم لما افادته الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع الا ان
معظم المقصود والفرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى دايمون
اي لا فتور لهم عنها والانفكاك لهم منها وقال عقبة بن ماموهم الذين اذا صلوا لم
يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم الساكن وقال ابن جريج منه نهي عن البول في الماء الدايم
اي الساكن وقال ابن جريج هم الذين يكثرون فعل التطوع منها فان قيل كيف تاوله تعالى
على صلاتهم دايمون وقال تعالى في موضع اخر اجيب بان دوامهم عليها ان لا يتركوها
في وقت ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى قاتي على الحمل الوجوم من

المحافظة

المحافظة على شرايطها والاتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة وفي تفريغ
القلب عن الوساوس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر
القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلاة ولما
ذكر تعالى زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها فقال تعالى مبينا للرسوخ في الوصف بالعطف
بالواو والذين في اموالهم التي من الله سبحانه بها عليهم حق معلوم اي من الزكوات وجميع
النفقات الواجبة وقال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق
للسايل اي الذي يسال والمحروم اي الذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم فهو يلتظي بناره
في ليله او نهاره والمفرغ له بعد ربه المالك لعلانيته وسره الا الى ان مفاضة مدا معه
بذله وانكاره وهذا من الله تعالى حث على تعهد على ارباب الضرورات ممن لا كسب له
ومن افتقر بعد الغنا وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق حكي عن زيد العابد
الله لما مات وجد في ظهره اثار سواد كانها السيور فعجبوا منها فقال بعد موته
نسوة ارامل كان شخص ياتي الينا ليلا بقرب الماء على ظهره وآجرية الدقيق فقدنا
واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السيور من ذلك وحكي عن عمر بن الخطاب ان شخصا
راه ماشيا في زمن خلافته في الليل فتبعه فجا الى بيت نسوة ارامل فقال اعندكن
ماء والا املاه لكن فاعطينه جرة فاخذها وذهب فملاها على كتفه واتى بها
اليهن والحكايات عنهم في هذا كثيرة والذين يصدقون اي يوقنون التصديق لمن ويجدونه
يخبرهم ويجدونه كل وقت بيوم الدين اي الجزا الذي ماثله يوم وهو يوم القيامة
يقع الحساب فيه على النقير والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعما ل
الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال واما المصدقون بمجرد الاقوال فلهم
الويل وان انفقوا امثال الجبال والذين هم اي بجميع ضمايرهم وظواهرهم من عذاب ربهم
اي المحسن اليهم لا من عذاب غيره فان المحسن اولى بان يخشى ولو من قطع احسانه
مشفقون اي خايفون في هذا الدار خوفا عظيما هو في غاية الثبات من ان يعذبهم
في الاخرة او في الدنيا او فيهما فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه ان عذاب ربهم
اي الذي معهودون باحسانه وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان
غير مامون اي لا ينبغي لاحد ان يامنه بل يجوز ان يحل به وان بالغ في الطاعة لان الملك

مالك وهو تام الملك له ان يفعل ما يشاء من جواز وقوع العذاب ابدا عن موجباته والذين هم
اي بواطنهم الغالبة على ظواهرهم لفروجهم اي سواء كانوا ذكورا ام اناثا حافظون اي حفظا ثابتا
دائما عن كل ما نهى الله تعالى عنه الا على ازواجهم اي من الحرائر بعقد النكاح وقد مهن لشرفهن
وشرف المولود بهن ثم اتبعه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم من الاماء اللاتي هن في
محل الحرث والنسل واللاتي هن اقل عقلا من الرجال ولهذا عبر في احتمالهن فانهم اي هم
بسبب اقبالهم بالتزوج عليهن وازالة الحجاب من اجزاء ذلك غير ملومين اي في الاستمتاع بهن
من لايم ما كما ينبه عليه البناء للمفعول فهم يصحبوهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد
للتعاون على طاعة الله تعالى والكثرة في مدحهم ينفي اللوم لا قباله على تحصيل ماله من المرام
فمن ابتغى اي طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا ان اقبال عظيم من النفس
واجتهاد في الطلب وقراءة حمزة والكسائي بالامالة محضة وقالون وورش بالفتح وبين هم
اللفظين والباقون بالفتح وراء ذلك اي شيا من هذا خارجا عن هذا الامر الذي احل الله
تعالى له والذي هو اعلا المراتب في امر النكاح وقضا اللذة واحسنها واجملها فاولئك
اي الذين هم في الحضيض من الدناة وغاية البعد عن مواطن الرحمة هم اي بضمايرهم وظواهرهم
العادون اي المتخصوص بالخروج عن الحد الماذون فيه والذين هم لاماناتهم اي من كل
ما ايتمنهم الله تعالى من حقه وحق غيره وقرا ابن كثير بغير الف بعد النون على هو
التوحيد والباقون بالالف على الجمع وعهدهم اي ما كان من الامانات بربطها
وتوفيق راعون اي حافظون لها موفرون لها على وجه نافع غير ضار والذين
هم اي بغاية ما يكون من توحيد القلوب بشهاداتهم التي شهدوا بها اي يتشهدون بها
بطلب او بغيره وتقدم المعمول اشارة الى انهم فرط قيامهم بها ومراعتهم لها كانهم لا شاغل لهم سواها
قايمون اي يحافظون عليها ويوجدونها على غاية التمام والحسن دائما من هو نتمى لها واقفا على انتظارها
وقراءة حفص بالف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير الف على التوحيد اذ
المراد بجنس قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كقوله
تعالى لتجري قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد ويقومون بها عند الحكام ولا
يكتمونها وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله والذين هم على
صلاتهم اي في الفرض والنفل يحافظون اي يداومون في حفظها ويجدون حتى كانهم يبادرونها الحفاظ و يتوقونها

فيه

اي يبواظبهم الغالبة على ظواهرهم لفروجهم اي سواء كانوا ذكورا ام اناثا حافظون اي حفظا ثابتا
دائما عن كل ما نهى الله تعالى عنه الا على ازواجهم اي من الحرائر بعقد النكاح وقد مهن لشرفهن
وشرف المولود بهن ثم اتبعه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم من الاماء اللاتي هن في
محل الحرث والنسل واللاتي هن اقل عقلا من الرجال ولهذا عبر في احتمالهن فانهم اي هم
بسبب اقبالهم بالتزوج عليهن وازالة الحجاب من اجزاء ذلك غير ملومين اي في الاستمتاع بهن
من لايم ما كما ينبه عليه البناء للمفعول فهم يصحبوهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد
للتعاون على طاعة الله تعالى والكثرة في مدحهم ينفي اللوم لا قباله على تحصيل ماله من المرام
فمن ابتغى اي طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الا ان اقبال عظيم من النفس
واجتهاد في الطلب وقراءة حمزة والكسائي بالامالة محضة وقالون وورش بالفتح وبين هم
اللفظين والباقون بالفتح وراء ذلك اي شيا من هذا خارجا عن هذا الامر الذي احل الله
تعالى له والذي هو اعلا المراتب في امر النكاح وقضا اللذة واحسنها واجملها فاولئك
اي الذين هم في الحضيض من الدناة وغاية البعد عن مواطن الرحمة هم اي بضمايرهم وظواهرهم
العادون اي المتخصوص بالخروج عن الحد الماذون فيه والذين هم لاماناتهم اي من كل
ما ايتمنهم الله تعالى من حقه وحق غيره وقرا ابن كثير بغير الف بعد النون على هو
التوحيد والباقون بالالف على الجمع وعهدهم اي ما كان من الامانات بربطها
وتوفيق راعون اي حافظون لها موفرون لها على وجه نافع غير ضار والذين
هم اي بغاية ما يكون من توحيد القلوب بشهاداتهم التي شهدوا بها اي يتشهدون بها
بطلب او بغيره وتقدم المعمول اشارة الى انهم فرط قيامهم بها ومراعتهم لها كانهم لا شاغل لهم سواها
قايمون اي يحافظون عليها ويوجدونها على غاية التمام والحسن دائما من هو نتمى لها واقفا على انتظارها
وقراءة حفص بالف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير الف على التوحيد اذ
المراد بجنس قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كقوله
تعالى لتجري قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد ويقومون بها عند الحكام ولا
يكتمونها وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله والذين هم على
صلاتهم اي في الفرض والنفل يحافظون اي يداومون في حفظها ويجدون حتى كانهم يبادرونها الحفاظ و يتوقونها

فيه ويحافظونها التحفظهم ويبالغون غيرهم في حفظها وتقدم ان المداومة على المحافظة فرع اهتمام
عليها محافظتهم على اوقاتها وشروطها واركانها ومستحباتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة
وغير ذلك من خلال الاحسان التي اذا فعلوها كانت ولا بد مية لفاعلها ان الصلاة تنهى عن الفحشا و
المنكر فتحمل على جميع هذه الاوامر وينتهي عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس الصلاة والمحافظة
الى احوالها ذكره القرطبي ولما ذكر تعالى اخلاقهم اتبعه ما اعظامهم فقال عز من قايل مستانفا او منتجا
من غير فا اشاره الى ان رحمته هي التي اوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة اولئك
اي الذين في غاية العلو لما لهم من الاوصاف العالية في جنات اي في الدنيا والاخرة اما في
الاخرة فواضح واما في الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه بانفسهم في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها
شي اصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات
والشرور وضدها الثابت لاضدها على ذلك بقوله تعالى مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الا كرام
من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يصلي مقدارهم فيكرمهم بانواع الكرامات
فيتلقاهم بالبشر حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم الى حين دخولهم
الى قصورهم هذا حال المومنين واما حال الكافرين فقال تعالى في حقهم فما للذين كفروا وقف
ابو عمر على الالف بعد الميم والكسائي يقف على الالف وعلى الام ووقف الباقون على اللام ووقف الابتدا لكلام
فان يجميع بينهما والكلمة اي شي من السعادة للذين ستروا من اي عقولهم عن الاقرار بهذا
الذي هو اوضح من الشمس حال كونهم قبلك اي نحوك ايها الرسول الكريم وفيما اقبل عليك مهطعين
اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية العجب من مقالك هيبة
من يسعى الى امر لا صياة له بدونه عن اي متجاوزين اليك مكانا عن جهة اليمين اي منك
حيث به ينتهون به وعن الشمال اي منك وان كانوا اينما تولوا به وقوله تعالى عزين حال من
الذين كفروا وقيل من الضمير في مهطعين فتكون حالا متداخلة اي جماعات وفلقا متفرقين
فرقا شتى فلو جا الا يتهلون ليا تواجميعا جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تعزى الى غير ما تعزى
اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكميت ٭ ونحن وضد باع تركنا ٭ كاب جند شتى غريبا
وجمع عزة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزؤن خمسة ارهط وي ان المشركين
كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به
ويكذبونه ويقولون ان دخل هولا الجنة كما يقول محمد فنحن لها قبلهم فرد الله

تعالى عليهم بقوله عز وجل عز من قايل ايطمع اى هولا العبد البغضا وعبر بالطمع اشارة
الى انهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم طلبوا اعز الاشيا من غير سبب تعاطوه له ولما كان اتيانهم
على هيبة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال تعالى كل امرى منهم اى على انفراد
ان يدخل جنة نعيم اى وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى المسيى
والمحسن جنة نعيم اى لا شى فيها غير النعيم وقوله تعالى كلا ردع لهم عن طمعهم
ودخولهم الجنة اى لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ لا سبب له بما دل
عليه التعبير بالطمع دون الرجا ثم علل ذلك بقوله تعالى انا خلقناهم اى بالقدرة التى لا يقدر
احد ان يقاومها مما يعلمون اى انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة كما خلق ساير جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما يستوجب بالايمان
والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزون بفقر المسلمين ويتكبرون عليهم فقال
تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اى من القدر وهو منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك
الهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فلا يليق بهم التكبر ويدعون التقدم
ويقولون فدخل الجنة قبلهم قال قتادة فى هذه الاية انما خلقت بنى ادم من قذر فاتق الله وروى
ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابى صفرة يتبختر فى مطرف خز وجبة خز فقال
له يا عبد الله ما هذه المشية التى يبغضها الله الله تعالى فقال له اتعرفنى قال نعم قال اولك نطفة
مذرة واخرجك جيفة قذرة وانت فيما بين تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته
فايدة قال بن عربى فى الفتوحات خلق الله الناس على اربعة اقسام قسم لا
من ذكر ولا من انثى وهو ادم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حوا وقسم من انثى و
فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس فلا زيدت فيه لا
اقسم برب اى سيد ومبدع ومدبر المشارق اى التى تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة
كل يوم فى موضع عليها من المنهاج الذى دبره والطريق القانون الذى اتقنه وسخره
ستة اشهر صاعدة وستة اشهر هابطة والمغارب كذلك وهى التى ينشا عنها
الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها صلاح العالم بمعرفة الحساب واصلاح
الماكل والمشارب وغير ذلك من المارب فيوجد كل من الملوين بعد ان لم يكن
والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه قادر على الايجاد

والاعدام

والاعدام لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما كما قال تعالى انا اى على ما لنا من العظمة لقادرون
على ان نبدل اى تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم خيرا منهم اى ما الخلق وتبديل
الوصف فيكونوا اشد بطشا فى الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلا قدرا واكثر حشما
وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك
والسعى فى كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هولا من الهزو والتصفيق والصفير وكل ما يضيق
به صدرك وقد فعل سبحانه ذلك بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان
بالسعة فى الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن فى الارض حتى كانوا
ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الاخرة فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبذلوا فى مرضاته الانفس والاموال وما نحن بمسبوقين اى لا يفوتنا شى ولا
يعجزنا امر فريد بوجه من الوجوه فذرهم اى اتركهم ولو على اسوا احوالهم يخوضوا اى
فى باطلهم فى مقالهم وافعالهم ويلعبوا اى يفعلوا فى دنياهم فعل اللاعب الذى لا فايدة
فى فعله الا الضياع للزمان واشتغل انت بما امرت حتى يلاقوا اى يلقوا يومهم الذى يوعدون
وهو يوم كشف الغطا الذى اول تجليه عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين
فى داره ومحل استقراره وهذه الاية منسوخة باية السيف كما قاله البقاعى وبن عادل وقوله تعالى
يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم اى منصوبا باضمار اعنى من الاجداث اى القبور
التى صاروا بتعييبهم فيها تحت وقع الحوافر والحق فيهم بحيث لا يدفعون شيا منهم يفعل
بهم بل هم كلح فى فم ماضغ فان الحدث القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم قوله
تعالى سراعا اى يخوضون الداعى ذا مهيين الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع
كظراف فى طريق وقرا قوله تعالى كانهم الى نصب ابن عامر وحفص بضم النون والصاد
والباقون بفتح النون واسكان الصاد على انه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا
نصب عينى وضرب الامير والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون اى يسرعون
الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم وقال بن عباس الى نصب اى الى
غاية وهى التى ينتصب اليها بصرك وقال الكلبى هو شى منصوب على اورايه وقال
الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من
دون الله تعالى لا يلوى اولهم على اخرهم قوله تعالى خاشعة حال اما من فاعل

بو فضون وهو اقرب او من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه نقد الحال الذى مجيء
وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى ابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاشعة لاثر فوقها
لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى تزهقهم اى تغشاهم فتعتهم وتحمل عليهم فتكلفهم
كل عسر وضيق على وجه الاسراع عليهم ذلة اى ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لان
من تقوى فيه الدنيا على الحق ذل فى الاخرة ومن ذل للحق فى الدنيا عز فى الاخرة ذلك اى
الامر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة اليوم الذى كانوا يوعدون اى يوعدونه
فى الدنيا انه لهم فى العذاب واخرج الخبر بلفظ الماضى لان ما وعد الله تعالى به
فهو حق كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذى سالوا عنه اول السورة فقد رجع اخرها
على اولها وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة سورة سايل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
حديث موضوع سورة نوح عليه السلام مكية وهى سبع وعشرون اية وما يتان
واربع وعشرون كلمة وتسعماية وتسعة وعشرون حرفا بسم الله ذو الجلال والاكرام الرحمن
الذى عم بافاضه من ظاهر الانعام الرحيم الذى خص اولياءه من الابتدا الى الختام ولما
ختمت سايل سايل بالانذار للكفار وكانوا عبادا وثان بعذاب الدنيا والاخرة ابتدها
اعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى انا اى بما
لنا من العظمة البالغة ارسلنا نوحا الى قومه اى الذين كانوا فى غاية القوة على القيام
بما يجادلونهم وهم بصدد ان يجيبوهم ويكرموا لما بينهم من القرب بالنسب وا للسك
وكانوا جميع اهل الارض من الادميين روى قتادة عن بن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان اول نبى ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرقا الله تعالى اهل
الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلايل بن انوش
بن قينان بن شيث بن ادم عليه السلام قال وهب وكل مؤمنوا ارسل الى قومه وهو بن خمسين سنة
وقال بن عباس وهو بن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو بن ثلثماية وخمسين
سنة ويجوز فى قوله تعالى ان انذر اى حذر تحذيرا عظيما قومك اى الاستمرار على الكفر
ان تكون مفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لان فى الارسال معنى القول فلا
حاجة الى اضمار ويجوز ان تكون المصدرية اى ارسلناه بالانذار قال الزمخشرى والمعنى ارسلناه

بان قلنا له ان انذر قومك اى ارسلناه بالامر بالانذار اه وهذا الذى قدره جواب عن سوال
وهى ان قولهم ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها ومما بعدها مصدر
وحينيذ فتفوت الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليك بان قم اليه المقام تفوت
الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغى ان يقدر كما قال الزمخشرى اى كتبت اليه بان قلت
له قم اى كتبت اليه الامر بالقيام وقال القرطبى اى بان انذر قومك من قبل ان ياتيهم اى على
ما هم عليه من الاعمال الخبيثة عذاب اليم اى عذاب الاخرة او الطوفان قال اى نوح عليه
السلام يا قوم فاستعطفهم بتذكير هما ان احدهم يهمه ما يهمهم الى لكم نذير اى مبالغ فى
انذاركم مبين اى امرى بين فى نفسه بحيث انه صار فى شدة وضوحه كانه مظهر لا يتضمنه
منادية لك للقريب والبعيد والغطن والغبى ويجوز فى قوله تعالى ان اعبدوا الله اى الملك
الاعظم الذى له جميع الكمال ان تكون ان تفسيرية لتدبروا ان تكون مصدرية والكلام فيها كالتى تقدم
فى اختها وقرا ابو عمرو والكاهى وعاصم وحمزة فى الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى وحدوا
الله واتقوه اى اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا
تتخبروا صركة ولا تسكنوا سكنة الا فى طاعته وهذا هو العمل الوافى من كل وجه واطيعون اى لما امركم
ما تقصر عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم يكم
واجتناب شبه تردديكم فى طاعتى فلاحكم برضى الملك عنكم وقوله يغفر لكم جواب الامر وفى من
فى قوله من ذنوبكم اوجه احدها انها تبعيضية الثانى انها لابتدا الغاية الثالث انها مزيدة قال طول
بن عطية وهو مذهب كوفى وردبان مذهبهم ليس ذلك لانهم يشترطون تنكيرهما وورودها ولا يثبت
غيره والاخفش لا يشترط شيا فالقول بزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم قال القرطبى وقيل
لا يصح كونها زايدة لان ما تزاد فى الواجب وانما هى هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما
يتعلق بحقوق المخلوقين ويوخركم اى بالاعذاب تاخير بتقدم الى اجل مسمى اى قدره الله تعالى
وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة او باخذكم جميعا
فالامور كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها لاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص يعلم
ان الارسال انما هو مظهر قدره فى الازل ولا يظن انه قالت للاعيان بتقييد ما يليق به
القضا من الطاعة والعصيان وقرا ويوخركم ولا يوخر ويش بابدال الهمزة واوا ووقفا و صلا
وحمزة فى الوقف دون الوصل والباقون بالهمز ان اجل الله اى الذى له الكمال كله فلا

فلا راد لامره اذا جا لا يوخر اى اذا جا الموت لا يوخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل
اليه سبحانه لانه الذى اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جا اجلهم لا به مضروب
لهم لو كنتم تعلمون اى لو كنتم تعلمون من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهماكم فى حب
الدنيا كانهم شاكون فى الموت ولما كان عليه السلام اطول الانبيا عمرا وكان قد طال نصحه
لهم ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا قال مناديا لمن ارسله لانه تحقق ان لا قريب منه
غيره رب اى يا سيدى وخالقى انى دعوت اى اوقعت الدعا الى الله بالحكمة والموعظة قومى
اى الذين هم جديرون باجابتى لمعرفتهم بى وقربهم منى وفيهم قوة المحاولة لما يريدون
ليلا ونهارا اى دايما متصلا لا افتر عنه ذلك وقيل معناه سرا وجهرا فلم يزدهم دعاى
اى شيا من احوالهم التى كانوا عليها الا فرارا اى بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حمرة مستنفرة
استثنا مفرغ وهو مفعول ثان وقرا عاصم وحمزة والكسائى بسكون اليا والباقون بفتحها وهم
على مراتبهم فى المد وانى كلما اى على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات دعوتهم اى الى الاقبال
اليك بالايمان بك والاخلاص لك لتغفر لكم اى ليومنوا فتمموا ما فرطوا فيه فى حقك فا فرطوا
الاجل فى التجاوز فى الحد محوا بالغا فلا يبقى لشى من ذلك عينا والا اثر حتى لا تعاقبهم عليه
ولا تعاتبهم جعلوا اصابعهم كراهة منهم واحتقارا للداعى فى اذانهم حقيقة ليلا يسمعوا الدعا
اشارة الى ان لا نريد ان نسمع ذلك منك فان ابيت الدعا فانا لا نسمع لسد اسماعنا
ودلوا على الافراط فى كراهة الدعا بما ترجم عنه قوله واستغشوا ثيابهم اى اوجدوا التغطية
لروسهم بثيابهم ليلا تبصركم كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وهكذا حال النصحا
مع من ينصحونه دايما واصروا اى اكبوا على الكفر والمعاصى من اصر الحمار على الفاة وهى القطيع
من حمر الوحوش اذا صر انيه واقبل عليها يكدمها ويطردها واستكبروا اى اوجدوا
الكبر طالبين له راغبين فى واكد ذلك بقوله تعالى استكبارا تنبيها على ان فعلهم منافذ
للحكمة وقد افادت هذه الايات بالصريح فى غير موضع انهم عصوا نوحا عليه السلام وخا لفوه
مخالفة لا افتح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا لاصرار والاستكبار
ثم انى دعوتهم جهارا اى معلنا بالدعا قال بن عباس باعلا صوتى ثم انى اعلنت
لهم اى كررت لهم الدعا معلنا وقرا نافع وبن كثير بالفتح اليا والباقون
بسكونها واسررت لهم اسرارا قال بن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكله سرا بينى

ادعوه

215

ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت اى فى دعاى لهم استغفروا ربكم اى اطلبوا من المحسن
اليكم المبدع لكم المدبر لاموركم ان يمحوا ذنوبكم اعيانها واثارها بان تومنوا بالله
وتتقوه انه كان اى ازلا وابدا ودايما سرمدا غفارا اى متصفا بصفة الستر على من
رجع اليه يرسل السما اى المظلمة لان المطر منها ويجوز ان يراد السحاب والمطر عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين اى ويكثر اموالكم واولادكم وذلك ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه
زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت اموا لهم
ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اى استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل
السما عليكم مدرارا روى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار
فلما نزل قيل يا امير المومنين ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمحاريج السما التى بها
يستنزل القطر ثم قرا هذه الاية شبه الاستغفار بالانوا الصادقة التى لا تخطى وعن الحسن ان
رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفروا الله وشكى اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع
اصله فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتتاك رجلا يشكون ابوابا ويسا لون
انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الاية وقال القشيرى من وقعت له حاجة الى الله تعا لى
فلن يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ان
زاد نوح عليه السلام فى الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا فى الكفر والنسا
ويجعل لكم اى فى الدارين جنات اى بساتين عظيمة واعاد العامل للتاكيد فقال ويجعل
لكم انهارا اى يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم الاستغفار جعل له من كل هم فرجا
ومن كل ضيق مخرجا وقال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما
والارض وقال تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فو قهم
ومن تحت ارجلهم وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ما لكم
لا ترجون لله اى الملك الذى له الامر كله اى ما لكم لا تاملون له توقيرا اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون
على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بباب الموقر ولو تاخر لكان صلة الو قار
فان بالمعرفة تركوا الاعمال وتصلح الاقوال انما سبق ابوابكم بشى وقر فى صدره وانما يصح تعظيمه
سبحانه بان لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا عظيما وتعظيم اثره ونهيه بعدم
المعارضة وقد اى والحال انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك

على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان
الا الاحسان ورجا الدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه خلقكم اى اوجدكم من العدم
مقدرين اطوارا اى تارات عناصرا ثم مركبات تقدى الحيوانات ثم اخلاطا ثم نطفا ثم
علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما وعصابا ودماثم خلقا اخر فاما نا طفا ذكرانا واناثا
الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا بتدكان على الاعادة
اعظم قدرة الرتزوا اى ايها القوم كيف خلق الله اى الذى له العلم التام والقدرة البالغة
والعظمة الكاملة سبع سموات هى فى غاية العلو والسعة والاحكام والزينة طباقا اى منطبقا
بعضها فوق بعض وكل واحدة فى التى تليها محيطة بها مالها من فروج ولا يكون تمام المطابقة
الا كذلك بالاحاطة من كل جانب وجعل القمر اى الذى ترونه فيهن نورا اى لا معا منتشرا كاشفا
للظلمة بيان احد وجهيه بقى لاهل الارض والثانى لاهل السموات قال الحسن يعنى فى السما الدنيا
كما تقول اتيت بنى فلان وانما اتيت بعضهم وفلان متوار فى دور منى فلان وهو فى دار واحدة وبلابد
وسرعة حركته وقطعه جميع البروج فى كل شهر وعبوسته فى بعض الليالى ثم ظهوره وذلك اعجب فى
القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس فقال تعالى وجعل اى فيها الشمس اى فى السما الرابعة
سراجا اى نورا عظيما كاشفا للظلمة لظلمة الليل على وجه الارض وهى فى السما الرابعة كما مر وقيل
فى الخامسة وقيل فى الثانية والراجح وقيل فى السابعة روى عن ابن عباس وابن عمران
الشمس والقمر وجوههما مما يلى السما واقفيتهما الى الارض وجعلهما بحيث انه اية على سويته عباده المحبين
له فى الجنة والله اى الملك الاعظم الذى لا اسم له الا هو انبتكم اى خلق اباكم ادم عليه السلام من الارض اى
كما ينبت الزرع وعبر بذلك تذكيرا للنبات لما كان من حيث انبنا ادم عليه السلام لانه ادل على الحدوث
والتكون من الارض نباتا اى انشاكم منها انشا فاستعير الانبات لانه ادل على الحدوث
والتكون واصله انبتكم فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم اى على التدريج
فيها اى الارض بالموت والافناء وان طالت الاجال ويخرجكم اى منها بالاعادة اكد
بالمصدر الجارى على الفعل اشارة الى شدة العناية به ويختم وقوعه لا فكاك وهم منه فقال
تعالى اخراجا اى عزيزا ليس هو مثل بل تعلمون بل تكونون به من غاية ما يكون من الحياة
الباقية تلابس ارواحكم لها احيا بكم ملابسة لا انفكاك بعدها الا كما عن الاخر والله
اى المستجمع لجميع الجلال والاكرام جعل لكم اى نعمة عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا

اى سهل

اى سهل عليكم التصرف فيها والتقلب عليها بهموله التصرف فى البساط ثم علل ذلك بقوله
تعالى لتسلكوا اى متخذين منها اى الارض مجددين ذلك سبلا اى طرقا واضحة مسلوكة
فجاجا اى ذوات انفاج لتتوصلوا الى البلاد الشاسعة براوبحرا فيعم الانتفاع بجميع البقاع
فالذى قدر على ايجادكم واقداركم على التصرف فى اصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم من اجداثكم
الذى لم يزل طوع امره فحل عظمه وقدره ولما اكثر مع نوح عليه السلام الجدال وتبين الى الظلا
قابلوا باشنع الاقوال والافعال قال نوح اى بعد رفعه بهم ولينه لهم رب اى ايها المحسن
الى المدبر لى المتولى لجميع امرى انهم اى قومى الذين دعوتهم اليك مع صبرى عليهم الى تمة
الاخمسين عاما عصونى اى فيما امرتنى به ودعوتهم اليه فابوا ان يجيبوا دعوتى وشر
حتى اشد شرادا وخالفونى افبح مخالفة واتبعوا اى بغاية جهدهم نظر الى المظنون العا
من اى راساهم البطرين باموالهم المغترين بولدانهم وفسرهم بقوله تعالى لم يزده
اى شيا من الاشيا ماله اى كثرته وولده كذلك الاخسارا اى بالبعد من الله تعالى فى الدنيا
والاخرة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواو بن واللام والباقون بالواو الثانية
واسكانه اللام ومكروا اى هولا الروسا فى تنفير الناس عنى مكرا وزاده تاكيدا
بصيغة هى النهاية فى المبالغة بقوله كبارا فانه ابلغ من كبار المخفف الابلغ من كبير
واختلفوا فى معنى مكرهم فقال ابن عباس قالوا قولا عظيما وقال الضحاك افتروا على
الله تعالى وكذبوا رسله وقيل منع الروسا اتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام
فلم يدعوا احدا منهم بذلك المكر بتبعه وحوشوهم على قتله وقالوا اى لهم لا تذرون اى لا
الهتكم اى عبادتها على حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة واضافوها اليهم تحبيبا لها
ثم خصوا بالتسمية زيادة فى الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين ايمين والعامل
تاكيدا ولا تذرون ودا وقرا نافع بضم الواو والباقون بفتحها وانثروا بالوجهين قول الثا
ع جبال وبين هذا ذكت لغيته ٥ ومرض باعلاذى فضاله مجده ٥ وقال القرطبى
قال الليث ود بفتح الواو وضم كان لقوم نوح وود بالضم ضم لقريش وبه سمى
عمرو بن ود وقى الصماح والواو بالفتح الوتد فى لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا واغنوها
فى الدال اه ثم اعادوا النفى تاكيدا فقالوا ولا سواعا ولا كدوا هذا التاكيد وابلغوا
فيه فقالوا ولا يغوث ولما بلغ التاكيد نهايته وعلم انه القصد النهى عن كل فرد فرد

دوا
جل
تذرن

لا عن المجموع تركوا التاكيد في قولهم ويعوق ونسرا للعلم بارادته واختلف المفسرون في
هذه الاسما فقال بن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها
العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها وكانت اكبر اصنامهم واعظمها
عندهم فلذلك اخصوا بالذكر بعد قولهم الا تذرون الهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى ادم عليه
السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه
فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم ثم اليه ذكرتموه فقالوا افعل فصوروه في المسجد من
صفر ورصاص ثم مات اخر فصور حتى ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا كما تناقصت
اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما
نعبد قال الهتكم والهة ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله
نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرون الهتكم ولا تذرون ودا الاية وقال محمد بن كثير ايضا ومحمد
ابن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما
ماتوا جا اخرون فقالوا لبيت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها اباونا فجاهم الشيطان
فقالوا كانوا اباوكم يعبدونها اقترحهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدى عبادة الاوثان
من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جا في الصحيحين من حديث عايشة ان ام حبيبة
وام سلمة ذكرتا كنيسا رانيها بارض الحبشة تسمى ماريه فيها تصاوير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات منهم الرجل الصالح
بنوا على قبره مسجدا ثم صور فيه تلك الصورة اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيمة
وروي عن بن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه السلام على
جبل الهند فيمنع الكافر من ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا يعجزون
عليكم ويزعمون انهم بنوا ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به
فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها كان ايام الطوفان دفنها والتراب
والما فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب اصنام
اخر فاللات كانت لقديد واساف ونايلة وهبل كانت لاهل مكة وكان اساف
حال الحجر الاسود ونايلة حال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة وقال
الماوردي اما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكليب

بدومة

بدومة الجندل في قول بن عباس وعطا واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال
الرازي وسواع لهمدان واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالبحر ومن سبا في قول قتادة
وقال لمراد ثم لغطفان وقال ابو عثمان الهندي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا
يحملونه على جمل اجرد ويسيرونه معهم ولا ينيخونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا
قد رضي لكم المنزل واما يعوق فكان لهمدان وقيل لمراد واما نسرا فكان لذي الكلام
من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على
صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر نسر من الطير
قال الباقعي ولا يعارض هذا على صور صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منزعا
من معانيهم فكان ودا المكمل في الرجولية وكان سواع امراة كاملة في العبادة وكان
يغوث شجاعا وكان يعوق سابغا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر اه ولما ذكرهم مكرهم
وما اظهروا من قولهم عطف عليه ما توقع السامع من امرهم فقال تعالى وقد اضلوا اي الروسا
او الاصنام وجمعهم جمع العقلا معاملة لهم معاملة العقلا كقوله رب انهن اضللن
من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم فانهم
اول هذه من سنن هذه السنة السيية فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
وقول نوح عليه السلام ولا تزد الظالمين اي الراسخين في الوصف الموجب للنار
الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قد اضلوا دعا عليهم بعد
ما اعلمه الله تعالى انهم لا يومنون بقوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد
امن وكذلك دعا موسى وهارون عليه السلام في الشد على قلوب فرعون وملايه
ليلا يومنوا فيهم وما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم مزيدة
للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو بفتح الطا وبعدها الف وبعد الالف يا بعدها الف
وضم الها على وزن قضاياهم والباقون بكسر الطا وبعدها يا تحتية ساكنة
وبعد الواو همزة مفتوحة بعدها الف وبعد الالف تا فوقية مكسورة وكسر الها
على وزن قضايهم اغرقوا اي بالطوفان طاف عليهم جميع الارض السهل
والجبل فلم يبق منهم احد وكذا الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه في قوله تعالى
فادخلوا اي في الاخرة التي اولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا

نارا اى عظيمة جدا احقها ما يكون من مبادئها فى البرزخ قال الملوى عذبوا فى الدنيا
بالغرق وفى الاخرة بالحق وقال الضحاك فى حالة واحدة كان يغرقون من جانب ويحترقون
فى الما من جانب بقدرة الله تعالى فلم يجدوا لهم اى عند ما اناخ الله بهم صوته واحل
بهم نقمته من دون الله اى الملك الاعظم الذى تضمحل المراتب تحت رتبته عظيمته وتذل العزة
وجليل انصارا تنصرهم على من اراد بهم ذلك ليمنعوه مما اراد سبحانه من اغراقهم من غير
ان يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداه وانجا نبيه عليه السلام ومن امن معه
على ضعفهم وقلتهم لم ينفذ منهم احد لكونهم اولياءه كما انه لم يسلم من اراد اغراقه احد على
كثرتهم وقوتهم قال البقاعى فمن قال عن عوج ما تقوله القصاص فهو ضلال اشد ضلال م
قال وقايل ذلك هو ابن عربى صاحب الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة م
وزاد فى الخط عليه وعلى بن العارض وعلى الحلاج وعلى من شابههم وامرها ولا الى الله تعالى
فانه العالم وما تخفى الصدور وقال نوح واسقط الاداة كما هو عادة اهل الحضرة فقال تعالى
رب لا تذر اى لا تترك على الارض اى كلها من الكافرين اى الراسخين فى الكفر ديارا اى احدا يدور
فيها وهو من الفاظ العموم التى تستعمل فى النفى فيقال من الدور او الدار لا فعال والا لكان دوارا
قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله عليهم اليه انه لن يومن من قومك الا من قد
امن فاجاب الله تعالى دعوته واغرق امته وهكذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم
اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه رجلا من
قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال
يا ابتى انزلنى فانزله فرماه بشجة فح غضب ودعا عليهم فان قيل ما فعل صبيانهم
حتى اغرقوا اجيب بانهم اغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون
بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة
فى عذاب الابا والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصدرا شتى وعن الحسن انه سيل
عن ذلك فقال علم الله تعالى براتهم فاهلكهم بغير عذاب وقال محمد بن كعب
كعب ومقاتل انما قال هذا حين اخرج الله تعالى كل مومن من اصلابهم وارحام
نسايهم واغنم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين
سنة

وقيل بسبعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام بانهم لا يومنون ولا يلدون
218 مومنا كما قال تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن فحينيذ دعا عليهم فاجاب
الله تعالى دعاه فاهلكهم كلهم ولم يومن فيهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى قال
نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال وقال بن عربى
دعا نوح عليه السلام على الكافرين اجمعين ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على من
تحزب على المومنين وكفى بهذا اصلا فى الدعا على الكافرين فى الجملة واما كافر معين
لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة
بالسعادة وانما خص النبى صلى الله عليه وسلم عتبة وشيبة واصحابه اعلمهم بما لهم
وما كشف لهم من الغطا عن حالهم ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون
الا ما كان فيه مصلحة الدين علل دعاه بقوله انك اى رب ان تذرهم اى تتركهم على
اى حالة كانت فى ابقايهم سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة دنية يضلوا
عبادك اى الذين امنوا بى والذين يولدون على الفطرة السليمة ولا يلدوا اى ان
قدرت بقايهم الا فاجرا اى مارقا من كل ما ينبغى الاعتصام به كفارا اى بليغ الستر
كما يجب اظهاره من ايات الله فان قيل بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر
عند الولادة اجيب بانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم
واحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذر
فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك وقد اخبر الله تعالى انه لن يومن من قومك
الا من قد امن ومعنى لم يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر لوصفهم
بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعا على
اعدا الله تعالى دعا الاوليا به وبدا بنفسه فقال مقسط الاداة على عادة اهل
الخصوص رب اى ايها المحسن الى باتباع من اتبعنى وتجتنب من تجتنبنى اغفر لى اى
فانه لا يسعنى وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ومغفرتك ولوالدى وكان ام
مومنين يريد ابويه اسم ابيه لمك بن متوشلخ وامه سمحا بنت انوش وعن ابن
عباس لم يكفر لنوح عليه السلام اب فيما بينه وبين ادم عليه السلام وقيل هما ادم
وحوا واعاد الجار اظهارا للاختتام فقال ولمن دخل بيتى اى منزلى وقيل مسجدى

وقيل سفينتي مومنا اى مصدقا بالله تعالى فمومنا حال وعن بن عباس اى دخل في د بني
فان قيل عليه يصير قوله مومنا تكرارا اجيب بان من دخل في دينه ظاهرا قد يكون مومنا
وقد يكون المعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب وللمومنين والمومنات خص نفسه اولا
بالدعا ثم من يتصل به لانهم اولى واحق بدعايه ثم عمم المومنين والمومنات الى يوم
القيمة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قوم والا ول
اولى واظهر ثم ختم الكتاب مرة اخرى بالدعا على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين اى هـ
الفريقين في الظلم في حال من الاحوال الا تبارا اى هلا تحامد مرا والمراد بالظالمين هـ
الكافرين فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثاني هـ
والاستثنا مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله
عليه من قرا سورة نوح كان من المومنين قد ركبهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع والله
سبحانه وتعالى اعلم بالصواب سورة الجن وتسمى قل اوحي مكية وهي ثمان وعشرون
اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمان ماية وسبعون حرفا بسم الله المحيط بالكمال الرحمن
الذي عم برحمته الناس بالارسال الرحيم الذي خص من بين اهل الدعوة من شا بمحاسن
الاعمال ولما كان نوح عليه السلام اول رسول ارسله الله تعالى الى المخالفين من اهل الا رض
وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين فهو اخر رسول بعثه الله تعالى
الى اهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح عليه السلام فقال تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل اى يا اشرف الرسل للناس اوحي الي وقال بن عباس قل يا محمد لامتك اوحي
الي على لسان جبريل عليه السلام انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى
العشرة قال البغوي وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفي هذه العبارة دليل
على انه صلى الله عليه وسلم ما راهم ولا قرا عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراته صحيح مسلم
عن بن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين
الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر
السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغا ربها
فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر
الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ وهو يصلي هـ
باصحابه

باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر 219
السما وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل
غيره والجن الذين اتوه جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن ينتوى الى السورة التي استمعوها
قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انذارهم وعن بن مسعود انه صلى
الله عليه وسلم قال اموت ان اتلوا القران على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا
ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جا الحجون عند شعب
ابن ابي ذيب خط على خطا لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم ر جال
الزط قال بن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود وقال وجوههم المكاكي يفز عون
في دفوفهم كما يفزع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فامي الى بيده ان
اجلس ثم تلا القران فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم وفي رواية
اخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال انا نبي قال فمن يشهد لك على ذلك
فقال هذه الشجرة فجات تجري عروقها لها فعاقع حتى انتصب بين يديه فقال على ماذا
تشهدي في قالت اشهد انك رسول الله قال اذهب فرجعت كما جات حتى صارت كما كا نت
قال بن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان
ذلك لك هولا الجن اتوا يسمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوا من الزاد فزو دتهم
العظيم والبعر فلا يستطيبن ان يستنجي احدكم بعظم ولا بعر وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما
فرغ وضع راسه على حجر بن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضو قال لا الا ان معي
اداوة نبيذ فقال هل هو الا تحر وما فتوضى منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية بن
عباس وقع الا فاوحي الله اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى بن مسعود
اى قالوا قعة متعددها ثانيها انها واقعة واحدة الى انه صلى الله عليه وسلم راهم و سمع
كلامهم ولا عرف ماذا قالوا ولا اى شي فعلوا فالله تعالى اوحى اليه ان كان كذا وكذا هـ
وفعلوا كذا وكذا ثالثها انها كانت واحدة وانه صلى الله عليه وسلم راهم وسمع كلامهم
وهم امنوا به ثم رجعوا الى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية انا سمعنا هـ
قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم
ما قالوه لاقوامهم قال بن عربي عن بن مسعود اعرف من بن عباس لانه

شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاقبة وقال القرطبي ان الخبر اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها بن مسعود والثانية بنخلة
وهي التي ذكرها بن عباس وقال البيهقي الذي حكاه بن مسعود انما هو في اول ما سمعت
الجن قرا النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما
حكاه بن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليه القران كما حكاه بن مسعود
وقال القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق ابليس جنوده لعلم ذلك فاتى سبعة منهم بطن
نخلة فاسمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم فامنوا ثم اتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يعني ولم يرجعوا الى ابليس لما علموه من كذبه وسفاهته وجاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
في سبعين من قومه فاسلموا فلذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا الايات فقالوا اي فتسبب
عن استماعهم ان قالوا انا سمعنا اي حين تعمد الاصغا والقينا اليك افهامنا قرانا اي
كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه وقرا بن كثير بالنقل وقفا ووصلا
وحمزة في الوقت دون الوصل والباقون بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا القران بالمصدر
مبالغة في امره فقالوا عجبا اي بديعا خارجا عن عادة امثاله من جميع الكتب الالهية
فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب يهدي اي يبين غاية البيان
الى الرشد اي الحق والصواب فامنا اي كل من استمع منا لم يتخلف منا احد ولا يوقف بعد
الاستماع به اي القران اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا
اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اوليك
الجن كانوا مشركين قال الرازي واعلم ان قوله تعالى قل امر لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه
ما اوحي اليه في واقعة الجن وفيه فوايد احدها ان يعرفوا بذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثالثها ان يعلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما
سمعوا القران وعرفوا اعجازه امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثالثها ان يعلم القوم ان الجن
مكلفون كالانس رابعها ان يعلم ان الجن يستمعون كلاما تفهمه من لغتنا خامسها ان يظهر المومن منهم
بدعوى غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذ عرفها الناس تنبيهات
احدها اختلف العلما في اصل الجن فروي عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس
ولد ادم ومن هولا مومنون وكافرون وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان من هولا وهولا كافرا فهو شيطان .

وروى

220

وروى الضحاك عن بن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المومن و
ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي ان ذلك النفر كانوا
يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين ثانيها اختلفوا في دخول
الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال
يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيها قولان احدهما وهو قول
الحسن يدخلونها والثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها ثالثها قال القرطبي قد انكروا
جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة الجن وقال انهم بسايط ولا يصح طعامهم اجترا على الله
تعالى والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط بل مركب مزدوج انما الواحد
سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس بممتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم
كما يرى الملايكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا
وانه اي الشان العظيم تعالى اي انتهى في العلو الى حد لا يستطاع جد اي عظمة
وسلطان وكمال غنى ربنا يقال جد الرجل اي اعظم ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة
وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقال السدي جد ربنا اي امور ربنا وقال الحسن غنا
ربنا ومنه قيل الحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد
قال ابو عبيد والخليل اي ذا الغنا منك الغنا انما تنفعه الطاعة وقال بن عباس
قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرطبي الاوه ونعماوه على خلقه وقال الاخفش
علامك ربنا وما بعده الى قوله وانا منا المسلمون وهي اثنى عشر موضعا بن عامر وحفص
وحمزة والكسائي بفتح الهمزة في الجميع والباقون بالكسر ولما وصفوه بهذا التعالي الاعظم
المستلزم للغنا المطلق والتنزه عن كل وشايبه نقص بنونة بنفي ما ينافيه من قولهم ابطالا
للباطل ما اتخذ صاحبة اي زوجة لان الصاحبة لا بد وان تكون من نوع صاحبها ومن له نوع
فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة وصفة مميزة ولا ولدا لان الولد لا بد وان يكون
جزا منفصلا عن حال والده ومن له اجزا فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون
الا لمحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي او عقلي قال القشيري ويجوز
اطلاق لفظ في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى
اي لانه قيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويكون ذلك من قول الجن قال

ابو جعفر الصادق ليس معه تعالى جد وانما قوله الجن للجهالة فلم يواخذوا به وقال القرطبي
معنى الاية وانه تعالى جد ربنا ان يتخذ صاحبة او ولدا للاستئناس بهما او الحاجة اليهما
والرب تعالى ذلك كما تعالى عن الانداد والنظر وانه اي وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر وامنا
بانه على قراءة الفتح كان يقول اي قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة سفيهنا هو للجنس
فيتناول ابليس راس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله لان ثمرة الفعل العلم
وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه هو الذي يقول على الله الذي له صفات الكمال المنافية
لقول هذا السفيه شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والا شطاط
الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب واصله البعد فعبر به عن الجور
لبعده من الصدق وانا اي معشر المسلمين من الجن ظننا اي حسبنا لسلامة فطرتنا ان اي
انه وزادوا في التاكيد فقالوا لن تقول وبدوا بافضل الجنين فقالوا الانس واتبعوهم قرناهم
فقالوا والجن على الله اي الملك الاعلا الذي بيده النفع والضر كذبا اي قولا هو لعراقته في مخالفة
الواقع نفس الكذب وانما كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران
وبينا به الحق قبل انقطع الاخبار عن الجن ها هنا وانه اي الشان كان رجال اي ذوا قوة وباس من
الانس اي النوع الظاهر في عالم الحس يعوذون اي يلتجيون ويعتصمون خوفا على انفسهم
وما معهم اذا نزلوا واديا برجال من الجن اي القبيل المستتر على الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا
اذا نزلوا واديا او غيره من الفقر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر
الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صريح فحملهم ذلك على ان يستجير بعظمائهم فكان
الرجل يقول عند نزوله اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم
حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان اول
من تعوذ الجن قول من اهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جا الاسلام عاذوا بالله
تعالى وتركهم وقال كرم ابن ابي السايب الانصاري خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك
اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم
فلما انتصف النهار جا ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال
يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد
حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة للانس باعتقادهم في
الجن

221

في الجن غير ما هم عليه فتبعوهم في الضلال وفتنة للجن بان يغتروا بانفسهم ويقولون
سدنا الانس والجن فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله تعالى فزادوهم اي الانس والجن
باستعاذتهم رهقا اي ضيقا وشدة وعشيانا فجاءهم فيها من احوال الضلال التي يلزم منها
الضيق والشدة وقال مجاهد الرهق الاثم وعشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه
قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال الاعشى شعر لا شي ينفعني من دون رايتها هل يشتفي عاشق
ما لم يصب رهقا يعني اثما وقال مجاهد ايضا زادوهم اي ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا
التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن من شر الانس وكان الرجل مثلا يقول
اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال الزمخشري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق
لفظ الرجل على الجن تنبيه قوله تعالى من الانس صفة لرجال وكذا قوله من الجن وانهم
اي الانس ظنوا والظن قد يصيب وقد يخطي وهو اكثر كما ظننتم اي ايها الجن ويجوز
العكس ان مخففة اي انه لن يبعث الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة احدا
اي بعد موته لما لبس به ابليس عليهم حتى راوا حسنا ما ليس بالحسن او احدا من الرسل يزيل به
عماية الجهل وقد ظهروا بالقران ان هذا الظن كاذب وانه لا بد من البعث في الامر من قال وانا
لمسنا السما اي فمن استراق السمع منها قال الكلبي السما الدنيا اي التمسنا اضارها على ما كان من
عادتنا من استماع ما يعوي به الانس واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا
بلوغ السما واستماع كلام اهلها فوجدناها في وجد وجهان اظهرهما انهما متعدية لواحد لان
معناها اصبنا وصافينا وعلى هذا فالجملة من قولهم ملئت في موضع نصب على الحال على اضمار
قد والثاني انها متعدية لاثنين فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني ويكون حرسا منصوب
على التمييز نحو امتلا الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس فهو خدم لخادم وهم الملايكة الذين
يرجمون بالشهب ويمنعونهم من الامتناع وتجمع تكثيرا على احراس والحارس الحافظ الرقيب
والمصدر الحارسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ ولو جا على المعنى لقيل شداد بالجمع لان
المعنى مليت ملايكة شداد كقولك السلف الصالح يعني الصالحين قال القرطبي ويجوز
ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة وشهبا جمع
شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاض الكواكب المخرقة لهم المانع لهم

لهم عن استراق السمع وانا كنا اي فيما مضى نقعد منها اي السما مقاعد اي كثيرة قد علمناها
لاخرس فيها صالحة للسمع اي ان اتسع منها بعض ما تتكلم به الملايكة بما امروا بتدبيره وقد جا
في الخبر ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق الاخر حتى يصلوا الى السما فكانوا
يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها الكذب فمن يستمع الان اي في هذا
الوقت وفيما يسبق لا انهم ارادوا وقت قولهم فقط يجد له اي لاجله شهابا اي شعلة من نار
ساطعة تحرقه رصدا اي ارصد به ليرمي به تنبيه اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف
قبل البعث وذلك امر حدث بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السما تحرس
في المفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسماية عام وانما كان من اجل بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات كلها وحرست بالملايكة والشهب وقال
عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث وقد جا شعره في اهل الجاهلية
قال زيد بن ابي حازم بدل زيد بن بشر والعير يلفحها الغيار وجحشها ينقض خلفها
انقضاض الكواكب ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى
الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله
وانا كنا نقعد قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري
عن علي بن الحسين عن بن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار
اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت
عظيم او يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا
تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح حملة العرش ثم سبح اهل كل سما حتى ينتهي التسبيح الى
هذه السما فتسال اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم وتخبر اهل كل سما حتى ينتهي
الى اهل هذه السما وهذا يدل على ان هذا الشهب كانت موجوده قال بن عادل وهذا قول
الاكثرين فان قيل كيف تتعرض الجن لاحراق انفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما
لهم اجيب بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملايكة
ورصدا من الملايكة والرصد الحافظ للشي والجمع ارصاد وقيل الرصد هو الشهاب

اي

222

اي شهاب قد ارصد له ليرجم به فهو فعيل بمعنى مفعول واختلف فيمن قال وانا لا ندري اي
بوجه من الوجوه اشر اريد اي بعدم استراق السمع بمن في الارض ام اراد بهم ربهم اي المحسن
اليهم المدبر لهم رشدا اي خيرا فقال بن زيد معنى الاية ان ابليس قال لا ندري هل اراد
الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عقابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم
قبل ان يستمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد
صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم
ام اراد ان يومنون فيهتدون فالرشد والشر على هذا الايمان والكفر وعلى هذا كان
عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراته علموا انهم منعوا من السما حراسة
للوحي وقيل قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن
كثيرا من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما امنا به ام يومنون قال
الجن وانا منا الصالحون اي الفريقون في صفة الصلاح قال الجلال المحلي بعد
استماع القران ومنا دون ذلك اي قوم غير صالحين كنا اي كونا هو كالجبلة طرايق
قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب معنى الاية كنا مسلمين
ويهودا ونصارى ومجوس وقال الحسن والسدي الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجية
ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال بن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى
كاهوا الناس وقال سعيد بن جبير الوانا شتى وقال ابو عبيدة اصنافا وقيل منا
الصالحون ومنا المومنون لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي والاول احسن لانه
كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة
تنبيه القد جمع قدة والمراد بها الطريقة وامثلها السيرة يقال قدة فلان حسنة
اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه فاستعير للسيرة المقعد له قال الشاعر
القابض الباسط الهادي بطلعته ٭ في قنية الناس اذا هوا وهم قدد ٭ ٭ ٭
وقال ليبد يرثي اخاه ٭ لم تبلغ العين كل نهمتها ٭ يوم تمشي الجياد بالقدد ٭ ٭ ٭
بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ما له قد ولا قحف فالقد انا من جلد والقحف
انا من خشب وانا ظننا ان لن نعجز الله اي وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال في ايات

الله انافي قبضته الملك وسلطانه لمن تفوته بهرب ولا يفوته ما له من الاحاطة بكل شيء علما
وقدرة لانه واحد لامثل له تنبيه اطلاق الظن على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغي له
ان يجتنب ما يتخيله ضارا ولو بادنى انواع التخيل فكيف بتيقن وقولهم في الارض حال
وكذلك هربا في قولهم ولن نعجزه اي بوجه من الوجوه هربا فانه مصدر في موضع الحال
تقديره لانتوته كائنين في الارض اوهاربين منها الى السما فليس لنا مضطرب الا في
قبضته فاين ام الى اين المهرب وانا لما سمعنا اي من النبي صلى الله عليه وسلم الهدى اي القران
الذي لدمن الغراية التامة في صفة البيان والدعا الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس
عليه نفس الهدى امنا به وبالله وصدقنا محمد صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه
وسلم مبعوثا الى الانس والجن قاله الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن
ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله تعالى وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود
اي الانس والجن وفي ارساله الى الملايكة خلاف قدمنا الكلام عليه فمن يؤمن بربه اي
المحسن اليه منا ومن غيرنا فلا اي فهو خاصة لايخاف بخسا ولا رهقا قال بن عباس لايخاف
ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان
وغيان المحارم وانا منا اي الجن المسلمون اي المخلصون في صفة الاسلام ومنا القاسطون
اي الجايرون اي وانا بعد سماع القران مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط
الجايز لانه عدل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل
فقسط الثلاثي بمعنى جار واقسط الرباعي بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير ان
الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن
ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج ياجهلة انه سماني ظالما وكافرا
وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين بربهم يعدلون فمن
اسلم اي اوقع الاسلام كله بان سلم ظاهره وباطنه من الجن وغيرهم فاولئك اي الحايزون
الذين تحروا اي توخوا وتصدوا مجتهدين رشدا اي صوابا عظيما وسددا كان
لما عندهم من النقايص في صفة الجود عن الصواب من الانس والجن فاولئك اهملوا انفسهم فلم يتحروا
لهم افضلوا فابعدوا عن الطريق القويم فهم وقود اي الهالك التي لامنجا منها فكانوا لجهنم اي

النار

223

النار البعيدة العقر التي تلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة حطبا اي توقد بهم النار وهي في
اتقاد ما داموا احيا ما دامت تتقد لايموتون فيستريحون ولا يحيون فيتنعمون تنبيه
قوله تعالى فكانوا اي في علم الله عز وجل وان قيل لم ذكروا عقاب القاسطين ولم يذكروا
ثواب المسلمين اجيب بانهم في مقام الترهيب فذكروا ما يحذر وطووا ما يحيا العلم به لان الله
تعالى لايضيع اجر من احسن عملا بل لابد ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيد او انهم
ذكروه بقولهم تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما لايعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لايتحقق
الا في الثواب فان قيل ان الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار اجيب بانهم
وان خلقوا منها لكنهم يغيرون عن تلك الكيفية فيصيرون كالحمأ ومسنون هكذا قيل وهذا الكلام
الجن وان في قوله تعالى وان هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي وانهم وهو
معطوف على انه استمع اي واوحي الي ان الشان العظيم لو استقاموا على الطريقة اي
طريق الاسلام لاسقيناهم اي لجعلنا لهم بدل الماء من الغظمة ماء غدقا اي لوسعنا على هؤلاء
الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم في الرزق وضرب الماء العذب مثلا لان الخير
والرزق كله في المطر كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية وقال تعالى استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى قوله ويمددكم بالاموال وبنين الاية لنفتنهم
اي لنعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة والكبرياء فيه اي في ذلك الماء الذي تكون عنه
انواع النعم ليتنكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين
اتى قال الجلال المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله عنه اينما كان المال كان المال وابتما كان
المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتح عليهم كنوز كسرى و
قيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان رضي الله عنه قال البقاعي وقد جود
ان يكون مستعار اللعلم وانواع المعارف الناشية عن العبادات التي هي للنفوس كالنفوس
للابدان وتكون الفتنة بمعنى التمحيص من الهموم والرذايل في الدنيا والنعم في الاخرة من
فتنة الذهب اذا خلصته من غشه ومن يعرض اي اعراضا مستمرا الى الموت عن ذكر ربه
اي مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي له الذي لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر
القران وقيل الوحي وقيل الموعظة نسلكه اي ندخله عذابا يكون مظروفا فيه كالخيط
في ثقب الخرزة في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا يعلوهم ويغلبه ويصعد

سلكوا فيه فالجن انفسهم
حتى سلكوه فجعلوهم مثله
وانا الذين يطوفون اي الذين

عليه ويكون كل يوم اعلا مما قبله جزا وفاقا وقال بن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري
كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن بن عباس ان المعنى مشتقة من العذاب لان الصعد
في اللغة هو المشقة تقول تصعد في الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شي ما
تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق علي وما غلبني والشي في الصعود يشق وقال عكرمه
هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم قال الكلبي
يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملسا يجذب من امامه بسلاسل
ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها
احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا الصعود فذاك دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا
وقرا حمزة وعاصم والكسائي باليا التحتية على الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى
والباقون بالنون على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
ثم قال باركنا حوله لنريه من اياتنا واتفقوا على بفتح الهمزة في قوله تعالى وان اي واوحي
الي ان المساجد لله اي مختصة بالملك الاعظم والمساجد قيل جمع مسجد بالكسر وهو
موضع السجود وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض كلها جعلت كلها مسجدا للنبي
صلى الله عليه وسلم يقول اينما كنتم فصلوا واينما صليتم فهو مسجد وقيل انه جمع مسجد
بالفتح مرادا به الاعضا الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان
وهو قول سعيد بن المسيب وبن حبيب والمعنى ان هذه الاعضا انعم الله بها عليك فلا
تسجد لغيره فتجحد نعمة الله تعالى بها عليك قال عطا مساجدك اعضاوك التي امرت
بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة
اعظم وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب قال
ابن الاثير الاراب الاعضا وهذا القول اختاره ابن الانباري وقيل بعد جمع مسجد
وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي المراد بها البيوت
التي تبنيها اهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد
معك الصلاة ونحن ناوون عنك فنزلت وقال بن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت
مكة مساجد لان كل احد يسجد اليها قال القرطبي والقول بانها البيوت المبنية للعبادة اظهر
الاقوال ان شا الله تعالى وهو مروي عن بن عباس واضافة المساجد الى الله تعالى اضافة تشريف

وان المساجد لله اي بيت لذكر الله تعالى وطاعته

وتكريم

وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت لله ملكا وتشريفا
قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام وفي رواية وان صلاة فيه خير من ماية صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي وهذا حديث
صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر بين السنية الى مسجد بني
زريق ويقال مسجد فلان لان حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد والقناطر
والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك فلا تدعوا اي فلا تعبدوا ايها المخلوقون مع الله
اي الذي له جميع العظمة احدا وهذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله تعالى غيره في المسجد
الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله
فامر الله تعالى نبيه والمومنون ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول
فلا تشركوا فيها او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله
تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد
لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله
تعالى لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله تعالى ورعاية وروى الضحاك عن بن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا
تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزايرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور فاسئلك برحمتك
ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي
الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض
جدا اي غنا وقرا وانه نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستيناف والباقون بالفتح اي
واوحي الي انه لما قام عبد الله اي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه
بل كل موجود من فايض فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن
نخلة ويقرا القران فان قيل هلا قيل رسول الله او النبي اجيب بان تقديره واوحي فلما
كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جي به على ما يقتضيه التواضع
والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى
تكونوا عليه لبدا ومعنى يدعوه اي يعبده وقال بن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا
الى الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له كادوا اي قرب الجن المستمعون

لقراءة يكون عليه اي علي عبد الله لبدا اي متراكبين بعضهم علي بعض من شدة ازدحامهم حرصا علي
سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قال الضحاك وقال ابن عباس رغبة في سماع القران وروي
عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وزعموا
من بيعته عند انشاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الي قومهم اخبروهم
بما راوا من طاعة اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وايتمامهم به في الركوع والسجود وقال
الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن علي هذا الامر
ليطفئوه فابي الله تعالي الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون كادت العرب تجتمعون
علي النبي صلي الله عليه وسلم ويتظاهرون علي اطفاء النور الذي جاء به وقراهشام بضم اللام
والباقون بكسرها فالاولي جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل
هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالي مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر
نحو قربة وقرب والبدرة والبدة الشيء المتلبد اي المتراكب بعضه علي بعض ومنه لبدة
الاسد كقول زهير لدي اسد شاكي السلاح مقذف له لبدا اظفاره لم تقلم ومنه اللبد لتلبد
بعضه فوق بعض ولما قال كفار قريش للنبي صلي الله عليه وسلم انك ميت بامر عظيم وقد عاديت
الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نحبرك قال النبي صلي الله عليه وسلم مجيبا لهم انما ادعوا
ربي اي الذي اوجدني وربابي ولا نعمة عندي الا منه وحده لا ادعو غيره حتي تجيبوا مني
ولا اشرك به اي الان لاستقبل الزمان بوجه من الوجوه احدا من ود وسواع ويغوث
ونسر وغيرها من الصامت والناطق وقراحمزة وعاصم قل بصيغة الامر انتفاتا اي قل يا محمد
والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن عبده الله تعالي وهو محمد صلي الله عليه وسلم قال
الجحدري وهو في الصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظاير في قل بحان ربي في اخر الاسرا
وكذا في اول الانبيا واخرها واخر المومنين قل اي يا اشرف الخلق لهاؤلا الذين حالفوك
اني لا املك لكم اي الان ولا يعدو بنفسي من غير اقرار الله تعالي لي ضرا ولا رشدا اي
لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي
هدي لانه لا يوثر بني من الانبيا الا الله تعالي وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت
والرشد الحياة قل اي نهولا اني وزاد في التاكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس
فقال لن يجيرني اي فيدفع عني ما يدفع المجير عما جاره من الله اي الذي له الامر

كله

كله ولا امر لاحد معه احدا بين كابين من كان ان اراد بي سبحانه سوءا ولن اجد اي اصلا
من دونه اي الله ملتحدا اي معدلا وموضع ميل وركون ومدخول وملجا وحيلة وان
اجتهدت كل الجهد والملتحد الملجا واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله
الا بلاغا فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن ان بلغت عن الله رحمني لان
البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله تعالي وبا عانته وتوفيقه الثاني انه
متصل وتاويله ان الاستجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها وسبب رحمة تعالي
والمعني لن اجد شيا اميل اليه واعتصم به الا ان بلغ واطيع فيجيرني واذا كان متصلا
جاز نصبه من وجهين ارجحهما ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهو
اختيار الزجاج الثاني انه منصوب علي الاستثنا الثالث انه مستثنى من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض موكد لنفي الاستطاعة وقوله تعالي
من الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما فيه وجهان احدهما ان من بمعني علي
والثاني انه متعلق بمحذوف صفة لبلاغ قال الزمخشري من ليت بصلة للتبليغ
وانما هي بمنزلة من في قوله تعالي براءة من الله بمعني بلاغا كائنا من الله وقوله ورسالاته
فيه وجهان احدهما انه منصوب نسقا علي بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ
والرسالة ولم يقل الزمخشري غيره والثاني مجرور نسقا علي الجلالة اي الا بلاغا عن
الله تعالي وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز في جعل
من بمعني عن والتجوز في الحرف اي كوني ومع ذلك فقابلني تقاس من عندهم
ومن يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله التي ختم به النبوة والرسالة
فجعل رسالته محيطة بجميع الملل في التوحيد وغيره علي سبيل المجاز فان له اي حا
نار جهنم اي التي تلقاه بالعبوسية والغيظ وقوله تعالي خالدين حال مقدرة
من الهاء له والمعني مقدرا خلودهم خالدين والعامل الاستقرار الذي تعلق
به هذا الجار وحمل علي معني من فعل ذلك فوحدا ولا للفظ وجمع للمعني واكد
بقوله تعالي فيها ابدا رد اعلي من يدعي الانقطاع قال البقاعي واما من يدعي انها
لا تحرق وان عذابها عذوبة فليس احد اجن الا من تابعه علي ضلاله وغيه
ومحاله وليس لهم دوا الا السيف في الدنيا والعذاب في الاخرة بما سموم عذوبة

صة

وهم صايرون اليه وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى حتى اذا راوا ابتدائية فيها معنى
الغاية لمقدر قبلها اي لا يزالون على كفرهم الى ان يروا ما يوعدون من العذاب في الاخرة
او في الدنيا كوقعة بدر فسيعلمون اي في ذلك اليوم بوعد لا خلف فيه من اضعف ناصرا
اي من جهة المناصر انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا او هم واقل عددا
وان كانوا الان بحيث لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فبالله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون
انفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف
الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى
حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث
متى يكون الذي توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهولا في جوابهم باتيانهم
العذاب وسالوا استهزا عن وقت وقوعه ان اي ما ادري بوجه من الوجوه اقريب
ما توعدون اي فيكون الان او قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب ام
بعيد يجعل له لهذا الوعد ربي اي المحسن الى ان قدمه او اخره امدا اي اجلا مضروبا
فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا
بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته فان قيل ليس انه صلى الله
عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف
قال هاهنا لا ادري اقريب ام بعيد اجيب بان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من
الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم
ذلك فغير معلوم تنبيه اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا ويجوز ان يكون
قريب مبتدا لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به اي اقريب الذي
توعدون نحو اقايم ابوك وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح اليا والباقون بسكونها
وقوله تعالى عالم الغيب بدل من ربي او بيان او خبر مبتدا مضمر اي عالم الغيب كله وهو
وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله
تعالى فلا يظهر اي بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات على غيبه الذي غيبه
عن غيره فهو مختص به احد لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك الا من ارتضى وقوله تعالى
من رسول تبيين لمن ارتضى اي الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشا

من

من الغيب وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة
ملك وتارة بغير واسطة كموسى عليه السلام في اوقات المناجات ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
في العالم الاعلى في حضرة قاب قوسين او ادنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشا من غيبه لان الرسل مويدون بالمعجزات
ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى وانبيوكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم وقال الزمخشري في هذه الاية ابطال الكرامات وان كانوا اوليا
مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب
وفيها ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الارتضا وادخله في السخط
انتهى وانكار الكرامات مذهب المعتزلة واما مذهب اهل السنة فيثبتونها فانه يجوز
ان يلهم الله تعالى بعض اوليايه وقوع بعض الوقايع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع
الله تعالى اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكون في امتي
احد فانه اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم احد فان
عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاوليا فان قيل لو جازت الكرامة للولي
لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم من غيرها وانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره
اجيب بان معجزة النبي امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي ولا يجوز
للولي ان يدعي خرقا للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين
المعجزة والكرامة واما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلما قالوا لما تمدح سبحانه
بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى
من ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما شا من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم
ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر في الكواكب
ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشا من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه
بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها
الف انسان مختلفين الرتب والاموال فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير

والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فهم حكم الغرق في
ساعة واحدة فان قال قايل انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على تقتضي ذلك ان هذا
الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه
المخصوص به فلا فايدة اذن في عمل المواليد ولا دلالة فيها على ما بقي ولا سعيد ولم يبق الا
معاندة القران الكريم ولقد احسن القايل وحكم المنجم ان طالع مولدي يقتضي علي بميتة الغرق
فقل للمنجم صحبة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق وقيل لعلي رضي الله تعالى عنه
لما اراد لقاء الخوارج تلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قرهم وكان ذلك في اخر السنة فانظر
الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالنجم وقاله مسافر
ابن عوف يا امير المومنين لو سرت في هذه الساعة وسرت بعد ثلاث ساعات تمضي من النهار
فقال له علي ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء
وخرشديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت ما طلبت فقال
علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول
لم امن عليه ان يكون اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا
خيرك ثم قال للمتكلم تكذبك وتخالفك وتسير في الساعة التي نهتنا عنها ثم اقبل
على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا قدر ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر
انما المنجم كالكاهن والكاهن في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لبئ بلغني
انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمنك العطاء
ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة
النهروان الثانية في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرتنا بها وظفرنا وظهرنا
لقال انما كان ذلك بنا نجيي وما محمد منجم وما نابعده وقد فتح الله تعالى علينا بلاد
كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه
يكفي من سواه فانه اي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك
انه اذا اراد اظهاره عليه يسلك ان يدخل ادخال السلك في الجوهر في تقويمه وتقويمه
من غير فتق في تفويج الى غير المراد من بين يديه اي الجهة التي يعلمها الرسول ومن خلفه
اي الجهة التي تغيب من علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن ان يكون

ذلك

ذكر

227

ذكر الجهتين دلالة على الكل وخصهما لان العدو متى اعرب واحدة منهما اتى منها ومتى حفظها
لم يات من غيرهما لانه يصير بين الاولين والاخرين رصدا اي حرسا من جنوده يحرسونه
ويحفظونه من الشياطين ان يسترقوا السمع من الملايكة ويحفظونه من الجن ان يسمعوا الوحي
فيلقوا الى الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ ما
يوحى اليه وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك فجبر
فبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملايكة يحرسونه ويطردون
الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه
ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث من بني الا ومعه ملايكة يحرسونه
من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم اي الله علي ظهور كقوله تعالى حتى نعلم
المجاهدين ان اي المخففة من الثقيلة اي انه قد ابلغوا اي الرسل رسالات ربهم وجه
اولا عود اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فان له
نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة و
النقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه
وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم اي
بما عند الرسل من الحكم والشرايع لا يفوته منه شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها
حافظ لها واحصى اي الله سبحانه وتعالى كل شيء اي من القطر والمطر وورق الاشجار
ورمل البحر وغير ذلك عددا ولو على اقل مقادير الدر فيما لم يزل وفي ما لا يزال فكونه لا يحيط
بما عند الرسل من وجيه وكلامه وقال ابن جبير والمعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط
بما لديهم فيبلغوا رسالاته تنبيه هذه الاية تدل على تعالى عالم بالجزيات وجميع
الموجودات وعددا يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل عدد كل شيء
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض وان يكون منصوبا على الحال اي
وضبط كل شيء معدودا محصورا وان يكون مصدرا في معنى الاحصاء وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قراء سورة الجن كان له بعدد كل جني
صدقة حديث موضوع سورة المزمل مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال
ابن عباس الا اثنتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي

ان ربك يعلم انك تقوم الي اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسعة عشر او عشرون اية ومايتان
وخمس وثمانون كلمة وثمنماية وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الذي من توكل عليه كفاه في
جميع الاحوال الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد المهتدي وقوله تعالي والضال الرحيم الذي خص
حزبه بالسداد في الافعال والاقوال وقوله تعالي يايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التا
في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي
صلي الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال عكرمة يايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة
وعنه يايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر والثاني قال ابن عباس يايها المزمل بالقران
والثالث قال قتادة يايها المزمل بثيابه قال النخعي كانه يتزملا بقطيفة عايشة بمرط
طوله اربعة عشر ذراعا قالت عايشة كان نصفه علي وانا نايمه ونصفه علي النبي صلي
الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مر يخزي ولا ابريسم ولا صوفا كان
سداه شعر ولحمته وبر ذكره الثعلبي ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح افصح ولحمة
النسب كذلك والضم افصح ولحمة البازي بالضم لا غير لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول
من عايشة يدل علي ان السورة مدنية فان النبي صلي الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة
والقول بانها مكية وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سو فيه
فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يايها المزمل ويايها المدثر وقيل كان هذا في ابتدا
ما اوحي اليه فانه صلي الله عليه وسلم لما جاه الوحي في غار حرا رجع الي خديجة زوجته يرجف
فواده فقال زملوني زملوني لقد خشيت علي نفسي اي ان يكون هذا مبادي شعر وكهانة
وكل ذلك من الشيطان وان يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان صلي الله عليه وسلم
يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالي عنها
كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين علي نوايب الحق ونحو
هذا من الكمال الذي يثبت وقيل انه صلي الله عليه وسلم كان نايما في الليل متزملا في قطيفة
فنبه ونودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته فقيل له يايها
المزمل قم الليل اي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس
وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما انزل عليك من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلا قدرك
في البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة فلذا لم يقيده وهي جامعة
لانواع

لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال علي ما عداها ولما كان للبدن
حظ في الراحة قال تعالي مستثنيا من الليل الا قليلا اي من كل ليلة فان الاشتغال في اليوم
فعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا تري الي قول ذي الرمة • وكاين تخطت ناقتي من مفازة •
• ومن نايم عن نيلها متزملا • يريد الكسلان المتناعس الذي لا ينهض في معاظم الامور
وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ومن
امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل قدمه بالاشتمال بكسايه
وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار علي الهجود والتهجد وعلي التزمل التشمر
لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا علي احيا ليلهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا
فيه حتي انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت الشيما في وجوههم وتراقي امرهم
الي جد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبي انما تزمل صلي الله عليه وسلم بثيابه يتهيا للصلاة
وهو اختيار الفرا فهو علي هذا ليس بتهجين بل هو ثنا عليه وتحسين لحاله التي كان عليها
وامر بان يدوم علي ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة ان المعني يايها الذي زمل امرا
عظيما اي حمله والزمل الحمل قال البغوي قال الحكما كان هذا الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم
في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول وقال السهيلي ليس المزمل
من اسما النبي صلي الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمايه صلي الله عليه وسلم
وانما المزمل اسم مشتق من حالة التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه
بهذا الاسم فايدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصد ملاطفة المخاطب وترك
المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلي الله عليه وسلم لعلي
حين غاضب فاطمة رضي الله تعالي عنهما فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب
فقال له قم ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلي الله
عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا بترك العتب و
التانيب فقول الله تعالي لمحمد صلي الله عليه وسلم يايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة له
ليستشعر انه غير عاتب عليه والفايدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ان تنبه
الي قيام الليل وذكر الله تعالي فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيدفع المخاطب
كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة والليل مدة من غروب الشمس الي طلوع الفجر

قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلايل تقوي ان قيامه كان فرضا لان المندوب
لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان
فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته على
ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول بن عباس قال كان
قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عايشة وابن عباس
ايضا انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روي مسلم ان هشام بن عامر قال لعايشة
انبيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يايها المزمل فقلت بلى
فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقال نبي الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز
وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل عسر عليهم تمييز
القدر الواجب فقاموا الليل كله وشق عليهم فنسخ بقوله تعالى اخرها فاقروا ما تيسر من القران
وكان بين الوجوب ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة
وروي وكيع ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يايها المزمل كانوا يقولون نحو من قيامهم
في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان اول نزول اولها واخرها نحوا من سنة وقال سعيد
ابن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد
عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله تعالى عنهم وقيل كان
قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح انه صلى الله عليه وسلم بعث يوم
الاثنين في رمضان وهو بن اربعين سنة وقيل ثلاث واربعين سنة وامنت به خديجة
ثم بعدها قيل علي وهو بن تسع سنين وقيل بن عشر وقيل ابو بكر وقيل زيد بن حارثة
ثم امر بتبليغ قومه بعد ثلاث من مبعثه فاول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار
والدعا الى التوحيد من قيام الليل ما ذكر في اول السورة ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بايجاب
الصلوات الخمس الى بيت المقدس ليلة الاسرا بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة اشهر
ليلة سبع وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي في روضته وقال في فتاويه بعد
بعد النبوة بخمس او ست وجعل الليلة من ربيع الاول وخالفهما في شرح مسلم وجزم بانها
من ربيع الاخر وقلد فيها القاضي عياض والذي عليه الاكثر ما في الروضة واستمر يصلي الى

بيت

بيت المقدس مدة اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا او سبعة عشر ثم امر باستقبال الكعبة
ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا وفرضت الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة
الثانية قيل في نصف شعبان وقيل في رجب حولت القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها
ابتدا صلى الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس
ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع واعتمر اربعا وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول احدى عشرة من الهجرة فايدة الانبيا صلى الله عليهم
وسلم اجمعين كلهم معصومون قبل النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعدها من الكباير وكذا
من الصغاير ولو سهوا عند المحققين وقوله تعالى **نصفه** بدل من قليل وقلته بالنظر الى
الكل **او انقص منه** اي من النصف **قليلا** اي الثلث **او زد عليه** اي على النصف الى الثلثين
واو للتخيير فكان صلى الله عليه وسلم مخيرا بين هذه بين هذا المقادير الثلاثة وكان صلى
الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض اصحابه و
اشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم ان ذلك نسخ ما يجاب الصلوات
الخمس فصار قيام الليل تطوعا فينبغي للمتعبد المواظبة عليه خصوصا في الوقت الذي
يباركه الله تعالى بالتجلي فيه فانه صح انه ينزل سبحانه عن ان تشبه ذاته شيا او
نزوله نزول غيره بل هو كناية عن فتح باب السما الذي هو كناية عن وقت استجابت الدعا
حتى يبقى ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى شطر الليل الاخر الى سما الدنيا فيقول سبحانه هل من
سايل فاعطيه هل من تايب فاتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما امر بالقيام
وقدر وقته وعينه امر بهيئة التلاوة التي روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى **و**
رتل القران اي اقراه على ترتل وتودة وتبيين حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السا مع
من عدها ويجي المتلو منه شبيها بالثغر المرفل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا
يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير وشر القراة
الهرمة وقال بن مسعود ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن تقوا عند عجايبه
وحركوا به القلوب وليكن هم احدكم اخر السورة وقوله تعالى **ترتيلا** تاكيد في الامر
به وانه لا بد منه للقاري وعن بن عباس اقرا على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا
وروي الترمذي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان

ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وسئلت عايشة عن قراءة صلى
الله عليه وسلم لاكسركم هذا الوارد السامع ان يعد حروفها لعدها وسئل انس كيف كانت قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم قالت كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجا
رجل الى بن مسعود فقال قرات المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظاير
التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشر سورة من المفصل كل سورتين في ركعة
وروي الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله عز
وجل ورتل القران ترتيلا هذا الترتيل وروي ابو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بقاري القران يوم القيامة فيوقف في اول درج الجنة ويقال
له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقراوها وندب اصغا
اليه وبكا عند القراة وتحسين صوت بها وتعوذ بها جهرا واعادته لفصل طويل وجلوس
لها واستقبال وتدبر وتخشع وكرهت بفم نجس وجارت في الحمام وهي نظرا في المصحف افضل
منها على ظهر قلب نعم ان زاد خشوعه وحضور قلبه في القراة عن ظهر قلب فهي افضل في
حقه وهي افضل من ذكر لم يخص بمحل وحرم توسد مصحف وندب كتبه وايضاحه و
نقطه وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه وتحرم القراة بالشواذ
وهي احاه او معكس الاي وكره العكس في السور الا في تعليم وندب ختم القران اول
نهار واول ليل وختمه في الصلاة افضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم
الا ان يصادف يوما نهي الشرع عن صيامه وندب الدعا بعده وحضوره والشروع
بعده في ختمة اخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شي منه ويحرم تفسيره
بلا علم انا اي بما لنا من العظمة سنلقي اي بوعد لا خلف فيه عليك قولا اي قرانا
واختلف في معنى قوله تعالى ثقيلا فقال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال
مجاهد حرامه وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم
وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب الهتهم قال السدي
ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقل علي اي تكرم علي وقال الفرا ثقيلا اي
رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا اي لا يحمله الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة
بالتوحيد وقال بن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيمة

وقيل

صلاله و

وقيل ثقيل اي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل
ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوايده ومعانيه بالكلية والمتكلمون غاصوا في بحار
معقولاته ثم لا يزال والفقها بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم
ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد
لا يقوى على الاشتغال بجملة فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى ان حمل
هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد هو الوحي كما جا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها اي صدرها على الارض فما تستطيع
ان تتحرك حتى تسري عنه وعن الحارث بن هشام انه سال النبي صلى الله عليه وسلم كيف
ياتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشد
علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول
قالت عايشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم منه وان جبينه
ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد وقوله فينفصم عني اي ينفصل
عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقال القشيري القول الثقيل هو قول لا اله
الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وقال الزمخشري
هذه الاية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل وقت الثبات
والراحة والهدو فلا لمن احياه من مضارة لطبعه ومجاهدة لنفسه انتهى يعني فالاعترا
ض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله تعالى ان ناشية الليل اي القيام بعد
النوم هي اشد وطا اي موافقة السمع للقلب على تفهم القران هي اشد مطابقة لقوله قم
الليل فكانه شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المناسبين والمعنى سنلقي عليك
فافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره لم يتهيا
له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر ثقيل على العبد ولما كان
التهجد يجمع القول والفعل وبين ما في الفعل لانه اشق وكان بتقديم الترغيب في المدحة
احق اتبعه القول فقال واقوم قيلا اي واعظم سدادا من جهة القيل ساكنة فلا يضطرب
على المصلي ما يقراوه وقال قتاده ومجاهد اصوب للقراة واثبت للعقول لانه زمان التفهم لريا
الليل يهدو الاصول وتجلي الرب سبحانه بحصول البركات واخلص من الريا فبين الله تعالى

ض

في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب لان الاصوات هادية والدنيا

قه

بهذه الاية فصل صلاة الليل على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراة فيها امكن
اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هو ناشئة الليل
وقال عطا وعكرمة هو بدو الليل وقال في الصحاح ناشئة الليل اوساعاته وقال بن عباس ومجاهد
وغيرهما هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار مالك وقال بن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ
وتقتضيه اللغة وقالت عايشة وبن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن
قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وبن كيسان هو القيام من اخر الليل واما قوله تعالى اشد
وطا اي اثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى الصلاة
الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراة كسر الواو وفتح الطا وبعد الف ممدوده وهمزة
منونة وهي قراة ابن عمرو وبن عامر وقرا الباقون بفتح الواو وسكون الطا وبعدها همزة
منونة فهي مصدر واطات وطا وموا اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطي
اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع
الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره وقال تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر وقيل اشد مهادا للتصرف في الفكر
والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار فان الليل يخلوا فيه الانسان بما يعلمه فيكون ذلك اثبت
للعمل والوطي الثبات تقول وطات الارض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل اشد نشطا واتم
اخلاصا واكثر بركة وابلغ في الثواب ان لك اي ايها المتهجد او يا اكرم الخلق ان كان
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في النهار الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا سبحا طويلا
اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوايجك واشغالك والسبح مصدر وسبح استعير
للتصرف في الحوايج من السباحة في الما وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران
ومنه السباحة في الما لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري وقيل السبح
الفراغ اي ان لك فراغا لحاجة النهار وعن بن عباس سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك
وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شي ذلك في النهار
فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك اي المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون
ذكرا من اسم وصفة وثنا وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراة ودعا واقبال على علم شرعي وادب
مرعي ودم على ذلك في ليلك ونهارك واحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى

بالتوحيد

بالتوحيد والاخلاص وذلك عون لك على مصالح الدارين اما الاخرة فواضح واما الدنيا فقد
ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اغرا الخلق عليه فاطمة ابنته رضي الله تعالى لما سالته خادما يقيها
التعب الى التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم وتبتل اي اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل
والاخلاص في جميع اعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا اليه ولا تزل على ذلك حتى يصير ذلك
لك خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى تبتيلا مصدر بتبتل جي به
رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتيل قال الزمخشري فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا
قلت لان معنى تبتل تبتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل انتهى والتبتل الانقطاع
ومنه امراة بتول اي انقطعت عن النكاح وفي الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباة اي مون النكاح فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع
الى عبادة الله تعالى كما مرت الاشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع
عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قال بن عرفه وقال بن العربي هذا
فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام
على الحكام فالعزلة خير من الخلطة والغربة افضل من التاهل ولكن معنى الاية وانقطع
عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله ولذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة
ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير
متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث لتبيين ما انزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع
الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهيب في الصوامع
لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع
القطر يفر بدينه من الفتن ولما كان الواجب على كل احد شكر المنعم بين سبحانه الذي
انعم بسكن الليل الذي امر بالتهجد فيه ومنتشر النهار الذي امر بالتسبيح فيه فقال تعالى
رب المشرق اي موجد محل الانوار التي بها ينمحي هذا الليل الذي انت قايم فيه ويضي بها
الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقي الدين بن دقيق العيد
كم ليلة فيك وصلنا الشرى • لا نعرف الغمض ولا نستريح • واختلف الاصحاب ماذا الذي
يزمل من شكواهم او يريح • فقيل تعريسهم ساعة • وقلت بل ذكراك وهو الصحيح •

والمغرب اى الذي يكون عند الليل الذي هو محل الكون وموضع الخلوان ولذيذ المناجات
فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره لا اله اى معبود بحق الا هو اى ربك الذي
دلت تربيته لك على مجامع العظمة وانهى صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقرء
ابن عامر وابو عمر وحمزة والكسائى اى بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس على
القسم باضمار حروف القسم كقولك الله لافعلن وجواب لا اله الا هو كما تقول لا احد
في الدار الا زيد والباقون برفعها على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو
فاتخذه اى خذه بجميع جهدك وذلك بافراده اياه بكونه وكيلا اى على كل من خالفك
بان تفوض جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها فانها المنفرد بالقدرة عليها والاشى في يد
غيره فلا تهتم بشى اصلا قال البقاعى وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع
فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب لا من دون
سبب فانه يكون حينئذ ممن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية
على الاسباب ولو لم يكن في افراده بالوكالة الا انه يفارق الوكلا بالعظمة والشرف والرفق
من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وانت تتوقع ان يكلمك كثيرا في مصالحك
وربك اعظم العظما وهو يومرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك وتناله طويلا ووكيلا من
الناس اذا حصل مالك سالك الاخرة وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ومن
تمسك بهذا الاية عاش حرا كريما ومات خالصا شريفا ولقى الله تعالى عبدا صافيا مختارا
تقيا ومن شرط الموحدات بتوجه الى الواحد ويقبل عليه ويبدل له نفسه ويفوض اليه
امره ويترك التدبير ويثق به ويركن عليه اليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته
واصبر على ما يقولون اى المنحرفون المفهومون من الوكالة من الاذى والسب والاستهزاء والتجزع
من قولهم ولا تمتنع من دعواهم وفوض امرهم الى فانى اذا كنت وكيلا لك اقوم باصلاحهم
امرك احسن من قيامك بامر نفسك واهجرهم اى اعرض عنهم هجرا جميلا اى لا تتعرض لهم ولا
تشتغل عكافاتهم فان ذلك تزل للدعاء الى الله تعالى وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم
منع في اول الاسلام من قتال الكفار وامر هو واصحابه بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلونكم في اموالكم الاية
ثم امره به ابتداء وبقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم ابيح له ابتداء وفي غير الاشهر الحرم ثم
امر به مطلقا من غير تقييد بشرط والانسان بقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم وذرني اى

اتركني

والمكذبين اى لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا الان تخلى بيني وبينهم بان
تكل امرهم الى وتستكفيه فان في ما يمرغ بالك ويحلى همك وليس ثم منع حتى تطلب
البيان تذرني واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امرهم فكانه منعه منه فا
وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفا با قصى
ما تدور حوله امنية المخاطب وبما يريد عليه واختلف في سبب نزول هذه الاية
فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا بيد رو قال
يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنى عشر رجلا وقال
البغوى نزلت صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالى اولى النعمة نعت للمكذ بين
اى اصحاب التنعم والترفه فايدة النعمة في اللغة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المرة
ومهلهم اى اتركهم ترفق وتان وتدريج ولا تهتم بانتقامهم وقوله تعالى قليلا نعت لصدر
نعت لصدر اى تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف اى زمانا قليلا فقتلوا بعد قيل بعد يسير بدر و قوله
تعالى انا لدينا انكالا جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذى لا ينفك ابدا وقال الكلبى
اغلالا من حديد وجحيما اى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد مما كانوا يتعبدون به من
تبريد الشراب والتنعم بر قيق اللباس وتكلف انواع الراحة وطعاما ذا غصة اى يغص به في
الحلق وهو الزقوم والضريع والغسلين او الشوك من نار لا يخرج ولا يترك وعذابا اليما اى
مولما ومعنى الاية ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة
النكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به سايرالانواع العذاب
وروى انه صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه مر صايما فاتى
بطعام فوضع له هذه الاية فصعق فقال ارفعه وكذلك البلسة الثالثة فاخبر ثابت البنانى
ويزيد الضبي ويحيى البكا فجاوا فلم يزالوا به حتى شربوا شربة من سويق وقوله تعالى يوم ترجف
منصوب بالمستقر او المستقر به لدينا والراجفة الزلزلة والرعزعة الشديدة فتزول الارض اى كلها
والجبال اى التى هى اسدها وكانت اى وتكون الجبال اى التى هى من جملة الارض واوتادها وعبر عن شدة
الاختلاط والتلاشى بالتوحيد فقال تعالى كثيبا اى رملا مجتمعا من كثب الشى اذا جمعه كانه
فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن مهيلا قال ابن عباس رملا سايلا
يتناثر وقال الكلبى هو الذى اذا اخذت منه شيا تبعه ما بعده قال القرطبى واصله مهيول

وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهليه اهالة وهيلا اذا حييته يقال مهيل
ومهيول ومكيل ومكيول ومعين ومعيون قال الشاعر قد كان قومك يحسبونك سيدا
واخاك انك سيد معيون وقال صلى الله عليه وسلم حين شكوا اليه الجدولة اتكيلون ام
تهيلون قالوا نهيل قالوا كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واصل مهيل مهيول استثقلت الضمة على
اليا فنقلت الى الها فالتقى ساكنان فسيبويه واطعامه حذفوا الواو وكانت اولى ما الحذف لانها
زايدة وان كانت القاعدة انما يحذف لالتقا الساكنين الاول ثم كسروا الها لتصح اليا ووزنه حينيذ
مفعل والكساى ومن تبعه حذفوا اليا لان القاعدة حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى المكذبين اولى
النعمة باهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى انا اى بما لنا من العظمة
ارسلنا اليكم يا اهل مكة شرفا لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة رسولا اى عظيما جدا
وهو محمد صلى الله عليه خاتم النبيين وامامهم واجلهم وافضلهم قدرا شاهدا عليكم اى بما
تصنعون ليودى الشهادة عند طلبها منه يوم ننزع من كل امة شهيدا وهو يوم القيمة كما ارسلنا
اى بما لنا من العظمة الى فرعون اى ملك مصر رسولا وهو موسى عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة
بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا خرى محمدا
صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى لانه رباه ونشا
فيما بينهم كما قال تعالى حكاية عن فرعون الم نربك فينا وليدا وذكر الرازى والسوال
والجواب قال بن عادل وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشا فيما بين قوم
نمروذ وكان ازدرى بنمرود على ما ذكره المفسرون وكذا القول فى هود ونوح وصالح
ولوط لقوله تعالى فى قصة كل واحد منهم لفظة اخاهم لانه من القبيلة التى بعث اليها
انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام المتربية فان ابا طالب
تربى عنده النبى صلى الله عليه وموسى عليه السلام تربى عند فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما
فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه ال العهدية والعرب اذا قدمت
ثم اتوا به ثانيا اتوا به معرفا بال او اتو بضميره ليلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا
فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وقال
المهدوى ودخلت الالف واللام فى الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير فى اول الكتب
سلام عليكم وفى اخرها السلام عليكم ثم تريب عن عصيانه قوله تعالى فاخذناه

اي

اى فرعون بما لنا من العظمة وبين انه اخذ قهر وغضب بقوله تعالى اخذا وبيلا اى ثقيلا
شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اى شديد قال بن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل
اى شديد قال الاخفشى وقال الزجاج اى ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا
والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفى ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم القيامة فقال
تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي توجدون الوقاية التى تقى انفسكم اذا كفرتم فى الدنيا
والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذ رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيمة اذا
كفرتم فى الدنيا وقوله تعالى يوما مفعول تتقون اى عذابه اى باى حصن تتحصنون من عذاب
الله يوم يجعل الولدان شيبا جمع اشيب والاصل فى الشين الضم وكسرت لمجانسة اليا ويقال فى اليوم
الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال وهو مجاز ويجوز ان يراد فى الاية الحقيقة والمعنى يصيرون
شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم عليه السلام ثم فا بعث
بعث الله النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة
يا ادم فيقول لبيك وسعديك وفى رواية والخير فى يدك فينادى بصوت ان الله يامرك
ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية
وتسعة وتسعين فحينيذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول
الله اينا ذلك الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعماية
وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السودا فى جنب الثور الابيض
وكالشعرة البيضا فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وهى بفتح الرا
وسكون القاف الاثر الذى فى بطن عضد الحمار وانى لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا
وفى هذا اشارة الى الاعتنا بهم لان اعطا الانسان من بعد مرة دليل على الاعتنا به ودوام
ملاحظته وفيه ايضا حملهم على تحديد شكر الله تعالى وحمده ثم وصف
هو ذلك اليوم بقوله تعالى السما منفطرا اى ذات انفطار اى انشقاق
به بسبب ذلك اليوم لشدته فالبا سببية وجوز الزمخشرى ان تكون للاستعانة
فانه قال والبا فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطرت به
وقال القرطبى ومعنى به اى فيه اى فى فلك ذلك اليوم وقيل به اى بالامر اى السما

منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اي بامر تنبيه انما لم تونث الصفة
لوجوه قال ابو عمرو بن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا سما البيت قال تعالى وجعلنا
السما سقفا محفوظا ومنها انها على النسبة اى ذات انفطار نحو امراة مرضع وحايض اى
ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتونث انشد الفرا فلو رفعت السما اليه قوما
لحقنا بالسما والسحاب ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحدة بالتا فيقال سما
واسم الجنس يذكر ويونث ولهذا قال اتوا على الغاري هو قوله تعالى منتشر واعجاز
نخل منقعر يعني فجا على احد الجايزين اولان تانيثها ليس بحقيقي وما كان ذلك خارقة
كبيرة قال الشاعر والمعنى بالا تمدا بخبري مكحول والضمير في قوله تعالى كان وعده
مفعولا يجوز ان يكون لله وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله
ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لفاعله والفاعل وهو الله تعالى مصدر قال المفسرون
كان وعده بالقيامة والحساب والجزا مفعولا كاينا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان
وعده بان يظهر دينه على الدين كله ان هذه اى الايات الناطقة بالوعيد الشديد او
السورة تذكرة اى تذكير عظيم هو اهل لان يتعظ به ويعتبر به المعتبر ولا سيما ما ذكر
فيها لاهل الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن
والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح
والاصلح والاحسن الامور المسببة التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن قوله
تعالى فمن شا اتخذ اى بغاية جهده الى ربه اى المحسن اليه خاصة لا الى غيره سبيلا
اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل قيل نسخت
باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شا ذكره قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ ان
ربك اى المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك يعلم انك تقوم اى في
الصلاة كما امرت به اول السورة ادنى اى زمانا اقل والادنى مشترك بين الاقرب
والادون انزل رتبته لان كلا منهما يلزمه عن قلة المسافة من ثلثي الليل
وقرا ونصفه وثلثه اى كثير وعاصم وحمزة والكساى بنصب الفا بعد الصاد ونصب
المثلثة بعد اللام ورفع الها فيهما عطف على ادنى والباقون بكسر الفا والمثلثة وكسر
الها فيهما عطف على ضمير يقوم وقيامه كذلك مطابق ولما وقع التخيير فيه اول السورة

من قيام

من قيام النصف بتمامه او الناقص منه وهو الثلث او الزايد عليه وهو الثلثان او الاقل
من الاقل من النصف وهو الربع وقوله تعالى وطايفة من الذين معك عطف على ضمير
تقوم وجار من غير تاكيد للفصل وقيام طايفة من اصحابه كذلك للتاسي به ومنهم
من كان ولا يدري كم يصلي من الليل وكم بقي منه وكان يقوم الليل كله احتياطا
فقاموا حتى انتفخت اقدامهم سنة واكثر فخفف عنهم بقوله تعالى والله اى المحيط
بكل شي قدرة وعلما يقدر اى تقديرا عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار اى هو العالم
بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل والذي تنامون منه علم
ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه لن تحصوه اى الليل لتقوموا فيما يجب القيام
فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم فتاب عليكم اى رجع بكم الى التخفيف بالترخص
لكم في ترك القيام المقدر اول السورة وقوله تعالى فاقروا ما تيسر اى سهل من القران
فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراة القراة في الصلاة وذلك ان القراة احد اجزاء
الصلاة فاطلق اسم الجز على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة
المغرب والعشا قال قيس بن ابي حازم صليت خلف بن عباس بالبصرة في اول ركعة بالحمد
واول اية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا وقال ان الله تعالى يقول فاقروا ما تيسر
من القران منه قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت
الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة
الليل اصلا واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله فاقروا ما تيسر من القران معناه اقروا ان
تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شيتم والقول الثاني ان المراد بقوله تعالى فاقروا ما تيسر من
من القران دراسة وتحصيل وحفظه وان لم لا يعرض للنسيان سوا كان في صلاة ام في غيرها
قال الكعبي من قرا في ليلة ماية اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي
قول كعب اصح لقوله صلى الله عليه من قام بعشر ايات من القران من الغافلين ومن قام بماية اية
كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي وروى انس
ابن مالك قال سمعت رسول الله يقول من قرا خمسين اية في يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين
ومن قرا ماية اية كتب من القانتين ومن قرا مايتي اية لم يحاجه القران يوم
القيمة ومن قرا خمسماية اية كتب له قنطار من الاجر بقوله من المقنطرين اى اعطي

اعطى قنطارا من الاجر وجا في الحديث الف ومايتان اوقية والاوقية خير مما بين السماء
والارض وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد
للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعول عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا قالوا
قناطير مقنطرة فهي اثنى عشر الف دينار وقيل ان القنطار ملا جلد ثور هبا وقيل ثمانون الفا
وقيل هو جملة كثيرة مجهولة من المال نقله بن الاثير قال القرطبي والقول الثاني اصح حملا
للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الاول مجاز لانه من تسمية الشي ببعض ما هو من اعماله
واذا كان ذلك على قيام لا في قدر القران فلا دليل فيه عليه على الفاتحة لا تعين في الصلاة
بل هي متعينة في كل ركعة لخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب ولخبر
لا تجزي الصلاة لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب رواه بن خزيمة وحبان في صحيحهما ولفعله صلى
الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري صلوا كما رايتموني اصلي ويحمل قوله تعالى فاقروا
ما تيسر منه مع خبر ثم اقرا بما تيسر معك من القران على الفاتحة او على العاجز عنها جمعا
بين الادلة ولما كان نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصايه
فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيا فالحكمة اخرى للنسخ بقوله تعالى علم ان هي مخففة
من الثقيلة اي انه سيكون اي بتقدير لا بد منه منكم مرضى جمع مريض وهذه السورة من
اول ما نزل من النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك اشارة بان اهل الاسلام يكثرون جدا واخرون
غير المرضى يضربون اي يوقعون الضرب في الارض اي يسافرون لان الماضي يجد ويضرب
برجله في الارض يبتغون اي يطلبون طلبا شديدا من فضل الله اي بعض ما اوجده الملك
الاعظم لعباده بالتجارة وغيرها واخرون اي منكم ايها المسلمون يقاتلون اي يطلبون
ويوقعون قتل اعدا الله ولذلك بينه بقوله تعالى في سبيل الله اي الملك الاعظم وكل من الفرق
الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الاية بين درجة المجاهدين
والمكتسبين لكمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان
كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب
يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهادة
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال بن مسعود ايما رجل
جلب

جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند
الله منزلة الشهدا وقرا واخرون الاية وقال بن عمر ما خلق الله تعالى موتة اموتها
بعد الموت في سبيل الله احب الي من الله بين شعبتي رجل ابتغي من فضل الله صارما في
الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واعاد قوله
تعالى فاقروا ما تيسر منه اي من القران للتاكيد واقيموا الصلاة اي المكتوبة وهي خمس
بجميع الامور التي تقوم بها من اركانها وشروطها وابعاضها وهياتها واتوا الزكاة
اي زكاة اموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكاة الاموال وقال عكرمة
وقتادة صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل
فعل خير وقال بن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص واقرضوا الله اي الملك الاعلى الذي
له جميع صفات الكمال التي منها الغنا المطلق من ابدانكم واموالكم في اوقات صحتكم ويساركم
قرضا حسنا من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة وهي على هيبة جميلة في ابتدايه
وانتهايه وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرا
الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله وما تقدموا لانفسكم اي خاصة
سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الاعمال من خير اي خير كان من عبادات
البدن والمال تجدوه اي محفوظا لكم عند الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما هو اي لا غيره
خيرا اي لكم وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لان افعل منه كالمعرفة ولذلك يمتنع دخول
اداة دخول التعريف عليها والمعنى خير من الذي تدخرونه الى الوصية عند الموت قال
بن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن عبد الله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم ماله احب اليه من ماله وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا
ما نعلم الا ذاك يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واعظم
اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطايه بالجنة اجرا
ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما اذا كان المادح له ربه ربما ادركه
الاعجاب بين له انه لا يقدر بوجه على ان يقدر الله تعالى حق قدره فلا
يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قايل واستغفروا الله اي
طلبوا واوجدوا ستر الملك الاعظم الذي لا يحيطون بمعرفته فكيف باداء حق

خدمته لتقصيركم عينا وائتوا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ان الله اى الملك
الاعظم عفو اى بالغ الستر لاعيان الذنوب واثارها حتى لايكون عنها عقاب ولا
رحيم اى بالغ الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاوى
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قراسورة المزمل دفع الله عنه
العسر في الدنيا والاخرة حديث موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم **سورة المدثر** مكية
وهي ست وخمسون اية وماية وخمس وخمسون كلمة ومائتان وعشرة احرف
بسم الله الملك الواحد القهار الرحمن الذى عم برحمته الابرار والفجار الرحيم الذى خص اصفياه
بما جبلهم عليه من الاخلاق الزاد ولما ختم المزمل بالبشارة لارباب البصائر بعد ما ادبت بالاجتهاد
في الخدمة المهيي للقيام بلاعباء الدعوة افتتحت هذه بحط حكمة الرسالة وهي التذارة فقال
تعالى **يا ايها المدثر** روى عن يحيى بن ابى كثير قال سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول
ما نزل من القران قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرا اسم ربك الذى خلق قال ابو سلمة سالت
جابر ابن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذى قلت فقال لى جابر لا احدثك الا ما
حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى
نوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا ونظرت عن شمالى فلم ار شيا ونظرت خلفى فلم ار شيا
فرفعت راسى فرفعت شيا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على ماء
باردا قال فنزل يا ايها المدثر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية قلما قضيت جوارى
هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه وفيه فاذا قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل
عليه السلام فاخذتني رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري عن بن سلمة عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لى في حديثه فبينما انا امشي
سمعت صوتا من السماء فرفعت راسى فاذا الملك الذى جاءني بحراء جالس على كرسي بين
السماء والارض فجئت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها
المدثر الى قوله فاهجر وفي رواية فجئت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي و
قلت دثروني فدثروني فصب على الماء وذكر تمام الحكي الموحى وتتابع فان قيل هذا الحديث دال على ان سورة
المزمل اول ما نزل ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسياتي
في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم
ربك

الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده هـ
الحديث اجيب بان الذى عليه العلما اول ما نزل من القران على الاطلاق اقرا باسم ربك
الذى خلق كما صرح به في حديث عايشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران هـ
ضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابى سلمة عن
جابر ويدل عليه في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها
المدثر ويدل عليه قوله ايضا فاذا الملك الذى جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء
على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك الاعلى وانما نزل بعدها فترة الوحي
سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السما
والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اى عن اخباره وعدم
تتابعه وتواليه وقوله فجئت منه روى بجيم مضمومة ثم هزة مكسورة ثم تا مثلثة ساكنة
ثم تا الضمير وروى بتاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناها فزعت منه وفرقت وقوله وحمى
الوحي وتتابع اى كثر نزوله وازداد بعد فترة من قولهم حميت النار اذا زاد
حرها وقوله فصبوا على ما باردا فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه
واصل المدثر المتدثر وهو الذى يتدثر في ثيابه لبرد في بها واجمعوا على ان رسول الله والمراد
مدثر الوجوه احدها قوله صلى الله عليه وسلم دثروني وثانيها انه صلى الله عليه وسلم
كان نايما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها
المدثر قم فانذر اى حذر الناس من العذاب ان لم يومنوا بهذا المنصب الذى نصبك الله عز
وجل له وثالثها ان الوليد بن المغيرة واباجهل وابا لهب والنضر بن الحارث اجتمعوا
وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسالون عن امر محمد وقد اختلفتم في لا
عليه فمن قايل هم مجنون وقايل ساحر وقايل كاهن ونعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل
واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة سئل محمد بالحم واحد يحمى عليه
ونسبة العرب فقام رجل منهم فقال انه شاعر فقال صلى الله عليه وسلم ذلك استدعليه
ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر
بالثياب وعلى هذا فيه وجوه الاول قال الكعبي المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة
من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برد العلم قال بن الزبير وهذا مجاز بعيد

وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اى على القول بانها اول سورة نزلت واما على انها
نزلت بعد فترة الوحى فليس ببعيد وثانيها ان المدثر بالثوب يكون كالمختفى فيه وهو صلى
الله عليه وسلم كان فى جبل احرا كالمختفى من الناس فكانه قال يايها المدثر بدثار الاختفا قم
بهذا الامر واخرج واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة
فكانه قال يايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب
ربك وعلى كل القولين فى ندايه بذلك ملاطفة فى الخطاب من الكريم الى الحبيب اذا باداه
بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد وربك اى خاصة فكبر اى عظمه عما يقول عبدة
الاوثان وصفه بانه اكبر من ان تكون له له صاحبة او ولد او فى الحديث انهم قالوا بم تفتتح
الصلاة فنزل وربك فكبر اى صفه بانه اكبر قال بن العربى وقال وهذا القول وان كان
يقتضى بعمومه تكبير الصلاة فانه يرادفه تقدير التقديس والتنزيه بخلع الانداد
والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروى ان ابا سفيان قال يوم احد
اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم فقولوا الله اعلا واجل
وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع فى تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكر يقول الله
اكبر وحمل عليه لفظ النبى صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق مواردها منها قوله
تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضى بعرفه ما يقتضى بعظمه ومن موارده اوقات
الاهلاك بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلاما باسمه بالنسك وافراد لما شرع من امره
بالنسك والمنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم فى التكبير فى الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال
المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبى صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر
فكبرت خديجة رضى الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه وحى من الله تعالى ذكره القشيرى
وقال مقاتل هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير فى الصلاة واستشكل ذلك على القول
بانها اول سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت واجيب بانه يحتمل انه صلى الله عليه
وسلم كان له صلوات تطوع فامر ان يكبر فيها كانه قيل وما يكن فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود
الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع
واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك
فطهر اى من النجاسات لان طهارة الثياب شرط فى صحة الصلاة لا تصح

الا بها

237

الا بها وهى الاولى والاحب فى غير الصلاة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل خبثا قال
الرازى اذا حملنا التطهير على حقيقته ففى الاية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعى
المقصود من الاية الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا فى الصلاة ثياب طاهرة من الانجاس
وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات
فامر الله تعالى ان يصون ثيابه عنها وثالثها روى انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شلا
فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر فى ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يايها المدثر
قم فانذر ولا تمنعك تلك الشفاعة عن الانذار وربك فكبر على ان لا ينتقم منهم وثيابك
فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم
الثياب وجرهم الذيول وذلك ما لا يومن معه اصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم
اذا ادار المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وكان من اسفل
من ذلك ففى النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية فى لباس الازار الكعب وتوعد على ما
بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه
حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله على من جر ثوبه خيلا وفى رواية من جر ازاره
خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيمة قال ابو بكر يا رسول الله انى اجد شقى اذا راى يسترخى الا انى
اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست مما يصنعه الخيلا وقيل هو
امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال يا فلان طاهر الثياب
وطاهر الجيب والذيل اذا وصفوه بالنقا من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب
للقاذر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى الى قولهم اعجبنى
زيد ثوبه كما تقول اعجبنى زيد خلقه وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والمكرم تحت حلقه
ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه غنى بتطهير الباطن وتنقيته وابى الاجتناب
الخبيث وايثار الطهر فى كل شى وقال عكرمة سيل بن عباس عن قوله تعالى وثيابك فطهر
فقال لا يلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى وانى بحمد الله
لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره انقنع والعرب تقول فى وصف الرجل وبالصدق والوفا طاهر الثياب
ويقولون لمن غدر انه لدنس الثياب وقال بن ابى كعب لا تلبسها على غدر ولا
على ظلم ولا على اثم البسها وانت بر طاهر وقال الحسن والقرطبى وخلقك فحسن وقال

فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح
وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك اصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل
قالوا ان فلانا حسن الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه اللذين
مات يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الاهل اي طهرهم من
الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس
لكم وانتم لباس لهن وقيل المراد به الذي اي ودينك فطهر جا في الصحيح انه صلى الله عليه
وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منهم ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب
وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين وقوله تعالى والرجز فشده النبي
صلى الله عليه وسلم بالاوثان فاهجر اي دم على هجره وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب
تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجيهما دليل هذا التاويل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس
من الاوثان وروي عن بن عباس ان معناه اترك المأثم وقرا حفص بضم الراء والباقون بكسرها
وهي الفتان ومعناهما واحد وقال ابو العالية والرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية
وقال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب وقال البغوي ومجاز الاية اهجي ما اوجب
لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال
اي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا لله تعالى ولا تطلب عوضا اصلا ومعنى
تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار هبا عبارة عن طلب
العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس
اليه وقيل لا تعط شيا طالبا للتكثير نهي عن الاستقرار وهو ان يهب شيا وهو ان يطمع ان يعوض
من الموهوب له اكثر هو الموهوب وهذا جايز ومنه الحديث التقرب ثياب من هبته وفيه وجهان
احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الاية لان الله تعالى اختار له
اشرف الاداب واحسن الاخلاق والثاني انه نهي تنزيه لا تحريم له ولا منة وقيل انه تعالى لما امره
باربعة اشيا انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجي الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر
اي لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله ولربك فاصبر اي على الاوامر
والنواهي متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك تستكثرها
وقال بن عباس ولا تعط عطية تلتمس بها افضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم

من امر

من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك ان فعلت ذلك بامر الله تبارك
وتعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك
اي لتستكثر اي لن تاخذ منه اجرا على ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع
لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله تعالى عليك وقال بن كيسان
لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منه من الله تعالى به عليك اذا جعل الله
سبيلا الى عبادته وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت
فلم يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لتراى به الناس ولما ذكر تعالى ما يتعلق بارشاد النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقيا بقوله تعالى فاذا نقر اي نفخ في الناقور
اي الصور وهو العرب النفخة الثانية فاعول من النقر من التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفا السببية كانه قال تعالى اصبر على زمان صعب تلقى
فيه عاقبة صبرك واعداوك عاقبة ضرهم واذا ظفر لما دل عليه قوله تعالى فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير وقرا على الكافرين واصحاب النار ابو عمرو والدوري
عن الكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان العسر
قد يطلق على الشي وفيه يسر من بعض الجهات او يعالج فيرجع يسيرا بين انه ليس
كذلك بقوله تعالى غير يسير فجمع فيه بين اثبات الشي ونفي ضده تحقيقا لامره ودفعا
للمجاز عنه وتقييده بالكافرين بشعر يسره على المومنين فانهم لا يناقشون الحساب
ويحشرون ببيض الوجوه فقال الموازين قال الرازي ويحتمل انه عسير على المومنين والكافرين
الا انه على الكافرين اشد تنبيه قال الحليمي سمي الصور باسمين فان كان هو
الذي ينفخ فيه النفخات فان نفخة الاصعاق بخلاف نفخة الاحيا وجا في الاخبار
ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية
فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن
الله تعالى ذرني اي اتركني على اي حالة اتقنت ومن خلقت معطوف على المفعول
معه وقوله تعالى وحيدا معطوف على المفعول او مفعول فيه اوجد احدها انه حال من اليا
في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيك في الانتقام منه الثاني انه حال من التا في خلقت

خلقت اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا فانا اهلكه الثالث انه حال من عايد
المحذوف اى خلقت فى بطن امه وحدا لا مال له من ضمير المفعول المحذوف اى خلقته ولا ولد
ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قال مجاهد والرابع ان ينتصب على الذم لانه يقال ان
وحيدا ذليلا قيل انه يزعم انه كان وحيد فى فضله وماله وليس فى ذلك ما يقتضى صدق
مقالته لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا
تعين نصبه على الذم وقال بن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لى
فى العرب نظير ولا لابى المغيرة قال الرازى ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى
لا يصدقه فى دعواه ذلك بانه وحيد لا نظير له ذكره الواحدى وهو ضعيف من
وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السوال لان اسم العلم لا يفيد فى المسمى
صفة بل هو قايم مقام الاشارة الثانى ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله
عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم الثالث انه وحيد فى كفره وعناده وجنته لان لفظ الوحيد
الذى لا اب له كما تقدم فى الزعيم وجعلت له اى باسباب اوجدتها انا وحدى لا يحول منه
ولا قوة بدليل انه غيره اقوى منه بدنا وقلبا واوسع ذكرا وعقلا وهو دونه فى ذلك
مالا ممدودا اى مالا واسعا كثيرا قال بن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطايف من الابل
والغنم والحجور والجنان والعبيد والجوارى واختلفوا فى مبلغه فقال مجاهد وسعيد
بن جبير الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثورى مرة اربعة الاف
دينار ومرة الف الف دينار وقال بن عباس تسعة الاف مثقال فضة وقال الرازى الممدود
هو الذى يكون له ممدد ياتى منه الجزء بعد الجزء ايما ولذلك فسره عمر غلة شهر بشهر
وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزروع والضروع وانواع التجارات وقال مقاتل كان
له بستان بالطايف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وبنين اى وجعلت له بنين
شهودا اى حضورا معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة
الاعوان وهم مع حضوره فى الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم فى
غاية المعرفة ومع ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كانه لا شاهد
به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدى والضحاك كانوا
اثنى عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطايف وقال
مقاتل

239

مقاتل كانوا سبعة ولعله اقتصر على من ولد بمكة وعلى كل قوم اسلم منهم ثلاثة خالد الذى
من الله تعالى عن المسلمين باسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام
وعمارة ومهدت اى بسطت له العيش والقمر والولد والتمهيد عند العرب التوطية والتهيية
ومنه مهد الصبى وقال بن عباس اى وسعت له ما بين اليمن الى الشام وعن مجاهد انه
المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة وقوله تعالى
تمهيدا تاكيد ثم اى بعد الامر العظيم الذى ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطمع اى بغير سبب يدلى به مما جعلناه سببا لمزيد من الشكر ان ازيد اى
فيما اتيته فى دنياه او فى اخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن ثم يطمع ان احكمه الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة
الا لى فقال الله تعالى رد عليه وتكذيبا له كلا اى وعزتنا وجلالنا لا تكون له زيادة
على ذلك اصلا واما النقصان فيسير ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع
وليتزجر وليترجع فانه حق محض وزخرف تحت وغرور حرف قالوا فما زال الوليد بعد
نزول هذه الاية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا تنبيه كلا قطع
للرجال عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا
وبدا بقوله تعالى انه اى هذا الموصوف كان اى بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر
على الانفكاك عنه لاياتنا اى على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية
لا لغيرها من الشبه القايدة الى الشرك عنيدا قال قتادة اى جاحدا وقال مقاتل معرضا
وقال مجاهد انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنيد فى معنى المعاند
العناد كما قال الملوى من كبر فى النفس وبيس فى الطمع وسراسة فى الخبل او جبل
فى العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لانه خلق من نار وهى من طبعها اليبوسة وعدم
المطاعنة تنبيه فى الاية اشارة الى ان الوليد كان معاندا فى امور كثيرة منها
انه كان يعانده فى دلايل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره
كان عاندا الا انه كان يعرف هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد
افحش انواع الكفر ومنها ان قوله تعالى كان يدل على ان هذه حرفة من قديم
الزمان سارهقه اى اكلفه صعودا اى مشقة من العذاب لا راحة له فيها

وروى الترمذي عن بن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار متصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية انه كلما وضع يده في نعالجه الصعود ذابت
فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال الكلبي انه صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها
يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقاعد الحديد فيصعدها في
اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فلذلك
دابة ابدا انه اي هذا العنيد فكر اي ردد فكره واذاره تابعا لهواه لاجل الوقوع
على شيء يطعن به في القران او النبي صلى الله عليه وسلم وقدر اي اوقع تقديره
الامور التي يطعن بها وقاسها في نفسه لعلم انها اقرب الى القبول وذلك ان الله
تعالى لما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
الى قوله تعالى المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب
منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الاية
فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بين مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد
اتفا كلاما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت
قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق
فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال الوليد له ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال وما يمنعني
ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون زينب
كلام محمد وانك داخل على بن ابي كبشة وبن ابي قحافة تسال من فضل طعامهم فقضت
الوليد وقال الم تعلم اني من اكثرهم مالا وولدا فهل شبع محمد واصحابه من الطعام
فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا
مجنون فهل رايتموه يختنق قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه
قط تكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل رايتموه قط يتعاطى شعر قط
قالوا لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه
فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ما مر وقال الله تعالى فقتل

اي هلك

240

اي هلك ولعن وطرد في دنياه هذه كيف قدر اي على اي كيفية او وقع تقديره هذا
ثم قتل اي هلك ولعن هذا الوليد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت
في البرزخ والقيمة كيف قدر فتم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاول ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ومعنى قول القايل قتله الله ما اشجعه واحراه
ما اشعره للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعى عليه حا
بذلك واما ثم المتوسطة بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تاتي في التامل
وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد وقوله تعالى ثم نظر عطف على
فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما والنظر اما في وجوه قومه واما في ما يقدح به
في القران ثم عبس اي قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلده وما بين العينين و
بكراهة شديدة كالمهطم للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرج لانه ضاقت عليه الحيل
لكونه لم يجد فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه
المومنين وذلك ما قال القريش بان محمد ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه
الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه وبسر
اي زاد في القبض والكلح يقال وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله
قتاده ثم اي بعد هذا التروي العظيم ادبر اي عما اداه اليه فكره من الايمان بسلامة
المنظور فيه وعلوه عن المطاعن فحاد عن وجوه الافكار الى القايها واستكبر اي اوجد
الكبر عن الاعتراف بالحق ايجاد من هو في غاية فيه فقال اي عقب ما جره اليه طبعه
الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه لكونه راه نافعا لهم في الدنيا ان اي ما هذا اي
التي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر اي امور تخييلية لا حقايق لها وهي لدقتها
بحيث تخفى اسبابها اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فما هو الا سحر يوثر
اي من شانه ان ينقله السامع عن غيره فهو ينقله من مسلمة واهل بابل كما قال ان اي
ما هذا اي القران الا قول البشر اي ليس فيه شيء عن الله تعالى فلا يغتر احد به ولا يفرح
عليه فاريح النادي فرحا ثم تفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه قيل وهذا شبيه بما قال
بعضهم لو قيل ولم خمس وخمس لاغتدى يوما وليلته يعدو ويحسب
ويقول مفضلة عجيب امرها ولين حجبت لها لامري اعجب

خمس وخمس ستة او سبعة ٥ قولان قالهما الخليل وثعلب ٥ فكان قوله هذا سبب
هلاكه فكان كما قال بضمهم ٥ احفظ لسانك ايها الانسان ٥ لا يلدغنك ثعبان ٥
كمد في المعابر من قتل لسانه ٥ كانت تهاب لقاءك الشجعان ٥ وقوله تعالى ساصليه
اى ادخله سقر اى جهنم بوعد لا بد منه عن قريب بدل من سار هقه صعودا وقوله
تعالى وما ادراك ما سقر تعظيم لشانها وقوله تعالى لا تبقى ولا تذر بيان لذلك او
حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى شيا يلقى فيها الا اهلكته فاذا اهلكته
لم تذرها هالكا حتى يعاد او لا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها ٥
هالك لا محالة وسميت سقر من سقوته الشمس اذا اذابته ولا تصرف للتعريف والتانيث
قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة قال درك النار سبعة جهنم ولظى والحطمة
والسعير والجحيم وسقر والهاوية لواحة من لوح الجبر قال ٥ تقول ملا عمك ياسقر ٥
يا ابت عمي لاصطلي الهواجر للبشر اى محرقة الظاهر الجلد فتدعه اشد سوادا من الليل قال
تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر اعالى البشرة وهو جمع بشرة وجمع
البشر اباد وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لتروننها عين اليقين وقيل اللوح
شدة العطش والزهام جمع زهمة وهي بالسرهي المطرة الصفيفة وازهت السحابة
انت بالزهام عليها تسعة عشر اى من الملايكة وهي حرستها مالك وقمه وعدتهم تسعة عشر
نقبا وقال اكثر المفسرون التسعة عشر ملكا باعيانهم وقيل تسعة عشر الفا ملك قال ابن
جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال كانهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة
سنة فوحت منهم الرحمة يدفع احدهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فيرمي منهم حيث
اراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر
من ربيعة ومضر قال ابن الانباري والصياصي قرون البقر قال ابن عباس لما نزلت هذه
الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر انهم
خزنة النار وتسعة عشر وانتم الدهم اى الشجعان افيعجز كل عشرة منكم
ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن كلدة بن خلف
الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشر على ظهري وسبعة على بطني ٥
فاكفوني

فاكفوني انتم اثنين وروى انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع
عشرة بمنكبي الايمن وسبعة بمنكبي الايسر في النار وانضى فدخل لحية فانزل
الله عز وجل وما جعلنا اى بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه على
من عمي قلبه اصحاب النار اى خزنتها الا ملايكة اى لم نجعلهم رجالا فتقاتلهم ونهم
وانما جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس الفريقين الانس من الجن والانس فلا يا خذهم
ما ياخذ الجانس من الرافة والرحمة ولانهم اشد باسا واقوى بطشا فقوتهم
اعظم من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول الى البشر منهم جنسهم ليكون لهم
له رافة ورحمة بهم فان قيل ثبت في الاخبار ان الملايكة مخلوقون من النور
فكيف تطيق الملك في النار اجيب بان الله تعالى قادر على كل الممكنات
فكما انه لا استبعاد في انه يبقي الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا
يموت فكذا لا استبعاد في ابقاء الملايكة هناك من غير الم وما جعلنا اى بما
لنا من العظمة عدتهم اى مذكورة ومحصورة الا فتنة اي بلية للذين كفروا
وقال ابن عباس ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف مضاف اي الاسباب فتنة
وللذين صفة الفتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي وما جعلنا عدد هم الا العدد الذي
اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر بناء للزمخشري قال ابو حيان انه تحريف للكتاب الله ان
يزعم الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا ممن له ادنى ذكا وقال الرازي انما ذكر
هذا العدد ليسا الفتنة اللفاذين وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونوا
عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف
يكونون وافيين بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام
الساعة واجيب عن الاول بان هذا السوال لازم على كل عدد يفرض على الثاني
بانه لا يبعد ان الله تعالى يزيد ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع
جبريل مدائن قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السما حتى سمع
اهل السما صياح ديكتهم ثم اقلبها فجعل عاليها سافلها ايضا فاحوال
القيمة لا تقاس باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر ارباب
المعاني في تقرير هذا العدد وجهين احدهما ما قاله ارباب

ارباب الحكمة ان فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعلمية هو القوى الحيوانية و
الطبيعية فالقوى الحيوانية هي الحسة الظاهرة والحسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر
واما القوى الطبيعية فهي الجاذبية والماسكة والهاضمة والدافقة والغاذية والمولدة
فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشآت لاجرم كان عدد الزبانية هكذا وانهما ان ابواب
جهنم سبعة فسنة منها للكفار وواحد للعصاة ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة تركب
الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع
تسعة عشر مقولة بحسب العبادة فلاجرم صار عدد الزبانية تسعة عشر وقوله تعالى
ليستيقن الذين متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي اعطوا التوراة والانجيل فانه مكتوب فيهما تسعة عشر فلذلك موافقة
لما عندهم ويزداد الذين امنوا اي من اهل الكتاب ايمانا اي تصديقا لموافقة النبي صلى
الله عليه وسلم لما في كتبهم ولا يرتاب اي يشك الذين اوتوا الكتاب والمومنون في عددهم
فان قيل قد ثبت الاستيقان لاهل الكتاب والمومنون اجيب بان الانسان اذا اجتهد
في امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات
ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب
بعد ذلك ففايدة هذه الآية بيان ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقيبه شك
البتة وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وان قيل وتزول هذه السورة قبل
وجود المنافقين فهو علم من اعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة
ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة اصلاح ناس فهو علم من اعلام النبوة فانه اخبار
بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة اصلاح ناس
وفساد اخرين لانه يقول لا يسئل عما يفعل على ان العلة قد تكون مقصودة لشيء
بالقصد الاول ثم يترتب عليها شيء اخر يكون قصد بالقصد الثاني تقوله خرجت من
الجلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض والكافرون اي ويقول الراسخون
في الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون لما دل عليه الادلة من الحق ماذا اي اي شيء
اراد الله اي الملك الذي له جميع العظمة بهذا اي العدد القليل في جنب عظمته مثلا
قال الجلال المحلي سموه لغرابته بذلك واغرب حالا وقال الليث المثل الحديث ومنه

مثل

مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال الرازي انما سموه مثلا لانه
لما كان هذا العدد عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما اشعر به ظاهره
بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لاجرم سموه مثلا لانهم لما استغربوه
ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثل تميز وحال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة
لغرابته ولما كان التقدير اراد بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالي وهداية من اهتدى وهو
لا يبالي كان كانه قيل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى كذلك اي مثل هذا المذكور
من الاضلال والهداية يضل الله اي الذي له جامع العظمة ومعاقد العز من يشا
باي كلام شا كاضلال الله تعالى اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم ويهدي
بقدرته التامة من يشا بنفس ذلك الكلام او بغيره كهداية اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال
تعالى كذلك يضل الله من يشا وما يعلم جنود ربك اي المحسن اليك بانواع الاحسان
المدبر لامرك الا هو اي الله سبحانه وتعالى قال مقاتل وهذا جواب لابي جهل حيث
قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر وقال مجاهد وما يعلم جنود ربك يعني من الملايكة
الذين خلقهم لتعذيب اهل النار ولا يعلم عدتهم الا الله تعالى والمعنى ان تسعة عشر
هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود من الملايكة ما لا يعلم عددهم الا الله
تعالى ولو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روي ان البيت المعمور يدخله كل
يوم سبعون الفا من الملايكة لا يعود له نوبة اخرى وروي ان الارض في السما
لحلقة معلقات في فلاه وكل سما في التي فوقها كذلك وورد في الخراطات السما
وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع وفي رواية موضع قدم الا وفيه ملك
قايم يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها الا هو ثم رجع
الى ذكر سقر فقال تعالى وما هي اي سقر النار التي هي من اعظم جنوده الا ذكرى للبشر
اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار
وللبشر مفعول بذكر واللام فيه مزيدة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة
وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله كلا ردع لمن انكرها او انكر كونه

يتذكروا بها قاله البيضاوي وقال البغوي هذا قسم يقول حقا وقال الجلال المحلي استفتاح
بمعنى الا والقمر اي الذي هو اية الليل الهادية من ضل بظلامه والليل اذا دبر اي مضى فانقلب
راجعا من حيث جا فانكشف ظلامه وقرا نافع وحمزة وحفص بسكون الذال المعجمة والدال
المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين والباقون بفتح الذال
المعجمة وبعدها الف وفتح المهملة بعد الالف فالقراة الاولى اذا دبر والثانية اذا دبر
وكلاهما لغة يقال دبر الليل وادبر اذا ولى مدبرا ذاهبا قال ابو عمرو دبر لغة قريش قطرب
دبر اي اقبل تقول العرب دبرني فلان اي جا خلفي فالليل ياتي وتبين وقوله تعالى
والصبح اذا اسفر اي اضا وتبين وقوله تعالى لانها لاحدى الكبر اي جواب القسم او
تعليل لكلا والقسم متعرض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كيايها فلما
جمعت فعله على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع في جمع القاصعا كانها جمع
فاعلة اي لاحدى البلايا واكد وهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة
في العظم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النسا وقوله تعالى نذيرا تمييز
من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النسا عفافا وقيل
هي وقيل هو متصل باول السورة اي قم نذيرا للبشر قال الزمخشري وهو من بدع التفاسير
وقوله تعالى لمن شا اي بارادته منكم بدل من البشر ان يتقدم اي الى الخير او الجنة
بالايمان او يتاخر اي الى البشر او النار بالكفر كل نفس اي ذكرا او انثى على العموم بما
كسبت اي خاصة لا ما كسبت غيرها رهينة اي مرهونة ماخوذة ولبست بتانيث
النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذ
كور وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن
ومنه بيت الحماسة • ابعد الذي بالعصف تضعف كويكب • • • • • •
• رهينة ريس ذي تراب وجندل • كانه قال كل نفس رهن بكسبها عند الله
غير مفلوك الاصحاب اليمين وهم المومنون فانهم فكوا رقابهم بايمانهم
وبما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملايكة وروي عن علي انهم اطفال المسلمين
وقال مقاتل هم اهل الجنة الذين كانوا على يمين ادم يوم الميثاق حين قال لهم
الله هولا في الجنة ولا ابالي وعنه ايضا هم الذين اعطوا كتبهم بايمانهم وقال

الحسن

الحسن هم المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها او بشر الا من اعتمد
على الفضل فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير ماخوذ
ولما اخرجهم من حكم الارتهان الذي اطلق على الاهلاك لانه سببه استانف بيان
حالهم فقال تعالى في جنات اي بساتين في غاية العظم لانهم اطلقوا انفسهم وفكوا رقا بهم
فلم يرتهنوا يتسالون اي في فيما بينهم يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن المجرمين
اي عن احوالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار ما متحملة للاستفهام
والتعجب والتوبيخ سلككم اي ادخلكم ايها المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق
حتى كانكم اسلك في الثقب وقرا السوسي بادغام الكاف في الكاف والباقون بالا ظهار
في سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين اي صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيها
ان رسوخ القدم في الصلاة مانع من مثل حالهم وعلى انهم يعاقبون على فروع
الشريعة وان كانت لا تصلح منهم فلو فعلوها قبل الايمان لم يعتد بها على ان الصلاة
اعظم الاعمال وان الحسنات بها تقدم على غيرها لم نك نطعم المسكين اي نعطيه
ما يجب علينا اعطاوه له وكنا نخوض اي نوجد الكلام الذي هو في غير مواقعه ولا علم
لنا من الخايض في ما غمر مع الخايضين بحيث صار لنا هذا وصفا راسخا فنقول في القران
انه سحر وانه شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا نتورع عن شي من ذلك ولا نقف
مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فلياخذ الذين يبادرون الى الكلام في كل ما يسالون عنه
من انواع العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا وكنا نكذب اي بحيث صار ذلك وصفا
ثابتا بيوم الدين اي بيوم البعث والجزا حتى اتانا اليقين اي الموت او مقدماته التي
قطعنا عن دار العمل قال الله حتى ياتيك اليقين فان قيل لم اخر التكذيب وهو احسن
الخصال الاربع اجيب بانهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين
بيوم الدين والغرض تعظيم الدين كقوله تعالى كانوا من الذين امنوا ولما اقروا على انفسهم
بما اوجب العذاب الدايم فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله
تعالى فما تنفعهم اي في حال اتصافهم بهذه الصفات شفاعة الشافعين
اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من

المومنين بمفهومهما لان تخصيص هولا لا تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن
يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله
عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم يقال لهم
ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
قال عبد الله بن مسعود فهولا الذين في جهنم فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة
قد اعرضوا وولوا عن القران قال مقاتل معرضين عن القران من وجهين احدهما الجحود
والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظمة بالقران وغيره من المواعظ
ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية ومثل هذه الحال
تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به اي شي حصل لهم في اعراضهم عن الاتعاظ
كانهم في اعراضهم عن التذكرة من شدة النفر حمر اي من حمر الوحش وهي اشد الاشيا نفارا و
لذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحمر في عودها اذا وردت
ما فاحسب بما يربيها مستنفرة اي موجودة للنفار بغاية الرغبة حتى كانه تطلبها من
انفسها لانها شانها وطبعها وقرا ابن عامر ونافع بفتح الفا على انه مفعول اي نفرها القناص
والباقون بكسرها بمعنى نافرة فرت من قسورة قال مجاهد جماعة الرماة الذين
يتصيدونها لا واحد له من لفظه وهي رواية عن بن عباس وقال سعيد بن جبير هي
القناص وعن زيد بن اسلم فريق من رجال اقويا وكل ضخم شديد عند العرب قسور
وقسورة وعن ابي المتوكل هي لفظ القوم واصواتهم وروي عكرمة عن ابن عباس قال
حبال الصيادين وقال ابو هريرة هي الاسد وهو قول عطا والكلبي وذلك ان الحمر الوحشية
اذا عاينت الاسد هربت كذلك هولا المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران
هربوا وعن عكرمة ظلمة الليل وقيل قسوا ذاك الليل قسورة وفي تشبيههم بالحمر مذمة
ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا شهادة عليهم بالبله
وقلة العقل ولما كان الجواب قطعا لا شي لهم في اعراضهم هذا اضرب عنه بقوله
تعالى بل يريد اي على دعواهم في زعمهم كل امري منهم اي المعرضين من ادعيايهم الكمال
في الروية ان يوتى اي من السما صحفا اي قراطيس مكتوبة منشرة اي مفتوحة
وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نومن بك حتى تاتي كل واحد

منا

منا بكتاب من السما عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونومر فيه باتباعك
ونظيره لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا من السما نقروه وعن بن عباس كانوا يقولون
ان كان محمد صادقا ليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براة من النار وقال الكلبي
ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح مكتوبا عند راسه
ذنبه وكفارته فاتينا بمثل ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى
ذلك قال البغوي والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى كلا اي لا يوتون
الصحف وقيل حقا قال البغوي وكلما ورد عليك منه فهذا وجهه قال بن عادل والاول
اجود لانه رد لقولهم ثم بين تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى بل لا يخافون اي في زمن
من الازمان الاخرة فهذا هو السبب في اعراضهم وقوله تعالى كلا استفتاح قاله الجلال
المحلي وقال البيضاوي ردع عن اعراضهم وقال البغوي وتبعه بن عادل حقا انه
اي القران تذكرة اي عظيمة توجب ايجابا عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه
بوجه فليس لاحد ان يقول انا مغرور لم اجد مذكرا ولا معرفا فان عنده اعظم مذكر
واشرف معرف فمن شا اي ان يذكره ذكره اي ايقظ به وجعله نصب عينيه وعلم معناه
وتخلق به فمن فعل ذلك سهل عليه لفظه وبعض معانيه فانه كالبحر الفرات فمن شا
اغترف وما يذكرون اي في وقت من الاوقات الا ان يشا الله اي الملك الاعظم
الذي لا امر لاحد معه ذكرهم او مشيتهم كقوله تعالى وما تشاون الا ان يشا الله وهو
تصريح بان فعل العبد بمشية الله تعالى وقرا نافع بتا الخطاب وهو التفات من
الغيبة الى الخطاب والباقون بيا الغيبة حملا على ما تقدم من قوله تعالى كل امري
هو اي الله سبحانه وتعالى وحده اهل التقوى اي ان يتقيه عباده ويحذروا غضبه
بكل ما اتصل قدرهم اليه لما له من الجلال والعظمة والقهر وقرا حمزة والكسائي
بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين واهل
المغفرة اي وحقيق ان يطلب غفرانه للذنوب لا سيما اذا اتقاه المذنب لان
له الجمال واللطف وهو قادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شي ولا يضره روى
احمد والترمذي والحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة يقول الله تعالى انا اهل ان اتقى

فمن اتقى ان يشرك بي غيري فانا اهل ان اغفر له ووقف الكسائي على اهل المغفرة
بالامالة على اصله وورش بترقيق الرا وقفا ووصلا على اصله وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به حديث موضوع . . . .

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة
وستمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الذي له الجلال والكمال الرحمن الذي عم
بنعمة الايجاد اهدى الهدى والضلال الرحيم الذي سدد اهل العناية في الافعال
والاقوال واختلف في لا في قوله تعالى لا اقسم على اوجه احدها انها نافية لكلام
المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا القسم بيوم القيامة قال القرطبي
ان القران جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم
كقولك لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كانك
اكذبت قوما انكروه الثاني انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب واعترض
هذا بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجيب بان القران في حكم سورة واحدة
متصل بعضه ببعض يدل عليه انه قد يجي ذكر الشي في سورة ويذكر جوابه في سورة
اخر كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه
السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القران في حكم السورة الواحدة في عدم
التناقض لا ان تقرن سورة بما بعده فذلك غير جائز الثالث قال الزمخشري ادخال
لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس . . . .
لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني اخر وفايدتها توكيد القسم ثم قال
الزمخشري بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والوجوب كما تقدم والوجه ان
يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالنبي الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي
يقول ان اعظامي له باقسامي له كلا اعظام يعني انه يستاصل فوق ذلك قال بعضهم
قول الزمخشري والوجه ان يقال الى اخره تقريره لقوله ادخال لا النافية فيه على فعل
القسم مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وان النفي مسلط على فعل

القسم

القسم الذي شرحه وليس فيه نفع لفظا ولا معنى وقرا ابن كثير بخلاف عن البزي بغير الف
بعد اللام والهمزة مضمومة والباقون بالالف ويعبر عن قراة ابن كثير بالقصر وعن قراة الباقين
بالمد ولا خلاف في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة في المد والكلام في لا المتقدم و
جرى الجلال المحلي على انها زايدة في الموضعين واختلف في النفس اللوامة فقيل هي نفس المومن
الذي لا تراه يلوم نفسه ما اردت بكذا ولا تراه يعاقب الا نفسه وقال الحسن هي والله
نفس المومن ما ترى الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديثي
والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات فتلوم نفسها على
على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها لما تلوم عليه غيرها
وقيل المراد ادم عليه السلام لم يزل لايما نفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة
وهي الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى ان تكون قسما وعلى الاول صفة
مدح فيكون القسم بها سايغا وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا في الاخرة
على ما فرط في جنب الله تعالى وجواب القسم محذوف اي نبعث دل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان اي هذا النوع الذي جبل على الانسان بنفسه والنظر في عطفيه واسند
الفعل الى النوع كله لان اكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل الا من عصم الله تعالى
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ان اي ان لا لن نجمع
اي على ما لنا من العظمة عظامه اي التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد
تمزقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت في عدي بن ربيعة خليف بن زهرة
خال الاخنس بن شريق الثقفي وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال لو عاينت ذلك لم اصدقك ولم امن بك ويجمع الله العظام بعد تفرقها
ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في اباعد
الارض ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عدي
ابن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل انكر البعث
بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قال الخلق تنبيه الن
هنا موصولة وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى كقوله تعالى بلى

ايجاب لما بعد النفي المستحب عليه الاستفهام وهو وقوفحسن ثم يبدأ بقوله تعالى
قادرين وقيل المعنى بل نجمعها قادرين مع جمعها على ان نسوي بنانه اي اصابعه و
سلاميانه وهي الصغار التي في يده خصها بالذكر لانها اطرافه واخر ما يتم به خلقه
ان نجمع بعضها على بعض على ما كانت عليه قبل الموت لانا قدرنا على تفصيل عظامه
وتفتيتها فنقدر على جمعها وتوصيلها وقدرنا على جمع صغار العظام فنحن على جمع
كبارها اقدر وقال ابن عباس واكثر المفسرين على ان نسوي بنانه اي نجمع عظام يديه
ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار او كظلف الخنزير فلا يمكنه ان يعمل بها
شيأ ولكنا فرقنا اصابعه حتى يعمل بها ما يشاء وقيل نقدر ان نصير الانسان في هيئة
البهايم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى ومانحن بمسبوقين على ان
نبدل امثالكم وننشاكم فيما لا تعلمون وقوله تعالى بل يريد الانسان عطف على يجب
فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون جوابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم
وعن الاستفهام ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنها
ولا يتوب هذا قول مجاهد وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول
سوف اعمل حتى يأتيه الموت على اشر احواله واسوا اعماله وقال الضحاك هو الامل
يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال وقال ابن عباس يكذب
بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله
عن الحق يسأل اي سؤال استهزاء واستبعاد ايان اي اي وقت يكون يوم القيمة
ولما كان الجواب ليوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه
اهول فقال تعالى فاذا برق البصر اي شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به
هذا على قراءة نافع بفتح الراء واما على قراءة بكسرها فالمعنى تحير ودهش بما يرى
وقيل هما لغتان في التحير والدهشة وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وقد
اشهر ان الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان فيهما يقال خسفت الشمس
وكسفت وخسف القمر وكسف وقيل الكسوف اوله والخسوف اخره ولم تلحق علامة
التانيث في قوله تعالى وجمع الشمس والقمر لان التانيث مجازي وقيل لتغليب التذكير
ورد لانه لا يقال قام هند وزيد عند الجمهور من النحو وقال الكسائي حمل على جمع

النيرين

النيرين وقال الفراء لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في
الذهاب ضوءهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن
مسعود قرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرونين كانهما
ثوران عقيران في النار وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان
في البحر فيكونا نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون
الله تعالى ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد والجماد انما يفعل ذلك بهما زيادة
في تبكيت الكفار وحسرتهم وقوله تعالى يقول الانسان اي لشدة روعه حيرا مع طبقة
جواب اذا من قوله تعالى فاذا برق البصر يومئذ اي اذا كانت هذه الاشياء وقوله
تعالى اين المفر مصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الماوردي ويحتمل
وجهين احدهما اي المفر من الله تعالى فالتجا منه والثاني اي المفر من جهنم حذرا
منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة
في عرصات القيامة دون المؤمن لتعذ المؤمن ببشرى ربه والثاني ان يكون من قول
المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل ابو جهل خاصة وقوله
تعالى كلا ردع عن طلب المفر لا وزر اي لا ملجا ولا حصن استعير من الجبل قال الدري
كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال لهم الله تعالى لهم لا وزر يعصمكم
يومئذ مني واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك اي المحتم اليك بانواع لا
الاحسان لا الى شيء غيره يومئذ اي اذا كانت كانت هذه الامور المستقر اي استقرار
الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه ومشيته ظاهرا
وباطنا لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا وقال ابن مسعود
المصير والمرجع قال الله تعالى الى ربك الرجعى واليه المصير وقال الدري المنتهى نظيره
وان الى ربك المنتهى ينبأ اي يخبر تخبيرا عظيما الانسان يومئذ اي اذا كان هذا
الزلزال الاكبر بما قدم قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح
وسيء واخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس
بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بما اول عمله واخره وقال
عطا بما قدم في اول عمره وما اخر في اخر عمره وقال زيد بن مسلم بما قدم من اموال

نفسه وما اخر خلقه للورثة والاولى ان يقال ينبا يجمع ذلك فلا منافاة بين هذه
الاقوال بل الانسان اي كل واحد من هذا النوع على نفسه اي خاصة بصيرة اي حجة
بينة على اعماله والهاء للمبالغة يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فيشهد عليه
بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال
البغوي ويحتمل ان يكون معناه بل الانسان على نفسه يعني جوارحه فحذف حرف
الجر كقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم ويجوز ان يكون نعتا
لاسم مونث اي بل الانسان على نفسه حجة بصيرة ولو القى اي ذكر بغاية السرعة ذلك
الانسان من غير تفكير ولا تقييم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتعلق وقوله تعالى معاذيره
جمع معذرة على غير قياس قال الجلال المحلي اي ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه وقال
الزمخشري المعاذير ليس جمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر انتهى
قال ابو حيان وليس هذا البناء من البنية اسما للجموع وانما البنية جمع التكسير
انتهى وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور
بلغة اليمن قاله الضحاك وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي
ولو تجرد عن ثيابه ولما كان صلى الله عليه وسلم اذا القى الوحي نازع جبريل عليه
السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت
منه امن الله تعالى بان ينصت له مليا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله تعالى وحيه
ثم يقعد به والدراسة الى ان يرسخ فيه بقوله تعالى لا تحرك به اي القرآن لسانك
ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه لتعجل به اي لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت
منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات بالنسبة اليك والى اخوانك من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى
نقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل الى الحمد لله ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى
ان علينا اي بما لنا من العظمة لا على احد سوانا جمعه اي في صدرك حتى تثبته
وتحفظه وقرآنه اي قراءتك اياه يعني جريانه على لسانك فاذا قرأناه عليك بقراءة
جبريل عليه السلام فاتبع اي بغاية جهدك بالقاء سمعك واحضار قلبك قرآنه اي قراءة مجموعة
على حب ما اداه رسولنا وجمعناه لك في صدرك وكرر تلاوته حتى يصير به ملكة عظيمة

ويصير

ويصير لك خلقا فيكون قارئا اي كل خير وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل لا تحرك
به لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك
لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله تعالى الاية في لا اقسم بيوم القيامة
لا تحرك به لسانك الاية فكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل قاربن عباس فاما حركها
لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركها فانزل الله عز وجل الاية ثم ان علينا اي بمالنا
من العظمة بيانه اي بيان الفاظه ومعانيه لك سواء سمعته من جبريل عليه السلام
على مثل صلصلة الجرس او بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف ولغيرك على لسانك
وعلى السنة العلماء من امتك والاية مشيرة الى ترك مطلوب العجلة لانه اذا نهي عنها
في اعظم الاشياء واهمها ما كان غيره بطريق الاولى والمناسبة بينه هذه الاية وما
قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن ايات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها
وقوله تعالى كلا استفتاح بمعنى الا وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين حقا والاول جرى عليه الجلال المحلي وهو اظهر
بل تحبون مجددة على تجدد الزمان العاجلة بدليل انهم يقبلون بغاية الاقبال عليها
وجها اوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الاخرة والاولى ضرتان من احبهما
لا بد من تباعده عن الاخرى فان حبك للشيء يعمي ويصم ويذرون اي يتركون على
اي وجه كان ولو انه غير مستحسن الاخرة لانهم يبغضونها لارتكاب ما يضرهم
فيها وجمع الضمير وان كان مبنى الخطاب مع الانسان للمعنى وقرأ يحبون ويذرون
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بيا الغيبة فيهما حملا على لفظ الانسان المذكور اولا لان المراد
به الجنس لان الانسان بمعنى الناس والباقون بتا الخطاب فيهما اما خطابا للكفار
قريش اي تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدنيا والجاه فيها وتتركون الاخرة والعمل
لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب وناداهم
تعالى الاخرة التي اعرضوا عنها ذكرا ما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة
عقولهم وترهيبا لمن ادبر عنها وترغيبا لمن اقبل لطفا بهم ورحمة لهم فقال تعالى
وجوه اي من المحشورين وهم جميع الخلائق يومئذ اي اذ تقوم القيامة ناضرة من
النضرة بالضاد المعجمة وهي النعمة والرفاهية اي هي بهية مشرقة عليها اثر النعمة

بحيث يدل ذلك على نعمة اصحابها الى ربها اي المحسن اليها خاصة باعتبار ان عد الا
النظر الى غيره كلا نظر ناظرة اي دايماهم محذوف ابصارهم لا غلة لهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب
عنهم ابصروه باعينهم بدليل التعدي بالى وذلك النظر جهرة من غير اكتتام ولا تضار ولا زحام
كما قال ابن عباس واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الاحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الروية كما مثلت
في الاحاديث كما يروي القمر ليلة البدر اي كل من يريد رويته من بيته يراه مجليا
له هذا وجه الشبه لا انه في جهة ولا في حالة لها شبيه تعالى الله الكريم عن التشبيه
من تلك الاحاديث ما روي عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون
القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس
وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
وفي كتب النساي عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم
شيا احب اليهم من النظر ولا قر لاعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلى ربنا عز وجل حتى ننظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا
روسكم فليس هذا يوم عباده وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى ان هذا
النظر مباين للنظر الى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه عن
اصحابها لانها ادل ما يكون على السرور وليكون ذكرها اصرح في ان المراد بالنظر
حقيقة روي مسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان بن عمر يقول
اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلى هذه الاية وانكر
الروية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون
بالى ليس اسما للروية بل لمقدمة الروية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرويته
ونظر العين بالنسبة الروية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة ويدل على ذلك قوله
تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم الروية فتكون
الروية غاية النظر وان النظر يحصل منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي واجيب عن
استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الابصار بان لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون ذلك

مانعا

248

مانعا للروية لا على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين احدهما ان النظر هو
الروية لقول موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لا
قتضت الاية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الاراة فلا يكون تقليب الحدقة
الجواب الثاني سلمنا ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة تعذر حمله على الحقيقة
فيجب حمله على الروية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم
الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للروية ولا تعلق بينه وبين الانتظار واما قولهم
بحمله على الانتظار فاجيب عنه ايضا بان الذي هو بمعنى الانتظار في القران غير مقرون
بالى كقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون الا ان والذي ندعيه ان النظر
المقرون بالى ليس الا بمعنى الروية لان وروده بمعنى الروية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار
دفعا للاشتراك ولما ذكر تعالى اهل النعمة اتبعه اضدادهم من اهل النقمة فقال تعالى
وجوه يومئذ اي في ذلك اليوم بعينه باسرة اي شديد العبوس والكلوح والتكره لما هي من الغم
كانها قد غرقت فيه وقال السدي باسرة متغيرة تظن اي تتوقع اربابها بما ترى من المخايل ان
يفعل بها اي بهم فانه اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما في الجملة كان ما عداه اولى فاقرة
وهي الداهية العظيمة قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر يقال فقرته الفا قرة
اي كسرت فقار ظهره ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من العقل وقال قتادة الفاقرة
الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس دخول النار وقال الكلبي هي ان يحجب عن روية
الرب عز وجل وقوله تعالى كلا ردع عن ايثار الدنيا فعلى الاخرة قاله البيضاوي تبعا للز مخشري
وزاد الزمخشري كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت
الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلون الى الاجلة التي تبقوا فيها مخلدين اذا بلغت
النفوس التراقي واضمر النفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم اماوي ما يغني الثرى عن الفتى ٭ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ٭
وتقول العرب ارسلت يريدون جا المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السما والتراقي جمع
ترقوة وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان ترقوتين قال
البقاعي ولعله جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب
لاجتماعها من اقاصي البدن الى هناك انتهى وهذا كناية على الاشفا على الموت ذكرهم

صعوبة الموت وهو اول مراحل الاخرة وحين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل اي قال
حاضر واصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض هل من راق اي ايكم يرقيه مما به ليحصل له
الشفا وقال ابن عباس هو من كلام الموت ايكم يرقي بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر
في المضارع والثاني الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والفتح في المضارع وظن اي ايقن
المحتضر بالاخرة من انوار الاخرة وقيل القائل هل من راق من اهله انه اي الشان العظيم الذي
هو فيه الفراق اي لما كان فيه من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الاعظم الذي لا فراق مثله
ففي الخبر ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض
يقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وسمي التقدير هنا بالظن لان
الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة
العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها او ان المراد الظن الغالب اذ لا يحصل يقين الموت مع
رجاء الحياة وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازي وهذه الاية تدل على ان الروح جوهر
قايم بنفسه باقي بعد موت البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق لا يكون الا اذا
كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف
والتفت الساق بالساق اي اجتمعت احداهما بالاخرى اذا لا لتفاف الاجتماع قال
تعالى جينا بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله
ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت ساق الانسان عند الموت من شدة
الكرب قال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال
سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان اذا التفا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق
الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه
وقال السدي لا يخرج من كرب الاجاه الا ندم منه واول الاقوال كما قال النحاس احسنها
والناس لا تذكر الساق الا في الشدايد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق
قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر
الشديد ساق قال الجعدي * اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها
الحرب شمرا * ولما صور وقت قاسفة على الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال تعالى
مخبرا للنبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم هذا حق فهمه غيره

الى

الى ربك اي المحسن اليك بجميع ما انت فيه يومئذ اي اذ وقع هذا الامر المساق اي السوق
الى حكمه تعالى فقد انقطعت عنه احكام الدنيا فاما ان تسوقه الملايكة الى سعادة واما
الى شقاوة والضمير في قوله تعالى فلا صدق راجع للانسان المذكور في ايحسب الانسان
اي فلا صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخبره به بما كان يعمل من الاعمال الخبيثة
ولا في ايمانه بالانفاق في وجوه الخير التي تدب اليها واجبة كانت او مندوبة وحذف
المعمول لانه ابلغ في التعميم ولا صلى اي ما امر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق
ولا وصل حبل الخلايق وقال ابن عباس لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعي لربه عز
وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا
صلى لله جل ذكره ولكن اي فعل ضد ما امر به بان كذب بما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم
من قرآن وغيره وتولى اي اعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا يلزم من نفي
التصديق والصلاة التكذيب والتولي وقال القرطبي معناه كذب بالقرآن وتولى عن
الايمان وقيل نزلت في ابي جهل ثم ذهب اي هذا الانسان او ابو جهل الى اهله غير
متفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حاله كونه يتمطى اي يتبختر افتخارا بتكذيبه
واعراضه وعدم مبالاته بذلك واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وانما
وانما ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الظهر
لانه يليه بتبختر في مشيته وقوله تعالى اولى لك فيه التفات من الغيبة والكلمة
اسم فعل واللام لتبيين اي وليك ما تكره فاولى اي فهو اولى بك من غيرك وقوله
تعالى اولى لك فيه التفات من الغيبة ثم اولى لك فاولى تاكيد وقيل هذه الكلمة
تقولها العرب لمن قاربه المكروه واصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا
الذين يلونكم من وقال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت هذه الاية اخذ
بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال
ابو جهل اتوعدني يا محمد فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني والله
لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله اسوا
قتله قال وكان صلى الله عليه وسلم يقول لكل امة فرعون وان فرعون هذه الامة
ابو جهل ايحسب اي يجوز لقلة عقله الانسان اي الذي هو مربوب ضعيف عاجز

متاج بما بري من نفسه وابنا جنسه ان يترك اي يكون تركه بالكلية سدي اي هملا
لاغيا لا يكلف ولا يجازي ولا يعرض علي الملك الاعظم الذي خلقه فيساله عن شكره فيما
اسدي اليه فان ذلك مناف للحكمة فانها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن المساوي والجزا
علي كل منهما واكثر الظالمين والمظلومين يموتون من غير جزا فاقتضت الحكمة ولا بد من البعث
للجزا الم يك اي الانسان نطفة اي شيا يسيرا من مني اي ما من صلب الرجل والترايب المراة
تمني اي تصب في الرحم سبب الله تعالي للانسان المعالجة في اخراجها بما ركب فيه من الشهوة
وجعله له من الزوج التي يسرها لقضا وطره حتي ان وقت صبها في الرحم تصب منه بغير
اختياره حتي كانه لا فعل له فيها اصلا فان قيل ما فايدة تمني بعد قوله تعالي من مني
اجيب بان فيه اشارة الي حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري علي
مجري النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله تعالي الا انه غير عن هذا
المعني علي سبيل الرمز كما في قوله تعالي في عيسي عليه السلام وامه مريم كانا ياكلان
الطعام والمراد منه قضا الحاجة ثم كان اي كونا محكما علقة اي دما احمر غليظا شديد
الحمرة والغلظ فخلق اي قدر سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبيه وغير ذلك
من جواهره واعراضه فسوي اي عدل من ذلك خلقا اخر غاية التعديل شخصا
مستقلا فجعل اي بسبب النطفة منه اي من المني الذي صار علقة اي قطعا دم ثم
مضغة اي قطعة لحم الزوجين اي النوعين الذكر والانثي يجتمعان تارة ينفرد
كل منهما عن الاخر تارة قال القرطبي وقد احتج بهذه الاية من راي اسقاط الخنثي
واجيب بان هذه الاية وقرينتها خرجت مخرج الغالب او انه في نفس الامر
ذكر او انثي اليس ذلك اي الخالق المسوي الاله الاعظم الذي قدر علي تمييز ما يصلح
من ذلك للذكر وما يصلح منه للانثي بقادر علي ان يحيي الموتي ان يعيد بهذه الا
جسام كهيئتها للبعث بعد البلا روي انه صلي الله عليه وسلم كان اذا قراها قال
سبحانك اللهم بلي رواه ابو داوود والحاكم وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلي
اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلي ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة الي اخرها
فليقل سبحانك اللهم بلي اماما كان او غيره وروي البغوي بسنده من طريق ابي
داوود عن اعرابي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا منكم

والتين

والتين والزيتون فانتهي الي اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلي وانا علي
من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة فانتهي الي اليس ذلك بقادر علي ان
يحيي الموتي فليقل بلي ومن قرا سورة والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون
فليقل امنا بالله وروي ان رجلا كان يصلي فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر
علي ان يحيي الموتي قال سبحانك اللهم بلي فاسيلوه عن ذلك فقال سمعته من رسول
الله صلي الله عليه وسلم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال من قرا سورة القيامة شهدت له امنا وجبريل يوم القيامة ان
كان مومنا حديث موضوع سورة الانسان وتسمي هل اتي والامشاج والدهر
مكية او مدنية وهي احدي وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة
واربعة وخمسون حرفا واختلف فيها هل هي مكية او مدنية فقال بن عباس ومقا تل
والكلبي مكية وجري عليه البيضاوي والزمخشري وقال الجمهور مدنية وقال
الجلال المحلي مكية او مدنية ولم يجزم بشي وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا اية
وهي قوله تعالي فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا وقيل فيها مكية من قوله
تعالي انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الي اخر السورة وما تقدم مدني بسم الله
اي الذي له الاسما الحسني الرحمن اي الذي عم بنعمه الذكر والانثي الرحيم اي الذي
خص منهم من شا بالمقام الاسني ولما تم الاستدلال علي البعث والقدرة عليه
تلاوة بهذا الاستفهام وهو قوله تعالي هل اتي قال الزمخشري بمعني قد
في الاستفهام وخاصة والاصل اهل بدليل قول الشاعر
سائر فوارس يربوع مستقنا اهل راونا بسفح القاع والاكم فالمعني
قد اتي علي التقرير والتقريب جميعا اي اتي علي الانسان قبل زمان قريب حين
من الدهر لم يكن شيا مذكورا اي كان شيا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب
انتهي نقوله علي التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وقوله والتقرير يعني المفهوم
من قد التي وقع موقعها هل ومعني قوله في الاستفهام خاصة ان هل لا تكون
بمعني قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا كالاية الكريمة ولو
قلت هل جا زيد بمعني قد جا زيد غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعني قد من

غير هذا القيد وجري عليه الجلال المحلي واعترض علي الزمخشري بانه لم يذكر
غير كونها بمعني قد وبقي قيد اخر وهو ان يقول في الجمل الفعلية لانها متي دخلت
علي جملة اسمية استحال كونها بمعني قد لان قد مختصة بالافعال واجيب عنه بان
هذا لا يحتاج اليه لانه تقرر ان قد لا تباشر الاسما واختلف في المراد من الانسان فقال
قتادة وعكرمة والشعبي هو ادم عليه السلام مرت عليه اربعون سنة قبل ان
تنفخ فيه الروح وهو ملقي بين مكة والطايف وعن بن عباس في رواية الضحاك
انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من
صلصال اربعين سنة ثم خلقه بعد ماية وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكي
الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي
لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله تعالي فيها السموات والارض واخرها
خلق ادم عليه السلام فهو قوله تعالي لم يكن شيا مذكورا وروي ان ابا بكر رضي الله
تعالي عنه لما قرا هذه الاية قال ليلتها تمت فلا تبتلي اي ليست هذه المدة التي
اتت علي ادم عليه السلام لم يكن شيا مذكورا تمت علي ذلك فلا يلد ولا تبتلي اولاده
وسمع عمر رجلا يقرا لم يكن شيا مذكورا قال عمر ليتها تمت يقول ليلتها بقي علي ما كان
هذا وهما ضجيعاه صلي الله عليه وسلم ولكن بقدر القرب يكون الخوف فان قيل
ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية
تقتضي انه مضي علي الانسان حال كون انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك
الحين ما كان شيا مذكورا اجيب بان الطين والصلصال اذا كان مصورا
بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا
مع تسميته بانه انسان روي الضحاك عن بن عباس في قوله تعالي لم يكن شيا
مذكورا لا في السما ولا في الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا
يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قال
ابن سلام لم يكن شيا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعد حيوانا
وقال الزمخشري وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان جنس بني ادم
عليه السلام بدليل قوله تعالي انا خلقنا الانسان اي بعد خلق ادم عليه السلام من

نطفة

من نطفة اي مادة هي شي يسير جدا من الرجل والمراة وكل ما قليل وعا فهو نطفة كقول
عبد الله بن رواحة تعاقب نفسه ما لي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنة
وعلي هذا فالمراد بالحين المدة التي هو فيها في بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذا كان علقة و
مضغة لان هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالي امشاج اي اخلاط من ما الرجل وما المراة هـ
المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعت المفرد لانه في معني الجمع كقوله زفرف
خضرا وجعل كل جزا من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة
اعشار وبرد اكياس وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد يقال
ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشا مريحة كوقت علي مشج سلامته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهي فقد
منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه
والنحويين علي ان افعالا لا يكون مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشري انما قال
يوصف به المفرد ولم يجعل افعالا مفردا فكانه جعل كل قطعة من البرمة برمة
وكل قطعة من البرد بردا فوصفهما بالجمع والمعني من نطفة قد امتزج فيها الما
ان وكل منها مختلف الاخري متباين الاوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص بجمع
من الاخلاط وهي العناصر الاربعة ما ابيض غليظ ما الرجل غليظ ابيض وما المراة
رقيق اصفر فايهما علا كان الشبه له وعن بن عباس قال يختلط ما الرجل وهو
ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم
وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة قال القرطبي وقد
روي هذا مرفوعا ذكره البزار وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا اخر وعن بن مسعود هي عروق النطفة وقال
مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة صفرا وخضرا والغرض من هذا
التنبيه علي ان الانسان محدث فلا بد له من محدث قادر علي تصويره وقد
صوره علي صور مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض ولما
كان الانسان محتاجا الي الحركة بجملة بدنه وببعض اعضايه جعل بين العظام
مفاصل ثم اوصلها باوتاد وعروق ولحم ودور الراس وشق في جانبيه السمع وفي

مقدميه البصر والانف والفم وشق في اليدين سايرالمنافذ ثم مد اليدين والرجلين
وقسم رؤسها بالاصابع وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة فسبحان من خلق ذلك
الايا من نطفة تحيية البس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقوله تعالى نبتليه يجوز
فيه وجهان احدهما انه حال من فاعل خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انه الحال
من الانسان وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز
ان تكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن
عباس وان تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه
غير مكلف وفيما يختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر والثاني قال
الحسن نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قال
مقاتل وقيل نكلفه ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي فجعلناه اي بالنا
من العظمة بسبب ذلك سميعا بصيرا اي عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة
الدلايل بصره وسماع الايات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه
وقدم العلة الغايية لانها متقدمة في الاستحضار على التابع لها المصحح لورودها
وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات ولان الايات المسموعة ابين من الآيات المرية
وخصهما بالذكر لانهما انفع الحواس ولان البصر يوازم البصيرة وهي تتضمن الجميع قال
بعضهم في الكلام تقديم وتاخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا
له ذلك للابتلي وقيل المراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم
يقال لفلان بصر في هذا الامر اي علم الناس العظمة هديناه السبيل اي بينا
له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير بعثة الرسل وقال مجاهد بينا
له السبيل الى السعادة والشقاوة وقال السدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل
منافوه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكماله عقله قال الرازي والاية تدل
على ان العقل متاخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله تعالى اما شاكرا اي لانعام
ربه عليه واما كفورا اي بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب نصب على الحال وفيه
وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا حالتيه والثاني
انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان يكون حالين من السبيل

على المجاز فناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجازا وروى الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه الحديث وعن جابر كل
مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا ولما قسمهم الى قسمين
ذكر اكل فريق فقال تعالى انا اي على ما لنا من العظمة اعتدنا اي هيانا واحضرنا
وغلظنا للكافرين اي الفريقين في الكفر خاصة وقدم الاسهل في العذاب فالاسهل
فقال تعالى سلاسل جمع سلسلة اي يقادون ويوثقون بها واغلالا اي في اعناقهم
تشد فيها السلاسل فتجمع ايديهم الى اعناقهم وسعيرا اي نارا حامية جدا شديدة
الاتقاد وقرا نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسل وصلا بالتنوين والباقون بغير
تنوين واما الوقف على الثانية فوقف عليها بغير الف وبالالف ووقف الباقون بالالف
ولا وقف على الاولى والرسم بالالف اما من نون سلاسل فوجه بانه قصد
بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من
اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل منك
وقال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كلما لا ينصرف الا افعل منك لان الاصل
في الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا
بالالف يعني عمر ابن الخطاب وايضا هذا الجمع قد جمع وان كانا قليلا قالوا صواحب
وصواحبات وفي الحديث انكن صواحبات يوسف ومنها انه مرسوم في الامام اي
مصحفي الحجاز والكوفة بالالف رواه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع وروي
بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يكون
هذا التنوين بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون
صاحب هذه القراءة ممن ضارى بقراءة الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف انتهى
قال بعض المغربين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لاسيما على مشايخ الاسلام
وايمة العلماء الاعلام واما من لم ينون فوجهه ظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع
وقولهم قد جمع بخو صواحبات لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع صحيح
واما من لم يقف بالالف فواضح ولما اوجز في جزاء الكافر اتبعه جزاء الشاكر واطنب

حب

وبالالف وصفا الذي وابن
عامر وحفص بعد الالف

تاكيدا للترتيب فقال تعالى ان الابرار جمع بر كارباب جمع رب او بار كاشهاد جمع شاهد
وفي الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون في ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت
همتهم عن المستحقرات فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة وروي بن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الابا والابنا كما ان لوالديك عليك
حقا كذلك لمولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يوذي الذر وقال قتادة الابرار الذين
لا يوذون احد يشربون من كاس هو انا شرب الخمر وهي فيه والمراد من خمر تسمية للحال
باسم المحلي ومن للتبعيض كان مزاجها اي ما تمزج به كافورا لبرده وعذوبته وطيب
عرقه وذكر فعل الكون يدل على ان له في المزج شانا عظيما يكون فيه كانه من نفس الجبلة
لا كما يعهد والكافور نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشيا
برايحته والكافور ايضا كمام الشجر الذي ثمرتها والكافور الليل والكافور الساتر لنعم الله
تعالى والكافور الزراع لتوريته الحب في الارض قال الشاعر وكافر مات على كفره
وجنة الفردوس للكافر والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة
بالمغفرة والكافور ما جوف الشجر مكفور فيفرزونه فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه
الهوا فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار فان قيل مزج الكافور بالاشجار
بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب في ذكره اجيب باوجه احدها قال بن عباس الكافور
اسم عين في الجنة يقال لها عين الكافور اي يمازجها ما هذه العين التي تسمى كافورا
في بياض الكافور ورايحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان رايحة
الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم فخلق الله تعالى تلك الرايحة في جرم ذلك
الشراب فسمي ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها لا طعمها
ثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عند ما فيه
من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماكولات
والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار وقال سعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور
وتختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رايحة الكافور وبياضه فكانها مزجة بالكافور و
قوله تعالى عينا في نصبه اوجه احدها انه بدل من كافورا لان ما اهاني بياض الكافور
وفي رايحته وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلي الثاني انه بدل من محل من كاس قاله

ايضا البحر والكافور

مكي

مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال انه قيل يشربون
خمرا خمر عين الثالث انه نصب على الاختصاص قال الزمخشري الرابع انه باضمار اعني قاله
القرطبي وقيل غير ذلك يشرب بها قال الجلال المحلي منها وقال البقاعي اي بمزاجها وقال
الزمخشري بالخمر قالا كما تقول شربت الما بالعسل والاول اوضح عباد الله اي اولياه فان
قيل الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق اجيب بان لفظ عباد الله مختص باهل
الايمان ولكن يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الاية ولا يرضى
لعباده الكفر مع انه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولا لغيره وقد يجاب بان
هذا اكثري لا كلي او يقال حيث اضيف العباد او العبد الى اسم الله الظاهر سوا كان بلفظ
الجلالة ام لا فالمراد به المومن وان اضيف الى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة
يختص بالمومن كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا
يرضى لعباده الكفر وقوله نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم يفجرونها اي يجرونها حيث
شاوا من منازلهم وان علت تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم ولما ذكر جزاهم ذكر وصفهم
الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى يوفون بالنذر وهذا يجوز ان يكون مستانفا
ويجوز ان يكون خبرا لكان مضمرة قال الفرا التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون
بان وهو قليل او في الشعر والوفا بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على ادا الواجبات
لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى
وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يقيمون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله واوفوا
بالعقود امروا بالوفا بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان قال القرطبي
والنذر خفيفة بما اوجبه المكلف على نفسه من شي يفعله وان شيت قلت في حده هو
ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه وروي ان صلى الله عليه
وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه ولما دل
وفاوهم على سلامة طباعهم قال تعالى عاطفا دلالة على جمعهم للامرين المتعاطفين
فهم يفعلون الوفا لا لاجل بل لكرم المطبع ويخافون اي مع فعلهم للواجبات يوما

المومنين

قال بن عبد السلام شر يوم اواهول يوم كان اي كونا ملوفي جملة شره اي ما فيه من الشدايد
مستطيرا اي فاشيا منتشرا غاية الانتشار ومن استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وقال
قتادة كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت
الملايكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء وفي ذلك اشعار
بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف ادل دليل على عمارة الباطن قالوا ما فارق
ما فارق الخوف قلبا الا خرب ومن خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل فان قيل لم قال تعالى كان
شره ولم يقل يكون اجيب بانه كقوله اني امرالله مما قيل في ذلك يقال هنا ويطعمون الطعام
اي على حبه ما اي على حسب ما تيسر لهم من عادل ودون وقوله تعالى على حبه حال اما من
الطعام اي كائنا بين على جهم اياه فهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته
وشهوتهم له وجاجتهم اليه كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم انهم
للفضل اشد بذلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة رضي الله تعالى عنهم لو
انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لقلة الموجود اذ ذاك وكثرة
بعده واما من الفاعل والضمير في حبه لله اي على حب الله وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف
للمفعول وقال الفضيل بن عياض على الطعام الطعام مسكينا اي محتاجا احتياجا بينا
فصاحب الاحتياج الكثير اولى ويتيما اي صغير الاب له واسيرا اي في ايدي الكفار
وخصوهولا بالذكر لان المسكين عاجز عن الاكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم فان
من يكتسب له وبقي عاجزا على الكسب لصغره والاسير لا يتمكن لنفسه فضرا ولا حيلة
وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس فيدخل في ذلك المملوك والمسجون و
الكافر الذي في ايدي المسلمين وقد قتل في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضي الله
تعالى عنهم كان يوثر اسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك
الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المراة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان اي اسراء وقوله تعالى
انما نطعمكم على اضمار القول اي يقولون بلسان المقال او الحال انما نطعمكم ايها المحتاجون
لوجه الله اي لذات الملك الذي اتجمع الجلال والاكرام لكونه امرا بذلك وغير الوجه

لان

لان الوجه يستحي منه ويرجى ويخشى عند رويته لا يريد منكم اي لاجل ذلك جزاء
اي لنا من اعراض الدنيا ولا شكورا اي لشيء من قول ولا فعل روي ان عايشة رضي الله
تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر
دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم علل قولهم
هذا على وجه التاكيد بقولهم انا نخاف من ربنا اي الخالق لنا المحسن الينا يوما
اي اهوال يوم هو في غاية العظمة وبين عظمته بقولهم عبوسا قال بن عباس
ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء
كقوله نهارك صايم روي ان الكافر يعبس يوميذ حتى يسيل من بين عينيه مثل
القطران وان يشبه في شدته وصوره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل قمطريرا
قال بن عباس طويلا وقال مجاهد وقتادة القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله
في البلاد يقال يوم قمطرير وقماطري اذا كان شديدا كريها ولما كان فعلهم هذا خالصا
لله تعالى سبب عنه جزاهم فقال تعالى فوقاهم الله اي الملك الاعظم بسبب خوفهم
شر ذلك اليوم اي العظيم ولابد لهم من نعيم ظاهر وباطن ومكن يقيمون فيه يعيشون
وملبس وقد اشار الى الاول بقوله تعالى ولقاهم اي اعطاهم بضرة اي حسنا دايما في
قلوبهم واشار الى الثاني بقوله تعالى وسرورا اي عاليا في قلوبهم دايما في مقابلة خوفهم
في الدنيا واشار الى الثالث بقوله تعالى وجزاهم بما صبروا اي بسبب ما اوجدوا من
الصبر على العبادة من لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات
وبذل المحبوب جنة اي ادخلوا بستانا جامعا ياكلون منه ما يشتهون جزاء
على ما كانوا يعملون وان كان غيرهم يشاركهم في ذلك دونهم في الجزاء واشار
الى الرابع بقوله تعالى وحريرا اي البسوه اي هو في غاية العظمة وما رواه البيهقي وي
تبعا للزمخشري عن بن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة
جارية لهما صوم ثلثة ايام ان برءا فشفيا وما معهما شيء فاستقرض علي من
شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة اصبع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت
خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال

السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موايد الجنة
فاثروه وماتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا وضعوا الطعام بين ايديهم فوقف
عليهم يتيم فاثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا من ذلك زاد في الكسان فلما
اصبحوا اخذ علي رضي الله تعالى عنه بيد الحسن والحسين فاقبلوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال اما اشد ما يسوني بكم وقام
فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك
فنزل جبريل وقال خذها يا محمد اي السورة هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة حديث موضوع
ثم بين خالهم فيها بقوله تعالى متكئين فيها اي الجنة واختلفوا في اعراب متكئين فقال الجلال
المحلي حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال ابو البقاء يجوز ان يكون حالا من المفعول
في جزاهم وان يكون صفة واعترض عليه في كونه صفة بانه لا يجوز عند البصريين لانه كان
يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له وقيل انه من فاعل صبروا و
اعترض بان الصبر كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة واجيب بانه يصح ان يكون حالا مقدرة لان
ما لهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة ثم اشار الى زيادة رفعتهم بقوله تعالى على الارائك اي
السرر في المجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل الارائك الفرش على السرر وقوله
تعالى لا يرون فيها اي الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم في الاولى ومن جوز ان تكون
الاولى صفة جوزه في الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون
حالا متداخلة شمسا اي لا حرا ولا يرون فيها زمهريرا اي بردا شديدا فالاية من الاحتباك
دل نفي الشمس اولا على نفي القمر ودل نفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على نفي الحر الذي
سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة منفية عن النيرين لانها منيرة بذاتها واهلها
غير محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة معتدلة دايما بخلاف
الدنيا فان فيها الحاجة الى ذلك والحر والبرد فيها من فيح جهنم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفس في الشتا
ونفس في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر من
سمومها وقيل الزمهرير بلغة طي واشد ليلة ظلامها قد اعتكر وقطعها والزمهرير
ما زهره ويروي ما ظهر ودانية اي قريبة مع الارتفاع عليهم ظلالها اي شجرها من

غير

عمران يحصل منها ما بين ميل الاعتدال واختلف في نصب دانية فقال البغوي عطف على متكئين
وقال الجلال المحلي عطف على محل لا يرون وذكره البغوي بعد الاول بصيغة قيل قال البيضاوي
او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف
يحصل الظل اجيب بان انتجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار
مظلة منها وان كان لا شمس ولا قمر كما ان اساطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ
ولا شعث ثم وذللت قطوفها جمع قطف بالكسر وهو العنقود وانثم للثمار المقطوفة
اي المجنية تذليلا اي سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من
يريد احدها على اي حالة كانت من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا او مضطجعين تدلت اليهم
وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال وقال البيضاوي اذللت لهم فهم يتناولون
منها كيف شاءوا فمن اكل قائما لم يوذه وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم لامر الله
تعالى ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى ويطاف
اي من اي طائف كان للكثرة المجرم عليهم بانية جمع انا كسقاة واسقية وجمع الانية
اوانى وهي ظروف المياه ومعنى يطاف اي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا
الشراب ثم بين تلك الانية بقوله تعالى من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما
في الجنة الا الاسم اي الذي في الجنة اشرف واعلا ولم يبق الانية الذهبية بل المعني
يسقون في الاواني الفضة وقد يسقون في الاواني الذهب كما قال تعالى سراويل تقيكم
الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على الاخر ولما جمع الانية خص فقال تعالى واكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول
الى اداره كانت اي تلك الاكواب كونا هو من جبلتها قواريرا اي كائنة بصفة القوارير
من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق جمع قارورة وهي ما اقر فيه الشراب ونحوه من
كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج ولما كان راس اية وكان التعبير بالقوارير
ربما افهم انها من الزجاج وكان في الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة
قال تعالى سعيد اللفظ اول الاية الثانية تاكيد الاتصاف بالصالح من اوصاف
الزجاج وبيانا لنوعها قواريرا من فضة اي فجمعت صفاتي الجوهرين المتباينين

صفا الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقال الكلبي اذا اراد تعالى
جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يرون
منها وقرانا فع وشعبة والكسائي وصلا بالتنوين فيهما واوقفهم ابن كثير في الاول
دون الثاني والباقون بغير تنوين واما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون وقف
بغير الف لاشتراكهما فانه وقف بالالف على الثاني بالالف وفي الوصل لم ينون فالقراءات
حينئذ على خمس مراتب احدها تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم
تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول والوقف على الالف وعلى الثاني
دونهما الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالف وعلى الثاني بدونها واما
من تنوينهما فلما مر في تنوين سلاسل لانهما صيغة منتهى الجموع ذاك على مفاعل وذا
على مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل التنوين فاما عدم تنوينهما وعدم الوقف
بالالف فظاهر واما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين رؤس
الاي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى
الثاني بغير الف ظاهر واما من لم ينونهما ووقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها
فلان الاول رأس اية فناسب بينه وبين رؤس الاي في الوقف بالالف وقرأ بينه وبين
الثاني لانه ليس برأس اية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه ناسب بين
الاول وبين رؤس الاي وناسب بين الثاني وبين الاول وقال الزمخشري وهذا هو
التنوين بدل من الالف الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني لانهم
يا نون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق للترنم كقوله ياصاح ماهاج العيون الزرفن
وقوله تعالى قدروها تقديرا صفة لقوارير من فضة والواو في قدروها وجهان
ان احدهما انه للطائف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون
على تقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا والثاني انه للطائفين بهما
دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا واشاروا بها على قدر الراي وهو الذ
للشاربين لكونه على مقدار حاجة لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد والاعمش وعن ابن
عباس قدروها على ملا الكف حين لا تؤذونهم يتنقل وعن ابن عباس اواني اصغر من
البقار تكون الجملة مستانفة ويسقون اي حمن اراد وه من خدمهم الذين يخصون

كرة

فيها اي في الجنة وقلك الاكوان كاسا اي خمرا فانا كان مزاجها اي ما تمزج به على
غاية الاحكام زنجبيلا اي غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج به
لهضمه وتطييبه الطعم والزنجبيل نبت معروف وسمي الكاس بذلك لوجود طعم الزنجبيل
قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واربا مشورا وقال ابن عباس
وكان طعم الزنجبيل به اذاه فقته وسلسله الخمر وقوله تعالى عينا فيها اي الجنة بدل
من زنجبيلا وكون الزنجبيل عينا فيه خرق للعوايد لان الزنجبيل عندنا شجر يحتاج
في تناوله الى علاج بين انه هناك عين لا يحتاج في صيرورته زنجبيلا الى ان هو
يخلق الارض بتحميم فيها حتى يصير شجرا يتحول عن طعم الى طعم الزنجبيل تسمى
اي تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها وسموصفها سلسبيلا والمعنى
ان ما تلك العين كالزنجبيل الذي تلتذ به العرب سهل المساغ في الحلق فليس هو كالزنجبيل
الدنيا يلذع الحلق فتصعب اساغته والسلسل والسلسال ما كان من الشراب
غاية في السلاسة زيدت فيه الالف زيادة في المبالغة في هذا المعنى وقال مقاتل وبن
حيان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش
في جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل
وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة
وانما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصود وصف الطايفين هم في الطائفة
المشهودة بقوله تعالى ويطوف عليهم اي بالشراب وغيره من الملاذ والحجاب ولدان
اي غلمان هم في من هو دون البلوغ ثم هم بعد البلوغ شباب وفتيان واطفال وذراري
الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبابا وفتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين
ثم بعدها شيوخ والتقاط بعضهم خلف من القرآن في بعض الانبيا عليهم الصلاة والسلام
قال الله تعالى في حق يحيى واتيناه الحكم صبيا وفي حق عيسى تكلم الناس في المهد وكهلا
وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتاكم يقال لهم ابراهيم وعن يعقوب انهم لما يتنخا كبيرا
قالوا واقل اهل الجنة من يخدمه الف غلام ويعطى في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرا
حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصفهم تعالى تلك الغلمان بقوله
تعالى مخلدون اي حكم من لا يريد حكمه بان يكونوا كذلك دايما

من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك الحد مع انهم مزينون بالحلى وهو الحلق والاساور
والقرط والملابس الحسنة اذا رايتهم اى يا اعلا الخلق وانت اثبت الناس نظرا م
وانها الراى الشامل لكل راى فى اى حالة رايتهم فيها حسبتهم اى من بياضهم وصفا
الوانهم وانتشارهم فى الخدمة لولوا منثورا اى من سلكه او من صدقه وهو احسن
منه فى غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشيهم الله تعالى لخدمة المومنين وقال
بعضهم اطفال المومنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال بن برجان والله اعلم انهم من علم
الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار ويكون خدما لاهل الجنة كما كانوا لنا فى الدنيا سبيا
وخداما واما اولاد المومنين فيلحقون بابايهم سنا وملكا وسرورا لهم ويويد هذا
قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابراهيم عليه السلام ان له لظيرا تتم رضاعه فى الجنة
فانه يدل على انتقال شانه فيما هناك وكتنقله فى الاحوال فى الدنيا ولا دليل على
خصوصيته بذلك وقرا السوسى وشعبة بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا
واذا وقف حمزة بابدال الابدال الاولى والثانية من ولما ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان
بقوله تعالى واذا رايت اى وجدت منك الروية ثم اى هناك فى اى مكان كان فى
الجنة واى شى كان فيها وقوله تعالى رايت جواب اى اذا رايت نعيما اى ليس فيه
كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف وملكا كبيرا اى لم يخطر على باله مما
هو فيه السعة وكثرة الموجود والعظمة قال سفيان الثورى بلغنا ان الملك الكبير تسليم
الملايكة عليهم وقيل كون السجان على روسهم كما تكونوا على روس الملوك وقال الحكيم
الترمذى هو ملك التكوين اذا ارادوا شيا قالوا له كن فيكون وفى الخبر ان الملك
الكبير هو ان ادناهم منزلة اى وما فيهم دين الذى فى ملكه مسيرة الف عام ويرى
اقصاه كما يرى ادناه وان اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه كل يوم اى قدر
يوم من اياه الدنيا مرتين ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم
بقوله تعالى عاليهم اى فوقهم ثياب سندس هو ما رق من الحرير خضر واستبرق وهو ما غلظ
من الديباج فهو البطاين والسندس الظهاير وقرا نافع وحمزة عاليهم بسكون اليا بعد اللام وكسر الها
والباقون بفتح اليا وضم الها لان اليا لما سكنت كسرت الها ولما تحركت ضمت الها فاما قراة نافع وحمزة
ففيهما اوجه اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا موخر واما قراة الباقين ففيهما ايضا اوجه

اظهرها

257

اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا موخر كانه قال فوقهم ثياب قال ابو
البقا لان عاليهم بمعنى فوقهم والضمير فوقهم المتصل به للمعطوف عليهم او للخادم والمخدوم
جميعا وان كانت فتتفاوت بتفاوت الرتب وقرا نافع وحفص خضر واستبرق برفعهما م
وقرا حمزة والكسائى بخفضهما وقرا ابو عمرو وبن عامر برفع خضر وجر استبرق وقرا ابن
كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراات فى ذلك اربع مراتب الاولى رفعهما
الثانية خفضهما الثالثة رفع الاول وخفض الثانى الرابعة عكس ذلك فاما القراة الاولى
فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اى
وثياب استبرق واما القراة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا
وصف المفرد بالجمع فقال مكى هو اسم جمع وقيل جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم
الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشى السحاب الثقال واعجاز نخل منقعر ومن الشجر
الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مراد به الجنس بالجمع فى كقولهم اهلك الناس
الدينار الحمر والدرهم البيض وفى التنزيل او الطفل الذين فلان يوجد ذلك فى اسما
الجموع او اسما الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تا التانيث بطريق الاولى وجر استبرق
نسقا على سندس اى ثياب لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراة الثالثة
فرفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نسقا على سندس اى ثياب خضر من استبرق ومن سندس
فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا الخضر واما القراة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس
ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق ثم اخبر تعالى على
تحليتهم بقوله تعالى وحلوا اى المخدوم والخادم اساور من فضة وان كانت تتفاوت
بتفاوت الرتب وهى بالغة من الاعضا ما يبلغه التحجيل فى الوضو كما قال صلى الله عليه
وسلم الحلية من المومن حيث يبلغ الوضو ولذلك كان ابو هريرة يرفع الى المنكبين والى الساقين
تنبيه قال هنا اساور من فضة وفى سورة فاطر يحلون فيها اساور من ذهب ولولو وفى
سورة الحج يحلون فيها اساور من ذهب ولولو فقيل على الرجال الفضة وعلى النسا الذهب وقيل تارة
يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع بين يدى احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة
فضة وسواران من لولو لتجمع لهما محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل يعطى م
كل احد ما يرغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولد

ان اسورة لذهب للنسا وهذا للنسا والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات
وسقاهم ربهم اى الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم شرابا طهورا اى ليس هو
كشراب الدنيا سواكان من الخمر او اللبن او الماء من غيرها فهو بالغ الطهارة وقال علي رضى
الله عنه اذا توجه اهل الجنة مروا بشجرة تخرج من ساقها عينان فيشربون من احداها
فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون
من الاخرى فيخرج ما فى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعى وابو قلابة هو اذا شربوه بعد كلامهم طهرهم
وصار اما اكلوه وشربوا شبه مسك وضمر بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على
باب الجنة من شرب منها نزع الله تعالى ما كان فى قلبه من غش وغل
وحسد وما كان فى جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة وقال الرازي قوله
تعالى طهورا فى تفسيره احتمالات احدها ان لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة فى
البعد عن الامور المستقذرة لانه لم يصر قسمة الايدى الوضرة وتدوسه الارجل الدنسة
ولم يحمل فى الدنان والاباريق التى لم تعين بتنظيفها وثالثها انه لا يؤدى الى النجاسة
لانها تنشح عرقا من ابدانهم لذ ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور
مطهرا لانه يطهر مواطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل هل هذا
نوع اخر غير ما ذكر قبل ذلك من انهم يشربون من الكافور والزنجبيل والسلسبيل ام لا
اجيب بانه نوع اخر لوجوه اولها رفع ثانيها انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه فقوله
تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فيشربون فيطهر ذلك بدل على فضل هذا دون غيره ثالثها
ما روى انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون
ذلك الشراب فما يبقى لتلك الاشربة بعده شئ ولا هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم ان له مع هذا
الهضم تاثيرا عجيبا وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك و يطهر
شاربه الى اللذات الخسيسة والذنوب على علو الحق فيتخرط لطاعة جلاله منتذ ذا
بلقايه باقيا ببقايه وهو منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة
وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اى على اعمالكم التى كنتم
تجاهدون فيها القكم عن هواها الى ما يرضى ربكم والاشارة الى ما تقدم

من عطا

من عطا الله تعالى لكم وكان اى على وجه الثبات سعيكم مشكورا اى لا تضيع م
شيا منه ونجازى بالكثير منه اضعافا مضاعفة طابين تعالى بهذا القران العظيم
الموعد والوعيد ذكر سبحانه انه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة ولا شعر بقوله
تعالى انا نحن اى على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا عليك وانت اعظم
الخلق انزالا استعلى حتى صار المنزل خصلة لذلك القران اى الجامع لكل هدى تنزيلا
قال ابن عباس متفرقا اية اية ولم ينزل جملة واحدة وقال الرازى والمقصود من هذه الاية
تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما انبوا به صلى الله عليه وسلم
من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان
هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله تعالى الملك الحق اقول على سبيل التاكيد
ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى وفى ذلك فايدتان الاولى ازالة
الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته
على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له انى ما نزلت القران عليك متفرقا الا لحكمة
بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن فى
القتال فاصبر لحكم ربك اى المحسن اليك قال ابن عباس اصبر على اذى المشركين نسخ بآية
القتال وقيل اصبر لما يحكم عليك به من الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر
عليهم ولا تستعجل فانه كاين لا محالة ولا تطع منهم اى الكفرة الذين هم اضرك الكرين
اثما اى داعيا الى الاثم سواكان مجردا عن مطلق الكفر ومصاحباله او كفورا اى مبالغا
فى الكفر داعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما فى الدنيا فان الحق اكبر من كل كبير وقال قتادة هو
الاثم والكفور ابو جهل وذلك انه لما وضعت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
نهاه ابو جهل عنها وقال لين رايت محمدا يصلى لاطاف على عنقه وقال مقاتل الاثم بالاثم
عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة وكانا اتيا النبى صلى الله عليه وسلم يعرضان
عليه الاموال وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى ويترك ما هو عليه
فقرا عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما لصاحبه
ظننت ان الكعبة تستقع على فان قيل كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة

والترجيح على ان ذكر النبى عليه السلام عقيب ذكر ابليس وكانت
النسا مع

في قوله تعالى اثما او كفورا اجيب بان معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم هو
داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوا الى مساعدتهم
الى فعل هو اثم او كفر او غير اثم وغير كفر فنهي ان يساعد على الاثنين دون الثالث ثم قال
فان قيل لم عطف احدهما فلا دخل بالواو ليكون نهيا عن اطاعتهما جميعا
اجيب بانه لو قال ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما علم ان المنهي عن طاعة احدهما
نهي عن طاعتهما جميعا انتهى كما اذا نهى ان يقول لابويه ان علم انه نهى عن ضربهما
بطريق الاولى فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا منهم فما فائدة
هذا النهي اجيب بان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد
لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى النساء وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله
تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دايما
البداء ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم لابد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه ان
يصونه عن الشهوات واذكر اي في الصلاة اسم ربك اي المحسن اليك بكل جميل
بكرة اي الفجر واصيلا اي الظهر والعصر ومن الليل اي بعضه والباقي للراحة بالنوم
فاسجد له اي المغرب والعشاء وسبحه ليلا طويلا اي صل التطوع فيه كما تقدم
من ثلثيه او نصفه او ثلثه او اذكره بلسانك بكرة عند قيامك من منامك
الذي هي الموتة الصغرى وتذكرك انه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا واصيلا
اي عند انقراض نهارك وتذكرك انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل يوم الفصل
وفي ذكر الموقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسم لازم لذكره والذي عليه اكثر
المفسرين الاول قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة لان
الصلاة افضل الاعمال البدنية لانها اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان
والاركان فوضعت فيها اركان لسانية وحركات وسكنات على هيآت مخصوصة
من عادتها ان لا تفعل الا بين يدي الملوك ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتفظيم والامر والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى
ان هؤلاء اي الذين يغفلون عن الله من الكفار والمتمردين يحبون اي محبة تجدد
عندهم زيادتها في كل وقت العاجلة لقصور نظرهم جمودهم على المحسوسات التي

الاقبال عليها منشأ البلادة والقصور ومعدن الامراض للقلوب التي في الصدور
ومن تعاطي اسباب الامراض مرض وسمي كفورا ومن تعاطى منه ذلك اشقى وسمي شاكرا
ويذرون اي ويتركون وراءهم اي اقدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنه معرضون
كما يفرض الانسان عما وراءه او خلف ظهورهم لا يعتبرون به وقوله تعالى يوما ثقيلا
لا ظرف وقوله تعالى ثقيلا وصف وصف له لتعميره الثقل شدة وهوله من الشيء الثقيل
الباهظ لحاله ونحوه ثقلت في السموات والارض نحن خلقناهم اي بما لنا من العظمة
لا غيرنا وشددنا اي قوينا اسرهم اي توصيل بعضنا ببعض وتوثيق عظامهم
بالاعصاب بعد ان كانوا نطفا امشاجا اي غاية الضعف واصل الاسر الربط و
التوثيق ومنه اسر الرجل اذا وثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق
واذا شئنا اي بما لنا من العظمة ان نبدل مانشاء من صفاتهم وذواتهم بدلنا امثالهم
اي جئنا باممثالهم بدلا منهم اما بتهلكهم وناتي ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير صفاتهم
كما شوهد في بعض الاوقات في المسخ وغيره وقوله تعالى تبديلا تاكيد قال الجلال
المحلي ووقعت اذا موقع ان لخوان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا لما يقع
وفي ذلك رد لقول الزمخشري وحقه ان يجيء بان باذا كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ان هذه اي السورة تذكرة او الايات القريبة تذكرة اي
عظة للخلق فان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوايد جمة
للطالبين السالكين فمن شاء اي بان يجتهد في وصوله الى ربه
اتخذ اي اخذ بجهده من مجاهدة نفسه ومغالبة هواه الى ربه اي المحسن اليه
الذي ينبغي له اي بحيث يجمع جوارحه وقلبه ويجتهد في القرب منه سبيلا اي طريقا
واضحا سهلا واسبابا فعال الطاعة التي امر بها الان بينا الامور بغاية البيان
وكشفنا اللبس وانزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استراق الطريق غير
مشيتنا وما تشاؤن اي في وقت من الاوقات شيا من الاشيا وقرا ابو عمرو وابن
كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف حمزة سهل
الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها واوا مع المد والقصر الا وقت ان يشأ الله اي
الملك الاعلى الذي له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدم وقد صح بهذا ما قال

الاشعري وساير اهل الجنة من ان للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله تعالى
وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون انا نخلق افعالنا ومذهب الجبرية القايلين
لا فعل لنا اصلا ومثل الملوي ذلك بمن يريد قطع بطيخة فحدد سكينة وهياها
واوجد فيها اسباب القطع وازال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة فهي لا
تقطع دون ان يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها ما لا يصلح
للقطع كحطبة مثلا لم تقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله وهياه
بما اعطاه من القدرة للفعل فمن قال اخلق فعلي مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع
بمجرد وضعها من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد اصلا كان
كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده او قصبه ملسا من غير سكين والذي يقول
انه باشر بقدرته المهيئة لفعل يخلقه الله تعالى لها في ذلك الفعل كمن قال ان
السكين قطعت بالتحامل عليها بهذا اجرى الله تعالى عادته في الناس ولو شا غير ذلك
فعل ولا يخفى ان هذا الحق الذي لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم بقوله
تعالى ان الله اي المحيط علما وقدرة كان اي ازلا وابدا عليما اي بما يستاهل
كل احد حكيما اي بالغ الحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشا غيره ما لم ياذن فيه
فمن علم في حيلته خيرا اعانه عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى
قوله تعالى يدخل من يشا اي ممن علمه من اهل السعادة في رحمته اي جنته وهم
المومنون وقوله تعالى والظالمين اي الكافرين منصوب بفعل يفسره وقوله تعالى
اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجمل المعطوف عليها عذابا اليما اي مولم فهم فيه
خالدون ابد الابدين وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال
من قرا سورة هل اتى كان جزاوه على الله جنة وحريرا حديث موضوع ٥ سورة
والمرسلات عرفا مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس
وقتادة الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فمدنية وقال ابن مسعود
نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ومعه نسير حتى اوينا الى غار منى
فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها ان وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم اهـ والغار المذكور مشهور في منى وقد زرته ولله
الحمد

260

الحمد وعن قريب مولى بن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام
الفضل امراة العباس فبكت والله يا بني لقد اذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر
ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية
واحدى وثمانون كلمة وثمانماية وستة عشر حرفا بسم الله الملك الحق المبين الرحمن
المنعم على الخلق اجمعين الرحيم الذي خص بكرامته عباده المومنين والمرسلات عرفا
اي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلوا بعضها بعضا ونصبه على الحال هذا ما عليه
الجمهور من انها الرياح قال تعالى وارسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق
عن عبد الله قال هي الملايكة ارسلت بالعرف من الله تعالى ونهيه والخير والوحي وهو
قول ابي هريرة ومقاتل والكلبي وقال بن عباس رضي الله عنهما هم الانبيا عليهم السلام
ارسلوا بلا اله الا الله وقال ابو صالح هم الرسل تنزيل بما يعرفون به من المعجزات وقيل
المراد السحاب لما فيها من نعمة ونعمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلنا اليه فالعاصفات
اي الرياح الشديدة عصفا اي عظيما بما لها من النتايج الصالحة وقيل الملايكة شبهت بسرعة
جريها في امر الله تعالى بالرياح وقيل الملايكة تعصف بروح الكافر يقال عصفه بالشي
اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف بركابها فتمضي كانها ريح في السرعة
وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل
والخسوف والناشرات نشرا اي الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن هي الرياح التي
يرسلها الله تعالى بين يدي رحمته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه وروى
عن السدي انها الملايكة تنشر كتب الله وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله
تعالى باعمال العباد تنبيه انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استانف قسم اخر
فالفارقات فرقا اي الرياح تفرق السحاب وتبدده وقال مجاهد وعن بن عباس هي الملايكة
تفرق الاقوات والارزاق والاجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر الله تعالى ونهى عنه
ان يبينوا ذلك وقيل ايات القران تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام فالملقيات
ذكرا اي الملايكة تنزل بالوحي الى الانبيا والرسل عليهم السلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحده
سمي باسم الجمع تعظيما فان قيل ما المناسب على هذا بين الرياح
والملايكة في القسم اجيب بان الملايكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم و سرعة

وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم وذكرا
مفعول به ناصبه الملقيات عذرا او نذرا مصدران من عذر واذا محا الاساءة
ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر يجوز ان يكون جمع عزيز بمعنى المعذور
وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى العاذر والمنذر ونضمها اما على البدل من ذكرا على
الوجهين الاولين وعلى المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين
او منذرين وقرا او نذرا نافع وبن كثير وبن عامر وشعبة بضم الذال والباقون
بسكونها وقوله تعالى انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه
من مجيء القيامة كاين لا محالة وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر
لواقع ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى فاذا النجوم اى على كثرتها طمست اى محى نورها
او ذهب نورها ومحق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت قال
الزمخشري ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السما اى على عظمها فرجت
اذا فتحت وشققت فكانت ابوابها والفرج الشق ونظيره الى السما الشقت واذا
الجبال اى على صلابتها نسفت اى ذهب بها كلها سرعة من نسفت الشي اذا اخطفته او
نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا
واذا الرسل اى الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوا وقتت قال مجاهد والزجاج المراد
بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم اى جمعت لميقات
يوم معلوم وهذا يوم القيمة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشي الموخر اليه فا لمعنى
جعل لها وقت اجل للفصل والقضى بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرا
ابو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بينهم
بين الواو والهمزة كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى لاي يوم اى عظيم متعلق
بقوله تعالى اجلت وهذا الجملة معمولة لقول مكي مضمر اي يقال لاي يوم اجلت
اى اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وتعجيب له وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وقيل اللام
بمعنى الى ذكره مكي قال بن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلايق كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
ثم اتبع هذا التعظيم تعظيما اخر بقوله تعالى وما ادراك ما يوم الفصل اي ومن اين تعلم كنهه
ولم تر مثله في شدته ومهابته وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وبن ذكوان بخلاف عنه
بالامالة

261

بالامالة محضة وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح ثم اتبعه تهويلا ثالثا بقوله
تعالى ويل يوميذ اي اذ يكون يوم الفصل للمكذبين اي بذلك قال القرطبي ويل عذا ب
وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب
بشي عذاب تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه لغيره
لانه اقبح في تعظيمه واعظم في الرد على الله تعالى وانما يقسم له من الويل على قدر
ذلك وعلى قدر وفاته وهو قوله تعالى جزا وفاقا وقيل كرره اعني تكرار
التخويف والوعيد وروي عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوا د
العذاب وقال بن عباس وغيره وروي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت
على جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا انه مجمع ما يسيل من قيح اهل
النار وصديدهم وانما يسيل الشي فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان
شبر المواضع ما ستقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسلات والجيف وماء
الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه
لا شي اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا تنبيه ويل مبتدا ونوع المبتدا
به الدعا ويل يوميذ ظرف للويل وللمكذبين خبره وقال الزمخشري فان قلت
كيف وقع النكرة مبتدا قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله
لكنه عدل به الى الرفع لدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعوا عليه
ونحو سلام عليكم واعترض بان الذي ذكره ليس من المسوغات التي ذكرها
النحويون وانما المسوغ كونه دعا وفايدة العدول الى الرفع ما ذكره الم نهلك
اي بما لنا من العظمة الاولين من لدن ادم عليه السلام الى زمن محمد صلى
الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم اي اهلكناهم ثم
نتبعهم الاخرين اي ممن كذب ككفار مكة فنهلكهم كما اهلكنا الاولين ونسلك
بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل
بالمجرمين اي بكل من اجرم فيما يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك ويل يوميذ
اي بايات الله وانبيايه قال البيضاوي فليس تكرار وكذلك ان اطلق التكذيب
او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول بعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا

مع ان التكرير للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم اي ايها المكذبون بما لنا من
من العظمة التي لا تغيرها عظمة من ما مهين اي ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع اخر
من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما
كان نعمة عليهم عليه اكثر كان خيانته في حقه اقبح وافش الثاني انه تعالى ذكرهم
انه قادر على الابتدا والقادر على الابتدا قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظا
هرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالى
ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين وقرا كل القرا بادغام القاف في الكاف وابقا
الصفة ولهم ايضا ادغام الصفة مع الحذف فجعلناه اي بما لنا من العظمة من القدرة
والعظمة بالانزال للما في الرحم في قرار اي مكان مكين اي حريز وهو الرحم الى قدر
معلوم اي وهو وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما
في الارحام فقدرنا اي دون غيرنا فنعم القادرون نحن وقرا نافع والكسائي بتشديد
الدال فيصح على هذه القراة ان يكون المعنى فقدرناه والباقون بالتخفيف وقال علي
كرم الله وجهه ولا يبعد ان يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحد لان العرب تقول
قدر وقدر عليه الموت ويل يومئذ اي اذا كان ذلك للمكذبين اي بقدرتنا على
ذلك او على الاعادة وقوله تعالى الم نجعل اي نصير بما شينا بما لنا من العظمة الارض
كفاتا مصدر كفت بمعنى ضم وعاضمه احيا على ظهرها في الدرور وغيرها وامواتا
في بطنها في القبور وغيرها وقيل الاحيا والاموات يرجع الى الارض اي الارض منقسمة
الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت وقيل كفاتا جمع كافة كصيام وقيام
جمع صايم وقايم وقال الخليل تقليب الشي كظهر البطن او بطنا لظهر ويقال انكفت
القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى الكفاة انهم يتصرفون على ظهرها وينقلون
اليها فيدفعون فيها وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة فيها اي الارض رواسي
اي جبال لولاها لمادة باهلها ومن العجايب رواسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن
شامخات اي مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه وشمخ بانفه اذا تكبر
جعل كناية عن ذلك كمثنى العطف وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصعر خدك للناس و
اسقيناكم اي بما لنا من العظمة ما اي من الانهار والعيون والابار وغير ذلك فراتا اي عذبا تشربون

منه

منه ودوابكم وتسقون زرعكم وهذه الامور اعجب من البعث روي في الارض من الجنة
سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة ويل يومئذ اي اذ تقوم الساعة
للمكذبين اي بامثال هذه النعم وقوله تعالى انطلقوا على ارادة القول اي يقال للمكذبين
يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها
عيانا انطلقوا الى ظل اي ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب
اي تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوايب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط
بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ حسابهم
والمومنون في ظل العرش وقيل ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين لانها
اوصاف النار وقوله تعالى لا ظليل اي كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد
لما يوهم لفظ الظل ولا يغني اي ولا يرد عنهم شيا من اللهب اي لهب النار فليس كالظل
الذي يقي حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل الذي المومنين واللهب
ما يعلوا على النار اذا اضطربت من احمر واصفر واخضر انها اي النار ترمي اي من شدة
الاستعار بشرر وهو ما تطاير من النار كالقصر اي كل شررة كالقصر قيل هي الخشب العظا م
المقطعة قال وكنا نعمه الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها
للشتا فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول النخل والشجر العظام
واحدتها قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى كانه اي الشرر جمالات قرا حمزة والكسائي
وحفص بغير الف بعد اللام على التوحيد والباقون بالالف على الجمع جمع جمالة وهي
التي قرا بها اولا وهي جمع جمل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى صفر جمع اصفر اي في هيئتها
ولونها وفي الحديث شرار النار اصفر كالمقير والعرب تسمي سود الابل شعر الثوب
سوادها بصفرة فقيل صفر في الاية بمعنى سود لما ذكروا في شعر عمران بن حطاب
الخارجي • دعتهم باعلا صوتها ورمتهم • بمثل الجمال نزاعة الشوي • قال الترمذي
وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون من يشوبه شي قليل فينسب كله الى ذلك
الشايب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نسلم شيا من هذا في اللغة
وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا ويل يومئذ
اي ان يكون ذلك للمكذبين اي بهذا الامور العظام هذا اي يوم القيمة يوم

لا ينطقون اي بشي من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع اخر من انواع تخويف الكفار بين
انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبايح وهذا في بعض المواقف فان يوم القيمة
يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامر
ان في القران الكريم نفي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا
ينطقون وروي عكرمة ان بن عباس ساله بن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا تسمع الا هما واقبل بعضهم على بعض يتسالون فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقال
الحسن فيه اضمار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كلا نطق لانه
لا ينفع ولا يسمع ومن نطق بما لا ينفع فكانه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد
ما قلت شيا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يوذن لهم
اي في العذر وقوله تعالى فيعتذرون عطف على يوذن من غير تسبب عنه فهو داخل
في حيز النفي اي لا اذن فلا اعتذار ويل يوميذ اي اذا كان هذا الموقف للمكذبين
اي الذي لا تقبل منهم معذرة هذا يوم الفصل وهذا نوع اخر من انواع تهديد
الكفار وتخويفهم اي يقال لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق فيتبين
الحق من المبطل جمعناكم اي ايها المكذبون من هذه الامة بما لنا من العظمة والاولين
من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا قال بن عباس جمع الذين كذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى فان كان لكم
كيد اي حيلة في دفع العذاب عنكم فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقارون
ولن تجدوا ذلك تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه ويستحيل عليهم
بالعجب وقيل ان ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه
السلام فكيدون جميعا ثم لا تنظرون ويل يوميذ للمكذبين اي يوم اذ يقال لهم
هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم للمكذبين اي الراسخين في التكذيب في ذلك
ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك لانهم في مقابلة
المكذبين في ظلال اي تكاثف اشجار اذ لا شمس يظل من حرها وعيون اي من ما
وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها انهار من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه

وانهار

وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص
بضم العين والباقون بكسرها وفواكه مما يشتهون بهذا اعلام بان الماكل والمشرب
في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الاغلب وقوله تعالى
كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم
مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وقوله تعالى هنيا حال اي متهنين بما اي بسبب
ما كنتم تعملون من طاعات الله تعالى انا اي بما لنا من العظمة كذلك اي كما جزينا
المتقين هذا الجزا العظيم نجزي المحسنين اي تثبيت الذين احسنوا في تصديقهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا ويل يوميذ اي اذ يكون هذا النعيم للمتقين
والمحسن للمكذبين اي الذين تمحض لهم العذاب المخلد وهم في النعيم المويد وقوله تعالى
كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا اي من الزمان وغايته الى الموت
وهو زمان قليل لانه زايل مع قصر مدته في زمن الاخرة ايذانا بانهم قليل كانوا
كانوا في الدنيا احقا بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمحة بما جنوا
على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وهذا ما جرى عليه الزمخشري
اولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلي على ما ذكرته اولا وهو اولى قال بعضهم التمتع
بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمانان اليها من
افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من
افعال عدام المومنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل
خطرا من ان يوثر فيهم حب الدنيا وبغضها وتركها ثم علل ذلك موكدا بقوله تعالى لانهم
ينكرون وصفهم بذلك انكم مجرمون ففيه دلالة على ان كل مجرم يتمتع اياما قلايل
ثم البقا في الهلاك ابدا ويل يوميذ اي اذ تعذبون باجرامكم للمكذبين حيث عرضوا
انفسهم للعذاب الدايم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اي لهولا المجرمين من اي قايل
كان اركعوا اي صلوا الصلاة التي فيها الركوع كما نقل بن عباس رضي الله عنهما واطلقوه تعالى
عليها تسمية لها باسم جزيها وخص هذا الجزا لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه
خاص بصلاة المسلمين لا يركعون اي لا يصلون قال الرازي وهذا ظاهر لان الركوع
من اركانها فبين تعالى ان هولا الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة

لايصلون ويجوز ان يكون اركعوا بمعنى اخشعوا وتواضعوا لله تعالى بقبول وحيه
واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصيرون على استكبارهم
وان يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذ روي انها نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله
عليه بالصلاة فقالوا لا تحي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين
ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جبى تجبية اذا وضع يديه على ركبتيه او على
الارض والكلب على وجهه والتجبية ان يقوم مقام الراكع واستدل بهذه الاية على ان هؤ
الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة
لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى ان الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم لكفرهم اجيب
بانه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الاية لتركهم المامور به
وقراهام والكساي بضم القاف والباقون بكسرها ويل يومئذ اي اذ يكون الفصل
للمكذبين اي عما امروا به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه
السورة الى اخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال
والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يومنوا بهذه الدلايل
اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي حديث بعده اي القران يومنون اي لا يكون
ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل
عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الاية على ان القران حادث لان الله تعالى
وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا
وجب ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
المرسلات كتب الله تعالى له انه ليس من المشركين حديث موضوع سورة عم
يتسالون وتسمى سورة النبا مكية وهي اربعون او احدى واربعون اية ومايتان
وثلاث وسبعون كلمة وسبعمايه وسبعون حرفا بسم الله الذي له الملك كله الرحمن
اي الذي عم الوجود بفضله الرحيم الذي تحصنت اولياؤه بجنته وقوله تعالى
عم اصله عن ما على انه حرف جر دخل على الها الاستفهامية واذ غمت النون في الميم
وحذفت الف ما كما لو له فيم واستعمال الاصل قليل ومنه قوله حسان . . .

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد ... ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان
كانه قال عن اي اي شي يتسالون ونحوه لكولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم
نظيره كانه شي خفي عليك فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما التمر
وما العسقلان تريد اي شي هو من الاشيا هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى
وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية ولذا الماوقى البزي الحق اليم ها السكت بخلا ف
عنه والضمير في يتسالون لاهل مكة كانوا يتسالون عن البعث فيما بينهم وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا
عليهم القران جعلوا يتسالون بينهم ويقولون ما ذا اجابه محمد ويسالون الرسول والمو منين
عنه استهزا وقيل الضمير للمسلمي والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسالون عنه اما
المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزائهم ذكر ان تسالهم
عم ذا فقال تعالى عن النبا العظيم قال مجاهد والاكثرون هو القران قوله تعالى قل
هو نبا عظيم وقال قتادة هو البعث فان قيل اذا كان الضمير يرجع للكافر فكيف
يكون قوله تعالى الذي هم اي بضمايرهم مع ادعايهم انها اقوى الضمايرفيه مختلفون
مع ان الكفار كانوا متفقين على انكار البعث اجيب بانا لا نسلم اتفاقهم على ذلك
بل كان فيهم من يثبت المعاد الروحاني ومنهم جمهور النصاري واما المعاد الجسماني
فمنهم من يقطع القول بانكاره ومنهم من يشك واما اذا كان المتسال عن القران فقد
اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتسال عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كلا
ردع للمتسايلين منا سيعلمون تاكيد وجي فيه بثم للايذان بان الوعيد الثا ني
اشد من الاول قال الضحاك الاولى للكفار والثانية للمومنين اي سيعلم الكافر
عاقبة تكذيبهم ويعلم المومنون عاقبة تصديقهم ثم اوما تعالى الى القدرة على
البعث بقوله تعالى الم نجعل اي بما لنا من العظمة الارض مهادا اي فراشا كالمهد
للصديي وهو ما يمهد له فيفوم عليه تسمية للمهود بالمصدر كضرب الامير والجبا ل
اي التي تعرفون شدتها وعظمتها اوتادا اي يثبت بها الارض كما ثبتت الخبا
بالاوتاد والاستفهام للتقرير فيدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات
واذا ثبت ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسماواتها

وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة تنبيه مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى
التصيير ويجوز ان يكون بمعنى الخلق فتكون حالا مقدرة وخلقناكم ايا بماد دل على
ذلك من مظاهر العظمة ازواجا اي اصنافا ذكورا واناثا وقيل الوانا وجعلنا اي
بما لنا من العظمة نومكم سباتا اي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات ان ينقطع
عن الحركة والروح فيه وقيل بمعناه جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم وقيل المسبوت الميت
من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد المتوفيتين وقوله تعالى
وجعلنا اي بما لنا من العظمة الليل اي بعد ذهاب الضياء كانه لم يكن لباسا فيه
استعارة اي يستركم عن العيون بظلمته كما اذا اردتم هربا من عدو او بيات ناله او خفا
ما لاتحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال الشاعر

. . . . . .

وكم لظلام الليل عندي من يد ٭ تخبر ان المانوية تكذب ٭ ولما جعل النوم موتا
جعل اليقظة معاشا فقال تعالى وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة النهار اي
الذي ايته الشمس معاشا اي حياة تبعثون فيه عن نومكم او وقت معائش تتقلبون
فيه في حوايجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمعاشا على هذا اسم زمان
وبنينا اي بما لنا من الملك التام فوقكم سبعا اي سبع سموات وقوله تعالى شدادا
جمع شديدة اي قوية محكمة لايوثر فيها مرور الزمان لافطور فيها ولا فروج ونظيره
قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعلنا اي بما لنا من العظمة سراجا لا يقدر عليه
غيرنا سراجا اي منيرا متلاليا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وانزلنا اي بما لنا
من كمال الاوصاف من المعصرات اي السحاب اذا عصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك حز الزرع اي حان ان يحز واعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض وعن الحسن وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السما الى
السحاب فكان السموات عصرن وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب
وقيل الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدرا
خلافه ماجاجا اي منصبا بكثرة يقال ججت وججت بنفسه وفي الحديث افضل الحج
الثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دما الهدي وكان بن عباس يسيل عزيا
يعني بثج الكلام بجاجي خطبته لنخرج اي بعظمتنا التي دبرنا بها المسببات

بالاسباب

265

بالاسباب به اي بذلك الماء حبا اي بحبا ذا حب كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا
كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات اي بساتين تجمع انواع الاشجار
والنبات المختلفة وغيره الفافا اي ملتفة بالنخل جمع لفيف كشريف واشراف وقيل هو
جمع لجمع بمعنى جنة لفاف وجمعها الف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له كالاوزاع
والاخياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علا الطوسي هـ
جنة لفا وعيش مغدق ٭ ونرا من كلهم بيض زهر وقال الزمخشري ولو قيل هو
جمع ملتفة بتقدير حذف الزوايد لكان قولا وجيها ان يوم الفصل اي بين هـ
الخلايق كان اي في علم الله تعالى وفي حكمه كونا لا بد منه ميقاتا اي وقتا للثواب
والعقاب اي وقت لو وقتت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلايق وقوله
تعالى يوم ينفخ في الصور اي القرن بدل يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل
عليه السلام او من اذن الله تعالى له في ذلك فتاتون اي بعد القيام من القبور
الى الموقف افواجا اي جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه
باكيا وقال تحشر عشر اصناف من امتي بعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي هـ
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم فقال بقوله
فاما الذين على صورة القذرة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على
صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكبون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي
فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلما والقضاة الذين خالفت قولهم فعلهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم
فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس
الى السلطان واما الذين هم انتن من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات
ويمنعون حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر

والخيلاء انتهى وقد تكلم في صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هوله ونساله التوفيق
لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لايرد من ساله وفتحت السما اي شقق لنزول الملايكة
فكانت ابوابا فان قيل هذه الاية تقتضي ان السما بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه
اولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا
الارض عيونا كان كلها عيون لاتنفجر ثانيها انه على حذف مضاف اي فكانت ذات ابواب
ثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت تلك الفواتح
المفتوحة ابوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك ان تكشط فينفتح مكانها وتصير
طرقا لايسدها شي وقراعاصم وحمزة والكسائي بتخفيف التاء وقد الفاء والباقون
بتشديدها وسيرت الجبال اي ذهب بها عن اماكنها فكانت سرابا اي لاشي
كما ان السراب كذلك يظنه الراي ماوليس بما قال الرازي ان الله تعالى ذكر احوال
الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينهما بان تقول احوالها الانهدام وهو قوله تعالى
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان يصير كالعهن المنفوش
وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وهو
قوله وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا الحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال
المتقدمة تارة تاتي مواضعها فتوسل الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها في الهوي
وهو قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الحالة الخامسة ان
يصير سرابا اي لاشي كما يري السراب من بعد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام
التا التانيث في السين والباقون بالاظهار ان جهنم اي النار التي تلقى اصحابها
منجهمة لهم بغاية ما يكرهون كانت مرصادا اي ترصد الكفار وموضع رصد يرصد
فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المومنين ليحرسوهم من فيحها في مرورهم عليها
وروي بن عباس ان على جسر جهنم سبع محالس يسال العبد عن اولها عن شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان اجابها تامة جاز الى الثاني فيسال عن
الصلوات فان اجابها تامة جاز الى الثالث فيسال عن الزكاة فان اجابها تامة
جاز الى الرابع فيسال عن الصوم فان جابه تاما جاز الى الخامس فيسال عن الحج
فان جابه تاما جاز الى السادس فيسال عن العمرة فان جابها تامة جاز الى السابع
فيسال

266

فيسال عن المظالم فاذا خرج منها والا فيقال انظروا فان كان له تطوع اكملوا به اعماله
فاذا خرج انطلق به الى الجنة واما الكافر فهو مستمر فيها كما قال تعالى للطاغين اي
الكافرين مابا اي مرجعا يرجعون اليه وقراحمزة لابثين فيها بغير الف بين اللام والباء
الموحدة والباقون بالف وهما لغتان والالف ابلغ قاله البيضاوي وقوله تعالى احقابا
جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنى عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما
كل يوم الف سنة روي ذلك عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه
وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا وقال الحسن ان الله تعالى لم يجعل لاهل
النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ماهو الا انه اذا مضى حقب دخل الى
الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود روي عن عبد الله انه قال لو علم اهل النار انهم
يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا وقال مقاتل حيان الحقب الواحد سبع عشرة
الف سنة قال وهذه الاية منسوخة نسختها فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد
قد ارتفع والخلود قد دخل وعلى تقدير عدم النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا لا يذوقون اي
غير ذائقين فيها اي النار بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب
غير الحميم والغساق من جنس اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب عاما اذا
قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطا الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب
حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا
شرابا تفسير له والا استثنا منقطع يعني لايذوقون فيها بردا قال الحسن وعطا
اي راحة وروحا اي تنفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقونه
فيها حميما اي ماحار اغاية الحرارة وغساقا وهو ما يسيل من صديد اهل النار فانهم
يذوقونه وروي بن عباس ان البرد النوم ومنه قال الكسائي وابو عبيدة تقول
العرب منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم قال الشاعر . . . . . .
فلو شيت حرمت النساء سواكم وان شيت لم اطعم مقاما ولا بردا وقراحمزة والكسائي
وحفص بتشديد السين والباقون بتخفيفها وعن بن عباس الغساق الزمهرير
يحرقهم ببرده جوزوا بذلك جزاء وفاقا اي موافقا لعملهم قال مقاتل واقفى العذاب

الذنب فلا ذنب اعظم من الكفر ولا عذاب اعظم من النار وقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون
حسابا بيان لما وافقه هذا الجزا اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يومنون
بالبعث ولا انهم يحاسبون وكذبوا باياتنا اي بما جات به الانبيا عليهم السلام وقيل القران
وقرا كذبا غير الكسائي التشديد اي تكذيبا قال الفرا وهي لغة يمانية فصيحة يقولون
في مصدر التفصيل فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله ناش في كلام فصحا العرب
لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا اذا سمع بمثله وقرا
الكسائي بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قول الشاعر فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
قال الزمخشري وهل مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا
وتنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى
المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكذبين لانهم اذا كانوا
عند المسلمين كاذبين وكانوا المسلمون عندهم كاذبون فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون
بما هو افرط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وكل شي اي من الاعمال
وغيرها احصيناه اي ضبطناه وقوله تعالى كتابا فيه وجهان احدهما انه مصدر
في موضع احصا والاحصا والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما ان يكون حالا
بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شي احصيناه في امام مبين وقيل اراد
ما تكتبه الملايكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم اي
شيا من الاشيا في وقت من الاوقات الا عذابا تسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالايات قال الرازي وفي هذه الاية مبالغات منها لن للتاكيد ومنها الالتفات ومنها
اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال ابو بردة سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن اشد اية في القران فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وكلما خبت زدناهم سعيرا ولما ذكر تعالى ما للكافرين اتبعه بذكر ما للمومنين
بقوله تعالى ان للمتقين مفازا اي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى حدايق
اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفاز بدل الاشتمال او البعض

اي

اي بيان له وقوله تعالى واعنابا اي كروما عطف على مفازا وكواعب اي جواري تكعب
ثديهن جمع كاعب اترابا اي على سن واحد جمع ترب بكسر التا وسكون الرا وقيل الاتراب
اللذات وكاسا دهاقا اي خمرا مالية محالها وفي القتال وانهار من خمر والدهاق المنزعة
وادهق الحوض ملاه حتى قال تطفي وقال ابن عباس منزعة مملوة وقال عكرمة صافية لا
يسمعون فيها اي الجنة في وقت ما عند شرب الخمر وغيره من الاحوال لغوا اي لفظا
يستحق ان يلغى بان يكون ليس له معنى وقوله تعالى ولا كذابا قراه بالتخفيف الكسائي
وبالتشديد الباقون اي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب
الخمر جزا من ربك اي المحسن اليك بما اعطاك جزاهم بذلك جزا وقوله تعالى عطا بدل من جزا
وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري منصوبا بجزا نصب المفعول به ورده ابو حيان
بانه جعل جزا مصدرا موكدا المضمون الجملة التي هي ان المتقين قال والمصدر الموكد
لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا حسابا اي كافيا
وافيا يقال احسب فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال ابن قتيبة
اي عطا كثيرا وقيل جزا بقدر اعمالهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما و
الاخران بخفض الاول ورفع الثاني اما رفعهما فمن اوجه احدها ان يكون رب
خبر مبتدا مضمر خبره لا يملكون ثانيها ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون
خبر ثان او مستانف ثالثها ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا يملكون خبر
رب رابعها ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة
خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويجوز ان يكون
لا يملكون حالا وتكون لازمة واما جرهما فعلى البيان والنعت او يجعل رب السموات
تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني واما جر الاول فعلى التبعية للاول ورفع الثاني
فعلى الابتدا والخبر الجملة الفعلية وهي لا يملكون اي الخلق منه اي من الله تعالى
خطابا والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم ما يخاطب
به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك
فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوا بشي من نقص العذاب

اوزيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه فقوله تعالى يوم متعلق
بلا يملكون اولا يتكلمون يقوم الروح والملايكة وقوله تعالى صفا حال اي مصطفين
والروح اعظم خلقا من الملايكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وعن بن عباس
هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام
هو وحده صفا وقامت الملايكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال
الشعبي هو جبريل وقيل ملك موكل على الارواح وعن بن مسعود قال الروح ملك اعظم
من السموات ومن الجبال ومن الملايكة وهو في السما الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر
الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجيي يوم القيمة صفا وحده وقال مجاهد
وقتادة الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا بناس يقومون صفا والملايكة
صفا هولا جند وهولا جند وروي مجاهد عن بن عباس قال خلق على صورة
بني ادم وما ينزل من السما ملك الا معه واحد منهم وقال الحسن هو بنوا ادم ورواه
قتادة عن بن عباس وقال هذا ما كان يكتمه بن عباس وقيل هو جند من جنود
الله تعالى ليسوا ملايكة لهم روس وايدي وارجل ياكلون الطعام وقيل ارواح
بني ادم وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
واذا كان هولا لا يتكلمون وهم من افضل الخلق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم
منه لا يتكلمون التكلم فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض ويجوز رجوع
الضمير للخلق اجمعين الا من اذن له اي في الكلام اذنا خاصا الرحمن
اي الملك الذي لا تكون النعمة الا منه وقال قولا صوابا في الدنيا اي حقا
من المومنين والملايكة وهم شريطتان ام يكون المتكلم ماذونا له في الكلام
وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضي لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وقيل القول الصواب لا اله الا الله ذلك اي المشار اليه لبعد مكانته وعظم
رتبته وعلو منزلته اليوم الحق اي الكاين لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا
اتخذ الى ربه اي المحسن اليه ما ابا اي مرجعا وسبيلا لطاعته ليسلم من
العذاب في ذلك اليوم فان الله تعالى جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر
احد منهم على مشيئة الله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة انذرناكم اي يا كفار

مكة

مكة عذابا قريبا اي عذاب يوم القيامة الاتي وكل ات قريب وقوله تعالى يوم
ظرف لعذابا بصفته ينظر المرء اي كل امري سوا كان مومنا او كافرا نظر الامرية
فيه ما اي الذي قدمت يداه اي كسبه في الدنيا من خير وشر وقال الحسن اراد بالمرء
المومن اي يجد لنفسه عملا واما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون
ترابا ولانه تعالى قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المومن وقيل هو
الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير
لزيادة الذم ومعنا ما قدم يداه من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة
تقدمت اي ينظر اي شي تقدمت يداه او موصولة منصوبة بنظر يقال
نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع الى الصلة محذوف وقال مقاتل نزل قوله
تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي
سمعت ابا القاسم بن حبيب الكافر هنا ابليس وذلك بانه عاب ادم عليه
السلام بانه خلق من تراب واقتمر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة
ما فيه ادم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى
انه كان بمكان ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير
قال البغوي قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة لكل من جعلك
مثلي وروي عن ابي هريرة انه قال يحشر الخلق كلهم من داية وطاير وانسان ثم
يقول للبهايم والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اي
فلا اعذب وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث وقال ابو الزناد اذا
قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار قيل لساير الامم
ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم
يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مومنوا الجن يعودون ترابا وقال
عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مومنوا الجن حول الجنة في ربض ورحاب
وليسوا فيها والذي عليه الاكثر انهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم وقيل

يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجما من القرنا ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله
وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة عم
سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة حديث موضوع **سورة النازعات مكية**
وهي خمس او ست واربعون اية ومائة وسبعون كلمة وسبعماية وثلاثون حرفا **بسم الله**
الذي احاط علمه بالكاينات **الرحمن** الذي انعم على ساير الموجودات **الرحيم** الذي خص
اولياه بالجنات **والنازعات** اي الملايكة تنزع ارواح الكفار **غرقا** اي تنزع ارواحهم
من اجسادهم بشدة كما يغرق النازع في القوس ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها
حتى اذا كادت تخرج رده الى جسده فاذا عملهم بالكفار وقال علي وبن مسعود يريد
نفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن الاظافير واصول
القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم
ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار وقال السدي والنازعات هي النفوس حين تغرق
في الصدور وقال مجاهد هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة هي النجوم
تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب ان يكون مصدرا على حذف الزوايد بمعنى
اغراق وانتصابه بما قبله لملاقاته في المعنى وان يكون على الحال اي ذوات
اغراق يقال اغرق في الشي يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى غايته **والناشطات**
نشطا اي الملايكة تنشط ارواح المومنين اي تسلها برفق فتقبضها كما ينشط
العقال من يد البعير اذا حل عنه وفي الحديث كانما انشط من عقال وعن بن عباس
هي انفس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لان الجنة تعرض
عليهم قبل الموت وقال علي بن ابي طالب هي الملايكة تنشط ارواح الكفار من ما بين
الجلد والاظفار حتى تخرجها من افواههم بالكد والغم والنشط الجذب والنزع
يقال نشط الدلو نشطا انتزاعها فقال السدي هي النفس تنشط من بين القدمين
اي تجذب وقال قتادة هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب يقال
نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد
وقال الجوهري يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور المناشط من بلد الى
بلد **والسابحات سبحا** اي الملايكة تسبح من السما بامره اي ينزلون من السما سريعين

كالفرس

الجواد يقال له سابح اذا اسرع في جريه وقال علي هي الملايكة تسبح بارواح المومنين
قال الكلبي كالذي يسبح في الما فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم
يدعونها حتى تستريح وعن مجاهد السابحات الموت يسبح في نفوس بني ادم وقال قتادة
والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال
عطا هي السفن في الما وقال بن عباس ارواح المومنين تسبح شوقا الى لقا الله تعالى
ورحمته حتى تخرج وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة والخيل تعلم حتى تسبح في حياض الموت سبحا
فالسابقات سبقا اي الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة وقال مجاهد هي الملايكة
سبقت بني ادم بالخير والعمل الصالح وقال بن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى
الملايكة الذين يقبضونها شوقا الى لقا الله تعالى وكرامته وقد عاينت السرور
وقال قتادة هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير وقال عطا هي الخيل التي تسبق في
الجهاد وقيل هي ما يسبق في الجهاد من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار قال الجرجاني
ذكر السابقات بالفا لانها مسببة عما قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن وقال الواحدي
وهذا غير مطرد في قوله تعالى **فالمدبرات امرا** اي الملايكة تدبر امر الدنيا اي تنزل بتدبيره
قال الرازي ويمكن الجواب لانها لما امرت سبحت سبقت فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون
هذه افعالا يتصل بعضها ببعض وقال بن عباس المدبرات هي الملايكة وكلوا بامور
عرفهم الله تعالى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة من الملايكة
جبريل وميكاييل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود
واما ميكاييل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الارواح واما اسرافيل
فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملايكة اقرب منه وبينه وبين العرش خمسماية عام
وقيل هي الكواكب السبع حكي عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها بالامور وجهان احدهما
تدبير طلوعها وافولها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تقليب الاحوال
اقسم تعالى بهذه الامور على قيام الساعة والبعث وانما حذف لدلالة ما بعده عليه ولله
تعالى ان يقسم بما شا من خلقه واما العباد فلا يصح لهم ان يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله
تعالى **يوم ترجف** اي تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا **الراجفة** اي الصحيحة منصوب
بالجواب اي لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة وهي النفخة الاولى بها يرجف كل شي اي يتزلزل

ويتحرك لها كل شي ويموت منها جميع الخلايق فوصفت بما يحدث منها تتبعها الرادفة اي الصيحة
المتتابعة لها وهي النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة والجملة حال من الراجفة واليوم
واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية وقال قتادة هما صيحتان فالاولى
تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطا الراجفة القيمة والرادفة البعث
وروي عن ابي بن كعب انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال يا ايها
الناس اذكروا الله جات الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه قلوب يوميذ اي اذا قام
الخلايق بالصيحة التابعة للاولى واجفة اي خايفة قلقة مضطربة من الوجيف وهو
صفة القلوب وقال مجاهد وجلة وقال السدي زايلة عن امكانها نظيره اذ القلوب لدى
الحناجر ابصارها اي ابصار اصحابها فهو من الاستخدام خاشعة اي ذليلة من الخوف
ولذا اضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من الذل ينظرون يقولون اي ارباب القلوب
والابصار في الدنيا استهزا وانكارا للبعث اينا لمردودون اي بعد الموت في الحافرة
اي في الحياة التي كنا فيها قبل الموت وهي حالتنا الاولى فنصير احيا بعد الموت
كما كنا تقول العرب رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جا والحافرة عندهم
اسم لابتدا الشي واول الشي وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم
سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي مرضية وقيل سميت حافرة
لانها مستقر الحوافر اي اينا لمردودون في الارض فبعث خلقا جديدا نمشي عليها
وقال بن زيد الحافرة النار ايذا كنا اي كونا صار حيلة لنا عظاما نخرة اي باكية
متفتتة نحيي بعد ذلك وقرا اينا وايذا نافع وابن عمرو والكسائي بالاستفهام فيهما
وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون بالتخفيف وادخل بين الهمزتين قالوا وابو
عمرو وهشام بخلاف عنه الفا والباقون بغير ادخال وقرا نخرة حمزة وشعبة والكسائي
بالالف بعد النون والباقون بغير الف وهما لغتان مثل المطمع والطامع والحذر
والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والنخرة المجوفة التي
تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت قالوا اي المنكرون للبعث تلك اي رجعتنا
العجيبة الى الحياة اذن اي ان صحت كرة اي رجعة خاسرة اي ذات خسران
او خسار اصحابها والمعنى ان صحت فنحن اذن خاسرون بتكذيبنا وهو

استهزا

استهزا منهم وعن الحسن ان خاسرة بمعنى كاذبة اي ليست كاينة قال الله تعالى فانما هي
اي الرادفة التي يتبعها البعث زجرة اي صيحة باتنها وتتضمن بالامر بالقيام والسوق
الى المحشر والمنع من التخلف واحدة عبر بالزجرة لانه اشد من النهي لانها صيحة لا
يتخلف عنها القيام اصلا فكان كان بلسان قال من تلك الصيحة ايها الاجساد البا لية
انتهي عن الرقاد وقومي الى الميعاد بما حكمنا به من المعاد فقد انتهي زمن الحصاد
وان اوان الاجتنا لما قدم من الزاد فيا حسرتا من ليس له زاد فاذا هم اي فتسبب
عن تلك النفخة وهي الثانية ان كل الخلايق بالساهرة اي صاروا على وجه الارض
بعد ما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض اهل
اللغة قراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان هي ارض
الشام وقال قتادة هي جهنم فان قيل بم يتعلق فانما هي زجرة واحدة اجيب بانه
متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك
الكثرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزمخشري
الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين
ساهرة اي جارية الما وفي ضدها نايمة قال الاشعث بن قيس . . . .
وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جيتها ملثما اولان سالكها
لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب هي وجه الارض وقيل ارض القيامة وحقيقتها
التي يكثر الوطي بها كانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور
غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه وروي الضحاك عن ابن عباس قال الساهرة
ارض من فضة لم يعص الله عليها قط جعلها حينيذ وقيل الساهرة اسم الارض
السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض
غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان ابن ابي العاتكة
انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي به جبل اريحا وجبل حسبان
يمده الله تعالى كيف شا ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هل اتاك
يا اشرف الخلق حديث موسى اي اليس قد اتاك حديثه فيسالك عن تكذيب قومك وتهددهم
عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم فانه كان اقوى اهل الارض بما كان له من كثرة

الجنود فلما اصر على التكذيب ولم يرجع ولا افاده التاديب اغرقناه واله ولم يبق منهم
احدا وقد كانوا لا يحصون عددا بحيث قيل ان طليعته كانت على عدد بني اسرايل ستماية
الف فكيف بقومك الضعاف وقوله تعالى اذا اي حين ناداه منصوب بحديث لا باتاك
ربه اي المحسن اليه بالرسالة وغيرها بالوادي المقدس اي المطهر غاية الطهر بتشريف الله
تعالى له بانزال النبوة المفيضة للبركات وقوله تعالى طوى اسم الوادي وهو الذي طوى
فيه الشر عن بني اسرايل ومن اراد الله تعالى من خلقه ونشر فيه بركات النبوة على جميع
اهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستيصال عنه فان العلما قالوا ان عذاب
الاستيصال ارتفع حين انزلت السورة التوات وهو واد بالطور بين ايلة ومصر وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين في الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى اذهب الى فرعون
اي ملك مصر الذي كان يستبعد بني اسرايل على ارادة القول انه طغى اي تجاوز الحد في الكفر
وعلا وتكبر وقال الرازي لم يبين انه طغى في اي شي فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر
على الخلق واستبعدهم روي عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وقال مجاهد كان
كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا كان من اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار
وقوله تعالى فقل اي له هل لك اي هل لك سبيل الى ان تزكى اي تتطهر من الكفر والطغيان
قال بن عباس بان تشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقا لما كان المعنى ادعوك جابا لي وقال
غيره يقال هل لك في كذا او هل لك في كذا ويقول هل يرغب فيه وهل ترغب اليه وقرا نافع
وابن كثير بتشديد الزاي والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها واهديك الى ربك اي وانبهك
على معرفة المحسن اليك فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من
من عباده العلما اي عبادة العلما به وذكر الاخشية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى
منه كل خير ومن ابى اجترى على كل شر منه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن
ادلج بدا المنزل بدا بمخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل
لضيفه هل لك ان تنزل بنا واراد فيه الكلام الرفيق ليستعديه للتلطف في القول
ويستنزله بالمداراة من علوه كما امر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا هو
الاية وقال الرازي ساير الايات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام
ذكر له اشيا كثيرة نودي انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى
فرعون

فرعون انه طغى انه من جملة ما ناداه به لا كل مناداه به وايضا فليس الغرض انه عليه
السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان في الطور الا انه خصه بالذكر
لان دعوته جارية مجرى كل القوم والمنافي قوله تعالى فاراه عاطفة على محذوف
يعني فذهب فاراه الاية الكبرى كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت
اي فضرب فانفجرت واختلفوا في الاية الكبرى اي العظمى وهي المعجزة فقال عطا
وبن عباس هي العصا وقال مقاتل والكلبي هي اليد البيضا تبرق كالشمس والاول
اولى لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا حاصل في العصا لانها لما انقلبت
حية لا بد وان يتغير اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل في العصا
وامور اخر وهي الحياة في الجرم الجماد وتزايد اجزايه وحصول القدرة الكبيرة
والقوة الشديدة وابتلاعها اشيا كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب
تلك الاجزا الذي عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا
بهما حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا
ان الاية الكبرى هي العصا وقال مجاهد هي مجموع العصا واليد وقيل فلق
البحر وقيل جميع اياته التسع فكذب اي فتسبب عن رويته ذلك ان كذب موسى
عليه الصلاة والسلام وعصى الله تعالى بعد ظهور الاية وتحقيق الامر
وقيل كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر ثم ادبر اي تولى واعرض عن
الايمان بعد المهل والانات اعراضا عظيما بالتمادي على اعظم ما كان
فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد طويلة حال كونه يسعى
ان يعمل بالفساد في الارض او انه لما راى الثعبان ادبر مرعوب يسعى
اي يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا وتولى عن موسى
يسعى ويجهل في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا
بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لان يوصف بالاقبال فحشر اي
فتسبب عن ادباره انه جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال فنادى حينئذ
باعلا صوته قال حمزة والكرماني قال له موسى عليه السلام ان ربي ارسلني اليك لان
امنت بربك تكون اربعماية سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال

حتى استثيرها مان فاستثاره فقال انصر عبدا بعد ما كذب زبا فعند ذلك جمع
وبعث الشرط وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال
انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل ارادان الاصنام ارباب وانا ربهم وربكم وقيل
امر منادیا فنادي في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك فاخذه اي اهلكه
بالغرق الملك الاعظم الذي لا كفوا له نكال اي عقوبة الاخرة اي هذه الكلمة وهي قوله
انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس وكان بين
الكلمتين اربعون سنة والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه
وقال الحسن نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه في الدنيا وعذبه في الاخرة وعن قتادة
الاخرة هي قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام ثم انه تعالى ختم هذه القصة
بقوله تعالى ان في ذلك اي الامر العظيم الذي فعله فرعون والذي فعل به حين كذب وعصى
لعبرة اي لعظة لمن يخشى اي لمن يخاف الله تعالى لان الخشية اساس الخير كما مرت الاشارة
اليه ثم خاطب تعالى منكري البعث بقوله تعالى ءانتم اي ايها الاصاغر كونكم خلقا ضعيفا
اشد خلقا اي اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم ام السما اي فمن قدر على خلق السماء
على عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود من الاية الاستدلال على منكري البعث
ونظير قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى
الكلام التقرير والتوبيخ وقرا نافع وابن كثير وابو عامر وهشام بخلاف عنه بتحقيق هم
الاولى وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام
والباقون بغير ادخال وقوله تعالى بناها بيان لكيفية خلقها اياها فالوقوع على السما
والابتداء بما بعدها وقوله تعالى رفع سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك والارتفاع
اي جعل مقدارها في سمت العلو مديدا فيما مسيرة خمسمائة عام فسواها اي فعدلها
مستوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتمها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك
سوى فلان امر فلان واغطش اي اظلم ليلها اي جعلها مظلما بغياب شمسها فاخفى ضيا ها
بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس ظاهرة عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان في
حال الضيا واضاف الليل الى السما لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس يضاف الى السما ويقال

نجوم

نجوم الليل لان ظهورها بالليل وقوله تعالى واخرج ضحيها فيه حذف اي ضحى شمسها
اواضاف الليل والضحى لها للملابسة التي بينها وبينهما لان الليل ظلها والشمس هي السراج
المثقب في جوها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار وبالنور والضوء
والارض بعد ذلك اي بعد المذكور كقوله دحيها اي بسطها ومهدها للسكنى
وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينها وبين اية فصلت
لانه خلق الارض اولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن
عباس خلق الله تعالى الارض بأقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء نسويها سبع سموات
ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى
عتل بعد ذلك اي مع ذلك وقولهم أنت احمق وانت بعد هذا سيئ الخلق وقيل
بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل وروى عن ابن عباس
انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا
بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت اخرج منها اي من الارض ماءها اي بتفجير عيو
واضافتها اليها دليل على انه مودوع فيها ومرعيها اي النبات الذي يرعى مما
يأكله الناس والانعام من العشب والشجر والثمر واللب حتى النار والملح لان النار من
العيدان قال تعالى افرأيتم النار التي تورون الاية والملح من الماء واستعير الرعي للانسان كما
استعير الرتع في قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والمرعي في الاصل
موضع الرعي تنبيه اخرج حال باضمار قد اي مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف
الكوفيون والاخفش والجبال ارسيها اي اثبتها على وجه الارض لتسكن ونظيرها قوله
تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى متاعا مفعول له لمقدر اي فعل ذلك منفعة او
مصدر لعامل مقدر اي متعكم تمتيعا لكم وقوله تعالى ولانعامكم جمع نعم وهي الابل
والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية
التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى قال ابن
عباس وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث وقال الضحاك هي القيمة سميت
بذلك لانها تطم على كل شيء فتغمره وقال القاسم بن الوليد الهمداني هي الساعة
التي تساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقوله تعالى يوم يتذكر اي تذكرا عظيما

الانسان اي الخلق الآنس بنفسه الغافل عما خلق له بد من ذا ما يبقى في الدنيا من خير او
شر يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى احصيه الله
ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم اي اظهرت النار المحرقة اظهارا
بينا مكشوفا لمن يرى اي لكل راء كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له
بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد لكن الناجي لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال
تعالى لا يسمعون حسيسها وجواب اذا قوله فاما من طغى اي تجاوز في العدوان
حتى كفر بربه وآثر اي قدم واختار الحياة الدنيا اي انهمك فيها ولم يستعد للآخرة
بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم اي النار الشديدة التوقد العظيمة هي اي
خاصة المأوى اي مأويه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليست الالف واللام
بدلا عن الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت
الاضافة تنبيها هي يجوز ان تكون فصلا او مبتدأ واما من خاف مقام ربه
اي قيامه بين يديه لعلمه بالمبدأ والمعاد وقال مجاهد خوفه في الدنيا من الله تعالى
عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس الامارة
بالسوء عن الهوى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنها وضبطها بالصبر والتوطين
على ايثار الخير فان الجنة اي البستان لكل ما يشتهي هي اي خاصة المأوى اي ليس له
سوى الجنة مأوى وحاصل الجواب فالعاصي في النار والطائع في الجنة قال الرازي
هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد
قوله تعالى فاما من طغى ونهي النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر الحيوة الدنيا
فكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات
وقال عبد الله بن مسعود انتم في زمان يعود الحق الهوى وسيأتي زمان يعود الهوى
الحق فتعوذوا بالله من ذلك الزمان تنبيه اختلف في سبب نزولها تين الآيتين
فقيل نزلت في مصعب بن عمير واخيه روي الضحاك عن ابن عباس قال
اما من طغى فهو مصعب بن عمير اسر يوم بدر واخذته الانصار فقالوا من انت قال
انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا
حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي بأخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء

حليا ومالا فاوثقوه حتى تبعث امه فداه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير
وقيل رسول الله بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى تقذت المشاقص في جوفه
والمشاقص جمع مشقص وهو السهم العريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم مشمطا في دمه
قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته
وعليه برد ان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وقال ابن عباس ايضا
نزلت في جلين ابي جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدي نزلت الآية
الثانية في ابي بكر الصديق وقال الكلبي هما عامتان ولما سمع المشركون اخبار
القيمة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة نزل يسألونك يا اشرف
الخلق عن الساعة اي البعث الآخر لكثرة ما يتوعدهم بها عن امرها ايان مرساها
اي في اي وقت ارساؤها اي اقامتها اراد وامتى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها
او ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث ينتهي اليه فاجابهم
الله سبحانه وتعالى بقوله سبحانه فيما اي في اي شيء انت من ذكراها اي من ان تذكر
وقتها لهم وتعلمهم به تنبيه فيم خبر مقدم وانت مبتدأ مؤخر ومن ذكراها
متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت في اي شيء من ذكرها اي ما انت من ذكرها لهم
وتبين وقتها في شيء وعن عائشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة
ويسأل عنها حتى نزلت فهو علي هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت
من ذكراها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها
وتسأل عنها الى ربك اي المحسن اليك بانواع النعم منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت
علمها احدا من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربي وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة
قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم اي فيم انت من ذلك حتى يسألوك
بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس وقيل الوقف على قوله تعالى فيم
وهو خبر مبتدأ مضمر اي فيم هذا السؤال ثم بينه بقوله تعالى انت منذر من يخشاها اي ارسلنا
وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في غم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها
فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها

انما انت يا اشرف الرسل منذر اي انما بعثت لانذار من يخافها اي لتخويف من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به اي انما ينفع انذارك من يخافها
وانك ان كنت منذر الكل مكلف كانهم قال البغوي يعني كفار قريش يوم يرونها اي يعلمون قيام
الساعة علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم
بمامر من زمانهم وما اتى به لم يلبثوا اي في الدنيا وفي القبور الا عشية اي من الزوال الى
غروب الشمس او ضحاها اي ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد
ذلك اضيف اليها الضحى لاطافتها من النهار والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهي هنا
كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من اوله او آخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم
يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في
اليم فلينظر بما يرجع فان قيل هلا قال الا عشية او ضحيها فما فائدة الاضافة اجيب
بان ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية او ضحيها فلما
تركت اليوم اضافة الى عشية فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع
الكلمة فاصلة تنبيه قرأ حديث موسى طوى طغى تزكى فتخشى وعصى اشقى فنادى الاعلى
والاولى يخشى ماسعى طغى الدنيا المأوى عن الهوى المأوى حمزة والكسائي بالامالة محضة
وورش وابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ قارئه الآية الكبرى الطامة
الكبرى لمن يرى من ذكرها ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين
والباقون بالفتح في الجميع وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة حديث
موضوع سورة عبس وتسمى سورة السفرة مكية وهي اثنان واربعون اية
ومائة وثمانون كلمة وثلاثمائة وثلاثون حرفا بسم الله الواحد القهار الرحمن الذي عم بانعامه الابرار
والفجار الرحيم الذي خص اوليائه برحمته في دار القرار عبس اي كلح وجهه النبي صلى الله عليه وسلم
وتولى اي اعرض بوجهه لاجل ان جاءه الاعمى وهو ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمها
عاتكة بنت عامر بن مخزوم واسمه عبد الله بن سريج بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن
لؤي وذلك انه جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام
والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم

اولئك

اولئك الاشراف الذي كان يخاطبهم فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم فتعلوا
كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله اقرأني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله
بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع كلامه وعبس واعرض عنه وقال في نفسه يقول
هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على
القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الايات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه
واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين في غزوتين غزاهما قال انس بن مالك فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله
راية سوداء وما يدريك اي واي شيء يجعلك داريا عجالة لعله اي الاعمى يزكى فيه ادغام
التاء في الاصل في الزاي اي يتطهر من الذنوب بما يستمع منك وفي ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية
غيره او يذكر فيه ادغام التاء في الذال اي يتعظ وسببا عن تزكيته وتذكره قوله تعالى فتنفعه
الذكرى اي العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فمن رفع فهو
نسق على قوله تعالى او يذكر ومن نصب فعلى جواب الترجي كقوله تعالى في غافر فاطلع الى اله موسى
وقال ابن عطية في جواب التمني لان له قوله تعالى او يذكر في ابو حكم قوله تعالى لعله يزكى
واعترض عليه ابو حيان بان هذا ليس تمنيا وانما هو ترج واجيب عنه بانه انما يريد
التمني المفهوم وقت الذكرى ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين
والباقون بالفتح وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان تزكي بالاسلام او
يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك انما طمعت فيه كائن اما من استغنى بالمال
وقال ابن عباس استغنى عن الله وعن الايمان بماله من المال فانت له تصدى
اي تتعرض بالاقبال عليه والمصادة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام
التاء الثانية في الاصل والباقون بالتخفيف وما اي فعلت ذلك والحال انه عليك
باس الا يزكى اي في الا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم
ان عليك الا البلاغ واما من جاءك حال كونه يسعى اي يسرع في طلب الخير وهو ابن ام مكتوم وهو
اي والحال انه يخشى اي الله او الكفار في اذاهم على الايمان اليك وقيل جاء وليس معه
قائد فهو يخشى الكبوة وقرأ قالون وابو عمرو والسري بسكون الهاء والباقون بضمها فانت
عنه تلهى فيه حذف التاء الاخيرة في الاصل اي تتشاغل وقرأ وتولى الاعمى تركى من استغنى

تصدي تزكى يسعى يخشى تلهى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو
بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقوله تعالى كلا ردع عن العاتب عليه وعن
معاوية فان قيل ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه لانه وان كان اعمى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه
وسلم لاولئك الكفار وكان يسمع ما يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم
فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام كلام النبي صلى الله
عليه وسلم معصية عظيمة وايضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد اسلم وكان اسلامهم
سببا لاسلام غيرهم فكان كلام ابن ام مكتوم كالتسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض
قليل وذلك يحرم وايضا فان الله تعالى انما يناديه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا
النداء الذي هو كالتعارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا وايضا فمن هذا الاعتناء
كيف لقب بالاعمى وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم له ان يؤدب اصحابه بما يراه مصلحة
والتعبيس من ذلك القبيل اجيب بان ما فعله ابن ام مكتوم من سوء الادب
لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشتغلا بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم
بذلك وايضا الله سبحانه وتعالى انما عاتبه على ذلك حتى لا ينكسر قلوب الضعفاء
وليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني الكافر وقال ابن زيد انما عبس
النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي
كان يقوده ان يكف فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان في هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل في حق ذلك واما ذكره بلفظ الاعمى فليس
للتحقير بل كان بسبب عماه يستحق ان يربيه تعطفا وترأفا وتقريبا وترحيبا ولقد
تادب الناس باداب الله تعالى في هذا تادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري
ان الفقراء كانوا بمجلسه امراء واقاكونه صلى الله عليه وسلم كان ماذونا له في تاديب
اصحابه فلان تقديمهم ربما يوهم ترجيح تقديم الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب
عوتب قال الحسن لما تلى جبريل عليه السلام على النبي صلعم هذه الاية عاد وجهه كانه نسف فيه الرماد ينتظر
ما يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا لا تطعه اي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على ترك الاولى
ثم قال الله تعالى انها اي هذه السورة وقال مقاتل اي ايات القرآن وقيل القرآن وانثه لتانيث خبره

وهو

وهو قوله تعالى تذكرة اي عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره ان
كان حافظا له غيرنا س وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ ثم ان الله تعالى اخبر عن
جلالة ذلك عنده فقال سبحانه في صحف اي منتسخة من اللوح المحفوظ وقيل من كتب الانبياء
عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى مكرمة اي عند
الله تعالى مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة اي منزهة عن ايدي
الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة كرام مطهرين كما قال تعالى بايدي سفرة اي كتبة ينسخونها
من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت اي كتبت ومنه
قيل للكتاب سفر وجمعه اسفار وقيل هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير
القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم ثم اثنى تعالى عليهم بقو
سبحانه كرام اي على الله تعالى وروي الضحاك عن ابن عباس في كرام قال مكرمون ان يكونوا
مع ابن آدم اذا خلا بزوجته او برز لغائط وقيل يوثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم
وقوله تعالى برره جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار هو الصادق المطيع ومنه
بر فلان في يمينه اي صدق وفلان يبر خالقه اي يطيعه فمعنى برره مطيعين صادقين
لله تعالى في اعمالهم ولما ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب لعباده
المومنين من ذلك فقال سبحانه قتل الانسان اي لعن الكافر وقوله
تعالى ما اكفره استفهام توبيخ اي ما اشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه
لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى من اي شيء خلقه
استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى من نطفة اي ماء يسير جدا لا من غيره خلقه
اي اوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط فقدره اي علقة ثم مضغة الى اخر خلقه
فكانه قيل واي سبب في هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما
بين الوقتين حامل عذره فان خلقة الانسان تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل
بها على القول بالبعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن ابي لهب والظاهر العموم فان قيل الدعا
على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل
بسبب الشيء فالعالم به كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام
العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شيء قتلهم

قاتله الله تعالى ما احسنه واخزاه الله تعالى ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع
ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام تحقير له فذكر اول مراتبه وهو قوله
تعالى من نطفة ولا شك ان النطفة شئ حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر
وقوله تعالى فقدره اي اطوارا وقيل سواه لقوله تعالى ثم سواك رجلا او قدر كل
عضو في الكيفية والكمية بالقدر اللايق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شئ فقدره
تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله ثم اي بعد انتهاء المدة السبيل اي
طريق خروجه من بطن امه ييسره اي سهل امره في خروجه بان فتح له الرحم
والهمه الخروج منه ولا شك ان خروجه من اضيق المسالك من اعجب العجايب
يقال انه رأسه في بطن امه بين فوق ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن
الذي اعطاه ذلك الالهام المراد ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين اي التمييز بين الخير والشر
وروي عنه ابن عباس قال سبيل الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام
قال ابو بكر بن طاهر يسير على كل احد ما خلقه له وقدر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كل
ميسر لما خلق له ثم ذكر المرتبة الاخيرة بقوله تعالى ثم اماته واشار الى ايجاب المبادرة
بالتجهيز بالفاء المعقبة في قوله تعالى فاقبره اي جعله في قبر يستر كرامة له ولم يجعله
ممن يلقى على وجه الارض تاكله الطير وغيره ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته للبعث
ومفعول شاء محذوف اي شاء انشاره وانشر جواب اذا وقرأ قالون وابو عمرو والبزي
باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل ولهما ايضا ابدالها
الفا والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى كلا ردع للانسان عما هو عليه وقيل بمعناه حقا
قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال الثاني لجلال السيوطي المحلي لما يقض اي يفعل
ما امره به وربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب آدم
عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التامل في دلائل الله
تعالى والتدبير في عجايب خلقه ولما كان عادة الله جارية في القرآن انه كلما ذكر دلائل الانسان
ذكر عقبها دلائل الآفاق بدأ من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى فلينظر
الانسان اي يوقع النظر التام بكل شئ يقدر على النظر به من بصره وبصيرته الى طعامه
الذي هو قوام حياته كيف هيأ له اسباب المعاش ليستعد به للمعاد قال الحسن ومجاهد

فلينظر

فلينظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن الضحاك انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال فشرابك ما ذا قلت
الماء قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وروي عن ابن عمر
ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه فيأتيه الملك فيقول انظر الى ما تحليت به
الى ما صار وقرا انا صببنا الماء صبيا اي بما لنا من العظمة الما حمزة وعاصم والكسائي بفتح الهمزة
على انه بدل اشتمال بمعنى ان صب الماء سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه بهذا
التقدير وانه على تقدير لام العلة اي فلينظر لاءنا ثم حذف الخافض وقال البغوي انا
بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر الى انا وقرا الباقون بالكسر على الاستئناف تعديد النعم
تعالى وقوله تعالى صبا تاكيد والمراد بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع ما في
الوجود ولو نقص منه شئ اختل امره وبدا اولا بالسماوي لانه اشرف وبالماء الذي هو حياة
كل شئ تنبيها له على ابتداء خلقه وثنى بالارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السماء فقال
تعالى ثم اي بعد مهلة من انزال الماء شققنا اي بما لنا من العظمة الارض اي بالنبات
التي هو في غاية الضعف عن شق اضعف الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى
شقا تاكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى فانبتنا اي بما لنا من القدرة
التامة فيها اي بسبب الشق حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وقدم
ذلك لانه كالاصل في التغذية وعنبا وذكره بعد الحبلانه غذاء من وجه وفاكهة من
وجه وقضبا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقتضب من النخل اي يقطع وجمعه بعضهم
لذكره بعد العنب لانهما يقتران كثيرا وقيل هو الفت الرطب وقيل كلما يقضب من
البقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والقضبان ارضه يسمى بمصدر وقضبه اذا قطعه
لانه يقضب مرة وقال الحسن القضيب العلف للدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه
الزيت يكون فيه حرافة وعضاضة فيه اصلاح المزاج وقوله تعالى ونخلا جمع نخلة وكل من
هذه الاشجار مخالف للآخر في الشكل والحمل وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي وقوله تعالى
وحدايق غلبا جمع اغلب وغلبا كحمر في احمر وحمرى اي بساتين كثيرة الاشجار والاصل في الوصف
بالغلب الرقاب يقال رجل اغلب وامرأة غلباء غليظة الرقبة فاستعير قال عمرو بن معديكرب يمشي بنا
غلب الرجال بزل كسين من الكحيل جلالها وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض

وقال ابن عباس الطوال وقيل غلاظ الاشجار **وفاكهة** وهي ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالتين
والخوخ قال النووي في منهاجه ويدخل في فاكهة رطب وعنب ورمان واترج ورطب ويابس اي
كالتمر والزبيب قال قلت وليمون ونبق وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الاصح **وابا**
وهو ما يأكله الدواب لانه يؤب اي يؤم وينجع اليه وقال عكرمة الفاكهة ما يأكله الناس
والأب ما يأكله الدواب وقيل التين وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الأب فقال
اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم به وعن ابن عمر رضي الله تعالى
عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده
ثم قال هذا لعمر والله التكلف وما عليك يا ابن عمر ان لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين
لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قيل هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث
عن مشكلاته اجيب بانه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكثر همتهم عاكفة
على العمل وكان التشاغل بشيء لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة عندهم
في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب
بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له ولانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض
بالشكر لله تعالى على ما بين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى
الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك من
مشكلات القرآن **متاعا** اي العشب اي منفعة او تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها **لكم** اي
الفاكهة **ولانعامكم** وتقدم ايضا في السورة التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار
عليها ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان المقصود منها ثلاثة اولها الدلائل الدالة على التوحيد
وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده بهذه
الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد على طاعته وان ينكر على عبيده
امر ذلك. مما يكون كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف
فيدعوه ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى
ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى **فاذا جاءت** اي كانت ووجدت لانه
ما هو كائن كأنه لاقيك وجاء اليك **الصاخة** اي صيحة القيمة وهي النفخة الثانية التي تصخ
الاذن اي تصمها لشدة وقعها ماخوذ من صخه بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ الحديثة

مثل

مثل اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصيخون لها وقال ابن العربي الصا خة
التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله صمى سرهم ايام فرقتهم
وهل سمعتم بسريورث الصمما وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى فاذا جاءت
الصاخة اشتغل كل واحد بنفسه وقوله تعالى **يوم يفر المرء** بدل من اذا **من**
اخيه وامه وابيه وصاحبته زوجته **وبنيه** لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم
لا يغنون عنه شيئا كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا فيفر المرء من هؤلاء الذي
كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستجيرهم لكثرة ما يشغله وبداء بالاخ لانه ادناهم رتبة في
الحب والذب ثم بالام لانها كانت مشاركة له في الالف ويلزم من حمايتها اكثر مما يلزم الاخ
وهو لها الف وعليها احسن وعليها ارق واعطف ثم بالاب لانه اعظم منها في الالف لانه
اقرب في النوع والمولد عليه من المعاطفة ما له من مزيد النفع اكثر ممن قبله ثم بالصاحبة
لان الزوجة التي هي اهل لان تصحب الصق بالفؤاد واغرق في الوداد وكان الانسان اذب عنها
عند الشدائد ثم بالولد لانه من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة في الامر ما ليس
لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره فقدم ادناهم مرتبة في الحب والذب فادناهم
على سبيل الترقي واخر الاوجب في ذلك فالاوجب بخلاف ما في سورة سأل فكانه قيل يوم
يفر المرء من اخيه بل من امه بل من ابيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا
من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة
اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر
من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه
نوح ولما ذكر الفرار اتبعه سببه فقال تعالى **لكل امرئ** وان كان اعظم الناس مروءة **منهم**
يومئذ اي اذ تكون هذه الدواهي العظام والشدائد الآلام **شان** اي امر عظيم **يغنيه**
حال اي يشغله عن شان غيره وعن سودة زوج صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا اي بالقلفة قد ألجمهم العرق وبلغ
شحوم الآذان فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم
قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقال قتيبة يغنيه اي يصرفه عن قرابته ومنه
يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي حصل له قد

ملاء صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيها بالغنى في انه ملك شيئا كثيرا ولما ذكر
تعالى حال القيمة في الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء واشقياء فوصف سبحانه
السعيد بقوله تعالى وجوه يومئذ اي اذا كان ما تقدم من الفرار وغيره مسفرة اي مضيئة
متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى في الحديث من
كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل
من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى ضاحكة اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من
الحساب مستبشرة اي بما آتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى ٥
ووجوه يومئذ اي اذ وجد ما ذكر عليها غبرة اي غبار ترهقها اي تعلوها قترة
اي سواد كالدخان ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما يرى من وجوه
الزنوج اذا اغبرت اولئك اي البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا هم اي خاصة
الكفرة الفجرة جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفتري على الله تعالى فجمع ٥
تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك
مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوي رحمه الله تعالى لا يعبر بقال
بل بعن كالزمخشري او نحوها وياتي مثله في نظائره ان شاء الله تعالى

سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله
الذي احاط علمه بالكائنات الرحمن الذي عم جوده سائر البريات الرحيم الذي خص حزبه ٥
بنعيم الجنات واختلف في معنى قوله تعالى اذا الشمس اي التي هي اعظم ايات السماء الظاهرة
واوضحها للحس كورت فقال ابن عباس اظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد
ابن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة على الراسي اكورها
كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها
ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة
في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتصيرها نارا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيمة تنبيه ارتفاع الشمس على

الفاعلية

الفاعلية ورافعها فعل يضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
واذا النجوم اي كلها كبارها وصغارها انكدرت اي انقضت وتساقطت على الارض ٥
قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال الحجاج في مدح عمرو
ابن معدي كرب اذا الكرام ابتدروا الباغ ابتدر تقضي البازي اذا البازي كسر
ابصر خربان فضى فانكدر اي انقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحباري والباغ
يستعمل في الكرام يقال فلان كريم الباغ والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا افعل المكرمات
بدرهم عمرو اي اسرع كانقضاض البازي وروي عن ابن عباس ان النجوم قناديل معلقة
بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي الملائكة عليهم السلام فاذا مات من في
السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه مات من كان
يمسكها واذا الجبال التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي اصلبها في الارض
سيرت اي ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منثورا وصارت الارض قاعا ٥
صفصفا واذا العشار اي النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفسا وهي التي اتى على حملها
عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها روي
انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه انفس
اموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك عطلت اي
تركت مسيبة مهملة بلا راع او عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم
او السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل والاول على وجه المثل لان
في القيمة لا تكون ناقة عشراء والمعنى ان يوم القيمة بحالة لو كان للرجل ناقة ٥
عشراء لعطلها واشتغل بنفسه واذا الوحوش اي دواب الارض التي لا تانس باحد التي
تظن انه لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها حشرت اي جمعت بعد البعث
ليقتص لبعضها من بعض ثم يصيرن ترابا قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل
اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور لبني آدم وعجاب بصورته كالطا ووس
ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم
السنة وقرا واذا البحار اي على كثرتها سجرت ابن كثير وابو عمرو بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد جرى بعضها في بعض

العذب والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وروي ابو العالية عن ابي بن كعب قال ست ايات
قبل القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك
اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلفت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم
الى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن
للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينما هم كذلك اذ جاءتهم
الريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنى عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة
وهي ما ذكر من بعد واذا النفوس اي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم زوجت اي قرنت
باجسادها وروي ان عمر سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح
في الجنة ويقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقتادة الحق كل امرئ بشيعته
اليهود باليهود والنصارى بالنصاري وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين
وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين واذا الموؤدة اي الجارية المدفونة حية كان الرجل في الجاهلية
اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب
بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظري فيها ثم
يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل
اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة واذا
ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من اجلهم او الخوف من الاملاق
كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به وهو الحق بهن وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه فخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات واحيى الوئيد فلم يوأد سئلت اي بسبب اي ذنب يا ايها الجاهلون
قتلت اي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر سوأ لكونها لم تصل الى حد التكليف فان قيل
ما معنى سؤالها عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد من موجب قتلها اجيب
بان سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وروي

ان

ق

ان قيس بن عاصم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وأدت ثمان بنات كن لي
في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب
ابل فقال له صلى الله عليه وسلم اهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال ان المرأة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيمة متعلق ولدها بيدها ملطخا
بدمائه فيقول يا رب هذه اي وهذه قتلتني واذا الصحف نشرت اي فتحت بعد ان كانت مطوية
والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد من خير ومن شر تطوى بالموت
وتنشر في القيمة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول يا ليت هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وروي عن عمر انه كان اذا قرأها قال اليك يسا
الامر يا ابن آدم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة
كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها
على تكرير النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان
واذا السما اي هذا الجنس كله لا افراده لانه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على
الباقي كشطت اي نزعت عن اماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة والغطاء عن الشيء قال القرطبي
يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته
او جلدته والمعنى ازيلت عما فوقها وقال القرطبي طويت واذا الجحيم اي النار
الشديدة التأجج سعرت اي اججت فاضرمت للكفار ويزيد في احماقها يقال سعرت النار
واسعرتها روي انه صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
واحتج بهذه الاية من قال النار مخلوقة الآن لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم
القيمة وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها واذا الجنة
اي البستان ذو الاشجار الملتفة والرياض المعجبة ازلفت اي قربت لاهلها
ليدخلوها وقال الحسن انهم يقربون منها لانها لا تزول عن موضعها وقال عبد الله
ابن زيد زينت والزلفى في كلام العرب القربى وقوله تعالى علمت نفس جواب اذا الاولى
وما عطف عليها اي علمت كل نفس من النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيمة فالتكير

فيه مثله في ثمرة خير من جزاءة ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه
ما اي كل شئ احضرت من خير وشر روي عن ابن عباس وعمران انهما قرا فلما بلغا علمت
نفس ما احضرت قال لهذا اجريت القصة قال الرازي ومعلوم ان العمل لا يمكن
احضاره فالمراد اذن ما احضرت في صحائفها او ما احضرته عند الحاسبة وعند الميزان
من آثار تلك الاعمال وعن ابن مسعود انه قارئا قراها عنده فلما بلغ علمت نفس ما
احضرت قال واقطع ظهراه فلا اقسم لا مزيدة اي اقسم بالخنس الجوار الكنس هي النجوم
الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون اي ترجع في مجراها
وتواريها بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها
اي تغيب في المواضع التي تغيب فيها فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء
الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي
تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل الذي هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها
وذهاب كنوسها اذا عسعس قال البغوي قال الحسن اقبل بظلامه وقال آخرون
ادبر فقال العرب عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ولم يبق منه الا القليل والصبح اذا تنفس
اي امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم
من الجوف وفي كيفية المجاز قولان اولا انه اذا اقبل الصبح اقبل بإقباله روح ونسيم فجعل
ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس الصبح الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون
الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فهنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من
ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله تعالى انه اي القران لقول رسول كريم هو المقسم عليه
والمعنى انه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى اي انتفت عنه وجوه المذام كلها
وثبتت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام واضاف الكلام اليه لانه قاله عن
الله عز وجل ذي قوة اي شديد القوي روى الضحاك عن ابن عباس انه قال من قوته قلعه
مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام
على بعض عتاب الارض المقدسة فنفخ بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وصاح صيحة تبود
فاصبحوا جاثمين وهبط من السماء الى الارض ويصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش
اي الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذي لا عند في الحقيقة الا اله وهو الله سبحانه

وتعالى

280

وتعالى وقوله تعالى هو مكين اي ذي مكانة متعلق به عند اي ذي منزلة ومكانة ليست عند غيره
بل عند به اكرام وتشريف كقوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قوي في ادآء طاعة الله تعالى وتر
الاخلال بها مطاع ثم اي في السموات قال الحسن فرض الله تعالى على اهل السموات طاعة
جبريل عليه السلام كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
من طاعة جبريل عليه السلام للملائكة انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم قال جبريل
لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فراى ما فيها امين اي بليغ الامانة على الوحي الذي
يجيء به وقيل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حينئذ ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي
يطيعه من اطاع الله تعالى وما صاحبكم اي الذي طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه في غاية
الكمال حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على انه
الى آخر المقسم به عليه واعترض في البين فقال تعالى بمجنون اي كما زعمتم بيتهم في قوله بل جاء
بالحق وصدق المرسلين فما القران الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول
اعقل العقلاء واكمل الكمل تنبيه استدل بذلك بعضهم على فضل عليه السلام على محمد صلى
الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو كما قال البيضاوي ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم
افترى على الله كذبا وقولهم ام به جنة لا تعدد فضله والموازنة بينهما ولقد راه اي
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله
ستمائة جناح بالافق المبين اي البين وهو الافق الاعلى الذي عند سدرة المنتهى حيث
لا يكون لبس اصلا ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة وقال مجاهد وقتادة
بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
اني احب ان اراك على صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال
فاين تشاء ان تجعل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذاك
بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من
جبال عرفات بضخامته وكلكله قد ملاء ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه ٥
في الارض فلما راآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل في صورته فضمه
الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في التخوم

السابعة وان العرش لعلي كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل
الوضع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمد صلى الله عليه وسلم راى ربه
عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك في سورة النجم وما اي وسمعه وراءه
والحال انه ما وهو اي محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب اي ما غاب من الوحي وخبر السماء ورؤية جبريل
وغير ذلك مما اخبر به وقرا بضنين ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء المشالة من الظنة
وهي التهمة اي فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو البخل اي فليس
ببخيل بالوحي فيروي بعضه ويسال تعليمه فلا تعلمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ
عليه حلوانا وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم
يقرا بهما قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما
مما لا بد منه للقاري فان اكثر اهل العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب
وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حرافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج
الضاد من جانبي لسانه وهي احدى الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احدى الاحرف الذولقية اخت الذال والتا ولو
استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال
العلم والقراة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي
احدى الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والتا مكان السين
لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما انتهى كلامه بحروفه وما هو اي
القران الذي من جملة معجزاته الاخبار بالمغيبات واغرق في النفي بالتاكيد بالبا فقال
تعالى بقول شيطان اي مسترق السمع فيوحيه اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة رجيم
اي مرجوم اي مطرود اي بعيد عن الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون ان هذا القران يجي
به شيطان فيلقيه على لسانه يريدون الشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه
وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى فاين منصوب
بقوله تعالى تذهبون لانه ظرف مبهم وقال ابو البقاء اي الى اين فحذف الجار اي فاي طريق
تسلكون في انكاركم القران واعراضكم عنه وفي هذا استضلال لهم فيما يسلكون من امر النبي

صلى

281

صلى الله عليه وسلم والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان اي ما هو
اي القران الذي اتاكم به الا ذكر اي عظة وشرف للعالمين من انس وجن وملك
وقوله تعالى لمن شا منكم بدل من العالمين باعادة الجار ان يستقيم باتباع الحق
قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو
راس القدرية فنزل وما تشاؤن الاستقامة على الحق الا ان يشا الله اي الا وقت
ان يشا الملك الاعظم الذي بيده كل شيء مشيئتكم الاستقامة عليه رب العالمين
اي مالك الخلق وفي هذا اعلام بان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى
ولا شرا الا بخذلانه ونقل البغوي في اول السورة باسناده الى ابن عمر رضي
الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال من احب ان ينظر في يوم القيمة فليقرا
اذا الشمس كورت واما قول البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته
فحديث موضوع

سورة الانفطار

مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وسبعة وعشرون حرفا بسم الله
الذي خلق كل شيء قدره تقديرا الرحمن الذي دبر الكاينات تدبيرا الرحيم الذي
ارسل رسوله للخلق نذيرا اذا السما اي على شدة احكامها واتساقها وارتفاعها
انفطرت اي انشقت لنزول الملايكة كقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام
واذا الكواكب اي النجوم الصغار والكبار كلها الغر الزاهرة المتوقدة
متفرقة لان عند انتقاض تركيب السما تنتثر النجوم على الارض واذا البحار
المتفرقة في الارض وهي ضابطة لها اتم فاختلط العذب بالملح ضبط
لنفع العباد على كثرتها فجرت اي فتح بعضها في بعض فاختلط العذب بالملح
وزال البرزخ الذي بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشق
الما بعد امتلا البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن في
قوله تعالى واذا البحار سجرت وقال هنا فجرت نعت واذا القبور اي مع ذلك
كله بعثرت اي قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحا قال الزمخشري وهما مركبان
من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما اي فهما بمعنى والمعنى قلب اعلاها

اسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخروج ما فيها من الموتى احيا وقيل
انك تبعثر اخراج ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتى بعد
ذلك وجواب اذا اول السورة وما عطف عليه قوله تعالى علمت نفس اي
كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيمة ماقدمت من عمل واخرت
اي جميع ما عملت من خير او شر او غيرهما فان قيل اي وقت من القيامة
يحصل هذا العلم قال الرازي لما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر
لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر
واما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة
والعاصي التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى
يا ايها الانسان اي البشر الانس بنفسه الناسي لما يعنيه خطاب
لمنكري البعث وروي عطا عن ابن عباس انها نزلت في الوليد بن المغيرة
وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الشريف ضرب النبي صلى الله عليه
وسلم فلم يعاقبه الله تعالى في اول امره وقيل تناول جميع العصاة لان
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ما غرك بربك اي ما خدعك
وسوّل لك الباطل حتى تركت ما اوجب عليك المحسن اليك وانيت بالمحرمات
الكريم اي الذي له الكمال كله المقتضي لان لا يهمل الظالم ولا يسوي بين
المحسن والمسيء هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على
الكافر وهو ظاهر الاية فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر
فان قيل كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه جواد
مطلق وآكد والجواد الكريم يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب
وهذا يوجب الاغترار كما يروي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى
عنه انه صيح بغلام له مرات فلم يليه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لم تجبني
فقال لثقتي بحلمك وامني عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه
وقالوا ايضا من كرم الله اداب غلمانه واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به
فكيف جعله ها هنا مانعا من الاغترار اجيب بان حق الانسان ان لا يغتر

بتكرم

282

بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل
بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخيرا للجزا الى ان يجمع الناس للجزا فالحاصل
ان تاخير العقوبة لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار لهذا التفضيل فانه
منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله
شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم
الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه
وقيل للفضل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك
الكريم ماذا تقول له قال اقول غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل
الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن
به قصاص الحشوية ويزورون عن ايمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته
ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله
حيث لم يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله تعالى به وقال قتادة سبب
غرور ابن ادم تسويل الشيطان وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو
الله تعالى به يوم القيمة فيقول له ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت
فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين الذي خلقك اي اوجدك
من العدم مهيا بتقدير الاعضا فسواك عدلك تلك الاطوار بتصوير
الاعضا والمنافع بالعقل فعدلك اي جعل كل شيء من ذلك سليما
مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله تعالى لها في تركيبه قوله تعالى
الذي يحتمل للاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب
واعلم انه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة
كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم فقوله سبحانه الذي خلقك اي بعد ان لم
تكن لا شك كرم لانه وجود والوجود خير من العدم والحياة خير من الموت
كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقوله تعالى
فسواك اي جعلك مستوي الخلقة سالم الاعضا غاية في الكرم كما قال

تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اي معتدل الخلق والاعضاء وقال ذو النون المصري اي سخر المكونات اجمع وما جعلك مسخر الشيء منها ثم انطلق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدك بالايمان وسرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا وقراعاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال والباقون ه بالتشديد بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدي يديك اورجليك اطول ولا احدي عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال عطاء عن ابن عباس جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنكبة وقال ابو علي الفارسي عدلك خلقك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات واصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فتحتمل هذا اي عدل بعض اعضاك ببعض ويحتمل ان يكون من العدول اي صرفك الى ما شاء من الهيئات والاشكال وتقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد في اي صورة اي من الصور التي تقرفها والتي لا تقرفها من الدواب والطيور وغيرذلك من الحيوان وغيره وما في قوله تعالى ما مزيده شاء متعلق بركبك في قوله تعالى ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قيل هل لا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها اجيب بانها بيان لعدلك ويجوز ان تتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعني تركيبا حسنا وقوله تعالى كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتلف به وهو موجب الشكر

والطاعة

283

والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية وقوله تعالى بل تكذبون اي يا كفار مكة بالدين اضراب الى ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزا على الاعمال والاسلام وان اي والحال ان عليكم اي ممن اقمناهم من جندنا من الملايكة لحافظين اي على اعمالكم بحيث لا يخفى ه عليهم منها جليل ولا حقير كراما اي على الله تعالى كاتبين اي لهذه ه الاعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزا على غاية التحرير تنبيه هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بني ادم من غير ان يختص واحد من الملايكة بواحد من بني ادم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملايكة كما ه قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره بشماله وقوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا ه وان عليهم حفظة فان قيل فاي شيء يكتب الذي عن يمينه ولا حسنة له اجيب بان الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفي هذه الاية دلالة ه على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملايكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون اي على التجدد والاستمرار ما تفعلون فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة وفي تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزا فانه عند الله من جلايل الامور ولو لا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه ه انذار وتهويل للعصاة لطف للمومنين وعن الفضيل انه كان اذا قرا هذا قال لما اشدها من اية على الغافلين ولما وصف الله تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين

وبد القسم اهل السعادة فقال تعالى ان الابرار اي للمومنين الصادقين
في ايمانهم باداء فرايض الله تعالى واجتناب معاصيه لفي نعيم اي
محيط بهم ابد الابدين وهو نعيم الجنة الذي لا نهاية له ثم ذكر قسم اهل
الشقاوة بقوله تعالى وان الفجار اي الذين من شانهم الخروج عما ينبغي
الاستقرار فيه من رضي الله الى سخطه وهم الكفار لفي جحيم اي نار محرقة
تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابد الابدين يصلونها اي يدخلونها ويقاسون
حرها يوم الدين اي يوم الجزا وهو يوم القيمة وما هم عنها اي الجحيم بغائبين
اي مخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل
ذلك في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث
حالات حالة الحياة التي يحفظ فيها عمله وحالة الاخرة التي يجازي فيها
وحالة البرزخ وهو قوله تعالى وما هم عنها بغائبين وروي ان سليمان
ابن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله
تعالى قال فاين اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك
عند الله تعالى قال فاين اجد ذلك في كتاب الله تعالى قال عند قوله
تعالى ان الابرار لفي نعيم الاية قال سليمان فاين رحمت الله قال
قريب من المحسنين ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال تعالى
وما ادراك اي وما اعلمك وما اجهدك في قطب الدراية به ما يوم
الدين اي اي شيء هو في طوله وهوله وفظاعته ونهاله ثم كرره
تعجبا لشانه فقال تعالى ثم ما ادراك اي كذلك ما يوم الدين اي ان
يوم الدين الذي بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما
تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل
ثم اجمل تعالى القول في وصفه فقال سبحانه يوم لا تملك اي بوجه
من الوجوه في وقت ما نفس اي اي نفس كانت لنفس شيا اي قل
او جل وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو
يوم وجوز الزمخشري ان يكون بدلا مما قبله يعني يوم الدين والباقون

بالفتح باضمار اعني او اذكر والامر اي كله يومئذ اي اذ كان البعث للجزا
لله اي ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك احد تعالى في ذلك اليوم امرا
شيا كما ملكهم في الدنيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من ه
السما حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث موضوع

سورة المطففين

مدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة نزلت
بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات وهي قوله تعالى ان
الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين
مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والضحاك
مكية وهي ست وثلاثون اية وماية وتسع وستون كلمه وسبعماية
وثمانون حرفا بسم الله الذي من توكل عليه كفاه الرحمن الذي عم جوده
الابرار والعصاة الرحيم الذي خص اهل طاعته بهداه ويل مبتدا وسوغ
الابتدا به كونه دعا وهو اما كلمة عذاب او هلاك ثابت عظيم في كل حال من
احوال الدنيا والاخرة لاولاد في جهنم وقوله تعالى للمطففين خبره والتطفيف
النجس في الكيل او الوزن لان ما ينجس شيا طفيف حقير قال الزجاج
وانما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه يكاد يسرق في
المكيال والميزان الا الشيا اليسير الطفيف وروي ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت
فاحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال
خمس بخمس قيل يا رسول الله ما خمس قال ما نقض قوم العهد الا
سلط الله تعالى عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشى
فيهم الفقر ولا ظهر منهم الفاحشة الا فشي فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم
المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها رجل

يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فنزلت
وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزلت وعن علي انه مر برجل يزن الزعفران
وقد ارجح فقال له اذا اقمت الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت
كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن
ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم
المكيال والميزان وحض الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا
وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يوزنون واهل المدينة
يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل
فان المطففين يوقفون في يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق
يلجمهم الى انصاف اذانهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار
فقيل له ان ابنك كيال اووزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي لا تلتمس
الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين ثم بين المطففين
من هم بقوله تعالى الذين اذا اكتالوا اي عالجوا الكيل على الناس
اي كائنين من كانوا لا يخافون شيا ولا يراعون احدا بل صارت الخيانة
والوقاحة لهم دينا يستوفون اي اذا كالوا منهم وابدل على مكان
من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال يضرهم ويتحامل فيه
عليهم ويجوز ان يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل
لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة واما انفسهم
فيستوفون لها وقال الغزالي وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق
عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت
منك فكقوله استوفيت منك واذا كالوهم اي كالوا للناس اي حقهم
اي مالهم من الحق اووزنوهم اي وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل
كما قال الفايل

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ، ولقد نهيتك عن بنات الاوبر ،

وقال

والحريص يصيدك لا الجواد ، بمعنى جنيت لك ويصيد لك ،
ويقال وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك ونصحتك
ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والاكؤ جمع كماة والعساقل ضرب
منها واصله عساقيل لان واحدها عسقول كعصفور فحذف الياء
للضرورة وبنات اوبر ضرب من الكماة ردي يخسرون جواب اذا وهو
يتعدي بالهمزة يقال خسر الرجل واخسرته انا المفعوله محذوفا اي يخسرون
الناس متاعهم وقيل يخسرون اي ينقصون بلغة فارس اي ينقصون
الكيل والوزن وقوله تعالى الا يظن اولئك اي الاخسا البعدا الاراذل
انهم مبعوثون ليوم اي لاجله وفيه وتزاد التهويل بقوله تعالى عظيم
انكار وتعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم
ولا يحسبون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وقيل
الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى يوم يقوم الناس يجوز نصبه بقوم الناس اي من هـ
قبورهم لرب العالمين اي الخلايق لاجل امر وجزايه وحسابه وعن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب
احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وعن المقداد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة ادنيت الشمس من العباد
حتى تكون قيد ميل او اثنين قال سليم لا ادري اي الميلين يعني مسافة
الارض او الميل الذي تكحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون
في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من ياخذه الى عقبيه ومنهم من ياخذه الى
ركبتيه ومنهم من ياخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول لجمه الجاما وعن قتادة
اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن
الفضيل بخس الميزان سواد الوجوه يوم القيمة وعن عبد الملك بن
مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان

المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به ما ظنك بنفسك
وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب
وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين
ووصفه ذاته بيان برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم
في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط
والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل
وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس هـ
لرب العالمين بكي نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين ان
لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الكيل والوزن وفي اظهار العيب
واخفاءه وفي طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخاه هـ
المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والعاشرة والصحبة في هذه المادة
والذي يرى عيب الناس ويرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن
طلب حق نفسه من الناس ولم يعطهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى
كلا ردع اي الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وها هنا تم الكلام وقال
الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا وجري الجلال المحلي وأكد
المفسرين على الاول ان كتاب الفجار اي كتب اعمال الكفار واظهر موضع
الاضمار تفخيما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف في معنى قوله تعالى
لفي سجين فقيل هو كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله تعالى فيه هـ
اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل
هو مكان تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده وقال
عبد الله بن عمر سجين في الارض السابعة السفلى فيها ارواح هـ
الكفار وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل
سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال الكلبي هو هـ
صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات منها يجعل كتاب
الفجار فيها قال وهب هي احد اطباق ابليس وعن كعب الاحبار ان روح

الكافر حين الكافر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها ثم
يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع هـ
ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس وذلك
استهانة بها ويشهدها الشياطين المدحورين كما يشهد ديوان الخير هـ
الملايكة المقربون وقال عكرمة تفي سجين اي في خسار وضلال وما
ادراك اي جعلك داريا وان اجتهدت في ذلك ما سجين وقاله الزجاج
اي ليس ذلك ما كنت تعلمه انت ولا قومك وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس
تفسيرا لسجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب
الفجار اي هو كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة مكتوب فيه اعمالهم
مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازون به او معلم
يعلم من راه انه لا خير فيه وقيل الرقم الختم بلغة حمير واقتصر على هذا
الجلال المحلي وقال قتادة رقم عليه شركا نه علم بعلامة يعلم بها
انه كافر والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان
وسجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق في جهنم او مكانه مطروح
تحت الارض كما مر فان قيل سجين هل هو اسم او صفة اجيب بانه
اسم علم مرتجل منقول من وصف كخاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب
واحد وهو التعريف ويل اي اعظم الهلاك يومئذ اي اذ تقوم الناس لما
تقدم للمكذبين اي بذلك او بالحق وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم
اي بسبب الاخبار بيوم الدين اي الجزاء الذي هو سر الوجود بدل او بيان
للمكذبين ثم اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين بثلاث صفات
ذكر اولها بقوله تعالى وما اي والحال انه ما يكذب به اي بذلك اليوم
الا كل معتد اي متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر
قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية
بقوله تعالى اثيم اي منهمك في الشهوات المحرمة بحيث اشتغل عما وراءها
وحملته الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى اذا تتلى عليه

ايانتنا اي القران قال اساطير الاولين اي الحكايات سطرة قديما جمع اسطور بالضم وذلك فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلايل العقل وهذا عام في كل موصوف بذلك وقال الكلبي هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحارث وقوله تعالى كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا كما مر بل ران اي غلب واحاط وغطا تغطية الغيم السما على قلوبهم اي كل من قال هذا القول ما كانوا يكسبون كما يركب الصدا من اجرارهم على الكبائر وتسويف التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل اليه روي ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلوا قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه المبين وقال معاذ الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال ان اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغاب عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه وران به الخمرة ذهبت به وقرا حمزة وشعبة والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكن حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت وقوله تعالى كلا ردع عن الكسب الران على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر انهم عن ربهم اي المحسن اليهم يومئذ لمحجوبون اي فلا يرونه بخلاف المومنين فانهم يرونه كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه

الاية

الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله تعالى ومن نفى الرؤية كالزمخشري جعله تمثيلا للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن هم على الملوك الا للوجها والمكرمين لديهم ولا تحجب عنهم الا الاذناب المهانون عندهم وعن ابن عباس وقتاده محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم اي بعد ما شاء الله تعالى من امرهم لصالوا الجحيم اي لداخلوها النار المحرقة ثم يقال اي يقول لهم الخزنة هذا اي العذاب الذي كنتم به تكذبون اي في دار الدنيا وقوله تعالى كلا ردع عن التكذيب وقيل معناها حقا كما مر وقال البيضاوي تكرير الاول ليوكد ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور وما يغاير ورد عن التكذيب ان كتاب الابرار اي كتب اعمال المومنين الصادقين في ايمانهم لفي عليين وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كما علمت صلحا الثقلين منقول من جمع هو على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السما السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملايكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله تعالى من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين وقد غفرت له وانتم لتصعدن بعمل العبد فتزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين وعن البرا مرفوعا عليين في السما السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضرا معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطا عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين وما ادراك

اي جعلك داريا وان بالغت في الفحص ما عليون اي ما كتاب عليين
هو كتاب اي عظيم مرقوم اي فيه ان فلانا آمن من النار رقما يالله من رقم
ما ابهاه واجمله يشهده المقربون يحضرونه فيشهدون على ما فيه يوم القيامة
او يحفظونه ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم اي
في الجنة ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارائك اي هي
الاسرة في الحجال ولا يسمى اريكة اما اذا كان كذلك والحجال بكسر الحاء جمع حجلة
وهي بيت يزين بالثياب والستور والاسرة قاله الجوهري ينظرون
اي الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى
من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم
عن الادراك وقال الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى لنظرة اي ه
ايها الناظر اليهم في وجوههم عند رويتهم نضرة النعيم اي بهجته وحسنه
ورونقه كما تري في وجوه الاغنيا واهل الترفه والخطاب اما للنبي صلى
الله عليه وسلم او لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب
وهذا هو الامر الثامن واما الثالث فهو قوله تعالى يسقون من رحيق اي
خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر البيضا وقال الرازي لعله الخمر
الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول مختوم اي ختم ومنع من ان تمسه يد
الى ان يفك ختمه الابرار وقال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه تكريما له
بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر
اخري تجري انهارا لقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا
المختوم اشرف من الجاري ختامه مسك اي اخر شربه يجوح مسك فيه
فالمختوم الذي له ختام اي اخر وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم
بالكافور ويختم بالمسك وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل
طينه مسك وقيل تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة
وفي ذلك اي الامر العظيم البعيد التناول وهو العيش والنعيم
والشراب الذي هذا وصفه فليتنافس اي فليرغب غاية الرغبة بجميع

الجهد

288

الجهد والاختيار المتنافسون اي الذين من شانهم المنافسة وهي ان
يطلب كل منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره
لانه نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتعالى
فيه والمنافسة في مثل هذا مكرمة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة
وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل
العاملون وقال مقاتل ابن سليمان فليسارع المتسارعون وقال عطا
فليستبق المستبقون وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في
الجميع واحد واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس
الناس ويريد كل احد لنفسه ويتنفس فيه على غيره اي يضن ومزاجه
اي ما يمزج به ذلك الرحيق من تسنيم وهو علم لعين بعينها سميت
بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها تاتيهم من فوق
على ما قيل انها تجري في الهوا مسنمة فتصب في اواني اهل الجنة
على مقدار الحاجة فاذا امتلات امسكت وقوله تعالى عينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصبت على الحال يشرب بها اي بسببها على طريقة
المزج منها المقربون وضمن يشرب معنى يلتذ فهم يشربونها صرفا ويمزج
لسايراهل الجنة ان الذين اجرموا اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم
رؤسا قريش وهم كانوا من الذين امنوا وهم فقرا الصحابة عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقرا المومنين يضحكون اي استهزاء بهم واذا مروا
اي المومنون بهم اي بالذين اجرموا يتغامزون اي يشير المجرمون الى
المومنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم وقيل يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم قيل جا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في نفر من
المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم
فقالوا رايتنا اليوم وضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى النبي صلى الله
عليه وسلم واذا انقلبوا اي رجع الذين اجرموا برغبتهم في الرجوع واقبالهم
عليه من غير تكره الى اهلهم اي منازلهم التي هي عامرة بجماعتهم وقراءة

حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسر الهاء
والباقون بكسر الهاء وضم الميم انقلبوا حالة كونهم فاكهين اي متلذذين
مما كان من مكنتهم ورفعتهم التي اوصلتهم الى الاستخبار بغيرهم
قال ابن برجان روي عنه عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا
غريبا وسيعود غريبا كما بدا ويكون القابض على دينه كالقابض على
الجمر وفي اخري يكون المومن فيهم اذل من الامة وفي اخري المعالم
فيهم اندثن من جيفة حمار فالله المستعان وقرا حفص بغير
الف بين الفاء والكاف والباقون بالالف قيل هما بمعنى وقيل
فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاج
واذا راوهم اي راي المجرمون المومنين قالوا اي المجرمون ان
هؤلاء اي المؤمنين لضالون اي لايمانهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم يرون انهم على شيء وهم على ضلال في تركهم التنعيم الحاضر
بسبب شيء لايدري هل له وجود ام لا قال الله تعالى وما اي
والحال انهم ما ارسلوا اي الكفار عليهم اي على المومنين حافظين
اي موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم
ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا قبل بهم وقيل هو من جملة
قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم
لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى فاليوم منصوب بيضحكون
ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ ليس بخلاف
زيدا قام في الدار ليجوز في الدار زيدا قام ومعنى فاليوم اي في
الاخرة الذين امنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان من الكفار يضحكون
وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا يضحكون على
المومنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبوس وفي الاخرة
يضحك المومنين على الكافرين بسبب ما هم فيه من الهوان والصغار

بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه ومنها انهم
علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شيء وانهم باعوا الباقي بالفاني
ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالنصب اليسير
راحة الابد ومنها قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها
احرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا راؤها وقد فتحت ابوابها
اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا
الى ابوابها غلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فهذا سبب الضحك
ومنها انهم اذا دخلوا الجنة واجلسوا على الارايك ينظرون الى الكفار
كما قال تعالى على الارايك اي الاسرة العالية ينظرون اليهم
كيف يعذبون في النار وير فضوة اصواتهم بالويل والثبور ويلعن
بعضهم بعضا قلبت لا ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان وقال كعب بين الجنة
والنار كوى اذا اراد المومن ان ينظر الى عدو له كان في الدنيا اطلع
عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم
فاذا اطلعوا من الجنة على اعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا
قال الله تعالى هل ثوب الكفار اي هل جوزوا ما كانوا يفعلون
اي جزاء استهزائهم بالمومنين ومعنى الاستفهام هاهنا التقرير
وثوب واثاب بمعنى واحد اذا جازاه قال اوس

سأجزيك او يجزيك عني مثوب ... وحسبك ان يثني عليك وتحمدي

وقرا الكسائي وهشام بادغام اللام في الثاء والباقون
بالاظهار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة المطففين سقاه الله الرحيق
المختوم يوم القيامة حديث موضوع افتري والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الانشقاق

مكية وهي ثلاث او خمس وعشرون اية ومائة وسبع واربعمائة

واربعة وثلاثون حرفا لبسم الله الذي شقق الارض بالنبات الرحمن
الذي عم جوده اهل الارض والسموات الرحيم الذي خص اهل طاعته
بالجنات وقوله تعالى اذا السما اي على ما لها من الاحكام والعظمة
انشقت كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه
وهي وفي اذا هذه احتمالات احدها ان تكون شرطية والثاني ان
تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها اوجه احدها انه محذوف
لينهب المقدر كل مذهب او اكتفا بما علم في مثلها من سورتي ه
التكوير والانفطار وهو قوله علمت نفس الثاني جوابها ما دل عليه
فملاقيه الثالث انه يا ايها الانسان على حذف الفا وعلى كونها
غير شرطية فهي مبتدا وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت
انشقاق السما وقت مد الارض اي يقع الامران في وقت قاله الاخفش
وقيل انه منصوب بمضمر اذكر وانشقاقها بالغمام
وهي من علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام
وعن علي تشقق من المجرة قال ابن الاثير المجرة هي البياض
المعترض في السما والسراب من جانبيها واذنت اي سمعت واطاعت
في الانشقاق لربها اي لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقيادا
للمطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع فافضت له واذعن ولم
ياب ولم يمتنع كقوله ائتينا طائعين وحقت اي حق لها ان تسمع
وتطيع بان تنقاد ولا تمتنع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق
واذا الارض اي على ما لها من الصلابة مدت اي زيد في سعتها
كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان
الاديم اذا امد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى والقت اي اخرجت
ما فيها من الكنوز والموتى كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
وتخلت اي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن

بعظم

بعظم الامر كما تلقى الحامل ما في بطنها عند الشدة ووضعت ه
الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق ان الله تعالى هو المخرج لتلك
الاشيا من الارض وقوله تعالى واذنت لربها وحقت تقدم تفسيره
وهنا ليس تكرارا لان الاول في السما وهذا في الارض وتقدم جواب
اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه انه محذوف دل عليه
ما بعده تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة واختلف
في الانسان في قوله تعالى يا ايها الانسان اي الآنس بنفسه الناسي
لامر ربه انك كادح فقيل المراد جنس الانسان كقوله يا ايها الرجل
فكانه خطاب خص به احد من الناسي قال القفال وهو ابلغ
من العموم لانه قايم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم
على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه
فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك في ابلاغ رسالات
الله تعالى وارشاد عبيده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك
تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال ابن عباس هو ابي ابن خلف وكدحه
هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا النبي صلى الله عليه وسلم والاضرار
على الكفر والكدح جهد النفس في العمل وانكاده حتى يوثر فيها من
كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك اي جاهد الى لقائه
وهو الموت اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره
انك كادح في دنياك كدحا تصير الى ربك وقوله تعالى فملاقيه يجوز
ان يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدا
مضمر اي فانت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه اما للرب
اي ملاق في حكمه لا مفر لك منه واما للكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض
لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزا كدحك من خير او شر وقال
الرازي المراد ملاقات الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال

ويوكد هذا قوله تعالى بعده فاما من اوتي كتابه اي كتاب عمله
الذي كتبته الملايكة بيمينه اي من امامه وهو المؤمن المطيع
فسوف يحاسب اي يعتع حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد
لانظار الجبروت والكبرياء والقهر حسابا يسيرا هو عرض عمله عليه كما فسر
من حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من
حوسب عذب قالت عايشة اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب
حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب
وانما حسابا سهلا لانه كان يحاسب نفسه فلا تفع له المخالفة الا وهو يراه
فلاجل ذلك يعرض اعماله فيقبل حسنها ويعفي عن سيئها ويتقلب
اي يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول الى اهله اي الذي اهلهم
لهم في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذ اكانوا موفين
مسرورا اي فذا ومن جنة وحريرا فانه كان في الدنيا في اهله مشفقا من
العرض على الله تعالى لذلك يحاسب نفسه حسابا عسيرا مع ما هو فيه
من نكد العيش وضيق المعيشة واما من اوتي كتابه وراء ظهره
وهو الكافر تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فياخذ
بها كتابه فسوف يدعوا اي بوعد لا خلف في وقوعه ثبورا يقول هو
يا ثبوراه والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا ويصلى سعيرا
اي يدخل النار الشديدة وقرأ ابو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون
الصاد وتخفيف اللام والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام
وقرا حمزة والكسايي بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين
واذا فتح ورش غلظ اللام واذا اميل رقق والباقون بالفتح انه كان
اي بما هو له كالجبلة في اهله اي عشيرته في الدنيا مسرورا قائلا
للغفال اي منعما مستريحا من التعب باد العباد ات واحتمال
مشقة الفرايض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي امنا من الحساب

والثواب

والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل ان قوله تعالى انه كان في هـ
اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين
اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بالله تعالى
والتكذيب بالبعث يضحكون ممن امن بالله تعالى وصدق بالحساب
كما قال تعالى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر انه
ظن اي لضعف نظره ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي
انه لن يجورا اي لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يجور ولا
يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ٭ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يجور حتى سمعت اعرابية
تقول لبنتها لبنت لها حوري اي ارجعي وقوله تعالى بلى ايجاب لما
بعد النفي في لن يجورا اي بلى ليحورن ان ربه اي الذي ابتدا انشاءه
وربياه كان اي ازلا وابدا به بصيرا اي من يوم خلقه الى يوم بعثه
اي باعماله لا ينساها وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب
من الشقاوة واختلفوا في الشفق في قوله تعالى فلا اقسم بالشفق
فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقي من النهار وقال ابن
عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس
وقال قوم هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وبه سمي
بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة في القلب عليه
واللام في لما اقسم مزيدة للتاكيد والليل اي الذي يغلبه ويذهبه
وما وسق اي ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق
قال الشاعر

مستوسقان لو يجدن سايقا ٭ وتطيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى

اليه من الدواب وغيرها والقمر الذي هو ايته اذا اتسق اي اذا
اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة وقال قتادة استدار وهو افتعل
من الوسق تنبيه قد اختلف العلما في القسم بهذه الاشياء
هل هو قسم بها او بخالقها فذهب المتكلمون الى ان القسم واقع
بربها وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بان
يقسم بغير الله تعالى او بصفة من صفاته وقد مر ان ذلك يكره
في حق الانسان فان الله تعالى يقسم بما شا من خلقه وجواب
القسم لتركبن اي ايها الناس اصله تركبونن حذفت نون الرفع
لتوالي الامثال والواو للتقا الساكنين وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بفتح البا على خطاب الانسان والباقون بضمها على خطاب الجمع
وهو معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان
طبقا مجاوزا عن طبق اي حالا بعد حال قال عكرمة رضيع ثم فطيم
ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض
وعن عطا مرة فقيرا ومرة غنيا وقال ابو عبيدة لتركبن سنن من
كان قبلكم واحوالهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن
من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم
قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى
فما لهم اي الكفار لا يومنون استفهام انكار اي مانع لهم من الايمان
او اي حجة لهم في تركه بعد وجود براهينه وما لهم اذا قرئ عليهم
اي من اي قارئ قراة مشروعة عليهم القران اي الجامع لكل ما
ينفعهم في دنياهم واخراهم الفارق بين كل ملتبس لا يسجدون
اي لا يخضعون بان يومنوا به لاعجازه او لا يصلون قاله
مقاتل او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه صلى الله عليه وسلم
قرا واسجد واقترب فسجد ومن معه من المومنين وقريش
تصفق رؤسهم فنزلت وعن ابي هريرة انه قال سجدنا مع

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السماء
انشقت وعن نافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرا
اذا السما انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابي
القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه وليس في
ذلك دلالة على وجوبها فهي مندوبة وعن الحسن هي واجبة
واحتج ابو حنيفة على وجوب السجود بانه تعالى ذم من سمعه
ولم يسجد وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة
وما روي عن ابي هريرة يخالفه وعن انس صليت خلف
ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا بل الذين كفروا يكذبون
اي بالقران والبعث والله اعلم بما يوعون اي بما يجمعون في صدورهم
ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضا او بما يجمعون في
صحفهم من الكفر والتكذيب واعمال السوء ويدخرون لانفسهم
من انواع العذاب وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي مولم
استهزا بهم او ان البشارة بمعنى الاخبار اي اخبرهم وقوله
تعالى الا استثنا منقطع اي لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات
تحقيقا لايمانهم لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص ولا
ممنون به عليهم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا اذا السما انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه
كتابه وراء ظهره حديث موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة البروج

مكية وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة
وثمانون وخمسون حرفا بسم الله الذي احاط علمه بالكاينات الرحمن
الذي عم جوده جميع المخلوقات الرحيم الذي خص اهل السعادة
بالجنات وقوله تعالى والسما اي العالية غاية العلو المحكمة غاية
الاحكام ذات البروج قسم اقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على

ذلك مرادا وفي البروج اقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا
عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وقال الحسن هي النجوم
وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقوله
تعالى واليوم الموعود قسم اخر وهو يوم القيامة قال ابن عباس
وعد اهل السماء والارض ان يجتمعوا فيه واختلفوا في قوله تعالى
وشاهد ومشهود فقال ابو هريرة وابن عباس الشاهد يوم
الجمعة والمشهود يوم عرفة وروي مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة
واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي
في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامله بما عمل فيه
قال القرطبي وكذا سائر الايام والليالي لما روي ابو نعيم الحافظ
عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس يوم يأتي على العبد
الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شاهد
فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني اذا مضيت لم ترني ابدا
ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن عمر
ان الشاهد يوم الاضحى وقال ابن المسيب الشاهد يوم التروية
والمشهود يوم عرفة وروي عن علي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم
النحر وقال مقاتل اعضاء الانسان هي الشاهد لقوله تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا الاية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى انا ارسلناك شاهدا وقيل ادم وقيل الحفظة
الشاهد والمشهود اولاد ادم وقيل غير ذلك وكل ذلك صحيح
واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلي جواب القسم
محذوف صدره اي لقد قتل اي لعن اصحاب الاخدود وقال

الزمخشري

الزمخشري محذوف ويدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل
اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب
الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم
بما جرى على من قبلهم واستظهر هذا البيضاوي والاخدود هو
الشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه اخاديد واختلف
فيهم فعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك
فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت
فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه
اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان
اذا اتى الساحر مر بالراهب فاقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا
رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله
ضربوه فشكى الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني
اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبستي الساحر فبينما هو
كذلك اذا اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم
الراهب افضل امرك ام الساحر افضل فاخذ حجرا فقال اللهم ان
كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي
الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له
الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ترى وانك
ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص
ويداوي الناس سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي
فاتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك اجمع ان انت شفيتني فقال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت بالله دعوت الله تعالى
فشفاك فامن بالله تعالى فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان
يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال اولك رب
غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على

الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ
الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما يشفي
الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقال
ارجع عن دينك فابى فدعا المنشار فوضع المنشار في فرق راسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن
دينك فابى ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك
فابى فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا
به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا
به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم
الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك
فقال كفانيهم الله تعالى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به
فاحملوه في قرقورة وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه
فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات السفينة بهم ففرقوا
وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم
الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال
وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم
خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله
رب هذا الغلام ثم اريني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس
في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ووضع السهم
في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب هذا الغلام ثم رماه فوقع السهم
في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس
امنا برب الغلام امنا برب الغلام امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك
فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن
الناس فامر بالاخدود بافواه السكك فخدوا ضرم النيران
وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى

جات

جات امراة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال يا اماه اصبري
فانك على الحق فاقتحمت قال البغوي هذا حديث صحيح وقيل ان
الصبي قعي ولا تناقعي وقيل ما هي الا نحيضة فصبرت وذكر
محمد بن اسحاق وعن وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين
عيسى فوقع على نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنود من
حمير وخيرهم بني النصرانية واليهودية فخد الاخاديد واحرق اثني
عشر الفا من الاخاديد وقيل سبعين الفا ثم غلب ارياط على اليمن
فخرج ذو نواس هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذو نواس
قتل عبد الله بن التامر وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن
ابي بكر ان خربة اقترحت في زمن عمر فوجدوا عبد الله بن التامر
واضعا يده على ضربة في راسه اذا اميطت يده عنها انبعث دما واذا
تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر
فكتب ان اعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وعن ابن عباس قال كان بنجران
ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في
الفترة قبل ان يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان
في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه سلمه الى معلم يعلمه
السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد برا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى
المعلم وكان في طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر قريبا من
معنى حديث صهيب الى ان قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي
الا ان تفعل ما اقول قال فكيف اقتلك قال تجمع اهل مملكتك وانت على
سريرك فترميني بسهم على اسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس
لا اله الا الله عبد الله بن التامر لا دين الا دينه فغضب الملك واغلق
باب المدينة واخذ افواه السكك واخذ اخدودا وملاه نارا ثم عرضهم
رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن
تامر القاه في الاخدود واحرقه وكان في مملكته امراة فاسلمت فيمن اسلم

ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك
والا القيتك واولادك في النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في
النار ثم قال لها ارجعي فابت فاخذوا الصبي منها ليلقوه في النار
فهمت المراة بالرجوع فقال لها الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك
على الحق ولا باس عليك فالقي الصبي في النار والقيت امه على اثره
وعن علي انهم اختلفوا في احكام المجوس فقالوا قال هم اهل كتاب وكانوا
متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم
فسكر فوقع على اخته فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان
تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات ثم
تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم
الصوت فلم يقبلوا اذ امرتنا بالاخاديد واتيقاد النيران وطرح من ابى فيها
فهم الذين اراد هم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وعن مقاتل
كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام واخرى
بفارس فحرقوا بالنار اما التي بالشام فنهوا بطاموس الرومي واما التي
بفارس فبخت نصر واما التي بارض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما
التي بفارس والشام فلم ينزل الله فيها قرانا وانزل في التي كانت بنجران
وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرا الانجيل اجر نفسه في عمل وجعل يقرا
الانجيل فراى بنت المستاجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك
لابيها فرمقه فراه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره عن الدين
والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامراة
وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السما فسمع ذلك يوسف
ذو نواس فخدلهم في الارض واوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن ابى
ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان
امراة جات ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق
نظرت الى ابنها فرجفت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك

ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع ولا فقال لها يا اماه اني
اري امامك نارا لا تطفى فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار
فجعلها الله تعالى وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة
وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وقوله
تعالى النار بدل اشتمال من الاخدود وقوله تعالى ذات الوقود وصف
لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس
واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف
لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها
على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله
وبات على النار الندي والمحلق ، وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا
المكان يدنو منه فكانوا يقعدون حولها على الكراسي وقال الفرطبي عليها
وهم على ما يفعلون بالمومنين بالله من تعذيبهم بالقا في النار ان لم
يرجعوا عن ايمانهم شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم
يقصر فيما امر به او شهود بمعنى حضور اذ روي ان الله تعالى اجى
المومنين الملقين في النار بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت
النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور ان
المقتولين هم المومنون وروي ان المقتولين هم الجبابرة روي انهم
لما القوا المومنين في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى
الله المومنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس ص
والواحدي وتاولوا قوله تعالى ولهم عذاب جهنم اي في الاخرة
ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا فان قرأ اصحاب الاخدود بالقاتلين
فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دعا عليهم كقوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره وان فسر بالمقتولين كان قوله تعالى
المعنى ان المومنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء والمقصود

من هذه الاية تثبيت تلوب المومنين واخبارهم بما كان يلقاه
من قبلهم من الشدايد وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم
قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من اذي الكفار ليتاسوا
بهذا الغلام في صبره على الاذى والصلب وبذل نفسه في اظهار
دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب
على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك اكثر الناس لما
امنوا بالله تعالى وما نقموا اي وما انكروا وكرهوا منهم من المخالفة وكان
وجها ذنبا ونقصا الا ان يومنوا اي يجددوا الايمان مستمرين عليه بالله
اي الذي له الكمال كله العزيز في ملكه الذي يمنع من يغلب من اراد
ولا يغلبه شيء الحميد اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يثيب من اطاعه
اعظم ثواب وينتقم ممن عصاه باشد العذاب وهذا استثناء على طريقة
قول القايل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول اي كسر في حدهن من قراع الكتايب
اي من ضربها والكتايب بالمثناة جمع كتيبة وهي الجيش وقال
ابن الرقيات

ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا

ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما ذكر
تعالى الاوصاف التي يستحق بها ان يومن به ويعبد وهو كونه تعالى
عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمه ويرجى
ثوابه قرر ذلك بقوله تعالى الذي له اي خاصة ملك السموت والارض
اي على جهة العموم مطلقا فكل من فيها يحق عليه عبادته والخشوع
له تقريرا لما ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينبغي الا مبطل منهمك في
الغي وان المنافقين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب
والله الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة على كل شيء شهيد فلا
يغيب عنه شيء وهذا لان الله تعالى علم ما فعلوا وهو مجازيهم

عليه

عليه ولما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها ما يتفرع من احكام الثواب
والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي
حرقوهم بالنار يقال فتنت الشيء اذا احرقته والعرب تقول فتن فلان
الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته وتطيره يوم هم على النار
يفتنون قال الرازي ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا
اولى لان اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك الظاهر من غير
دليل ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه
باداة التراخي فقال تعالى ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وعن ما فعلوا
فلهم عذاب جهنم اي بكفرهم ولهم عذاب الحريق اي عذاب احراقهم للمومنين
في الاخرة وقيل في الدنيا بان خرجت النار فاحرقتهم كما تقدم
ومفهوم الاية انهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على ان
الله تعالى يقبل التوبة من القاتل للمتعمد خلافا لما روي عن ابن
عباس ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكر ما اعد للمومنين بقوله
تعالى ان الذين امنوا اي اقروا بالايمان من المقدم فيه في النار وغيرهم
من كل طايفة في كل زمان وعملوا الصالحات تحقيقا لايمانهم لهم جنات اي
بساتين تفضلا منه تعالى تجري من تحتها اي تحت غرفها واسرتها وجميع
اماكنها الانهار يتلذذ ويبردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في
الدنيا ويزول عنهم برويته ذلك مع خضرة الجنات جميع المضار والاحزان ذلك
اي الامر العالي الدرجة العظيم البركة الفوز اي الظفر بجميع المطالب الكبير
وهو رضي الله تعالى ولا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل
تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة
الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا ان بطش
ربك اي اخذ المحسن اليك المدبر لامرك الجبار والظلمة لشديد كقوله
تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف

فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف ولما كان هذا البطش لا يتاتي الا
لكامل القدرة دل علي كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله
تعالي موكدا لما له من الانكار انه هو اي وحده يبدي اي يوجد
ابتدا اي خلق اراد الي اي هيئة اراد ويعيد اي ذلك المخلوق عند البعث
وروي عكرمة قال عجب الكفار من احيا الله تعالي الاموات اي فنزلت
وقال ابن عباس يبدي لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في
الاخرة وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ البطش ويعيده فيبطش
بهم في الدنيا والاخرة او دل باقتداره علي الابتدا والاعادة علي
شدة بطشه او اوعد الكفرة بان يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم
يشكروا نعمة الابدا وكذبوا بالاعاده وهو اي وحده الغفور اي الستور
لعباده المومنين وقرا قالون والكسائي بسكون الها والباقون بضمها
وقوله تعالي الودود مبالغة في الوداد قال ابن عباس هو المتودد
لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد
واركب في الود عريانه ذلول الجماع لقاحا ودودا
اي لا ولد له تحن اليه وقيل هو فعول بمعني مفعول كالركوب
والحلوب بمعني المركوب والمحلوب وقيل يغفر وتود ان يغفر ذو العرش
اي خالقه ومالكه اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان علي سرير
ملكه وان لم يكن علي سرير ويقال قل عرشه اي ذهب سلطانه
او السرير الدال علي اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير
والسيادة والسياسة الذي له قوام الامور وقرا المجيد حمزة والكسائي
بجر الدال علي انه نعت للعرش او لربك في قوله تعالي ان بطش
ربك قال مكي وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من
صفات الله تعالي انتهي وهذا ممنوع لان مجد العرش علوه وعظمه
كما قاله الزمخشري وقد وصف العرش بالكريم في اخر المومنين
وقرا الباقون برفع الدال علي انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذوا

واستدل

واستدل بعضهم علي تعدد الخبر بهذه الاية ومن منع قال لانها في معني
خبر واحد اي جامع لهذه الاوصاف الشريفة او كل منها خبر مبتدا
مضمر والمجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه موصوف
بذلك وتقدم وصف عرشه بذلك فعال اي سبيل التكرار
والمبالغة لما يريد قال القفال اي يفعل ما يريد علي ما يراه لا يعترض
عليه احد ولا يغلبه غالب فيدخل اولياه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل
اعداه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة علي ما يشا الي ان
يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شا فهو يفعل ما يريد وعن ابي
الستر دخل ناس من الصحابة علي ابي بكر الصديق رضي الله عنه يعودونه
فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد راني قالوا فماذا قال لك قال قال اني
فعال لما اريد وقال الزمخشري فعال خبر مبتدا محذوف وانما قال فعال
لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة
محضة علي وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود تنبيه دلت
هذه الاية ان جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالي لا يجب عليه شي
لانها دالة علي انه يفعل ما يريد هل اي قد اتاك اي يا اشرف الرسل
حديث اي خبر الجنود اي الجموع الكافرة المكذبة لانبيايهم وقوله تعالي
فرعون وثمود يجوز ان يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه
لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية واجيب بانه علي حذف
مضاف اي جنود فرعون وان المراد فرعون وقومه واستغني
بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني
لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعني انك قد عرفت ما فعل
الله تعالي بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم فقومك ان لم يومنوا
بك فعل بهم كما فعل بها والا فاصبر كما صبر الانبيا قبلك علي اممهم بل الذين
كفروا اي من هولا الذين لا يومنون بك في تكذيب لك لا يرعوون
لك عنه ومعني الاضراب ان حالهم اعجب من حال هولا فانهم سمعوا قصتهم

ورؤا اثارهلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم وانما خص فرعون وثمود
لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من
المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان
من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما وقوله تعالى والله
اي والحال ان الملك الذي له الكمال كله من ورايهم محيط وفيه وجوه
احدها ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته وحصره
كالمحاط اذا احيط به من ورايه فيسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول
الله تعالى فهم كذلك في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب
على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتوني اذا اه
ازون المنتقام منهم ثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطة
قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا انهم احيط فهو
عبارة عن مشارفة الهلاك ثالثها انه تعالى محيط باعمالهم
اي عالم بها فيجازيهم عليها بل هو اي هذا القران الذي
كذبوا به وهو لا يانيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قران
اي جامع لكل منفعة بالغ الذروة العليا في كل شرف مجيد
اي شريف وحيد في اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون
انه شعر وكهانة في لوح هو في السما فوق السما السابعة
وعن ابن عباس انه قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله
وصفوه دين الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل
وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من
درة بيضا طوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق
الى المغرب وحافتاه ياقوتتان ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه
نور وكلامه نور معقود بالعرش واصله في حجر ملك وقرا محفوظ
بالرفع نافع على انه نعت لقران والباقون بالجر على انه نعت للوح
وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال البغوي

وهو

وهو ام الكتاب ومنه ينسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن
الزيادة فيه والنقصان وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد
كل يوم جمعة وكل يوم عرفة عشر حسنات حديث موضوع

سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان واحدى
وسبعين حرفا بسم الله مالك الخلق اجمعين الرحمن الذي عم جوده
المومنين والكافرين الرحيم الذي خص رحمته بعباده المومنين
وقوله تعالى والسما والطارق قسم اقسم الله تعالى به وقد اكثر الله
تعالى في كتابه العزيز ذكر السما والشمس والقمر لان احوالها في
اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة ولما كان الطارق
يطلق على غير النجم ابهمه اولا ثم عظم المقسم به بقوله تعالى وما ادراك
اي اعلمك يا اشرف خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت بالفحص
عنه ما الطارق وهذا مبتدا وخبر في محل المفعول الثاني لادري
وما بعد ما الاولى خبرها وفيه تعظيم لشان الطارق واصله كل اتٍ
ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وشعبة وابن ذكوان بخلف عنه بالامالة محضة وقرا ورش بين اللفظين
والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى النجم الثاقب اي
المضيئ لثقبه الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدروه
اي يدفعه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها
وقال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس
هو الجدي وقال علي هو نجم في السما السابعة امسكها عنده من
النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السما هبط فكان معها
ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة فهو طارق حين ينزل وحين
يرجع وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح

قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه المطرقة سميت وسمي
النجم طارقا لانه يطرق الجني اي يقتله روي ان ابا طالب اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم
فامتلأت الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال صلى
الله عليه وسلم هذا نجم ربي به وانه اية من ايات الله تعالى
فعجب ابو طالب فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج
وجواب القسم قوله تعالى ان كل نفس اي من النفوس مطلقا لاسيما
نفوس الناس لما عليها اي بخصوصها حافظ وقرا ابن عامر وعاصم
بتشديد الميم والباقون بتخفيفها تكون مزيدة وان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اي انه واللام فارقة وعلى تشديدها
فان نافية ولما بمعنى الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله
تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا
او ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتب من خير وشر
وروى الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين اختطفته
الشياطين ولما ذكر تعالى ان على كل نفس حافظ اتبعه بوصية
الانسان بالنظر في حاله فقال تعالى فلينظر الانسان
اي الانس بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار في امره ونشاته
الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته فيعمل ليوم
المعادة والجزاء ويملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته وقوله تعالى
مم خلق استفهام اي من اي شيء وجوابه خلق اي الانسان
على اليسر وجه واسهله بعد خلق ابيه ادم عليه السلام من
تراب وامه حوى رضي الله تعالى عنها من ضلع من ماء دافق
اي مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة راضية

اي

اي دافق على النسب اي ذي دفق او اند فاق وقال ابن عطية
يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا اي يدفعه
فمنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب اي مصبوب في الرحم
ولم يقل تعالى من ماءين فانه من ماء الرجل وماء المراة لان
الولد منهما مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا كالما الواحد
واتحادهما حين ابتدي في خلقه يخرج من بين الصلب اي للرجل
وهو عظام الظهر والترايب اي للمراة جمع التريبة وهي عظام
الصدر حيث تظهر تكون القلادة وعن عكرمة الترائب ما بين
ثديها وقيل الترايب التراقي وقيل اضلاع الرجل التي اسفل
الصلب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر
واربعة اضلاع من يسرة الصدر وقال ابن عادل جاء في الحديث
ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب
ومن ماء المراة يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي
ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين وهذا ما يعارضه
قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترايب لانه ينزل من
الدماغ الى الصلب ثم يجتمع في الانثيين قال المهدوي
ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان
والضمير في قوله تعالى انه للخالق المدلول عليه تعالى بخلق لانه
معلوم انه لا خالق سواه سبحانه وتعالى وفي الضمير في قوله تعالى
على رجعه وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي بعثه بعد موته
لقادر وهذا قول ابن عباس والثاني انه ضمير الماء اي يرجع
الميت في الاحليل او الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك
ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب
الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى يخرج لقادر
قال الماوردي ويحتمل انه قادر على ان يعيده الى الدنيا

بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار يسئلون فيها الرجعة وقوله تعالى
يوم منصوب برجعه ومن يجعل الضمير في رجعه للما وفسره
برجعه الى مخرجه من الصلب والترايب اوالما حليل وحالة الاولى
نصب الظرف بمضمر اي واذكر يوم تبلى تختبر وتكشف السرائر
اي ما السر في القلوب من العقايد والنيات وغيرها وما اخفي
من الاعمال وذلك يوم القيامة وبلاوها تعرفها وتصفحها والتمييز
بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد ويقول
يبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ويوم تبلى السرائر
فقال ما اغفله عما في والسما والطارق وقال عطا بن رباح ان
السرائر فرايض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من
الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال
صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر
حتى يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدي
الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني
من اداها كان وجهه مشرقا ومن لم يودها كان وجهه اغبر
فماله اي لهذا الانسان المنكر للبعث الذي اخرجته سرائره
واغرق في النفي والتعميم فقال تعالى من قوة اي منعة في نفسه
يمتنع بها ولا ناصر اي ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه
ثم ذكر تعالى قسما اخر فقال تعالى والسما اي التي تقدم الاقسام
بها وصفها بما يوكد العلم بالبعث فقال تعالى ذات الرجع اي التي
ترجع بالدوران الى الموضع الذي تتحرك عنه فترجع الاحوال
التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب
والفصول من الشتا وما فيه من برد ومطر والصيف وما فيه
من حر وصفا وسكون وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل
ذات الملايكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده

كل

كل حين اولما قيل من ان السحاب تحمل الما من البحار ثم ترجعه الى
الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسما السحاب والارض اي مسكنكم
الذي انتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت ذات الصدع اي يتصدع عن
النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا
الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتصدع
به فكانه قال تشق والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق
التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات
الاموات لانصداعهم عنها للنشور قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل
كيفية خلقه النبات فقوله تعالى والسما ذات الرجع كالاب وقوله تعالى
والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة
على ما ينزل من السما مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم اردف
هذا القسم بالقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وفي هذا
الضمير قولان احدهما ما قاله القفال وهو ان المعنى ان ما اخبرتكم به
من قدرتي على احيايكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني
انه عايد على القران اي القران فاصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور السالف
اولى انتهى واكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل
به الحق من الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم
ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع معناه جد لقوله تعالى وما هو
اي في باطنه ولا ظاهره بالهزل اي باللعب والباطل بل هو جد كله لا
هوادة فيه ومن صفته وقد وصف الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في
الصدر معظما في القلوب يرتفع به قاريه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه
بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات والارض يخاطبه فيامره
وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه
الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نفى الله تعالى عن

المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
والقوافيه هذا علي عود الضمير للقران وعلي جعله للاول فيكون الشخص
خايفا وجلا من ذلك الذي تتلي فيه السرايرا انهم اي الكفار اعدأ الله
يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا
واختلف في ذلك الكيد فقيل القاء الشبهات كقولهم ان هي الا
حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا
وما اشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية واما قوله تعالى واكيد اي انا باتمام اقتداري
كيدا فاختلف فيه ايضا فقيل معناه اجازيهم جزا كيدهم وقيل هو
ما اوقع الله تعالى يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم
من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم بنصره واعلاء دعوته
تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة هـ
مثلها وقوله الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا ، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ،

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم ولما كان هذا
معلما بانهم عدم لاعتبارهم قال تعالى مسببا عنه تهديدا لهم فمهل
الكافرين اي فمهل يا اشرف الخلق هولاء البعدا ولا تستعجل بالانتقام
منهم والدعا عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل فان العجلة وهي ايقاع الشيء
في غير وقته اللايق به نقص وقوله تعالى امهلهم تاكيد حسنه هـ
مخالفة اللفظ اي انظرهم رويدا اي قليلا وهو مصدر موكد لمعنى
العامل مصغر رود او اراد علي الترخيم وقد اخذهم الله تعالى ببدر
ونسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السما عشر حسنات
حديث موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم ،

سورة الاعلى

مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال الملوي وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات
وهي تسع عشرية واثنان وسبعون كلمة ومايتان واربعة وثمانون حرفا بسم الله
عالم الغيب فلا يخفى عليه خافيه الرحمن الذي عم جوده كل انس وجن وملك
ودابه الرحيم الذي خص اولياه بمعرفتهم احسانه واختلف في
قوله تعالى سبح اسم ربك فالاكثرون علي ان المعنى نزه ربك المحسن
اليك بعد ايجادك علي صفة الكمال عما لا يليق به فاسم زايد كقول
لبيد ، الي ان الحول ثم السلام عليكما ، وقيل عظم ربك الاعلى
والاسم زايد كما مر قصد به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى
نزه اسم ربك الاعلى عكي عن ان تسمي به احد سواه وقيل نزه تسمية
ربك وذكرك ربك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وقال
الرازي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به
في ذاته وصفاته واسمايه وافعاله واحكامه اما في ذاته فان تعتقد
انها ليست من الجواهر والاعراض واما في صفاته فان تعتقد انها
محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان تعتقد انه سبحانه
مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور واما في اسمايه
فان لا تذكره سبحانه الا بالاسما التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء
ورد الاذن فيها اولم يرد واما في احكامه سبحانه فهي ان تعلم ان ما كلفنا النفع
يعود اليه بل لمحض المالكية قال رحمه الله البغوي ويحتج بهذا من يجعل
الاسم والمسمى واحدا لان احدا لا يقول سبحان الله وسبحان اسم
ربنا انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى سبح اسم ربك
سبح ربك انتهى وكون الاسم عين المسمى او غيره فقد ذكرتها علي
مقدمتي علي البسملة والحمدلة وعن ابن عباس سبح اي صل
بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين علي ان المراد قل سبحان

ربي الاعلا وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلا وعن عقبة ابن عامر
انه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله
اجعلوها في سجودكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروي
ان اول من قال سبحان ربي الاعلا ميكايل ولما امر تعالى بالتسبيح
فكان سايلا قال الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة فما
الدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى **الذي خلق** اي اوجد
من العدم فله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شيء **فسوى**
اي مخلوقه وقال الرازي يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل
ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شيء خلقه الله تعالى فمن حمله على
الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته
وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله احسن
الخالقين ثانيها اكمل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما
الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال بواسطة الالات
ثالثها انه تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقال بعضهم خلق
في اصلاب الاباء وسوي في ارحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات
ما يحتاج اليه من الات واعضا ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد
من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات
يخلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبراعن النقص
والاضطراب وقرا **والذي قدر** الكسائي بتخفيف الدال والباقون
بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد اي اوقع تقديره في اجناسه
الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها
وغير ذلك من احوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع

ركوعكم

للاذن والبصر للعين ونحو ذلك **فهدى** قال مجاهد هدى الانسان لسبيل
الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل
والكلبي في قوله تعالى في فهدى عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال
تعالى في سورة طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال
عطاؤ جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم
وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدي
قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات
الانسان الى مصالحه في من اغذيته واوديته وامور دنياه ودينه
والهامات البهايم والطيور وهوام الارض الى معايشها ومصالحها
يقال ان الافعى اذا اتى عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان
تمسح عكر عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت
في بربة بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها
وعماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك
بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدى اي دلهم
بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا والاستدلال بالخلق وبالهداية
معتمدا لهم نبيا قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين وقال
موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان
فقال تعالى **والذي اخرج المرعى** اي انبت ما ترعاه الدواب وقال
ابن عباس المرعى الكلا الاخضر **فجعله** اي بعد اطوار من زمن
اخراجه بعد خضرته **غثاء** اي جافا هشيما **احوى** اي اسود يابسا قال
الزمخشري ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى
اي اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حويه وقال ابن زيد
هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله
تعالى **ستقرئك فلا تنسى** بشارة من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

باعطاية بينة هي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي
وهو امي لا يقرا ولا يكتب فيحفظه ولا ينساه فهو نفي اخبار الله تعالى
ان نبيه لا ينسى صلى الله عليه وسلم وقيل انه نهي والالف مزيدة للفاصلة
كقوله تعالى السبلا اي فلا تفعله كرامة وتكريرا ليئلا ينساه ومنعه
مكي لانه لا ينهى عما ليس باختياره واجيب بان هذا غير لازم اذ المعنى
النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شايع قال الرازي وهذه الاية
تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب
المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا الثاني
ان هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن امر مجيب
مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا ه
فيكون معجزا وفي المشيئة في قوله تعالى الا ما شا الله اي الملك الذي
له الامر كله وجوه احدها التبرك بهذه الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن
لشيئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فكانه تعالى يقول اني عالم
بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك
لا اخبر بوقوع شيئ في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك
يا اشرف الخلق اولى بها لانها قال القراء انه تعالى ما شا ان ينسي
محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا
الاستثنا بيان انه تعالى لو اراد ان يصيره ناسيا لذلك لقدر
عليه كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا
تقطع انه تعالى ما شا ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة فغايته هذا
الاستثنا ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان
من فضل الله تعالى واحسانه لا من قوته ثالثها ان الله سبحانه
وتعالى لما ذكر هذا الاستثنا جوز صلى الله عليه وسلم في كل ما
ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ في

التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء
بقاه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال رابعها
ان ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر
بالقراة مع قراة جبريل عليه السلام خوف النسيان فكانه قيل له لا تعجل
بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بها بالجهر بها انه اي الذي
منها شا مكان يعلم الجهر اي القول والفعل ومايخفى اي منهما وعن
ابن عباس ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة
واخفاها وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك ومايخفى
ما نسخ من صدرك وقوله تعالى ونيسرك لليسرى عطف على يستغرك
فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض قال الضحاك ه
واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة وقال ابن مسعود
اليسرى الجنة اي نيسرك الى العمل المؤدي الى الجنة وقيل اليسرى
الطريقة اليسرى وهي اعمال الخير والامر في قوله تعالى فذكر
للنبي صلى الله عليه وسلم اي فذكر بالقران ان نفعت الذكرى اي
الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القايل

لقد اسمعت لو ناديت حيا ، ولكن لا حياة لمن تنادي ،

وانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم ومناهم
كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان صلى
الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جهدا في تذكرهم وحرصا
عليه فقيل ان نفعت الذكرى وان لم تنفع وذلك بعد الزام الحجة
بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وانتم الاعلون
ان كنتم مومنين وقيل بعده شئ محذوف تقديره ان نفعت الذكرى
وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد قاله الفراء والنحاس
وقيل ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى باقية بكل حال ثم
بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه سيذكر اي بوعد لاطف

فيه من يخشى اي يخاف الله تعالى فهي كاية فذكر بالقران من يخاف
وعيد وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم
الذكري ام لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت في ابن ام مكتوم وقيل
في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد تذكر من يرجوه الا ان تذكر
الخاشع ابلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجا وقال القشيري
المعني عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من
يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعا فان قيل التذكير انما يكون بشي
قد علم وهولا لم يزلوا كفارا معاندين اجيب بان ذلك لظهوره
وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والفساد تنبيه
السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان تكون بمعنى سوف وسوف
من الله تعالى واجب كقولك تعالى سنقرؤك فلا تنسى الاية ويحتمل
ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين كما يستعمله
من التدبير والنظر ولما بين تعالى من ينتفع بالذكري بين من لا ينتفع
بها بقوله تعالى ويتجنبها اي الذكري اي يتركها جانبا لا يلتفت
اليها الاشقى الذي يصلى النار وهو الكافر فان قيل الاشقى
يستدعي وجود شقي فكيف قال هذا القسم اجيب بان لفظ
الاشقى من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وقوله تعالى وهو اهون عليه هو العارف والتوقف
له بعض الشقا والاشقى هو المعاند وقال الزمخشري الاشقى الكافر
لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في
معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعقبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى الكبرى اي العظمى على وجوه
احدها قال الحسن هو نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في
الاخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة
فكذلك يصلى اعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى

فهي

فهي نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
فان قيل قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى يقتضي ان ثم حالة غير
غير الحياة والموت وذلك غير معقول اجيب عن ذلك بوجهين
احدهما لا يموت فيستريح ولا يموت يحيى حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى
عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جا على مذهب العرب
يقولون للمبتلى بالبلا الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيها ان نفس
احدهم في النار في حلقه لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فتحيى
تنبيه قوله تعالى ثم للتراخي بين الرتب في الشدة ولما ذكر تعالى
وعيد من اعرض عن النظر في دلايل الله تعالى اتبعه بالوعد لضده
فقال تعالى قد افلح اي فاز بكل مراد من تزكى اي تطهر من الكفر بالايمان
لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح
من تزكى اي شهد ان لا اله الا الله واخلع الانداد وشهد اني
رسول الله وقيل تطهر بالصلاة او ادى الزكاة وذكر اسم ربه اي
بقلبه ولسانه مكبرا فصلى اي الصلوات الخمس قال الزمخشري وبه
يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة
لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة تزكى عمل صالحا وعن عطا
نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد افلح من تزكى قال خرج
فصلى بعدما ادى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم لا ادري
ما وجه هذا التاويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد
ولا زكاة فطر واجاب البغوي بانه يجوز ان يكون النزول سابقا
على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر
الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة من نهار
وقيل المراد زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكا اعماله من الرياء
والتقصير وروي عن عطا انه قال ان هذه الاية نزلت في عثمان وذلك
انه كان بالمدينة منافق له نخلة مايلة الى دار رجل من الانصار اذا

هبت الريح فنشاقط منها رطب ويسر في دار الانصاري فيأكل هو
وعياله من ذلك فخاصمه المنافق فذكر الانصاري ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فارسل خلف المنافق وهو لا يعلم انه منافق فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك
يقع في منزله فيأكل هو وعياله منه فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة
بدلها فقال ابيع عاجل بآجل لا افعل فذكر وا ان عثمان اعطاه
حائطا من نخل بدل نخلته يقوله فيه قد افلح من تزكى وفي المنافق هو
ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت في ابي بكر وقرا بل تؤثرون الحيوة
الدنيا ابو عمرو بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب ومعناه على القراءة
الاولى بل يؤثرون الاشقون وعلى القراءة الثانية بل تؤثرون ايها
المسلمون المستكنا رهن الدنيا اي الدنية بالعز الحاضر مع انها
شر وفانية اشتغالا بها لاجل حضورها كالحيوانات التي هي مقيدة
بالمحسوسات على المستكنا رهن الثواب والاخرة اي والحال ان الدار
التي هي غاية القصد المبراة عن العيب المنزهة عن الخروج عن الحكمة
خير اي من الدنيا وابقى لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية
والدنيا ليست كذلك فالاخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها مخلوطة
بالالام والاخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي
خير من الفاني وعن عمر ما الدنيا في الاخرة الا كنفخة ارنب وعن ابن
مسعود انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحيوة الدنيا على
الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها
ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة غفت لنا وزويت عنا فاخبنا العاجل وتركنا الاجل والاشارة في قوله تعالى - ان هذا لفي
الصحف الاولى الى قوله قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى
اي هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها
وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القرآن

يعني الصحف الاولى ولم يريد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما
معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي
المنزلة قبل القرآن بقوله تعالى صحف ابراهيم وقدمه لان صحفه
اقرب الى الوعظ كما نطق به حديث ابي ذر وموسى وختم به لان
الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر
البليغة كاللعن لمن خالف اوامر التوراة التي اعظمها البشارة بمحمد
صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها
على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو
ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف والتوراة والانجيل
والزبور والفرقان وقيل في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون
حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وعن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين الاتي التين
يوتر بعدهما سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفي الوتر
بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
وقرا الاعلى • فسوى • فهدى • المرعى • احوى • فلا تنسى • وما يخفى • من يخشى • الاشقى • ولا يحيى •
من تزكى • فصلى • الحيوة الدنيا • وابقى • الاولى • وموسى
حمزة والكسائي بالامالة محضة وقالون وورش وابو عمرو وبين بين
والفتح عن ورش قليل اما الاعلى الذي والاشقى الذي اذا هو
وقف عليهما فالامالة وان وصلا فلا امالة والباقون بالفتح وقرا
الذكرى الكبرى ابو عمرو والكسائي بالامالة محضة وقالون وورش
بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوي ثبما للزمخشري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة هـ
الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على
ابراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين حديث موضوع

والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الغاشية

مكية بالاجماع وهي ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلاث مائة واحدى وثمانون حرفا لبسم الله علام الغيوب الرحمن كاشف الكروب الرحيم الذي خص اولياءه بالعفو عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى هل اتاك حديث الغاشية فيه وجهان احدهما ان هل بمعنى قد اي قد جاءك يا اشرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر قال قطرب والثاني انه استفهام على حاله وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها وهي القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وجوه اي كثيرة جدا كائنة يومئذ اي يوم اذ غشيت خاشعة اي ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد بالوجوه في الموضعين اصحابها عاملة ناصبة اي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله تعالى وانصبها في النار يجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقال الحسن لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم

لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له وعن علي انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وقرا نصلى ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى تدخل نارا حامية اي شديدة الحر اي اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمي النار بالكسر اي اشتد حرها وحمي الكساء اي اشتد حمي الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سود الى يوم القيامة مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفرا فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم يمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما شوي فوق الجمر وعلى المقلي او في التنور فلا يسمى مصليا وما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم فقال تعالى تسقى من عين انية روي انها لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لاذابتها ولما ذكر تعالى شرابهم اتبعه بذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سمي الضريع وهو اخبث طعام وابشعه قال الكلبي لا تقربه دابة اليبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان الضريع الشيء اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء من النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذا غصة فيخبرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستغيثون فيغطشهم الف سنة ثم يسقون من عين انية شربة لا هنيئة ولا مريئة فلما ادنوه من

وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله
تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم قال بعض المفسرين فلما
نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا التسمن على الضريع وكذبوا
في ذلك فان الابل انما ترعاه مادام رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس
لا ياكله شيء قال ذويب يصف حمارا ،
رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ، وصار ضريعا بان عنه البخايص
والبخوص من الانثى التي لا لبن لها ولما قالوا ذلك انزل الله تعالى
تكذيبا لهم لا يسمن ولا يغني اي يكفي كفاية مبتداة من جوع فلا
يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال فنفى السمن والشبع عنه وعلى هـ
تقدير ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع ليس
من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع
فان قيل كيف قيل لهم ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة
ولا طعام الا من غسلين اجيب بان العذاب الوان والمعذبون
طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع
لكل باب منهم جزء مقسوم ولما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه هـ
بشرح احوال المومنين فقال تعالى وجوه يومئذ اي يوم اذ تغشى
الناس ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى ناعمة اي ذات بهجة
وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة قال
مقاتل في نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله تعالى لسعيها اي في
الدنيا بالاعمال الصالحة راضية اي في الاخرة بثواب سعيها حتى ان
ما اداهم اليه من الكرامة الصفة الثانية قوله تعالى في جنة ثم وصف
الجنة بصفات الاولى قوله تعالى عالية اي علية المحل والقدر الصفة
الثانية قوله تعالى لا يسمع فيها لاغية قرأ بالتا الفوقية نافع
مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية هـ
مضمومة لاغية بالرفع لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتا الفوقية

نافع

نافع مضمومة مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز ان تكون التا للخطاب
اي لا تسمع انت وان تكون للتانيث اي لا تسمع للوجوه واللغو
قال ابن عباس الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال
قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الشتم وقال الفرا الحلف
الكاذب والاولى ما قيل لا يسمع في كلامهم كلمة ذات لغو وانما
يتكلمون بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدايم وهذا
احسن الاقوال قاله القفال وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين
لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى فيها اي الجنة عين
جارية قال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت
نفس وقال القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض في غير
اخدود وتجري لهم كما ارادوا الصفة الرابعة قوله تعالى فيها سرر
مرفوعة اي عالية في الهوا قال ابن عباس الواحها من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السما ما لم يجي اهلها
فاذا ارادوا ان يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع الى مواضعها الصفة
الخامسة قوله تعالى واكواب موضوعة جمع كوب وهي الكيزان التي
لا عرى لها قال قتادة فهي دون الابريق وفي قوله تعالى موضوعة
وجوه احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا هـ
فيقول هو ها هنا موضوع بمعنى معد ثانيها موضوعة على هـ
حافات العين الجارية كلما اراد الشرب وجدها مملوة من الشراب
ثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها
من ذهب او فضة او من جواهر وتلذذهم بالشرب فيها رابعها
ان يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط بين الكبر
والصغر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى
ونمارق وهي الوسايد واحدها نمرقة بضم النون والرا وكسرهما
لغتان اشهرهما الاولى وهي وسادة مغبرة قالت ،

نحن بنات طارق ، نمشي على النمارق ،
مصفوفة اي واحدة الى جنب واحدة اخرى قال الشاعر ،
كهولا وشبانا وحبو حسانا وجوههم ، لهم سرر مصفوفة ونمارق ،
الصفة السابغة قوله تعالى وزرابي وهي جمع زربية بفتح الزاي وكسرها
لغتان مشهورتان وهي بساط عراض فاخرة وقال ابن عباس هي
الطنافس التي عمل اي وبرقيق واختلف في قوله تعالى مبثوثة فقال
قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفراء كثيرة
وقال القتيبي مفرقة في المجالس قال الفرطبي وهذا اصح فهي كثيرة
متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة ولما ذكر تعالى امر
الدارين تعجيب الكفار من ذلك فكذبوه وانكروه فذكرهم الله تعالى
صنعه وقدرته بقوله تعالى افلا ينظرون اي المنكرون لقدرته
سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها اي تنظر
اعتبار الى الابل وينبه على انه عجيب خلقها مما ينبغي ان تتوفر
الدواعي على الاستفهام والسؤال عنه باداة الاستفهام فقال
تعالى كيف خلقت اي خلقا عجيبا دالا على كمال قدرته وحسن
تدبيره حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد النائية
فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وبيسر ثم تنهض بما حملت وسخرها
منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تقاوم ضعيفا ولا تنازع
صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقال وعن بعض الحكما
انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا ببلاد لا ابل بها
فتفكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها
ان تكون سفاين البر صيرها على احتمال العطش حتى ان
ظهرها ليصير على عشر فضاعدا لينتابي لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات
المثبتة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا

ولانها

328

ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع لانها ترعى كل شيء نابت في
البراري والمفاوز لا ترعاه سائر البهايم وعن سعيد بن جبير قال
لقيت شريحا القاضي فقلت له اين تريد فقال اريد الكناسة
قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت تنبيه
الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل وهما واصلها من لفظها وقال
المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم
اجد لذلك اصلا في كتب اللغة وقال الماوردي وفي الابل وجهان
اظهرهما انها الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب
فلما فيها من الايات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة
لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل فلان الابل اجمع للمنافع من سائر
الحيوانات لان ضروب الحيوانات اربعة طلوبة وركوبة واكولة وحمولة
والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اتم وظهور القدرة
فيها اتم وقيل للحسن الفيل اعظم في العجوبة فقال العرب بعيدة
العهد بالفيل ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب درّه والى السما
التي هي من جملة مخلوقاتنا كيف رفعت اي رفعا بعيدا بلا امساك
وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها
من الكواكب والغرايب والعجايب والى الجبال الشامخة وهي اشد
الارض كيف نصبت نصبا ثابتا في راسية لا تميل ولا تزول كما قال
تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض اي على
سعتها كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة في مهاد للتقلب عليها
واستدل بعضهم بذلك على ان الارض ليست بكرة قال
الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظم تكون كل
قطعة منها كالسطح فان قيل كيف حسن ذكر الابل مع السما والجبال
والارض ولا مناسبة اجيب بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة
ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة

بينها وبين السما والارض والجبال من وجهين احدهما ان القران
نزل علي العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في اوديتهم
وبواديهم مستوحشين ومنزعجين عن الناس والانسان اذا انفرد
اقبل علي التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك
من يشتغل به سمعه وبصره فلابد من ان يجعل دابه التفكر فاذا تفكر
في تلك الحال فاول ما يقع بصره علي البعير الذي هو راكبه فيري منظرا
عجيبا وان نظر الي فوق لم ير غير السما وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير
الجبال وان نظر الي تحت لم ير غير الارض فكانه تعالي امره بالنظر وقت
الخلوة والانفراد حتي لا تحمله داعية الكبر والحسد علي ترك النظر
فما ينهما ان جميع المخلوقات دالة علي الصانع جلت قدرته الا انها قسمان
منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب
والفضة فهذه مع دلالتها علي الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال
النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا
مانع من كمال النظر فيها وقال عطا عن ابن عباس اي كان الله تعالي
يقول هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السما او ينصب مثل
الارض الجبال او يسطح مثل الارض غيري ولما بين تعالي الدلايل علي
صحة التوحيد والمعاد قال سبحانه لرسوله صلي الله عليه وسلم فذكر
اي بنعم الله تعالي ودلايل توحيده وعظم بذلك وخوفهم يا اشرف الخلق
انما انت مذكر فلا عليك ان لا ينظروا ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ كما قال تعالي
انما عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم علي
الايمان كقوله تعالي وما انت عليهم بجبار وهذا قبل الامر بالجهاد وقرا
هشام بالسين وقرا حمزة بخلاف عن خلف باشمام الصاد كالزاي والباقون
بالصاد الخالصة وقوله تعالي الا من تولي استثنا منقطع اي لكن من
تولي عن الايمان وكفر اي بالقران فيعذبه الله اي الذي له الكمال كله
بسبب تكبره عن الحق ومخالفته لامرك العذاب الاكبر اي عذاب الاخرة

لانهم

لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثنا
متصل فان جهاد الكفار وقتلهم بتسليط فكانه اوعدهم بالجهاد في
الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثنا من قوله تعالي فذكر
اي من انقطع طمعك من ايمانه وتولي فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
ان الينا اي خاصة بما لنا من العظمة اياهم اي رجوعهم بعد البعث ثم ان
علينا اي بما لنا من القدرة والسترة عن نقص العيب والجور وكل نقص
لا تالي غيرنا حسابهم اي جزاهم فلا تتركه ابدا وفي هذه تسلية للنبي صلي
الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه تكذيبهم فان قيل ما معني تقديم
الظرف اجيب بان معناه التشديد في الوعد وان اياهم ليس
لما عليه وهو الذي يحاسب علي التغير والتطهير وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من قرا سورة ه
الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الفجر

مكية وقيل مدنية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاث ثون اية ومايه
وتسع وثلاثون كلمة ومئتان وسبعة وتسعون حرفا بسم الله الملك
المعبود الرحمن الذي عم خلقه بانكرم والجود الرحيم الذي سدد اهل
عنايته بفضله فهو الرحيم الودود وقوله تعالي والفجر اي فجر كل يوم
قسم اقسم بالصبح كما في قوله تعالي والصبح اذا اسفر والصبح اذا
تنفس وقال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال
الضحاك فجر ذي الحجة وقيل ذلك علي مضاف محذوف اي وصلاة الفجر
وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله تعالي يقسم بما شا من مخلوقاته واختلف
في قوله تعالي وليال عشر فقال مجاهد وقتادة هو عشر ذي الحجة
وقال الضحاك هو العشر الاول من رمضان وعن ابن عباس انه
العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب هو العشر الاول من
المحرم التي عاشرها يوم عاشورا ولصومه فضل عظيم فان قيل

لم تكر الليالي من بين ما اقسم به اجيب بان ذلك للتعظيم
والشفع اي الزوج والوتر اي الفرد وقيل الشفع الخلق كلهم قال
الله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى قاله ابو سعيد
الخدري وقال مجاهد ومشروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة
والشقاوة والليل والنهار والسما والارض والبر والبحر والشمس والقمر
والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد وقال قتادة هي
هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروي ذلك عن عمران بن حصين
ورفوعا وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب
وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان
والوتر دركات النار لانها سبع وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع
والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل والقدرة
والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد
صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف والشفع
وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع
يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذي صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها
وقال ابن الزبير الشفع الحادي عشر والثاني عشر من ايام مني والثالث
عشر وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام مني الثلاثة
وقيل الشفع والوتر ادم عليه الصلاة والسلام كان وترا فشفع بزوجته
حواحكاه القشيري عن ابن عباس وقراهما حمزة والكسائي بكسر الواو
والباقون بفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر
لغة تميم وقوله تعالى والليل اذا يسر قسم خامس بعدما اقسم
بالليالي العشر على المخصوص اقسم به على العموم ومعنى يسر
سار وذهب كما قال تعالى والليل اذا دبر وقال قتادة اذا جا واقبل

وقيل

310

وقيل معنى يسري يسر فيه كما يقال ليل قايم ونهار صايم ومنه قوله تعالى
بل مكر الليل والنهار وقرا نافع وابو عمرو باثبات الياء بل الوصلا لا
وقفا واثبتها ابن كثير في الحالين وحذفها الباقون في الحالين لسقوطها
في خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع هـ
مرفوع ومن فرق بين حالتي الوصل والوقف فلان الوقف محل استراحة
وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال الليل لا يسري ولكن
يسري فيه فهو مصروف فلما صرفه تجنبه خطه من الاعراب كقوله
وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن باغية وهذه
الاسما كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف تقديره لتعذبن يا كفار
مكة بدليل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض
وقوله تعالى هل في ذلك اي القسم والمقسم به قسم اي حلف
او محلوف لذي حجر استفهام معناه التقرير كقوله الم نشرح لك
قد نعمت او المراد منه التاكيد لما اقسم به واقسم عليه كن ذكر حجة يا لغة
ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم
الله تعالى به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على التوحيد والربوبية
فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه والحجر العقل لانه يحجر عن هـ
التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من
الاحصا وهو الضبط وقال الفرا يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه
ضابطا لها وقوله تعالى الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد
به العموم والمراد بالرؤية العلم اي الم تعلم يا اكرم رسلنا كيف فعل
ربك اي المحسن اليك بانواع النعم بعاد ارم وهو ابن عوص بن ارم بن
سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال
لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى
وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم في قوله تعالى

عاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم
بلدهم وارضهم التي كانوا فيها وقوله تعالى ذات اي صاحبة العماد
ينظر فيه ان كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد
وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البنا
الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه
كان لشداد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص
الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني
مثلها فبنا ارم في بعض صحاري عدن في ثلثماية سنة وكان عمره
تسعماية سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار
المطردة ولما تم بناوها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله
بن قلابة انه خرج في طلب ابل فوقع فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ
خبره معاوية فاستحضره نقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي
ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير
على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله تعالى التي لم يخلق مثلها
في البلاد صفة اخرى لارم فان كانت للقبيلة فلم يخلق مثل
عاد في البلاد عظم اجرام وقوة قال الزمخشري كان طول الرجل منهم
اربعماية ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيقلبها على الحي
فيهلكهم وروي عن مالك انه قال لتمر بهم ماية سنة لا يرون
فيها جنازة وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع
بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالى انه
اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه الوجوه
فلان تكونوا مثل ذلك ايها الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم اولى

وقد ذكركم

وقد ذكركم الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى واما الثانية
فهي قوله تعالى وثمود الذين جابوا اي قطعوا الصخر جمع صخرة وهي
الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد
اي وادي القرى قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام وبنوا الف
او سبعماية مدينة كلها من الحجارة اثبت اليا ورش وابن كثير وصلا
واثبتها وقفا ابن كثير بخلاف عن قنبل واما القصة الثالثة فهي في
قوله تعالى وفرعون اي وفعل بفرعون ذي الاوتاد واختلف في
تسميته بذلك على وجهين احدهما انه سمي بذلك على كثرة جنوده
ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا والثاني انه كان يتد اربعة
اوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه وعن عطا عن ابن عباس
ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد انه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان
مؤمنا كتم ايمانه ماية سنة وكانت امراة فرعون امراته ماشطة بنت
فرعون فانما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذا سقط المشط من
يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي
فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت
فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت الماشطة امراة خازنك
تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل
اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك
واقري باني الهك فقالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها
الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين
فقالت له لو عذبتني بهذا العذاب سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها
ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفري بالله والا ذبحت
الصغرى على فيك وكانت رضعا فقالت لو ذبحت من في الارض على
في ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها
جزعت المراة فانطق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا

اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة
فاصبري فانك تفضين علي الحق الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت
فلم تلبث الا ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب
زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد زوي في موضع
كذا وكذا في جبل كذا فابعث رجلين في طلبه فانتهى اليه الرجلان
وهو يصلي ويليه صفوف من الوحوش خلفه يصلون خلفه فلما رايا
ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة
ولم يظهر علي احد قط ايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك
فاعطه في الدنيا سؤله وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته
في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون
فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة علي ما
رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان
فدعي به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رايت مما قال شيا فاعطاه فرعون
فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال ـــ وكان فرعون قد تزوج
امراة من اجمل نسايني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما فعل
فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني علي ان اصبر علي ما ياتي فرعون
وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون
فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت اشر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة
فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قال ما بي من جنون ولا
الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فعرف ما
عليها وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما فقال لهما المترايان ان
الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك اني
اشهد ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال
ابوها يا اسية الست من خير نسا العالمين وزوجك اله العالمين قالت
اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولي له ان يتوجني تاجا

تكون

312

تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حفا فقال لهما فرعون اخرجا هما عني
فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها
ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها وادخلها الجنة
وروي عن ابي هريرة ان فرعون وتد لامراته اربعة اوتاد وجعل علي
صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت راسها الى السما وقالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ففرج الله تعالى عنها بيتها في الجنة ورات
وقوله تعالى الذين طغوا اي تجبروا في البلاد في محل نصب علي الذم ويجوز
ان يكون مرفوعا علي هم الذين طغوا في البلاد ومجرورا علي وصف المذكورين
عاد وثمود وفرعون وقيل يرجع الى فرعون خاصة واكثروا اي طغيانهم
فيها الفساد اي بالقتل والكفر والمعاصي قال القفال وبالجملة فالفساد
ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فالفساد يتناول
جميع اقسام الاثم في عمل بغير امر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم
فهو مفسد فصب اي انزل انزالا هو في غاية القوة عليهم اي في الدنيا
ربك اي المحسن اليك بكل جميل سوط اي نوع عذاب وقال قتادة
يعني الوانا من العذاب صبه عليهم وقال اهل المعاني هذا علي الاستعارة
لان السوط عندهم غاية العذاب وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب
لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو العذاب الذي
يعذبون به فجري لكل عذاب اذا كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج ه
جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب وعن الحسن انه كان اذا اتى علي
هذه الاية قال ان الله تعالى عنده اسواط كثيرة فاخذهم بسوط
منها وقال قتادة كل شيء عذب الله به فهو سوط عذاب وشبه يصب
العذاب الذي يتواتر علي المضروب فيهلكه ان ربك اي المحسن اليك
بالرسالة لبالمرصاد اي يرصد اعمال العباد لا يفوته منها شيء ليجازيهم
عليها والمرصاد المكان الذي يترقب فيه المرصد مفعال من رصده كالميقات

من وقته وهذا مثل لارصاد العصاة بالعقاب وانهم لايفوتونه وعن
بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد
انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال ان ربك
لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء انه يعض من توعده
بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره اي اسد فراس كان
بين ثوبية يدق الظلمة بانكاره ويقمع اهل الاهوا والبدع هده
باحتجاجه وقوله تعالى فاما الانسان متصل بقوله تعالى ان ربك
لبالمرصاد فكانه قيل انه تعالى يريد من الانسان الطاعة والسعي
في صلاح العاقبة وهو لا يهمه الا العاقبة العاجلة وما يلذه وينعمه فيها
اذا ما ابتلاه اي اختبره بالنعمة ربه اي الذي ابدعه واحسن اليه
بما يحفظ وجوده ليظهر شكره او كفره فاكرمه اي جعله عزيزا بين
الناس واعطاه ما يكرمونه به من المال والجاه ونعمه اي جعله
متلذذا مترفها بما وسع الله تعالى عليه وقوله تعالى فيقول اي سرورا
بذلك وافتخارا ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني حين لم يعط الذي
هو الانسان ودخول الفا في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فمقاله
ربي اكرمن وقت الابتلا بالانعام فيظن ان ذلك عن استحقاق فيرتفع
به وكذا قوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر اي ضيق عليه رزقه
التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه ربه اي بالفقر ليوازي قسيمه
فيقول اي الانسان بسبب الضيق ربي اهانن فيهتم لذلك ويضيق
به ذرعا ويكون اكبر همه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء فكره
فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته وقال الكلبي
ومقاتل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس
في عتبة بن ربيعة وقيل ابي بن خلف فان قيل كيف
سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلا اجيب بان كل

واحد

واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا
قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجذع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قيل هلا قيل قال فاهانه
وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه اجيب بان البسط اكرام من
الله تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقتير
فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة وان كان تركا
للكرامة وقد يكون المولى مكرما وهينا وغير مكرم ولا هين واذا اهدي
لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولم اكرمني
اذ لم يهد اليك فان قيل قد قال تعالى فاكرمه فضح اكرامه واثبته
ثم انكر قوله رب اكرمني وذمه عليه كما انكر قوله اهانني وذمه عليه
اجيب بوجهين احدهما انه انما انكر قوله رب اكرمني وذمه عليه
لانه قال علي قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الي
ان الله تعالى اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا ومستوجبا
علي عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته علي
علم عندي وانما اعطاه الله تعالى علي وجه التفضل من غير ما
استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به وهو التقوى
دون الانتساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق
الكرامة من اجلها ثانيهما ان ينساق الانكار والذم الي قوله رب
اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف متفضل الله هـ
واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمي ترك التفضل هوانا وليس بهوان قال
الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وقرا
ما ابتلاه في الموضعين حمزة بالامالة محضة وقارون بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح وقرا دين اكرمني اهانني يا ليتني نافع
باثبات الياء فيهما وصلا لا وقفا وقرا البزي باثباتهما فيهما وقفا ووصلا
وعن ابي عمرو فيهما في الوصل الاثبات والحذف عنه في الوصل اعدل

والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقرا ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد
الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى
قتر وقدر اعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن ان سعة
الرزق اكرام وان الفقر اهانة بقوله تعالى كلا اي ليس الاكرام بالغنا
والاهانة بالفقر انما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك
بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو انهم لا يكرمون اليتيم اي لا يحسنون
اليه مع غنايهم او لا يعطونه حقه من الميراث الثابت له قال مقاتل كان
قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه
فنزلت ولا يحضون اي يحثون حثا عظيما على طعام اي اطعام المسكين
فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز ان يكون على حذف مضاف
اي على بذل او على عطا وفي اضافته اليه اشارة الى انه شريك في
للغني في ماله بقدر الزكاة وياكلون على سبيل التجدد والاستمرار
التراث اي الميراث والتا في التراث بدل من واو لانه من الوراثة اكلا لما
اي ذا لم واللم الجمع الشديد يقال لممت الشي لما اي جمعته جمعا قال
الخطيبة

اذا كان لما يتبع الذم ربه اي صاحب الذم
فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النسا والصبيان وياكلون
انصباهم وياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين
بذلك فيلمون في الابل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي
ظفر بالمال سهلا سهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه
وياكله اكلا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه
كما يفعل الوارث البطالون ولما دل على حب الدنيا بامر خارجي
دل عليه في الانسان فقال تعالى ويحبون اي على الاستمرار
المال اي هذا النوع من اي شي كان واكد بالمصدر والوصف فقال تعالى

حبا

حبا جما اي كثيرا شديدا مع الحرص والسرة ومنع الحقوق وقوله تعالى
كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اخبر تعالى عن تاهبهم
على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عن ما قيل اذا دكت الارض
اي حصل دكها وزجها ولزلزلتها لتسويتها فتكون كالاديم الممدود
بشدة المط لا عوج فيها بوجه دكا دكا اي مرة بعد مرة وكسر كل شي
على ظهرها من جبل وبنا وشجر فلم يبق على ظهرها شي وينعدم وجا ربك
قال الحسن امره وقضاه والملك اي الملايكة وقوله تعالى صفا صفا حال
اي مصطفين اي ذوي صفوف كثيرة فينزل ملايكة كل سما فيصطفون
صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجي اي ما سهل امر يوميذ
اي اذ وقع ما ذكر بجهنم اي النار التي يتجهم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم
ويروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف في وجهه
حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا فجا فاحتضنه من خلفه وقبل
بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي
غيرك تتلى عليه الاية فقال له علي كيف يجا بها قال يجي بها سبعون الف
ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل
الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لك ولي يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك
علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد فيقول رب امتي امتي
وقال عبد الله بن مسعود تقاد جهنم بسبعين الف زمام بيد الف ملك
لها تغيظ وزفير حتى تنصب على ساير العرش وقوله تعالى
يوميذ اي يوم يجا بجهنم بدل من اذا وجوابها يتذكر الانسان اي يتذكر
الكافر ما فرط او يتعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها واني له الذكرى
اي ومن اين له منفعة الذكرى قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف
والا فبين يتذكر وبين واني له الذكرى تناف وتناقض تنبيه
اني خبر مقدم والذكرى مبتدا موخر وله متعلق بما يتعلق به الظرف
وقرا وابي حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين

وقرا الدوري عن ابي عمرو بالامالة محضة وقرا ورش بين بين والباقون
بالفتح يقول اي يقول مع تذكره يا للتنبيه ليتني قدمت لحياتي
اي في حياتي فاللام بمعنى في او قدمت الايمان والخير لحياة لا موت
فيها او وقت حياتي في الدنيا فيومئذ اي يوم يقول الانسان ذلك
وقرا لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الكسائي بفتح الذال
والباقون على البنا للمفعول والباقون بكسرها على البنا للفاعل
فاما قراة الكسائي فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب
احد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه واما على قراة الاولى
فالضمير فيهما لله تعالى لا يكل عذابه الى غيره او الزبانية المتولون العذاب
بامر الله تعالى ولما وصف الله تعالى حال من اطمان الى الدنيا وصف
حال من اطمان الى معرفته وعبوديته وسلم امره اليه فقال تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة قال الحسن اي المومنة وقال مجاهد الراضية
بقضا الله تعالى وقال ابن عباس بثواب الله تعالى وقال
ابن كيسان المخلصة وقال ابن زيد التي تبشرت بالجنة عند الموت وعند
البعث ويوم الجمع ويقال لها عند الموت ارجعي الى ربك اي الى امره
وارادته وقال ابن عباس الى صاحبك وحسبك وقال الحسن الى
ثواب ربك راضية اي بما اوتيت مرضية اي عند الله تعالى بعملك
اي جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الاخر وهما حالان
قال القفال هذا واذ كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير
ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى في القيامة بسبب
هذا الامر فادخلي فيه اي في جملة عبادي اي الصالحين والواقفين على
الذين هم اهل الاضافة الى او في اجساد عبادي التي خرجت في الدنيا
منها وادخلي جنتي اي معهم هي جنة عدن وهي اعلا الجنان
ويجيء الامر بمعنى الخبر كثيرا في كلامهم كقوله اذا لم تستح فاصنع ما شيئت
وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم هذه

الاية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال له ان الملك سيقول
لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فجا طائر
لم ير على خلقه طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت
هذه الاية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة
الاية وروي الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف ببير رومة وقيل
في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة
فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله
تعالى وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها وقيل نزلت في
حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري والظاهر العموم وقول البيضاوي
تبعا لمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الفجر
في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سايرالايام كانت له نورا يوم
القيامة حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة البلد

مكية وهي عشرون اية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا
لبسم الله الملك الذي لا راد لامره الرحمن الذي عم سايرخلقه بفضله
الرحيم الذي خص اهل طاعته بجنته واختلف في قوله تعالى لا اقسم
فقال الاخفش انها مزيدة اي اقسم كما تقدم في قوله تعالى لا اقسم بيوم
القيامة وقد اقسم به سبحانه وتعالى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ٭ وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة كقوله تعالى ما منعك الا تسجد وقد
قال تعالى في ص ما منعك ان تسجد واجاز الاخفش ايضا ان تكون
بمعنى الا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد
خروجك منه واجمعوا على ان المراد بالبلد في قوله تعالى بهذا البلد اي الحرام
وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها حرما امنا وقال تعالى ومن
دخله كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال تعالى

وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وامر الناس بحج البيت فقال تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال تعالى واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذنا لابراهيم
مكان البيت وقال تعالى وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وشرف
مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وحرم صيده وجعل الحرم بازائه ودحيت الارض من تحته
فهذه الفضايل واكثر منها انما اجتمعت في مكة لاجرم اقسم الله تعالى
بها وانت اي يا اشرف الخلق حل اي حلال لك مالم يحل لغيرك
من قتل من تريد ممن يدعي انه لاقدرة لاحد عليه بهذا البلد
بان يحل لك فتقاتل فيه وقد اخبر الله له هذا الوعد يوم الفتح واحلها
له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له قاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل
ابن حنظل وهو متعلق باستار الكعبة ونفيس ابن صبابة وغيرهما
وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن
تحل لاحد بعدي ولم تحل الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشدها
فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا
وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر وتطيب وانت حل
في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تقدم الاكرام والحيا لانت
مكرم محيو وهو في كلام الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال
ان تفسيره بالحال محال لان السورة بالاتفاق مكية وايت
الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض بين
المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى

ووالد وما ولد فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن ولد اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم
ومنشا ابيه اسماعيل وبمن ولده وبه وقال البغوي هو ادم وذريته
وقيل كل والد وولده فان قيل هلا قيل ومن ولد اجيب
بان فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت
يعني موضوعا عجيب الشان اوان ما بمعنى من والذي عليه اكثر
المفسرين هما ادم وذريته لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه
الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم
وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والابرار لدينه وامر الملايكة
بالسجود لادم وعلمه الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم وقيل هما ادم والصالحون من ذريته واما الطالحون
فكالانعام كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
بكم عمي فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
اي الجنس في كبد قال ابن عباس اي شدة من حمله وولادته
ورضاعه ونبت اسنانه وسائر احواله وعن عكرمة منتصبا
في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان
عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة
على وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وقال ابن كيسان
منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله تعالى اخراجه من بطن امه
قلب راسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصايب الدنيا
وشدايد الاخرة وقال سليمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد
ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلماء
اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قط قماطا وشد رباطا يكابد
الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت
اسنانه ثم يكابد الفطام الذي اشد هو من اللطام ثم يكابد الختان

والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته
ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن
ثم الكبر والهرم وضعف الركب والهرم في مصايب يكثر
تعدادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين
وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس
من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ثم
يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده سؤال الملك وضغطة
القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر
به القرار اما في الجنة واما في النار فدل هذا على ان له خالقا
دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه
الشدايد فليمتثل امر خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان
هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السما وقال
مقاتل في كبد اي في قوة نزلت في اي الاشدين واسمه اسيد
ابن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت
قدميه فيقول من ازالني عنه فله كذا وكذا فيجذبه غيره فيتمزق
الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه
وكان من اعدا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب اي
ايظن الانسان قوي قريش وهو ابو الاشدين بقوته ان
مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن يقدر عليه
اي خاصة احد اي من اهل الارض والسما فيغلبه حتى
انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه في كل وقت وقيل
نزلت في المغيرة بن الوليد المخزومي يقول اي يفتخر بقوته
وشدته اهلكت اي على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم
مالا لبدا اي كثيرا بعضه على بعض ايحسب اي هذا الانسان
العنيد بقلة عقله ان اي انه لم يره احد قال سعيد بن جبير

اي

اي اظن ان الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله انه انفقه ولم ينفق جميع
ما قاله والمعنى ايظن ان الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته
وقرا ايحسب في الموضعين ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها ثم ذكره نعمه تعالى عليه ليعتبر بقوله تعالى
الم نجعل بما لنا من القدرة العظيمة له عينين يبصر بهما المرئيات
والا لتعطل عليه اكثر ما يريد شققناهما وفي الرحم في ظلمات ثلاث على
مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيا وقدرنا البياض والسواد
والشهلة والزرقة وغير ذلك على ما ترون واودعناهما البصر على كيفية
يعجز الخلق عن ادراكها ولسانا يترجم به عن ضمايره وشفتين يستر بهما
فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال
قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة فيقرره بها كي يشكره قال
البغوي وجاء في الحديث ان الله تعالى يقول ابن ادم ان نازعك لسانك
فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك
بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق
وهديناه اي اتيناه من العقل النجدين قال اكثر المفسرين
بينا له طريق الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل كقوله تعالى
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وصار بما جعلناه له من
ذلك سميعا بصيرا عالما فصار موضعا للتكليف روى الطبراني انه
صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان مما قل وكفى
خير مما كثر والهى يا ايها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر
فلم جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذري النجد
هنا الطريق وقال ابن عباس بينا له الثديين وهو قول سعيد بن
المسيب والضحاك واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فهلا
انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المسكين والايتام

بل عمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو
الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان يهلك ما لا لبدا في الدنيا
والافتخار وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا الوجه
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية وقيل معناه لم
يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة
مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال
البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على
نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قولهم قول قتادة ه
وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة
واطعم المساكين كان كمن قد اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن
عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في
النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس
وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة
ثلاثة الاف سنة صعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف
كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في
النار مكدوس وفي الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح
العاصف ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم
من يزحف زحفا ومنهم من الزالون ومنهم من يكردس في النار وقال
ابن زيد فهل لاسلك طريق النجاة وقوله تعالى وما ادراك اي اعلمك
ايها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا ما العقبة تعظيم لشانها والجملة
اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك فانه ه
اخبر به وما لا فلا قال وما يدريك فانه لم يخبره ثم بين سبب جوازها
بقوله تعالى فك اي الانسان رقبة اي خلصها من الرق وذلك ه
يعتق رقبة في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فك رقبته روي
انه صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مومنة اعتق الله

تعالى بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال
الزمخشري وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا
سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها
من فود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة
ان العتق افضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة افضل قال
الزمخشري والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة
وقال عكرمة يعني فك رقبته من الذنوب وقال الماوردي ويحتمل
انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات
ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه بالصواب او اطعام اي دفع
الاطعام لشيء له قابلية ذلك في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب
الجوع يتيما اي انسانا صغيرا لا اب له ذا مقربة اي ذا قرابة لك بات
كان بينك وبينه قرابة ه يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي او مسكينا
وهو من لا مال او كسب يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه ذا متربة اي
لصوق بالتراب لفقره يقال ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب
واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى
وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة الذي ماواه المزابل
قال ابن عباس هو المطروح على الطرف الذي لا بيت له وقال مجاهد
هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال
واصح بهذه الاية على ان المسكين يملك شيا لانه لو كان لا يملك شيا لكان
تقييده بقوله تعالى ذا متربة تكريرا وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها
الف ورفع الميم منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة
بالنصب اطعم بفتح الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا الفين العين
والميم فان قيل قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى اخره ذكر لامرة

واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لاتكاد تفرد لامع الفعل الماضي حتى
تعيد لاكقوله تعالى فلاصدق ولاصلي اجيب بانه انما افردها
لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين
امنوا قايما مقام التكرير فكانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقال
الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك
رقبة ولا اطعم مسكينا الانزي انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابوحيان
ولايتم له هذا الا على قراة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا بدل على ان لا يمين لم ولا يلزم التكرير مع لم
فان كررت كقوله تعالى فلاصدق ولاصلي فهو كقوله تعالى لم يسيرضوا
ولم يقتروا وتنبيه ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب الذكري
والمعنى كان وقت الاقتحام من الذين امنوا وقال الزمخشري جاء ثم هـ
لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة
لافي الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت على صالح
الاية وتواصوا اي وصبروا واواحى بعضهم بعضا بالصبر اي على
الطاعة وعن المعصية والمحن التي يمتحن بها المومن وغيره وتواصوا
بالمرحمة اي بالرحمة على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين اي بما
يودي الى رحمة الله تعالى اولئك اي الموصوفون بهذه الصفات
اصحاب الميمنة اي الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة
قال محمد بن كعب اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام
لانهم ميامين على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن
عليه السلام وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال
الزمخشري الميمنة اليمن او اليمين والذين كفروا اي ستروا ما يظهر
لهم مراي بصايرهم من العلم بايانتا اي على ما لها من العظمة بالاضافة
الينا والظهور الذي لا يمكن خفاوه من القراءة وغيره هم اصحاب
المشئمة اي الخصلة المنكسة للشوم والحرمان قال محمد بن كعب اي الذين

يؤتون كتبهم بشمايلهم وقال يحيى بن سلام لانهم مشايم على انفسهم
وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايسر عليه السلام وقال
ميمون لان منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشري المشاءمة الشمال او الشوم
قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب
المشئمة هم اصحاب النار عليهم اي خاصة نار موصدة اي مطبقة وقرا
ابوعمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير همز اي بواو ساكنة وهما لغتان
يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته واطبقته وقيل معنى
الهمز المطبقة وغير الهمز المغلقة واذا وقف حمزة ابدل على اصله وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة حديث
موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الشمس

مكية وهي خمس عشرة اية واربع وحسون كلمة ومايتان وسبعة واربعون
حرفا بسم الله الذي له الاسما الحسنى الرحمن الذي يعلم السر واخفى الرحيم
الذي خص خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى والشمس اي الجامعة
بين النفع والضر بالنور والحر وضحاها قسم وقد تقدم الكلام على ان الله
تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير ورب الشمس الى تمام القسم
واختلف في قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبي ضوؤها وقال
قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال لقوله تعالى في طه ولا
تضحى اي لايؤذيك الحر وقال البريدي انبساطها قال الرازي انما اقسم
بالشمس لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان اهل العالم كانوا كالاموات
في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي ينفخ
فيه الحيوة فصارت الاموات احيا ولاتزال تلك الحياة في القوة والزيادة
الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل الجنة والقمر
اي المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس من انوار العقول اذا تلاها

اي نفعها وذلك اذا سقطت روي الهلال قال الليث يقال تلوت
فلانا اذا اتبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول
من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشمس يتلوها بالغروب وقال
الفراء تلاها اخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها
اي حين استوى ودار وكان مثلها في الضياء والنور وذلك في الليالي
البيض والنهار اي الذي هو محل الانتشار فيما جرت به الاقدار اذا جلاها
اي الشمس بارتفاعه لان الشمس تتجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم
اصبحت باردة يريدون الغداة واصبحت يريدون السما والليل اي
الذي هو ضد النهار فهو محل السكوت والانقباض اذا يغشاها اي
يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الافاق فالكناية ترجع الى غير مذكور وجيء
يغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للتواصل اذ لو اتي به
ماضيا لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين التواصل
والمقاطع تنبيها اذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم
والسما وما اي ومن بناها اي خلقها على هذا السقف المحكم واقسم
تعالى بنفسه وباعظم مخلوقاته وقوله تعالى والارض اي التي هي فراشها
وما اي ومن طحاها اي بسطها وسطحها على الماء كذلك وكذا قوله تعالى
ونفس اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم باسره وما اي ومن سواها
اي عدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من الجواهر
والاعراض والمعاني وغير ذلك فان قيل لم نكرت النفس اجيب
بوجهين احدهما انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس
ادم عليه السلام كانه قال تعالى وواحدة من النفوس ثانيهما انه يريد
كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس
ما اوثرت ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية بما ضمنا وانما لم يوصف
بلفظها اذ المراد انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته وعلى من

ولذلك

ولهذا ذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها بانكحوا الطيب
وهذا انفرد به ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم اقسم سبحانه
وتعالى بانواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها
ويشكر عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل به روح في القلب
فتكون الدواعي الى تأمله اقرب فالهمها اي النفس فجورها وتقواها
قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعرفه علمها الطاعة والمعصية وعن
ابي صالح عرفها ما تاتي وما تتقي وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها
وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للفجور واختار
الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوي وهذا
بين ان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور وعن ابي
الاسود الدئلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم
ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق او فيما
يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم
قلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال
ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شيء الا وهو خلقه وملك
يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لي سدد ك الله انما سالتك
لاختبر عقلك ان رجلا من جهينة او مزينة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس ويكدحون فيه اشيء قضي
قضي الله عليهم من قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم واكدت
به الحجة فقال في شيء قضي عليهم قال فقلت فيم العمل الآن قال من
كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله تعالى لها وتصديق
ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
وعن جابر قال جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله لنا
ديننا كانا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له واختلف

في جواب القسم فاكثر المفسرين على انه قد افلح اي ظفر بجميع المرادات
والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جيء
به تاييدا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس
من جواب القسم في شيء والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم
اي اهل مكة لتكذيبهم رسوله الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود
لانهم قد كذبوا صالحا او لتبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير من غير
حذف والمعنى قد افلح من زكاها اي طهرها من الذنوب ونماها واصلحها
وصفاها بصفية عظيمة مما يسره الله تعالى له من العلوم النافعة
والاعمال الصالحة وقد خاب اي خسر من دساها اي اغواها اغواء
عظيما وافسدها واهلكها بخبائث الاعتقادات ومساوي الاعمال وقبائح
الشبات والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها ضمير من وقيل
ضمير الباري سبحانه وتعالى اي قد افلح من زكاها بالطاعة وقد خاب
من دساها اي خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية وانكر
الزمخشري على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه وكذا قال بعض
المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس
خابت نفس اضلها الله تعالى واغواها واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه
زكي الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل
واصل دساها دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء فابدل من
السين الثانية يا والمعنى اصلها واخفى محلها بالكفر والمعصية وعن زيد
ابن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك
من العجز والكسل والبخل والجبن والهم وفي رواية والهرم وعذاب القبر
اللهم ان نفسي تقواها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب
لا يخشع ومن دعوة لا يستجاب لها كذبت ثمود وهو قوم صالح كذبوا
رسولهم صالحا عليه السلام وانث فعلهم لضعف اثر تكذيبهم لان كل سامع

له يعرف ظلمهم فيه لموضوح ايتهم بطغواها اي اوقعت التكذيب
لرسولها بكل ما اتى به عن الله تعالى اي طغيانها وقيل ان
الباء للاستعانة قال الزمخشري منكرا في كتبت بالقلم والطغوى من
الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء
بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امراة جريا
وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بحر انه على الله
تعالى وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى
فاهلكوا بالطاغية اذ اي تحقق تكذيبهم او طغيانهم بالفعل حين
انبعث اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب
وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف
وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا فقير الناقة وعن عبد الله بن زمعة
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذي عقرها
فقال صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز
عارم اي شديد ممتنع قال الزمخشري ويجوز ان يكون واجماعة
والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد
والجمع والمذكر والمونث تثبيت اذ منصوب بكذبت او بطغواها
فقال لهم اي بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على قصدهم
لها بالاذى رسول الله اي صالح عليه السلام وكذا الناقة وعبر
بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذي ذكرهنا ولذلك
قال تعالى مشيرا لحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظم
الهول وشدة التعذيب عند مسها بالاذى وزاد في التعظيم باعادة
الجلالة ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله وهي منصوبة
على التحذير كقوله الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا
واحذروا ناقة الله وسقياها اي وشربها في يومها وكان لها
يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل

لها شرب يوم من بيرها ولها شرب يوم فشق عليهم واضافة الناقة
الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله **فكذبوه** اي صالحا عليه
السلام بطغيانهم في وعيدهم بالعذاب **فعقروها** اي عقرها
الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله
وان كان العاقر جماعة قواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى
تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها
اثنان والعرب تقول هذا ان افضل الناس وهذان خير الناس
وهو المراة اشقى الناس ولهذا لم يقل اشقياها **فدمدم** اي
فاطبق **عليهم ربهم** اي الذي احسن اليهم فغمرهم احسانه فقطعه
عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم واطبق عليهم عذابه فقال ودمت
عليه القبر طبقته عليه **بذنبهم** اي بسبب كفرهم وتكذيبهم
وعقرهم الناقة وروي القشيري وقيل دمدمت علي الميت التراب
اي سويته عليه والمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب
فسواها اي فسوي عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى
الاول فسوي الدمدمة عليهم اي عمهم بها فلم يفلت منهم احد وقرا
ولا يخاف نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو قالوا تقتضي
التعقيب والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون للاستئناف
الاخباري وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى
لانه اقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة عن
الدمدمة والتسوية والهاء في قوله تعالى **عقباها** ترجع الى الفعلة
وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا يحق فانه
لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله
تعالى اجل من ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه
تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة كي لا يخاف عاقبة ه
عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام

اي لا يخاف عقبى هذه العقوبة لانذارهم اياه ونجاه الله واهلكهم
وقال السدي يرجع الضمير الى اشقاها اي انبعث لعقرها هـ
والحال انه غير خايف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وقرا الكسائي جمع
رؤس اي هذه السورة بالامالة محضة وقراها ابو عمرو وبين بين
وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين واما حمزة مثل الكسائي الا
تلاها وضحاها فتحها والباقون بالفتح واتفقوا على فتح فعقروها
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال
من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس
والقمر حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الليل

مكية وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة
وعشرة احرف **بسم الله** الملك الحق المبين **الرحمن** الذي عم رزقه
العالمين **الرحيم** الذي خص بجنته المومنين وقوله تعالى **والليل** اي
الذي هو الة الظلام **اذا يغشى** قسم وقد مر الكلام على ذلك ولم
يذكر تعالى مقسما له للعلم به فقيل يغشى بظلمته كل ما بين السماء
والارض وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلايق قال قتادة
اول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليل
اسود مظلما والنور نهارا مضيا مبصرا وقوله تعالى **والنهار** اي الذي
هو سبب انكشاف الامور **اذا تجلى** اي تكشف وظهر قسما خر قاله
الرازي اقسم بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه وتسكن
الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة
لابدانهم وغذا لارواحهم ثم اقسم تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار
اذا جا انكشف بضويه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت
الذي تتحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطير من اوكارها والهوام
من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا

لبطلت الراحة لكن المصلحة في تنافيهما كما قال تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار وما يعني من اي
ومن خلق الذكر والانثى اي فيكون قد اقسم بنفسه او مصدرية
اي وخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه
معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر والانثى ادم وحوا
عليهما السلام او كل ذكر وانثى من سائر الحيوانات والخنثى وان اشكل
امره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة والانوثة
فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى
مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكرا وانثى وان كان مشكلا
عندنا وقيل كل ذكر وانثى من الادميين فقط لاختصاصهم
بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى ان سعيكم اي عملكم لشتى
جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لتختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل
للنار بالمعصية ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل في نظائره المتقدمة
وشتى واحدة الكل شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل
للمختلف شتى لتباعده ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم المتباعد
بعضه من بعض لان بعضه ضلال وبعضه هدى اي فيكم مؤمن
وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي المختلف الجزا
فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلفي الاخلاق فمنكم
راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين
نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان بن حرب وروى
ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها اي
مهلكها وقوله تعالى فاما من اعطى اي وقع منه اعطاء على ما
حددناه له وامرناه به واتقى اي ووقعت منه التقوى وهي
ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصي خوفا من سطواتنا

وصدق

وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتيت الساعي واختلف في
الحسنى فقال ابن عباس اي بلا اله الا الله وقال مجاهد بالجنة لقوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وقال زيد بن اسلم الصلاة والزكاة
والصوم فسنيسره اي نهيئه بما لنا من عظة بوعد لا خلف فيه
لليسرى اي للاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال
زيد بن اسلم لليسرى اي للجنة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال
القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل
السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة
فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل اي اوجد هذه الحقيقة
الخبيثة فمنع ما امر به وندب اليه واستغنى اي وطلب الغنا عن
الناس وعما وعد به من الثواب واوجده بما نعمت له نفسه الخائبة
وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس وما عمل للعقبى وكذب اي
اوقع التكذيب لمن يستحق التصديق بالحسنى اي فانكرها وكان
عامدا مع المحسوسات كالبها ثم فسنيسره اي نهيئه للعسرى
اي للخلة المودية الى العسرة والشدة كدخول النار وعن ابن
عباس نزلت في امية بن خلف وعتبة فسنيسره للعسرى اي سامول
بينه وبين الايمان بالله تعالى ورسوله وعنه ايضا واما من بخل
اي بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف الذي
وعده الله تعالى في قوله سبحانه وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال
مجاهد وكذب بالحسنى اي بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز في
ما في قوله وما يغني عنه ماله ان تكون نافية اي لا يغني عنه
ماله شيا وان تكون استفهاما انكاريا اي اي شيء يغني عنه ماله

اذا تردي قالك ابو صالح اي سقط في جهنم وقيل هو كناية عن
الموت كما قال القايل

نهيبك مما تجمع الدهر كله ، رداء ان تلوي فيها وحنوط ،

ولما عرفهم ان سعيهم شتى وبين ما للحسنى من اليسرى وما للحسنى
من العسرى اخبرهم بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى
ان علينا اي بما لنا من القدرة والعظمة للهدى اي للارشاد الى الحق
بموجب قضايانا او بمقتضى حكمتنا فنبين طريق الهدى من طريق الضلال
ليمتثل امرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثاني وقال الفراء
معناه ان علينا للهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس يريد ارشد اوليائي للعمل
بطاعتي واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي وهو معنى
الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى
سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وان لنا للاخرة
والاولى اي لنا ما في الدنيا والاخرة فنعطي في الدارين ما نشاء لمن
نشاء فمن طلبها من غيرنا فقد اخطأ الطريق وعن ابن عباس
قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فانذرتكم اي حذرتكم
وخوفتكم يا ايها المخالفون للطريق الذي بينته نارا تلظى
بحذف احدى التاءين من الاصل اي تتلهب وتتوقد وتتوهج
يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظا وقرا اليزيدي
في الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين على غير
حدهما وهو نظير قوله تعالى اه تلقونه واليا قوف بغير تشديد
لا يصلاها الا الاشقى اي الذي هو في الذروة من الشقاوة
وهو الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها وكذلك سماه اشقى
وصفه بقوله تعالى الذي كذب النبي صلى الله عليه وسلم وتولى

اي عن الايمان او كذب الحق واعرض عن الطاعة والاشقى بمعنى
الشقي كقوله لست فيها باوحد اي بواحد والحصر مؤول لقوله
تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلي الموبد
وسيجنبها اي النار الموصوفة بوعد لا خلف فيه الاتقى اي
الذي اتقى الشرك او المعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاول ان من اتقى الشرك
دون المعصية لا يتجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر
السابق او الاتقى بمعنى التقي على وزان ما مر الذي يوتي ماله
اي يصرفه في وجوه الخير لقوله تعالى يتزكى فانه يدل على من
يوتي او حال من فاعله فعلى الاول لا محل له لانه داخلة في حكم
الصلة والصلة لا محل لها وعلى الثاني محل نصب قال البغوي
يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه في قول الجميع قال ابن
الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت
تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري اريد فانزل الله تعالى
وسيجنبها الاتقى الى اخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان
بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان
صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت
الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع
على ظهره صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول
وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة
عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون ذلك به وكان
داره في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله تعالى في هذا
المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر افعل عندي
غلام اسود اجلد منه واقوى على دينك اعطيكه هو قال
قد قبلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذه واعتقه وكان قد

اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابيهم وهم
علج بن هبيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا
واعتق ام عميس فاصيب بصرها الا اللات والعزي فقالت
كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزي وما ينفعان فرد الله
تعالى بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانت لامراة لبني عبد الدار
فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحنان لها وهي تقول لها والله لا
اعتقكما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت فشدتهما فاعتقهما
قال فبكم قالت بكذا وكذا قال اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من
بني الرمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها وقال سعيد بن
المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال اتبيعه قال
نعم ابيعه بقسطاس عبد لابي بكر صاحب عشرة الاف دينار وغلمان
وجواري ومواشي وكان مشرك حمله ابو بكر على الاسلام على ان
يكون ماله له فابي فابغضه ابو بكر فلما قال له امية ابيعه بغلامك
قسطاس اعتنمه ابو بكر وباعه به وروي الضحاك عن ابن
عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقول احد احد فقال احد يعني الله ه
تعالى ينجيك ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا ابي بكر
ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب
ومضى به الى امية بن خلف فقال له انبيعني بلالا قال نعم
فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال
الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله تعالى **وما لاحد عنده** اي
الي بكر **من نعمة تجزي** اي يد يكافيه عليها وقوله تعالى **الا ابتغاء**
استثناء منقطع اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له
عنده لكن فعله ابتغاء **وجه ربه** اي المحسن اليه **الاعلي** وطلب

رضاه ويجوز ان يكون متصلا عن محذوف مثل لا يوتي الا ابتغا
وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة **ولسوف يرضى** اي بما يعطى من
الثواب في الجنة وروي عن علي قال قال رسول الله صلى الله ه
عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة
واعتق بلالا والاية تشمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب
وقرا حمزة والكسائي **يغشى** تجلي والباقون لشتى من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى تردي للهدوي والاولى
تلظى الاشقى وتولى الاتقى يتزكى تجزي الاعلى يرضى بالامالة
محضة في جميع ذلك واماله ورش جميع ذلك بين بين والفتح
عنه قليل وله فيمن اعطى الفتح وبين اللفظين سواء واماله
ابو عمرو بين بين الا من اعطى لانه ليس براس اية والباقون بالفتح
واماله حمزة والكسائي يصلاها محضة ولورش الفتح وبين اللفظين
واذا فتح غلظ اللام واذا اماله رققها واما الاشقى والاتقى الذي
قلبا الالف الا في الوقف دون الوصل وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة والليل
اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر
حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الضحى

مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا
ولما نزلت كبر النبي صلى الله عليه وسلم فسن التكبير اخرها
ويروي الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله اكبر
او لا اله الا الله والله اكبر **بسم الله** الملك ذي الجلال والاكرام **الرحمن**
الذي عم بنعمه الخاص والعام **الرحيم** الذي خص اهل وده بانعام
الانعام وقوله تعالى **والضحى** قسم وقد مر الكلام على ذلك
وخصه بالقسم لانها الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه

السلام والقى السحرة فيها سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس
وتلقى شعاعها لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال البغوي
اراد النهار كله بدليل انه قابله بالليل في قوله تعالى والليل اي
الذي به تمام الصلاح اذا سجى اي سكن وركد ظلامه يقال ليلة
ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه
وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساجي فاتر وقال قتادة اقسم
بالضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج التي عرج فيها
النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل ما الحكمة في انه تعالى قدم الضحى
وفي السورة التي قبلها الليل اجيب بان لكل منهما اثرا عظيما في
اصلاح العالم ولليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وهذا اخرى
كالركوع والسجود في قوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين
او انه قدم الليل في سورة ابي بكر لان ابا بكر سبقه كفر
وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض
ولم يتقدمه ذنب او ان سورة والليل سورة ابي بكر وسورة والضحى
سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم انه
لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه
فان قيل ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل
بجملته اجيب بان في ذلك اشارة الى ان ساعة من النهار تتوازن
جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبياء عليهم السلام
وايضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى ان
سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها
فان الضحى ساعة والليل ساعات ويروي ان الله تعالى لما خلق
العرش اظلت غمامة سوداء وبروي ونادت ماذا امطر فاجيبت ان
امطري السرور ساعة. فلهذا تزي الهموم والاحزان دائمة والسرور

قليلا

قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى واخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى ما
ودعك اي يا اشرف الرسل تركا تحصل به فرقة المودع ولو على احسن الوجوه
الذي هو مراد المودع ربك اي المحسن اليك جواب القسم وما قلى اي وما
ابغضك بعضا ما وتركت الكاف لانه راس اية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اي الله تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه الاية على
ثلاثة اقوال احدها ما روي البخاري عن جندب بن سفيان قال
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت ام جميل
امراة ابي لهب فقالت يا محمد اني لارجوا ان يكون شيطانك قد
تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فنزلت تاييدها ما روي ابو
عمر وقال قال ابطا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى شق عليه فجاه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعوا وانزل
عليه الاية ثالثها ما روي ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي
صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه
وسلم ياخولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لا ياتيني ه
قالت خولة فكنست فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد
لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة
دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام
سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخير فقال اما علمت انا لا
ندخل بيتا فيه كلب وما صورة رابعها ما روي ان اليهود سالوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف
فقال صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله ه
فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما

سئل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك واختلفوا في مدة احتباس
الوحي عنه فقال ابن جرير اثني عشر يوما قالوا وقال المشركون ان
محمدا اودعه ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال
جبريل عليه السلام اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور
وانزل وما نتنزل الا بامر ربك وللاخرة التي هي المقصود من الوجود
بالذات لانها باقية خالصة عن شوائب الكدر خير لك اي لما فيها
من الكرامات لك من الاولى اي الدنيا الفانية التي لا سرور فيها خالص
وقيد تعالى بقوله سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل احد قال
البغاوي ان الناس على اربعة اقسام منهم من له الخير في الدارين
وهم اهل الطاعة الاغنيا ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة
الفقرا ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الاخرة وهم
الكفرة الاغنيا ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الاخرة
وهم الفقرا المومنون وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله
لنا الاخرة على الاولى ولسوف يعطيك اي بوعد لا خلف فيه وات
تاخر وقته بما افهمته الادلة ربك اي المحسن اليك بسابغ النعم
في الاخرة من الخيرات عطاء جزيلا فترضى فقال صلى الله عليه وسلم
اذا لا ارضى واحدا من امتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي
وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك وعن ابي هريرة ان صلى الله عليه وسلم قال
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيا
وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني آت

من

من عندربي يخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات ولم يشرك بالله شيا وعن شريح
قال سمعت ابا جعفر محمد بن علي يقول انكم معشر اهل العراق تقولون
ارجى اية في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي هذا الوعد لما اعطاه الله تعالى
في الدنيا من الفتح والظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس
في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنظير واجلائهم وبث عساكره
وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض
من المدائن وهدم بايديهم من معالك الجبابرة وانهبتهم من كنوزهم
الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب
وتهيب الاسلام وفشوا الدعوة واسبلة المسلمين ولما اعطاه في
الاخرة من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس
له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قيل ما هذه
اللام الداخلة على سوف اجيب بانها لام الابتدا الموكدة لمضمون
الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك انها لا تخلوا
من ان يكون لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الا
مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتدا ولام الابتدا لا تدخل الا على
الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقديره مبتدا خبر وان يكون اصله
ولانت سوف يعطيك فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير
اجيب بان معناه ان العطاءين لا محالة وان تاخر لما في التاخير
من المصلحة على انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال
الذي كان عليها فقال جل ذكره الم يجدك وهو استفهام تقرير اي
اوجدك يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين فقد انت عليه ستة اشهر
وقيل مات قبل ولادته وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فاوى

اي بان ضمك الي عمك ابي طالب فاحسن تربيتك وعن مجاهد هو من هـ
قول العرب ودرة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا
في شرفك لا نظير لك فاواك الله تعالى يا صحاب يحفظونك ويحوطونك
وهذا خلاف الظاهر من الاية ولهذا قال الزمخشري ومن بدع التفسير
انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير
فاواك فان قيل كيف ان الله تعالى يمن بنعمه والمن بها لا يليق ولهذا
ذم فرعون في قوله لموسى الم نربك فينا وليدا اجيب بان ذلك
يحسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان الله تعالى
زيادة نعمة بخلاف امتنان الادمي واختلفوا في قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى فاكثر المفسرين على انه كان ضالا عما هو عليه من الحق الآن
من الشريعة فهداه الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله
تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغفل وقال تعالى في حق نبيه صلى
الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضحاك
المعنى لم تكن تدرك القران وشرايع الاسلام فهداك الى القران
وشرايع الاسلام وقال السدي ووجدك ضالا اي في قوم ضلال
فهداهم الله بك اوفهداك الى ارشادهم وقيل ووجدك ضالا
عن الهجرة فهداك اليها وقيل فاسيا شان الاستثناء حين سئلت
عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى
ان تضل احداهما وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كقوله
تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب
لان الضال طالب وقيل ووجدك ضايعا في قومك فهداك
اليهم ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم
اي في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفرقا ٭ والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي ٭ بعد الضلال فهبلها قد اخلقا

وروي

وروي الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ضل
في شعاب مكة وهو صبي صغير فرأى ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده
الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب ذات
ليلة مظلمة ناقة فجا ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق
فجاه جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة
ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضال نفسك
لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب ان حليمة
لما قضت حق الرضاع جات برسول الله صلى الله عليه وسلم لتزده
على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هيئاء لك يا بطحا مكة
اليوم يرد اليك النور والبها والجمال فالت فوضعته لاصلح شاني
فسمعت هذه شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين
الصبي فقالوا لم نر شيا فصحت فاذا شيخ فان يتوكا على عصا
فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شا ان يرده اليك فعل ثم طاف
الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه
السعدية تزعم ان ابنها قد ضل ورده ان شيئت فانكب علي وجهه
ونسا قطن الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فلا كنا على يد محمد
فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال آت لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه
على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم
يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى
ان يرده وقال

يا رب رد ولدي محمدا ٭ اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمعوا منادیا ينادي من السما معاشر الناس لا تضجوا فان
لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر
فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم

قايم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفي روايته مازال عبد
المطلب يردد البيت حتى اتاه ابوجهل على ناقة ومحمد صلى الله
عليه وسلم بين يديه وهو يقول الاتدري ماذا جرى من اينك فقال
عبد المطلب ولم فقال اني انخت الناقة واركبته خلفي فابت الناقة
ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة قال ابن عباس رده الله
تعالى الى عمه بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حتى حفظه
عند فرعون وقيل وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف
عنك جبريل وانت لاتعرف الطريق فهداك الى ساق العرش ه
وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة من الارض
لاشجرة معها سموها ضالة فيهدي بها الى الطريق فقال الله ه
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي لااحد
علي دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق
الي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي وجد قومك ضلالا فهداهم
بك وقيل غير ذلك قال الزمخشري ومن قال كان علي امر
قومه اربعين سنة فان اراد انه كان علي خلوهم من العلوم
السمعية فنعم وان اراد انه كان علي كفرهم ودينهم فمعاذ الله
والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من ه
الكاير والكباير والصغاير الخسيسة فاما الكفر والجهل بالصانع
ماكان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي فقيضه ان
الكفار ان يسبق له كفر ووجدك عايلا اي فقيرا فاغنى قال
مقاتل فرضاك بما اعطاك من الرزق واختاره الفرا وقال اه
يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله تعالى ارضاه بما اعطاه وذلك
حقيقة الغنا قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا عن كثرة العرض
ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم

ورزق

ورزق كفافا وقنعه الله بما اعطاه وقيل اغناك بمال خديجة وتربيتك
ابي طالب ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك امره
بالجهاد واغناه بالغنايم روي الزمخشري انه صلى الله عليه وسلم
قال جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال الرازي العايل ذو العيلة ثم
اطلق على الفقير ويجوز ان يراد ووجدك ذا عيال لاتقدر علي
التوسعة عليهم فاغناك بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب
الغنايم وروي البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة ظننت اني لم
اكن سالته قال يارب انك اتيت سليمان ابن داود ملكا عظيما
واتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك قلت
بلى يارب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال الم اجدك
ضالا عايلا فاغنيتك قلت بلى يارب وفي رواية الم اشرح لك صدرك
ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب ثم اوصاه باليتيم والسايل
والفقرا قال تعالى فاما اليتيم اي هذا النوع فلاتقهر قال مجاهد لا
تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال الفرا لاتقهر على ماله فيذهب بحقه
لضعفه كذا كانت العرب تفعل في اموال اليتامى تاخذ اموالهم
وتظلمهم حقوقهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في
المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه
يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو
يشير باصبعيه تنبيه اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل
ابن مالك على انه لايلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الانري
ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو تقدم على لا
لامتنع لان المجزوم لايتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره
وفي الاية دلالة على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه وقال
صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مونته كان

له حجابا من النار يوم القيامة وقال من مسح براس يتيم كان له بكل
شعرة حسنة وقال قتادة كن للتيم كالاب الرحيم فان ما الحكمة
في ان الله تعالى اختار لبنيه اليتم احبيب بوجوه احدها
ان يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتم ثانيها يشاركه في الاسم فيكرمه
لاجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه
ووسعوا له في المجلس ثالثها ليستند من اول عمره على الله تعالى
فيشبه ابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤلي علمه
بحالي رابعها ان اليتم تظهر عيوبه فلما لم يجد واقيه مقهر عيالم
يجد واقيه مطعنا خامسها جعله يتيما ليعلم كل احد ان فضيلته
ابتدا من الله تعالى لا من تعليم لان من له اب فانه يعلمه ويوديه
سادسها اليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم
مع هذين الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فيكون
معجزة **واما السايل** اي الذي اوجبته العيلة او غيرها الى
السوال **فلا تنهر** فلا تزجر يقال نهره وانهره اذا زجره واغلظ
عليه القول ولكن رد جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القول
السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السايل
يريد نا الى الاخرة يجيء الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى
اهلكم بشيء وقيل المراد بالسايل هنا الذي يسال عن الدين
وروي الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت
السايل فلم يرجع فما عليك ان تزيره وقيل اما انه ليس السايل
المستجدي ولكن طالب العلم اذا اتاك فلا تنهره **واما بنعمة ربك**
اي المحسن اليك بالنبوة وغيرها **فحدث** بها فان التحدث بها شكرها
وانما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا اذا قصد به اللطف
وان يقتدي غيره وامن على نفسه الغشمة والستر افضل ولو لم
يكن في الذكر الا التشبيه باهل الرياء والسمعة لكفى والمعنى انك

كنت

كنت يتيما وضالا وعايلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من
شيء فلا تنسى نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف
على اليتيم واوه فقد ذقت اليتم وهوانه وزاكد ورايت كيف فعل الله تعالى
بك وترحم السايل وتعهده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك
فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحت هدايته الضلال
وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله تعالى في ان هداه من
الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القران والحديث فيها ان يقرى
ويقرى عنه وعنه ايضا تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل
اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله سبحانه وتعالى
فقد رايت حق اليتيم والسايل فحدث بها ليقتدي بك غيرك وعن
الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك
الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي
به كما علم معاذ وروي ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فراه دث الشياب فقال له صلى الله عليك وسلم الك مال قال
نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك مال فلير اثره عليك وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان
يرى اثر النعمة على عبده قال قيل ما الحكمة في ان الله تعالى احق
اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسايل اجيب بكانه يقول انا
اغني الاغنياء وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار
قوله تعالى فحدث على قوله تعالى فاخبر ليكون ذلك حديثا عنه لاساه
ويعيده مرة بعد اخرى وقوا والضحى سجى قلى الاولى فترضى فاوى
فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة لم يمل سجى
واما ل ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون
بالفتح وقرا ابي ابن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
بلغ الضحى كبر بين كل سورتين الى ان يختم القران ويفصل بينهما

بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه
فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر قال مجاهد
قرات على ابن عباس فامرني به واخبر انه صلى الله عليه وسلم امره به
وبعض القرا لا يكبر لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القران وقال
القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سورة واياته وحروفه بغير زيادة
ولا نقصان فالتكبير ليس بقران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الضحى جعله الله ممن
يرضى بمحمد ان يشفع له عشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعد كل
يتيم وسايل حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الم نشرح

مكية وهي ثمان ايات وتسع وعشرون كلمة وماية وثلاثة احرف
بسم الله الظاهر الباطن الملك العلام الرحمن الذي عم المخلوقين
بالانعام الرحيم الذي خص اولياه بدار السلام وقوله تعالى الم
نشرح استفهام تقرير اي شرحنا بما يليق بعظمتنا لك يا اشرف الخلق
صدرك بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق او فسحنا
بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي
كان يكون معه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وقيل
انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله
عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا
وعلما فان قيل لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان
محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازال
تلك الوسوسة وابدلها بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر
دون القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة
والشيطان يجي الى الصدور الذي هو حصن القلب واذا وجد فيه

اعار

اعار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق
القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد
العدو في الابتدا حصل الامن وانشرح الصدر فان قيل لم قال
تعالى الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك اجيب
بوجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعات
لاجلي وانا ايضا جميع ما افعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان
منافع الرسالة عايدة اليك لا لاجلنا واختلف في قوله تعالى
ووضعنا اي بما لنا من العظمة عنك وزرك فقال الحسن ومجاهد
حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر
لك الله ما تقدم اي من ذنبك وما تاخر وقال الحسين بن الفضل
يعني الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك واضافها اليه لاشتغال قلبه
بها الذي انقض اي اثقل ظهرك قال ابو عبيدة خففنا عنك
اعبا النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتدا
يثقل عليه الوحي حتى يكاد يرمي نفسه من شاهق الى ان جاه جبريل
عليه السلام وازال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك
من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس
حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر ورفعنا اي بما لنا من القدرة التامة
لك ذكرك روى الضحاك عن ابن عباس قال يقول الله عز وجل
لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة
على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند
الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارق الارض
ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شي
ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان كافرا وقيل
اعلينا ذكرك فقد ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرناهم
بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملايكة

في السما وفي الارض عند المومنين ويرفع في الاخرة ذكرك بما نعطيك
من المقام المحمود وكرايم الدرجات وقال الضحاك لاتقبل صلاة الا به
ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعني التاذين وفيه يقول
حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم ، من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ، اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل يرفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به
والاقرار بفضله وقيل عام في كل ما ذكر وهذا اولى وكم من موضع
في القران يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز وقوله تعالى واطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعيرونه
صلى الله عليه وسلم والمومنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى ه
وهمهم انهم رغبوا عن الاسلام لافتقارهم واصفادهم فذكره
ما انعم الله به عليه من جلايل النعم ثم وعده اليسر والرخا بعد
الشدة فقال تعالى فان مع العسر اي ضيق الصدر والوزر النقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا اي كالشرح والموضح والتوفيق
للاهتدا والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يهمك فان
مع العسر الذي انت فيه يسرا فان قيل ان مع للصحبة فما معنى ه
اصطحاب العسر واليسر اجيب بان الله تعالى اراد ان يصيبهم
بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب
حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة للتسلية وتقوية للقلوب
وقوله تعالى ان مع العسر يسرا استيناف وعد الله تعالى بان
العسر متبوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك للصايم فرحة ثم
فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب ويجوز ان

يراد

يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما تيسر لهم ايام الخلفا وقيل تكرير فان قلت ما معنى ه
قول ابن عباس وابن مسعود لن يغلب عسر يسرين وقد
روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ه
ويقول لن يغلب عسر يسرين اجيب بان هذا حمل على الظاهر
وبنا على قوة الرجا وان موعد الله لا يحمل الا على الظاهر ويتا ء
او في ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول عنده انه يحتمل ان تكون الجملة
الثانية تكريرا للاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد
في قولك زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردف بيسر
لا محالة والثانية عدة مستانفة بان العسر مستودع بيسر فهما
بيسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لما علموا
اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو وان
حمله حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان
يكون للجنس الذي يعلم كل احد فهو ايضا غير مكرر فقد تناول
بعضها غير البعض الاول بغير اشكال او بان يغلب عسر الدنيا اليسر
الذي وعد الله المومنين واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب
احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدايم غير زايل اي لا يجتمعان
في القلة كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي
لا يجتمعان في النقصان فان قيل فما معنى هذا التنكير اجيب
بانه للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر روي عن
ابن مسعود انه قال لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى
يخرجه وللطبراني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كان العسر في جحر لدخل اليسر حتى يخرجه ثم قرا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه الاية ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم

نعمه السابقة ووعده الالتفات بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة
بقوله تعالى فاذا فرغت قال ابن عباس فرغت من صلاتك المكتوبة
فانصب اي انصب في الدعاء وقال ابن مسعود فاذا فرغت من الفرايض
في قيام الليل قال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك
وقال الحسن بن زيد بن اسلم اذا فرغت من الشهد جهاد عدوك فانصب
في عبادة ربك وصل قال حبان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ
الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمومنين قال عمر بن الخطاب
اني اكره اني ارى احدكم الافي عمل الدنيا ولا في عمل الاخرة والى ربك
اي المحسن اليك بفضايل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين الصورتين
فارغب اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله
متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا
من النار عصمنا الله تعالى واحيانا منها بمحمد صلى الله عليه وسلم
واله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الم نشرح فكانما جاني وانا معهم ففرج عني حديثه
موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة التين والزيتون

مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان ايات واربع وثلاثون
كلمة وماية وخمسون حرفا بسم الله الذي له الملك كله الرحمن
الذي وسع الخلايق عدله الرحيم الذي خص اولياه بتوفيقه فظهر
عليهم جوده وفضله وقوله تعالى والتين والزيتون قسم وتقدم
نظايره لك اقسم بهما لانهما عجيبتان من بين اصناف الاشجار
المثمرة روي انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين
فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة
لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منه

قضيبا

قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب بالفم ويذهب
بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبيا من قبلي وعن
ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم هذا الذي تعصرون
منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور سينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقال
محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا
وقال الضحاك مسجدان بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق
والزيتون مسجد بيت المقدس وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة
وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس وطور سينين اي الجبل الذي ناجى موسى عليه
السلام ربه عز وجل وسينين وسينا اسماء للموضع الذي فيه
فاضيف الموضع الى المكان الذي هو فيه وقال مقاتل والكلبي هو
بسينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلفظ النبط ولم
ينصرف سينين كما لا ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة او الارض
ولو جعل اسما للمكان او المنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت
مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة
وقد بارك الله تعالى فيها الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز
ان يكون سينين نعتا للطور للاضافة اليه وهذا البلد الامين
اي المامن من امن الرجل امانة فهو امين وهي مكة وهي التي
حرمها الله تعالى لانها الحرم الذي يامن الناس فيه في الجاهلية
والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد ورقه اي شجره ولا تلتقط
لقطته الا لمنشد او المامون فيه يامن فيه من دخله قال الزمخشري
ومعنى القسم بهذه الاشيا الدلالة على شرف البقاع المباركة
وما ظهر منها من الخير والبركة بسكنى الانبيا والصالحين فنبت

التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام
ومنشاوه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام
ومكة البيت الذي هو هدي للعالمين ومولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومبعثه انتهى وقوله تعالى لقد خلقنا اي قدرنا
واوجدنا بما لنا من العظمة والقدرة التامة الانسان جواب القسم
والمراد بالانسان الجنس الذي هو مجمع فيه للشهوة والعقل وفيه من هو
الانس بنفسه ما ينسيه الكثير هذا الشامل لادم عليه السلام وذريته
وقيل نزلت في منكري البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل
كلدة بن اسيد وقوله تعالى في احسن تقويم صفة لمحذوف اي في
تقويم احسن تقويم وقال ابو البقا في احسن تقويم في موضع الحال
من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذاك وصف
للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم
فحذف المضاف ويجوز ان تكون في زايدة اي قومناه احسن تقويم
انتهى واحسن التقويم اعدله لانه تعالى خلق كل شيء منكبا على
وجهه وخلق الانسان مستويا ولسان ذلق وبد واصابع
يقبض بها قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان
فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا
مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلما ووقع
البيان بقوله تعالى ان الله خلق ادم على صورته يعني صفاته
المتقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومتى اين يكون للرحمن
صورة شخصية فلم تكن الامصاني روي ان عيسى بن يوسف الهاشمي
كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا
ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت منه وقالت طلقتني
فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر فاحضر
الفقها واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الارجلا واحدا من

اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور مالك لا تتكلم
فقال الرجل لبسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان
احسن الاشيا والاشبي احسن منه فقال المنصور الامر كما قال الرجل
فاقبل علي علي زوجتك فارسل المنصور اليها اطيعي زوجك فما
طلقك وهذا يدل على ان الانسان احسن خلق الله تعالى ولذلك
قيل انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجمع فيه ثم رددناه اي
بعض افراده بما لنا من القدرة الكاملة اسفل سافلين اي الى الهرم
وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص كما عقله والسافلون هم الضعفا
والزمنا والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هو لا جميعا لانه لا يستطيع
حيلة ولا يهتدي سبيلا فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره
بعد اسوداده وكل بصره وسمعه وكانا حديدين وتغير كل شيء منه
فشيبه ليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقيل
ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض فقوله تعالى
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات استثنا متصل على
الثاني على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني
اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اهل النار واسفل من
سفل من اهل الدركات فالاتصال على هذا واضح وعلى الاول
منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اي فتسبب
على ذلك ان كان لهم اجر غير ممنون اي ثواب دايم غير منقطع على طاعتهم
وصبرهم على البلا الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة هذه
المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفي الحديث اذا بلغ
المومن مرج الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل وروي عن
ابن عباس قال الا الذين قرا والقرا فقال من قرا القرا لم يرد
الى ارذل العمر قال تعالى الزاما للحجة فما يكذبك اي ايها الانسان

الكافر لبعد اي بعد ما ذكر من خلق الانسان من نطفه وتقويمه بشرا
سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يستوي ويكمل ويصير في
احسن تقويم ثم يرده الى ارذل العمر الدال على القدرة على البعث
فيقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يحييني ويحاسبني فما سبب
تكذيبك ايها الانسان بالدين اي الجزا بعد هذا الدليل القاطع
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى
فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزا والبعث بعد هذه العبر
التي توجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله تعالى اليس الله اي الملك
الاعظم على ما له من صفات الكمال باحكم الحاكمين اي باقضى القاضين
وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وفي الحديث من قرا التين
الى اخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام في دار
الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة حديث
موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة العلق

مكية وهي عشرون اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان وتسعون
حرفا بسم الله الذي لصفة الكمال المستحق للالهية الرحمن
الذي عم جوده سايرالبرية الرحيم الذي خص اهل طاعته بالطافه
السنية وعن ابن عباس ومجاهد ان اول سورة نزلت من القران
اقرا باسم ربك واول ما نزل خمس ايات منها من اولها الى قوله تعالى
مالم يعلم وعن عايشة ام المومنين رضي الله تعالى عنها انها قالت
اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جاات
مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو بغار حرا يتحنث فيه

وهو

وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك
ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاه الحق ومثله حتى فجاه
الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال له اقرا قال ما انا بقارئ
قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثالثة
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فقال
اقرا باسم ربك حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرجف فوادة فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني
زملوني فزملوه حتى ذهب منه الروع فقال لخديجة واخبرها
الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا ابشر فوالله لا
يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة
حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن عم خديجة
وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من
الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت
له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له يا ورقة ابن نوفل
يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر
ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني
اكون فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال نعم فقال لم يات رجل
بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم
لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى
حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى
يتردي من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه

منه تبدي له جبريل عليه فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن
لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي
غدا مثل ذلك فاذا راني بذروة جبل تبدي له جبريل فقال له
مثل ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح علي ان اول ما نزل من القران
وفيه رد علي من قال ان المدثر اول ما نزل وعلي ما قال ان الفاتحة
اول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة
ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلما الا ما انفرد به الاستاذ ابو
اسحاق اه الاسفرايني وانما ابتدي صلي الله عليه وسلم بالرويا
لئلا يفجاه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوي البشرية
فبدي باوايل علامة النبوة توطئة للوحي تنبيه محل باسم
ربك النصب علي الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك او مستعينا به قل
بسم الله ثم اقرا وقال ابو عبيدة مجازه اقرا اسم ربك يعني ان البا
زائدة والمعني اذكر اسمه امران يبتدي القراة باسم الله تعالي
تاديبا وقيل البا بمعني علي اي اقرا علي اسم ربك كما في قوله
تعالي اي اركبوا فيها بسم الله مجراها قال الاخفش فان قيل
كيف قدم هذا الفعل علي الجار وقدر موخرا في بسم الله الرحمن
الرحيم اي علي سبيل الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين
ولانه تعالي مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فيقدم
ذكرا اجيب بان هذا في ابتدا القراة وتعليمها لما مر انها اول سورة
نزلت فكان الامر بالقراة اهم باعتبار هذا العارض وان كان
ذكر الله تعالي اهم في نفسه وذكرت اجوبة غير هذا في مقدمتي
علي البسملة والحمدلة وقوله تعالي الذي خلق يجوز ان يقدر
له مفعول ويراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق
سواه وان يقدر له مفعول ويراد خالق كل شيء فيتناول كل
مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولي بتقديره من بعض

وقوله

وقوله تعالي خلق الانسان اي هذا الانسان الجنس تخصيص بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما علي الارض
ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال تعالي الرحمن علم القران
تفخيما لخلق الانسان ودلالة علي عجيب فطرته وقوله تعالي من علق
جمع علقة وهي الدم الجامد فاذا جري فهو المسفوح ولما كان الانسان
اسم جنس في معني الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآي ايضا
وقوله تعالي اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في
او في الصلاة قال البيضاوي ولعله لما قيل له اقرا له اقرا باسم ربك
قال ما انا بقاري فقيل له اقرا وربك الاكرم اي الزايد في الكرم علي
كل كريم فانه ينعم علي عباده النعم التي لا تحصي ويحلم عنهم
ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي
في الامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظايم فما لكرمه
غاية ولا امد وكانه ورا التكرم بافادة الفوايد العلمية تكرم حيث قال
الاكرم الذي علم اي بعد العلم عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه من
غير مانع من خوف عاقبة ولا رجا منفعة بالقلم اي الخط بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فدل علي كرمه بان علم عباده ما لم يتعلموا
ونقلهم من ظلمة الجهل الي نور العلم ونبه علي فضل علم الكتابة لما
فيه من المنافع التي لا يحيط بها الا هو وما قيدت العلوم وقيدت
الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا
بالكتابة ولولاه ما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن علي دقيق
حكمة الله تعالي ولطيف تدبيره دليل الامر القلم والخط لكفي به وبعضهم
في صفة القلم

ورواقم رقش كمثل اراقم ، قطف الخطا نبالة اقصي المدا
سود القوايم ما يجد مسيرها ، الا اذا لعبت بها طول المدا

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالي ولولا ذلك لم يقم دين ولا يصلح

عيش فدل على كمال كرمه تعالى وروي عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول
الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله
تعالى علم بالقلم ويروي ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن
الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال
خلق الله تعالى اربعة اشيا بيده ثم قال تعالى لساير الحيوان كن فكان
القلم والعرش وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علم بالقلم
ثلاثة اقوال احدها قال كعب اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام
ثانيها قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها ان جميع من كتب بالقلم
لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل
القلم الاول الذي خلقه الله بيده وامره ان يكتب والثاني قلم الملايكة
الذين يكتبون به المقادير والكواين والثالث اقلام الناس يكتبون بها
كلامهم ويصلون بها الى ما ربهم وعن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة
قال بعض العلما وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في
اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن
ولا تستر واذ لك انهم لا يملكن انفسهن حين يشرفن على الرجال فتحدث
الفتنة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سببا للفتنة
لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون يبصر الشاهد
الغايب والخط اثار يد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان
فهي ابلغ من اللسان فاحب صلى الله عليه وسلم ان يقطع على المراة
اسباب الفتنة تحصينا لها وقوله تعالى كلا ردع لمن كفر بنعمة
الله تعالى بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام عليه فانه تعالى قد عد
مبدا الامر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من
احسن المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتقريرا لاكرميته
ان الانسان اي هذا النوع الذي من شانه الانس بنفسه والنظر

في

في عطفه ليطغى اي من شانه الا من عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد
الذي لا ينبغي له مجاوزته ان راه اي راى نفسه استغنى اي وجد له
الغنا بالمال وقيل ان يرتفع عن منزلته في اللباس والطعام وغير ذلك
نزلت في ابي جهل كان اذا زاد ماله زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك
طغيانه وعن ابن عباس لما نزلت هذه الاية وسمع المشركون بها اتاه ابو
جهل فقال يا محمد اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا
لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه
السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوا فان لم
يفعلوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف عنهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الدعا ابقا لهم وقيل ان راه استغنى بالعشيرة
والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان راه كما يقال انكم لتطغون
ان رايتم غناكم فراى علمية واستغنى مفعول ثاني وان راى مفعول له
ان الى ربك اي المحسن اليك بالرسالة التي رفع بها ذكرك لا الى غيره
الرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ففي ذلك تخويف للانسان فان
يجازي العاصي بما يستحقه وقوله تعالى ارايت في مواضعها الثلاث
للتعجب الذي ينهى اي على سبيل التجدد والاستمرار وهو ابو جهل
عبدا اي من العبيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى اي
خدم سيده الذي لا يقدر احد اي منكر سيادته بايقاع الصلاة التي هي
اعظم العبادات نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن الصلاة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقالوا نعم فقال واللات
والعزى لان رايته ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب
قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته
فنكص على عقبيه وهو يتقي بيده فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه
خندقا من النار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لودنا مني لاختطفته الملايكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه الاية
وفي رواية لو فعله لاخذته الملايكة زاد الترمذي عيانا وعن
الحسن انه امية بن خلف كان ينهي سليمان عن الصلاة وفايدة التكبير في
قوله تعالى عبدا الدلالة على انه كامل العبودية كانه قيل ينهي اشد
الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل
من ينهي عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل في ذلك المنع
من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد
النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يدخل ايضا منع السيد عبده
والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك
مصلحة الا ان ياذن فيه السيد والزوج ارايت ان كان اي المنهي وهو
النبي صلى الله عليه وسلم على الهدى وقرا نافع بتسهيل الهمزة بعد
الرا وعن ورش ابدالها الفا واسقطها الكسايي والباقون بالتحقيق
وقوله تعالى او امر بالتقوى اي الاخلاص والتوحيد للتقسيم تنبيه
قوله تعالى ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وهو
ابو جهل وتولى عن الايمان الم يعلم ان يقع له علم يوما من الايام
بان الله اي الذي له صفات الكمال يرى ويطلع على احواله من هداه
وضلاله فيجازيه على حسب ذلك اي اعجب منه يا مخاطب نهيه عن
الصلاة ومن حيث ان النهي عن الهدى امر بالتقوى وفي وجه التعجب
وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام اما بابي
جهل واما بعمر بن الخطاب وهو ينهي عبدا اذا صلى الثاني ان يلقب
بابي الحكم فقيل ايلقب بهذا وهو ينهي عن الصلاة فيتعجب
منه ومن ان المناهي مكذب متول عن الايمان الثالث انه كان يامر
وينهي ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهي عن طاعة الله تعالى وقوله
تعالى كلا ردع للناهي لين لم ينته اي عما هو فيه واللام لام قسم
لنسفعن بالناصية اي لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها

الى

الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا نقع الصريخ رايتهم ما بين ملجم مهره او سافع
والنقع الصوت ولما علم انها ناصية الذكور اكتفى باللام عن الاضافة
والاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن
طاعة الله تعالى وقوله تعالى ناصية بدل من الناصية قال الزمخشري
وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت اي بكاذبة خاطئة واستقلت
بفايدة واعترض عليه بان هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال
نكرة من معرفة او بشرط وصفها او كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين
لا يشترط شيء والمعنى لناخذن بناصية ابي جهل الكاذبة في قولها
الخاطئة في فعلها والخاطي معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ ووصفت
الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها
ناظرة وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى
في انه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى رسوله في انه ساحر
وليس بنبي ووصفت بانها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى
كما قال تعالى لا ياكله الا الخاطيون فهما في الحقيقة لصاحبها وفيه
من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذبة خاطئة وروي ان
ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم
انهك فاغلظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتنهرني
وانا اكثر اهل الوادي ناديا فوالله لاملان عليك هذا الوادي
ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله تعالى فليدع اي دعاء
استغاثة ناديه اي اهل ناديه ليعينوه فهو على حذف مضاف لان
النادي هو المجلس الذي يتندى فيه القوم قال تعالى وتاتون في
ناديكم المنكر اي تتحدثون فيه او على التجوز لانه مشتمل على الناس
كقوله تعالى واسال القرية ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه
اهله والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر بهم سندع اي بوعده

لاخلف فيه الزبانية قال ابن عباس يريدون زبانية جهنم سموا بها
لانهم يدفعون اهل النار اليها بشدة جمع زبني ماخوذ من الزبن وهو
الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية
وقال الزجاج هم الملايكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه
لاخذته زبانية الله تعالى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه
السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابوجهل انا ادعوا
قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية
فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت
عنده فارسا وهدني بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت
منه ان ياكلني قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته ملايكة العذاب
من ساعته وقوله تعالى كلا ردع لابي جهل اي ليس الامر على ما
يظنه ابوجهل لاتطعه اي فيما دعاك اليه من ترك الصلاة كقوله تعالى
ولا تطع المكذبين وقوله تعالى واسجد يحتمل ان يكون بمعنى السجود
في الصلاة وان يكون سجود التلاوة في هذه السورة ويدل لهذا ما
ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اذا السما انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي
خلق سجدتين وهذا نص ان المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله
تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد
اي ودم على سجودك قال الزمخشري يريد الصلاة لانه لا يرى سجود
التلاوة في المفصل والحديث عليه واقترب اي وتقرب الى ربك بطاعته
وبالدعا اليه قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب واما
السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن اي فحقيق ان يستجاب لكم وكان
صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من التضرع والبكا حتى قالت عايشة
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكا في السجود
وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا وفي روايته

اقرب

اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعا وقد اليطفي استغنى
اذا اصلي علي الهدي بالتقوي وتولي حمزة والكسائي جميع ذلك
بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل
واليا قون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطاه الله من الاجر كانما قرا المفصل
كله حديث موضوع انتهي والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة القدر

مدنية في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر الماوردي
الواحدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس ايات وثلاثون كلمة
ومايتان واثنا عشر حرفا بسم الله الملك الاعظم الذي لا يعبد
الا اياه الرحمن الذي عم بجوده جميع خلقه اقصاه وادناه الرحيم
الذي قرب اهل طاعته وابعد من عداهم واشقاه وقوله تعالى انا
انزلناه اي بما لنا من العظمة اي القران فيه تعظيم لمن نزل
اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني
انه جا بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغنا
عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه
وهو قوله تعالى في ليلة القدر وما ادراك اي اعلمك يا اشرف الخلق
ما ليلة القدر فان في ذلك تعظيما لشانها روي انه انزله جملة
واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ من السما الدنيا واملاه
جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه
وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقايع والحاجة
اليه وحكى الماوردي وعن ابن عباس انه نزل في شهر رمضان
وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ
الى السفرة الكرام الكاتبين في السما الدنيا فنجمته السفرة على
جبريل عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين الله

وبين جبريل واسطة ولابين محمد صلى الله عليه وسلم وبين جبريل
عليه السلام واسطة وعن الامام الشعبي انا ابتدانا انزاله في
ليلة القدر وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها فليست طرفا وانما
هو كقوله عز وجل خشيت ان ينزل في قران وقول عايشه لانا احقر في شاني
ان ينزل في قران وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما
يشاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره
ويسلمه الى مدبرات الامور من الملايكة وهم اسرافيل وميكائيل
وعزرايل وجبرايل عليه السلام كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
وعن ابن عباس ان الله تعالى يقضي الاقضيه في ليلة نصف
شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وهذا يصلح ان يكون جمعا
بين القولين في قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فانه قيل انه
ليلة نصف شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ لا خلاف وقيل
سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها وقولهم لفلان قدر اي
شرف ومنزلة قاله الازهري وغيره وقيل سميت بذلك لان لها
للطاعة قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه انزل فيها كتابا
ذا قدر على رسولا ذي قدر على انه ذات قدر ومعنى ان الله
تعالى يقدر الاجال والارزاق انه يظهر ذلك لملايكته وامرهم
بفعل ما هو من سعتهم وضيقهم بان يكتب ما قدره عليهم في هذه
تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد انه يحدثه في تلك الليلة
لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض
قال نعم قاله فما معنى ليلة انا انزلناه في ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت
وتنفيذ القضا المقدر واختلفوا هل هي باقيه او كما قيل انها
كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم

والصحيح

والصحيح انها باقيه الى يوم القيمة وروي عن عبد الله بن محسن
مولى معاوية قال قلت لابي بكر زعموا ان ليلة القدر قد رفعت
قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال
نعم وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن ليلة القدر اهي شيء كان فذهب
ام هي في كل عام فقال بل هي لاهنة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم انسان
واستدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاها ان
الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت
وعسى ان يكون خيرا وهذا غفلة من هذا القايل ففي اخر الحديث
فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع
وجودها لم يامر بالتماسها واختلفوا في وقتها فاكثر اهل العلم انها
مختصة برمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل
فيه القران وقال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان لا تكون
ليلة القدر الا في رمضان ليلا يلزم التناقض وروي عن ابي بن
كعب انه قال والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان حلف بذلك
لا يستثني وعن ابن عمر قال كان سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل دايرة في
جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق او امراته او عتق
عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف يروي ذلك
عن ابي حنيفة وعن ابن عباس مسعود من يقم الحول يصبها
وذكر عن ابي حنيفة للحسن الشافعي انه قال من اراد ان يعرف
ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اي اوله فان كان يوم الاحد
فليلة القدر احدى وعشرين وان كان يوم الاثنين فليلة القدر
احدى وعشرين وان كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين
وان كان يوم الاربعا فليلة تسعة عشر وان كان يوم الخميس فليلة
خمس وعشرين وان كان يوم الجمعة فليلة سبعة عشر وان كان

يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هي في
رمضان او في العشر الاخير قولان احدهما انها في كل شهر واختلفوا
في اي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الاولى من رمضان وقال
الحسن البصري السابعة عشر وقال ابن التاسعة عشر وقال محمد
ابن اسحاق الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون
وقال ابن كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون
وقيل الثلاثون وكل استدل على قوله بما يطول الكلام عليه والقول
الثاني وهو ما عليه الاكثرون انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل
لذلك بانثيا منها ما روي عن عبادة بن الصامت انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال في رمضان فالتمسوها
في العشر الاواخر ومنها ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم التمسوها في العشر الاواخر من رمضان
وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر
الاواخر ما لا يجتهد في غيرها وعنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله واختلفوا
في انها اي ليلة من العشر هل في ليلة من ليالي العشر كلها وفي اوتاره
فقط وهل تلزم ليلة ليلة بعينها او تنتقل في جميعه اقوال والذي
عليه الاكثر انها في جميعه ولكن ارجاها اوتاره وارجى الاوتار عند امامنا
الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين بدل
للاول خبر الصحيحين والثاني خبر مسلم وانها تلزم عندها ليلة بعينها
وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة انها مستنقلة في ليالي
العشر جمعا بين الاحاديث قال النووي وهو قوي وقال في مجموعه
انه الظاهر المختار رجحها بعض العلما باوتار العشر الاواخر وبعضهم
بالشفاعه وقال ابن عباس وابي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب
اكثر اهل العلم واستنبط ذلك بعضهم من ان ليلة القدر ذكرت ثلاث

وراث وهي ثلاث تسعة احرف واذا ضربت تسعة في ثلاثة تكن سبعة وعشرين
وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا
وقوله تعالى هي السابع والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل
كما قيل وفيها نحو الثلاثين قولا وبضع عشرون حديثا وافردت بالتصنيف
وفيما ذكرناه كفاية وذكروا للسبب في اخفائها عن الناس وجوها احدها
انه تعالى اخفاها ليعظموا جميع السنة على القول بانها فيها او جميع
رمضان على القول به او جميع العشر الاخير على القول به كما اخفاه رضاه
في الطاعات ليرغبوا في كلها واخفى غضبه في المعاصي ليحذروها كلها
واخفى واخفى وليه في المسلمين ليعظموهم كلهم واخفى الاجابة في الدعا
ليبالغوا في الدعوات واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليجتهدوا
في العبادة في جميع اوقاتها في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها
واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما اسمايه تعالى واخفى الصلاة
الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى التوبة ليواظب المكلف على جميع اقسامها
واخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل منها من قيامها بغتة ثانيها ان
العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد في الطاعة رجا ان يدركها فيباهي
الله تعالى به ملايكته ويقول تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدما
وهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف لو جعلها معلومة متعينة
يظهر اني اعلم ما لا تعلمون ثالثها ليجتهدوا في طلبها والتماسها فينالوا
بذلك اجر المجتهدين في العبادة بخلاف ما لو عينت في ليلة بعينها لحصل
الاقتصار عليها ففاتت العبادة في غيرها ذكر تعالى فضلها من ثلاثة اوجه
احدها ما ذكره بقوله سبحانه ليلة القدر اي التي خصصناها بانزال القرا
فيها خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير
منه في الف شهر ليست فيها ليلة القدر وعن ابن عباس ذكر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرايل حمل السلاح على عاتقه
في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك

وتمني ذلك لامته فقال يارب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا
فاعطاه الله ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر
التي حمل فيها الاسرايلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الي يوم
القيامة فهي من خصايص هذه الامة وعن مالك انه سمع من يثق به
من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله
فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم
فاعطاه الله تعالى ليلة القدر التي العمل فيها خير من العمل في الف شهر
ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد
حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان
يسموا عابدين من اوليك العباد وهي افضل ليالي السنة ويدخل
في ذلك ليلة الاسرا فهي افضل منها ان لم تكن ليلة الاسرا ليلة القدر
كما قيل ان الاسرا كان في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها
من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها واجلها
وبلاها ورخاها ومعاشها الي مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما
قيل ان الاجال تقطع من شعبان الي شعبان حتى ان الرجل لينكح
ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما
يكون في السنة من الاجال والامراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف
من شعبان فاذا كان ليلة القدر فيسلمها الي اربابها وقيل يقدر في
ليلة النصف من شعبان الاجال والامراض وفي ليلة القدر الامور
التي فيها الخير والبركة والسلامة الوجه الثاني من فضايلها ما ذكره
الله تعالى في قوله جل ذكره تنزل اي تنزلا هندرجا متواصلا
علي غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه حذف التا الملايكة
اي الي الارض وروي انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملايكة وهم
سكان سدرة المنتهى والروح اي جبريل عليه السلام فيها اي في
الليلة ومعه اربعة الوية فينصب لوا علي قبر النبي صلى الله عليه وسلم

ولوا علي

ولوا علي ظهر بيت المقدس ولوا علي ظهر المسجد ولوا علي ظهر طور سينا لا يدع
بيتا فيه مومن ومومنة الا دخله وسلم عليهم يقول يا مومن ويا مومنة
السلام يقروك السلام الا علي مدمن خمر وقاطع رحم واكل لحم خنزير
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر
نزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون علي كل عبد قايم
او قاعد يذكر الله تعالى وهذا يدل علي ان الملايكة كلهم لا ينزلون وظاهر
الاية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روي انهم ينزلون فوجا فوجا كما ان اهل
الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة واحدة كما ان
الارض لا تسع الملايكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي
يقتضي المرة بعد المرة اي ينزل فوج ويصعد فوج والله اعلم بذلك وعن
ابي هريرة ان الملايكة في تلك الليلة اكثر من عدد الحصا وقال بعضهم
الروح ملك تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله الف
راس كل راس اعظم من الدنيا وفي كل راس الف وجه وفي كل وجه الف
فم والف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد
والتمجيد ولكل لسان لغة لا تشبه لغة اخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح
خرت ملايكة السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما
يسبح الله غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شانها
فيستغفر للصايمين والصايمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك
الافواه كلها الي طلوع الفجر وعن علي انه صلى الله عليه وسلم قال
رايت ليلة اسري بي ملكا ليلاه جاوزت من الارض السابعة السفلى
وراسه من السما السابعة العليا ومن لدن راسه الي قدميه وجوه
واجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن تسبيحا لا يسبحه
العضو الاخر ولو امره الله تعالى ان يلتقم السموات السبع والارضين
السبع لقمة واحدة كما يلتقم احدكم اللقمة لاطاق ذلك ثم لم تكن تلك
في فيه الا كلقمة واحدة ولو سمع اهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا

ما بين شحمة اذنه الى منكبه خفقان الطير السريع سبعة الاف سنة
وهو راس الملايكة الاتي في تلك الليلة وقيل الروح طايفة من الملايكة
لا تراهم الملايكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى
طلوع الفجر وقوله سبحانه باذن ربهم اي بامر المحسن اليهم المربي
لهم من كل امر اي قضاه الله تعالى فيها لتلك السنة الى قابل وتقدم
الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى الباء
الوجه الثالث من فضايلها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه سلام اي
عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدا هي جعلت سلاما لكثرة السلام فيها
من الملايكة لا يمرون بمومن ولا مومنة الا سلمت عليه ويستمرون على
ذلك من غروب الشمس حتى اي الى مطلع الفجر اي وقت مطلعه
اي طلوعه وقرا الكسايي بكسر اللام قال النووي في شرح مسلم ولا ينال
فضلها الا من اطلعه الله تعالى عليها فلو قامها انسان ولم يعلم
بها لم ينل فضلها قال الاذرعي وكلام المتولي ينازعه حيث قال
يستحب التعيد في كل ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين
انتهى وهذا اولى نعم حال من اطلع اذا قام بوظايفها وعن ابي
هريرة مرفوعا من صلى العشا الاخيرة في جماعة من رمضان فقد
ادرك ليلة القدر اي اخذ حظا منها ويسن لمن راها ان يكتمها ويسن
ان يكثر من الدعا والتعيد في ليالي رمضان وان يكون من دعايه
اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ومن علاماتها انها
الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن ابي بن كعب وعن
ابن مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة
ليلة القدر فانها تطلع يوميذ بيضا لا شعاع لها فان قيل لا فايدة
في هذه العلامة فانها قد انقضت اجيب بانه يستحب ان يجتهد
في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي انها تلزم ليلة واحدة وقوله
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراسورة

القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر حديث موضوع
والله اعلم

سورة لم يكن

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية
في قول الجمهور وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمايئة وتسعون حرفا
بسم الله الذي لا يخرج شيء عن مراده الرحمن الذي عم بنعمه جميع عباده
الرحيم الذي خص اوليائه باسعاده والملحدان الكفار حسبين اهل كتاب
ومشركين ذكرهم الله سبحانه وتعالى لم يكن الذين كفروا اي في
مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال من اهل الكتاب اي من
اليهود والنصارى الذين كان اصل دينهم حقا فحدوا فيه بالتبديل
والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع
من خالفته في الفروع وهو افقته في الاصول فكذبوا والمشركين
اي بعبادة النار والاصنام والنار والشمس ونحو ذلك ممن هم
عزيقون في دين لم يكن له اصل في الحق بان لم يكن لهم كتاب تنبيه
من كلبيان وقوله تعالى منفكين حبر يكن اي منفصلين زايلين
عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقى لهم
به علقة ويثبتون على ذلك الانفكاك واصل الفك الفتح
والانفصال لما كان منفتحا من فك الكتاب والختم والعظم اذا ازيل ما
كان ملتصقا او متصلا به او عن الوعد باتباع الحق اذا جاهم الرسول
المبشر به فان اهل الكتاب كانوا يستفتحون به والمشركين كانوا يقسمون
بالله جهد ايمانهم لين جاهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فان قيل لما قال تعالى كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين بلفظ
الفاعل اجيب بان اهل الكتاب ما كانوا يقسمون كافرين من اول
الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة وبالانجيل وبمبعث محمد صلى الله
عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولد واعلى عبادة الاوثان وذلك
يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى حتى اي الى ان تاتيهم البينة

متعلق بيكن او بمنفكين والبينة الاية التي هي في البيان كالتجر
المنير الذي لايزداد بالتمادي الا ظهورا وضيا ونورا وذلك هو
الرسول صلى الله عليه وسلم وما معه من الايات التي اعظمها
الكتاب وهو القران وقوله تعالى رسول اي عظيم جدا بدل من البينة
بنفسه او بتقدير مضاف اي سنة رسول او مبتدا وزاد عظمته بقوله
تعالى واصفا له من الله اي الذي له الجلال والاكرام وهو محمد صلى
الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى
سراجا منيرا ولان اللام في البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره
في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم السلام وقد يكون
التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لامزيد عليها والبينة كل البينة
وكذا التنكير وقد ذكرها الله تعالى ههنا في حق الرسول صلى الله
عليه وسلم وقوله حين اثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد
فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسول وما
معه من الايات التي اعظمها الكتاب سواء التوراة او الزبور او الانجيل
او القران وعبر بالمضارع لتجدد البيان في كل وقت بتجدد الرسالة
والتلاوة وقال الفيومي لفظه مستقبل ومعناه الماضي اي حتى
اتتهم البينة ويتبعه على ذلك الجلال المحلي وقوله تعالى يتلوا صحفا
صفة الرسول او حجته والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان اميا
لكنه لما تلى مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل
عليه السلام وهو التالي للصحف المنتسخة من اللوح التي ذكرت
في سورة عبس ولابد من مضاف محذوف وهو الوحي والصحف
جمع صحيفة وهي القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة
مطهرة اي في غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر مما جعلنا لها
من البعد عن الاوفاس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها
من كل دنيء لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها وانها لا يمسها الا

المطهرون

المطهرون فيها اي في تلك الصحف كتب اي احكام مكتوبة قيمة اي مستقيمة
ناطقة بالحق والعدل الذي لامرية فيه ليس فيه شرك ولا اعوجاج
بنوع من الانواع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي مما كانوا عليه وخص
اهل الكتاب بالتعريف دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين
لانهم يظنون بهم علما اذا تفرقوا كان غيرهم مما لا كتاب له ادخل
في هذا الوصف الا من بعد ما جاتهم البينة اي انتهم البينة الواضحة
والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم اتى بالقران موافقا للذي في ايديهم
من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجمعين على نبوته فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم جحد وا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا
وحسدا ومنهم من امن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم وقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كانوا يحيئ البينة تقتضي اجتماعهم
على الحق للتفرقهم فيه وقرا حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم
محضة والباقون بالفتح ولما كان حال من اضل على علم اشنع نادى في
فضيحتهم فقال تعالى وما امروا اي هولاء الكفار في التوراة والانجيل
الا ليعبدوا الله اي يوحدوا الاله الذي له الامر كله ولا امر لاحد غيره
واللام بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى مخلصين
له الدين فيه دليل على وجوب النية في العبادات لان الاخلاص من عمل
القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قولك اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين حنفا اي مائلين عن الاديان كلها الى
دين الاسلام واصل الحنف الميل في اللغة وخصه العرف بالميل الى
الخير وسموا الميل الى الشر الحادا والحنيف المطلق الذي يكون منتبرئا
عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
وعن فروعها من جميع النحل الا الاعتقادات وعن توابعها عن الخطاء
والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن المكروهات الى

المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق
الله تعالى وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو المقام الثالث من الورع وهما
يرجع الى الفضول وهو مقام الزهد فالاية جامعة لمقامي الاخلاص
التناظر احدهما الى الحق والثاني الى الخلق ولما ذكر اصل الدين اتبعه
الفروع وبدا باعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق
فقال عز من قايل **ويقيموا** اي يعدلوا من غير اعوجاج بجميع الشرايط
والاركان والحدود **الصلاة** لتصير بذلك اهلا بان تقوم بنفسها
وهي من التعظيم لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى الخالق اتبعها وصلة
الخلايق بقوله تعالى **ويوتوا الزكاة** اي يدفعوها لمستحقها شفقة
على خلق الله تعالى اعانة على الدين اي ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه
بطبايعهم المعوجة وقد ظل الزكاة عند اهل الله تعالى في كل ما رزق
الله تعالى من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك
كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون **وذلك** اي والحال
ان هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور **دين القيمة** اي الملة
المستقيمة واضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين واتت
القيمة رد ايها الى الملة وقيل الها للمبالغة فيه وقيل القيمة هي الكتب
التي جرى ذكرها اي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتامر به كما
قال تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وقال النضر بن اسماعيل سالت الخليل بن احمد عن قوله تعالى وذلك
دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقيام واحد قال البغوي
ومجاز الاية وذلك دين الملايكة لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى ما للفريقين
فقال سبحانه **ان الذين كفروا** اي وقع منهم الستر لما ي عقولهم
بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا غريقين
فيه **من اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى **والمشركين** اي الغريقين
في الشرك في **نار جهنم** اي النار التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة **خالدين**

فيها اي يوم القيمة او في الحال لسعيهم لموجباتها واشتراك الفريقين
في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد
الكفر وخفته **اولئك** اي هولاء البعداء البغضاء **هم** اي خاصة بما لضمايرهم
من الخبث **شر البرية** اي الخليقة الذين اهملوا صلاح انفسهم وفرطوا
في حواسهم وما يرهم وهذا يحتمل ان يكون على التعميم وان يكون
بالنسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وانى فضلتكم على
العالمين اي عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر
منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح ولما ذكر تعالى الاعداء وبدا بهم لان
ذلك اردع لهم اتبعه الاولياء فقال تعالى موكدا ما للكفار من الانكار
ان الذين امنوا اي اقروا بالايمان **وعملوا** تصديقا لايمانهم **الصالحات**
اي هذا النوع **اولئك** اي هولاء العالوا الدرجات **هم** اي خاصة
خير البرية اي على التعميم او بريئة عصرهم ياتي فيه ما مر وقرا نافع
وابن ذكوان بالهمز في الحرفين لانه من قولهم برا الله الخلق والباقون
بالياء المشددة بعد الراء كالذرية ترك همزة في الاستعمال ثم ذكر ثوابهم
بقوله تعالى **جزاوهم** اي على طاعاتهم وعظمه بقوله تعالى **عند ربهم** اي
المربي لهم والمحسن اليهم **جنات عدن** اي اقامة لا يحولون عنها **تجري**
اي جريا دايما لا انقطاع له **من تحتها** اي تحت اشجارها وغرفها **الانهار**
خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لسعيهم في موجباتها واكد
معنى الخلود تعظيما لجزايهم بقوله تعالى **ابدا رضي الله** اي بما له من
نعوت الجلال والجمال **عنهم** اي بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق
ورضوا عنه لانهم لم يبق لهم امنية الا اعطاوها مع علمهم انه تفضل
في جميع ذلك لا يجب عليه لاحد شيء ولا يقدر احد ان قدره فلو اخذ
الخلق بما يستحقونه لاهلكهم كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس ورضوا عنه برضى ربه
بثواب الله عز وجل **ذلك** اي الامر العالي اي الذي حوزوا به **لمن خشي ربه**

اي خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل فان
الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهي للعارفين فان قيل
ان الانسان اذا استشعر عذابا يأتيه لحظة حالة يقال لها الخوف وهي
انخلاع القلب عن طمأنينته فان اشتد سمي وجلا لجولانه في نفسه قات
اشتد سمي رهبا لادائه الى الهرب وهي حالة المؤمنين الفارين الى الله تعالى
ومن غلب عليه الحب لاستغراقه في شهود الجليات لحقته حالة تسمى مهابة
وورائهذه الخشية انما يخشى الله من عباده العلماء من خاف ربه هذا الخوف
انفك عن جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خربه
روي ان انسا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني
ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا قال ابي وسماني لك قال النبي صلى الله
عليه وسلم نعم فبكى ابي قال البقاعي بسبب تخصيصه بذلك انه وجد
اثنين من الصحابة قد خالفاه في القراة فرفعهما الى النبي صلى الله عليه وسلم
فامرهما فقرضا عليه فحسن لهما قال فسقط في نفسي من التكذيب
اشد مما كان في الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم في صدري ففضت
عرقا وكانما انظر الى الله فرقا اي خوفا ثم قضى علي خير التخفيف بالسبعة
احرف وكانت السورة التي وقع فيها الخلاف سورة النحل وفيها انه تعالى
يبعث رسوله يوم البعث شهيدا صلى الله عليه وسلم وانه نزل عليه ه
الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وانه نزل عليه روح القدس بالحق
ليثبت الذين امنوا وان الذين اختلفوا في النسيت وسورة لم يكن على
قصرها حاوية اجمالا لكل ما في النحل على طولها فزيادة وفيها التحذير
من الشك بعد البيان وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون
كحال الكفرة من اهل الكتاب في العناد فيكون شر البرية فقراها صلى الله
عليه وسلم تذكيرا له بذلك كله على وجه ابلغ واخصر ليكون ابلغ له تصورا
فيكون ارسخ في النفس وانبت في القلب واعشق للطبع فاختصه
الله بالتثبيت واراد له الثبات فكان من المريدين المرادين لما وصل الى قلبه

بركة

بركة ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار كلما قراهذه السورة الجامعة
غابيا عن تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة يتلوا عليه ذلك
فيدوم له حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك الضربة ولشبوته في هذا
المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم ابي قال القرطبي وفيه من الفقه
قراة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على
ابي ليعلم الناس التواضع ليلا يانف احد من التعلم والقراة على من دونه
في المنزلة وقيل ان ابيا كان اسرع اخذا للالفاظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاراد بقراته عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا عليه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرا لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساومقبلا
حديث موضوع والله اعلم

سورة الزلزلة

مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطا وجابر
وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا بسم الله
المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق بنعمة الظاهرة قسما
الرحيم الذي اتم النعمة على خواصه حقيقة عينا واسما ولما قال تعالى
للمومنين جزاوهم عند ربهم جنات عدن كان المكلف قال متى يكون ذلك
فقيل له اذا زلزلت الارض اي تحركت واضطربت لقيام الساعة
فالعاملون كلهم يكونون في الحوض وانت في ذلك تنال جزاك وتكون
امنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون زلزالها اي تحريكها الشديد
المناسبه لعظمة جرم الارض وعظمة ذلك وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه
واهن الفاسق اهانته تزيد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ولما
كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب قال تعالى واخرجت
الارض اي كلها ولم يضمر تحقيقا للعموم اثقالها ما هو مدفون فيها من
الكنوز والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض

فهو ثقل لها واذا كان خوفها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها
اموالها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان
وقيل اثقالها كنوزها تلقي الارض افلاذ كبدها ومنه الحديث امثال الاسطوان
من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع
فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي
ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا فيعطيها الله تعالى قوة اضراج ذلك
كله كما كان يعطيها قوة ان تخرج النبت الصغير اللطيف الطري الذي انعم
من الحرير فشق الارض الصلبة التي تكل عنها المعاويل وتشق المعاويل
النواة مع ما لها من الصلابة التي استعصى بها على الحديد فتنفلق
نصفين وينبت منها ما يريده سبحانه وتعالى فالذي قدر على ذلك قادر
على تكوين الموتى في بطن الارض واعادتهم عليها كما كانوا عليه كما يكون الجنين
في البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر والفم وغير ذلك من غير
ان يدخل هناك بيكار ولا منشار ثم يخرج من البطن هكذا اخرج الموتى
من غير فرق كل ذلك عليه هين سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه
وقال الانسان اي هذا النوع الصادق بالقليل والكثير لما له من النسيان
لما اكد عنده من امر البعث بما له من الانس بنفسه والنظر في عطفه
على سبيل التعجب او الدهش والحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا من مرقدنا
فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مالها اي اي
شيء للارض في هذه الزلزلة الشديدة التي لم يعهد مثلها ولفظت ما في
بطنها يومئذ اي ان كان ما ذكر من الزلزال وما التزم عنه وقوله تعالى
تحدث اخبارها جواب اذا وهو المناسب لها عند الجمهور ومعنى تحدث
اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول
الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث
اخبارها متعجبا روى الترمذي عن ابي هريرة انه قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما

اخبارها

اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل
عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا
فهذه اخبارها تنبيه في حديثها يا خبارها ثلاثة اقوال احدها
ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك ثانيها ان الله تعالى يحدث
فيها الكلام ثالثها ان يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل في الاية تقديم
وتاخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان مالها اي تخبره
الارض بما عمل عليها بان ربك متعلق بتحدث ويجوز ان يتعلق بنفس
اخبارها والباء سببية اي تحدث بسبب ان ربك المحسن اليك بانواع النعم
اوحى لها اي اذن لها ان تتكلم بذلك المذكور بالقال وبالحال على ما مر
قال البقاعي وعدل عن قوله اليها الى قوله تعالى لها ايذانا بالاسراع في
الايجاب وقال البغوي اوحى لها واوحى اليها واحد وقراحمزة والكسائي
بالامالة محضة وقالون ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله
تعالى يومئذ بدل من يومئذ قبله او منصوب بقوله تعالى يصدر
او باذكر مقدرا اي واذكر يوم اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من
الكفء القبور ليصدر الناس اي يرجعون من قبورهم الى ربهم الذي
كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقراحمزة والكسائي باشمام الصاد بين
الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة اشتاتا اي متفرقين
بحسب مراتبهم في الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وامن وخائف
ومطيع وعاص وعن ابن عباس متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان
على حدة او متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذات الشمال الى
النار ليروا اي يري الله تعالى المحسن منهم والمسيء بواسطة من يشاء
من جنوده او بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل احد من غير ترجمان
ولا واسطة كما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اعمالهم فيعلموا
جزاها او صادرين عن الموقف كل الى داره ليري جزاء عمله ثم سبب عن
ذلك قوله تعالى مفصلا الجملة التي قبله فمن يعمل من محسن او مسيء

من كتاب الله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال مقاتل
نزلت في رجلين احدهما كان يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة
والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول
انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الاية ترغيبا في القليل
من الخير يعطوه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذيرا من اليسير من الذنب ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من
الله تعالى طالبا وقال ابن مسعود هذه الاية احكم اية في القرآن واصدق
وقد اتفق العلماء على عموم هذه الاية وقال كعب الاحبار لقد انزل على
محمد صلى الله عليه وسلم ابتين اصحتا ما في التوراة والانجيل والزبور
والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الجامعة الفاذة حتى سئل عن زكاة
الحمير فقال ما انزل علي فيها شيء غير هذه الاية الجامعة الفاذة ومن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك
في الموطا ان مسكينا استطعم عائشة وبين يديها عنب فقالت لانسان
خذ حبة واعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت اتعجب كم في هذه
الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق عمر وانما فعلا ذلك لتعليم الغير
والا فهما من كرما الصحابة قال الربيع بن خثيم مر رجل وهو يقرأ هذه الاية
فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة تنبيها على قوله تعالى يره
جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا في هـ
الحرفين والباقون بضمها وصلا وساكنة وقفا كسائر هاءات الكناية وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ
اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله رواه الثعلبي بسند ضعيف
لكن يشهد له ما رواه ابن ابي شيبة موقوفا اذا زلزلت تعدل ربع القرآن

سورة العاديات

اوكافر مثقال ذرة خيرا اي من جملة الخير يره اي يرى ثوابه حاضرا لايغيب
عنه شيء منه لان المحاسب له الاحاطة علما وقدرة ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره قالمومن يراه ليشتد سروره به والكافر توقف على عمله انه
احبط لبنايه على غير اساس الايمان او على انه جوزي في الدنيا فهو
صورة بلا معنى يشتد ندمه وتبقى حسرته وعن ابن عباس من يعمل
من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل
مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن
يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه
في الاخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير تقبل
منه ويضاعف في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا
مثل ضربه الله تعالى ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن ادم صغيرا وكبيرا
وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض اهل
اللغة ان الذر الذي يضربه الرجل عليه يده على الارض فما علق من التراب
فهو الذر وقال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل
واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسرها بعضهم بالنملة الصغيرة
وبعضهم بالهباءات التي ترى طايرة في الشعاع الداخل من الكوة وقال
محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه
في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس
له عند الله تعالى خير ومن عمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى
عقوبته في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من
الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ما روي انس ان هذه
الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر يأكل فامسك
وقال يا رسول الله وانا لترى ما عملناه من خير وشر فقال صلى الله
عليه وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر وبيض
كلم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيمة قال ابن ادريس ان صدقة

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية
في قول ابن عباس وانس ابن مالك وقتادة وهي احدي عشرة
اية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله الذي له الامر
كله فلا يسئل عما يفعل الرحمن الذي نعمته اتم نعمة واشمل الرحيم
الذي خص اولياه بتوفيقه واتم نعمته عليهم واكمل وقوله تعالى
والعاديات ضبحا قسم اقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح
صوت انفاسها اذا عدون عن ابن عباس انه حكاية اح اح قال عنترة
والكي والخيل تكدح حين تضبح ٭ في حياض الموت ضبحا ٭
وانتصاب ضبحا علي يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات
ضبحا لان الضبح يكون مع العدو او علي الحال اي ضابحات والعاديات
جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة وعن
انس كنت جالسا في الحجر فجا رجل فسالني عن العاديات ففسرتها بالخيل
فذهب الي علي رضي الله عنه وهو في سقاية فساله وذكر له ما قلت
فقال له ادعه الي فلما وقفت علي راسه قال تفتي الناس بما لا علم
لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا
فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من
عرفة الي المزدلفة ومن المزدلفة الي منى قال الزمخشري فان
صحت الرواية فقد استعير الضبح للرواية كما استعير التنافر
والحافر للانسان والشفتان للمهر وما اشبه ذلك قال ابن عباس
وليس شيء من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ونقل
غيره ان الضبح يكون في الابل والاسود من الحيات والبوم والضرا
والبوم والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشا عنه
فقال تعالى عاطفا باداة التعقيب فالموريات قدحا قال عكرمة
والضحاك هي الخيل توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة
لاسيما عند سلوك الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به ضبحا

قال

قال الزمخشري ففيه الثلاثة اوجه المتقدمة وعن ابن عباس اورت
بحوافرها غبارا وهذا انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال
ابن مسعود هي الابل تطا الحصا فتخرج منه النار وقال واصل
القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الما الفاسد
وعن قتادة وابن عباس ايضا ان الموريات قدحا مكر الرجال في الحرب
والعرب تقول اذا اردت ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك
ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم الذين يقرؤن فيورون نيرانهم
بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت
ارهابا ليظنهم العدو كثيرا قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم
فلان يوري زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها
تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمي تلك النار نار ابي حباب
وابو حباب كان شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس
وكان لا يوقد نار الخبز ولا غيره حتي تنام العيون فيوقد نويرة
توقد مرة وكة وتخمد اخري فان استيقظ احد طفاها كراهية ان
ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها
ولما ذكر العدو وما يتاثر عنده ذكر نتيجته وغايته بقوله تعالى فالمغيرات
اي باغارة اهلها عليها وقوله تعالى صبحا ظرف اي الذي تغير وقت
الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر
قال الشاعر
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا ٭ شنوا الاغارة فرسانا وركبانا ٭
وغار لغية فاثرن اي فهيجن به اي بفعل الاغارة ومكانها وزمانها
من شدة العدو نقعا اي غبارا بشدة حركتهن والنقع الغبار تنبيه
عطف الفعل وهو فاثرن علي الاسم لانه في تاويل الفعل لوقوعه
صلة لال وقال الزمخشري معطوف علي الفعل الذي وضع اسم
الفاعل موضعه لان المعني واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن

فوسطن به اي بذلك النقع او العدو او الوقت جمعا من العدو اي صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد وقال المرطي يعني جمع مين وهو وزن لغة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتقريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تقريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما في قوله تعالى ومن كفر اي من لم يحج فان الله غني عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى ان الانسان اي هذا النوع يعاله من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه لربه اي المحسن اليه بابداعه ثم باتقايه وتدبير وتربيته لكنود قال ابن عباس لكنود جحود لنعم الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصي وقال الحسن هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقال ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيا وفي الحديث عن ابي امامة هو الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاساءة وانه اي الانسان على ذلك اي الكنود الذي العظيم حيث اقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكف الاحسانه لشهيد اي يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور اثره عليه او ان شاء الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه اي الانسان من حيث هو لحب اي لاجل حبه الخير اي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا لشديد اي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه او بليغ القوة في حبه لان منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان اقل ما فيه ان يشغله عن حسن الخدمة لربه ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة

ربه وشكر نعمه ضعيف متناعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى افلا يعلم اي هذا الانسان الذي انساه انسه بنفسه اذا بعثر اي اثير بغاية السهولة واخرج ما في القبور اي من الموتى قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال ما في القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم اجيب عن الاول بان ما في الارض غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثون لا يكونون احياء عقلا بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلاء والضمير الثاني ضمير العقلاء وحصل اي اخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن صفحته انه لا يعلم احد اصلا وظهر مكتوبا في صحايف الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من اثارها وتخصيص الصدور بذلك لانه محل القلب ان ربهم اي المحسن اليهم بخلقهم وخلقهم وتربيتهم بهم يومئذ اي اذا كانت هذه الامور وهو يوم القيمة لخبير اي لمحيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم بباطن امورهم فكيف بظواهرها ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم والا فهو خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره فكيف ينبغي للعاقل ان يعلق امله بالمال فضلا عن ان يوثره على الباقي وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع انتهى والله سبحانه اعلم

سورة القارعة

مكية وهي احدى عشرة اية وست وثلاثون كلمة ومايتان واثنان وخمسون حرفا بسم الله الملك الاعلا الرحمن الذي عمت نعمه ايجاده على جميع الورى الرحيم الذي خص اولياه بالتوفيق لما يحب ويرضى والماضم العاصيات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى القارعة اي الصيحة او القيمة

التي تفزع القلوب باهوالها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والانشيا
الثابتة بالانتشار وقوله تعالى **ما القارعة** تهويل لشانها وهما مبتدا
وخبر القارعة وأكد تعظيمها اعلاما بانه مما خطر في بالك من عظمها فهي
اعظم منه فقال تعالى **وما ادراك** اي اعلمك **ما القارعة** اي انك لا تعرفها
لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدا وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها
في محل المفعول الثاني لادري واختلف في ناصب **يوم** على وجهين احدهما
انه مضمر دل عليه القارعة اي تفزعهم يوم وقيل تقديره تاتي القارعة يوم **يكون**
الناس والثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى **كالفراش**
المبثوث يجوز ان يكون خبرا للناقصة وان يكون حالا من فاعل التامة
اي يوخذون ويحشرون شبه الفراش تشبيههم في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش
طائر معروف قال قتادة الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة
فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد وغيرها وبه يضرب المثل
في الطيش والخرج يقال اطيش من فراشة واستشهد في ذلك ببيتا
فراشة الحلم قرعون العذاب وان ... فطلب متاه فكلب دونه كلب
وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه هـ
وانتشاره وروي مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو
يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي تشبيه
الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم
في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجيء من غير هاب
والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار قال جرير
ان الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي
والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر كانهم جراد منتشر فان قيل كيف
يشبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد فذهاب كل واحد

الى

الى غير جهة الاخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع **وتكون الجبال**
على ما هي عليه من الشدة والصلابة وانها صخور راسية **كالعهن** اي الصوف
المصبغ الوانا لانها ملونة قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر الوانها وغير ذلك
المنفوش اي المندوف المفرق الاجزاء فتراها لذلك متطايرة في الجو كالهبا
المنثور كما قال تعالى في موضع اخر هباء منبثا حتى تعود الارض كلها لا عوج فيها
ولا امتا ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا لهم **فاما من ثقلت موازينه**
اي برجحان الحسنات وفي الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل
الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء والثاني قال ابن عباس
انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فتوزن الصحف
المكتوب فيها الحسنات والسيئات او الاعمال اي انفسها فيوتى فيه بحسنات
المؤمن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له
ويوتى بحسنات الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل
انما توزن اعمال المومنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن
ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها
فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما الكافر فقد قال الله تعالى في حقه فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به
اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل صاحبه ميزان وقيل
الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر
قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ... عندي لكل مخاصم ميزانه
فهو اي بسبب رجحان حسناته **في عيشة** اي حياة يتغلب خيرها قال البقاعي
ولعله الحقها بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة
واحدة في الصفاء واللذة وليست ذات الوان كحياة الدنيا **راضية** اي
ذات رضى او مرضية لان امه جنة عالية **واما من خفت** اي طاشت **موازينه**
اي غلبت سيئاته او لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه في الدنيا
فامه اي التي تؤويه وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك وتسكن

اليها مما يسكن الي الام وكذا المسكن هاوية اي نار نازلة سافلة جدا فهو
بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالاية من الاحتباك
ذكر المعيشة اولا علي حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا علي حذفها اولا
والهاوية اسم من اسما جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي
كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه وقيل اراد ام راسه
يعني انهم يهوون في النار علي رؤسهم والي هذا التاويل ذهب قتادة وابو
صالح وروي عن ابي بكر انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم
يوم القيمة باتباع الحق وثقاله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات
ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيات ان يخف وما ادراك اي واي شي
اعلمك وان اشتد تكلفك ماهيه اي الهاوية والاصل ما هي فدخلت
الها للسكت وقرا حمزة في الوصل بغيرها بعد اليا التحتية ووقف بها
والباقون باثباتها وصلا ووقفا فان قيل قال هنا وما ادراك ماهيه
وقال اول السورة وما ادراك ما القارعة ولم يقل وما ادراك ما الهاوية
اجيب بان كونها قارعة امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر
الفرق وقوله تعالي نار حامية خبر مبتدا مضمر اي هي اي الهاويه
نار شديدة الحرارة روي مسلم ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا وانها الكافية
يا رسول الله قال فانها فضلت عليها تسعة وتسعين جزءا كلها مثل
حرها وقال البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلي الله عليه وسلم
من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة حديث موضوع
والله اعلم

سورة التكاثر

مكية وهي ثمان ايات وثمانية وعشرون كلمة وماية وعشرون حرفا بسم الله
ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي عم بالايجاد بعد الاعدام الرحيم
الذي خص اولياه بتمام الانعام ولما ختم القارعة بالشقي افتتح

هذه

هذه الاية الست بفعل الشقاوة ومبتدا الحشر ليتزجر السامع فقال تعالي
الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهات والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد
عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه حتي زرتم المقابر اي الهاكم التكاثر
بالاموال والاولاد الي ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق
اليها والتهالك عليها الي ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولي بكم من
السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل
لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا
تنبيه حتي عامة لقوله تعالي الهاكم وهو عطف عليه والمعني حتي اتاكم
الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزاير الي منزله من
جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره فان قيل شان الزاير ان ينصرف قريبا
والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبر وايضا حتي زرتم
اخبار عن الماضي فكيف يحمل علي المستقبل اجيب عن الاول بان سكان
القبور لا بد ان ينصرفوا عنها فان كل آت قريب وعن الثاني لتحققه عبر
عنه بالماضي كقوله تعالي اتي امر الله وقال ابو مسلم ان الله تعالي
يتكلم بهذه السورة يوم القيمة تفسيرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد
تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبي نزلت في حيين من
قريش بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثرهم عددا فكثرهم بنوا
عبد مناف وقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادون
بالاحيا والاموات فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية
اكثر عددا والمعني انكم تكاثرتم بالاحيا حتي اذا استوعبتم عددهم
ثم صرتم الي المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتي بزيارة القبور
تهكما بهم وانهم وانما حذف الملهي عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم
والمبالغة وقال قتادة في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان شغلهم
ذلك حتي ماتوا ضلالا وانهم كانوا يزورون المقابر فيقول هذا قبر فلان
وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعني الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا

يجري عنكم في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهمه واعني
من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضمها وسمي سعيد
المقبري لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر
الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى قال في سورة عبس
اخره ثم اماته فاقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الاية غير
لفظ تلك وزيارة القبور من اعظم الادوية للقلب القاسي لانها تذكر
الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة
فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة وروي ابو هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن زوارات القبور فيكره لهن لقلة صبرهن وكثرة
جزعهن لغير زيارة النبي صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به
بقية الانبياء والاولياء والعلماء وينبغي لمن زار القبور ان يتادب بادابها
ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف عليها فقط فان هذه
حالة يشاركه فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد
قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويتجنب الجلوس عليها
وسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان
شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبره الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه
من قبل وجهه لانه في زيارته كمخاطبه حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب
وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل حال من مضى من اخوانه
كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومجي التراب على محاسنهم
ووجوههم وافترقت في التراب اجزاؤهم وتزمل من بعدهم نساؤهم
وشمل ذل اليتم اولادهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وان حاله كحالهم
وماله كمالهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الاية قال يقول ابن
ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت

اولبست فاملیت وعن مالک قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله
وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وقرا الهاكم بالتشديد محضة
حمزة والكسائي وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وقوله تعالى كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا
جميع همه ولا يهتم بذنبه وقوله تعالى سوف تعلمون انذار ليخافوا فيتبهوا
عن غفلتهم وقوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم
للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول واشد كما يقال للمنصوح اقول لك
لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم
من هول لقا الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن
علي كرم الله وجهه كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في
الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلق
وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل
بكم العذاب فالتكرار للمحالتين وروي زر بن حبيش عن علي قال كنا نشك
في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف
تعلمون في القبور وقيل سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءكم رسل ربكم
بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيمة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت
احوال القيمة من بعث وحشر وعرض وسئل الى غير ذلك من اهوال القيمة
وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها
المومنون فالاول وعيد والثاني وعد ولما كان هذا امر اصاد عا اشار
تعالى الى انه يكفي هذه الامة المرحومة التاكيد بمرة واحدة فقال سبحانه
مردودا الامر بين تاكيد الردع ثانيا بالاداة الصالحة لذلك ان يكون بمعنى
حقا كما يقوله ايمة القراءة كلا اي ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه اساس
كل بلا فانكم لو تعلمون اي ايها الكافرون علم اليقين اي لو يقع لكم علم
على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر

ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجارون فحذف الجواب
افخر ليذهب الوهم معه كل مذهب ولا يجوز ان يكون لترون الجحيم
جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه تعالى عطف عليه
ثم لتسالن وهو مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال
الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لارتهاكم بل هو جواب قسم محذوف
اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله تعالى
ثم لترونها تكرير للتاكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي
هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلا مراتب اليقين قال الرازي واليقين
مركب الاخلاص في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة واول خطرة الخاصة
قال صلى الله عليه وسلم خير ما اليقي في القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر
من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال [redacted]
قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث لو تعلمون علم الموت او البعث
فعبر عن الموت باليقين والعلم من اشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون
اليوم في الدنيا علم اليقين بما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون
قلوبكم فان علم اليقين يريكم الجحيم يعني قواوك وقرا لترون ابن عامر
والكسائي بضم التا والباقون بالفتح ثم لتسئلن حذف منه نون الرفع
لتوالي النونات وواو للتقا الساكنين يومئذ اي يوم رويتها عن
النعيم وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم
والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة
والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
وقوله تعالى كلوا من الطيبات وقال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل
النار لان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارايت اكلة
اكلتها معك في بيت ابي الهيثم من خبز شعير ولحم وبسر وما عذب
ايكون من النعيم الذي يسال عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك

للكفار

للكفار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل يجازي الا الكفور ولان
ظاهر الاية يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر
بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم
عنها يوم القيمة حين يظهر لهم ان الذي ظنوه لسعادتهم كان من اعظم
الاسباب لشقاوتهم وقيل السوال عام في حق المومن والكافر لقوله
صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل العبد يوم القيمة عن النعيم فيقال
له الم نصح جسمك الم نروك من الماء البارد وقيل الزايد على ما لا بد منه
وقيل غير ذلك قال الرازي والاولى على جميع النعم لان الالف واللام
تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي
فيسال عنها هل شكر فيها ام كفرها واذا قيل ان هذا السوال للكافر فقيل
هو في موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب
لاشتغالكم في الدنيا بالتنعم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو
صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كما قرا الف
اية حديث موضوع الا اخره رواه الحاكم بلفظ الا يستطيع احدكم ان يقرا الف
اية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرا الف اية قال وما يستطيع احدكم
ان يقرا الهاكم التكاثر انتهى والله سبحانه اعلم

سورة العصر

مكية وروي عن ابن عباس وعبادة انها مدنية وهي ثلاث ايات واربع عشرة
كلمة وثمانية وستون حرفا بسم الله الذي كل شئ هالك الا وجهه الرحمن
الذي عم الوجود فليس شئ شبهه الرحيم الذي خواصه اولياه فكانوا للدهر غرة
ولاهله وجهه وقوله تعالى والعصر قسم واختلف في المراد به فقال ابن عباس
والدهر اقسم به لان فيه عبرة للناظر تبصر في الاحوال وتبدلها وما فيها
من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومر الكلام في امثاله

وقال ابن كيسان اراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال
الحسن بعد زوال الشمس الي غروبها وقال قتادة اخر ساعة من ساعات
النهار وقال مقاتل اقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطي وهذا شبه
قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطي فكانما وتر اهله وماله
ولان التكليف في اديها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر
النهار واشتغالهم بمعاشهم ونقل ابن عادل عن مالك ان من حلف ان لا
يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف
علي السنة لانه اكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعي يبر بساعة الا ان
تكون له نية وجواب القسم **ان الانسان** اي الجنس **لفي خسر** اي نقص
بحسب مساعيهم في اهوائهم وصرف اعمارهم في اغراضهم لمالهم بالطبع
من الميل الي الحاضر والاعراض عن الغائب والاغترار بالفاني تنبيه
تنكير خسر يحتمل التهويل والتحقير فان حمل علي الاول وهو الظاهر
كان المعني ان الانسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان الذنب
يعظم اما لعظم في حقه الذنب او لانه وقع في مقابلة النعمة العظيمة فلذلك
كان الذنب في غاية العظم وان حمل علي الثاني كان المعني ان خسرات
الانسان دون خسران الشيطان ولما كان الحكم علي الجنس حكما علي الكل
لانهم ليس لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه الله تعالى بما طبع
عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم بقوله عز من قايل **الا الذين**
امنوا اي اوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة مجيء النبي
صلى الله عليه وسلم به من توحيده سبحانه والتصديق بملايكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر **وعملوا** اي تصديقا لما اقروا به من الايمان **الصالحات**
اي هذا الجنس من ايقاع الاوامر واجتناب النواهي فاشتروا الاخرة
بالدنيا فلم يلههم التكاثر ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية
فلم يلحقهم شيء من الخسرات وقال ابن عباس في رواية ابي صالح المراد
بالانسان الكافر وقال في رواية الضحاك يريد به جماعة من المشركين الوليد بن

المغيرة والعاصي بن وايل والاسود بن عبد المطلب وقيل لفي خسر
غبن وقال الاخفش لفي هلكة وقال الفراء لفي عقوبة وقال ابن زيد
لفي شر وروي ابن عوف عن ابراهيم قال اراد الانسان اذا عمر في الدنيا
واهرم لفي ضعف ونقص وتراجع الا المومنين فانه يكتب لهم اجورهم
التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا ولما كان
الانسان في احسن تقويم بعد كماله في نفسه بالاعمال لا ينتفي عنه
مطلق الخسر الا بتكميل غيره وحينئذ كان وارثا لان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بعثوا للتكميل قال تعالى مخصصها لما دخل في الاعمال الصالحة
منبها علي عظمه **وتواصوا** اي اوصي بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال
بالحق اي الامر الثابت وهو كلما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره
وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد
في الدنيا والرغبة في الاخرة **وتواصوا** ايضا **بالصبر** عن المعاصي وعلي
الطاعات وعلي ما يبتلي الله به عباده من الامراض وغيرها ويروي
عن ابي بن كعب انه قال قرات علي النبي صلى الله عليه وسلم والعصر
ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر
قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين
امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالحق
علي وهكذا خطب ابن عباس علي المنبر موقوفا عليه وقال قتادة بالحق
اي بالقرآن وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعصر غفر الله
له وكان ممن تواصي بالحق وتواصي بالصبر حديث موضوع والله اعلم

سورة الهمزة

مكية وهي تسع ايات وثلاثون كلمة وماية وثلاثون حرفا **بسم الله**
الرحمن الحكم العدل **الرحيم** الذي عم جوده اهل البخل واولي العدل

الذي حص اولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى ويل فيه قولان احدهما
انه كلمة عذاب والثاني انه واد في جهنم همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى
وقال صلى الله عليه وسلم شرعباد الله المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك
في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقال ابو العالية والحسن
الهمزة الذي يغتابه ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يقتابه من
خلفه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات
وقال سعيد بن جبير الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان
عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة
الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه ويلمز
بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة
الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وحاصل هذه الاقاويل
يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من
يحاكي الناس بأقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم واصل الهمز
الكسر واللمز الطعن ثم رخصا بالكسر من اعراض الناس والطعن فيهم
حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت في جبلتهم والذي دل على الاعتياد
صيغة فعله بضم وفتح كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار
عادة له وضحي به واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الاية فقال الكلبي
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال
محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف
الجمحي وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى
الله عليه وسلم ويطعن عليه في وجهه وقال مجاهد هي عامة في
كل من هذه صفته وقوله تعالى الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب
او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة

والتكثير

والتكثير ولانه موافق قوله تعالى وعدده والباقون بتخفيفها وهي
محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده احصاه وجعله عدة لحوادث
الدهر وقال الضحاك اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده
وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله مناع
للخير وقوله تعالى جمع فاوعى يحسب اي يظن لجهله ان ماله اخلده اي
اوصله الى رتبة الخلد في الدنيا فيصير خالدا فيها لا يموت او يعمل من تشييد
البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من
ان ماله ابقاه حيا او هو تقريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد
صاحبه في النعيم فالمال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس
اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف دينار وعن الحسن انه عاد موسرا
فقال ما تقول في الوقع لم افقدها من ليتم ولا تفضلت بها على كريم قال
لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر
قال إذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى كلا ردع له عن حسبانه
وقيل معناه حقا وقوله تعالى لينبذن جواب قسم محذوف اي ليطرحن
بعد موته في الحطمة اي الطبقة من جهنم التي من شأنها ان تحطم
اي تكسر بشدة وعنف كلما طرح فيها فيكون اخسر الخاسرين ويقال
للرجل الاكول انه لحطمة وما ادراك اي واي شيء اعلمك ولو بمحاولة
منك للعلم واجتهاد في التعرف مع كونك اعلم الحكمة ما الحطمة اي الدركة
النارية التي سميت هذا الاسم لهذه الخاصة وانه ليس في الوجود الذي
شاهدتموه ما يقاربها ليكون مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى نار الله اي
الملك الاعظم الذي له الملك كله الموقدة التي وجد وتحتم ايقادها وهتك
الذي يطيق محاولة ما اوقده فهي لا تزال لها هذا الاسم ثابتا روي ابو
هريرة ان صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت

فهي سوداء مظلمة التي تطلع اي اطلاعا شديدا على الافئدة جمع
فؤاد وهو القلب الذي يكاد يحترق من شدة زكايه فكان ينبغي ان
يجعل ذكاه في اسباب الخلاص واطلاعها عليه يات تعلو وسطه وتشتمل
عليه اشتمالا بليغا سيما بذلك لشدة توقده وحص لانه الطف ما في
البدن واشد تالما يادنى شئ من الاذي ولانه منشا العقايد الفاسدة
ومعدن حب المال الذي هو منشا حب الفساد والضلال وعنه تصدر
الافعال القبيحة وقيل معنى تطلع على الافئدة اي تعلم ما يستحقه كل
واحد منهم من العذاب يقال اطلع على كذا اي علمه واشار الى خلودهم
فيها بقوله تعالى موكد الانهم يكذبون بها انها عليهم موصدة قال الحسن
مطبقة اي بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة بلغة قريش يقال اصدت
الباب اي اغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس
ان في القصر لو دخلنا غزالا ، معصما موصدا عليه الحجاب ،
ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى في اي في حال كونهم موثوقين في عمد
قرا حمزة والكسائي بضم العين والميم جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع
عماد كاهاب وكتب والباقون بفتحهما فقيل هو اسم جمع لعمود وقيل بل
هو جمع له قال الفراء كاديم وادم وقال ابو عبيدة هو جمع عماد ممددة اي
معترضة كانها موضوعة على الارض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع
الوثوق بها على نوع حيلة في امرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يبعث عليهم ملايكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار
فيطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد
فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منهم غم فيكون كلامهم فيها نقيق
وشهيق وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس
ان العمد الممدودة اغلال في اعناقهم وقال ابو صالح قيود في ارجلهم
وقال القشيري العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور ممدودة هـ
لانقطاع لها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرا

من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه حديث موضوع والله اعلم

سورة الفيل

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا بسم الله
الذي قدرته في كل شئ عاملة الرحمن الذي له النعمة الشاملة الرحيم
الذي يخص اهل الاصطفا بالنعمة الكاملة وقوله تعالى الم تر استفهام
تعجيب اي اعجب كيف فعل ربك اي المحسن اليك باصحاب الفيل فهو
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن
شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها واتما قال تعالى
كيف دون ما لان المراد تذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله
وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت قصة الفيل مما
روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنا كنيسة بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج وكتب الى
النجاشي اني قد بنيت لك كنيسة بصنعا لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا
حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة
فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها واحدث بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة
فقال من اجترى علي فعل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت
سمع الذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها
فكتب الى النجاشي يخبره بذلك ويساله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال
له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة
في الحبش سايرا الى مكة وخرج معه بالفيل واثنى عشر فيلا غيره
وقيل ثمانية عشر وقيل الف فيل وقيل وحده فسمعت العرب بجهاده
جهادة فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال
له ذو نفر فقال ايها الملك استيقني فان استيقائي خير لك من قتلي
فاستبقاه فاوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى دنى من بلاد خثعم

خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن
فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيل فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض
العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه
يدله حتى اذا مر بالطايف خرج معه مسعود ابو معتب في رجال من ثقيف
فقال ايها الملك عن عبيدك ليس عندنا لك خلاف انما تريد البيت الذي بمكة
نحن نبعث معك من يدلك عليه ابا رغال يولي لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس
مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة
يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم
الناس فجمع الاسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مايتي بعير
ثم ان ابرهة بعث بحناطة الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شريفها
ثم ابلغه ما ارسلتك اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جيئت لاهدم هذا
البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك
ارسلني اليك لانه لم ياتي لقتال انما جيئت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف
عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا به يد ان ستخلي بينه وبين
ما جاء اليه فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان
يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال
فانطلق حتى ياتي الملك قال بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب
معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو يزن صديقا لعبد المطلب فاتاه
فقال يا ذا يزن هل عندك لحن غنا فيما نزل بنا فقال ما عندنا رجل اسود
لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث لك انيس سايس الفيل فانه لي
صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عين مكة
يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مايتي
بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب
ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش

وصاحب

وصاحب عين مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال
يستاذن عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك وقد جاء غير ناهب لك
ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما راه ابرهة
اعظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى
البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك
الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي الى الملك ان يرد
الي مايتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قد كنت اعجبتني حين رايتك
ولقد ذهبت عنك قال ولم قال اجيئت الى بيت هو دينك ودين ابايك وهو شرفكم
وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مايتي بعير اصبتها قال عبد المطلب
انا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه قال ما كان ليمنعه مني قال فانت
وذاك فامر بابله فردت عليه وقيل اعرض عليه عبد المطلب ثلث اموال تهامة
ليرجع فابى فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم
ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش
ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو سواكا ◦ يارب فامنع منهم حماكا ◦
ان عدو البيت من عاداكا ◦ امنعهم ان يخربوا قراكا ◦ وقال ايضا
لاهم ان المرء يمنع رحله ◦ وحلاله فامنع حلالك ◦
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ◦ عدوا محالك جروا جموع بلادهم ◦
والفيل كي يسبوا عيالك ◦ جهلوا حمال بكيدهم جهلا ومارقبوا جلالك ◦
ان كنت تاركهم وكعبتنا ◦ فامر ما بدا لك ◦

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح
ابرهة بالمغمس قد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا فيله فاقبل نفيل الى
الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جيئت
فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه
فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام مهرولا فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك

فضربوه الى الحرم فابى ان يقوم وخرج عبد المطلب يشتد حتى صعد
الجبل فارسل الله تعالى عليهم ما قصه في قوله سبحانه الم يجعل اي جعل
بما له من الاحسان الى العرب لاسيما قريش كيدهم اي في هدم الكعبة
في تضليل اي خسارة وهلاك وارسل عليهم اي خاصة من بين من هناك
من كفار العرب طيرا اي طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا ابابيل اي جماعات
بكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحي شتى فوجا فوجا وزمرة زمرة
امام كل فرقة منها طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق
وقيل اقاطيل كابل المويلة قال الفراء واحد لها من لفظها وقيل واحدها
ابالة وقال قتادة كنت اسمع المحوين يقولون واحدها ابول كحجول وعجاجيل
وقال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وكف كاكف الكلاب وقال
عكرمة لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير
صفر وقال قتادة طير سود ترميهم اي الطير بحجارة اي عظيمة في الكثرة
والفعل صغيرة في المقدار والحجر كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام
هاني نحو قفيز مخططة بالحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل
فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فقروا فهلكوا في كل طريق ومنازل
واما ابرهة فتساقطت انامله كلما سقطت انملة اتبعها مدة وقيح ودم
فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه
وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى يلغ النجاشي فقص عليه
القصة فلما انتهاء وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لان تلك الحجارة كانت من
سجيل اي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو ولما
تشبب عن هذا الرمي هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي خلق
الاثر قطعا لان مثله لا ينشا عنه من الهلاك قال الله تعالى فجعلهم
اي ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك بذلك كعصف ماكول
اي كورق زرع الكلة فراثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه قطع اوصالهم

بتفرق

بتفرق اجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن
وقال عكرمة كالحب اذا اكل وصار اجوف لان للحجر ملكان ياتي في الراس
فيحرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير
موضع نجويفه اسود لما له من النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي
يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له روي ان الحجر كان يقع على احدهم
فيخرج كلما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا خرجت منه الحبة وعن عكرمة
من اصابه جدري وهو اول جدري ظهر وعن ابي سعيد الخدري انه سئل
عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف في تاريخ
عام الفيل فقال كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثرون على انه كان في العام الذي ولد فيه
النبي عليه السلام وعن عايشة قالت رايت سايس الفيل وقايده اعميين مقعدين
يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام اكبر مني وانا اسن منه ولد عليه السلام
عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس
بل قيل لم يكن بمكة احد الا راى قايد الفيل وسايسه اعميين يتكففان الناس
مع ان عايشة مع صغر سنها ماتت وقال ابن اسحاق لما رد الله تعالى الحبشة
عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مونة
عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء كانت قصة الفيل
مما تعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله لانها كانت توكيدا لامره
وتمهيدا لشانه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ حديث موضوع

سورة قريش

مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع ايات وسبع
عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا بسم الله الذي له الكمال الرحمن ذي النعم
والافضال الرحيم الذي خص اولياءه بالتقرب والاجلال وقوله تعالى لايلاف قريش

في متعلقه اوجه احدها انه ما في السورة قبلها من قوله تعالى فجعلهم
كعصف ماكول قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق
معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة
بلا فصل وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين
انتهى والى هذا ذهب الاخفش وقال الرازي المشهور انهما سورتان ولا يلزم
من التعلق الاتحاد لان القرآن كسورة واحدة ثانيها انه مضمر تقديره فعلنا
ذلك وهو ايقاعهم الايلاف وهو الفهم لبلدهم الذي تنشأ عنه طمأنينتهم وهيبة
الناس لهم وقيل تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم
عبادة رب هذا البيت ثالثها انه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان
يعبدوا والاجل ايلافهم الرحلتين لانها اظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي صدر به
الزمخشري كلامه وفي هذه الاشارة الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيأ يسر
سببه لان التدبير كله له يخفض من يشاء وان عز ويرفع من يشاء وان ذل وقريش
هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس
بقرشي قال عليه السلام ان الله اصطفى كنانة من بني اسماعيل واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم واخرج
الحاكم وصححه البيهقي عن ام هانئ بنت ابي طالب ان النبي عليه السلام قال فضل
الله قريشا بسبع خلال اني منهم وان النبوة فيهم وان الله نصرهم على الفيل
وانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن
وسموا قريشا من القرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش
اي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع الاموال وقال ابو ريحانة سألت معاوية
عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه
تعيث بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث في اليمين
الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتغلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم فانشد شعر الحجيني

وقرش هي التي تسكن البحر ... به سميت قريشا

تاكل

تاكل الغث والسمين فلا ... تترك فيه لذي الجناحين ريشا

هكذا في الكتاب بحي قريش ... ياكلون البلاد اكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل منهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مداني الامور ومن تقارشت الرماح
في الحرب اذا دخل بعضها في بعض وقوله تعالى ايلافهم بدل من الايلاف
الاول وقرأ ابن عامر لإلاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون ليلاف بياء قبلها
واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل
ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء
وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات
الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها خطا وهذا ادل دليل على ان
القراءة متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى رحلة الشتاء منصوب
بايلافهم مفعول به كما نصبت بينهما باطعام وهي التي يرحلونها في زمنه الى اليمن
لانها بلاد حارة ينالون منها متاجر الحبوب والصيف التي يرحلونها الى الشام
في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الثمار وهم امنون من سائر العرب
لاجل حرمهم بالحرم بيت الله والناس يتخطفون من حولهم ولا يجتري احد عليهم
والايلاف من قولك الفت المكان الفه ايلافا اذا الفته فانا مولف والاصل رحلتي
الشتاء والصيف ولكنه افرد ليشمل كل رحلة كما هو شان المصادر واسماء الاجناس
وفي ذلك اشارة الى انهم يتمكنون من الرحلة الى اي بلاد اراد وا والشمول الامن
لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان اربعة اقسام
شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي وهذا
قاله مالك ليس بصحيح لان الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وقال عكرمة
عن ابن عباس انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف وقال اخرون كانت لهم
رحلتان في كل عام للتجارة احداهما في الشتاء الى اليمن لانها ادفى والاخرى في الصيف
الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تقيش بتجارتهم
ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا

على التصرف واول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يسمون بذلك
بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول الشاعر
قل للذي طلب السماحة والندا ، هلا مررت بال عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم ، منعوك من ضر ومن اتلاف
الرائشين وليس يوجد رائش ، والقائلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم ، حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق ، والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ، سفر النشا ورحلة الاصياف

وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يوالف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة
والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكانت تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار
بجاه هذه الاخوة اي بعهودهم الذي اخذوها الامان لهم من ملك كل ناحية
من هذه النواحي ولما كان هذا التدبير لهم من الله كافيا لهمومهم الظاهرة
بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر المنعم واجبا قال تعالى **فليعبدوا** اي قريش
على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة انلم يشكروه على جميع نعمه
التي لا تحصى لانهم يدعون انهم اشكر الدنيا للاحسان وابعدهم عن الكفران
رب هذا البيت اي الموجد له والمحسن الى اهله بحفظه من كل طاغ وباذل له
الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال اعزازه لهم في الدنيا
والاخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما لشانها ثم وصف نفسه الاقدس
هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيارة شرف البيت بقوله تعالى **الذي اطعمهم** اي قريشا
بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين اطعاما مبتدا **من جوع** اي عظيم فيه غيرهم من العرب
او كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذي زرع شهوفهم عرض للعقل الذي
ينشا عنه الجوع فكفاهم وحده ولم يشركهم احد في كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم
معه في عبادته ولامن البر باتيهم ابراهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق بقوله
عليه السلام وارزقهم من الثمرات وهي الشد النهي عن عبادة الاصنام ولم يقل
اشبعهم لانه ليس كل من كان يشبع ولا من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما هو

عنده ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب **وامنهم** اي تخصيصا لهم **من خوف**
اي شديد جدا من اصحاب الفيل الذين اراد واخراب البيت الذي به نظامهم
وما ينال من حولهم من التخطف بالقتل والنهب والغارات ومن الامن من
الجذام بدعوة ابيهم ابراهيم عليه السلام ومن الطاعون والدخان بتامين النبي
عليه السلام وعن ابي زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم
بعضا فامنت قريش لذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء
والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن
فحملوا فخافت قريش منهم وظنوا انهم قد موا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم
قد جلبوا لهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل
والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي عليه
السلام دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد القحط
فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله عليه السلام فاخصبت
ثمالة وحرس من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك
والربيع في قوله تعالى وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة وقال علي وامنهم من
خوف ان تكون الخلافة الا فيهم قال الزمخشري ومن بدع التفاسير وامنهم من
خوف ان تكون الخلافة في غيرهم انتهى لكن ان ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه
فليس كما قيل وقيل كفاهم اخذ الايلاف من الملوك وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ليلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الدين

وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول
الاخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة وماية وثلاثة
وعشرون حرفا **بسم الله** الذي له كل كمال **الرحمن** الذي عم جميع عباده بالنوال
الرحيم الذي خص اولياه بنعمة الافضال وقوله تعالى **ارايت** استفهام بمعنى
التعجيب وقرا نافع بتسهيل الهمزة بعد الراو لورش ايضا ابدالها الفا واستغنوا

الكسايي قال الزمخشري وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم
يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام
في اول الكلام ونحوه

صاح هل ريت او سمعت براع ٭ رد في الضرع ما قري في العلاب ٭

وحققها الباقون والمعنى ارايت الذي يكذب اي يوقع التكذيب لمن يخبره كاينا
ماكان بالدين اي بالجزا والحساب اي هل عرفته ان لم تعرفه فذلك بتقدير هو
بعد الفا اي البغيض البعيد والمبعد من كل خير الذي يدع اي يدفع دفعا
عظيما بغاية القسوة اليتيم ولايحث على اكرامه لان الله تعالى نزع الرحمة
من قلبه ولاينزعها الا من شقي لانه حامل على الاحسان اليه الا الخوف من
الله تعالى فكان التكذيب بجزايه مسببا للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه
فانهم كانوا لايورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن
بالسنان ويضرب بالحسام وقال عليه السلام من ضم يتيما من المسلمين حتى
يستغني فقد وجبت له الجنة واختلف فيمن نزل فيه ذلك فقال مقاتل في
العاصي بن وايل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو
ابن عابد المخزومي وقال عطا عن ابن عباس في رجل من المنافقين وقال في
ابي جهل ولايحض اي يحث نفسه ولاغيره على طعام المسكين اي بذله له
واطعامه اياه بل يمنعه ولايكرمه ويزجره وقد تضمن هذا ان علامة التكذيب
باليعد ايذا الضعيف والتهاون بالمعروف ولما كان هذا حاله مع الخلايق ابعده حاله
مع الخالق بقوله تعالى فويل اي عذاب او واد في جهنم للمصلين الذين هم
اي بضمايرهم وخالص سرايرهم عن صلاتهم التي هي جديرة بان تضاف اليهم
لوجوبها عليهم واتيانها لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتذكية وغيرها ساهون
اي غريقون في الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات
اليها وروى البغوي بسنده ان النبي عليه السلام سئل عن هذه الاية فقال
هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس انه قال هم المنافقون يتركون الصلاة اذا
غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية مع الناس اذا حضروا مع الناس

تقوله

362

تقوله تعالى الذين هم اي بجملة سرايرهم يراؤن اي بصلاتهم وغيرها الناس
لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لالرجا الثواب ولا لخوف العقاب من الله
تعالى ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم هو الذي
يلتفت في صلاته وقال قطرب هو الذي لايقرا ولايذكر الله تعالى وقال ابن
عباس لو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين وقال عطا الحمد لله الذي
قال تعالى عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم لان الاية في المنافقين
وقال قتادة ساه عنها لايبالي اصلى ام لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها
متهاونون بها وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم
وقيل هم الذين يسهون عنها قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها اولا
يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن يتفرقها
نقرا من غير خشوع ولا اخباة لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة
التثاوب والالتفات لايدري الواحد منهم عن كم انصرف ولما قرا من السورة
وكما نرى صلاة اكثر من نرى من الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق
اموالهم والمعنى ان هولا احق ان يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد
الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع
الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام على ان هم مكذبون
بالدين وكم نرى من المتسمين بالاسلام بل بالعلم من هو منهم على هذه الصفة
فيا مصيبتاه فان قيل كيف جعل المصلين قايما مقام الضمير الذي يكذب
وهو واحد بان معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قيل اي فرق بين قوله تعالى
عن صلاتهم وقوله تعالى في صلاتهم اجيب بان معنى عن انهم ساهون عنها
سهو ترك وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين
من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث
نفس وذلك لايكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام
يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقها باب سجود
السهو في كتبهم وعلامتي الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقد مرت الاشارة

الي بعض ذلك فان قيل مامعنى المراة اجيب بانها مفاعلة من الاراة لان
المرائي يري الناس عمله وهم يرون الثناء عليه والاعجاب به ولايكون الرجل
مرائيا بالعمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرايض الاعلان بها وتشهيرها
لقوله صلى الله عليه وسلم ولائمة في فرايض الله لانها اعلام الاسلام وشعاير
الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان
تطوعا فحقه ان يخفا لانه مما لايليق بتركه ولاتهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا
به كان جميلا وانما الريا ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راي رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال
ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الريا والسمعة على
ان اجتناب الريا صعب الاعلى المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى
الله عليه وسلم الريا اخفا من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على الشيخ
الاسود ثم بين ان من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى ويمنعون
اي على جدد الاوقات الماعون اي صنوف الاموال والشيء اليسير من المنافع
وقال عبد الله بن مسعود الماعون العارية والدلو والقدر وانشباه ذلك
وهي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال مجاهد الماعون اعلاها
الزكاة المفروضة وادناها اعارة المتاع وعن علي انها الزكاة وقال محمد بن كعب
والكلبي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقال قطرب
اصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولامعنة اي شيء قليل
فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون
ماليحل منعه مثل الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي عليه الصلاة والسلام قال من قرا سورة الذين هم عن صلاتهم ساهون
حديث موضوع

سورة الكوثر

وتسمى المحرمكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول
الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنتان
واربعون حرفا بسم الله الذي لاحد لفايض فضله الرحمن الذي شمل

الخلايق

الخلايق بجوده فلا بد لامره الرحيم الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله وقوله
تعالى انا اي بما لنا من العظمة اعطيناك اي خولناك مع التمكين العظيم
يا اشرف الخلق الكوثر اي نهرا في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم
ترد عليه امته لما روي عن انس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اذ غفا اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول
الله قال انزل علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر الخ ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه
ربي خير كثير هو حوض يرد عليه امتي يوم القيمة انيته عدد النجوم فيختلج
العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه
من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى
من العسل وابيض من الثلج وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخلت الجنة فاذا انا بنهر يجري بياض اللبن واحلى من العسل وحافتاه
خيام الدر فضربت بيدي فاذا الذري مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا قال
الكوثر اعطاكه الله تعالى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه
اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظما ابدا وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا افرطكم على الحوض وليرفعن
الي رجال منكم حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي يارب
اصحابي فيقال انك لاتدري ما احدثوا بعدك وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه
فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه
من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهطان من اصحابي او قال
من امتي فيجلون عن الحوض فاقول اي يارب اصحابي فيقول للعلم لك بما احدثوا

يعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يرد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنهم كما يذود الرجل ابل
عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم ترد ون
علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول
يا رب هؤلاء من اصحابي فيجيبني فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك واحاديث
الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لاولي الالباب فنسال الله تعالى ان يرزقنا منه
نحن واحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب قال القاضي عياض احاديث
الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وقال ابن عادل
وهو علي ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه
متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة انتهى وقيل الكوثر القرآن العظيم
وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وقيل الكوثر الخير
الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس
الكوثر الخير الكثير قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه
نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه
الله تعالى اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير
في العدد او كثير القدر والخطر كوثر قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر
ان ابنك قالت اي بكوثر وقال الشاعر

وانت كثير يا ابن مروان طيب ، وكان ابوك ابن العقائل كوثرا ،

وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة الذي فضلها على جميع الخلائق تنبيه
لا منافاة بين هذه الاقوال كلها فقد اعطاها النبي عليه السلام النبوة والحكمة
والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع واظهاره
الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الي يوم
القيمة واولى الاقاويل في الكوثر وهو الذي عليه جمهور العلماء انه نهر في
الجنة ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا ياتي عليه حصر مما لا يناسب
ادناه نعيم الدنيا بجملتها سبب عنه قوله تعالى امرا بما هو جامع لجوامع الشكر

فصل

فصل اي يقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله في حضرة المراقبة
شكرا لاحسان المتم خلافا للساهي عنها والمراي فيها لربك اي المحسن
اليك بانواع النعم مراغما من شئت فلا سبيل لاحد عليك وانحر
اي انفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون
والنحر افضل نفقات العرب لان الجزور الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق
العرب المال انطلق الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله
تعالى ويذبحون لغير الله فامر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يصلي
وينحر لله تعالى عز وجل وقال عكرمة وعطا وقتادة فصل لربك صلاة العيد
يوم النحر وانحر نسكك واقتصر علي هذا الجلال المحلي وقال سعيد بن جبير
ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع اي المزدلفة وانحر البدن بمنى وعن ابن
عباس وضع اليمين عن الشمال في الصلاة عند النحر وعن علي ان معناه
ان يرفع يديه في التكبير الي نحره وقال الكلبي استقبل القبلة بنحرك وعن عطا
امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره ان شانئك اي
مبغضك والشاني المبغض يقال شناه يشنوه اي ابغضه هو الابتر
اي المنقطع عن كل خير واما انت فقد اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير
الدارين الذي لم يعطه احدا غيرك فخطي ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت
لك العطيتان السنيتان اصابة اشرف عطا واوفره من اكرم معط واعظم منعم
او المنقطع العقب لانك لان كل من يولد الي يوم القيمة من المومنين فهو اعقاب
واولاد وذكرك مرفوع على المنابر والمنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر
الي اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثني بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف
فثبتك لا يقال له ابتر انما الابتر الذي هو شانئك المسيئ في الدنيا والاخرة
وقال الرازي هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى البخل
وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون وذكرها هنا في مقابلة البخل
انا اعطيناك الكوثر وفي مقابلة الصلاة فصل اي دم على الصلاة وفي
مقابلة الرياء لربك اي لرضاه خالصا وفي مقابلة منع الماعون وانحر اي

تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي ان
المشاقق الي اي بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت
فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل واختلف المفسرون
في الشاني فقيل هو العاصي بن وايل وكانت العرب تسمي من له بنون وبنات
ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم
يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع من كنت واقفا
فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن النبي صلى الله عليه
فنزلت الاية وعن ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل قالوا ابتر فلان
فلما توفي ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الي اصحابه فقال بتر محمد
فنزلت وقال السدي ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر
فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة
قالوا ابتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده وقيل لما اوحي الله تعالى الي النبي
عليه السلام دعا قريشا الي الايمان قالوا ابتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فنزلت
تنبيه قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة علي قصرها علي معان
بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة علي انه تعالى اعطاه
كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي
تحقيقا لوقوعه كما في قوله تعالى اتي امر الله تعالى ومنها تاكيد الجملة بان ومنها
بناء الفعل علي الاسم ليفيد الاستمرار مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل علي
الاستمرار ومنها فاء التعقيب الدالة علي السبب فان الانعام سبب للشكر والصيام
ومنها التعريض لمن كانت صلاته وبره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة
اشارة الي الاعمال البدنية التي الصلاة قوامها وافضلها والامر بالنحر اشارة
الي الاعمال البدنية التي النحر اسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير
فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري
عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر
صفاته الحسنى دلالة علي انه المربي له والمصلح بنعمه فلا يليق من كل خير الا منه

ومنها

ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الي الغايب في قوله تعالى لربك ومنها الامر
بترك الاهتمام بشانيه للاستيناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشاني
ولم يسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان شخصا معينا
لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة علي انه لم يتصف
الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان توثر فيمن يشنوته شيا البتة لان من شنا
شخصا قد يوثر فيه شناه شيا ومنها تاكيد الجملة بان الموذنة بتاكيد الخبر
ولذلك يتلقي بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير
الفصل الموذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلناه هو فصلا وان جعلناه مبتدا
فكذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال الموذنة
بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله
تعالى علي رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول السورة الي اخرها
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان
قربه العباد في يوم النحر حديث موضوع والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الكافرين

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس
وقتادة والضحاك وتسمي ايضا سورة المعبدة والاخلاص لانها في اخلاص
العبادة والدين كما ان قل هو الله احد في اخلاص التوحيد واجتماع النفاق
فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان
اي المبراتان من النفاق قال الشاعر

اعيذك بالمقشقشتين مما ... احاذره ومن نظر العيون

وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا بسم الله الذي
لا يقدر احد حق قدره الرحمن الذي عم برحمته من اوجب عليهم شكره الرحيم الذي
وفق اهل وده فالزموا نهيه وامره وقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق
يا ايها الكافرون الي اخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس

السهمي والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن يغوث والاسود بن
المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك وتشركنا
في ديننا في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي
جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا
خيرا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال معاذ الله ان نشرك
به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدق ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي
من ربي فانزل الله هذه السورة فقد رسوله الله صلى الله عليه وسلم
الى المسجد وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قرا عليهم السورة
حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه وفي مناداتهم
لهذا الوصف الذي يستذلونه في بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه
محروس منهم علم من اعلام النبوة فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
في التحريم يا ايها الذين كفروا وهنا قال قل يا ايها الكافرون اجيب بانه
في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة ولم لا يكون رسولا اليهم
فازال الواسطة ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك
ذكره تعالى بلفظ الماضي واما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول
رسولا اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون اي الذين قد حكم بثباتهم على
الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما دل عليه عقولهم من الاعتقادات
الحق لوجرد وهكذا من اتاس الحظ وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته
على الكفر بما طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل والمعرف
باللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذي
هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع
على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته عليه السلام وقال الله تعالى
له قل يا ايها الكافرون لانه عليه السلام كان مامورا بالرفق واللين في جميع
الامور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمومنين رؤف رحيم

ثم كان مامورا بان يدعوهم الى الله تعالى بالوجه الاحسن فلذا خاطبهم بما يليق
الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب
باني مامور بهذا الكلام لاني ذكرته من عند نفسي ولما كان القصد اعلامهم
بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال لا اعبد
اي الآن ما تعبدون من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه
من وجوه العبادة في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه ولا انتم
عابدون اي الآن ما اعبد وهو الله وحده ولا انا عابد اي في الاستقبال
ما عبدتم من دون الله سبحانه وتعالى ولا انتم عابدون اي في الاستقبال
ما اعبد وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى منهم انهم لا
يومنون واطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار
كما قال اكثر اهل المعاني هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم
ومن مذاهبهم التكرار ارادة للتاكيد والافهام كما ان مذاهبهم الاختصار
ارادة للتخفيف والايجاز قالوا بل التاكيد يفهم قوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم عابدون
ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فباي الا
ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني
وفايدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار وهو ما انتهم
اقامتهم على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا وعلى الاول قد تقيدت كل جملة
بزمان غير الزمان الاخر قال ابن عادل وفيه نظر لكنفى كيف يقيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصلح
انتهى وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم نفى في الجملة الاولى الحال وفي
الثانية الاستقبال وقول البيضاوي فان لا لا تدخل على مضارع بمعنى
الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على الماضي بمعنى الحال جرى على الغالب
فيهما ولما ايس منهم صلى الله عليه وسلم قال لكم دينكم اي الذي انتم عليه

من الشرك ولي دين اي الذي انا عليه من التوحيد وهو دين الاسلام وفي
هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم
فقد رضينا بديننا وهذا كما قاله الجلال المحلي قبل ان يؤمر بالحرب وقيل
السورة كلها منسوخة وصل ما نسخ منها شيئ لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزا
دينكم ولي دين اي جزا ديني وسمي دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم
جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزا وحذفت يا الاضافة من ديني للمتبعية
وصلا ووقفا وقرا نافع وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه بفتح الياء والباقون
باسكانها فائدة قال الرازي جرت العادة بان الناس يتمثلون بهذه الاية
عند المشاركة وذلك غير جايز لانه تعالى ما انزل القران ليتمثل به بل ليتدبر
فيه فيعمل بموجبه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتبا عدت
عنه مردة الشياطين وبري من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر حديث
موضوع الا الجملة الاولى منه فرواها الترمذي

سورة النصر

مدنية بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وست عشرة كلمة
وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الذي له الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن
الذي ارسلك رحمة من الله العلي الحكيم الرحيم الذي خص اهل وده بفضله
العميم وقوله تعالى اذا منصوب بسبح جا نصر الله اي الملك الاعظم
الذي لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره اياك على اعدايك ومعنى جا
استقر وثبت في المستقبل لمجيئ وقته المضروب له في الازل وزاد في
تعظيمه بالاضافة ثم بكونها الى اسم الثلاث وقرا حمزة وابن ذكوان بامالة
الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح والاعلام به قبل كونه من اعلام
النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع والفتح اي
فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في
المغوي وغيره فلا نطيل بذكرها وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان

سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين
والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقا
فاعتقهم رسول الله عليه السلام وكان الله قد امكنه من رقابهم عنوة
وكانوا فيا فلذلك سميا اهل مكة الطلقا ثم بايعوه على الاسلام في دين
الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وصل المراد جنس نصر الله المومنين وفتح بلاد الشرك عليهم
فان قيل ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه اجيب بان النصر
الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله دعاءه الارض غاثها قال الشاعر
اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي ٭ بلاد تميم وانصري ال عامر ٭
ويروي اذا انسلخ الشهر الحرام فجاوي بلاد تميم وانصري ارض عامري
والفتح فتح البلاد وقال الرازي الفرق بين الفتح والنصر ان الفتح هو
الاعانة على تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا بها والنصر كالسبب
للفتح ولهذا ابدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه فان قيل ان رسول الله
كان منصورا بالدلايل والمعجزات دايما وابدا فما المعنى والسر في تخصيص
النصر بفتح مكة اجيب بان المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطمع
فان قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله
كما يقول هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود
منه تعظيم تلك الصنعة فكذا هنا فان قيل الذي اعانوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم اصحابه من المهاجرين
والانصار ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسول الله نصر الله فما السبب
في ذلك اجيب بان النصر وان كانت على يد الصحابة لكن لا بد له من
داع وباعث وهو من الله تعالى فان قيل تعالى هذا الجواب يكون فعل

العبد مقدما على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النصر لان الله تعالى قال ان
تنصروا الله ينصركم فجعل نصره مقدما على نصره لنا اجيب بانه لا امتناع
في ان يكون فعل العبد سببا لفعل اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث
ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول البشرية ولما عبر عن العين
بالمجيء عبر عن المرئي بالرؤية فقال تعالى ورايت اي ببصرك الناس اي العرب
الذين كانوا حقيرين عند جميع الامم فصاروا بك هم الناس كما دلت عليه
لام الكمال وصاروا سيد اهل الارض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم
يدخلون في دين الله اي شرع من لم
تزل كلمته هي العليا افواجا اي جماعات كثيرة كانت تدخل منه القبيلة بأسرها
بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر ابن عبد الله
انه كان ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقال عكرمة
ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان
مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤن القرآن وبعضهم
يصلون فسر النبي عليه السلام بذلك قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله
الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل المدينة قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان
والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من اهل اليمن وفي هذا
تاويلات احدها انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني ان الله تعالى نفس
الكرب عن نبيه عليه السلام باهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر
باهل الحرم فليس به يدان وقد كان والله اجارهم من اصحاب الفيل وعن
كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال امنة بعد امنة
قال الضحاك والامنة اربعون رجلا تنبيه دين الله تعالى هو الاسلام لقوله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب

ان يعبد لكونه الها وللدين انما اضر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها
النور يريدون ليطفؤا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي
به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى ومنها الحبل المتين قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا
ومنها صبغة ومنها فطرت الله تنبيه جمهور الفقهاء واكثر المتكلمين ان ايمان
المقلد صحيح واحتجوا بهذه الاية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان
اولئك الاقوام وجعله من اعظم المنن على نبيه عليه السلام فلو يكن ايمانهم
صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث
الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها
ولا اثبات الصفات والتنزيهات بالدليل والعلم بان اولئك الاعراب ما كانوا
عالمين بهذه الدقايق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح فان قيل انهم
كانوا عالمين باصول دلايل هذه المسايل لان اصول هذه الدلايل ظاهرة
بل كانوا جاهلين بالتفاصيل اجيب بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان
وان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في
المقدمة العاشرة مقلدا لان في النتيجة مقلدا لا محالة ولما كمل الدين امر الله
تعالى نبيه بان يشتغل بنفسه فقال عز من قايل فسبح اي نزه بقولك
وفعلك بالصلاة وغيرها تسبيحا ملتبسا بحمد ربك اي الذي انجز لك
الوعد باكمال الدين وتمام المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله
اكرامك والاكرام عزيز حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى هذا الفتح
الذي لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه قاله ابن عباس
روي انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالسجود فدخل الكعبة
فصلى ثمان ركعات واستغفره اطلب غفرانه لتقتدي بك امتك في المواظبة
على الاتيان الثاني فان الاتيان الاول الذي هو وجودك بين اظهرهم قد
في رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى والمحل الاقدس وفي ذلك
اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره كما اشار الى ذلك الاستغفار

عقب الصلاة التي هي اعظم العبادات وفي الصحيحين عن عايشه انها
قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه
سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
امرت بهاثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال عكرمة لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة مما كان عند نزولها
وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو
بكر وعمر وسعيد بن ابي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال
انه كما قلت فعاش بعدها سبعين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل
نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل
لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي للنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر
نزلت هذه السورة في حجة الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية
الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم
فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فعاش بعدها احد وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل غير ذلك وقال
الرازي اتفقت الصحابة على ان هذه السورة نزلت على نبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه احدها انهم عرفوا ذلك لما خطب
صلى الله عليه وسلم عقيب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته لما نزلت هذه السورة ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين
لقائه فاختار ذلك العبد لقاء الله تعالى فقال ابو بكر فديناك بانفسنا واموالنا
وابائنا وابنائنا انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في
الدين افواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقبه الزوال

كما قيل

اذا تم امر بدا نقصه ... توقع زوالا اذا قيل تم

ثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه
من اشتغاله بامر الدنيا والامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ
قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جايز وعن ابن عباس ان عمر
كان يدنيه وياذن له مع اهل بدر فقال ابو عبد الرحمن اما ذن لهذا الفتى
معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن
لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله
والفتح ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله تعالى نبيه
اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت
عليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه
بعد ما تروون وروي انه صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة فقال يا بنية انه
نعيت الي نفسي فبكيت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن عايشة
كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك وعنها ايضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة بعد ان نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم اخر امره
لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله
واتوب اليه قال وفي امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقيل
استغفره هضما لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام اني استغفر الله في اليوم والليلة
ماية مرة وقيل استغفر لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيا الا ورايت الله
قبله ولما امره الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ارشده الى التوبة بقوله
تعالى انه اي المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر
كان ايم لم يزل توابا اي رجاعا ممن ذهب به الشيطان من اهل رحمته فهو الذي

رجع بانصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكف والاختلاف بالعداوات
فايدك الله بدخولهم في الدين شيأ فشيأ الى ان دخلت مكة بعشرة الاف
وهو ايضا يرجع بك الى الحالة التي يزداد بها ظهور نصرتك في الرفيق الاعلا
قال الله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فتفوز بتلك السعادات العالية
وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع قال قتادة ومقاتل
عاش صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بنا على انها نزلت
قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان في سنة ثمان واما من قال
عاش دون ذلك كما مر فبنا على انها نزلت بمنى في حجة الوداع كما مر تنبيه
وفي الاية سؤالات احدها ان قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي وحاجتنا
الى قبوله في المستقبل ثانيها هلا قال غفارا كما قال في سورة نوح عليه السلام
ثالثها انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى في دين الله وقال تعالى بحمد ربك
ولم يقل بحمد الله واجيب عن الاول بوجوه احدها ان هذا ابلغ كانه يقول
اني تبت على من هو اقبح فعلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة
كفلق الجيل البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم وانوا بالقباح
ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اولئك وهم دونكم اقلا اقبل
توبتكم وانتم خير امة اخرجت للناس ثانيها اني شرعت في توبة العصاة ه
والشروع ملزم على قول النعمان تكيف في كرم الرحمن ثالثها كنت توابا قبل
امركم بالاستغفار رابعها كانه اشار الى تخفيف خيانتهم اي لستم اول من
جفي وتاب والمعصية اذا عمت خفت خامسها كانه تطير مما يقال لعنا حسن
الله اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقي واجيب عن الثاني بوجهين
احدهما لعل انه خص هذه الامة بزيادة الشرف لانه لا يقال في صفات
العبد غفار ويقال توابا اذا كان اتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سميا
من اول الامر انت مؤمن واتا مؤمن وان كان المعنى مختلفا فبنيت حتى
تصير سميا من اول الامر وانت تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل
التوبة كثيرا ثانيهما انه تعالى انما قال توابا لان القايل قد يقول استغفر الله

وليس

وليس ينائب كقوله عليه الصلاة والسلام المستغفر بلسانه المصر بقلبه
كالمستهزئ بربه فان قيل قد يقول انوب وليس بنائب اجيب بان ذا يكون
كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا
فيه فصار تقدير الكلام فاستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم
الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمار واجيب
عن المثالث بانه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم
الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب ولما كانت التربية تحصل اولا
والتوبة اخرا لا جرم ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة اخرا فسال الله تعالى
من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة نصوح لا ينكث بعدها فانه كريم رحيم
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرا سورة
اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر بكل من شهد مع محمد عليه الصلاة واللام يوم فتح مكة حديث
موضوع

سورة تبت

مكية وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا بسم الله
المتكبر الجبار المضل الهادي الرحمن الذي عم خلقه نبعه بعد الاكرام بالايجاد
الرحيم الذي خص بتوفيقه اهل الوداد وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب
دعا عليه وسبب نزول ذلك ما روي عن ابن عباس انه قال لما نزل قوله
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين صعد صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل
ينادي يا بني فهر يا بني عدي ليطون قريش حتى اجتمعوا عنده فجعل
الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال
ارايتكم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم ما كنتم تصدقوني قالوا بلى
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك لهذا
دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج البطحا فصعد
الجبل ونادي يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش وذكر نحوه وفي رواية فصعد
الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه
فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل

كنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا فنزلت وعت الى زيد
ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان انت يك يا محمد
فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال
صلى الله عليه وسلم واي شيء تبتغي تبا لهذا من دين ان كون وهو سوا فنزلت
ومعنى تبت قال ابن عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطا ضلت وقال
ابن جبير هلكت والتباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم
والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروي انه اخذ حجرا ليرمي به النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل رماه به فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد
جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيق الافعال الى اليد
وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وعبر باليدين
لان الغالب ان الاعمال تزاول بهما وقال يمان بن رياب صعدت من كل خير حتى
الاصبهي عن ابي عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان سمع الناس هاتفا وهو يقول

لقد خلوك واضرفوا ٭ فما اتوا ولا رجعوا ٭
ولم يوفوا نذورهم ٭ فتبا للذي صنعوا ٭

وقيل المراد باليدين دينه ودنياه واولاده وعضباه او المراد باحداهما جر المنفعة
بالاخرى دفع المضرة اولان اليمنى سلاح والاليسرى جنة وابو لهب هو ابن
عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى فان قيل لما ذا كني
بذلك ولم يكن عنه له ولد اسمه لهب وايضا فالكنية من باب التعظيم
اجيب عن الاول بان الكنية قد تكون اسما كما سمي ابو سفيان وابو طالب ونحو
ذلك فان هؤلاء اسماء وهم وكناهم اولملازمته وجنيته وكان مشرف الوجه
احمره واجيب عن الثاني بوجوه احدها انه لما كان اسما خرج عن افادة
التعظيم ثانيها ان اسمه كان عبد العزى كما مر فعدل عنه الى كنيته لقبح اسمه
لان الله تعالى لم يضف العبودية في كتابه الى صنم ثالثها انه لما كان من اهل
النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها كقولهم

ابو

ابو الخير وابو الشر لصدورهما عنه ولان الكنية كانت اغلب من الاسم اولانها
تقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم دون كناهم
وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة اما
لشهرته بكنيته واما لقبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من اهل النار
ومال الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته انتهى وهذا يقتضي ان
الكنية اشرف من اللقب لا انقص وهو عكس قول تقدم وقرا ابن كثير بكان
الهاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى وتب
خبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك فالاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج
مخرج الخبر فحقق به ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك
الذي لا يقاربه وقيل المراد من الاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات
اليد يعنون به المال وبالثاني نفسه ولما دعا صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله
تعالى وخوفهم النار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي بمالي
وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه اي عن ابي لهب ماله اي الكثير فانه كان
صاحب مواشي كثيرة الذي جرت العادة بان ينجي من الهلاك وما كسب اي من
الولد والاصحاب والعز بصيرته التي كان يوذي بها النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان هذه الدعوة لابد
ان تدركه فسافر الى الشام فاوصى به الرفاق ليبنجوه من هذه الدعوة فكانوا يحدقون
به اذا نام ليكون وسطهم والحمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة
فلم ينفعه ذلك بل جا الاسد فتشمم الناس حتى وصل اليه فاقتلع راسه وانما كان
الولد من الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم اطيب ما ياكل احدكم من كسبه وان
ولده من كسبه تنبيه ما في مما اغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى الاول
يكون منصوب المحل بما بعدها التقدير اي شيء اغنى المال وقدم لكونه له صدر
الكلام ويجوز فيما في قوله تعالى وما كسب ان تكون بمعنى الذي فالعائد
محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه واغنى بمعنى يغني ثم اوعده سبحانه

النار فقال تعالى سيصلى اي عن قرب يوجد لاخلف نارا يندس فيها وتنعطف
عليه وتحيط به ذات لهب اي لتسكن ولايخمد ابدا لان ذلك مبدأ لول الصحبة
المعبر عنها بذات وذلك بعد موته ولما اخبر عنه بكمال الثياب الذي هو
غاية الخسار زاده تخسيرا بذكر من يصونها يازري صورة واشنعها بقوله تعالى
وامرأته وهو عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته
وهي ام جميل وهي اخت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والصلى من غيران يغني عنها
شيئ من مال ولاحسب ولانسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها
القباحة وهي ضد كنيتها قال البقاعي ومن هنا يوخذ كراهة التلقيب
كناصر الدين ونحوها بما ليس مفضلا بما ليس دل عليه لقبه انتهى وقوله
تعالى حمالة الحطب فيه وجهان احدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت
بعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر مع كثرة مالها تحمل الحطب
على ظهرها شدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاه ه
والشوك تلقيه في الليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يطاؤه كما يطا الحرير وقال برة الهمداني كانت
ام جميل تاتي في كل يوم يابالة من الحسك فنطرحها في طريق المسلمين
فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة عيت فقعدت على حجر تستريح فجذبها
الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثاني ان ذلك مجاز يا عن المشي بالنميمة
ورمي الفتن بين الناس ويقال للمشاء بين الناس يا لنمام المفسدين
بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال
الشاعر

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ٭ ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال سعيد بن
جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال
تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقراعاصم بنصب التاء من حمالة على

الشتم

الشتم قال الزمخشري وانا استحب هذه القراة وقد توسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حب شتم ام جميل انتهى والباقون برفعها على انها
صفة امراة فانها مرفوعة بالتفاق اما بالعطف على الضمير في سيصلى كما مر
ويكون قوله تعالى في جيدها حبل حالا من امراته وعلى الابتدائية في جيدها
حبل هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز ان يكون في جيدها خبر مقدم وحبل
مبتدا موخر والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق ويجمع على اجياد وقوله
تعالى من مسد صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال
ابو عبيد هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت
باليمن يسمى المسد وكانت تفتل وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت
بعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحطب في حبل تحمله في جيدها
من ليف فخنقها الله عز وجل به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار
فان قيل ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار اجيب بان الله تعالى
قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد ابدا في النار
وعن ابن عباس قال هو بسلسلة ذرعها سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج
من اسفلها ويلوي سايرها على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع فقال
الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة
من جوهر وقالت واللات والعزى لانفقها في عداوة محمد ويكون ذلك عداوة
في جيدها يوم القيمة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة
عن الايمان لما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده من مسد والمسد الفتل
يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله والجمع امساد وروي انها لما سمعت
ما نزل فيها وفي زوجها من القران اتت النبي عليه السلام وهو جالس في المسجد
عند الكعبة ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد ان ترميه به فلما وقفت
عليه اخذ الله تعالى ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا
ابا بكر فقالت يا ابا بكر ابن صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربته بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله ما ترى ما راتك قال صلى الله عليه وسلم
ما راتني لقد اخذ الله بصرها عني وكانت قريش انما تسمي النبي عليه السلام مذمما
ثم يسبوه وكان عليه الصلاة والسلام الا تعجبون لما صرف الله تعالى عني كل من اذى
قريش يهجون مذمما وانا محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل الاذى
ويحلم عليهم فينبغي لغيره ان يكون له به اسوة قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة تنبيه احتج اهل السنة على ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابي لهب
بالايمان بتصديق الله تعالى في كل ما اخبر به ومما اخبر عنه انه لا يومن انه
من اهل النار فقد صار مكلفا بانه يومن بانه لا يومن وهذا تكليف بالجمع بين
النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول الفقه وقد تضمنت هذه
الايات الاخبار عن الغيب بثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسران
وقد كان ذلك ثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها
الاخبار عنه بانه من اهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته
ففي ذلك معجزة للنبي عليه السلام فامراته خنقها الله بحبلها كما مر وابو لهب رماه
الله بالعدسة بعد وقعة بدر بثلاث ليال واقام ثلاثة ايام لا يدفن حتى انتن ثم ان
ولده غسله بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها
كما تتقي الطاعون ثم احتملوه الى اعلا مكة واسندوه الى جدار ثم رضموا عليه
الحجارة وقيل ان الله تعالى يدخل امراته جهنم على الصورة التي كانت عليها حين
كانت تحمل حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم
او من الضريع وفي جيدها حبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم
مما يجانس حاله في جرمه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة حديث موضوع

سورة الاخلاص

مكية في قول ابن مسعود وعطا وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة
والضحاك والسدي وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا
بسم الله الذي له جميع الكمال ذي الجلال والجمال الرحمن الذي افاض على جميع خلقه

عموم

عموم الافضال الرحيم الذي خص اهل وداده من نور الانعام بالاتمام والاكمال
واختلف في سبب نزول سورة قل هو الله احد وروى ابو العالية عن ابي
ابن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم انسب
لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد ابن ربيعة
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعنا يا محمد فقال الى الله
تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل ويشرب ومن ورث
ومن يورثه فنزلت تنبيه هو ضمير الشان وهو مبتدا وخبره الله واحد
بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال
اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم
احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود
والقدرة الذاتية التامة المقتضية للالوهية فائدة جا في الواحد عن
العرب لغات كثيرة يقال واحد ووحد ووحيد ووحاد واحاد وموحد
وواحد وهذا كله راجع الى معنى الواحد وان كان في ذلك معان لطيفة
ولم يجي في صفة الله تعالى الا الواحد والاحد وقوله تعالى الله الذي ثبتت
الهيته واحديته لا غيره مبتدا خبره الصمد واخلا هذه الجملة عن العاطف
لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها والصمد السيد المصمد اليه في الحوائج
كلها والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرؤن انه خالق السموات والارض
وخالقكم وهو واحد متوحد بالالوهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد
اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم وعن ابن عباس الصمد
هو الذي لا جوف له وقال الشعبي هو الذي لا ياكل ولا يشرب وقال
الربيع هو الذي لا تعتريه الافات وقال مقاتل بن حيان هو الذي لا عيب
فيه وقال قتادة هو الباقي بعد فنا خلقه وقال سعيد بن جبير هو الكامل
في جميع صفاته وافعاله وقال السدي هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث
به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته
وعن ابي بن كعب هو الذي لم يلد لان من ولد سيموت ومن يرث يورث

منه ففسر الصمد بما بعده وينبغي ان تحمل هذه التفاسير كلها تفسيرا واحدا
فانه متصف بجميعها فكونه لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه او يخلف
عنه لامتناع الحاجة والغناء عنه بدوامه في ابديته والاقتصار على الماضي لدوامه
رد اعلى من قال الملايكة بنات الله وعزير او المسيح او غيره والامين انه لا فصل
له ظهر انه لا جنس له فدل عليه بقوله تعالى ولم يولد لانه لو تولد عنه غيره تولد
هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لا اول له بل هو الاول الذي لم
يسبقه عدم لان الولادة لا تكون ولا تتشخص الا بواسطة المادة وعلاقتها وكل ما
كان ماديا او كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى منزه
عن جميع ذلك ولم يكن اي لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من
التقادير له اي خاصة كفوا اي مثلا ومساويا احد على الاطلاق اي يساويه في
قوة من الوجود لانه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل
فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذي يكون كالام والفصل
الذي يكون كالاب وقد ثبت انه لا يصح بوجه ان يكون في شيء من الوجوه لان
وجوب وجوده لذاته فانتفى ان يساويه شيء وكان الاصل ان يوخر الظرف لانه
صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز
ان يكون حالا من المستكن في كفوا وخبرا ويكون كفوا حالا من احد وعطف عليه
هاتين على الجملة التي قبلها لان الثلاث شرح الصمدية النافية لاقسام الامثال
فهي كالجملة الواحدة روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما
شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد
وقرا حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها وقرا حفص كفوا بالواو وقفا ووصلا واذا
وقف حمزة وقف بالواو وروي في فضايل قل هو الله احد احاديث كثيرة منها ما رواه
البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها
فلما اصبح اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال

له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن
فان قيل لم كانت تعدل ثلث القرآن اجيب بان القرآن انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا
وعد ووعيد وثلثا اسما وصفات فجمعت هذه السورة احد الاثلاث وهو الاسما
والصفات وقيل انها تعدل القرآن كله على قصر منتها وتقارب طرفها وما ذاك الا
لاحتوايها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف
بفضلها ومنها ما روي مسلم عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا في
سرية فكان يقرا في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال لانها
صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها فقال صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى
يحبه ومنها ما روي الترمذي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال
الجنة ومنها ما روي انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا
قل هو الله احد خمسين مرة غفرت ذنوبه ومنها ما روي سعيد بن المسيب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرات بني الله له
قصرا في الجنة ومن قراها عشرين مرة بني الله له قصرين في الجنة ومن قراها
ثلاثين مرة بني الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر اذن نكثر قصورنا فقال
صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك ومنها ما رواه الطبراني عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد بعد صلاة الصبح اثنتي عشر
مرة فكانما قرا القرآن اربع مرات وكان افضل اهل الارض يومئذ اذا اتقى وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه
لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملايكة بايديها حتى تجيزه من
الصراط الى الجنة وقد افردت احاديثها بالتاليف وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب
ولها اسما كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى احدها انها سورة التفريد
ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها سورة الاخلاص خامسها سورة
النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك

ثامنها سورة المعوذة تاسعها سورة الجمل عاشرها سورة القشقشة حادي
عشرها سورة المعوذة ثاني عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس
قال اسست السموات السبع والارضين السبع على قل هو الله احد رابع عشرها
المانعة لانها تمنع فتنة القبر وعذاب النار خامس عشرها سورة المحتضرات
الملايكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها سورة المنفرة لان الشياطين تنفر
عند قرائتها سابع عشرها سورة البراءة لانها براءة من الشرك ثامن عشرها المذكرة
لانها تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها النور لانها تنور القلب المكمل عشرون
سورة الانسان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله وخل حصني
ومن دخل حصني امن من عذابي فنسال الله تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا
الجنة برحمته نحن وجميع الاحباب بغير حساب فانه كريم حليم وهاب وما روى
البيضاوي من انها تعدل ثلث القران فرواه البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يقرؤها الى اخره فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما

سورة الفلق

مكية في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة
وهي خمس ايات وثلاثة وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا **بسم الله** الذي لك
جميع الحول **الرحمن** الذي استحق كمال الطول **الرحيم** الذي انعم على اهل وده جميل
القول واختلف في سبب نزول سورة **قل اعوذ برب الفلق** فقال ابن عباس
وعايشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم
يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من
مشطه واعطاه اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود
فنزلت هذه وقل اعوذ برب الناس فيه وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
طب اي سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيا وما صنعه وان دعا ربه ثم قال اشعرت
ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت عايشة وما ذاك يا رسول الله قال
جاني رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه
ما وجع الرجل قال الاخر مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في

مشط

مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذروان بئر في بني
زريق قالت عايشة فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الي عايشة ه
فقال والله لكان ماءها نقاعة الحنا ولكان نخلها رؤس الكريم الشياطين قالت
فقلت يا رسول الله هلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير
على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود
فاشتكى ذلك اياما واتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك
وعقد لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي الاراي وجهه قط وروي انه
كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا حيف الطلع فاذا فيها مشاطة من
راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي كان ذلك في وتر عقد
عليه احد عشر عقدة وقيل كانت مغروزة بالابرة فانزل الله عز وجل هاتين
السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست
ايات فكلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام صلى الله عليه وسلم
كانما نشط من عقال وروي انه كان يخيل له انه يطا زوجاته وليس بواطئ قال
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري ان جبريل عليه
السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد شكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك
من كل شيء يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد والله يشفيك بسم الله
ارقيك فان قيل المستعاذ منه هل هو بقضا الله وقدره او لا فان كان بقضاء
الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء
الله وقدره فذلك قدح في القدرة اجيب بان كلما وقع في الوجود فهو بقضاء
الله وقدره والاستشفا بالتعوذ والرقا من قضا الله يدل على صحة ذلك ما روي
الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ارايت رقيا نسترقي بها ودوية نتداوى به وتقاة نتقيها هل يرد من قضا
الله شيا قال هو من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر بن عزم

قد راله الى قدر الله ومعنى اعوذ استجير والتجي واعتصم واحترز والفلق الصبح
في قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة
يوم القيمة الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة الفنا والهلاك بالبعث والاحيا وقال
الملوي الفلق بالسكون والحركة كل شيء انشق عنه ظلمة العدم واوجد من الكائنات
جميعا وروي عن ابن عباس انه سكن في جهنم وقال الكلبي وادٍ في جهنم وقال
الضحاك يعني الخلق وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان
وقيل الفلق الجبال والصخور تتفلق بالمياه اي تتشق وقيل هو التفليق بين
الجبال لانها تتشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه
تعالى لان الاعاذة من المضار تربية ولما كانت الاشياء قسمين عالم الخلق وعالم
الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعاذة
منه لانحصار الشرفية فقال تعالى معمما فيها من شر ما خلق فخص عالم الخلق
بالاستعاذة منه لانحصار الشرفية والشر يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت
مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكلب والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم
وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقيل المراد به ابليس خاصة لانه خلق الله
تعالى خلقا شرا منه وبان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي
شر وقوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فيه وجهان احدهما ما روي عن عائشة
قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي
بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث
صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود وذهب ضوؤه او اذا دخل
في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يصح السحر المؤثر للتمريض
وهذا مناسب لسبب نزول هذه الاية ثانيهما ما روي عن ابن عباس ان الغاسق
الليل اذا وقب اذا اقبل بظلمته من المشرق وسمي الليل غاسقا لانه ابرد
من النهار والغسق البرد وانما امرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات
ويقل الغوث ومنه قولهم الليل اخيف للويل وقولهم اعذر الليل لانه اذا اظلم
كثر فيه العدو وفيه يتم السحر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه

قالها

قالها انه الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر فيه عند وقوعها
وترتفع عند طلوعها فلهذا امرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها
انه الاسود من الحيات ووفيه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبت الثريد
ولما كان السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء من زوجه وابيه وابنه
ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي النساء
او النفوس او الجماعات السواحر اللواتي تعقد عقدا في خيوط وينفثن عليها
ويرقين والنفث النفخ مع ريق وقال ابو عبيد النفاثات من بنات لبيد بن
الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل ما معنى الاستعاذة
من شرهن اجيب بثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي
هو صفة السحر ومن اثمهن في ذلك ثانيها ان يستعاذ من فتنتهن
الناس بسحرهن وما يخدعهم به من باطلهن ثالثها ان يستعاذ مما يصيب
به من الشر عند نفثهن قال الزمخشري ويجوز ان يراد به النساء الكيدات من
قوله تعالى ان كيدهن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد والاتي
يعتق الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن بسحرنهم بذلك تنبيه
اختلف في النفث في الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض
احد من اهله نفث عليه بالمعوذتين وروي محمد بن حاطب ان يده احترقت
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه
وروي ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا هل فيكم من راق قالوا انا حتى تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من
الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برئ فاخذوه فلما
رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا واضربوا
لي معكم بسهم وانكر جماعة النفث والتفل في الرقي واجازوا النفخ بلا ريق
قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح وما يعقد وقيل ان النفث
في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث

النفث لاصلاح الارواح والابدان فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه
ولما كان اعظم حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال
نعمة المحسود للحاسد او غيره قال تعالى ومن شر حاسد اي ثابت الاتصاف
بالحسد معروف فيه واعظم واعظم الحساد الشيطان الذي ليس له داب الا السعي
في ازالة نعم العباد عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى اذا حسد
اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوايل للمحسود لانه اذا لم يظهر
اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه
بسرور غيره وعن عمر ابن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد
وفي اشعار الاية ادعا بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش
محسودا ومات محسودا فان قيل لم عرف بعض المستعاذ منه وذكر بعضه
اجيب بان النفاثات عرفت لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل
غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر
ورب جسد محسود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال ابن تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد
وقال اخر ان العلا حسن في مثلها الحسد فائدة قال بعض الحكما الحاسد بارز
ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها انه ساخط
لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها انه ضاد فعل الله تعالى ان فضل
ببره من شا وهو يبخل بفضل الله رابعها ان خذل اوليا الله تعالى او يريد خذلانهم
وزوال النعمة عنهم خامسها انه اعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال في
المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملايكة الا لعنة ولا ينال في الاخرة الا جزعا
وغما ولا ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يستجاب دعاهم اكل الحرام ومكثر
الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد
في الاية اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل
قوله تعالى من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة

بعده

بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد خص هولا من
كل شر لخفا امرهم وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم واخرج الامام احمد
عن الزبير بن العوام انه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد
والبغضا هي الحالقة فنسال الله تعالى ان يحفظنا ومحبينا انه كريم جواد
وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد انزلت علي سورتان ما انزل
مثلهما وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال وانك ان تقرا سورتين
لا احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين وعن عقبة بن عامر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المعوذون
قلت بلى يا رسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
وما رواه الزمخشري ولم يقله البيضاوي هنا وقاله هنالك في اخر السورة
الاتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا
الكتب التي انزلها الله تعالى حديث موضوع والله سبحانه اعلم

سورة الناس

مكية وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله
المحيط بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر الرحمن الذي عمت نعمته كل باد وحاضر
الرحيم الذي خص اهل وده باتمام النعمة في جميع امورهم الاول والاثنا والاخر
ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم امره ان يستعيذ من شر الوسواس
بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق اعوذ اي اعتصم والتجي برب اي مالك
وخالق الناس وخصهم بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان
الناس يعظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني انه امر بالاستعاذة
من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم قال الملوي والرب من له ملك
الرق وجلب الخيرات الخيرات من السما والارض وانفادها ودفع الشرور ورفعها
والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العايد بالحفظ والتتميم على المربوب
وقوله تعالى ملك الناس اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان
فاليه الفزع وهو المستغاث والملجا والمنجا والمعاذ وقوله تعالى اله الناس اشارة

الى انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك احد فكذلك هو وحده
الههم لايشركه في الوهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على
جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه تعالى الحسنى فان الرب هو
القادر والخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والتربية والقدرة الذي هو بمعنى
الربوبية عليه من اوصاف الجمال والملك هو الامر الناهي المعز المذل الى غير ذلك
من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال فيدخل فيه جميع الاسماء الحسنى ولتضمنها
جميع معاني الاسماء كان المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه
الاكمل الدال على الوصاية لان من راى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة
علم ان له مربيا فاذا درج في العروج درج معارفه سبحانه علم انه غني عن
الكل والكل اليه وعن امره يجري امورهم فيعلم انه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم
بعد ابداعهم انه المستحق للالهية بلا مشاركة له فيها فايدة قد اجمع جميع القراء
في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة كما مضى لان
المالك اذا اضيف الى اليوم افهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض
وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك وهو الملك بالضم واما
اضافة المالك الى الناس فانها لا تستلزم ان يكون ملكهم فلو قري به هنا
لنقض بالضم واطبقوا في العمرانية على اثبات الالف في المضاف وحذفها
من المضاف اليه لان المقصود من السياق انه سبحانه يعطي الملك من يشاء
ويمنعه من يشاء والملك بكسر الميم الذي لهذا المعنى واسرار كلام الله تعالى
اعظم من ان تحيط بها العقول وانما غاية اولي العلم الاستدلال بما ظهر
منها تنبيه لايجوز في ملك الناس واله الناس ان يكونا وصفين لربي
الناس وان يكونا بدلين وان يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشري
قال كقوله سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا
باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس
فخاص لاشركة فيه فحصل غاية للبيان فان قيل هلا اكتفي باظهار المضاف

اليه

اليه الذي هو الناس مرة واحدة اجيب بان عطف البيان للبيان فكانت
مظنة للاظهار دون الاضمار من شر الوسواس وهو اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به
شيطان سمي بالمصدر كانه وسوس في نفسه لانه صنعته وشغله الذي
هو عاكف عليه اوارید ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ويقال لحس
الصايد والكلاب واصوات الحلي وسواس والشيطان يجري من ابن ادم مجري
الدم كما في الصحيح فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون اخلي ولا يزال يزينه ويثير
الشهوة الداعية اليه حتي يوقع الانسان فاذا اوقعه وسوس لغيره ان
فلانا فعل كذا حتي يغضحه بذلك فاذا افتضح زاد جراة على امثال ذلك
لانه يقول قد وقع ما كنت احذر من اتباعه فلا يكون شيء غير الذي كان
فيجتري على الذنب ولما كان الله تعالى لم ينزل داء الا انزل له دواء غير السام وهو
الموت وكانه جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فانه يرد الشيطان ويثيره
القلب وبصيغته وصف سبحانه الموسوس عند استعمال الدواء بقوله تعالى
الخناس اي الذي عادته ان يخنس اي يتواري ويتاخر ويختفي بعد ظهوره
مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقاطع
التي تقمع المفسد فهو شديد التنفر منه ولهذا كان شيطان المومن هزيلا
كما حكي عن بعض السلف ان المومن يضني شيطانه كما يضني الرجل
بعيره في السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم
الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس
الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه فيجده فاذا ذكر الله خنس ورجع
ووضع راسه فذلك قوله تعالى الذي يوسوس اي يلقي المعاني الخفية
على وجه الخفي والتكرير في صدور الناس المضطربين اذا عقلوا عن
ذكر ربهم من غير مقاتل سماع فقال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير
يجري من ابن ادم مجري الدم في عروقه سلطه الله تعالى على ذلك وقال
القرطبي وسوسته هو الدعا لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب

من غير سماع صوت تنبيه يجوز في محل الذي يوسوس الحركات الثلاث
فالجر على الصفة والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القاري على الخناس
ويبتدي الذي يوسوس على احد هذين الوجهين وقوله تعالى من الجنة
اي الجن الذين هم في غاية الشر والتمرد والخناس والناس اي اهل الاضطراب
والذبذبة بيان الذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي
كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون بدلا من ذي الموسوس من
الجن والانس ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يوسوس اي حال كونه من
هذين الجنسين وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا اما شيطان
الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فياتي علانية وقال
قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين
الانس فقال او من الانس شياطين والجن الاية قال نعم لقوله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية وذهب قوم الى ان المراد بالناس
هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل الفرا عن بعض العرب انه قال وهو
يحدث جا قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا
يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة
جمع جني كما يقال انسي وانس والها لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس
في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس
عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدوره وقيل معنى
من شر الوسواس ان الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث
النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها
ما لم تعمل او تتكلم به وعن عقبة بن عامر قال قال صلى الله عليه وسلم الم
تر ايات نزلت الليلة لم ير مثلهن قط اعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس
وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل

ما تعوذ

ما تعوذ به المتعوذ قلت بلى قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى
فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما راسه ووجهه
ما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها ايضا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه
كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجا بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم
الليل وانا النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال
احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب
من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وعن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ما اذن الله لنبي ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران
يجهر به لطيفة نختم بها كما ختم بها الفخر الرازي تفسيره وهي ان
المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي اية رب الفلق
والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الافات وهي الفاسق والنفاثات والحاسد
فاما هذه السورة فالمستعاذ به فيها مذكور بصفات ثلاث وهي الرب
والملك والاله والمستعاذ منه افة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين
الوصفين ان الثنا يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الثانية
سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا
وان عظمت وهذا اخر ما يسره الله من السراج المنير ، في الاعانة على
بعض معاني كلام ربنا اللطيف الخبير ، فدونك تفسير كانه سبيكة عسجد
او در منضد ، جمع من التفاسير معظمها ، ومن القراات متواترها ، ومن
الاقاويل اظهرها ، ومن الاحاديث صحيحها واحسنها ، محرر الدلايل في
هذا الفن ، مظهر الدقايق استعملنا الفكر فيها اذا الليل جن ، فان ظفرت
بفايدة ، شاردة ، فادع لي بالتجاوز والمغفرة ، او بزلة قلم او لسان

RA.
Serial No.
Yer
Eski No. 83
Tasnif No. 227

فافتح له باب التجاوز والمعذرة ، فلابد من عيب فان تجدنه فسامح وكن بالستر اعظم مفضل ، فمن الذين ما ساقط ومن له المحاسن قد تمت سوى خير مرسل ، وانا اعوذ بكلمات الله التامة ، الكاملة ، والوذ بكنف رحمته الشاملة ، التامة ، من كل ما يكلم الدين ، ويثلم اليقين ، او يعود في العاقبة بالندم ، او يقدح في الايمان المنوط باللحم والدم ، واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ، ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر ، مستشفعا اليه بنوره الذي هو السببية في الاسلام ، متوسلا اليه بسيد الانام ، عليه افضل الصلاة واتم السلام ، وبالنبوة المحصنة للانام ، وبما عنيت به من مصابرتي على تواكل من القوى ، وتخاذل من الخطا ، ثم اساله بحق صراطه المستقيم ، وقرانه المجيد الكريم ، وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين ، في عمل هذا التفسير للبين ، عن حقايقه ، المخلص عن مضايقه ، المطلع على غوامضه ، المثبت في مراحضه ، المكنة بالفواد التي لا توجد الا فيه ، المحيط بما لا يكتنه من بديع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذق للفضول ، وتجنبه المستكره الملول ، متوسط الحجم وخير الامور اوساطها ، لا تفريطها ولا افراطها هذا ولسان التقصير في طول مدحه قصير ، فاسال الله تعالى الكريم الذي به الضر والنفع والاعطاء والمنع ، ان يجعله لوجهه خالصا ، وان يداركني بالطافه اذا الظل اضحى في القيامة قالصا ، وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وان يرفع به درجتي في جنات النعيم ، وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم ، وان ينفع به من تلقاه بالقبول انه جواد كريم ، وان يخفف عني كل نصب ومونه ، وان يمد في بحسن المعونه ، وان يهب لي خاتمة الخير ، ويقيني مضار السوء ، وان يتجاوز عن فرطاتي يوم التنادي ولا يفضحني بها على رؤس الاشهاد ، انا ، ووالدي ، واولادي واقاربي ، ومشايخي ، واحبابي ، وجعلنا دار المقام من فضله بواسع طوله ، وسابغ جوده ، انه هو الجواد الكريم ، الرؤف الرحيم

وهذا

وهذا شيء ليس كان في قدرتي ، فاني والله معترف بقصر الباع وكثرة الزلل ، ولكن فضل الله تعالى وكرمه لا يعلل بشيء من العلل ، فلهذا رجوت ان اكون متصفا باحدى الخصال الثلاث ، الذي اذا مات ابن ادم الا منها ، بل ارجو من الله الكريم اجتماعها ، انه كريم حليم ، قال المولف رضي الله تعالى عنه وارضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، وكان الفراغ من تاليفه يوم الاثنين المبارك ، ثالث عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين وتسعماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد مولفه فقير رحمة ربه القريب ، محمد بن احمد الشربيني الخطيب ، غفر الله تعالى له ذنوبه ، وستر في الدارين عيوبه

والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاة
الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام
المرسلين ، والصحابة والتابعين وتابعيهم
باحسان الى يوم الدين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله وسلم على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين
امين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ،